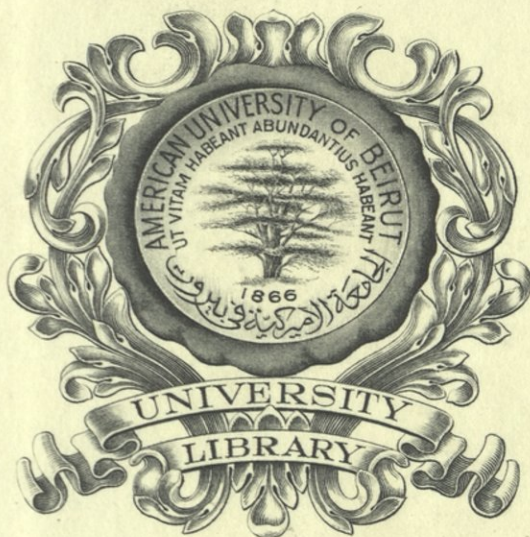


23
F63
c

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



جلید صالح الذفر
تلفون ۲۲۲۹۷۷

8
Left. Cat. July 1927

232.9

F699A

9.3

كتاب

232.9

F699A

C.D

القول الصريح

في

سيرة يسوع المسيح



تأليف

الدكتور جورج فورد الاميركاني

28691



طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت ١٩٢٢

روح السيد الرب علي لان الرب مسخني لبشر المساكين ارسلني لاعصب
منكسري القلب لانا دي للمسيين بالعتق وللمأسوزين بالاطلاق . لانا دي بسنة
مقبولة للرب ويوم انتقام لاهنا لاعزّي كل النّاحين اش ٦١ : ١-٢

ناظرين الى رئيس الايمان ومكمّله يسوع الذي من اجل السرور الموضوع
امامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله . فتفكروا في
الذي احبل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلّوا وتخوروا في نفوسكم
عب ١٢ : ٢ و٢

تاركا لنا مثالا لكي تتبعوا خطواته ا بط ٢ : ٢١

مقدمة

قد مرّت السنون وكثرت القرون والانسان يزداد ظلماً ونعاسةً بالنسبة الى ازدياد بعده عن الكمال . فالفلسفة البشرية عجزت عن بلوغ الكمال واصلاح الحال اصلاحاً تاماً . قال سقراط الحكيم اليوناني الشهير لتلميذه السيادس " يا عزيزي السيادس اني لا استطيع ان ابين لك كيف تحصل على الخير الاعظم لاني لا اعلم . لكنني موقن ان الخالق محسن وانه بناءً على احسانه سيرسل في الوقت المناسب معلماً يعلم الانسان كيف يحصل على ذلك الخير " . علم الاخبار هذا الفيلسوف ان الناس الفاسدين طبعاً ليسوا اهلاً لاصلاح ما هو فاسد . قال الشاعر

هل يرتجي الاصلاح من فاسدٍ فالشهد لا يجني من الخنظل

قد وضع قادة الامم شرائع لاصلاح الحال كما نقرأ عن عصر حمورابي وفلاسفة اليونان وحكام مصر ومشرعي الرومان ومجوس فارس وبراهمة الهند وغيرهم . لكن حكمة هؤلاء كلهم اجمعين قصرت عن بلوغ المطلوب . والشرعية الموسوية نفسها مع كونها الهية كانت قاصرة عن الاصلاح الكامل . لان القصد بها كان تعريف الانسان بخطائه وحثه على طلب الكمال وارشاده الى مصدره الاصلي فلم يبق ثم الا الوسطة الوحيدة التي عينها الله لبلوغ الانسان درجة الكمال وهي ارسال المعلم السماوي ابن محبته الرب يسوع المسيح هذا قد اتى بما لا يستطيع ان يأتي مثله حكيم بشري . فانه فضلاً عن جلال شريعته وكما لها بذاتها لم يأت بفكرٍ او قولٍ او عملٍ امراً مخالفاً لتنطة واحدة ما اوجب على الناس حنظله وهذا ما قصر عنه كل مصلح سواء على الاطلاق

فحاجتنا العظمى اذا ليست الى من يعلمنا طريق الكمال بل بالاولى الى من يسير امامنا في تلك الطريق لنحذو مثاله ونتفني آثاره . وغير يسوع ابن مريم الكامل في ذاته وصفاته لم تطأ قدمه تلك الطريق المقدسة . وشتان ما بين تأثير علم الكلام وعلم المثال . لان علم الكلام نظري شفهي اما علم المثال فحسي فعلي . اذا يسوع هو مطمح ابصار العالم الفاسد باسره لاجل نيل الصلاح والسعادة ببلوغ درجة الكمال . فالامر الهام هو معرفة ما عمله يسوع لاجلنا وما علمه وبعبارة اُجلى درس حياة يسوع لنرى فيها ما قد اشرنا اليه . ان كل شيء تقريباً يحتمل المبالغة الا الكلام عن يسوع . فان بلاغة كل بليغ تقصر عن وصف تلك الحياة السامية الكاملة

اسعدني الحظ بالاطلاع على كتاب سيرة يسوع المسيح تأليف العالم الفاضل المدقق الدكتور جورج فورد الاميركاني فوجدته سفرًا جليلاً منعمًا بالفوائد . قد توسع فيه المؤلف بشرح حال الاشخاص والاماكن والاحوال المحيطة بكل حادثة من الحوادث . وقد استفدت من درس هذا السفر المفيد من اوله الى آخره ورأيت سفرًا واحدًا قد حوى عدة اسفار . واعظم مكافأة يتوقعها المؤلف ان يكون هذا الكتاب وسيلة لاقتياد الناس الى راعي نفوسهم واستقنوا يسوع رسول المحبة السماوية لننال به الكمال الحقيقي والخلاص المجاني ونتمتع معه بالحياة الابدية المقدسة في الامجاد السموية

نسبم الحلو



دياجة

ليست الحاجة ام الاختراع فقط بل هي ام الجُرأة ايضاً . فالحاجة الكلية الى كتب في العربية تبحث في سيرة يسوع المسيح قد ساقني الى الجسارة بتأليف كتابي هذا ونشره . نعم ان كتباً كثيرة عدداً وممتازة حسناً قد ألفت في هذا الموضوع الجليل في اللغات الغربية لكنني لم أحاول الترجمة لان المترجم لا يؤدي المعنى الاصلي في قوته وجماله . ثم ان ذلك الاصل لا يلائم تماماً مطالب المطالع الشرقي . لانه يكون مؤلفاً على النسق الغربي وفقاً لمطالب الشعوب الغربية . فاثرت الكتابة في العربية رأساً مع شعوري الشديد كاجنبي بعدم اهليتي لهذا العمل الخطير . لان موضوع هذا الكتاب أجّل المواضع واصعبها . وفي الوقت ذاته هو اوفر فائدة من كل موضوع سواه

وليس مرى هذا الكتاب الخصوصي تفسير الانجيل مصدر اخبار يسوع المسيح ولا استيفاء الفوائد التاريخية والفلسفية المتعلقة بهذا الموضوع . لان ذلك قد تمّ بحوله تعالى في مؤلفات أخرى على كيفية وافية بالمطلوب^(١) . انما المرى الخصوصي هو التصوير اولاً ثم التفسير بقدر ما يقتضيه المقام . والمقصود مساعدة القارئ على تشخيص الانسان يسوع الناصري في مخيلته كما رآه من شاهده من معاصريه وعلى تحصيل بعض الايضاحات المتعلقة بحقيقة شخصيته مما لم يرد في رواية الانجيل لكنه أثبت في اخبار القرون الموصلة بين زمانه وزماننا . وان

واخص هذه تفسير الانجيل للدكتور ادي (مجلد ١ و ٢) واتفاق البشيرين للدكتور كلون . والانجيل بحواش للدكتور ورنبات . ومرشد الطالبين للدكتور كلون . (وقد نفعه وزاد عليه الدكتور فاندليك عند تجديد طبعه) وكتاب الادلة السنية وكتاب اللاهوت (في مجلدين) للدكتور أنس

يشخصه حاضراً في هذا الزمان مع البشر حضوراً حقيقياً جوهرياً روحياً. فيفهم
القارئ ما يمكن فهمه من سرّ عظمته الفائقة وتأثيره في التاريخ البشري
وقد افتحته بمقالة تمهيدية قبل المباشرة بسرد ترجمة ذلك الشخص العظيم
الفريد الذي وصفه أحد المرمين بهذا الكلام

قم ونعم يا مرنم باسم فادينا الحبيب
برخيم اللحن عظم ذلك الشخص العجيب

ذلك السامي السجايا صاحب المجد الرفيع
خالق كل البرايا اطفئه محي الجميع

ابدي اربي كان من قبل الجبال
وهو قدوس زكي لابس ثوب الجلال

شمس برّ ذو جمال كوكب الصبح المنير
وحده حاوي الكمال ما له اصلاً نظير

صيدا ايلول ١٩٢٢

جورج فورد



تمهيد

الزعامة المسيحية . فخص يلاطس يسوع وتبرئته اياه . صلاح يسوع يثبت ما يقوله .
الصلاح البشري يسندني الاعتراف بالقصور . كمال يسوع . المقاومات للمذهب المسيحي .
تجيب الكتاب المقدس . القصد من هذا الكتاب . ملخص وصف شخصية يسوع . المحبة
اساس الدعوة المسيحية . درجات المحبة . مقام المحبة في الدين

لما كانت العظمة الحقيقية غنية الغنائم فالهيم يفادي لاجل اثباتها . لذلك
يتشبه بكل ادعاء ثابت يظهر عظمة زعيم مذهبه . لكنه يدرك أنه كلما عظم
الادعاء صعب اثباته وهان افساده . لذلك يجنب كل عاقل الادعاء الفارغ
خشية النشل وتعرض زعيمه للاحتقار بدلاً من الاعتبار

المذهب المسيحي اصعب المذاهب في ما يدعيه لزعيمه . فان صح هذا
الادعاء اصبح لا محالة سيد المذاهب وزعيمه سيد الزعماء . اما اثبات ما يتطلبه
هذا المذهب فيتوقف على مطالعة ترجمة حياة هذا الزعيم . وحجر زاوية هذا
المبحث قد وضعه هو في قوله " من ثمارهم تعرفونهم ^(١) " فعلى اقوال يسوع المسيح
وافعاله ونتائج ما قال وفعل بيني الحكم في مقدار عظيمه الحقيقية . وليس على ما
ينعتة به المحبون او يطعنه به المخالفون

يوم كان يسوع معلماً جليلاً فقيراً أوثقته خصومه رؤساء اليهود
واحضروه مخفوراً مكتوفاً الى الوالي الروماني الحاذق الصارم يلاطس البنطي
طالبين الحكم عليه بالصلب . وبعد الفحص صرح هذا الوالي ببراءته في قوله
للساكن " انا لست اجد فيه علة واحدة ^(٢) " . فاحلوا عليه اكثر حتى جدد
الفحص ثم قال . " ها انا قد فحصت قدامكم . ولم اجد في هذا الانسان علة مما

تشتكون به عليه . ولا هيروودس (الملك) ايضاً لاني ارسلتكم اليه^(١) . ثم اوصته امرأته يسوع بسبب حلم المأوسمة "ذلك البار"^(٢) . ثم بعد ذلك قال ثالثة "اني لم أجد فيه علة للموت"^(٣) . ولما رضى اخيراً بغير رضى لطلب اليهود وسلمة للصلب لم يفعل الا بعد مقدمة أخرى لضميره المتحرك . لانه اخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع . قائلاً اني بري من دم هذا البار . ابصروا انتم^(٤) فحص بيلاطس وكانت نتيجة فحصه انه وجد يسوع رجلاً باراً . وهذه النتيجة التي وصل اليها بيلاطس في نهاية حياة يسوع الارضية هي مفتاح ضروري في فاتحة درس تاريخ الشخص الذي سماه هذا الوالي الروماني وامرأته "ذلك البار" . ومعلوم ان العالم الراقي باسره يؤيدها في حكمها في صلاح يسوع المسمي المسيح وشهادات اليهودي والمسلم والوثني والكافر مجمعة على هذا القرار فابن الحل المعقول للمشكل الدائم المتعلق بهذا الشخص ؟ وهو التوفيق بين حكم العالم المتمدن باسره بصدق يسوع وحذقه . وبين كل ما ادعاه لنفسه مما لا يجوز لمجرد بشر ان يدعيه وكل ما فعله مما لا يليق ان يفعله مجرد بشر . وكل ما قبل ان يقوله فيه الآخرون او يفعلوه له مما لا يجوز ان يقال في مجرد بشر او يفعل لهم

لا يختلف اثنان على ان ادعاء الانسان باكثر مما له او بغير ما له يكون اما من باب الخداع أو الغباوة أو الاختلال العقلي أو (الاسخاف) وليس من مدرك مستقيم يخطر له ان يتهم يسوع المسيح بانه دخل باباً من هذه فكرياً او قولاً او فعلاً

ولا يخفى ان الرسل والانبياء كلما تقدموا في الصلاح زاد انكسار الروح ففهم بسبب زلاتهم او نقصيراتهم . لان التواضع من اسى الفضائل . والاعتراف بالخطأ من اول الواجبات . والصلاح يولد الشعور الدقيق في الضمير . فكما يشتمز المتمدن من اقدار لا يبالي بها المتوحش هكذا يستغفر الصالح على امور تعد

(١) لو ١٤: ٢٣ و ١٥ (٢) مت ١٩: ٢٧ (٣) لو ٢٢: ٢٢ (٤) مت ٢٤: ٢٧

طفيفة عند الاقل صلاحاً . وتكون عند الاشرار محط الافتخار . ففي سيرة اعظم الانبياء والرسل الذين ورد خبرهم في كتاب الوحي نظير موسى وداود ودانيال وبطرس وبولس ترى اعترافات مؤثرة جداً واسترحاماً مفرطاً . وذلك يزيد اليقين بصلاحهم الحقيقي . لان ليس بينهم من ادعى لنفسه الكمال . فمخالفة يسوع لجميع الصالحين من هذا القليل تستوجب الانتباه الكلي وتطلب تفسيراً مقنعاً

ولا يسمى عن البال ان الذين نعتوا يسوع بالكمال هم الذين لازموه نهائياً وليلاً صيفاً وشتاءً زهاء ثلاث سنين . فليس لهم ان يعرفوا بواطنه وظواهره . ولم يكونوا من المتساهلين الذين يسدلون الستار على التقصيرات والهفوات او يسكتون عنها . بل هم الذين ينموا يشرحون سيرة يسوع المسيح ويؤيدون سمو كماله كانوا يفرطون في بيان سقطاتهم وتقصيراتهم كل واحد عن نفسه وعن زملائه ايضاً . وفي هذا دلالة كافية على اخلاصهم وحكمتهم واستقامتهم . ومستند كافٍ لوضع شهادتهم ليسوع محل اليقين والاحترام ان من غرائب التاريخ دوام المذهب المسيحي ونجاحه . لانه قاسى في كل ماضيه ولا يزال يقاسى امرّ المقاومات واشدها من خصومه الاقوياء الذين ما زالوا لا يألون جهداً لاجل تخديره واضعافه بل وملاشاته . لانه منذ يوم حاول هيرودس الملك قتل الطفل يسوع في بيت لحم الى يومنا هذا لم ينفك اعداء المسيحية العديدون المتقدرون عن محاربة الكنيسة المسيحية وتعاليمها بذات القصد الذي ساق هيرودس الى ما فعل

ولا يخفى على كل مطالع مفكر ان جميع ابواب الاعتراض على التعاليم والعقائد المسيحية فُتحت قديماً في العصر الرسولي . وكانت تنام وتسنق جيلاً بعد جيل وبعضها يموت لسخافته عند بيان ما يدحضه تماماً . وكان انصار هذه الاعتراضات الكفرية وزعماء هذه المقاومات يزعمون ثم يفتخرون بانهم قد هدموا اركان المسيحية واصبحت ملاشامها على الباب . مدعين ان اعتبار

كتابها المقدس قد زال . وإن أهل العلم قد رفضوا أهم القضايا المدرجة فيه .
فهذا التمهيد الصارم الذي جرى على شخص يسوع المسيح وتعاليم انجيله يخول
المؤمنين حق الأركان في صحة ما قد اجناز هذا الامتحان وثبت .

قال يسوع في صلاته . "أيها الأب هذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك
انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته" (١) . وقال اعظم الرسل
انه يحسب "كل ما في الدنيا نفاية لكي يعرف المسيح حق المعرفة" (٢) . فالكتاب
الذي هنك مقدمته قد كُتب ليسمى على من يطالع معرفه يسوع المسيح .
لا معرفة وهمية واهنة بل معرفة حقيقية راهنة . والرسول الذي صور بقلمه
أجمل الصور الاربعة وأوضحها التي تعلن يسوع المسيح للعالم قال في آخر كلامه
"وأما هنك فقد كُتبت لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله . ولكي تكون لكم
إذا آمنتم حياة باسمي" (٣)

فحبذا ان توصل كل مطالع الى الايمان الشخصي الحي بهذا المخلص المنفرد
عن البشر مع كونه أيضاً شريكاً للبشر في طبيعة بشرية حقيقية . لان هذا الايمان
ينيل صاحبه الحياة الابدية باسم ذلك الذي كتب فيه الرسول بولس ان الله
"رفعه واعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تخشعوا باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء
وممن على الارض وممن تحت الارض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو
رباً لمجد الله الأب" (٤)

فخلاصة ما يقال في الشخص الجليل الذي نبداً الآن بدرسه سيرته نلخصه
في خمسة امور

الاول انه الزعيم الديني الممتاز حياً للبشر . وليس نجاح زعامته في
العالم حالياً سوى نتيجة حبه المتفاني وحضوره الحقيقي الدائم مع ابناء شعبه
الثاني انه موضوع الانجيل الذي هو أعظم بشارة سمعتها آذان
بشرية لانها بشارة اهتمام الله بخير الجنس البشري زمنياً وابدئاً

(١) يو ٣: ١٧ (٢) في ٨: ٢ - ١٠ (٣) يو ٢١: ٢٠ (٤) في ٩: ٢ - ١١

الثالث انه المخلص الذي لبس طبيعتنا البشرية اختيارياً ليقرب من الناس ويتمكن من انجاز وظيفته كالمخلص العمومي المحب لجميع بني آدم الساقطين.

الرابع انه المقام من الله منذ الازل والمرسل من الله في ملء الزمان ليعلم للبشر محبة الله لم التي لا تُحد ولا توصف ولتتم عمل الفداء.

الخامس انه ابن الله المولود الوحيد الذي لا يكون الا على شاكلة المولود منه الذي وصفه الرسول بالعبارة "لان الله محبة" (١) فكما يجب الآب البشر يحبهم كذلك ابنه الوحيد الذي قدم لحبه أقصى برهان في موته الكفاري لاجل خلاص البشر. هو القدوس البار الحكيم الصادق الذي قال في نفسه "لان الآب لا يدين احداً بل قد أعطى كل الدينونة لابن لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله" (٢).

الدعوة المسيحية ليست دعوة افتخار بحجة ان الشعب المسيحي أصح من غيره ولا دعوة احتقار للنحل الاخرى الدينية وشعوبها. ولا دعوة تحزب بغية اكنار عدد تابعي هذا المذهب بل هي دعوة حيية محضة وفقاً للمبدأ الاساسي الرئيسي في النظام المسيحي الذي هو المحبة لجميع الناس. أرسل الله ابنه الوحيد الى العالم حباً لأهل العالم مع كونهم خطاة (٣). فارادته تعالى هي ان "الجميع يخلصون الى معرفة الحق يقبلون" (٤). هو ليس إله قوم بل إله البشر اجمعين. والابن الذي أرسله فتأنس في شخص يسوع المسيح شخص في ذاته هذه المحبة الالهية المتفانية دون تمييز مذهبي. فلم يثن عن اظهارها ليس نحو محبيه فقط بل نحو مبغضيه وصالييه ايضاً. واورث للبشر بعد هذا المبدأ. مبدأ المحبة للجميع حتى الاعداء وادرج ذلك في تعاليمه وأيده في سلوكه. فاعلم ان المحبة هي تكميل الناموس (٥).

(١) يوحنا ٨: ٤٠ (٢) يوحنا ٥: ٢٢ و ٢٣ (٣) يوحنا ٢: ١٦ (٤) اتي ٣: ٤٠

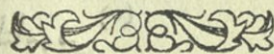
(٥) مت ٢٢: ٣٧ - ٤٠

سَلَّمَ المحبة درجات ثلاث . اولها محبة الله للانسان وثانيها صدى ذلك في محبة الانسان لله الذي احبه اولاً^(١) . وثالثها ثمر الدرجتين المذكورتين في محبة الانسان لزميله البشري ان محباً او مبغضاً ان قريباً او بعيداً اكراماً لله الذي غمره بمحبته واوصاه بمثلها لبني جنسه

ولا يظن انسان ان مجرد الامساك عن الاساءة الى الغير يعد برهان المحبة او اتمام الوصية بها . لان الوقوف عند هذه الدرجة لا يشبه المحبة الالهية التي هي القاعدة . ولا يستحق اسم محبة الا الانعطاف الذي يتجاوز الى التضحية في سبيل الحب . ويفرح في خدمة المحبوب دون انتظار عوض منه . ولا يشترط في ذلك ولو في فكره مكافأة على خدمته حتى ولا من الاله

تخصّص بعض النحل الدينية قدرة الاله الذي يعبدونه وبعضها قداسة وغيرهم حكمته وآخرون رحمته تعالى . واما المذهب المسيحي فمع مجاهرته بهذه كلها يخصص فوقها ويقدم عليها ما أتى يسوع المسيح ليعلنه جلياً وهو محبته تعالى الابوية التي نعم البشر والتي نسعى وراء ردهم جميعاً حتى اشرهم عن الضلال وتخليصهم من الهلاك

ولا يحق لاحد ان يسمى مسيحياً ما لم يكن على هذا المشرب . مشرب المحبة لجميع الناس حتى الاشرار والاعداء . مشرب الاستعداد للخدمة والتضحية في سبيل الخير الحقيقي للآخرين . فالامر الذي مهم له العزة الالهية ليس المذهب بل المشرب . وقد ورد في الانجيل ان الذي "ليس له روح المسيح" فذلك ليس له^(٢) (اي المسيح) . فتمت انتشر واستولى هذا المبدأ الجوهري الممتاز — مبدأ المحبة المخلصة للجميع والخدمومة للآخرين لاح فجر الفردوس



الفصل الاول

مت ١٠: ١-١٧ مر ١: ١ لو ١: ١-٤ و ٢: ٢٢-٢٨

يو ١: ١-٥ و ٩-١٤ و ١٦-١٨

(المرصع) فا

مقدمات البشائر الاربع . شخصية مرقس وبشارته . شخصية لوقا وبشارته . شخصية يوحنا وبشارته . تفاقم ضلال انكار لاهوت يسوع المسيح . مقدمة بشاره يوحنا الممتازة . شخصية متى وبشارته . نسب يسوع المسيح البشري

نستقصي معظم الاخبار الحقيقية عن يسوع المسيح من اربعة مصادر تسمى اناجيل او بشائر متى ومرقس ولوقا ويوحنا . وكل منها مستقل عن الآخر . فنبتدى بالنظر في فاتحة كل من هذه البشائر^(١) لكننا لاسباب معنوية نخرج عن ترتيبها في الانجيل . وننظر اولاً في المقدمة التي لمرقس ثم التي للوقا ثم التي ليوحنا واخيراً التي تأتي اولاً في الانجيل اي بشاره متى

لم يكن مرقس من رسل يسوع . ولا ذكر لاسمه مطلقاً في البشائر الاربع . كان اسمه العبراني يوحنا واسمه اليوناني المأخوذ عن الروماني مرقس . يذكر هذا الكاتب اول مرة بعد صعود يسوع بوضع سنين^(٢) . وكان ابن امرأة مؤمنة

(١) قد وضعنا تسهيلاً للمطالع كتاباً يسمى (مرصع البشائر) فيه ضمنا في قالب واحد كل ماورد في البشائر الاربع المسمى اليها . وراعينا فيه التدقيق التاريخي مع ترك التكرار اللفظي . وفي آخره (جدول) مفيدة جداً لمن يروم المطالعة . وفي دروسنا الحالية نعول على النصوص الواردة فيه ونراعي نسق التاريخي في تداع المحوادث مستدين هذا النسق الى آراء افضل العلماء المتصلعين في هذا الفن

(٢) اع ١٢: ١٢

يسوع اسمها مريم اخت برنابا اللاوي القبرصي الذي اشتهر كثيراً في التبشير^(١). وبطرس يسمي مرقس ابنه^(٢). وهي تسمية حمية قد تدل على ان مرقس اهتدى الى الايمان بواسطة بطرس. وقد انقفت كتابات الآباء المسيحيين على ان مرقس كان مترجماً لبطرس. وانه كتب بشارته تحت ادارة هذا الرسول الشهير. وهذا هو السبب لعدم كتابة بطرس بشارته باسمه اما مقدمة بشارته مرقس التي جعلناها فاتحة الانجيل كله فهي هذه. "بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله". ومنها يتبين ان ترجمة يسوع هي انجيل اي بشارته مسرة^(٣). فهي بشارته مثلثة ظاهرة في الاسم المثلث الوارد في هذه الفاتحة اي يسوع ومسيح وابن الله

فالشخص الذي هذا بدء انجيله يسمي يسوع (اي مخلص) بامر الملاك الذي كرر هذا الاسم عندما بشر بقرب ولادته. وفسر تخصيص هذا الاسم لهذا المولود بقوله "لانه يخلص شعبه من خطاياهم" فيكون خلاصه خلاصاً ابدياً ويسمى المسيح لانه ابن داود الموعود به من زمن آدم فما بعد إذ قد مسحه الله نبياً^(٤) وكاهناً^(٥) وملكاً^(٦). وارسله الى العالم حسب تلك المواعيد الثمينة التي قدمها للآباء والانبياء في سلسلة متواصلة كريمة جيلاً بعد جيل

ويسمى ابن الله بحق لانه لم يأخذ هذا الاسم الجليل من بشر بل من الملاك الذي بشر العذراء الطاهرة بانها ستلد^(٧). ولما طلبت ايضاح هذا الامر المستحيل عندها حثته لها جبرائيل بالتكرار. لانه كان ضرورياً ان يعرف مقامه الالهي الحقيقي حال ظهوره

(١) اع ٢٦:٤ و ١:١٣ و ١٢:١٤ (٢) اط ١٣:٥ (٣) كلمة منقولة عن

اليونانية (٤) تث ١٥:١٨ وقد اثبت بطرس ان هذا القول يشير الى يسوع اع ٢٢:٣

و ٢٧:٧ (٥) مز ٤:١١ وقد اثبت الرسول في عب ٦:٥ و ١٧:٧ و ٢١ ان هذا القول

عن يسوع (٦) زك ٩:٩ و ١٠ و مت ٥:٢١ (٧) لو ٢٢:١ و ٢٥

وعليه فليس بين كل اخبار التاريخ البشري خبر يستحق كخبر يسوع ان يسمي انجيلاً اي بشاره. ولا عجب ان النبي الانجيلي اشعياء السابق للمسيح نحو سبعة مئة سنة قال فيه "روح السيد الرب علي لان الرب مسحني لأبشر المساكين" (١). ولا عجب ان الملاك لما أخبر رعاة بيت لحم بولادته قال أبشركم بفرح عظيم" (٢). ففاتحة مرقس هذه تتضمن في ست كلمات ملخص كل ما هو ضروري ان نعرفه عن يسوع المسيح

اما شخصية لوقا صاحب المقدمة الثانية فهي كشخصية مرقس غير مذكورة في البشائر الاربع. لكن لنا من ترجمته لمحات في سفره الثاني اي سفر اعمال الرسل تبين انه رافق الرسول بولس في اسفاره التبشيرية. ثم نعلم من احدى الرسائل انه كان طبيباً محبوباً (٣). والظاهر انه كان من اهل العلم لان لغة كتاباته في اليونانية تمتاز فصاحة (٤)

ومقدمة بشارته رسالة وجيزة الى صديقه اليوناني ثاوفيلس المؤمن بالمسيح. بين فيها انه قصد في كتابتها إفادة هذا الصديق وتثبيتته في ايمانه الجديد. فأكده انه اجتهد ليقف على الاخبار الراهنة في ترجمة يسوع المسيح. قال "قد تثبت كل شيء من الاول بتدقيق في الامور المتيقنة عندنا لتعرف صحة الكلام الذي علمت به"

والبشير الثالث هو يوحنا الرسول. كان من تلاميذ يوحنا المعمدان سابقاً وأحد الشخصين اللذين سبقا الجميع في التلمذ ليسوع (٥). وهو الذي أطلق عليه لقب "التلميذ الذي كان يسوع يحبه" (٦). ومع انه صياد سمك لم يكن من الفقراء اذ كان لايه زبدي سفينة وخدم (٧). وكانت امه سالومة

(١) اش ١: ٦١ (٢) لو ١٠: ٢ (٣) كو ٤: ١٤ (٤) يظن البعض انه كان أحد المبشرين السبعين الذين ذكرهم في بشارته (لو ١٠: ١-١٢) (٥) يو ١: ٤٠ (٦) يو ٢: ٢٠ و ١٣: ٢٣ و ١٩: ٢٦ و ٢١: ٧ و ٢٠: ٢١ (٧) مر ٢: ٢٠

ترافق يسوع ورسله لكي تعلم من مالها^(١). استخضه يسوع تكررًا مع اخيه
الاكبر يعقوب وسمعان بطرس بامتيازات فوق سائر الرسل^(٢) وهو الذي
انكأ على صدر يسوع في العشاء الاخير^(٣). وله سلم يسوع امه وهو على الصليب
ليعتني بها^(٤). فلا يعجب من امتياز بشارته بين البشائر في الاهمية والجمال .
فانها نظير اسفاره الاخرى الاربعة تفوح برائحة المحبة واللطف شأن شيخ جليل
شبعان اياماً^(٥) حنكته اخباراته الممتازة ومن جملتها مصائب ليست بقليلة

كتب يوحنا بعد زملائه الثلاثة بعشرين او ثلاثين سنة بعد ان كان
اليقين بناسوت يسوع الحقيقي قد رسخ وساد في افكار المؤمنين . وزال الخوف
من ان يتزعزع . لكن لما كان التطرف دأب البشر في اكثر الامور ولا سيما
في الدين قد حوّل كثيرون حتى من المسيحيين المجاهرة بناسوت يسوع المسيح
الى انكار لاهوته . لذلك رأى يوحنا من الضروري ان يضمن بشارته كثيراً
من الكلام في لاهوت يسوع اصلاً للخطأ الذي كان قد افسد الكنيسة

وفاتحة بشارته تعد من أنفخر اقوال الانجيل واشهرها . ولها وقع عظيم في
نفس كل محب للدين . وفيها يتذكر الكاتب الموحى اليه بدء الخليفة وفاتحة
كتاب الوحي بالقول " في البدء خلق الله السموات والارض " ^(٦) . فيصور
لنا بدءاً سابقاً لذلك البدء اذ يقول " في البدء كان الكلمة * كل شيء به
كان وبغيره لم يكن شيء مما كان "

متى الذي كان قد سبقه في البشارة خص في بشارته الشعب اليهودي
اهل الدين المتزل . فرجع باصل يسوع الى صلب اب الآباء عندهم اي ابراهيم
وبعد متى كتب مرقس فخص الشعب الروماني اصحاب السيادة الوثنيين .
فاكمل اصل يسوع تماماً وابتداءً بفعله . ثم كتب لوقا وخص اليونان اهل

(١) يظن ان سالومة كانت اخوة مريم ام يسوع (٢) مت ١٠: ١٧ و ٢٧: ٢٦

ولو ٨: ٥١ (٣) يو ١٣: ٢٥ (٤) يو ١٩: ٢٦ (٥) لانه عاش نحو مئة سنة

(٦) تك ١: ١

العلم فتتبع نسب يسوع الى آدم اب البشر جميعاً . اما يوحنا ففي كتابته المتأخرة خص أهل الايمان اجمالاً أي الذين كانوا قد انضموا الى الكنيسة الجديدة المسيحية على اختلاف جنسيتهم وصيغتهم السابقة المذهبية . فلأنه كتب لاجل هؤلاء لم يكتف بما سبق بل عني ان يحقق لم في فاتحة بشارته أصل يسوع ليس فقط قبل ابراهيم وقبل آدم بل منذ اعماق الازل

وفي بيان ذلك اتى باسم جديد ليسوع لم يستعمله غيره من كتبة الانجيل سماء " الكلمة " وهو اسم مناسب جداً ^(١) . لانه كما تعلن الكلمة الظاهرة فكر المتكلم الغير الظاهر بدونها هكذا يعلن شخص يسوع الظاهر في الجسد " الاله الذي يرى ولا يرى " . فيسوع قد اعلن بتصرفاته قولاً وفعلاً صفاته تعالى كقدرته وحكمته وجودته وقداسته . فصيح ان يكون من جملة اسمائه الوصفية اسم " الكلمة "

كنا نود ان يكون هذا الاسم الجليل ليسوع في صيغة المذكر كما هو في الاصل اليوناني . لكن من الفعل المذكر والضمير المذكر ومن القول ان " الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورائنا مجئ مجداً كما لوحيده من الآب " تحقق ان يوحنا قد حول اسم الكلمة عن المعنى المألوف وجعله يعني شخصاً حقيقياً هو يسوع المسيح . ويزيد هذا التحقيق كلام هذا الكاتب نفسه في سفر الرؤيا ^(٢) . وختم يوحنا هذه الفاتحة مؤكداً ان الله روح لا يرى قط . لكن هذا الكلمة الابن الوحيد من الآب قد أعلنه وهو اهل لذلك . لانه ساكن في حضن الآب فيعرفه حق المعرفة . ولكي يعلنه للبشر " صار جسداً وحل بيننا " .

(١) اشتهر في العصر الرسولي فيلسوف يهودي من سكان الاسكندرية اسمه فيلو استعار اصطلاحاً من فلاسفة اليونان هو استعمال لفظة " الكلمة " بمعنى قوي لتعبر عن الفكر الالهي . ويظهر من كتاباته انهم جعلوا هذا الاسم لقباً شخصياً . فاستعملوه لاجل مسيحيهم المنتظر . انظر شرح يوحنا وجه ٢٥٣ لادي (٢) رؤ ١٩: ١١-١٢ رأيت السماء مفتوحة . واذا فرس ايض . والجالس عليه يدعى اميناً وصادقاً . وله اسم مكتوب ليس احد يعرفه الا هو . وهو منسربل بثوب مهبوس بدم . ويدعى اسمه كلمة الله

وهذا الحلول يسمى التجسد أو التأنس^(١)

أما المقدمة الرابعة فهي لكتاب نظير يوحنا أحد الرسل خلافاً لمرقس ولوقا. كان في الأصل عشاراً يهودياً اسمه العبراني لاوي واسمه اليوناني متى. واسم أبيه حلفي^(٢). عمله في خدمة الحكومة الرومانية يستلزم أنه كان من أصحاب المعارف ولا سيما في الأمور المالية والتجارية. وكتابته تبرهن سلامته من السذاجة والطيش. ومن ظروف اتباعه يسوع التي سيأتي بيانها يتضح أنه كان من ذوي اليسر المالي. وليس من خبر يوثق به عن مصيره بعد صعود يسوع

مقدمة متى تبتدى على هذه الصورة "كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم. ابراهيم ولد اسحق واسحق ولد يعقوب. ويعقوب ولد يهوذا واخوته". ثم يلي ذكر اربعين شخصاً من رجال ونساء آخرهم "يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح" بينما يمل الجاهل من مطالعة هذا الجدول بدرك العاقل اهمية الفائدة. لان فيه ايضاحات مهمة للاصل البشري الذي منه تسلسل هذا الشخص العجيب الذي "صار جسداً وحلّ بيننا" ويسوع هو الانسان الوحيد في التاريخ البشري الذي حفظ قيد تسلسله من اب البشر آدم^(٣). وهو الوحيد الذي نهوقف قيمته على حفظ سلسلة اجداده ولوقا قد أورد في بشارته جدولاً آخر نسبياً يختلف بعض الاختلاف عن الذي أورده متى. فنقول ان الجدولين متفقان في ان يوسف رجل مريم ام يسوع الحلقة الاخيرة فيهما. ويتفقان ايضاً في حلقات النسبة بين ابراهيم وداود. ويتفقان في اسمي شالتييل وزر بابل في وقت سبي بابل

(١) التأنس افضل من التجسد لانها توضح ان "الكلمة" لما صار جسداً اتخذ له ليس فقط طبيعة الانسان الجسدية بل الروحية ايضاً. فصار انساناً كاملاً حقيقياً نفساً وجسداً. لذلك نقول تأنس الابن الازلي (٢) لا يجنب ان هذا الحلفي هو ابو يعقوب المسي الاصغر. ويعلم كل عاقل ان كثيرين يسمون باسم واحد (٣) الذين دخلت اسمائهم في هذا القيد نظير داود وابراهيم حفظ نسبهم بواسطة هذه السلسلة المسيحية لاجل السمع

لكنهما يختلفان اختلافاً يفرح له ويتشبه به المتقنون^(١). ولا سيما اليهود منهم. من هذا الاختلاف ان متى يقدم اسماء الاجيال من يسوع راجعاً الى ابراهيم. واما لوقا فالى آدم. ويتبع متى سلسلة سليمان بن داود. اما لوقا فسلسلة ناثان بن داود. متى يجعل يوسف رجل مريم ابن يعقوب وفقاً للشرع الاصلي. ولوقا يجعله ابن هالي وفقاً للشرع الاصطلاحي. وذلك اما لكونه صهر هالي^(٢) او لانه تزوج بارملة اخيه ليقم له نسل^(٣). والحلقات في متى بين داود ويوسف تنقص كثيراً عنها في لوقا. فالامر ظاهر ان بعض الحلقات متروكة لاسباب مجهولة^(٤). وان كلمة "ابن" وكلمة "ولد" تردان احياناً في هاتين السلسلتين بالمعنى الواسع نظير القول ان يسوع ابن داود ابن ابراهيم^(٥). لان متى يذكر في ايام القضاة بين راحاب وداود اربع حلقات فقط مع ان المدة ٤٥٠ سنة. ويرى كثيرون من افضل المفسرين ان الجدول في لوقا يختص بمريم والاخر في متى بيوسف لكون بيان نسلسل الاثنين ضرورياً

لكن لئلا يعزى الى هذين البشريين في ايرادها نسب يوسف انها يجعلان يسوع ابناً طبيعياً له يستدركان هذا الخطر. فمتى بعد ان يقول في كل الحلقات السابقة فلان ولد فلانا لا يقول كما كان يتنظر يوسف ولد

(١) لو كان لهذا الانتقاد مجال صائب لكن اعداء المسيحية في عصر الرسل احتجوا على هذين الجدولين. لان الوسائط لتكديهما كانت متيسرة لديهم بوجود الجدول الاصلية محفوظة. والاعتراضات التي قدموها آتت تدل على حذق واجتهاد وتدقيق في محاولتهم افساد اليقين المسيحي. فسكوتهم عن هذا الاعتراض يويد صحة هذين الجدولين على رغم الاختلاف بينهما (٢) انظر عز ٦١: ٢ ونح ٦٣: ٧ (٣) مر ١٩: ١٢ مع تث ٥: ٢٥

(٤) بينما يذكر متى اربعة عشر حلقة بين داود وسي بابل يذكر لوقا عشرين. وبين سي بابل ويوسف يذكر متى اربعة عشر ولوقا اثنين وعشرين. نعلم من مقابلة جدول متى مع اخبار الملوك في التوراة انه ترك بين يورام وعزبا ثلاثة اسماء اي اخزيا ويوشيا وامصيا وبين يوشيا ويكنيا ترك يهوياقيم وقس على ذلك (٥) مت ١: ١

يسوع بل "يوسف رجل مريم التي وُلد منها يسوع الذي يُدعى المسيح" ولوقا يقول "وهو على ما كان يُظنُّ ابن يوسف^(١)

يُستخلص من هذين الجداولين ولا سيما من اسم راعوث المואية^(٢) ان الفقراء والأغراب عن الجنس الاسرائيلي حصّة في لائحة الشرف الملكي المسيحي. وايضاً من اسم راحاب التي كانت قبلاً زانية^(٣) واسي ثامار وبشبع ان للاشرار التائبين توبة حقيقية محلاً في هذه القائمة الشريفة مهما كان ماضيهم معيباً. وهذا الاستنتاج يوافق مشرب المسيح الذي خصّ باعنائيه ضعفاء القوم وخصّ بغفرانه بعض البعيدين جداً عن الصلاح. قال "لا ينجّح الاصحاء الى طبيب بل المرضى"^(٤). "وابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك"^(٥)

نجد محور الانجيل كله في العبارة الجوهرية التي اوردتها يوحنا في مقدمته "كان الكلمة الله. والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا". وكل ما ورد في متدمات الاناجيل الاربع يتفق مع ذلك. بناءً عليه يضع المطالع تماماً في فهم الانجيل وتفسيره ما لم يقرّر بادئ بدء امر طبيعة الشخص الذي يخبر الانجيل به. وقد عرف الرسول بطرس اهمية هذا الامر فكتب "لأننا لم تتبع خرافات مصنعة اذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه. بل قد كنّا معاً بنين عظمته. لانه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً اذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الاسنى. هذا هو ابني الحبيب الذي انا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء اذ كنّا معه في الجبل المقدس"^(٦)

(١) لتبلي اهمية بيان تسلسل يوسف من داود في كلام الملاك الذي ساءه ابن داود. لو لم يكن يوسف من ذل داود لم تكن حاجة ان يتوجه الى بيت لحم للاكتتاب فينهم النبوة ان يسوع يولد فيها. لان تسلسل مريم لا قيمة شرعية له (٢) را ١:١١ و ٢:٢ (٣) بش ٢٤:٦ (٤) مت ١٢:٩ (٥) لو ١٠:١٩ يجد المطالع شرحاً وافياً في موضوع سلسلة يسوع النسبية في كتاب مرشد الطالبين صفحة ٢٢١ و ٢٢٢ و ٤٥٧ و ٤٦٢ وتفسير الانجيل لادي في مت ١١ و ١٢ وفي لو صفحة ٥٢ واتفق البشريين ٦٤ - ٧٢

(٦) ٢ بط ١: ١٦ - ١٨

وبما ان المصدر الوحيد لاجبار يسوع بالتفصيل هو الانجيل . وبما ان
 كتبة الانجيل جميعاً متفقون على القول بلاهوتيه يستلزم الانصاف ان تفسر
 حوادث حياته وفقاً للقول بلاهوتيه . فلدى المطالعة باخلاص وامعان النظر
 يتدقيق تظهر صحة هذا القول او فسادة . فان آيدت تلك الحوادث قول
 البشيرين بلاهوتيه بزول كل ريب في الامر . وان لم تؤيده جاز رفض هذا
 القول الخطير^(١)



(١) يجز المطالع بحثاً خصوصياً في ائبانت لاموت يسوع المسيح في كتيب وضعته تحت
 عنوان "من هو يسوع المسيح"

الفصل الثاني

لوا ٥: ١ - ٢٥

(المرصع) ف ٢ (الزمان) ت ١ سنة ٦ ق م. (المكان) هيكل اورشليم

الظهورات الملائكية . زمان البشارة لزكريا وظروفها . زكريا واليصابات . هيرودس الكبير وشروعه . ظهور جبرائيل لزكريا . شك زكريا وقصاصة . حبل اليصابات العجيب الكهنوتان اليهودي والمسيحي . اتمام النبوات في المسيح . اندثار النظام الموسوي غيب ظهور المسيح

شروق النجوم يفاجئ الجوّ دون علامات سابقة بخلاف شروق الشمس ملكة الانوار . فان انذارات الفجر تتقدمه هكذا ظهور الانبياء العظام فاجاً جو التاريخ البشري . لم يرد خبر سابق لظهور ابراهيم او موسى او داود او ايليا . لكن ظهور سيدهم الذي من جملة القايه العديدة لقب شمس البر (١) لم يكن فجائياً . لان الانذارات العديدة المليّة المتواصلة كوّنت فجراً عجيباً سابقاً لمجيئه . وفي الوقت ذاته وخارجاً عن دائرة هذا الفجر كان الظلام الادبي والروحي قد بلغ اشدّه قبيل مجيئه . فلما بزغ هذا النور السماوي الفائق جاء في حين تفاقم احتياج العالم وشوق انقيائه اليه

المقدمات النبوية القديمة السابقة لظهوره هي مهمة جداً . وتستحق ان تراجع بكل اعتناء (٢) . لكن ضيق المقام يضطرنا ان نكتفي بالنبوات والادلة القريبة التي منها عُرف ان المسيح المنتظر صار على الباب

(١) ملا ٤: ٢ (٢) يوافق ان يستعين المطالع بكتاب الادلة اليهه لتجياز الذي يورد ثلاثين نبوة قديمة مختصة بمجيء المسيح (صفحة ١٠ - ٦١) ثم بكتاب مرشد الطالبين صفحة ٤٦٣ - ٤٨٠ والادلة السنينة صفحة ٢٢٦ و٢٢٧

كانت رسل السماء الملائكية قد احتجبت تماماً عن الابصار البشرية مدة خمسمئة سنة. لكن لما قرب الناس تواردت بعدد أوفر ومجدٍ أبهر ما حدث في كل الأزمّة منذ الخلق الى الآن. تواردت لكي تنبئ بقرب احتلال ملك الملوك وربّ الارباب^(١) مقاطعتي الارضية احتلالاً ظاهراً بهيئة بشرية. قال الرسول "متى أدخل البكر الى العالم يقول وتسجد له كل ملائكة الله"^(٢).

هذا هو الذي قال عنه النبي دانيال إن "سلطانهُ سلطان ابدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض"^(٣). فلاق ان يتقدم هذا الملك رسل من امام عرشه السماوي يبشرون أهل العالم بقدومه القريب. وصوت هذه البشرى ملأ السماء واهتزلة أجنحة العلوي قبلما سُمع في الارض اوزن في آذان بني آدم

فيل في الانجيل ان الله "بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به"^(٤). وايضاً ان الله "لم يشفق على ابنه بل بذله لاجلنا اجمعين"^(٥) فيؤخذ من كلمة "بذل" ان نزول الابن الوحيد من السماء حسب خسارة على أهلها. لكن لا بد من ان العواطف الالهية التي قدّمت هذه الضحية كانت متصلة منه تعالى الى سكان السماء اجمع. ولا ريب ان هؤلاء سرّوا بالسعي لتخليص البشر من العبودية لابليس ومن اشراك الخطية المميتة وجميع وبلائها ولا سيما الهلاك الابدي

سمع صدى قوي لهذا السرور السماوي في عالمنا هذا في اوائل تشرين الاول سنة ٧٤٧ من تأسيس رومية. اي قبل التاريخ المسيحي بنحو ست سنين. وبأهلها من بشارة مقدّسة. سُمعت في اقدس الايام اي السبت. وفي اقدس ساعاته اي ساعة تقديم صلوات الشعب لله صباحاً عند وضع الجذور العطر^(٦) على مذبح الجذور الذهبي^(٧). وفي اقدس نقطة من اقدس بناية في

(١) اتي ١٥:٦ ورو ١٤:١٧ و١٦:١٩ (٢) عب ٦:١ (٣) دا ١٤:٧١

(٤) يو ١٦:٣ (٥) رو ٨:٣٢ (٦) خر ٧:٣٠ - ١٠ (٧) خر ٣٠:٦ - ٦

وا اي ١٨:٢٨

اقدس مدينة في اقدس بلدان العالم . سمعها رجل من رجال الله بينما كان يتم وراء الحجاب في قدس الهيكل عمل التبخير الذي كان اشرف كل انواع الخدمة الكهنوتية . حتى انه لا يتيسر له هذا الشرف اكثر من مرة في حياته . وما زاد هذه البشارة قداسة كونها صلة جوهرية بين العهد القديم الموسوي والعهد الجديد المسيحي . فلا عجب من ان البشير لوقا الذي تتبع هذه الحوادث بالتدقيق يعتني بتفصيل خبر هذه البشارة الملائكية الاولى المخصصة بميلاد المسيح . فعند فجر اليوم الذي ذكرناه كان مجتمعاً في دار الهيكل عدد وافر من الكهنة واللاويين . دعاهم الى هذا الاجتماع صوت البوق الكبير الفضي لتوزيع فروع خدمة ذلك اليوم على نحو خمسين منهم . وكان يوزع أهمها ولا سيما التبخير بواسطة الفرعة . وكان الدور في هذا اليوم للفرقة الثامنة اي فرقة ايليا^(١) . وكان لكل كاهن من الخمسين (ممن لم تسبق لهم في حياتهم خدمة التبخير المتأخرة) أمل بان تصيبه الفرعة المشتهة . فلما أُلقيت الفرعة اصابت كاهناً كهلاً اسمه زكريا^(٢) زوج امرأة عجوز نظيره اسمها اليصابات^(٣) على اسم جدتها زوجة هرون

اتي زكريا اورشليم من قريته مدينة يهوذا أو بوطه^(٤) لكي يأخذ دوره في خدمة الهيكل . ونقرأ ان هذا الكاهن وزوجته اللذين هما مقام جليل في مقدمة الانجيل "كانا بارين امام الله" . اي ان صلاحهما لم يكن رياءياً او سطحياً بل مشهوداً له من عالم الخفايا الذي لا تخدعه الظواهر . وانهما "كانا سالكين في جميع وصايا الرب (اي الواجبات الدينية) واحكامه (اي الواجبات الطقسية) بلا لوم" لذلك كانا متممين الشرط الضروري للحصول على الاكرام الالهي . وكان زوج نظيره من النوادر بالنظر الى الظلمة الصائتة

(١) اي ١٠: ٢٤ (٢) الله يذكر (٣) الله قسم (٤) يش ١٥: ٥٥

و ١٦: ٢١ انظر الحاشية في الانجيل بشواهد في لوقا ٢٩: ١ واتفاق البشيرين وجه ٤٢ فهي على الغالب واقعة في نقطة جبلية في نواحي مدينة حبرون اي الخليل

من الوجهة الادبية والدينية في تلك الايام

مثال هذه الظلمة شخص حاكم البلاد اليهودية الملك هيرودس الملقب
بالكبير^(١) والذي ملكه الامبراطور الروماني الشهير اوغسطس قيصر على
البلاد اليهودية اجمالاً مكان ابيه انتيباتر المتوفى . وكان انتيباتر ادمياً
اغضب العرش اليهودي من اصحاب الحق فيه اي العائلة الاسمونية . واشتهر
ابنه هيرودس بالذكاء والاقلام والقساوة والحمق والقباحة والاحتيال
وبافراطه في سفك الدماء غدرًا . حتى عدّ شرًا من كل من ليس تاجًا

وحفظًا لتاجه المخلص تروّج بابنة فاضلة وجميلة من السلالة الملكية المحقة
اسمها مريمي او مريم . ثم احاط عرشه تدريجًا بخندق من دماء الامراء
والاميرات اعضاء أسرته واسرتها مع كثيرين من شرفاء البلاد . قصد بذلك
سحق جميع الذين كان يُحِبُّهم ان يطالبوا بحقوق الارث القديمة المقدسة للعائلة
الداودية . ومثلهم الذين كان يُحِبُّهم ان يشكوه لمولاه في رومية

ثم لما وُشي اليه ان مريمي (التي كان حبه لها مفرطًا جدًا) تحاول عزله
لإقامة ابنها ملكًا عوضًا عنه أممها باشتراك ائيم مع صهره زوج اخيه سالومة
الشريرة فقتلها . وبعد ذلك صار كالمجنون لأسفه على فعله ولفرط حبه لها .
ثم قتل ابنه اسكندر وارستبولس خوفًا منها بعد ان شكاهما الى القيصر لكي
يأذن له بقتلها . حتى قال عنه القيصر محقرًا ومازحًا انه يفضل ان يكون أحد

خنازير هيرودس على ان يكون أحد بنيهِ^(٢)

ومقابلة هذه الفواحش رشا ضميره الفاسد بمظاهرات دينية رياضية . قصد

(١) اسم هيرودس كان يطلق على افراد العائلة المالكة جيلًا بعد جيل نظير اسم
فرعون في مصر واسم قيصر في رومية . انظر شرح ترجمة هيرودس الكبير في مرشد
الطالين صفحة ٢٦٩ وافياق البشيرين ٥٠ وقاموس الكتاب الجزء ٢ وجه ٤٥٨ وتفسير
الانجيل لادي ١٩٠:١ (٢) أتى هيرودس مدينة بيروت ليلاتي فيها مولاه او معتمده
ويستحصل على المأذونية المنوّه عنها . واما ابناه فلم يسمح لها بان يتبعاه ليجتبا . بل اوقفنا عند
نهر الدامور . ثم لما ترخص له بقتلها ارجعنا الى سبسطية وقتلنا فيها

تلقى اليهود بذلك لانهم كانوا مستبئين منه جداً . وكان يخاف لئلا يبلغوا
القيصر سيئاته . فتظاهر بالتمسك الشديد بالنظام اليهودي الذي اخذته
سياسة . وشرع حالاً في تجديد بناء الهيكل على صورة فخيمة جداً . واستغرق
هذا العمل سنين كثيرة حتى انه في سنة ٢٦ ب م كان له ٤٦ سنة يعمل به ^(١)
ولم يتم الا بعد ٢٨ سنة من ذلك الحين . رغمًا عن الهبة الزائدة والتنفقات
الطائلة المبذولة في ذلك السيل ^(٢)

بوسائط كنه تسلط في الدين . فلا عجب من ازدياد الفساد الديني في
ايامه . مثال ذلك ما جرى بخصوص رئاسة الكهنة فان النظام اليهودي
كان يقضي بان يأخذ رئيس الكهنة وظيفته العظيمة الموقرة بالارث حسب
التعليمات الالهية . ولا يُعزل ما دام حياً الا باثبات قانوني لذنوب ديني يكون
قد اقترفته . أو لعجز يصيبه . اما هيرودس فعزل من شاء ونصب من شاء
لان الرشوة لا الالهية كانت عند باب التوظيف في هذه الرتبة الرفيعة
المقدسة ^(٣)

فهذا الحكم الدموي الظالم المتصف بالارتشاء والاحتيال والفسق والنميمة
وسائر الشرور كان كصوت صارخ يعلن الفساد المستفحل في ذلك العصر ^(٤)
فالاشخاص القليلو العدد الذين لتقواهم شابهوا زكريا والبصابت كانوا كالمخ
في جيلهم . وبسببهم كان يتوقف الغضب الالهي عن اعادة البشر لاجل الشرور
الشاملة العظيمة

وكان هذان مع نقواهما محرومين بركة النسل التي هي احدى البركات
العظمى المعدودة علامة الرضى الالهي . ففي هذه السنين العديدة كلها منذ

(١) يو ٢: ٢٠ (٢) لانه استخدم ١٠٠٠٠ عربة نقل والى كاهن بالبدلات الرسمية
علمهم اولاً الصنائع اللازمة لكي يعملوا في اقسام البناء المقدسة التي لا يجوز دخول غير
الكهنة اليها . وشغل معهم عشرة آلاف عامل في الدوائر الخارجية (٣) عين فيها مرة
ارستوبولس وهو شاب في سن السابعة عشرة (٤) يوجد كتاب مفيد جداً مريب عن
الانكليزية عنوانه زمن يسوع بعثني بشرح تاريخي مفصل لفروع هذا الفساد

اقتراهما كانت صلاتهما المحارة الصالحة تصعد يومياً الى العزة الالهية بطلب
هذه المنحة المبتغاة

نصوّهما عند صعودهما السنوي مع الجمهور الى الاعياد في اورشليم
يشتركان في ترنية المصاعد القائلة "هوذا البنون ميراث من عند الرب
*** كسهم بيد جبار هكذا ابناء الشبيبة. طوبى للذي ملأ جعبته منهم" (١).
ونتصوّرها يتذاكران كيف تكون حالتها في ما يأتي من حياتها وقد أمسيا
طاعنين في السن. وليس لها ذرية لاجل خدمتها وتعزيتها في شيخوختها.
فكيف يموتان دون ان يريا ابناً يخلف أباه في الكهنوت المقدس ويحي ذكره
بعد موته؟ ولماذا قضي على بارين نظيرهما ان يتحولا تعبيرات الاقرباء بسبب
عدم هذه الزوجة الفاضلة (٢)

يتبين من قصتها ان التوفيقات الزمنية لا تدل دائماً على الرضى الالهي
او على الامتياز في الصلاح. ولا يؤخذ التأخير في استجابة صلاة الاتقياء دلالة
على عدم استماعه تعالى او قبوله آياها. فلا بد ان تستجاب صلاتها آجلاً او
عاجلاً. وفي عين الله "الف سنة كيوم واحد بعدما عبر وكهزيع من الليل" (٣)
فلا يمكن ان تهمل عند الله صلاة حقيقية ومناسبة لها طال عليها الزمان.
كما وان الصلاة التي تستجيبها الحكمة الالهية سلبياً لا تعد مهمة. لان العاقل
لا يتصوّر ان البار سيجانه يتعهد ان يستجيب كل صلاة على الكيفية التي
يطلبها مقدمها. اذ يكون ذلك بمثابة تسليم الحكم في الكون بيد المصلي لا بيد
المصلي اليه. فظهر في أقرب وقت ان الله كان قد اعدّ لصلوات هذين التقيين
جواباً يأتي في حينه ويفوق كثيراً كل ما طلباه او استطاعا ان يتصوّراه من
الحظ السعيد

لان قصة زكريا والىصابات ذات شأن لوقوعها في سلسلة المعجزات التي

(١) مز ١٣٧: ٥ - (٢) زاد عار العقم عند اليهود بسبب تقليد يسوع الطلاق

لملة العقم (٣) مز ٩٠: ٤

رافقت دخول المسيح الى العالم ولانها مقدمة للعلاقة الجوهرية بين هذا المسيح وبين الولد العظيم الذي رزقاه

وفاتحة هذه القصة هي وقوف هذا الكاهن الجليل داخل الستار الثقيل الذي حجب عن ابصار جمهور الساجدين . وقف امام مذبح البخور يصلي ودخان البخور ورائحة الزكية يصعدان نحو السماء . فرأى بغتة رئيس الملائكة جبرائيل العظيم واقفاً عن يمين مذبح البخور^(١)

فلا عجب اذا اضطرب ووقع عليه خوف . لان اضطراب كل انسان عند رؤيته ملاكاً من السماء امر طبيعي لا نقيض منه التقوى والصلاح . لان ليس صالح الا ويعرف ذاته خاطئاً . فالضمير الحي يجعل صاحبه جباناً في حضرة الاطهار . إذ يكتنه على اقل الهفوات كما على التقصير عن الكمال التام . ويجعله يقشعر عند مفاجأة الملاك اياه . لئلا يكون في ذلك شيء من المطالبة بحقوق الباري عليه او من مجازاته على ذنوبه

آخر ظهور ملاكي ذكر قبل هذا كان ظهور جبرائيل ذاته من مدة نحو خمسمئة سنة . وبذات غرضه الحالي . وذلك لدانيال آخر الانبياء العظام قبل المسيح . ظهر كرجل "لابساً كتاناً وحنوؤه متطققان بذهب اوفاز وجسمه كالزبرجد . ووجهه كمنظر البرق . وعينه كصباحي نار . وذراعه ورجلاه كعين النحاس المصقول وصوت كلامه كصوت جمهور"^(٢) . كان دانيال في ذلك الوقت مع شعبه في سبي بابل . وكان مشغولاً في الصلاة لاجل هيكل الله الخرب في اورشليم^(٣) . فرأه "مطاراً واغفاً" (معي من سرعة السير)

(١) كن على يساره المارة الذهبية الشهيرة ذات السبع شعب التي منها ضوء . وعلى يمينه مائدة الوجوه . وكان امامه وراء مذبح البخور الحجاب الثمين الجميل الذي حجب عن ابصار جميع البشر حتى الكهنة المحل المسمي قدس الاقداس المخصص لحاول المجد الالهي على تابوت العهد الذهبي . الى هذا المحل جاز الدخول لرئيس الكهنة . وله وحده مرة فقط كل سنة في يوم الكفارة لرش دم الكفارة فيه^(٢) دا ١٠: ٦ و (٣) هذا الملاك هو احدى الحفلات الكثيرة الموصلة بين المذهمين المسيحي والمهدي . يطلب الشرح في موضوع

فقال دانيال في تأثير رؤيته "لم يبقَ فيَّ قوَّة ونضارتي نحوَّلت فيَّ الى فساد ولم اضبط قوَّة وكنت مُسَجَّجًا على وجعي الى الارض" (١) قدَّم جبرائيل لدانيال انذار لغزاً تاريخياً خفياً يدل على زمان ظهور المسيح المنتظر (٢). فانتهاب جبرائيل في هذا الوقت لذات الغرض كان مناسباً جداً وفيه دليل واضح على اهتمام اهل السماء بمجيء المسيح الى العالم

أسرع الملاك لمسكين روع ذكرى الذي بسكوته ترك لجبرائيل لياقة مفتاح الكلام. فقال الملاك لا تخف. ثم أعلمه بان صلاته وصلاة زوجته لاجل بركة النسل قد استجيبت من لدنه تعالى. مع انه بالنظر الى سنهما قد امست هذه الاستجابة مستحيلة في اعين البشر واعينها

ثم اعطاه الاسم الذي يجب تسمية الصبي به متى وُلد. واعلم له عن مستقبل ابنه انه لا يسبب فرحاً وابتهاجاً لوالديه فقط. بل ايضاً لكثيرين غيرها وانه يكون عظيماً ليس في اعين الناس فقط بل امام الله الذي يميز العظمة الحقيقية عن الكاذبة. وعلة عظمته تكون امتلاؤه من الروح القدس الالهي من اول ايام وجوده. لانه وفقاً للنظام الطبيعي الذي يربط النسل بالاهل وللقول الالهي المشير الى ذلك والموضح في الوصية الثانية من الوصايا العشر سينال مولود هذين الشيوخ حتى قبل ولادته تهيئة تقواها وصلاتها. ويكون للرب نذيراً غنياً طول حياته (٣). ونجح نجاحاً باهراً في العمل الوحيد الذي هو محور الاهتمام الالهي في العالم اي رد كثيرين الى الرب الههم

زاد جبرائيل ما هو اعظم من ذلك اي ان هذا الصبي الموعود به يكون المبشر بظهور المسيح الموعود به. فيقدم امامه متمماً النبوة التي كان يتمسك بها كل يهودي تمسكاً شديداً بان ايليا يأتي قدَّام المسيح ويهيئ للرب شعباً

الملائكة من الاتفاق وجه ٢٨ و ٢٩ وقاموس الكتاب ٣٣٦ و ٣٣٧ (١) دا ١٠: ٢-٩

(٢) دا ٩: ٢٢-٢٧ (٣) يظهر من ذكر امتناعه كلياً عن المسكرات ان عيفاً

المسكرات حتى قليلها يعدُّ فضيلة

مستعداً^(١). قد بشر ملاك في القديم أكثر من مرة بولد سيولد للذي انتمه البشارة. لكن امامنا المرة الوحيدة التي فيها بشر ملاك سلفاً بولد تكون وظيفته ان يبشر بقدوم آخر اعظم منه جداً. وذلك دليل على تفوق هذا الاخير على البشر كافة

اما زكريا فلم يصدق هذه البشارة مع انه سمعها من فم جبرائيل رئيس الملائكة^(٢) الواقف قدام الله والمرسل منه تعالى لهذا الغرض الخصوصي. لان الموانع الطبيعية كانت عظيمة جداً. كنا نعذر بعض العذر لو كان هو أول من اخذ مثل هذه البشارة في مثل هذه الاحوال لكننا نلومه لانه يعلم جيداً ببشارة نظيرها للشيخين ابراهيم وسارة. فهو وشعبه ونظامه الديني الذي قضى حياته في خدمته جميعهم نتيجة تلك البشارة القديمة لابراهيم^(٣). فما كان لزكريا لم يكن لابراهيم مما يسهل تصديق بشارة جبرائيل

فلانه لم يصدق سماع اذنيه ضرب بالطرش. حتى لما اراد احد ان يكلمه كان يومي اليه او يكتب له. ولان فمه نطق بكلام الشك ضرب لسانه بالخرس حتى لما اراد هو ان يكلم احداً كان يطلب بالاياء لوحاً فيكتب عليه وتعينت مدة قصاصه هذا تسعة اشهر الى ان ينظر بعينه ويسمع باذنيه البرهان الحسي الذي كان يطلبه على صدق قول الملاك^(٤)

وبسبب هذه المقابلة الغريبة بين الملاك وزكريا طال انجذاب الكاهن عن الجمهور المصلي خارجاً منتظراً الانصراف عند خروج الكاهن من وراء الستار "فتعجبوا من ابطائه" لكن زاد عجبهم لما خرج اليهم عاجزاً عن النطق بالبركة المفروضة عليه وعن اخبارهم ما هو سبب ابطائه. اذ صار يفهم بالاياء

(١) مل ٥:٤ و ٦ انظر ايضاً مت ١٤:١١ و ١٥:١٧ و ١٦:١٢ و ١٦:١٣

(٢) ومعنى اسمه (قوة الله) (٣) تك ١٠:١٨ (٤) في قول الملاك الى اليوم الذي يكون فيه هذا لنا مثال استعمال كلمة يوم بمعنى واسع لان مصيبة زكريا لم تنزل عنه الا في اليوم الثامن بعد ولادة ابنه. ونرى مثل هذا المعنى الواسع لكلمة يوم في خبر خلق العالم في ستة ايام

بقدر ما امكنه "فنهوانه قد رأى رؤيا"

ان امانة زكريا جعلته يتم خدمته بدلاً من ان يعتذر بسبب مصيبيته الجديدة . او بسبب شوقه الى اعلام امرأته في البيت في يوطه بهذا الخبر المهم للغاية المختصة بهما اذ قيل "ولما كملت ايام خدمته مضى الى بيته"

تصور انزعاج هذه العجوز الصالحة لما استقبلت رجلها في البيت عند رجوعه فاقداً قوتي النطق والسمع . ثم دهشها عند ما كتب امامها ما اعلنه له الملاك جبرائيل . ولا بد انه انذرهما ايضاً كتابة ان لا تشك بهذا الكلام لثلاث تقاص نظيره

ونقرأ ان التأثير الذي حصل لالیصابات جعلها تخفي نفسها خمسة اشهر كانت في غصونها مستهجة باحسان الله اليها . ومتمضعة لعدم استحقاقها ذلك . وشاكرة على نزع عارها بين الناس يوم يعرفون ما لا تريد الآن ان تشهره من حقيقة امرها العجيب

العقل لا یسلم ان المعجزة الفاتنة التي هي تانس الابن الازلي تحدث الا وتحاط بمعجزات اخرى ترافقها وتبقيها . فمعجزة البشارة لزكريا ثم قصاصه وحبل الیصابات العجيب هي مقدمة المعجزات التي احاطت بولادة يسوع ابن مريم . فحدثها وحفظ خبرها يسهلان كثيراً تصديق تلك المعجزة الاعظم التي تتبعها قريباً

ولا شك ان كلام البشارة المشيرة الى محبي ذاك الذي يكون ابنها مبشراً به ومعيداً لطريقه والذي سماه الملاك "الرب" يكون قد اشغل كثيراً افكار هذين الشئخين واحاديثهما . متى يظهر واين وكيف ؟ عن قريب سيأخذان العلم بذلك ليس من الملاك جبرائيل بل من نسبية لما سوف تصبح اشهر نساء التاريخ البشري واسعدهن

ولا عجب في ان لوقا البشير يهتم بسرد قصة زكريا مفصلاً . لان هذا الكاهن الجليل مختار من الله ليكون الحلقة الموصلة بين الكهنوت القديم

الموسوي الموقت المقام من الله وبين خلفه المقام ايضاً من الله . وهو الكهنوت الجديد المسيحي الابدبي الذي رئيسه يسوع المسيح وافرادهُ جميع المؤمنين الحقيقيين^(١) . ولان زكريا اصبح آخر كاهن يهودي نال استئصالاً الهياً . لان السلسلة الهرونية دامت كاشارة سابقة الى ظهور رئيس الكهنة الاصلي الحقيقي . ثم انحلت عند هذا الظهور

فهذا هو الذي فيه تمت النبوات القديمة العديدة وصحت الرموز الكثيرة الدقية . وليس في التاريخ البشري شخص غيره تنطبق عليه تلك النبوات او تلائم تلك الرموز . لذلك حتى الحكم بان يسوع الناصري هو ذاك الاصيل المتنبأ عنه والرموز اليه . ويتضح لكل من يراجع تورااة اليهود بامعان ان المسيح الموعود به في ذلك الكتاب الموحى به ليس كاحد الانبياء مجرد بشر بل هو شخص الهى^(٢)

اما الارتباط التاريخي بين العهدين الموسوي والمسيحي فيؤيد الارتباط المعنوي تماماً . لان النظام الموسوي مع هيكله وكنسته وذبائحه وسائر متعلقاته دام سنين قليلة بعد ما أتم يسوع عمله على الارض ثم اضمحل أكثره ولا يؤمل احياء الكثير الذي تلاشى من فرائضه لان الاندثار المدهش الذي اصاب النظام الموسوي على اثر ظهور يسوع المسيح قد اثبت القول بان ذلك النظام كان فقط استعداداً وفتحاً ونهيلاً رمزياً للذي خلفه . وهو باتفاق تام معه لكون اصلهما واحداً

فلما دمر الرومان عاصمة اليهود اورشليم وخرّبوا الهيكل معبدهم العظيم . ولما فقدت الآنية والنار المقدسة الضرورية لاجل ممارسة فروضهم الطقسية - ولما أبطلت الذبائح اهم واجباتهم الدينية - ولما ضاعت قيودهم النسبية التي لا غنى عنها لاجل تحقيق الوظيفة الكهنوتية - ولجل حفظ الاقوال النبوية لكي يعرف متى جاء مسيهم هل بنوته للداود حقيقية - ولما تشتت شعبهم في كل

(٢) اش ٦٠:١ و٧٠:٥

(١) ابط ٥:٢ و٩

اقطار المسكونة مطروداً من ارض الميعاد مبرأته انتهى عند ذلك تاريخهم
الشعبي وانطفأ سراجهم المذهبي
فهو يسلم العقل بان التقدير سبحانه يسمح باطفاء سراج كذا او قدته
يدك الالهية وأيدته بالمعجزات المدهشة المكررة ألا وتكون تلك اليد ذاتها قد
ابدلت بنور اسطع منه يقوم مقامه ويفوق عليه ؟ نرى الجواب في التاريخ .
لانه على أثر هذا الانذار العجيب ظهر انتشار اعجب منه للمذهب المسيحي
سريعاً في كل انحاء المعمور

ومع ان الشعب الموسوي قد تشتت . وكثير من اصطلاحاته الدينية
قد تضرعت . لكن اقوال الانجيل تستدعي حفظ هذا الشعب الى اليوم
الذي فيه يقبلون يسوع مسيحهم . ولذلك نرى الاثبات التاريخي العجيب في
بقاء الشعب اليهودي مفروزاً ونشطاً على رغم كل ما اصابه مما كان من دأبه
ان يلاشيه تماماً

الفصل الثالث

(لوا: ٢٦: ١ - ٨٠ ومت ١٨: ١ - ٢٥)

(المرصع) ف ٢ و ٣ (الزمان) اذار الى حزيران سنة ٥ ق م.

(المكان) الناصرة واليهودية

بشارة الملاك لمريم . مقام العذراء السامي . شعورها عند البشارة . حيرة يوسف .
بشارة الملاك له . اخذه مريم الى بيت . زيارة مريم لاليصابات . سلام اليصابات . تسجعة
مريم البهيمة . احوالها الخارجية الوضيعة . ولادة يوحنا . تسجعة زكريا

مضى الخريف وعبر الشتاء ودخل الربيع بكر العام الجديد^(١) . ولم
يحدث شيء جديد يعلق عجيء المسيح الموعود به . واما الفساد الموجب لمجيئه
فازداد . الآن ما حدث بعد زيارة جبرائيل لزكريا في اورشليم بستة اشهر
بحول الافكار من اورشليم الارضية الى السماوية . فنتصور الحركة التي
حدثت هناك لما علم سكانها بارسالية جديدة فوضت الى جبرائيل اهم كثيراً
من القديمة لدانيال والحديثه لزكريا

فانه في الخريف السابق ارسل هذا الرئيس الى الهيكل الفخم في العاصمة
اليهودية . والآن وغرضه اهم من الاول بما لا يقاس ترى فالى عاصمة الفخم
منها يتوجه ؟ هل الى انطاكية في الشمال او الاسكندرية في الجنوب او اثينا
في الغرب او رومية وراء الكل وسيدة الجميع ؟ كلا . بل ارسل ليكشف
الستار عن قرية حقيرة لا ذكر لها في التاريخ لولا ظهوره فيها . هي قرية

(١) كنت السنة الدينية عند اليهود تبتدى في نيسان

بعيدة عن المقدس واقعة في آخر البلاد شمالاً يضرب بها المثل بسبب حنارتها وربما أيضاً بسبب فسادها واسمها الناصرة (١)

زار جبرائيل في الخريف كاهناً جليلاً قضى حياة طويلة في الخدمة الدينية بين شعب الله . وكان باراً ومكرماً ورئيساً بين قومه . فأَيُّ عظيم اعظم من هذا الكاهن يزوره في هذا الربيع ؟ أيزور أحد الملوك والأمراء أو شهيراً من الرؤساء أو من الفلاسفة العلماء أو الممولين الأغنياء ؟ كلا . بل زار فتاة عذراء من بيت جماعة فقراء لا أهمية سابقة لها عند قومها فوق سائر عذارى البلاد . ولا ذكر لها قبل زيارة جبرائيل إياها الآن . ولا أهمية لها مطلقاً لولا هذه الزيارة (٢) . أرسل إليها ليبشرها أن الله قد اصطفاها في قضائه الأزلي لكي يدخل إلى العالم بواسطتها مخلص العالم الوحيد

أنعم الله على هذه العذراء بأن البسها أعظم شرف نالته امرأة في الزمان . شرف لا تساويه ألقاب الأمراء وأوسمتهم ولا نيجان الملوك وعظمتهم . لذلك هنا جبرائيل بقوله "سلام لك ابنتي المنعم عليها" . قدّم الله باختياره إياها مثالة للجنس البشري لا يشوبها إيهام ولا يعتبرها نسيان بان العظمة الحقيقية في اعتباره تعالى لا تنشأ عن المركز والمحيط ولا عن الأصل والأجسام حتى ولا عن العقول السامية بل عن النفوس الطاهرة

ظاهر الخبر أنها كانت منفردة في بيت أبيها لما فاجأها الملاك والتي عليها السلام . وربما كانت هذه التقية تصلي في تلك الساعة . لأن اليهودي التقي كان يجثلي ثلاث مرات في النهار لاجل صلاته القانونية . فكانت تحية جبرائيل لهذه الصبية الفقيرة أبلغ من تحيته للكاهن الموقر . إذ قال لزكريا "لا تخف يا زكريا" . أما لمريم فقال "سلام لك ابنتي المنعم عليها . مباركة

(١) قيل فيها "أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح" (يو ١: ٤٦) ومع صغرها كانت تسمى مدينة حسب اصطلاح تلك الأيام (٢) أن اسمي ابويها لا يعرفان الآن من بعض الكتابات المتأخرة التي تقول أن اسم أبيها يواكيم واسم أمها حنة

انت في النساء". وفي الوقت ذاته ظهر في كلامه ان الامتياز الذي ناله
فوق سائر النساء كان انعاماً لا استحقاقاً

اضطربت هذه العذراء الطاهرة لرؤية الملاك وتحيّرت لتحيته . فطمأنها
حالا كما فعل لذكريا بقوله لها " لا تخافي " ثم بمناداته اياها باسمها مريم ايناسا .
وكرر تمهيتها مع اضافة خبر لم تتصوره ولا حملت به قبلاً . اي انها ستحمل
حبلًا اعجب من حبل نسيبتها اليصابات . وتلد ابناً بقوة الروح القدس وهي
عذراء . وهذا الابن لا يكون فقط عظاماً كابن اليصابات بل " يدعى ابن الله "
ولكونها من نسل داود سيكون ابنها الخلف الاعظم للداود كملك ملكه
ملك ابدي . ويرد مجد سلالتها الداودية بعد انحطاطها الطويل

اهية شخص يسوع المسيح ومجيئه من السماء وعمله في العالم ظاهرة في كون
اعظم اكرام حي كان يهبه الاله لفرد من شعبه برهاناً على رضاه الوعد بان
المسيح يأتي من نسله . وقد يمكن ان مريم مع انحطاط احوالها الزمنية كانت
تشارك زميلاتهن من نسل داود في شيء من الآمال بانها ستلد المسيح . ولا سيما
لانها مخطوبة الى رجل صالح وهو ايضاً من نسل داود . فيأتيها هذا الامتياز
المستثنى على اسلوب طبيعي بعد اقترانها بخطيبتها يوسف . فلما اعلن لها الملاك
بان حملها يكون في الحال وقبل اقترانها المتظر كان اضطرابها طبيعياً
وشريفاً . ورأت ان عليها ان تدافع عن عفنها الحقيقية وتستوضح من الملاك
كيف يمكن تصديق قوله . ولا سيما لانها في حضرة الملاك تشعر بعدم استحقاقها
لانعام عجيب كهذا . فكانت حشمتها اكليل فضائلها وتواضعها تاج جمالها

نحن نعلم ان الذي اصطفها من بين الوف عذاري شعبها وهو فاحص
القلوب وعالم الخفايا كان قد أسس في روحها اهلية لهذا المقام الجديد الذي
رفعه تفوق الوصف . ثم جدّد لها الآن انعامه ليم استعدادها لان تكون الأم
للطبيعة البشرية في الذي هو ايضاً ابن العلي . وهو على الدوام بوهل الذين
يبتغيهم لما يتدبرهم اليه . فاسبغ على مريم بغزارة انعاماته المتواصلة ليمكنها من

القيام بما يطلب منها في احوالها الجديدة

لم يخفف جواب الملاك شيئاً من غرابة بشارته. ولم يقرب للعقل البشري التصديق. لانه حقق لها ان حملها يكون بفعل روح الخالق عز وجل. وعلى صورة مستثناة لا مثل لها قبل او بعد. وقال لها ثانية ان الذي تلك سيدعي "ابن الله". لكن لئلا يؤخذ هذا الاسم العظيم بالمعنى المجازي الذي يسوغ استعماله لمجرد بشر. ولانه يولد من الروح القدس سماء "القدوس" وهو اسم لا يعطى مطلقاً لبشر او لملاك^(١)

ان زكريا شك ببشارة الملاك له. لكن مريم طلبت ايضاح طريقة انعام الوعد الالهي فقط. فأعطيت علامة موجبة لفرحها الكلي وهي خبر المعجزة التي حصلت لاليصابات البعيدة عنها في جانب البلاد الآخر. ثم ختم جبرائيل خطابه بتذكيرها ان ليس شيء غير ممكن لدى الله. وهل يعسر على من اوجد الكون من العدم ان يوجد ابناً لمريم دون أب بشري؟ ومع ان كلام الملاك لها لم يتضمن شيئاً يسهل عليها التصديق سلمت تماماً وصدققت يقيناً اذ قالت والملاك منصرف "هوذا انا أمة الرب ليكن لي كقولك". سلمت تسليماً اعمى لله. وهذا عين الحكمة وكما ان الفخر بيننا التسليم الاعمى للبشر يكون جهالةً وذللاً

فما اعظم ابتهاج هذه العذراء الطاهرة في هذه الساعة المباركة. ها المسيح رجاؤها ورجاء شعبها ورجاء العالم على الباب. فكيف لا نبتهج؟ وقد اخبرها الله من بين جميع المؤمنين الاسرائيليات في السلالة اللاودية ليولد المسيح منها فهل لا ابتهاجها حد؟

لكن ليس في الدنيا فرح كامل. فلا بد من امتزاج بعض الخوف مع الابتهاج في صدرها الطاهر. يصور لها حدقها غيظ خطيئها وانفصاله عنها

(١) ورد هذا اللقب قبل ذلك اكثر من اربعين مرة لكن مطرداً كاسم الجلالة

متى ظهر سرُّها^(١). وليس لديها من وسيلة لاثبات الحقيقة التي من شأنها ان لا يصدّقها احد على الاطلاق. وان لم يضمها سريعاً الى بيتي تقع تحت عار عمومي امر من الموت لنفس عفيفة شريفة نظير نفسها. ولا يؤثر خبرها الصادق في من يسمع الا ليزيد عارها والنفور منها. لانه يعد من باب التجديف

ثم ان صلاحها الممتاز يضيف خوفاً آخر شريفاً. لانها ترى ذاتها غير مستحقة لهذا الامتياز الفائق. فتخاف انها تعجز عن القيام بما يستدعيه مقامها الجديد كوالدة المسيح. فمن اقتران عاطفتي الابتهاج الرزين والخوف الشريف تولد فيها جمال جديد. ولا ريب انها ضاعفت التجاهل الى المراحم الالهية ليفعل لها ربها في مشكلها الجديد المصنك ما ليس في استطاعتها او استطاعة غيرها من البشر. وبذلك آل عذاب خوفها الشديد الوقتي الى زيادة اهلينها لان تكون الأم المربية لهذا الطفل العجيب

اما خطيبها فلسنا نعلم كيفية اطلاعه على سرّها او وقت ذلك ولكننا نعلم انه وقع نظيرها في خوف عظيم بسبب خطارة كلا الامرين اللذين اضطر ان يختار بينهما. في حبه الصادق يود من كل قلبه تصديق رواية مريم عن بشارة الملاك لولا الصعوبة الكلية في ذلك. واختباره صفاتها الممتازة حسناً يجعله لا يظن فيها سوء وكونها خطيئة يستلزم ان يحميها بكل قوته من كل كدر وضرر. فان أجرى لها أخف درجات الفصاح بتركها جهاراً وكانت روايتها صادقة يظلمها ظلماً فاحشاً

ثم اي شرف الذي ليس فوقه شرف يكون له ان يولد في بيتي المسيح

(١) نث ٢٢: ٢٠-٢٤ ويو ٨: ٥٠ كان عقد الخطبة عند اليهود يتم غالباً كتابة وبمضور ثهود ولا يحل الا بطلاق كتابي شبيه طلاق المتزوجة. كان الانحطاط الادبي على نمادي السنين قد جعل اليهود يهلون هذا القانون ويتساهلون مع المذنبين. لذلك قلما نفذوا فيهم قصاص القتل رجماً الممين للخطيئة الخائنة كما للزوجة الخائنة

العظيم . ومن الوجه الآخر لانه "رجل بار" يحافظ فوق كل شيء على احترام الناموس الالهي والوصايا المقدسة والشرف والصيت الحسن . فما اعظم حيرته واضطراره . الا انه بعد التروي الكافي ساقه حبه وشهامته الى اختيار الطف ذرجات القصاص اذ قيل انه "اراد تخليتها سرًا"

أفليس هم هذين الشخصين الشريفين معلوماً لدى ابهما السماوي الذي لا يغفل عن اصغر الامور واحقرها في كونه الواسع ^(١) . نعم فانتا نرى مرة اخرى اهتمام اهل السماء باهل الايمان على الارض ضمن دائرة الاوامر الالهية . لانه صدر الامر الالهي لأحد الملائكة (ولعله جبرائيل) ان يزور يوسف ليلاً وظهر له في حلم ^(٢) واعلن له ان الذي حُبِل به في مريم هو من الروح القدس ولذلك فالاقتران بها حسب زعمه السابق اوجب من الافتراق عنها . اذا ما كان مجسبه للآن عاراً عليها هو بالحقيقة اعظم فخر لها . ومثل ذلك كثير من العار الذي يتحملة رجال الله من قبل الذين يجهلون الحقائق

كرّر الملاك ليوسف وصيته لمريم بان يعطى ابنها متى وُلد اسم يسوع . لان الحق الاول في تسمية الموالود يكون للرجل . فيجب ان يعرف يوسف ايضاً ارادة الله بخصوص هذا الاسم لكي تتحقق تسمية الصبي بالاسم الذي يعلن وظيفته الخصوصية ويوافقها . يسوع ويشوع اسم واحد وهو اسم قديم من اكرم الاسماء عند اليهود ومعناه مخلص . فهو اسم الاسماء البشرية لانه يدل على اسمي عمل يعمل على الارض وهو تخلص البشر من خطاياهم . فالذي اسمه يسوع اي مخلص هو الطبيب الشافي الذي يخلص من داء الخطية الوبائي القتال المستولي على جميع بني البشر

كان اليهود يحدّثون اطفالهم في بيوتهم واولادهم في مدارسهم وجامعهم

(١) مت ٢٩: ١٠ و ٢٠ لا يسقط (عصفور) على الارض بدون ابيكم واما انتم فمحي شعور رؤوسكم جميعاً بمحصة (٢) كان للاحلام اعتبار مهم عند اليهود فعندوا الحلم الحسن والملك الصالح والسنة المخصبة انها العلامات الثلاث المخصوصة للرضي الالهي

في مجامعهم وقراءهم في كتاباتهم بمسيح يأتي من سبط يهوذا ومن بيت داود
يخلصهم من مصائب هذا الدهر كال فقر والمرض والتعب والذل ومن سلطة
الاعداء . وكان انتظارهم هذا محرراً للثورات الدموية التي كان يثيرها مسحاء
كذبة بدافع النهوس الوهي او الطموح الشخصي او الطمع المادي . وكانت
هذه الثورات تأتي عليهم دائماً بالوبال . فكلام الملاك نفي هذه التخيلات الذميمة
وأبان حقيقة وظيفة المسيح الموعود به وعمله . وذلك اعظم جداً من كل ما
كانوا يتصورونه

ان البشير متى اورد وحده خبر ظهور الملاك ليوسف . وكان بينهم
باقناع اليهود الذين كتب لهم ان يسوع هو مسيح الانبياء ولذلك هو مسيهم
ايضاً . فأضاف الى خبره شاهداً من نبوة اشعيا بان المسيح سيولد من عذراء
وانه بسبب طبيعته العجيبة يسمى "عمانوئيل" الذي تفسيره الله معنا (١)
لم يطل الوقت الا "وفعل يوسف كما امره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم
يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" (٢) لان امر الملاك ان يفعل ذلك كان
ضرورياً في تلك الاحوال . فبناء عليه لم يعرف عند العموم والاهل الا ان
يسوع هو ابن يوسف كما انه ابن مريم . وبهذا صارت شرفه وشرف مريم
ومولودها كل سني سكنهم مدينة الناصرة (٣) . فما اعظم الجائزة التي نالها هذا
البار بسبب اختياره خطية ذات محاسن اديبة على رغم فقرها المادي . ثم
بسبب طاعته للامر الالهي على رغم صعوبة هذه الطاعة دون برهان حسي .

(١) اش ٧: ١٤ اسم عمانوئيل يفيد اقتراب الله من الناس كما يفيد اسم يسوع اقتراب
الناس من الله بواسطه نجاتهم من الخطية فيجوز ان يكون قول النبي عن الولادة من
عذراء مشيراً الى حادث طبيعي في حينه . لكن هذا لا يتنافى الاشارة الالهية الى الحادث
المجيد الذي انبأ به الملاك في كلامه ليوسف . فالنبوة تريد قوة بدلاً من ان تضعف متى
تكرر انماها (٢) هذا قول ذو بال يستدعي الانتباه اليه . لانه بعد تسمية ابنها البكر
بصعوب حسنة ابنها الوحيد (٣) ظهرت الحكمة الالهية في اختيار عذراء مخطوبة
لمولود منها المسيح

آمن بالله كما آمن جدّه ابراهيم فحسب له برّاً. فلا شيء جزاؤه مكفول عند الله كالإيمان به وبمواعيدِهِ وبمسيحِهِ

”فقامت مريم في تلك الايام^(١) وذهبت بسرعة“ لزيارة البصابات لترى بعينها صحة خبر الملاك عن حبليها العجيب في شيخوختها. فان صحّ قول جبرائيل لذكرها بيزيد يقينها بان قوله لها يصح ايضاً. فضلاً عن ذلك فهي ترغب في مهمّة البصابات والاشتراك معها في افراحها الجديدة بسبب حظها الممتاز. ثم انها تفتنم هذه الفرصة الحسنة للاستفادة من نسبتها بعد ان تكشف لها سرّها العميق

ولما انتهى سفر نحو خمسة ايام من الناصرة الى ”مدينة يهوذا“^(٢) وجدت مريم البصابات في الشهر السادس من حبليها العجيب. وقد اشتهر امرها الآن بين قومها فزال عنها عار العقم. وبسبب المعجزة السارة التي حصلت لها صار لها اكرام جديد كأحد القديسين المختارين من الله وابتهاج جديد ناجم عن آمالها الجديدة. لما ألقت عليها هذه الصبية القادمة من الناصرة سلامها وعانقتها وهنّأتها لما نالت من الالتفات الالهي تحرّك في البصابات الطفل الذي لم يولد بعد. فاتخذت ذلك دليلاً على ان هذه الزيارة الغير المتظرة هي من سوف تكون والدة المسيح المنتظر. لان الروح القدس حلّ عليها بقوة وانار عقلها واطلق لسانها ”فصرخت بصوت عظيم“. وفي هذا الصوت كرّرت حرفياً تهنئة الملاك السابقة لمريم في بينها في الناصرة. وازافت القول ”ومباركة ثمرة بطنك“ ثم طوّبت مريم على الايمان الذي اظهرته عندما بشرها الملاك^(٣) نرى في تهنئة البصابات لمريم نواضعاً جميلاً والهاماً روحياً سامياً لانها

(١) نهم ان القول في تلك الايام يعني نحو الوقت الذي فيه زارها وبشرها الملاك جبرائيل (٢) المسافة تزيد عن مئة ميل (٣) هل كان في قولها هذا اشارة لطيفة الى تفوّق مريم في الايمان على زكريا الذي كان قصاصه على عدم الايمان ضربة ثقيلة عليها كما عليه او أكثر

قالت "من ابن لي ان تأتي ام ربي الي" ؟ فقد انعكست آية الاحترام .
 اليصابات في مقامها كامرأة كاهن جليل وفي سن الشيوخوخة وفي منزلة الاكرام
 الالهى الفائت الذي حصل لها في المعجزات المتعلقة بمجملها تقدم الآن احتراماً
 كلياً لفتاة فقيرة لم يعرف لها احد بعد امتيازاً الأ في حسن الصفات . ومن
 قولها "ام ربي" عرفنا ان هذا الاحترام لم يكن لاستحقاق في مريم بل اكراماً
 للذي سوف تلك واعترافاً بمقامه الالهى . وهذا قول كبير جداً من فم امرأة
 يهودية فهيمة نقية نظير اليصابات . لا يمكن ان نقوله الا ويكون الروح
 القدس الحال فيها قد اهتمها به ولا يمكن ان يهودياً نظير لوقا البشير يلفقه
 عن لسانها ما لم تكن قد قالت

وبعد ان اكملت اليصابات تسبحتها حل الروح القدس على مريم ايضاً
 فترنمت بنشيد ارتجالي يعد بين اشعار الانجيل القليلة اجملها واسماها اذ تضاهي
 هن التسبحة افخر مزامير جدّها داود الشهيرة . ومنها يستدل ما كانت مجملّة
 به من الذكاء العقلي والشعور الروحي . في هذا النشيد تذكرنا بسميتها مريم
 اخت موسى التي ترنمت بنشيدة سامية بعد عبور الاسرائيليين البحر الاحمر^(١) .
 وبالنبية دبورة في ايام القضاة التي رنمت ترنمة شائعة بعد انتصار الاسرائيليين
 على الكنعانيين^(٢) . لكنها اشبهت بنوع خصوصي سمية امها حنة النبية في ترنمتها
 لما ولدت صموئيل بعد عقم طويل^(٣) . لهجة مريم في هن الترنمة بعيدة عن
 التعظم . فهي تشعر الآن بصغرها اكثر من قبل وتبين ان ليس هي بل الرب
 هو الذي قد تعظم بهذا العمل . تعترف في فاتحة ترنمتها بأنها كغيرها تحتاج
 الى مخلص . وانها قد لجأت الى الله لاجل خلاصها الشخصي . فلا ينتظر منها
 ان تخلص الآخرين

يذكرنا قولها "تعظم نفسي الرب" بمجدّها داود لما رنم "باركي يا نفسي
 الرب وكل ما في باطني ليبارك اسم القدوس"^(٤) . شعرت كما شعر داود

(١) خر ١٥: ٢١ - ٢١: ٢١ (٢) قض ١٥: ٢١ - ٢١: ٢١ (٣) اصم ١٠: ١ - ١٠: ١٠ (٤) مز ١٠٣: ١

بعدم استحقاقها لهذا الانعام الالهي . وحسبت عمل الرب معها أعجب مما لو كان مع شخص ذي مقام . تذكرت المواعيد الالهية لجدّها ابراهيم ولنسله الى الابد فحققت قول الملاك لها ان مولودها يملك الى الابد ولا يكون لملكه نهاية . علمت ان جميع الاجيال سوف تطوبها لاجل ما فيها بل لاجل العجائب التي صنعها بها القدير . وقد تمت نبوتها هنا انما فاق كثيراً اعظم تصوراتها ليس المرمي في الانتباه الى الاحوال الخارجية في حياة العذراء المباركة حرمانها شيئاً من منزلتها السامية . بل تمجيد المولى الذي اختارها مع وضاعة منزلتها ورفعها الى اوج العظمة بانعامه الالهي . وهي اول من شعر واعترف بهذا الانعام . فقالت "ان الرب نظر الى انضاع امته لان القدير صنع في عظامي" . وعرفت ما صرح به بعدها احد الرسل العظام لما كتب "لنا هذا الكثير في اوان خرفية ليكون فضل القوة لله لا منا" (١)

لم يكن بلا داع كاف ان هذه الحادثة هي الخبر الوحيد الذي دلّ على عظمتها . لانها لم تصنع معجزة كالرسل والانبياء وغيرهم من القديسين . ولم يذكر لها كلام ذو شأن بعد هذا الحادث . ولا تقدّم لها اكرام خصوصي . وبعد قيامة ابنها سكبت الوحي عنها تماماً الا في ذكر بسيط ساواها بغيرها انها كانت من ١٢٠ تلميذاً اجتمعوا لاجل الصلاة في عليّة صهيون (٢) فالتطوح في المبالغة الذي جرى من كثيرين في تعظيم هذه العذراء المباركة بولّد اليقين بان الروح الالهي الذي اوحى بالانجيل نعمة السكوت عن تعظيمها بعد ولادة المسيح منها لئلا يسند ما هو وهي في هذا التعظيم الى الكتاب المقدس يجب ان نستسلم لتأثير مثال انكار الذات في هذه التفة حتى في ساعة اعظم ارتفاعها . اذ كان كل افتكارها في الرب وابتهاجها بما صنع واسمها قدوس . روح كلامها الآن هو روح خاتمة الصلاة التي علمها اياها ابنها فيما بعد بهذا اللفظ "لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد" . وأشارت ايضاً الى المبدأ

الانجيلي المعلن ان الله لا يجاي بالوجوه بل كثيراً ما يعكس افكار البشر في معاملاته. "ينزل الاعزاء عن الكراسي ويرفع المتضعين" يغني الفقراء ويفقر الاغنياء. يرفض المعدودين انهم يستحقون التفاتة الخصوصي ويقبل الذين يحسبون غير مستحقين. "هو اله يحفظ العهد والرحمة الى جيل الاجيال للذين يتقونه" فيحق للكنيسة المسيحية ان تفخر بتسبحة مريم هذه وتحسبها آنفس التريعات الانجيلية

ولا عجب اذا تمسكت اليصابات بمريم وهذه بتلك حتى مضى على هذه الزيارة ثلاثة اشهر. واخيراً حان زمان اليصابات لتلد. فودعت مريم هذين الشقيين المحبين للتقيين ورجعت الى بيتها في الناصرة مستفيدة منتظرة يومها السعيد. الى ان اتى يوم فرح عظيم شامل في مدينة يهوذا حدث في بيت الكاهن زكريا. لان الرب عظم رحمته لامرأته اليصابات. فولدت في الميعاد الفانوني غلاماً. فلأنه غلام وولادته من باب المعجزات عظم العرور ولا سيما بين "جيرانها واقربائها"

وبعد ان مضى على ولادة هذا الصبي سبعة ايام باشر الاهل مع رجال الدين مهمة خثائه وتسميته في اليوم الثامن حسب الشريعة الموسوية ويظهر انهم من الجهة الواحدة اهلوا الاب في اختيار الاسم حاسبية كبيت نظراً لشيخوخته وطرشه وخرسه. ومن الجهة الاخرى اكرموا اذ قصدوا ان يحيوا ذكره بعد موته باعطاء اسمه لابنه الوحيد الجديد. ثم اهلوا الأم ايضاً لانها امرأة ونافس. فقرروا بدون استشارة الوالدين اسم زكريا. فلما علمت الأم بمقصدهم اعترضت قائلة "لا بل يسمي يوحنا".^(١) واذ لم يقنعوها بقولهم ان هذا الاسم لم يستعمل في أسرهم مطلقاً. سألوا الاب بالايحاء. فطلب لوحاً وكتب عليه "اسم يوحنا"^(٢) لانه هو ايضاً مهتم اكثر من امرأته بحفظ وصية

(١) اي الرب حنان (٢) كانت وسائل الكتابة خفيفة في تلك الايام اذ كانوا يستعملون قطعة خشب يكتبون عليها بطباشير او يطلونها بشمع ويكتبون عليها او على

الملاك التي لا علم للحاضرين بأنه قد أعلن هذا الاسم فتعجبوا من الاتفاق بين القولين

حالما أطاع زكريا امر الرب في تسمية الصبي ثم وعد الملك له بأنه يحل من قصاصه . فانفتحت اذناه وانطلق لسانه "وبارك الله" . اعتقل فمه بكلام الشك وانطلق بكلام التسبيح . اوقعت هذه المعجزة الجديدة التابعة لما سبقها خوفاً في قلوب المشاهدين لان المعجزات لم تحدث قبلاً في زمانهم ولا في زمان آبائهم ولا اجدادهم . فانتشر خبر هذه الامور بسرعة في كل نواحي اليهودية . وصارت موضوع حديث القوم في كل مكان وبات الناس يفكرون في ماذا يكون مستقبل هذا الصبي لعله هو المسيح المنتظر

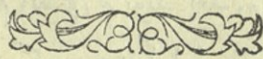
ثم ان الروح القدس الذي حل على مريم في الحبل العجيب وانطقها في تسبحتها المبجلة كما على اليصابات في تسبحتها ايضاً حل الآن بقوة على زكريا حتى قيل انه "امتلاً من الروح القدس" . فتنبأ بتزنية شائعة يلاحظ فيها خصوصاً ان الروح الذي حل عليه انطقه لا تبجيل ابنه الذي هو موضوع ابتهاجه الطبيعي بل باجماد ابن مريم الذي لم يولد بعد . ومع انه رأى ولادة ابنه الخارقة للطبيعة وسمع من الملك انه يكون عظيماً امام الله والناس علم بالوحي الالهي ان عظمة ابنه ناتجة عن كونه مقدّمة ومبشراً لابن مريم الذي سيكون اعظم كثيراً من ابنه . فبارك الله الذي أقام هذا الاعظم فادياً ومخلصاً في بيت داود اتماماً لمواعيد القديمة للآباء

نعم ان زكريا كسائر اليهود كان مشحّصاً المسيح في افكاره كمنقذ شعبه اسرائيل من نير اعدائهم الأميين "لكي يعبدوه بلا خوف بقداسة وبر جميع ايام حياتهم" . لكنه اشار في خاتمة قصيدته الى خلاص اعظم وهو مغفرة الخطايا والى نور يضيء على جميع الجالسين في الظلمة وليس فقط على شعبه اليهودي فيهدى الاقدام في طريق السلام . اما الصبي يوحنا فمن ذلك الوقت وصاعداً

لوح من رصاص بقلم من حديد يحفر الحروف

”كانت يد الرب معه وكان ينمو ويتقوى بالروح وكان في البراري الى
يوم ظهوره لاسرائيل“

ترينا حوادث هذا الفصل اهمية المرأة في الدين . فانها كما اشغلت في
فاتحة التاريخ البشري دوراً مهماً في شخص امنا حواء اشغلت أهم منه في فاتحة
التاريخ المسيحي في شخص الیصابات و مريم اللتين امتلأتا من الروح القدس
وتنبأتا بأسي المعاني وابلغ العبارات . وكانتا الواسطة لظهور يوحنا وهو اعظم
الانبياء و يسوع وهو المسيح الموعود به ومخلص العالم



يه
مر

ك

و

ان

من

ايا

قب

ال

بر

قا

الفصل الرابع

(لو ٢: ١-٢٨)

(الموضع) ف٤ (الزمان) ك١ سنة ٥ قم (المكان) بيت لحم

وصف اورشليم والهيكل . ولادة يسوع . ظهور الملائكة للرعاة . حوادث سهول بيت لحم . زيارة الرعاة . تقدس درجة الطفولية . خنان يسوع . تقديمه في الهيكل وتطهير مريم . مباركة سمعان الطفل . احننا - النبية - حنة به . ادلة عظيمة شخصية

نشكر للبشير لوقا الطبيب الحبيب اهتمامه بتفصيل طفولية يسوع . فانه كتب بعد متى ومرقس واهتم بما كانا قد اهملاه . كتب بزيادة روح الوحي وصيانيه لكي يحصل العالم على هذه الاخبار الجميلة . ونستنتج من تدقيقه فيها انه كاشف مريم ام يسوع ومنها وقف على الحوادث الواردة في القسم الاول من بشارته لانه لا يمكن ان تُعرف الا من فيها اولاً

يقول ان مريم كانت في بيت يوسف كأمراة مدة اشهر الحمل وان ايامها قربت لتلد وهما في وطنهما الناصرة . لكن نبوة ناطقة كتبها ميخا النبي قبل هذا الوقت بنحو سبعماية سنة نقضي ان يولد المسيح في بيت لحم بعيداً عن الناصرة^(١) . وليس من دلييل على ان يوسف ومريم انتبها الى هذه النبوة . لا بل يرجح ان ليس لها اقل فكر ان يهرجا الناصرة في هذا الوقت

لكن السماء والارض تزولان ونقطة واحدة من قول الله لا تزول^(٢) . قال النبي "فتشوا في سفر الرب واقروا واحدة من هذه لا تفقد * * لان في

هو قد أمر وروحه هو جمعها" (١). وقال ايضاً "كما ينزل المطر والتلج من السماء ولا يرجعان الى هناك *** هكنا تكون كلمتي التي تخرج من في . لا ترجع الي فارغة . بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما ارسلته اليه" (٢).
فأي عامل يكفي ليسوق هذين الشخصين من الناصرة الى بيت لحم حاملين مشقة سفر اربعة او خمسة ايام في اول فصل الشتاء ومريم على وشك الولادة ؟ ان الله يستخدم لاتمام مشيئته ليس الملائكة فقط بل الملوك ايضاً. ألم يقل الحكيم "قلب الملك في يد الرب كجداول مياه حينما شاء يميله" (٣). فسخر الله آنذاك اعظم ملوك الارض لاتمام النبوة المتعلقة بهذا الامر الجزئي أي محل ولادة المسيح

هذا اوغسطس قيصر امبراطور الرومان الذي كانت سيادته تمتد على أهم اقسام المعمور من بريطانيا شمالاً الى الحبشة جنوباً ومن سبانيا غرباً الى العجم شرقاً. وكان تاريخ تأسيس مملكته قاعدة تاريخ العالم المتمدن القديم امر هذا الامبراطور باحصاء عمومي لرعاياه . ومراعاة لمطالب الشعب اليهودي استثنائه وسمح بان يؤخذ الاحصاء عندهم في الوطن الاصلي لكل سبط وعائلة حفظاً للأنساب التي كانت المحافظة عليها واجباً دينياً مقدساً . اما في البلدان الاخرى فأحصوا النفوس في اوطانهم الحالية بقطع النظر عن الاصلية. وبما ان يوسف ومريم متمسكان شديداً باصلهما اللاودي . لذلك اضطررا ان يذهبا للاحصاء الجديد في بيت لحم مدينة اجدادها ومحل وجود القبول اللاودية لقبداً اسميهما بين افراد النسل اللاودي

نرافقهما فكراً في سفرهما الميمون جنوباً في الارض المقدسة بين القرى والمدن الشهيرة في تاريخ شعبيهما . ولما قربا في آخر يوم من اورشليم محط فخرهم العظيم . لا بد من انها عرجا اليها وزارا الهيكل الموقر لتأدية الفروض الدينية فيه . كانت هذه المدينة تعطي في عزها مساحة نحو الف وخمسمئة ديم وكان ايضاً

تحت الارض مساكن واسعة جداً^(١). صوّر المؤرخون اسواقها غاصة بكل انواع الامتعة المستجلبية من أنحاء العالم اجمع. فكانت كل الازياء ممثلة في هذه البقعة الصغيرة ويسمع في شوارعها اكثر لغات العالم. وتُرى الاصطلاحات المختلفة لأكثر شعوب المسكونة في ذلك الزمان. ويذكر الكتبة ان اصناف الواردات الى هذه المدينة حوت مئة وثمانية عشر صنفاً. منها الحرير الذي لندوره وافتخار الناس به كان يباع بثقله من الذهب. وكان رطل الصوف المصبوغ باحسن صباغ ارجواني يباع بما يساوي مئتي ليرة

واما الهيكل فكانت فخامته لا توصف. وحجارته البيضاء الضخمة كانت موضوع اعجاب كل من نظرها. يقول يوسفوس ان طول بعضها كان ١٩ ذراعاً وعرضها ٦ اذرع. وعلو اكبر ابواب التسعة ٢٧ ذراعاً يتدلى من عنقبه دالية من ذهب طول كل عنقود فيها اكثر من ذراعين. وقبة الرخامية المغشاة بصفائح من ذهب كانت تلالاً في نور الشمس بلمعان باهر واروقته الفسجية كانت قائمة على ١٦٢ عموداً علو كل منها ١٢ ذراعاً ومحيطه ٦ اذرع

استأنف هذان الكريمان سفرهما من اورشليم جنوباً ومرّاً في طريقهما بالفصر المحصن على جبل الفريديس لهيرودس الكبير ملك البلاد. وهما لا يدريان شيئاً مما سينوي به هذا الملك او يجريه بشأن الطفل المنتظر. ومرّاً ايضاً بضرّيح جدتهما الشهيرة راحيل امرأة يعقوب. وانتهيا الى المرتفع الذي تكلله المدينة الصغيرة مقصدهم التي نالت شهرتها الاولى قبل المسيح لكونها وطن داود اعظم رجال التاريخ الاسرائيلي بعد موسى الكليم. ثم شهرتها الثانية المضاعفة بسبب ولادة يسوع المسيح فيها^(٢)

(١) لما اخذ الرومان المدينة بعد حصارهم الطويل وجدوا في هذه السرايب والقصور (السفلية) التي جنة من القتلى ما عدا الوقوف من السكان اللاجئين اليها من سيف الفاتحين (٢) تبعد بيت لحم عن اورشليم نحو ستة اميال اي اقل من ساعين مشياً

في مدة الالف سنة منذ العهد الداودي كان قد تفرّع وتفرّق في انحاء العالم عدد غفير من سلالة داود الملكية . فبعود الكثيرين منهم في وقت واحد لاجل الاحصاء حصل ازدحام كلي في هذه البلدة الصغيرة . لذلك لم يجد يوسف ومريم محلاً لها في الفندق العمومي . ولا قبلها أحد في بيته . لان فقرها الظاهر حال دون ذلك . وزد على ذلك ان اهل اليهودية كانوا يزددون بالجليليين الذين كان يوسف ومريم منهم ^(١) . فبما للعجب انه في وطنها الاصلي لم يجدوا أقل ترحاب بل باتوا في اصطبل الفندق وبينما هما مقيمان في هذا المقر الحقير تمت ايام مريم لتلد . فولدت ابنها البكر وقطنته يديها بالقليل المتيسر لديها . واضجعت في المذود لعدم وجود سرير تضعه فيه . فاي فقر وذل اعظم من هذا ؟ لا بد من الملاحظة بان هذه الاحوال الوضيعة المخالفة للعظمة التي ينسبها البشرون الى يسوع تبرهن صدق مقالهم . لانه لا يحتمل انهم يلققون الضدين لهذا المقدار . الاصل الحقير البشري لا يوافق المقام السامي الذي يعطى ليسوع في الانجيل حتى يجوز ان يكون الخبر مصنّعاً

فهل يمكن ان يخلق كتبة يهود مسيحاً اصله الظاهر حقير كهذا الاصل ومع ذلك ينسبون اليه اصلاً الهياً ايضاً ؟ او ان يصوّروا لجماعتهم اليهود مسيحاً محضاً للايمان به هو بعيد هذه الدرجة عن دوائهم الدينية الرسمية وعن تصوّراتهم الراضخة وتعاليدهم المعدودة عندهم مقدسة ؟ لكنه يوافق القصد الالهي في الناس لاجل اثبات الحب العجيب الذي تنازل الى هذه الدرجة بقصد تخليص الخطاة

(١) كان كثير من الامم ساكنين في الجليل مع انها بلاد اليهود . فكان اليهود يعدّون الامم نجسين ونجسون الذين يجالطونهم . ولفظ الجليليين لغتهم العبرانية مبرّهم عن يهود اليهودية فاحقرهم هؤلاء ولا سيما رؤساء الدين منهم وسبوا بلادهم جليل الامم (اش ١: ٩)

لم يبال بولادة هذا الطفل سوى مريم ويوسف . بينما كان المنشور
القيصري الذي ساق هذا الجمهور الى بيت لحم تأثير عظيم في كل المعمور .
واهتم له وتحدث به جميع الناس من كبيرهم الى صغيرهم . اما اليوم فبالعكس .
لان العالم كان قد نسي منشور القيصر تماماً لولا اقترانه بولادة هذا الطفل
وصار سؤال عموم البشر لا عن ذلك المنشور بل عن هذا المولود ومترلة
الوضع . وصار نقاطر جميع المتمدنين ليس الى قصر اوغسطس بل الى مذود
يسوع الذي فاق شهرة ومقاماً أفخر معابد الاغنياء^(١)

فلنتفرد في هذا المذود ونسأل هل ذلك الطفل الضعيف الفقير هو
ذات الشخص الذي نراه الآن بعد ألفي سنة موضوع عبادة اعظم ملوك
الارض واغنى سكانها واشهر علمائها . فانهم يفتخرون بان يسجدوا امام صليبه
وان ينفسوا اليه وان يخضعوا لتعاليمه . والحق يقال اننا نرى فيه وهو ابن
يوم واحد موضوعاً لمزيد الاحترام المحي . لانه آدم الثاني داخلاً الى العالم

(١) يذكر المؤرخ يوستينيوس مارتيروس الذي كتب نحو مئة سنة بعد المسيح ان
يسوع وُلد في كهف والحل المخصص الآن لذكر ولادته هو كهف . والقديس الشهير العالم
ايرونيموس قضى ٣٠ سنة الى وفاته في الدرس والصلاة والصوم في مغارة بيت لحم وفيها
ترجم الكتاب المقدس من العبرانية واليونانية الى اللاتينية وترجمته هذه تسمى التوراة
الفاتيكانية التي تمول عليها الكنائس البابوية . وقد بني على هذا الكهف كنيسة فاخرة
وتزينت هذه المغارة الصغيرة بتحف ملكية . وفي وسط ارضها الرخامية منزل نجم من
الفضة تذكر ان نجم المجوس . وحول النجم يقرأ الزائر باللغة اللاتينية هذه الجملة " هنا وُلد
يسوع المسيح من العذراء مريم " وستة عشر سراجاً لا ينطفئ ضوءها نهائياً ولا ليلاً وفي
ليلة عيد الميلاد المبارك تجري في هذه المغارة احتفالات دينية باهرة يقيمها اعظم رؤساء
المذاهب المسيحية التقليدية (تمسك رؤسائها بتقاليد كنسية اضافية خارجة عن الكتب
المقدسة) ولا بد للزائر المفكر من مقابلة هذه المظاهرات الفخرية مع صورة الولادة الخفية
فيأسف لان هيئة الحل لم تترك على اصلها الطبيعي البسيط ليري عياناً مثال الانضاع العجيب
الذي ابتدأ في مذود بيت لحم . فيطلق الذنان لتصوراته وتأثيراته الروحية بدلاً من التهاء
الحواس واشتغال الافكار بظواهر كهذه

كآدم الاول دون اب بشري ودون خطية او شبه خطية لكي يصلح ما
افسده آدم الاول بسقوطه ويمجد نسلًا روحياً بعيد الفردوس اخيراً الى
عالمنا هذا الحزين^(١)

وان حولنا الآن نظرنا الى السماء نرى فيها اعظم حركة أعلن لنا
حدوثها . قد سبق بيان اهتمام اهل السماء بمجداث الارض وتكرّر محي كبير
الملائكة ليشر بقرب هذه الولادة العجيبة . لكن هذه هي المرة الوحيدة التي فيها
أرسل الى العالم جمهور من الملائكة وسمع على الارض ترنيم الحان السماء
فمن هم الذين نالوا هذا الحظ الفريد وبهرت ابصارهم رؤيّة هذا الجمهور
وشنّت اسماعهم هذه الترنيمة الوحيدة السماوية التي بلغت آذان البشر ؟ ليسوا
أكابر القوم ولا علماءهم ولا رؤساء الدين المتزل . لم يحظ بذلك هيرودس
الملك في قصره المجاور . ولا رئيس الكهنة في الهيكل القريب الباهر . بل
قد حصل هذا الشرف وهذا السرور لاشخاص تناسب احوالهم الخارجية احوال
هذا المولود لكي تتم هيئة الاتضاع التي تمثل تنازل الاله لاجل خلاص الانسان
لما تأسست الارض ووضع حجر زاويتها "ترنمت كواكب الصبح معاً
وهتف جميع بني الله"^(٢) . لكن هذا الهتاف والترنيم لم يطرقا آذاناً بشرية . انما
لما تأسس النداء ووضع حجر زاوية الخلاص للبشر الخطاة بتأسس الابن الازلي
سُمع فوق سهول بيت لحم هتاف ملائكة الله في آذان "رعاة متبدين
يحرسون حراسات الليل على رعيتهم"

في هذه السهول التقطت قديماً راعوث المואبية كنة نعي وراء حصّادي

(١) ان في اوربا صورة كبيرة شهيرة لاحد الماهرين في فن التصوير الملون . بشخص
فيها الطفل يسوع في المذود ومريم ويوسف واقفين يتفرسان فيه باعجاب . والنور يتدفق
من وجه الطفل وينير وجهي ابويه وكل الاصطبل الذي هم فيه . قصد المصور ان يبين
ان المقام والاكرام اللذين احرزها فيما بعد يوسف ومريم ليسا الا مستمدّين من المقام
والاكرام الاصليين الكائنين منذ الازل لهذا الطفل العجيب الذي وُلد من مريم . كما ان
نور القمر مستمد من اشعة الشمس الواقعة عليه

بوعز كبير رجال بيت لحم الذي لما رأى محاسنها اختارها زوجة له. فصارت
جدة لداود الملك ثم للمسيح. وفي هذه الحفول كان داود الملك في حديثه
برعى اغنام ابيه يسى. وهنا قتل الاسد والدب معاً^(١). فالبشارة الاولى بولادة
ابن داود أعطيت لأناس يمارسون حرفة داود ابيه

وبينما كان هؤلاء الرعاة ساهرين على اغنامهم وقف بهم ملاك الرب
واضاء حولهم مجد الرب^(٢). فيبقى لهم أكثر من مريم وزكريا ان يخافوا خوفاً
عظيماً. لكن الملاك قال لهم كما قال للمذكورين "لا تخافوا" ثم قال "ها انا
ابشركم بفرح عظيم". بشر جبرائيل زكريا ثم مريم بامر مفرح جداً سيكون
قريباً. لكن هذه البشارة التي لان موضوعها امر واقع لا امر سيكون. اخبرهم
ان هذا الفرح يشمل جميع شعب الله. بهذا يعرف من هم شعب الله. هم الذين
يفرحون بهذه الولادة. هذا المبشر السماوي يعلم جيداً ان هيرودس ملك
اليهود وروساءهم ان في الدين وان في السياسة حتى وعموم الشعب اليهودي
لا يفرحون بها. فكم بالحري لو دروا في هذا الوقت بمعناها ونتائجها

اعتنى الملاك بتكرار الكلمة الجوهرية التي اعلنها لزكريا حتى انه سمي هذا
الطفل "قرن خلاص في بيت داود فتاه"^(٣). والتي قالها لمريم ثم ليوسف لما
سماه "مخلصاً" وقال الآن للرعاة "ولد لكم اليوم مخلص" وافهم الرعاة ان
هذا المخلص هو من مدينة داود فهو اذاً من نسله. وانه المسيح. اذاً هو الموعود
به من قديم. وانه الرب اذاً وليس مجرد بشر. ثم اعطاهم علامة دون سؤال
منهم وهي الهيئة التي يرونها عندما يجدون هذا المخلص

وحالما اكمل الملاك هذا الموضوع الخطير ظهر بغتة "جمهور من الجند
السماوي" لا اعلان آخر بل لتثبيت الاعلان الاول. ظهوراً "مسيحين الله"
تسبح الله عملهم الخصوصي في السماء. ولما جاءوا الى الارض كان هذا ايضا عملهم.

(١) اصم ١٧: ٢٤ (٢) لعله ذات الملاك جبرائيل آتياً قائداً للجمهور الذي

ظهر بغتة معه. لان الله الترتيب والتزيين يستلزم القوادة (٣) لو ١: ٦٩

جوهم متجهة نحوه تعالى أينما كانوا وكلامهم له وابتهاجهم به . أفلا يجب ان
تقدي نحن بهم ؟ وقد نلنا الحظ العظيم ان كلام تسبختهم حفظ حرفياً وقد
اصبح من اشهر الالفاظ كما انه من اسى المعاني . قالوا . "المجد لله في الاعالي
وعلى الارض السلام وبالناس المسرة" . وهذه العبارة الوجيزة تتفق مع قول
الرسول ان "ملكوت الله هو برّ وسلام وفرح" (١) . لان مجد الله برّ اي
قداسة . وثمر البرّ السلام والسرور

ليس للملائكة ان يكتسوا مع البشر مما اشتى البشر رفقتهم . فرجعوا
الى السماء وكان تأثير زيارتهم ان الرعاة اسرعوا الى البلد حسب اشارة الملاك
ليتمعوا اعينهم بهذا المنظر الجامع بين المجد والذل . فصاروا شهوداً للزيارة
الملائكية ثم الاعلان المثبت حقيقة هذا الطفل الغير الظاهرة في شيء من احواله
الخارجية . فلو ولد هذا الطفل في قصر ملكي يناسب مقامه الحقيقي ولو قليلاً
لما كان يسمح لهؤلاء الرعاة في البستهم الدنيئة وهيئتهم البربرية ان يدخلوا
لينظروا . ولكن من يردعهم عن زيارة الاصطبل ؟ جاءوا مسرعين فرأوا ما
اخبرهم به الملاك تماماً واتحنوا مريم ويوسف وغيرها ممن صادفوه بخبر ما
حدث لهم في ذلك الليل في البرية . وكل الذين سمعوا تعجبوا ما قيل لهم من
الرعاة . اما هذه الوالدة السعيدة فكان لها هذا الخبر في المنزل الاول من الاهمية
لا ثبات صحة بشارة الملاك لها بخصوص مولودها

ثم رجع الرعاة الى قطعانهم وهم يمجدون الله ويسبحونه كما فعل الملائكة في
مسامعهم . فكان اوّل من بشر بمجيء راعي اسرائيل وراعي الكنيسة العظيم رعاة
أعادوا الى هذه المهنة الشريفة شيئاً من كرامتها المفقودة

في زمن يسوع كان الرعاة عند اليهود من ادنياء القوم وعدوا خارجين
عن الدين نظير اللصوص والعشارين مع ان هذه المهنة في التاريخ المقدس
مشرفت فوق سائر المهن . فهايل ويعقوب وموسى وداود وعاموس النبي

كانوا جميعاً رعاة . لكننا نفضل ان نتصور هؤلاء الرعاة من الاتقياء رغماً عن فقرهم واضطرارهم ان يهتموا كثيراً من فروض الدين العديدة والثقيلة . لابل يجوز الظن ايضاً بان الاغنام التي كانوا يرعونها هي المخصصة لخدمة الهيكل المعدة للتقديم على المذبح المقدس . لان العدد اللازم للذبائح اليومية لم يكن قليلاً . واما اللازم في الاعياد الكبيرة فكان يُعدُّ بعشرات الالوف او مئاتها . فان صحَّ هذا الظن نرى علاقة لطيفة بين هذه الاغنام المعدة للمذبح في الهيكل وهذا الطفل الذي سمَّاه المعبدان "حمل الله" ^(١) وسمَّاه يوحنا الرسول "الخروف المذبوح" ^(٢)

في هذا المذود الخفير بذاته تجلَّت درجة الطفولية بشرف سام وموَّبد . لانه بتأثير هذا المذود صار العالم المتمدن يهتم اهتماماً جديداً باطفاله . لان الطفل يسوع قدس فيه كل سرير وكرس الطفولية تكريساً ثابتاً . وهذا امر يذكره الوالدون المفكرون في معاملة اطفالهم . فلا يقتصر اهتمامهم على العاطف الطبيعي العام الذي يشمل حتى الحيوانات البكم . ولا يقف الاتقياء عند الاهتمام باطفالهم فقط بل يشملون بالحب والخدمة اطفال الآخرين ايضاً في اليوم الثامن بعد ولادة هذا الطفل أُجري له فرض الختان الذي سنَّه الله في دور ابراهيم علامة لافراز شعبه عن الامم الوثنيين حولهم . وكان ذلك الافراز لوقاية شعبه من عادات هؤلاء القوم السيئة وازاليلهم الفاسدة وامياهم الشريرة . وضعه الله في قالب دموي دلالة على اهمية سفك الدم لاجل المغفرة والخلاص ^(٣) وهذا معنى الخيط القرمزي الذي كان علامة لخلاص راحاب واهل بيتها في مدينة اريحا ^(٤) . ففي شخص يسوع اتصل الخيط الاحمر الدموي من السرير في بيت لحم الى الصليب في جبلته ورُشَّ من دم الصليب على السرير . هكذا يجهر الجوّ الشرقي محل شروق الشمس بتأثير احمرار غروبها

(١) يوا ٢٩:١ (٢) رؤ ١٢:٥ (٣) عب ٧:٢٦ و ٢٢ (٤) بش ١٨:٢

هذه المرة الاولى من مرّات عديدة فيها أخضع وخضع مؤسس العهد الجديد لفرائض العهد القديم . وهذا لكي يوصل في شخصه العهدين كما يوصل في شخصه ايضاً طبيعتي الخالق والمخلوق . وُلد " تحت الناموس " (١) لكي يطيع الناموس الالهي لان طاعته قسم رئيسي من عمله الخلاصي . وتم فريضة الختان الخارجية ليحرر شعبه منها ويعلمهم ان ليس الختان في الجسد هو الذي يطلبه الله الآن . بل الختان في الروح (٢) . وقضي عليه كخلص ان يكون تحت الآلام مثلنا . فابتدأ يشعر بهذه الآلام من أوّل اسبوع في حياته الارضية وفي ساعة خنائه اخذ الطفل رسمياً ذلك الاسم الشريف الذي أعطيه بأمر من السماء . وبذلك ظهر ان وظيفته المخلصية ليست امراً مبتكراً عنده او عند أتباعه ولا ملحقاً نتج عن تصورات هؤلاء بل إنها امر مقرر بالقضاء الالهي منذ البدء

مضى على هذه العائلة الصغيرة المباركة في غربتها في بيت لحم خمسة اسابيع بعد الاسبوع الأوّل فوصلوا الى ميعاد تأدية فرض آخر من الفروض المهمة ليس للولد فقط بل للوالدة ايضاً . فرض الناموس القديم على المرأة ان تبقى تحت حكم النجاسة الطقسية اربعين يوماً بعد ان تلد ذكراً ولا يجوز لها في غضون هذا ان تدخل المعبد . وعند نهاية هذه المدة القانونية تأتي الى الكاهن بخروف حولي فيكفر عنها فتطهر . وان لم تنل يد لها كفاية لشاة تأخذ يامتين او فرخي حمام (٣)

وفرض ايضاً الناموس ما يخص بالولد على هذه الصورة " تقدّم للرب كل بكر من الحيوانات الطاهرة . الذكور للرب . وكل بكر انسان من اولادك تفديهِ (٤) بخمسة شواقل على شافل القدس وهو عشرون جيرة " .

(١) غل ٤: ٤ (٢) روم ٢: ٢٩ (٣) لا ٢: ٢٢-٨ يلاحظ ان مريم لم تستثن من هذا القانون بل قضت مدة النجاسة وأدت فروض ذلك كسائر الوالدات اليهوديات

(٤) خر ١٣: ١٢ و ١٣ و ٢٠: ٣٤

كان الاصل ان كل بكر ذكر يكرّس لخدمة الرب في الكهنوت. انما استبدل بأمر الرب ابكار ذكور كل الاسباط بجميع ذكور سبط لاوي . فيقدم عن الاولين الفداء المار ذكره

بناءً على هذين الرسمين الضروريين صعد يوسف ومريم ليقدّما الولد في الهيكل ويجرياً ما يُطلب من مريم لاجل تطهيرها حسب شريعة موسى . وبعد دفع الخمسة شواقل^(١) فداء الصبي لم يبقَ لديها ثمن الخروف المحولي ليقدّمه ذبيحة . فاضطراً ان يستعينا بمادة الرحمة ويستبدلوه بفرخي حمام . فاي برهان اوضح من هذا على فقرها المدقع ؟ ان تذكرنا من هو هذا الطفل وما هو مقدار ابتهاجها وافتخارها به نعرف انه لا يمكن ان ينجلا مطلقاً او يتمنعا عن تقديم الخروف المطلوب الا مرغين بفاقة كلمة . وهذه الزيارة للهيكل هي الاتمام الاول لتلك النبوة الواردة في خاتمة اسفار العهد القديم القائلة ” وياأتي بغتة الى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به “^(٢)

لم تنتهِ هذه الزيارة الاولى من ” رب الهيكل الى هيكل الرب “ دون حوادث فوق العادة تناسب وتؤيد ما سبقها من المعجزات . تعرّض ليوسف ومريم ” رجلٌ بارٌّ نقيٌّ كان الروح القدس عليه “ . وهو من الذين همهم الاعظم انتظار مجيئ المسيح الموعود به ” نغزية اسرائيل “ . هذا الرجل الشيخ واسمه سمعان كان قد أوحى اليه بالروح القدس انه يرى قبل موته مسيح الرب . ف شعر في ذلك النهار ان هذا الروح يجذبُه الى الهيكل . ثم يهديه الى هذا الطفل . فأخذ الصبي وحمله على ذراعيه كأنه يقدمه للرب وبارك الرب وقال ” الآن تُطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لان عيني قد أبصرتا خلاصك “ . ثم في خاتمة تسبيحه المختصرة فاق زكريا ومريم والبصابات ويوسف في ابصاح عمومية هذا الخلاص انه لجميع الشعوب وليس لليهود فقط

اذ قال "نور اعلان للامم" وليس فقط "مجد لشعب اسرائيل"
ولما اظهر "ابواه" التعجب من مضمون هذه التسبحة ومن معرفة هذا
الرجل مقام هذا الطفل ومستقبله باركها كما يبارك الكبير الصغير . ثم كشف
لأمه بكلام خصوصي سرًا عميقًا ومهما جدًا متعلقًا بشخص المسيح وعمله وهو كما
ان المخلص يقيم كثيرين فهو ايضا يُسقط كثيرين وانه سيكون موضوع اشد
المقاومة والاضطهاد . ويسبب كشف كثير من مكنونات القلوب وان لها
كأمر شركة كلمة في الأمه حتى كأن سيفًا يخترق قلبها

وبعد هذا الحادث تقدمت نبيه اسمها حنة بنت فنوئيل من سبط اشير^(١)
كانت طاعنة في السن وقد ترملت قبل هذا بنحو اربع وثمانين سنة^(٢) .
فاستعاضت عن زوجها بالتعبُد لله . ولما رأت الطفل مع "ابويه" وسمعت
كلام سمعان الشيخ وقفت تسبح الرب "وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء
في اورشليم"^(٣) وبهذا الحادث أصبحت حنة بكر المؤمنات يسوع بعد ولادته
وباكورة جيش النساء الفاضلات اللواتي في كل العصور عضدنَ خَدَمته
بخدمتهن ايامهم^(٤) . وبعد هذه الزيارة للهيكل في اورشليم عاد الثلاثة الى مدينة
اجدادهم بيت لحم . وبزوال الازدحام الوقي تيسر لهذه العائلة المباركة مقرًا
هناك غير الاصطبل

(١) احد الاسباط العشرة التي كانت قد تشتتت الى جهات مجهولة فضاخ شعبيها ولم
يبق منها بين شعب اسرائيل الا افراد (٢) بمحمل ان تشير هذه العبارة الى سنها
لا الى مدة ترملها (٣) ذكر سبطها يدل على انها من اسرة ذات مقام وقرتها
للعادة الدائمة في الهيكل نهارًا وليلاً يرجح انها لم تكن من الفقيرات (٤) يلاحظ انه قد
ذكر لذكرا ومرىم واليهصابات وسمعان وحنة كلام نبوي مبهم وورد كلام في وصفهم بوجوب
الاحرام بينما لم يذكر ليوسف شيء من ذلك مطلقًا . ومع ذلك فالتقليدات المسيحية تعطي
يوسف دون مستند مقامًا ممتازًا فوق اكثر الرسل والقديسين وهذا من امثلة الحيدان
عن النصوص الالهية وابدالها بالنصوص البشرية

الفصل الخامس

(مت ١:٢ - ٢٢:٢٢ لوقا ٢٩:٢ و ٤٠)

(المرصع) ف ٤ (الزمان) ربيع سنة ٤ ق م
(المكان) بيت لحم . مصر . الناصرة

اهتمام قوات الشر بولادة يسوع . قدوم المجوس من المشرق الى اورشليم وتأثير ذلك .
النجم الذي ظهر لم وما يتعلق به . زيارة المجوس الطفل في بيت لحم . رجوعهم على طريق
اورشليم . الهرب الى مصر وتشبيهاؤه . غيظ هيرودس وقتله اطفال بيت لحم . العود من
مصر والاستيطان في الناصرة . الغرائب التي حفت بطوليب . المخفون بولادته . ملء الزمان

ها قد جاء المسيح حسب المواعيد العديدة المليئة . فكيف يكون استقباله ؟
قد رأينا اهتمام جنود الصلاح السماوية والارضية بهذه الولادة العجيبة . لكن
الاشباح الملائكية المبهجة توارت عن الابصار بالنسبة الى الاشهر الماضية . وظهرت
الاشباح الجهنمية المزعجة . لان جنود الشر ايضا اهتمت هذه الولادة

في فجر التاريخ البشري لم يُطَقْ ابليس رئيسهم ان يرى ابونا الاولين
طاهرين سعيدين في جنة عدن . فاحمال عليها واستطعها مع نسلها جميعا تحت
عبودية الخطية . فهل يمكن ان يسكت الآن لولادة آدم الثاني الاعظم من الاول
بما لا يقاس . أوليس هذا عدوه المقتدر الذي قال عنه الرسول "لاجل هذا اظهر
ابن الله لكي ينقض اعمال ابليس . (١) حقا ان سكوت ابليس في هذا الوقت مستحيل .
فلا بد من هيجان جديد في دوائر الجحيم .

ولا يحتاج هذا الرئيس الى رسل من عالم الارواح لاجراء مشيئته في املاك

هذا الطفل الفريد. لان عطاء القوم في البلاد هم في قبضة يد يستخدمهم كما يشاء في اتمام مقاصد المملكة. ومن هو أقدر على الاعدام من الملوك؟ أوليس ملك البلاد هيرودس الكبير الشرير الظالم الدموي طائعا تماما لمشيئة ملك الشياطين؟ فما حاجة ابليس الى غير عبد هذا الملك الذي يتفخر ويكتفي به ليجري له مرامه الآن؟ وبما ان أجل هذا الملك الشرير اقترب فلذلك ابليس لا يتباطأ في استخدامه

وفي ذات يوم في اواخر اشهر الشتاء وقع اضطراب عظيم في اورشليم على الملك في قصره وعلى الشعب في المدينة بسبب ظهور قوم غرباء في اورشليم آتين من المشرق كانوا على ما يرجح من أهل العلم والرتب الرفيعة فسموا مجوسا. ولا يقال من اي مشرق اتوا. أمن العجم أم الهند أم بلاد العرب. ولا يقال كم كان عددهم. اثنا عشر حسب بعض النوارخ أو ثلاثة حسب الراي الغالب. والذين بصروهم على أنهم ثلاثة يبنون حكمهم على كون تقدماتهم ثلاثة انواع. ويحسبون انهم مثلوا اقسام البشر الثلاثة. اي بني سام وبني حام وبني يافث. واقسام العمر الثلاثة اي الشبوية والرجولية والكهولة^(١)

يرجح انهم كانوا من المهتمين كسائر علماء عصرهم بدرس علم الفلك ومراقبة الاجرام السماوية. وقد يكونون من الذين سمعوا من اليهود المتغربين في بلادهم عن المسيح العظيم المنتظر. وانهم من امثلة الوثنيين الذين يقول فيهم كتبة اليهود والرومان كانوا يتوقعون ظهور شخص عظيم في بلاد اليهود. اما اهل اورشليم فقد ألفوا محي الزائرين من كل بلدان العالم حيثما كان الشعب اليهودي مشتتاً. لان شهرة مدينتهم جعلتها مطمح ابصار الكثيرين من غير اليهود الناصدي التفرج والاتجار. لكن قدوم هؤلاء المجوس اوقع اضطراباً

(١) الذي يزور مدينة كولون على نهر الرين في المانيا يرى فيها كنيسة كاتدرائية للطائفة البابوية من اشجر بنايات العالم. ويرى في خربتها ما بعدونه كنزاً لا يُمكن اي جاحم ثلاث يدعون انها جاحم المجوس الثلاثة. وقد زينوها بالجواهر وقيمون لها حيناً بعد حين

عمومياً بسبب السؤال الذي سألوه وغرضهم من هذه الزيارة. كان سؤالهم "اين هو المولود ملك اليهود؟ لاننا رأينا نجمة في المشرق واتينا لتسجد له"

فهذا السؤال هيج خوفاً عظيماً في قلوب الذين سمعوه بداعي ما توقعوا ان بفعله الملك الشرير هيرودس متى سمع بملك جديد غيره^(١). لا بد ان فنون جنونه نتجدد بذلك. ولا يعلم احد على من تقع ضرباته البربرية المملوكة. جواسيسه المأجورون مستعدون ليعلموه حالاً بكل ما يمسه او يهيمه. فلما تبلغ خبر محبي المجوس وسؤالهم هاج ايضاً خوفاً على عرشه وعلى حياته. فجمع حالاً كل رؤساء الكهنة وكتبه الشعب ليعرف منهم هل في كتب الانبياء اشارة الى المخل الذي يولد فيه المسيح. واطاعة لامره سردوا له قول النبي ميخا "اما انت يا بيت لحم افرائيم وانت صغيرة ان تكوني بين الوف يهوذا فنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجه منذ ايام الازل"^(٢)

تصوّره يدعو المجوس الى قصره ويكرمهم مع شدة هيجان حنقه الداخلي عليهم بسبب غرضهم. ونعلم انه اخلى بهم وفحصهم ليحقق زمان ظهور النجم. وتقدّر انه كان اهانهم وعذبهم واهلكهم لا محالة لولا حذقة الذي اعزاليه ان يستقدمهم لاهلاك المولود الجديد الذي يتهدّد عرشه. فاخفى عنهم غيظه وارسلهم الى بيت لحم. ثم بمزيد الخبث والمكر وتوصلاً الى غاية الجهنمية اوصاهم "ان يخلصوا بالتدقيق عن الصبي وبمنتهى الرياء قال "ومتى وجدتموه فاخبروني لكي آتي واسجد له". فقدّر لنفسه يوماً قريباً فيه يأخذ من المجوس الخبر الذي طلبه منهم. فيذهب بنفسه متظاهراً بقصد السجود ويقتل الصبي وربما المجوس ايضاً الذين ازعجوه

كنا نود ان نعلم افكار المجوس لما بلغوا العاصمة اليهودية ووجدوا ان لا

احفالات دينية باهرة (١) لا يغفل عن تأثير آخر لهذا السؤال وقع في قلوب القسم القليل من الشعب. لان الذين كانوا نظير سمعان الشيخ وحنة النبية ينتظرون "تعزية اسرائيل" ينتعشون لخبر المجوس اذ اعزّ نتجدد آمالهم المبجلة (٢) مي ٢:٥

علم لاحد سكانها من الملك فادون انه ولد لهم ملك جديد . لماذا لم يأسفوا
على سياحتهم ومشقاتها ونفقاتها ويعودوا على اعقابهم الى بلادهم تخليين؟ ولماذا
لم يفكرُوا ان نجمهم أضلهم ويندموا على ما فعلوا؟ ربما استأنسوا بقول
هيرودس الكاذب انه يريد هو ايضا ان يسجد لهذا المولود فتجددت آمالهم
بعد وشك الانخزال لان لاداع للنجمل في السؤال عن شخص يريد الملك ذاته
ان يأتي ويسجد له . فذهبوا مستعدين ان يفعلوا ما اوصاهم وشكروا له على
التسهيلات التي اجراها لهم

وفي طريقهم الى بيت لحم عاد النجم الذي رآوه في المشرق الى الظهور
وقدمهم "حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي . ففرحوا فرحاً عظيماً جداً".
فيستنتج انهم استدلوا من النجم لما رآوه في بلادهم ان وجهتهم يجب ان تكون
اورشليم وان النجم لم يرافقهم اليها . رآوه في المشرق وودعهم هناك . ولذلك
سره جداً ظهوره الآن بعد انجابه

وبما ان ليس في احوال العائلة المقدسة الخارجية ولا في منظر الصبي ما يؤيد
اصلهُ العجيب ومقامهُ السماوي ترجح ان "ابويه" لم يكونا قد اظهرا هذا الاسرار
لاهل بيت لحم وانه لا يمكن ان يهتدي الجوس دون النجم^(١) الى اي طفل من
جميع اطفال بيت لحم ينبغي ان يسجدوا . فجاء ظهور النجم ليس فقط تثبيتاً عظيماً

(١) بحث العلماء كثيراً والفوا في موضوع هذا النجم العجيب . ودقق الفلكيون في
حساب الظهورات الجوية النادرة لبروا ايها يجوز اتخاذهُ تفسيراً لهذا الظهور . وعلم ان في
نحو ذلك التاريخ صار اقتران في النجوم السيارة لا يحدث الا مرة بين مئات السنين وظن
بعضهم ان هذا الاقتران كان دليل الجوس . وعلم ايضا ان نجماً خارقاً في لمعانه ظهر في نحو
ذلك الزمان وبقي وقتاً وجيزاً ثم اخفى . فظنه آخرون انه نجم الجوس وزعم غيرهم انه كان
من ذوات الاذنان التي لم يرد خبر ظهور بعضها في التاريخ الا مرة خلافاً للبعض الآخر
التي لضيق حلقة دوراتها تعود الى الظهور في فلكتنا في مواقيت معلومة . والحق يقال ان لا
احد يعرف ماذا كان هذا النجم الذي جازان يقال عنه انه وقف فوق بيت معلوم دون
غيره بعد ان سار سيراً يقال انه كان يتقدمهم ثم وقف . انظر الشرح في تفسير ادي ٢: ١
وقاموس الكتاب ٤١٦: ١

لايمانهم بل ايضاً دليلاً ضرورياً الى البيت بين كل بيوت لحم الذي يجب ان يزروه^(١). فلم يكن مجرد اعجوبة بل وسيلة ضرورية للوصول الى نتيجة مهمة. نلاحظ انهم لما دخلوا البيت الذي هداهم النجم اليه لم يسجدوا الا للطفل. ولا يذكر انهم قدموا الاكرام لوالدته. والهدايا الثمينة التي اتوا بها من بلادهم قدموها له لا "لابويه". فقدموا مرأً مناسب مقام هذا الطفل النبوي^(١). ولباناً وافق مقامه الكهنوتي. وذهباً لائم مقامه الملكي

فكم كان فرحهم بروية هذا الطفل الذي رأوا نجمة اولاً في مشرقهم البعيد! وعلموا الآن انهم بدرسم اعمال الله في الفلك بوقار واخلاص طالبين الهداية السماوية قد حصلوا على نور جديد يفوق كثيراً الاجرام السماوية التي كانوا يرقبونها. وهذه نتيجة اهتمامهم بالدين. ومثل هذه النتيجة البهجة تكون لجميع امثالهم ولا يظن الا ان المجوس قد وعدوا الملك بانهم يقيمون طلبه ويخبرونه عن الطفل بعد ان يجدوه. وانهم اخبروا يوسف ومريم بما جرى بينهم وبين هيرودس. ويرجح كذلك ان يوسف ومريم بلغاهم حقيقة صفات هيرودس واعماله والتمسا منهم ان لا يلبثوا طلبه لئلا يسببوا هلاك الطفل الذي اتوا لیسجدوا له^(٢). ولكن التماسها لا يكفي لحل المجوس من وعدهم الملك. لان هذا يستوجب امرأً من ملك الملوك. لذلك "أوحى اليهم في حلم ان لا يرجعوا الى هيرودس. فانصرفوا في طريق أخرى الى كورنهم"^(٢)

نأسف لاننا نجهل كيفية الوداع الذي جرى بين هؤلاء الثلاثة الاغنياء

(١) كان المتر يستعمل في المسيح وكان النبي يسوع اي ٢٢: ١٦ (٢) قد اتخذ الآباء الاقدمون من ايام الرسل فصاعداً سجود المجوس دليل اعتبارهم طبيعة المسيح الالهية ولم يعدوه مجرد بشر

(٢) امته قدماً مجوس الشرق راغبة في نظرة منه نحي الروح والجسدا شاموا بمشرفهم نجم المسيح فما جابوا المهامة والانجاد واخترقوا فمالنا نحن لانجري اليه وقد توقفوا عن مسير يذهب الجلبدا حزن الفياضي وداسوا الوعث والجسدا شمهاته اقرب من حبل الوريد مدى

والثلاثة الفقراء الذين زاروهم واكرمهم ثم انصرفوا عنهم^(١). وينبشنا متى انه
حال انصرافهم ظهر ملاك الرب ليوسف في حلم ثانٍ كما ظهر قبل هذا في
الناصره. وأمره قائلاً خذ الصبي وامه واهرب الى مصر "وكن هناك حتى
اقول لك لان هيرودس مزعج ان يطلب الصبي ليهلكه". فلم يتباطأ يوسف
في الاطاعة لهذا الامر

وكان هيرودس بالنظر الى اصله الادومي من نسل عيسو كما ان يسوع
من نسل يعقوب اخيه فاضطهاد هيرودس ليسوع مثل تلك العداوة القديمة
التي بسببها هرب يعقوب من وجه عيسو الى غربة بعيدة حفظاً لحياته

ان محبي المجوس وما فعلوه لا يمكن الا يكون اثر في جميع سكان بيت لحم.
وزاد في اعتبارهم لعائلة ربما كانوا قبلاً يزدرون بها. ولا سيما للطفل
الذي عدّه الزائرون الاشراف ملك اسرائيل الجديد فسجدوا له وانحرفوا
بهذا ذات قيمة مهمة. الا ان العناية الالهية لم تترك لهم مجالاً لظهور هذا
الاعتبار الجديد. اذ حال دون ذلك امر الملاك ليوسف في حلمه وترك هذه
العائلة بيت لحم حالاً وسراً. لان يوسف عند انصرافه وذهابه الى مصر
عرف في حكمته اهمية اخفاء حركاته ووجهته حتى عن اهل بيت لحم

ولولا هدايا المجوس الثمينة لم يكن لدى يوسف ما يقوم بنفقات هذا السفر
البعيد والغرب في مصر. فجاءت هذه الهدايا شاهداً جميلاً لتدبير العناية الالهية
العجيبة متى مسّت الحاجة لاتمام مشيئته المقدسة

في القديم هرب الى مصر يعقوب وهو اسرائيل الاصلي مع عائلته من

(١) نقول ردّاً على الذين يدّعون ان زيارة المجوس كانت في غضون الاربعين يوماً
قبل تقديم الطفل في الهيكل ان يوسف لا يقدر ان يوجّل امراً الهياً مستعجلاً كهذا بينما يزور
اورشليم. ولا يقدر ان يعرض الطفل للخطر الكبير باخذه الى المدينة التي هيرودس فيها.
فضلاً عن ذلك فلو كان المجوس قد زاروا الطفل قبل تقديمه في الهيكل لم يكن من حاجة
لاستبدال "والديه" كبش المحرقة بفرخي حمام بسبب فقرهم

جور المجاعة في ارض الميعاد . ثم بالعكس هرب نسله شعب اسرائيل بكامله من جور فرعون ملك مصر عائدین الى ارض الميعاد وطنهم الاصلي . ولا ان نرى ملك اسرائيل الحقيقي في طفولته يهرب مع عائلته نظير يعقوب من ارض الميعاد الى مصر فصيح فيه الكلام النبوي "من مصر دعوت ابني" (١)

ولنعكس بالفكر الان الى القصر الملكي في اورشليم . فندري هيرودس منتظراً بفروغ صبر عود المجوس ليعرف ماذا يعمل لكي يهلك المولود ملك اليهود . ولما انتهت المدة المتفق عليها بينه وبينهم ولم يعودوا اليه يرجح انه ارسل الى بيت لحم يسأل عنهم . ولما رجع رسوله بخبر انصرافهم على غير طريق اورشليم حسب منهم ذلك استغنائاً . فاعتماظ جداً وعلى الاخص لان هذا اضاع فرصته للتحقيق عن اي صبي في بيت لحم يجب ان يقتل

ولاشك في انه سمي اولاً ليعرف من اهل بيت لحم البيت الذي زاره المجوس . ولما اخبر ان المسؤول عنهم كانوا غرباء من الجليل وانهم سافروا ليلاً الى جهة مجهولة عند سكان البلد لا غرو انه لم يصدق ذلك بل نسب اليهم الخداع حسب عادته المشهورة في التطرف في اساءة الظن . وحسب ان هذا الجواب كان محافظة على احد اولادهم . فحفي غضبه اكثر وقصد اولاً ان يحقق قتل الطفل يسوع . وثانياً ان يتقم من اهل بلد يعتبر انهم قاوموه بالخداع وسيبوا سخر المجوس به وهو الملك العظيم . فارسل مأمورين "قتلوا جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها (لئلا يكون قد تحذر احد فهرب الى خارج) من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققت من المجوس" (٢)

يرى البشير متى في هذا الحادث المريع وهذه الفظاعة الهيرودية انما

(١) هو ١: ١١ (٢) يستدل البعض من هذا الكلام ان يسوع كان ابن سنتين حين زيارة المجوس . لكن جهلنا زمن ظهور النجم لم اولاً بالنسبة الى الميلاد وجهلنا المدة التي استغرقها سفرهم الطويل بمنعنا من ان نجزم في هذا الامر

ثانيًا^(١) لقول ارميا "صوت سُمع في الرامة . نوح وبكاء مرّ . راحيل تَبكي على اولادها وتأتي ان تعزّي عن اولادها . لانهم ليسوا بموجودين"^(٢) ولان هؤلاء ذُبحوا بسبب يسوع حسبهم البعض باكورة الشهداء المسيحيين^(٣)

لم يطل الوقت الا ونال هذا الظالم الدموي الشرير (الذي دُنس اسم ملك) عقابه الملائم . لانه مات موتاً مخيفاً في قصره في مدينة اريحا معذباً عذابات لا توصف من خارج ومن داخل . فمن يقدر ان يتصور لساعات ضمير الشرير في ساعات الموت وخصوصاً متى طالّت هذه الساعات وكانت عليه لا ترحمة بالخدر العصبي والعقلي ؟ وكان عمله الاخير مثلاً ملائماً لكل حياته . علم كره الشعب الشديداً فلم يُطق ان يتصور الفرح العمومي الذي يستولي على القوم متى بلغهم نبأ وفاته . فلذلك امر ان يجتمع في العاصمة جميع رؤوس العيال المعبرة من البلاد كلها . وان يُقتل كل من لا يطيع هذا الامر . جاءلاً سبب جمعهم الاشتراك والشعور معه في شدة مرضه . ولما حضروا جُسمهم في المسرح الكبير لكي يُقتلوا جميعاً ساعة موته . وبذلك تقوم مناحة عظيمة وعمومية

(١) عدها العمل من جرائمه الصغيرة حتى اعمل المورخ اليهودي يوسفوس ذكرها بين فظائع هذا الشرير (٢) ار ١٥: ٢١ انظر اتفاق البشيرين وجه ٥٩ شرحاً للمحدث الاصيلي وقد اشرنا سابقاً الى كون ضريح راحيل هو على طريق القدس الى بيت لحم

(٣) "هم جند من الصغار اصطفاهم . ربه قبل ان يصابوا بداء
حاملين السعوف يسدون حذاء لاله السما باشجى الغناء
وبأيديهم اكاليل زهر وبهم ائز من دم الشهداء
عمد الله جميعهم بدموع ال أم لا بل بماء تلك الدماء
ففضوا لكي يموتهم هو يمينا لا لينجو من ميتة او قضاء
بل ليلقى موتاً اشد واشقى عن جميع الملائكة بفعل الفداء
ابن راحيل تنوح على من ذهبوا مع جماعة الابرياء
هي ندرى بانهم في سلام فعلام الاسى ودمع البكاء"

نقلاً عن تاريخ المسيح للرساين الانكليز في مصر سنة ١٩١٢

في البلاد كلها يكون ظاهرها اسفاً على موته

كانت اخنوخ سالومة توافقه وتخدمه في مساعيه الشريرة السرية بالاشتراك مع زوجها الكسيس فطلبها هيرودس الى مخدعه واستخلفها بكل تدقيق بانها حالما يتحققان موته يأمران الحرس ان يقتلوا بالسهم جميع القوم المشار اليهم . فحلفا له . واتفق ان كان ابنه انتيباتر آنذا سجيناً بتهمة محاولة اغتصاب العرش فحدث احد الايام ان هيرودس اغناظ وقنط لشدة آلامه الجسدية وحاول الانتحار فانتشر الخبر انه مات . عندئذ طلب انتيباتر من السجن ان يطلق سبيله ليستلم العرش واعداً اياه بمكافأة عظيمة . اما السجن فبدلاً من تلبية طلبه بلغ هذا الامر الى آل القصر الملكي فقتل انتيباتر بامر ابيه

وبعد ذلك بخمسة ايام قضى هيرودس نخبة وقبل ان يعلن موته للعموم نكشت سالومة يمينها واطلقت المسجونين ليعودوا الى بيوتهم واشغالهم . وبعد انصرفهم أعلن خبر موت الملك واقفيت فرائض الحداد عليه من قبل ابنه ارخيلاوس وارث عرشه^(١) وفقاً للاصطلاحات الملكية . لكن السرور عم البلاد قاطبة لدرجة مضاعفة لان التخلص من جور هيرودس وشروره اقترنت بسلامة عظماء البلاد من مكيدته المملكة

ظن هيرودس لما قتل اطفال بيت لحم انه يعيش وان الصبي الذي خشي ان يتهدد عرشه قد قُتل . لكن بعد ايام قليلة كان هيرودس في قبره والصبي يسوع حياً محرراً وساقاً قد عظم شأنه حسب ما نراه في هذا اليوم^(٢)

(١) كان لهيرودس عشر زوجات واولاده كثيرون بقي منهم له بعد الذين قتلهم ثلاثة وهم ارخيلاوس وانتيباس وفيلبس . فقسم مملكته بينهم قبل موته واعطى ارخيلاوس النصيب الافضل اي اليهودية التي عاصمتها اورشليم ومن مدن بيت لحم (٢) ضاع دهاه هيرودس في قتله صبيان بيت لحم وجوارها لانه ان كان لابد من صدق النبوة بشأن المسيح فلماذا يخاف وان كان يصدقها فكيف يفكر ان يقاوم الله وينجح . ما اعجز كل البشر حتى الملوك عن مقاومة المقاصد الالهية

أما تغرب العائلة المقدسة في أرض مصر فلم يطل^(١). لأنه جاء ثلاثة ليوسف في مصر ملاك في حلم قائلاً له بالفاظه السابقة "قم وخذ الصبي وامه" لكنه لم يقل "اهرب بل" اذهب. "أمره بالرجوع إلى أرض إسرائيل باطمئنان لأن القاصد قتل الصبي قد مات فسمع يوسف واطاع^(٢)

ولا غرابة في قصد يوسف ومريم الظاهر بأن يستوطنا في مدينة اجدادهم مدينة داود الجميلة المكرمة الواقعة على حدود المدينة المقدسة اورشليم وبقرب هيكل الله العظيم وبجانب المدارس العالية التي يلزم أن يتخرج فيها كل من قصد التقدم في المراتب الدينية. وبما أن التقدم لهذا الولد كان مطمح ابصارها. وهذه هي المدينة التي وضع الله اسمه فيها منذ أيام داود الملك والنبي العظيم أفلا يوافق أن يتربى فيها أو في جوارها وارث داود الأعظم؟ ولكن بما أن ملك اليهودية الجديد ارخيلاوس بن هيرودس الذي أبدى في أول ملكه مظاهرات كثيرة حسنة بقصد تأييد سلطته وحفظ عرشه تغير سريعاً وظهر من التساوة ما مائل تصرفات أبيه^(٣) خاف يوسف أن يستوطن

(١) يرحج أنهم استقروا في الاسكندرية حيث كان يوجد يومئذ نحو مليون يهودي وكان لهم كنيس أو مجمع شهير. ولا تساع هذا المجمع كان لا يسمع الصوت من جانب إلى جانب وفي وقت الصلاة لم تكن وسيلة ليعرف الساجدون متى يجيبون على صلاة المصلي إلا بالأيماء. وكان في صدر هذا المعبد سبعون كرسيًا مرصعة بالحجارة الكريمة لجلوس أعضاء مجيهم السبعيني المؤلف قنلاً بالمجمع السبعيني الاورشليمي الشهير. فتقاطر اليهود في ذلك الزمان إلى القطر المصري بجاذب المحافظة والامتيازات المهمة التي نالوها هناك من المحاكم من اسكندر المكسوفي أولاً ثم من يوليوس قيصر. واخذت المدينة اسم الاسكندر لما كان امبراطور العالم تقريباً وهو حسنها كثيراً واتخذها با شهر مكتبة وجدت في العالم القديم ولما مات فيها وضعوا جثته مغسوة في غسل في تابوت من زجاج. وكانت ابواب هيكل اورشليم التسعة مصفحة بذهب وفضة على نفقة رجل واحد من اغنياء يهود الاسكندرية وهو اسكندر اخو الكاتب المشهور فيلو (٢) يلاحظ ان الاوامر الالهية بواسطة الملائكة والاحلام وردت إلى يوسف لآعلى مريم (٣) قتل في وقت واحد وفي وسط الهيكل المقدس ثلاثة آلاف رجل

تجيت ظاه

ويظهر ان يوسف كان في حيرته يلتجئ استرشاداً الى الصلاة . فكان الله مجيبه وينيره بواسطة احلامه او في غصونها . وقد شعر الآن بعظم المسؤولية التي عليه للمحافظة على هذا الولد وحسن تربيته . وفي هذه الحيرة الجديدة اتاه الارشاد الالهي في حلم . فرجعوا الى وطنهم الاول في الناصرة وسكنوا هناك . ويقول البشير ان هذا الاستيطان جاء طبقاً لقول احد الانبياء ان المسيح سيُدعى ناصرياً^(١)

انفراد طفولية يسوع عن كل طفولية سواها في التاريخ يتضح لمن يتتبع قرائنها بامعان . فمنها الكلام العجيب الذي جاء أولاً في النبوات القديمة التي تأيدت على صورة مدهشة في تفاصيل الطفولية^(٢) . وجاء في النبوات الجديدة من ملائكة وبشر على وشك ولادته . ثم في الاناشيد الممتازة لاليصابات وزكريا ومرى

ومنها الحوادث العجيبة التي ابتدأت بظهور الملاك لزكريا وضربه بالخرس لعدم ايمانه . ثم تلا ذلك حبل اليصابات العجيب وحل زكريا من خرسه وظهور الملاك لمرى وحبلها العجيب والتعليمات الضرورية الصادقة التي وردت على يوسف في الاحلام والامر الامبراطوري بالاحصاء وحفظ القيود النسيية اليهودية وظهور الملائكة للرعاة وحوادث التقديم في الهيكل وزيارة مجوس المشرق الى غير ذلك

ومنها التنوع العجيب في فروع الاحتفاء بولادة هذا الطفل . اولاً اشترك

(١) لانجد هذا القول صريحاً في الكتابات النبوية المحفوظة لنا انما لا يبعد ان بعض الكتابات النبوية لم يحفظ . ويجوز ايضا ان الاشارة في هذا القول هي الى كلام في سفر اشعيا فيفيد هذا المعنى متى نظر الى الاشتقاق اللغوي العبراني نظير ما ورد في اش ١١: ٢ او ٢٢: ٢ تلك ١٨: ٢٢ ص ٢ ١٢: ٧ و ١٢ مع مز ١١: ١٢٢ اش ١٤: ٧ و ٢: ٥٣ و ٢: ١٠ و ١٠: ١٠

ر ١٥: ٣١ هو ١١: ١ لي ٢: ٥ ملا ١: ٢٣ و ٥: ٤ و ١٦ ع ٢: ٣٠

الملائكة مثلواهل السماء. ثم الكاهن ممثل خدمة الدين. ثم الرعاة ممثلو فقراء العالم. ثم مريم والىصابات ممثلتا الشابات والعجائز. ثم المجوس ممثلو الاغنياء والعلماء والاشراف وممثلو الامم الوثنية. ثم سمعان الشيخ ممثل الاسرائيليين الاتقياء. وحنة ممثلة الانبياء. والنجم ممثل الطبيعة الغير العاقلة

يضاف ايضاً من الامور المحرية بالذكر مناسبة الوقت الذي جاء فيه هذا المولود. ليس فقط انه الوقت الذي اتفق مع النبوات الصريحة واللغزية المختصة بالمسيح الموعود به بل ان المناسبة ظهرت من اوجه أخرى عديدة. صرح الرسول بولس بذلك بعدئذ في قوله "لما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنة مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس" (١)

لانه جاء في حين سلام عمومي نادر الوقوع وهو رئيس السلام (٢). وفي حين توطيد الامن العمومي وتوفير المواصلات في الداخل والخارج تسهيلاً لاسفار رسله والمبشرين بالانجيل. وذلك بواسطة امتداد لامثيل له في التاريخ لسطوة سياسية موحدة منظمة شاملة هي سطوة الامبراطورية الرومانية في عزمها. ومن محاسن هذا الحكم اطلاق الحرية التامة الدينية

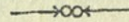
وكانت افضل اللغات القديمة منتشرة مع فلسفتها البليغة في البلدان المختلفة تسهيلاً لتوزيع انجيل المسيح والتبشير به في اللغة اليونانية التي كتب الانجيل فيها. ولا سيما ان اليهود كان لهم في الشتات ترجمة توراتهم العبرانية الى اللغة اليونانية

جاء في حين تفاقم الشر في العالم ليتضح شدة احتياجه الى مخلص مقدر يُقدّم فداءً كافياً ويظهر سلطة وافية ليكون المخلص العمومي للبشر اجمع جاء في حين اتمام الوسائل الاخرى التي استخدمها الاله سبحانه لاجل رد البشر عن شرورهم. وما كانت هذه الشرور الا لتزداد. فامتلات صدور الاتقياء القليلي العدد ياساً جعلهم يتوقعون بفروغ صبر ظهور المسيح المخلص

جاء في حين توغل شعب الله المختار في التقاليد الثقيلة والتفنتات السفينة الدينية حتى تأكد عجز الدين المتزل ذاته عن حفظ افضل شعوب الارض من الاندثار بتأثير الفساد الديني والادي فيظهر جلياً الاضطراب الى ارسال المسيح حسب المواعيد لينقذ البشر من التهور الموبد في الآثام

جاء في حين نشأت الشعب اليهودي في كل المعمور . وهو شعب متمسك بالتوحيد الالهي وشدة الكره للعبادة الصنمية وباعتبار الكتاب المتزل اي التوراة . فكان يتدأ بهم في التبشير بنجي مسيهم . ويستعان بمن يؤمن منهم لنشر البشارة بين الاكثرية الاممية . وفي ذات الوقت كان الحكم الروماني العادل الصارم حاجزاً منيعاً افضى الى فشل رؤساء اليهود الناصدين خنق المسيحية في طفوليتها واطفاء ذكر المسيح^(١)

فبناءً على الامور المار ذكرها وامثالها هل من عجب ان افتتح البشير مرقس تاريخ حياة هذا المولود بقوله "بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله"؟



(١) يستفيد المطالع كثيراً من مراجعة كتاب في هذا الموضوع ترجم عن الانكليزية تحت عنوان زمن يسوع . والكتاب الذي وضعه الكاتب تحت عنوان من هو يسوع المسيح .
صفحة ٩٣-٩٦

الفصل السادس

لو ٢: ٤١ - ٥٢

(المرصع) ف ٤ (الزمان) نيسان سنة ٨ م. (المكان) اورشليم

السكوت الغريب عن حوادث سني يسوع الاولى . النظر في طبيعته الالهية والبشرية .
زيارته اورشليم وهو ابن اثنتي عشرة سنة . بقاؤه في المدينة دون علم ذويهِ . مريم
ويوسف يفتشان عنه ويجدانهُ . تفسير جوابهِ . السكوت عن اخبارهِ مدة ٢٩ سنة .
مناسبة الناصرة لاجل نشوئه فيها .

يتوق كل مطالع الى ان يرى عملاً ولو واحداً وان يسمع قولاً ولو
كلمة لهذا الطفل العجيب . لكن ليس للعالم شيء من ذلك قبل بلوغهِ سن
الاثنتي عشرة . لان الوحي قد اسدل ستاراً حجب عن العالم ما افكرهُ وقالة
وفعله وما اصابهُ في تلك المدة كلها^(١)

يجوز ان نحكم في بعض امورٍ اُهم ذكرها في الكتاب . منها وضعهُ في
سن السادسة في المدرسة كسائر اولاد اليهود مراعاةً لقانون الدين الذي
جعل تعليم الاولاد الزامياً . فهو بذلك أصبح شريكاً لجمهور الاولاد في المدارس
ونوذجاً لهم في الدروس والسلوك . يعرف تجاربهم ويشعر معهم فيها . لانه

(١) لم يرض مسيحيو الاجيال المظلمة عن هذا السكوت . فلفقوا اخباراً مفصلة
مطوّلة . وألفوا اناجيل ورسائل خرافية مركبة من قصص في طفولة يسوع تورد اقوالاً
وافعالاً تلائم تصوراتهم السخيفة المضادة لنصوص الانجيل الحقيقي . ظنوا ان المعجزات التي
اخترعوها تزيد في ايجاد المسيح لانهم اعتمدوا على اقبستهم الصبائية . لكنها شهادة بخافتها
لصدق الاخبار المخالفة لما التي وردت في الانجيل الاصلي

تجرب

ورّد

القول

لان تفه

طبيعته

ذلك

ويستند

عظيمة

التي يب

تماماً لل

يسوع

كثير

معقولاً

في الو

(١)

نشرناه

القديم

هذا الزم

فمن نتائ

هو ابن

البشرية

اصله تع

تجرب مثلهم فيرثي لهم . ومنها ايضاً امتيازُه بين اترابه علمياً وادبياً
لنا بعد هذا السكوت الطويل حادث واحد بسيط وقول واحد وجيز
ورَد ذكرها لتُعرف مجانسة سني حادثه لسني رجوليته . وهذا الحادث وهذا
القول يستلزمان النظر في حقيقة طبيعة يسوع المخلف عليها كل الاختلاف .
لان تفسيرها والحكم فيها يتوقفان على ما يقرر بهذا الشأن
سبق الكلام^(١) في الغرائب التي حُفَّت بطفولته ودلّت على ان له مع
طبيعته البشرية الحقيقية طبيعة الهية حقيقية . ومقدّمات البشائر الاربع افادت
ذلك ايضاً

ولا عجب في ان كثيرين يرفضون القول في لاهوت يسوع المسيح
ويستنكفون من تسميته ابن الله . لان الصعوبة في هذا القول وفي هذه التسمية
عظيمة جداً لا يزيلها الا براهين قطعية وكافية^(٢) . ومهما كانت قوة البراهين
التي يبني عليها هذا اليقين فغير ممكن ان تزيل من هذا السر غموضه او توضح
تماماً للعقل البشري الامور الالهية التي تفوق العقل . انما يرينا درس حياة
يسوع ان اكثر اخباره لا تتفق مع الفرض بانه كان مجرد بشر كما يزعم
كثيرون . بل ان القول الوحيد الذي يفسر هذه السيرة الفريدة تفسيراً
معقولاً وسديداً هو القول بكونه ذا طبيعة الهية حقيقية وطبيعة بشرية حقيقية
في الوقت الواحد^(٣)

(١) انظر ف ٢ و ٢ و ٤ (٢) قد وضعنا شرحاً مستوفياً في هذه القضية في كتيب
نشرناه سابقاً تحت عنوان (من هو يسوع المسيح) (٣) قد ظهر حيناً بعد آخر منذ
القديم فرق دينية تدّعي بان كان يسوع طبيعة الهية فقط . لكن هذا القول لا يعتد به في
هذا الزمان . اذ يسلم عموم الناس من علماء وبسطاء بان كان له طبيعة بشرية حقيقية .
فمن نتائج الضلال المشار اليه تسمية مريم العذراء ام الله او والدة الاله لكونها ام الذي
هو ابن الله . حال كون لا علاقة لها بطبيعة يسوع المسيح الالهية . بل هي والدة الطبيعة
البشرية فيه ليس الا . وهذه التسمية لمريم لا تجوز قطعياً . لان فيها انكار ازلية الله ونسبة
اصلة تعالى الى ولادة بشرية

لو جاز تفسير حياة يسوع على صورة طبيعية لكننا نفضل ذلك . لاننا لا نرضى البتة ان نتشبه بقضية لاهوته بناءً على انها بقيت مذهبنا او تعليم كنيستنا او ايمان اجدادنا . او انها ما تلقناه في الصغر فيصعب علينا نبذ في الكبر . ليس نمسكنا بهذه القضية الا ما قد اجبرنا عليه الامعان المدقق في النصوص الالهية في الكتاب المقدس مسقط الوحي الالهي

فالكاتب الذي يقصد ان يشرح سيرة يسوع مضطراً كل الاضطراب ان يحكم بعد درس مستوف ومدقق في امر طبيعته قبل ان يباشر التأليف . كما وانه ليس من صالح المطالع ايضاً ان يوجل المؤلف ذلك الحكم الى ان ينتهي من درس هذه السيرة الفريدة . لان فهم اعمال يسوع وتفسيرها تتبع ماهية طبيعته . ولان المطالع الخبار غب درسه ان يعدل عما قرره متى اتضح له انه كان غلطاً

نعلم انه في درس تاريخ غيره من مشاهير العالم نظير سقراط او بوليبوس قيصر يطلب المطالع بادئ بدء ان يعرف ما هو جوهره في جنسية هؤلاء ومقامهم لاجل فهم حركاتهم واقوالهم . يطلب ان يعرف سلفاهل يطالع سيرة يوناني او روماني سيرة ملك او فيلسوف لانه لا يجوز ان يقيس يونانياً بقياس روماني ولا ملكاً بقياس فيلسوف والعكس بالعكس . فكل ترجمة لشهير دون استثناء تبين في اولها ما هو جوهره في اصل الشخص المحكي عنه ومقامه . والمؤلفات التي تتخذ الخطة الاخرى (خطة تأجيل القرار بذلك) تكون من باب الروايات لا التاريخ العلمي الجدي . ولو بالفرض الفاسد جاز للمطالع هذا التأجيل فانه لا يجوز بل لا يمكن للمؤلف . لان الذي يقرر قبل المطالعة او التأليف ان ليسوع طبيعة بشرية فقط وكان له طبيعة الهية ايضاً يضع كل فائدة تنتج عن طبيعته الالهية . بينما الذي يقرر ان له ايضاً طبيعة الهية حقيقية مع طبيعة بشرية حقيقية ينال الفائدتين . لهذا السبب يكون الفرض الايجابي قبل المطالعة اوفر حكمة من الفرض السلبي

وتبيهاً لذلك نقول ان تأنس الاله في شخص يسوع اتى طبقاً لاشتهاء البشر
عموماً ان يروا الاله . بدافع هذه العاطفة الشريفة يعبد الهجي اصناماً صنع
يديهم والوثني الآخر حيوانات بكاء ما حواليه . والمجوسي اجراماً سموية تُشرف
عليه . لانهم يحسبون انهم بذلك يرون الاله . ساقط هذه العاطفة بني
اسرائيل (لما طال غياب موسى عنهم) ان يحملوا هررون على سبك العجل
الذهبي . لانهم قالوا له "قم اصنع لنا الهة تسير امامنا" وبعد ما صنعة هتفوا
قائلين "هذه الهتك يا اسرائيل التي اصعدتك من ارض مصر" (١) . وساقط
موسى الى ان يصلي "ارني مجدك" . فاجابه الرب "لا تقدر ان ترى وجهي .
لان الانسان لا يراني ويعيش" (٢) . وساقط الرسول فيلبس الى طلبه من
يسوع "يا سيد ارنا الآب وكفانا" . فكان جواب يسوع له منشطاً لهذه
العاطفة لا موجهاً . اذ قال "انا معكم زمناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس
الذي رأي فقد رأي الآب" (٣) . هذا التأنس اضاف الى شهادة الآذان
شهادة العيون تسهيلاً لمعرفة ما يمكن ان يعرف عن الاله

وفي خبر الخلق نقراً ان الله بعد ما صنع جسد آدم من التراب نفخ فيه من
روحه نسمة الحياة . وهذه النسمة منخنة طبيعة روحية هي اسباب القول الآخر
ان الله خلق الانسان على صورته تعالى . ولا يُطلق هذا القول قطعياً على
طبيعة الانسان المادية . فالظاهر ان الباري عز وجل تنازل حياً في خلقه
الانسان لكي يعرف هذا بواسطة الصورة الظاهرة في الانسان شيئاً عن خالقه
الذي لا يرى . وهذا الشيء اقتران التثليث مع التوحيد . لان تحقيق وجود
الازدواج في طبيعة الانسان الواحد مع حفظ وحدته هو من أهم ما يتعلمه
العاقل من تأمله في الانسان . فان صح القول في المخلوق بان الوحدة لا تنافي
التعداد جاز ان يصح في المخلوق ايضاً . فليس القول ان الانسان الواحد
نفس وجسد معقولاً أكثر من القول ان الاله الواحد آب وابن وروح

(١) خر ١:٢٢ و٤ (٢) خر ١٨:٢٢ و٣٠ (٣) يو ١٤:٩

قدس . ففي درس اول اعمال يسوع واقواله يظهر ما سبقنا وذكرناه من الاضطرار الى تقرير شكل طبيعته اولاً

اما باكورة اعمال يسوع المذكورة فهي ايضاً الحوادث الوحيدة في سيرته الذي حفظ للعالم خبره من كل ما حدث له مدة ٣٩ سنة . وذلك سفر يسوع الاول وهو في سن الاثني عشرة الى اورشليم . يوسف وهو راس هذه الاسرة الناصرية الصغيرة مكلف رسمياً ان يصعد الى اورشليم سنوياً في الاعياد المهمة . وعلى الاخص في عيد الفصح كبير الاعياد . ومريم كسائر النساء غير مكلفة بذلك^(١) . والصبيان غير مكلفين قبل ان يدخلوا تحت "نير الناموس" في سن الاثني عشرة . ففي سنة ٨ م بلغ يسوع هذا السن

وفي تلك السنة وقع عيد الفصح في ٨ نيسان . الى هذا العيد اذاً صعد به "ابواه" اول مرة^(٢) . نحب ان نتصور اهتمام الثلاثة بالاستعداد لهذه الزيارة الاولى . زيارة هذا الولد العجيب الى المقام الديني الموقر على جبل صهيون . ثم ان نشخص رحلتهم برفقة القافلة الحافلة المولفة من الجيران مع كثيرين من محلات أبعد وراء الناصرة

وكان على هذه القافلة ان تختار اما الطريق القانوي الاقرب المار في بلاد السامريين المكروهين . وذلك يعرضهم للاهانة والمضايقة . لان هذه كانت معاملة السامريين لليهود الصاعدين بزيارات دينية الى مدينة اورشليم . او ان تفعل فعل اليهود المتدينين وتختار المرور على الطريق الابعد الواقع شرقي الاردن . فتضطر ان تعبر هذا النهر مرتين . وفي الحالتين يشرف هذا الجمهور على مدينة صهيون في اليوم الرابع او الخامس

(١) لكننا نعلم ان النساء التقيات كن يرافقن رجالهن احياناً في هذه السياحة الدينية

(٢) اشير سابقاً الى ضرورة حساب يوسف ابا يسوع عند العموم لعدم اطلاعهم

على اصله العجيب . لكن بعد صعوده وبعد موت امه زال الحاجز اللائق الذي كتم هذا السر اولاً

يخال لنا اننا نسمع اناشيدهم الدينية في الطريق حسب اصطلاحهم المشهور وهم يرنون صباحاً ومساءً يوماً بعد يوم ترنيمات المصاعد^(١). ومن جملتها هذا النشيد "فرحت بالقاتلين لي الى بيت الرب نذهب. نقف ارجلنا في ابوابك يا اورشليم. اورشليم المبنية كمدينة متصلة كلها. حيث صعدت الاسباط اسباط الرب شهادة لاسرائيل ليجدوا اسم الرب *** اسألوا سلامة اورشليم ليستريح محبوبك. ليكون سلام في ابراجك راحة في قصورك. من أجل اخوتي واصحابي لا قولن سلام بك. من أجل بيت الرب اهلنا التمس لك خيراً *** اورشليم الجبال حولها والرب حول شعبه من الآن وإلى الدهر *** هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب الواقفين في بيت الرب في الليالي. ارفعوا ايديكم نحو القدس وباركوا الرب. يباركك الرب من صهيون الصانع السموات والارض. *** سلام على اسرائيل"

ان للسياحة في المحلات الشهيرة فائدة جلي في التثقيف العقلي وتهذيب الذوق وادخار المؤونة الفكرية. فلا ريب ان الصبي يسوع اكتسب في سياحته هذه الاولى خارجاً عن وطنه. لولد لم ير سوى قرية الناصرة وما حولها يكون منظر اورشليم مدهشاً للغاية. ولا سيما ان اعينناه مطلعاً على تاريخها العجيب وعالمها بالمقاصد الالهية نحوها. فعند إشرافه عليها يتذكر وهو طائر فرحاً كلام المزمور "جميل الارتفاع فرح كل الارض جبل صهيون. فرح اقاصي الشمال مدينة الملك العظيم"^(١). يوسف ومريم هما من الفقراء فلا يقدر لهما حظ الحصول على منزل داخل المدينة إبان هذا الازدحام بل يرجح أنهم من الكثيرين المضطرين ان يجدوا مأواهم في اكواخ بنصبوتها في جوار المدينة

ولا بد من ان يتبع هذا الصبي ابتهاجاً خصوصياً بالهيكل الشهير الغني في التواريخ الدينية المقدسة. في دوره المختلفة يرى جماهير العبد

(١) مز ١٣٠-١٣٤ (انظر مرشد الطالبين وجه ١٢٨) (٢) مز ٢٤٨

على اختلاف هيئاتهم ومشاربهم والسنتهم . ويسمع الاجواق الرسمية تعزف
بالآلات الموسيقية وترنم بالحان مطربة مرددة مزامير جدّه داود. هنا يحظى
برؤية مشاهير علماء الامة نظير هليل وغملائيل وغيرها من الذين كانت
اقوالهم تحترم كأقوال الانبياء او أكثر . هنا يشاهد خدمة صفوف الكهنة
ولاسيما رئيسهم العظيم . هؤلاء نواب الله تجاه الشعب ونواب الشعب تجاه
الحضرة الالهية . وهم مخصصون تخصيصاً مقدساً دينياً لخدمته تعالى وخدمة
الشعب في الامور الروحية . عليهم دون غيرهم تتوقف المصالح الدينية في
البلاد . وكل فرد يطلب المصالحه مع الله وغفراناً لخطاياہ كان مضطراً ان
يقدم بواسطه هؤلاء الكهنة فقط الذبايح المفروضة عليه لاجل نيله هذه البركات
فيوسف ومريم ويسوع من جملة المفتقرين الآن الى خدمة هؤلاء الكهنة .

بالطبع يقضون أيامهم في المدينة مع المعبدین . ويمارسون بكل حرص وتدقيق
مواقيت الصلاة القانونية في الهيكل . مع سائر الفرائض المذهبية العديدة
المتعلقة بهذا العيد . ولا سيما التقدّمات والذبايح . ويخال لنا ان رغبة هذا
الصبي الذكي التقى كانت متجهة بالاكثّر الى السبب الخصوصي الموجب لهذه
الزيارة وهو فريضة الفصح المقدسة . ولا بد انه عالم بكونه هو خروف الفصح
الحقيقي ^(١) وان كل تفاصيل هذا الرسم ترمز اليه . وان فيه تنتهي هذه السنة
القديمة الموقرة التي مارسها شعب الله بكل تمسك مدة الف وخمسمئة سنة ^(٢) .
فكيف لا تكون عواطفه الدينية متهيجة ابتهاجاً واشتياقاً الى الاشتراك لأول
مرة في فروض هذا العيد العظيم ؟ ^(٣)

لكن ما كان أبعد كل افكار الجمهور الذي اخلط به هذا الصبي النبيه
عن التصوّر بان هذا هو مسيحيهم الموعود به والمتظر . والحق انه لا يجوز ان

(١) ١ كو ٥: ٧ (٢) ان كل ما مورس منه بعد صلب المسيح كان عبثاً

(٣) انظر تفسير الانجيل متى ٢٦٥ اتفاق البشيرين ٥٢٩-٥٣١ ومرشد الطالين ٤٤

وقاموس الكتاب ١٦٣: ٢

يعرفوا ذلك الآن لانهم لو عرفوا لما سمحوا ان يعود ويكمل مدته المعينة للاستعداد الكافي لعمله المقبل

يظهر انه كان ينفرد عن "ابويه" في النهار وهما لا يهتمان لذلك لعلهما بصفاته وإركانها التام اليه. فلم يلاحظا كم كان يقضي اوقانا في غرف التدريس الديني الملاصقة للميكل حيث كان اعظم علمائهم يترددون ويعطون ويدرسون. وهو الآن يهتم فوق كل شيء بالاستفادة. فلا بد من انه رأى لأول وهلة الفرق الكلي بين افكاره وافكارهم وكشف سطحية ديانة هؤلاء المعلمين. فشعر بالحاجة الى تعاليم روحية جديدة على نسق جديد. والى بيان العلاقة الجوهرية بين التقوى وملاح السيرة

واخيراً انتهت ايام العيد. وتم استعداد جماعة الناصرة وجوارها للرجوع الى اوطانهم. وانفقوا على محل الملقى وسافروا صباحاً جمهوراً ليس بقليل فلم يلاحظ احدهم حتى ولا "ابواه" ان الصبي لم ينضم اليهم. ولا علم احدهم انه كان قد ذهب الى الميكل "ليسمع المعلمين ويسألهم". كفى إركان ذويه اليه ليغنيهم عن الارتباك من عدم مشاهدتهم اياه في الطريق كل النهار الاول لكن لما لم يجدوه مساءً بعد التفتيش عنه بين جميع الاقرباء والمعارف رجع "ابواه" الى المدينة مترعجين. وهناك لم يجدوه في كل المحلات التي تصوراً انه يتردد اليها^(١) حتى بعد مواصلة التفتيش الجدي عنه يومين

الى ان وجداه في اليوم الثالث في دائرة الميكل جالسا بين علماء امتهم الشهيرين وحاصلاً على احترامهم وتعجبهم. كانت افكاره متقدمة بالمواضيع الدينية الجوهرية يسأل العلماء بانشغاف ومجيب على اسئلتهم بحكمة فائقة. فلما

(١) جهل مريم حركات ابنها وعجزها عن الاهتداء اليه الا بعد العذاب وفي اليوم الثالث لا يتفان مع المقام الذي تعطاه خطأ في بعض الكنائس المسيحية. كما انه ايضا لا يتفق مع هذا المقام خطأها في لومها ابنها وجوابه على ذلك ولا قول البشير انها لم تفهم كلامه

دخل "ابواه" الى ذلك المكان الموقر لم تمتلك مريم نفسها بل اسرعت الى توبيخه . قائلة "يا بني لماذا فعلت بنا هكذا ؟ هوذا ابوك وانا كنا نطلبك معذرين" (١)

لأنلوم أما احتدت على ابنها في احوال كهذه إلا اذا كان ابنها يسوع . لان معرفتها سموه العقلي والادي كان يجب ان يوقفها عن توبيخه . ومن جوابه اياها عرفنا انها ملومة . لان جوابه لم يكن عذراً عما فعل او حجة لترضى بان يبقى في اورشليم . اذ رجع حالاً معها "وكان خاضعاً لها" . بل كان من باب التوبيخ اللطيف . واشعاراً لها انه مع صغر سنه يقدم ارادة الله على ارادة الاهل . وانه لا يعد يوسف أباً حقيقياً له . بل ان أباه هو ذلك الذي ولد هو من روحه . لانهما لانه مع علمهما ان يوسف ليس اناؤه نسباً انه ينبغي ان يكون في مالا ييه الحقيقي لا في مالا ييه المجازي . فلو كان يوسف اباه لقال مالا يي السماوي تمييزاً (١)

ولا بد من القول انه على فرض كونه مجرد بشر مولود من أب وام بشريين يلام على ما فعل وعلى ما قال . لان الامر واضح انه لا يحق لولد اديب في سن الاثني عشرة ان يستقل عن والديه في الغربة ويسبب لها عذاباً كهذا . ولا ان يكتم عنها خبر قصص ان ينفصل عنها ويبقى في المدينة . وعلى الاخص لا يحق له ان يجيب امه كما اجاب يسوع مريم بعد ان وجدته في الهيكل . لانه بكتها على اتمامها اقدس واجباتها الوالدية والدينية اي الاعناء بولدها والتفتيش عنه . ونسب اليها الجهالة في قوله "أستأ تعلمان" . فكاحد اولاد

(١) قول مريم "ابوك" قد سبق تفسيره صفحة ٦٧ . يلاحظ تسرع مريم في التكلم في هذا الحضر عوضاً عن ترك الكلام لرجلها يوسف وهو اكبر منها سناً . ويتفق مع هذه الملاحظة كلام اليهود في وقت آخر لما تعجبوا من اعماله فقالوا أليس هذا النجار ابن مريم مر ٢٦: ٦ فنستنتج من الامر ان في هذه السنين الاحد عشر في الناصرة في بيت يوسف كانت هي المتقدمة في تدبير البيت وفي تربية الصبي . وان امتيازها في المواهب والصفات خولها شهرة ممتازة ايضاً في وطنها (٢) سكوت امه لهذا التوبيخ اللطيف يستدعي الانتباه

البشر كان يجب ان يندم على ما سببه لها من التعب والهم . وان يُظهر لها كراماً لا ثمنًا ولا سيما بالنظر الى حالة والدته من الضنك في هذه الساعة والحنة الشديدة التي حصلت لها بسببه

ان مريم هي المصدر الوحيد لحفظ هذا الخبر ونشره . وقيل عنها في الوقت ذاته انها لم تفهم كلامه . لكنها " كانت تحفظ جميع هذه الامور في قلبها " . فلماذا نُخبر بما هو مُجملها ؟ ولماذا اهتمّ البشير والوحي الالهي بايراد هذا الخبر الذي يرينا ولدًا لم يتم تمامًا بمتنصيات الاحترام نحو والدته ؟

فاذا اعتبرنا هذا الصبي كما صوّره لنا البشيرون في اخبار طفوليته انه ليس مجرد بشر فتخلّ هذه العقدة . لان الطبيعة الالهية فيه توجب عليه ان يذكر امه ويوسف ايضا عند قولها " ابوك وانا " ان يوسف ليس اباؤه . وانه ليس بكليته تحت سيطرتها كغيره من الاولاد مع والديهم . ولذلك يجب على مريم ثم على البشير ان يخبرا بما جرى ما بينه الافكار الى اصله الالهي . وانه حقًا نزل من السماء ليولد من مريم . ويؤخذ من قوله لأمه " أَلستما تعلمان " ان السرّ الجوهرى المتعلق باصله السماوي كان معلومًا عندكما عند " ابويه " بمعنى ان يحتمل كثيرًا بهذه الالفاظ الوجيزة من ثم هذا الصبي لكونها الاولى التي حفظ لنا ذكرها . ويلاحظ ان قوله " ينبغي ان اكون في ما لأني " هو فاتحة تناسب كل حياته في ما بعد . وهو القانون الذي اتخذه لنفسه . ولم يجد عنه مطلقًا في كل الزمان من أوّل سني ادراكه الى ان اخفى عن ابصار تلاميذه متميًا ارساليته بصعوده الى السماء

في كلام سليمان ابن داود صحّ المثل " كلام الملوك ملوك الكلام " لاننا نقرأ ان الله كلمه قائلاً " هوذا اعطيتك قلبًا حكميًا ومميزًا حتى انه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك " (١) فكم بالبحري يصح هذا المثل في كلام هذا الصبي المستنّى في الكتاب ملك الملوك الذي قال مرّةً مشيرًا الى ذاته " ملكة

اليمن *** انت من اقاصي الارض تسمع حكمة سليمان . وهوذا اعظم من سليمان ههنا^(١) . وحقاً ليس في كل حكم سليمان الكثيرة قول جوهري كعبارة يسوع هذه . وهو الذي قال عنه رسل اليهود "لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان"^(٢)

مرّ على هذا الحادث نحو ثمانية عشرة سنة سكّت الوحي عن اخبارها . ولم نقل سكّت البشّرون لان سكوتهم لم يكن طبعياً . ولا يفسره الاّ انهم كانوا متفادين بروح الوحي الى هذا السكوت . واما الكتبة الغير الموحى اليهم الذين كتبوا بعدهم فاتبعوا النسق الطبيعي ولفقوا اخباراً عديدة تتعلق حسب قولهم بتلك السنين^(٣)

فلماذا هذا السكوت مع ان الوسائل لمعرفة حوادث تلك السنين كانت متوفرة ؟ وجواباً لذلك نقول ان حوادث طفولته أظهرت ملامح طبيعته الالهية الضرورية لاجل صلاحته كمنخلص . فصار من الضروري ان تنجب هذه الملامح مدة كافية لاجل ايضاح انسانيته الحقيقية . لذلك انجب لاهوته عن عشرين سنة استعداده الثلاثين . الى ان برز للخدمة بعد نعمة استعداده فتجددت بينات لاهوته الحقيقي في ما بقي من حياته بين الناس

وهذا السكوت من أهمّ براهين خطا الذين يزعمون ان عمل يسوع الاعظم والأهم كان تقديمه قدوة للناس لاجل التمثيل بها . لان على هذا المبدأ كان لا يجوز حرمان العالم معرفة ما قاله وفعله في السنين التي قضاها في العيشة العادية كأحد العامة يمارس مهنته

لم يقصد البشّرون تدوين حوادث حياة يسوع تاريخياً بل قصدوا بيان كونه المنصلح والمخلص . لذلك اكتفوا بالتاريخ الذي ابتداءً عند مباشرته اعماله علانية ورسمياً بعد بلوغه سن الثلاثين . مع ان الاخبار التي اهلوها كانت نفيدة وتلذّ العالم كثيراً لو أُدرجت

(١) مت ٤٢: ١٢ (٢) يو ٤٦: ٧ (٣) انظر الحاشية في صفحة

ومع ان الناصرة مدينة حثيرة بالنسبة الى كثير من مدن البلاد كانت تناسب من اوجه عديدة لاجل تربية الصبي ثم الشاب يسوع فيها . كانت تجمع هناك زمر الكهنة من مساكنهم المتفرقة عندما تأتي نوبتهم ليجدوا في هيكل اورشليم فيصعدون معاً من الناصرة . والذين يتعذر عليهم الذهاب الى اورشليم يقضون اسبوع خدمتهم في الفروض الدينية في الناصرة . وبذلك كان يسوع يكتسب منهم معرفة امور كثيرة تتعلق بالدين . وكانت الناصرة على احدى الطرق السلطانية الموصلة بين الداخلية والشطوط البحرية . فكانت تمر فيها القوافل المسافرة الى البلاد الفينيقية وإلى مصر . فيرى يسوع من الحركات العمرانية ما يفقه في احوال البشر الزمنية . ثم آل سكنه في قرية حثيرة في اطراف البلاد الى نمو في التواضع وفي البساطة الدينية لبعده عن مركز اليهود الديني حيثما كان الفساد مستفلاً . لان الادعاءات الرياسية والخطرة الريائية والسفسطة التقليدية والتفننات الطقسية كانت قد استولت على قواد الامة في عاصمة دينهم . فخنقت هذه الامور التقوى الحقيقية . وضاع من بينهم روح الدين بواسطة استعبادهم للحرف . وقد ظهرت افكار يسوع من هذا القبيل يوم زار تلك القصة ودان اولئك الرؤساء على ذلك بكلام قارص جداً (١)

ويظهر ان اصل يسوع السماوي كاد يبرح من افكار "ابوي" في سني حياته . ولا عجب لان حياته كانت تسير على اسلوب اعنيادي ما خلا تفوقه في الصلاح . فاعناد اهله النظر اليه كانسان فقط (٢) . وكان في هذا الاغفال خير اذ آل الى حسن تربيته في الطاعة والتواضع والى اختبار احوال البشر المتنوعة بواسطة اختلاطه بقوم في اطوار حياته التي تدرج فيها . ونتيجة ذلك انه تجرّب في كل شيء مثلنا فلو كان ابواه يفتنان في كثير من الاوقات الى حقيقة طبيعته لأمسيا في ارتباك دائم في معاملته . ولكانا بحسبان انه يجب

(١) مت ٦: ١٥ و ٢٣: ٢٣ ومر ٧: ٢٨ (٢) عب ٤: ١٥

عليها الخضوع له في الرأي وإن يقدم له الطاعة وليس بالعكس . وكان إذ
ذاك قد تربي تربية ابعده عن سائر البشر وافقدته الاشتراك التام في الشعور
مع الاولاد والشبان والرجال

هذا ولا نشك ان يسوع كان في حياته في الناصرة متقدماً حرارة وغيره
واشفافاً لرويته مصائب الناس والامهم . ولذلك ندهش أكثر لصبره العجيب
وامتلاكه عواطفه تلك السنين كلها التي فيها كان مخجياً في الناصرة وموجلاً
عملة الخطير الذي نزل من السماء لاجله والذي أشغل كل افكاره

كان عليه ان يمارس يومياً بين قومه حرفته الوضيعة لاجل الارتزاق (١) .
وان يتعلم الفناعة بمجاليه الفقريه والخضوع للأكبر منه سناً ومقاماً . وصحة
استنتاجنا ان ظواهر معيشته كانت اعنيادية تماماً يؤيدها عدم ايمان اخوته به .
وعدم امتداد صيته في البلاد المجاورة . لان تشايل في قانا الجليل على بعد
ساعات قليلة لم يسمع به كل تلك السنين (٢) . ولا اهل كفرناحوم وبيت صيدا
الابعد قليلاً بالنسبة الى قانا . وقد تلخص تاريخ حياته في قول البشير لوقا
” وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح مثلاً حكمة وكانت نعمة الله عليه “ .
وقوله ” واما يسوع فكان يتقدم في الحكمة (في عقله) والقامة (في جسمه)
والنعمة (في روحه) عند الله والناس “ . فيدل هذا الكلام على انه تدرج في
ذلك تدرجاً طبيعياً . وبذلك كان حائزاً ليس فقط على الرضى الالهى بل
على الاستحسان البشري ايضاً . كانسان نتصوره في كل تلك المدة محباً لجميع
الناس . ومستعداً لخدمتهم في كل امر حسن . ومبتعداً عن كل ما يكدرهم
وصابراً على هفواتهم ومعاملاتهم باللطف في سيئاتهم . لم تأت ساعته
بعد التي تطلب منه مقاومة الشر جهاراً فتثير عليه حقن الاشرار . ولم ينل
بعد الشهرة والاهمية التي نهج عليه حسد الكبار

(١) قد اجمع الكتبة على القول بانه عمل في مهنة يوسف النجار ويؤيد ذلك تسمية

اليهود اياه النجار ابن مريم (مر ٢٦)

الفصل السابع

مت ٣: ١٧ - ٢: ١١ - لو ١: ٣ - ١٨ و ٢١ و ٢٢ و ١٠: ٦ - ٨ و ١٥

(المرصع) ف ٥ و ٦ - (الزمان) آخر سنة ٢٦ ب م

وك ٢ سنة ٢٧ ب م - (المكان) شاطئ نهر الاردن

ظهور المعمدان المتنبأ عنه. عمله في الوعظ والتعميد. انباؤه بالمسيح الذي يعبد بالروح القدس. مجيء يسوع ليعتمد منه. رضوخ المعمدان بعد التمتع. المعنى في اعتناؤه حلول الروح القدس بهيئة ظاهرة وصوت من السماء. اشتراك الثالوث الالهي. اقنومية الروح القدس

قبلا بزغ نور الشخص العظيم الذي قال في نفسه "انا هو نور العالم" (١) لاح فجأة في شخص نسيبه يوحنا المعمدان الذي كان على شاكلته لكن دونه كثيراً. اذ اقر قائلاً "لست اهلأ ان انحني واحل سبور حذائي" (٢). سمأه يسوع "السراج الموقد المنير" (٣). وقال فيه الرسول يوحنا انه "انسان مرسل من الله. لم يكن هو النور بل ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته"

كان هذا الفجر المبشر منتظراً بسبب النبوات التي سبقت ظهوره. وهو الوحيد غير المسيح الذي تنبأ عنه قبل ظهوره بمئات السنين. اشار البشرون الى نبوة منها وردت في كتابة اشعيا اعظم الانبياء الذين كتبوا بعد موسى (٤) و اشاروا ايضا الى كلام نبي ثان بعد ثلاث مئة سنة. وهو ملاخي آخر الانبياء

(١) يو ١: ٩ (٢) مر ١: ٧ (٣) يو ١: ٣٥ (٤) اش ٤٠: ٣ - ٥

"صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب قوموا في القفر سبيلاً لاهنا. كل وطاء يرتفع وكل جبل واكمة تنخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً فيعلن مجد الرب ويرأه كل بشر معاً لان فم الرب تكلم ويوحنا ذاته اوضح انه المشار اليه في هذا القول

الذين كتبوا بالوحي . ونبؤته هي الحلقة الموصلة بين العهد القديم واسفاره
والعهد الجديد واسفاره^(١)

بما ان مرمى الانجيل روجي لانتاريجي لا يلام البشرون على اهمالهم كثيراً من
الاخبار التاريخية . لكن الوحي حفظ لنا مقداراً كافياً من الاشارات التاريخية
لاجل معرفة زمن ظهور يسوع تقريباً . وبذلك يزول كل ريب بكون ظهوره
حادثاً حقيقياً تاريخياً لا خرافياً . ثم ان هذه المعلومات التاريخية لها وقع عظيم
في تأييد صدق البشيرين وصلاحيه كتاباتهم سنداً لليقين المسيحي . يستحق الانتباه
الى ان هذه المعلومات تأتي عرضاً لا عمداً . وبما يلتزم مع التواريخ القديمة من
مصادر اخرى يستدل على تاريخ الميلاد بوجه التقريب وأول ثمر هذه المقابلة
بيان خطأ الذين وضعوا التاريخ المسيحي المصطلح عليه حالياً . لان هذا التاريخ
الذي ظاهره يتبدى من ميلاد المسيح اتمداً فعلاً قبل الميلاد بنحو اربع
سنين

فالمبحث المختص بهذا التاريخ بحث مطول ودقيق . يكفينا ان نتعطف
منه رؤوس اقلام . كان التاريخ العمومي قبل المسيح يُحسب من تأسيس مدينة
رومية الذي وقع في سنة ٧٥٣ قبل ابتداء التاريخ المسيحي الحالي . والمؤرخ
اليهودي الشهير يوسفوس يخبر بان الملك هيرودس الكبير مات في ربيع
سنة ٧٥٠ والبشير متى يخبر بان يسوع وُلِدَ في حياة هيرودس . اذاً قبل
سنة ٧٥٠ فلا يمكن ان يكون تاريخ الميلاد بعد ذلك بثلاث سنين اي في
سنة ٧٥٣

(١) ملا ١: ٢٠ و ٥: ٦ "هأنذا ارسل ملاكي فيهي الطريق امامي . وياتي بغتة الى
هيكله السيد الذي تطلبونه . وملاك العهد الذي تسرون به . هوذا ياتي قال رب الجنود .
هأنذا ارسل اليكم ايلى النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والخوف . فيرد قلب الآباء على
الابناء وقلب الابناء على آباءهم لئلا آتي واضرب الارض بلعن"

يسوع يوضع فيما بعد ان هذه النبوة تشير الى المهدان في (مت ١١: ١٤ و ١٣: ١٧
ومر ٩: ١٢ و ١٢) والملاك فسرهما عن المهدان في كلامه لانيه زكريا . (لو ١٦: ١٧ و ١٧)

ثم ان هيرودس باشر ترميم الهيكل في السنة الثامنة عشرة للملكه اي بين ربيع سنة ٧٣٤ و ربيع سنة ٧٣٥. فالبشير يوحنا يخبر بانّه في بدءا خدمة يسوع وهو ابن نحو ثلاثين او احدى وثلاثين سنة حسب قول البشير لوقا كان مضى على تلك المباشرة ٤٦ سنة فان اضعفنا هذه السنين الى ٧٣٤ يكون كلام اليهود ليسوع في سنة ٧٨٠ وان طرحنا من هذا التاريخ سني عمر يسوع آنذا اي احدى وثلاثين سنة نصبح سنة الميلاد ٧٤٩. وذلك بين اربع وخمس سنين قبل بدءا التاريخ المسيحي الحالي

هذان المثالان يدلان على كيفية الاستنتاج من مقابلة معلومات الانجيل العرضية مع التواريخ اليهودية والوثنية

اما نقط هذه المقابلة عدا ما سبق من الكلام فيه فهذه بعضها
١ الاكتتاب الروماني الذي ساق يوسف ومريم الى بيت لحم حتى وُلد يسوع فيها

٢ ظهور النجم للمجوس على فرض البعض ان هذا النجم له دليل تاريخي فلكي

٣ ذكر ذبح الاطفال في بيت لحم بامر هيرودس وبما ان هيرودس مات سنة ٧٥٠ ق م وذبح الاطفال حُصر في سن الاثنتين فما دون لا يمكن ان يكون يسوع قد وُلد قبل سنة ٧٤٨

٤ صلبه في نحو السنة الثالثة والثلاثين من عمره في عهد بيلاطس البنطي الذي ابتداء حكمه في اليهودية سنة ٧٧٩ اي قبل صلب المسيح بثلاث سنين

٥ صلبه في ابام رياسة قيافا رئيس الكهنة وقبل موت حميه وسلوه حنّان وقيافا تولى الرياسة من ٧٧١ الى ٧٨٩

٦ اخبار لوقا في تاريخ ظهور المعداد الذي سبقت ولادته ولادة يسوع بستة اشهر لانه ذكر لذلك سبعة اسماء تعيننا في تثبيت سنة

الميلاد على وجه التقريب (١)

وخلاصة التنقيب قد أدت الى تقرير آخر السنة الخامسة او أول الرابعة قبل المسيح تاريخاً لولادته . ففي أول السنة ٢٠ م يكون عمر يسوع سنة واحدة وفي أول السنة ٢٧ م يكون عمره ٢٠ سنة . وهذا اتخذناه تاريخاً اعتماد يسوع ومباشرته خدمته العلنية (٢)

ان لوقا وحده أرّخ زمان ظهور المجدان لكن البشيرين اجمعوا على بيان رفعة مقامه . فقرّر مقامه أولاً بواسطة تلك النبوات التي سبق ذكرها . فقرّر ايضاً بواسطة سلسلة المعجزات الممتازة التي رافقت ولادته (٣) ثم بواسطة القوة الفائقة التي ظهرت فيه حتى جذب الامة جماهير الى وعظه ومعوديته . لانه تسلّط نسلطاً روحياً وادبياً على الشعب وعلى رؤسائهم حتى على ملكهم الشرير هيرودس أنتيباس . فصار اليهود يتسألون قائلين "ألم هذا هو المسيح" ونال هذه السطوة دون شيء من الظواهر المجدية التي كان اليهود بصوّرونها لمسيحهم متى جاء . ودون ان يفعل معجزة واحدة في زمانه (٤)

اما الذي ايد عظمة مقام المجدان تأييداً صريحاً كاملاً فهو شهادات يسوع له . قال عنه للشعب "ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا ؟ أنبياء

(١) الأول الامبراطور طيباريوس قيصر رومية الذي صار هذا الحادث في السنة الخامسة عشرة من حكمه . الثاني والي اليهودية بيلاطس البنطي الوطن وقد سبق ذكر تاريخ حكمه . الثالث رئيس الربع في مقاطعة الجليل وطن يسوع وهو هيرودس انتيباس ابن هيرودس الكبير حكم الى السنة ٧٩٢ وكان يلقب بدون حق شرعي ملكاً . الرابع رئيس الربع في المقاطعات المجاورة للجليل وهو هيرودس فيلبس اخو انتيباس الأكبر حكم الى السنة ٧٨٦ في حوران والجهاء . الخامس رئيس ربع آخر اسمه ليسانيوس المتوني مقاطعة ابلية لجهة الشام . السادس حنان رئيس الكهنة القديم الذي عزل قبل هذا الوقت بتسع سنين . والسابع صهره قيافا خلفه في هذه الرئاسة الدينية (٢) اعظم اختلاف على التاريخ الحقيقي لظهور يسوع لا يتناول أكثر من خمس سنين . يراجع الشرح التاريخي في مرشد الطالبين صفحة ٥٧٦ طبعة ١٨٨٦ واتفاق البشيرين ٨٥ وتفسير ادي لوقا ٢٢ و ٢٨

(٣) انظر ف ٢ (٤) يو ١٠: ٤١

نعم اقول لكم وافضل من نبي *** الحق اقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء اعظم من يوحنا المجدان^(١). كانت عظمته من النوع المشار اليه في قول دانيال النبي "والفاهمون يضيئون كضياء المجلد . والذين ردوا كثيرين الى البر كالواكب الى ابد الدهور"^(٢)

ان يوحنا المجدان يتقدم بروح ايليا ونشاطه امام ملك اسرائيل الحقيقي حياً واحتراماً عند قدومه الى مملكته الارضية . كما ركض ايليا بالذات امام مركبة ملكه الشرير آخاب من الكرمل الى قصره الملكي في بزرعيل^(٣). وكان غرض يوحنا كغرض ايليا اي تبكيث شعب الله على حيلانهم عن شرائعه تعالى وعلى انقيادهم الى العادات الفاسدة التي اقتبسوها من الامم حولهم

الضمير في البشر يسوقهم جماهير ليصغوا الى الواعظ الذي يأتيهم بروح الانبياء العظام. نظير موسى الذي "قبل اقوالاً حية ليعطينا اياها"^(٤) وبروح الرسول بطرس الذي كتب "ان كان يتكلم احد فكاقوال الله وان كان يخدم احد فكأنه من قوة ينجها الله لكي يتمجد الله في كل شيء يسوع المسيح الذي له المجد والسلطان الى ابد الابد"^(٥)

الواعظ المملوء من الروح القدس نظير المجدان لا يفتقر الى سامعين . لانه لا يلتمى بالمقالات الفلسفية ولا يتكلم من نفسه ولا يعظ لان الوعظ حرفته التي يرتزق منها او يرضي الناس بها . بل يعظ كمن يسمع في روحه كلام الله "فالآن اذهب وانا اكون معك واعلمك ما تتكلم به"^(٦) وكمن يشعر مع بولس لما كتب "ويل لي ان كنت لا ابشر"^(٧)

نتم المجدان صغيراً وليس له اخوة ولا اخوات . ولما بلغ في السن لم يتبع اياه في رتبة الكهنوت . لانه علم انه نذير لله فاتخذ البرية مسكنه والجراد والعسل البري طعامه وثوباً من وبر الابل لباسه . والمجلد منطقته . والزهد بالدنيا ديدنه .

(١) مت ١١: ١١ و ١٢ (٢) دا ١٢: ٣ (٣) امل ٤٦: ١٨ (٤) اع ٢٨: ٧

(٥) ابط ١١: ٤ (٦) خر ١٣: ٤ (٧) اك ١٦: ٩

موسى وداود وإيليا قبله ويسوع وبولس بعد استعدوا في البرية لاجل اعمالهم الخطيرة . لكن يوحنا قضى سنه كلها في البرية حتى ان السبعن الذي قُطع فيه رأسه كان في البرية

فخالف بذلك خطة يسوع الذي قضى سنه كلها بين اخوته واخوانه ومواطنيه في الناصرة يتعاطى صناعته بينهم ويختلط بهم كأحدهم . ثم في النجول في المدن والقرى بين الجماهير المزدحمة في كل انحاء البلاد ويلاحظ ان قصة المعدادان كقصة يسوع لخلو حياته من الاخبار بين طفولته وسن الثلاثين فالتقول الوحيد الذي ورد عنه في هذه المدة كلها هو "وكانت يد الرب معه . واما الصبي فكان ينمو ويتقوى بالروح . وكان في البراري الى يوم ظهوره لاسرائيل" (١)

ومع ان المعدادان لم يماثل يسوع في معيشته الخارجية مائلاً في التمسك التام بالامور الروحية . والاهتمام بخير الناس . والغيرة على اصلاحهم . والجرأة في الانتصار للحق والبر . ومحاربة الشر على انواعه بين كل طبقات البشر . وكان نصير المساواة بين الناس يحط الرفيع منهم وينهض الوضع . ويقوم الموعج . ويهد الطريق الى الصلاح ثم الى السماء . وكان نصير السلام يرد القلوب المتباعدة بعضها الى بعض . وفي كل هذا اتم النبوات التي وردت بشأنه . ومنها ما صرح بان موضوع كرازته يكون محيي المخلص الذي هو المسيح الرب . وقد قرن الغفران بالتوبة في معموديته بياناً للحقيقة الجوهرية ان الغفران ليس امراً موجلاً يناله الخاطئ عند موته او في المستقبل بعد ان يظهر حقيقة توبته بالافعال الصالحة . بل هو هبة الهية تعطى حالما نتولد في قلب الخاطئ ندامة صادقة ومخلصة نقود النادم الى الالتجاء الى الرحمن

(١) لو ٦٦: ١ و ٨٠ اقتضت وظيفته ان يباشر عمله الجماهيري قبل ظهور المسيح بقليل ولما كان اليهودي يباشر الخدمة الدينية في نحو سن الثلاثين اقتضى ان يولد المعدادان قبل يسوع بقليل . وهكذا صار كما تبين سابقاً في اخبار ولادتها

وكان يأتيه المتنفذون في الدين اي الفريسيون ^(١) وفي السياسة اي الصدوقيون ^(٢). الفريسيون (والكنية منهم) كانوا اشد القوم تعصباً وتمسكاً بقواعد الدين ولا سيما في امر النجاسة والتعشير. يقول يوسيفوس انهم كانوا كجمعية عدد اعضائها نحو ٦٠٠ وكانوا اقرب للشعب من الصدوقيين والشعب ينقاد اليهم. وكانوا القواد في العصيان على الحكومة الرومانية الذي ادى الى خراب اورشليم الاخير. واتخذوا لذواتهم اسم حيريم او قصيديم اي الانبياء. لكن خصومهم سموهم فريسيين (منفردين). وكانوا يتباهون كثيراً بالمظاهرات الدينية الفارغة ويدعون رياء بالامتياز في القداسة. "وديانهم كانت قد صارت رياء. وكثرا اعتبارهم للامور الخارجية دون روح التقوى الحقيقية" ^(٣) الا ان جماعتهم لم تخل من رجال ممتازين في العلم والصلاح والغيرة الحسنة نظير نيقوديموس وزعيمهم الاشهر هليل وحفيد غملائيل وتلميذ شاول الطرسوسي الذي صار بولس الرسول

اما الصدوقيون فكان بينهم وبين الفريسيين نفور قوي وخصام دائم وكانت لهم الاكثريّة في المجلس السنهيدريم. وفي زمن يسوع كان رؤساء الكهنة منهم وتفوقهم في الثروة والسياسة عزز مقامهم بين اليهود على رغم انكارهم كثيراً من جوهرات الدين. لانهم انكروا القضاء الالهي ونطرقوا في تعظيم حرية الارادة البشرية. فانكروا فعل العناية الالهية بين الناس. ووجود الارواح والملائكة والقيامة. فيجوز ان يسموا مادّي عصرهم. لقبهم خصومهم (زنديق) وهي كلمة فارسية معناها كافر فكانت افكارهم دنيوية وكان اعتبارهم للديانة اعتباراً سطحياً ^(٤)

صرح المهدان هؤلاء المدعين الظالمين المضلين ان الاتكال الديني على مجرد صحة المعتقد وصواب المذهب او الاعتماد على المقام الديني المعطى من

(١) قاموس الكتاب ١٥٤:٢ (٢) قاموس الكتاب ٢:٢ (٣) للدكتور

بوست (٤) من مقالة للدكتور بوست

بشر باطلان. لان على رؤساء الدين دينونة اعظم ان كانوا لا يأتون باثمار
تليق بالتوبة

لا بد ان الفكر المنتشر في البلاد زمثذ بأن ظهور المسيح قريب كان من
اسباب ازدحام الجمهور حول المعداد. ولما قال علانية ان المسيح قد جاء
زاد اليمان الديني في افكار العموم. فتقاطروا الى هذا المبشر اكثر فاكثر. لكنه لم
يدارِ خاطراً ولم يراعِ مقاماً في توبيخاته القوية الصريحة على ضروب الشر
المتنوعة. برهن بجرأته وانصافه اهلته للوظيفة النبوية التي لبسته. بهز يد انكار
الذات الخبائث بانه ليس اكثر من صوت صارخ في البرية ينطق باوامر الهية تسلمها
ليسلمها للشعب كما صرح عنه في النبوة القديمة المشيرة اليه. ونبههم الى ان الوقت
قد حان لوضع الفأس على اصل الشجرة التي لا تثمر اثمارة صالحة. وان بيد
مسيحهم القادم رفشاً لتقية بيده واحراق البطالين بنار لا تطفأ بعد جمع
الصالحين الى مخزنه

هذا الصوت الصارخ في البرية كان صدى صوت الرعود على جبل
سيناء عند انزال الشريعة الظاهرة على موسى. فحرك الناس ليفتكروا بالنجاة.
ولما رآهم المعداد مرتعين سألهم مونباً "من اراكم ان تهربوا من الغضب الآتي؟"
اراهم ان النجاة لا تكون بالهرب بل باصلاح سيرتهم. وحقق لهم ان مجرد
تسلسلهم من ابراهيم لا ينجوهم البركات التي وعد الله نسل ابراهيم بها. لان الله قادر
ان يقيم من الحجارة اولاداً لابراهيم. ولكن لا يمكن ان يحسب نسلأ لابراهيم اناساً
يخالفون ابراهيم وصلاحه. فظهر تأثير وعظه في المسائل التي تقدمت له لاجل
الارشاد الديني من صفوف الناس المختلفة. وظهرت حكمته في اجوبته

انما لم يكن الارهاب ديدنه الوحيد. فانه بشرهم بالعمل الفائق الذي يقوم به
المسيح متى ظهر. وانه هو يقدر ان يعدهم بماء للتوبة^(١). لكن هذه المعمودية ليست

(١) اردف وعظه بسنة المعمودية بالماء وبذلك كما وعظ للأذان بالكلام وعظ ايضاً

للاعين بالرمز المنظور

الأرمزاً ونهيداً للعمودية التي يفتقر اليها كل خاطئ لاجل الخلاص. وهذه هي المعمودية بالروح القدس التي يستحيل على اعظم الرسل والانبياء ان يعمد بها. لانه عمل منوط بالاله وحده. فلما قال ان المسيح يعمد بالروح القدس اعلن للناس ان يسوع المسيح حقاً هو الاله المتأنس. ولما قال ان المسيح الذي يأتي بعد كان قبلة قدّم برهاناً آخر بان يسوع لم يكن مجرد بشر.

لا شك ان المعمدان مهدّ كثيراً في اشهر خدمته الجهارية طريق المسيح. لان تأثير وعظه كان استعداداً داخلياً في كثيرين لاستماع تعليم يسوع وقبوله فيما بعد. وكان وعظه بان ملكوت الله قد اقترب ذات الوعظ الذي افتتح يسوع خدمته به.

لما اختار الله هذا الرجل من النسل الكهنوتي ليهي طريق المخلص ويوصل بين العهدين القديم والجديد اقامة نبياً لا كاهناً. وجعله الحلقة الاخيرة في سلسلة الانبياء والاولى في سلسلة المبشرين الجديدة. اختاره من انساب يسوع في الجسد تكريماً وتعزيراً للعلاقات العائلية بين البشر. فالعائلة هي اساس المجتمع الانساني. واقدس فروعه. وهي اساس في الدين ايضاً. فبعد كل رأس عائلة كاهنها ورئيسها الديني لا الزمني فقط. فالدين في المدارس حتى في المعابد ايضاً تابع للدين في العائلة.

رنّ صوت هذا الصارخ في البرية فلاً البلاد الى اقاصيها. فجملة صيته مهوباً عند الجميع من الملك هيرودس انتيباس فما دون. وفي ذات يوم اناه يسوع الى بيت عبرة^(١) على ضفة الاردن من الناصرة على بعد سفر يوم. وهو قد اكمل السنين الثلاثين الاستعدادية. طال انجاب حتمية امره عن ابصار العالم حتى عن ذويه في وطنه بالنسبة الى عظمة عمله المقبل. وهكذا يطول انجاب البزرة في الارض بحسب اهمية الشجرة التي ستكون منها ومدة دوامها.

(١) وتسمى ايضاً بيت هنيّا لكنهما ليست التي سكنها لعازر واخذه قرب اورشليم

اما الآن فقد حان زمان ظهوره ومباشرته عمله الخلاصي . فامتزج مع الجمهور الغفير الجرار المحيط بالمعدان في البرية . نظرهم يتقدمون ويعترفون بالمعدان بخطاياهم وينالون منه المعمودية بالماء اشارة الى المغفرة ثم النصائح المناسبة لكل واحد . رأى هبة هذا النبي الجديد واحترام الجمع اياه وخضوعهم له . وسمع لهجة سلطنته الروحية في كلامه

حتى انه تقدم بنفسه ليطالب كغيره ان يعتمد المعدان . طلب المعمودية لكنه لم يقدم شرطها اي الاعتراف والتوبة . فكيف يعتمد المعدان ؟ لا بد من حديث يشتركان فيه ومن ملاحظة المعدان ان هذا الشخص المجهول مزين بهيبة القداسة . فبدلاً من ان يطلبه المعدان للتوبة اعتبره اعظم منه واطهر . ورفض حالاً طلبه ان يعتمد منه قائلاً "انا محتاج ان اعتمد منك وانت تأتي الي" ؟

كان يوحنا ذا مقام رفيع لانه من السلالة الكهنوتية الهرونية الممتازة . ومن اليهودية اشرف اقسام الارض المقدسة . ومع ذلك لا تتعجب من كلامه هذا لو علم ان الذي يخاطبه هو المسيح الذي طالما نادى بقرب مجيئه واطنب في وصفه وتشوق الى رؤياه . لكن اعترافه الصريح بانه لم يكن يعرفه ^(١) يجعلنا نعجب انه يصوب كلاماً كهذا الى نجار مجهول من وطن حقير . لم يتذلل امام رؤساء البلاد حتى ولا امام الملك ذاته . قد سمعنا صوته بالامس للرؤساء بين الجمهور قائلاً "يا اولاد الافاعي من اراكم ان تهربوا من الغضب الآتي" ؟ فصعيف يتذلل الآن امام النجار الناصري ويقول لهذا الشاب الغريب "انا

(١) كنا نظن ان هذين النسيين في الجسد والروح صديقان وان المعدان عرف من ابويته قصة ميلاد يسوع العجيبة . وانها التقيا مراراً في زيارتهما المفروضة لاجل حضور الاعياد في اورشليم . لذلك نستغرب كثيراً قول المعدان "وانا لم اكن اعرفه" . لعلنا قصد بهذا القول لم اكن اعرفه كما هو معرفة كافية وكاملة . بمعنى كهذا قال يسوع لفيلبس بعد ان كان عاشره اكثر من ثلاث سنين "انا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس"

محتاج ان اعتمد منك؟

في قوله هذا اظهر انه مع كل تقواه وغيرته ونجاحه في خدمة الدين وانتصاره للصالح وحياته التقشفية يشعر انه خاطئ وينتقل الى من بعده هو بممودية التوبة . تواضعه برهن عظيمة . وقد سبق القول في ان التفوق في الشعور والخطئة والنصور مع الاقرار بذلك يرافق دائماً بين البشر التفوق ايضاً في الصلاح . فجواب يسوع على اعتراض الممدان كان بالرزانه والحكمة كأنه معلم يخاطب تلميذاً له . قال "اسمع الآن لانه هكذا يليق بنا ان نكمل كل بر" (١)

لا بد من الوقوف تجاه هذه العبارة لانها اول كلام حفظ لنا من كلام يسوع بعد ما بلغ سن الرجولية . ولانها القول الثاني فقط من نحو العزيز . من قوله "هكذا يليق" نعرف انه اعتمد لياقة لا وجوباً واخياراً لا اضطراراً . فلم يقل كما قال الممدان "انا محتاج ان اعتمد منك" لاق ان يعضد بهذه الوساطة خدمة الممدان . ويزيد تأثيره الحسن بين الناس ويقوي بقدرته تيار القادمين اليه ليسمعوا وعظه ويطلبوا معموديته . وان يمكنه بذلك من تقيم هذا القسم من مرسلته كهيبة للمسيح طريقة

ولاق ان يقتبل من يوحنا شهادة اظهر فيما بعد اعتبارها اياها . لانه بذلك سهل على الشعب ان يؤمنوا به ان شاءوا . ولاق ان يقدم برهاناً ناطقاً لتواضعه الكلي لكي يسبق فعله قوله بلزوم التواضع في رجال الله . ولاق ان يحترم سنة المعمودية التي قصد ان يرسمها سرّاً اولياً من سرّي الكنيسة الى كل الاجيال يمارسه تابعوه اقتداء به مبيّناً بذلك ارادته في حفظ بعض الطقوس الخارجية في كنيسه . ولاق ان يوصل باعتماده بين العهدين القديم والجديد لانه خضع للاول لكي يحوّل الى صورة جديدة مسيحية . ولاق ان ينزل نفسه في منزلة الخطاة التائبين الطالبي الاعتماد لانه هو الذي "اخلى نفسه اخذاً صورة عبد

صائراً في شبه الناس . واذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وإطاع حتى الموت موت الصليب^(١) . فكما تنازل وهو الخالق واخذ من العذراء طبيعته البشرية ومن يوسف ومريم تربيته البنوية ومن مواطنيه معيشته الزمنية تنازل فاخذ الآن من رسوله المتقدم معمودية التمهيدية

خضع المعمدان لهذه الكلمة من يسوع "فسمح لهُ" ونزلاً معاً الى النهر لكي يُعمد التلميذ معلمه والعبد سيده والخاطئ مخلصه "هكذا لاق ان يكمل كل بر" . فنرى في المعمدان ان التواضع الذي رفض أولاً ان يعمد يسوع هو التواضع الذي خضع أخيراً وعمده

كان في معمودية يوحنا معنيان . اصغرهما يشير الى التطهير من الخطيئة وثانيهما واكبرهما يشير الى التخصيص لخدمة الملكوت الجديد الذي سوف يقيم يسوع . والى حياة جديدة يحياها المعتقد

بالمعنى الاول يعتمد يسوع لا شخصياً بل نبياً ورمزياً . عدّ يسوع في محل خاطئ لاتخاذ شبه جسد الخطية^(٢) . عند اليهود كان يسمي الطاهر نجساً ان لمس ميتاً . فيسوع بلامسته جنسنا الخاطئ عدّ خاطئاً لانه حسب كلام النبوة "أحصى مع اثمة" وعلى هذا البناء النبائي اشترك في معمودية التوبة . وبهذا المعنى قال الرسول ان الله "جعل الذي لم يعرف خطيئة خطيئة لاجلنا"^(٣)

ولكن بالمعنى الثاني يعتمد جدياً وشخصياً . لانه يدخل الآن في خدمته الجهارية الخلاصية في انشاء هذا الملكوت والترأس فيه . كان غيره من المعتمدين يدخل على حياة جديدة بواسطة ما يناله . الا ان حياة يسوع الجديدة تقوم بما يناله للناس . في اعتماده اخذ المسحة القانونية التي تتطلبها وظائفه الثلاثة كني وكاهن وملك

عند يوحنا يسوع بالماء وصعد يسوع للوقت من الماء عالماً بما لهذه الساعة من الاهمية الفائقة في مستقبل حياته الارضية ومستقبل تاريخ البشر . اما معظم

(١) في ٨:٢ و ٨ (٢) روم ٢:٨ (٣) اش ٥٣: ١٢ (٤) ٢ كور ٥: ٢١

افكاره فكانت متجهة الى غير هذه المعمودية . هو عالم باحتياجه كائن الانسان الى الاعتماد بالروح القدس الذي هو شرط ضروري في كل معمودية مسيحية ثابتة فشعر في هذه الساعة الموقرة بقرب الآب منه وبرضاه التام عنه . ولذلك كان امراً طبيعياً ان يصلي وهو صاعد من الماء بعد العماد . ومن الاستجابة التي نالها عرفنا ان صلاته كانت لاجل حلول الروح القدس عليه بنوع خصوصي . لانه علم ما ظهر بعدئذ ان قوته كائن الانسان لاجل قهر ابليس وصنع المعجزات وعلان التعاليم الالهية والقيامة من قبره وتأسيس الكنيسة بعد قيامته ثوقف على عمل الروح القدس فيه وبواسطته

لما قرع باب السماء بصلاته انشقت وانفتحت له . وحل عليه الروح القدس حسب طلبه . وانفتحت السماء للذي بيده مفاتيح ملكوت السموات "الذي يفتح ولا احد يغلق ويغلق ولا احد يفتح" (١) فلا عجب انه امر تابعيه بعدئذ قائلاً "افرغوا يفتح لكم" (٢) قبل ان علم الناس الصلاة بقوله علم ذلك بفعله . لان حياته كانت مشحونة بالصلاة . صلى لما اعتمد . ولما تجرب . ولما صنع المعجزات . ولما انتخب رسله . ولما كسر الخبز للطعام . ولما رسم العشاء الرباني . ولما تألم في بستان جنسيمان . ولما ودع تلاميذه . ولما علق على الصليب ويظهر ان يوحنا كان موعوداً بعلامة بها يعرف المسيح لانه قال "الذي ارسلني لاعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترعى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعد بالروح القدس . وانا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله" (٣) . هذا الوعد كان سبباً كافياً لانتخاذ الروح القدس هيئة جسمية . لان المجدان حالما شاهد تلك الهيئة الحمامية (٤) حالة على يسوع عرف دون ادنى ريب ان هذا هو الذي قال عنه سابقاً انه يأتي بعد الذي كان قبله الذي يعد بالروح القدس

١ رؤ ٢: ٢٣ (٢) مت ٧: ٧ (٣) يو ١: ٣٣ و ٣٤ (٤) الحماسة في اصل الخلقوات رمزاً للقداسة

اخبرت الحمامة في ايام نوح لتعلن ظهور رؤوس الجبال الصخرية المنقذة فوق سطح المياه المهلكة التي غمرت بلدان الارض وسكانها ودمرتها. والآن اخبرت هذه الهيئة لتمثل الروح القدس المعلن ظهور صخر الدهور المنقذ فوق سطح مياه الخطيئة المهلكة التي غمرت ودمرت ولن تزال تغمر وتدمر جميع الذين لا يلجأون الى هذا الصخر لاجل الخلاص

فتمت بهذا الحلول تلك النبوات القديمة الباهرة المعلنه ان المسيح متى جاء يحمل عليه روح الله بقوة^(١). لكن لا يؤخذ هذا الحلول الخصوصي دليلاً على ان الروح القدس لم يكن مائلاً قلبه قبلة حتى وقبل ولادته ايضاً. لان هذه الولادة ذاتها كانت بواسطة حلول الروح القدس على والدته. اما الآن فحمل عليه حلولاً خصوصياً ممتازاً كخلاص عند شروعه بعمله الخلاصي ومع حلول الروح القدس على الابن الازلي المتأنس سمع حالاً صوت الآب مستحسنًا. قيل "وكان صوت من السماء قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت". ثم تحقيقاً لايمان المجدان كان هذا الصوت ضرورياً لتحقيق الرؤيا وتفسيرها وهذه هي اولى المرات الثلاث في تاريخ يسوع التي فيها سمع صوت الله من السماء

بهيء هذا الصوت اجتمعت الاقانيم الثلاثة في الاله الواحد على صورة جليلة ومؤثرة للغاية عند تكريس المخلص. وبناءً على هذا الظهور في اعتماده نرى يسوع يوصي تلاميذه ان يعدوا كل من يؤمن به "باسم الآب والابن والروح القدس"^(٢)

(١) "يخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من اصوله. ويحمل عليه روح الرب روح الحكمة والتهمة والنعمة والنعمة والنعمة" وايضاً "روح السيد الرب علي". لان الرب مسخي لابشر المساكين. ارسلني لاعصب منكسري القلب لانادي للمسيحين بالعنق وللمأسورين بالاطلاق لانادي بسنة مقبولة للرب لأعزي كل النائحين" اش ١: ١١ و ١٦: ٢١ (٢) تسمى المعمودية سرّاً في الكنيسة المسيحية لانها تشير الى فعل يفعل روح الله القدوس في قلب المؤمن الجديد

ظهور الروح القدس متخذاً هيئة جسمية يريد شخصيته كذات له افعال تخص به . وكما يقال في الآب بعض ما لا يقال في الابن . وفي الابن بعض ما لا يقال في الآب . هكذا يقال في الروح القدس بعض ما لا يقال في الآب او في الابن . في فجر الخلق ظهر فعل الروح الذي كان "يرف على وجه المياه" (١) واوجد الحياة على الارض . وهو الذي يوجد في البشر حياة جديدة روحية بعد موتهم في الذنوب والخطايا . وهو الذي بطوله احيا جرثومة الكنيسة لما حل على ١٢٠ تلميذاً والرسول ومرمى ام يسوع منهم في عليه صهيون في يوم الخمسين . واهلهم لينشروا في كل انحاء المعمور انجيل يسوع المسيح . وليجمعوا في كنيسة المنظورة شعباً غنياً في الاعمال الصالحة

لا نعلم تماماً ان كان احد غير يسوع والمعدان رأى هذه الرؤيا السماوية اوسع هذا الصوت الالهي . لدينا امثلة امتياز المؤمنين فوق غيرهم في احوال كهذه إذ يسمع الشخص المقصود كلاماً مفهوماً او يرى رؤيا واضحة . واما غيره من الحاضرين فيسمع صوتاً لا كلاماً ويرى نوراً لا شخصاً (٢)

فما اعظم ابتهاج المعدان في هذه الساعة لانه بعد جده الكلي في التبشير يقرب ظهور المسيح وانتظاره يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام راه الآن واقفاً امامه وهو قد تشرف بان يعده

نرى في اعتماد يسوع تجهيزاً حريياً لعراك هائل اوشك ان يقع . وعلى نتيجته نتوقف صلاحيته لان يكون مخلصاً للعالم

—

الفصل الثامن

مت ٤: ١-١١ و مر ١٠: ١ و لو ١٢: ١-١٢

(المرصع) ف ٦ (الزمان) ك ٢ وشباط سنة ٢٧ م.

(المكان) برية اليهودية

شخصية ابليس . الداعي لتجرب يسوع . خطة التجرب . المقاتلة بين تجرب آدم
ويسوع . صوم يسوع . التجربة الاولى . تجرُّبه كابن الانعمان . معاني هذه التجربة . التجربة
الثانية ومعانيها . التجربة الثالثة ومعانيها . نتائج انتصاره على ابليس

قد سبق في خبر طفولية يسوع بيان شيء من اعمال ابليس التي ظهرت
في تصرفات هيرودس الملك^(١) . لكننا لم نعد الى الآن في تاريخ يسوع على
ذكر اسمه ولا على اخبار صريحة عنه . اما الآن فقد وصلنا في درسنا الى
رؤية صورته بجلاء اذ تذكر اسماء الثلاثة "التجرب" و"ابليس" اي المشتكي
و"الشیطان" اي العدو . ويصور كما جهم على يسوع آملاً بان يجعله يخطئ
فلأجل ادراك خبر هجومه على يسوع يوافق ان يتبدأ بنظرة عمومية في شأنه
يقين من الكتاب انه شخص حقيقي روجي مجرد عن المادة وشرير جداً
جداً . وانه رئيس ملائكة الشر الذين اشار اليهم يسوع في كلامه عن "النار
الابدية المعدة لابليس وملائكته"^(٢) . قيل "ان الله لم يشفق عليهم لانهم
اخطأوا ولم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم . ففي سلاسل الظلام طرحهم في
جهم وسلمهم محروسين للقضاء . وحفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود ابدية

تحت الظلام" (١). ويسمى أيضاً "رئيس هذا العالم" (٢) "واله هذا الدهر" (٣) "ورئيس سلطان الهواء" (٤). لانه بقوة حذقه الفائقة يتسلط على البشر تسلطاً عظيماً وغريباً جداً. واهم البراهين على كونه شخصاً حقيقياً مهماً ومتقدراً امر يسوع تابعية ان يذكره في صلاتهم مهما اختصروها ويقولوا "نجنا من الشرير" (٥). ليس من الشر ولا من الاشرار بل من الشرير

ويتضح ايضاً من الكتاب بان هذا التسلط مقيد بالسماح الالهي. وان ابليس يعترف بذلك ويطلب هذا السماح ويعطاه احياناً (٦). انما القصد الالهي في هذا السماح هو حي محض نحو الذين يجربون. لان المتصرين منهم ينالون التزكية والتقوية والتعجيد. والذي يدفع كل ريب في مزية الحب الخالص في هذا السماح هو تجرب يسوع حبيب الله ووحيد في طبيعته البشرية. لان الذي اصعد الى البرية ليحرب من ابليس هو الروح القدس الالهي

ولا يخفى الفرق العظيم بين نوعي التجربة. لان الاول هو لاجل الامتحان التحيري بقصد التزكية والتقوية والتعجيد نظير ما فعل الله بابرهم (٧). وفيه يجد الرسول سبباً عظيماً للفرح (٨). والثاني هو لاجل الاغواء الشرير. وفي هذا قال الرسول ذاته "لا يقل احد اذا جرب اني اجرب من قبل الله لان الله لا يجرب احداً" (٩)

ليس حادث بين حوادث حياة يسوع اصعب تفسيراً من حادث تجربه. ومن جملة المصاعب التوفيق بين طهارته النامة والقول بانه "تجرب" في كل شيء مثلنا (١٠). فابن تجرب القدوس من تجرب الاثيم؟ ان ما تيقنه تماماً من سمو صفات يسوع لا يدع مجالاً للظن بان تجربه كان وهماً او صورياً وهو قد اورد خبره على الصورة الموجودة في الانجيل. اذ ليس

(١) ٢بط ٤: ٢ مع يهو ٦ (٢) يوح ١٤: ٣٠ (٣) ٢كو ٤: ٤ (٤) اف ٢: ٢

(٥) مت ١٢: ٦ (٦) اي ١٢: ١ و ٦: ٢ ولو ٦: ٢٢ و ٢١: ٢٢ انظر ايضاً رو ١١: ٢

(٧) ١: ٢٢ (٨) يع ٢: ١ (٩) يع ١: ١٢ (١٠) هب ٤: ١٥

آخر يعرف هذا الامر لتجرب عنه . ولان يسوع يترفع كثيراً عن تصوير
الوهم كأنه حقيقة . وعن الاخبار بمجاذبه لم تقع ومع شخص لا وجود له . ويترفع
رسلة عن اخلاق خبر سرّي مهم كهذا عن معلمهم وسيدهم وربه

يكشف يسوع بيك في خبر تجرّبه الستار عن سرّ عميق من اسرار
اخباراته الروحية . والحنة الشديدة التي اجناها منفرداً تماماً عن سائر البشر
وهذا الخبر هو الوحيد بين اخبار الانجيل الذي يتوقف كشفه على يسوع
وحده . فبناءً عليه يجب على المفسر ان يتخفّظ من الجزم في شيء يتعلق بتجرب
يسوع الا ما ذكر صريحاً . وان يلتزم ايضاً مزيد الوقار

يريد البعض ان يعتبروا ان الشيطان ليس الا خيالاً يُستخدم للتعبير
عن الشر الداخلي الذي يقود الناس الى الخطيئة . وان القول باستقلاله
الشخصي هو من الخرافات التي لا تخلو من فائدة . لكن خبر تجرب يسوع
يعارض هذا الرأي تماماً . لان خلوق قلبه وافكاره التام من كل فساد حتى
جرائمه ومن كل ميل اثم حتى اثره يقضي بان التجربة للخطيئة لا يمكن ان تاتي
من داخل . باب التجربة في قلبه لا يمكن فتحه الا من خارج . فيستوجب تجربته
شخصاً شيطانياً خارجاً عنه (١)

قد اشرف يسوع بانتهاء سني الاستعداد على خدمته الجهارية . لكن عليه
ان يمرّ اولاً في اثون التجرب ليثبت اهليته ليكون المخلص والمصلح العمومي .
ولذلك يقتضي ان يصارع قائد قوات الشر ويظهره لئتمّ اول النبوات التي
اعطيت للبشر لما قال الله في جنة عدن لابوينا الاولين ان نسل المرأة "سي سحق
راس الحية" (٢) . فعليه ان يذل هذا العاتي الذي لم يذلل بشراً بعد لكي يفتح

(١) انكار شخصية ابليس قديم الاصل ويُعزى الى ابليس ذاته . لان الذي لا يعترف
بوجوده لا يقاومه . وقد اتفق قديماً في هذا الانكار الايكوريون بين الوثنيين والصدوقيون
بين اليهود . ويتبعهم بعض النصارى . ويجد المطالع شروحا مفيدة في مرشد الطالبين

٤٩٩-٥٠٤ وقاموس الكتاب ١: ٦٥٠-٦٥٣ انظر يوحنا ٢: ١٢ ورو ٢: ١٣

(٢) تك ١٥: ٣ مع اش ١: ٢٧ واكو ٢: ١١ ورو ٩: ١٢

لغيره باب الفوز الوحيد بهذا الخصم الجبار . لان غلبة كل من يسلم من مخالفه المملكة لا تكون الا باسم يسوع . وبقوة الروح الذي اصعد الى برية التجربة ثم كلفه هناك بالنصر

ان رئيس الخلاص لا يكمل الا بالالام ^(١) . ومن امر جرعات الالام تسليم ذاته لمصارعة هذا الشرير النجس الخبيث مثل كل ضروب الفساد والقباحة . ونفس يسوع الالهية الطاهرة لا يمكنها الا وتشمز كل الاشتمزاز من ملاصقة مجرب كهذا ستة اسابيع متواصلة . لذلك قال الرسول انه "تألم مجرباً" ^(٢)

ان يسوع خضع كابن الانسان لقوانين الحياة الارضية التي هي وضعه اصلاً . منها ان وراء كل جبل مرتفع وادياً منخفضاً . وعقيب كل ابتهاج عظيم انزعاجاً يضارعه . فارْتَفَاع يسوع وابْتِهَاجُهُ في اعتماده بالامس اُبدلاً سريعاً بانضاعه وانزعاجه في برية التجربة . وينبشنا ايضاً التاريخ المقدس بان الشيطان يترقب زمن ارتفاع الانسان لاجل اسقاطه . وبذلك يتضاعف اذى الساقط مع افتخار الذي اسقطه . يكفيننا شاهداً على ذلك موسى وايليا وبطرس ويهوذا الاسخريوطي . لان ابليس اسقط الاول في خطية الغضب التي حرمته دخول ارض الميعاد بعد عناء اربعين سنة وافقدته نيل امانه حياته الطويلة . وكان ذلك عند بلوغه اوج عظيمه الفائقة ^(٣) . والثاني نال انتصاره الباهر على المملكة وملكها وكنتها على جبل الكرمل ولم يمر عليه اكثر من يوم الا ورماه ابليس في خطية اليأس . فهرب مخذولاً الى برية سيناء بعيداً عن محل ما مورته وطلب الموت لنفسه ^(٤) . والثالث ارتفع الى السماء عند ما مدحه يسوع بكلام بليغ . خلاً اسقطه هذا العدو الروحي في خطيئة الكبرياء . فانتهر سيد محاولاً ان يفسد عملة الخلاص . لذلك عنته يسوع تعنيفاً لم يعامل غيره به قائلاً له

(١) عدد ١١:٣٠ و ١٢

(٢) عب ١٨:٢

(٣) عب ١٠:٢

(٤) امل ٤:١٩

” اذهب عني يا شيطان انت معثرة لي “ (١). والرابع لما استكمل سني تمتعه
بالوسائل الممتازة لتزقيته الروحية بمرافته الدائمة ليسوع ثلاث سنين ونصفاً
استقطه هذا المحرب المقتدر في خطيئة الطمع الفاحش الذي اغرقه في الهوة
العبيقة وجعلت اسمه ان يكون لآخر الزمان مثال قساوة القلب الفاتكة
البربرية والخيانة الشنيعة الدنيئة

فاتخذ هذا الطاغى هذه الخطة عينها مع يسوع . رآه مجدداً للغاية في
حادث اعتماده . وبتنهجا مجلول الروح القدس عليه . وبرضى الآب الممتاز
المعلن بصوته من السماء . فاسرع الى الهجوم عليه باقوى تجاربه مدة اربعين
يوماً املاً باسقاطه في خطيئة من الخطايا العديدة . فانه اسقط قبل هذا
الوقت نسل آدم جميعاً دون استثناء . ولأن يتنسم الفوز على ابن مريم ويرى
ان احوال يسوع الخارجية تسهل له ذلك

لانه عندما هجم ابليس على آدم الاول واسقطه اول مرة كان في جنة
فاخرة حاوية كل اسباب السرور ودواعي التلذذ والرفاه . وكان محيطه
خالياً من كل شر او فساد . حتى ان الحيوانات على انواعها كانت البهة
وطوع امره . ولم يكن يعرف من الانعاب ولا الاوجاع ولا الاحزان ولا
الاستقام شيئاً . وهو عالم ان ليس امامه غير دوام هذا الرغد ما دام على الوضع
الالهي الذي اوجده

اما الآن فان المحرب يجد هذا التجار الجليلي آدم الثاني في برية مقفرة
خالية ليس فقط من اسباب التلذذ بل من الطعام الضروري ايضاً . تحيط به
الوحوش الضارية الكامنة لاقتراس كل انسان تصادفة في حماها . وحياته
السابقة كانت بين جماعة كلهم خطاة وكثيرون منهم متوغلون في الشرور .
فقد آلف رؤية المحرمات واصوات الاثم . واعظم من ذلك انه عالم بانه ان
لم يرجع عن قصده ليس امامه سوى سني التعب والشقاء والقهقير والاهانة

والفشل الحاضر والآلام المبرحة ثم موت الصليب . فكيف لا يكون اسقاطه سهلاً ومكفولاً ؟

في ايام شاول بن قيس ملك اسرائيل الاول اصطفى الجيش العبراني يتوقع مثلها البراز الذي اصبح شهيراً بين زعيمهم وزعيم اعدائهم الفلسطينيين . لان الحكم في اي الشعبين يستعبد للآخر كان متوقفاً على نتيجة هذا البراز^(١) . فالراعي البتلمي الغلام داود بن يسى سلم شعبه من العبودية بفوزه على جليات الجبار الفلسطيني . فيليق ان يقف العالم بأسره تجاه القتال الحيوي الذي يدور الآن بين ابن داود الاعظم وقائد جنود الشر الاعظم جبار الحميم . وان يتوقع مثلها نتيجة هذا البراز الذي عليه يتوقف الحكم في ماذا يكون نصيب البشر الابدي . لانه ان فاز رئيس هذا العالم عدو البشر على رئيس بيت داود مخلص البشر يكون فوزاً اعظم من فوزه الاول في جنة عدن بما لا يقاس . لان بذلك يحى تماماً رجاء البشر بالخلاص الابدي ويمسي استعبادهم لابليس محققاً وموَّبداً

قلنا ان رفقاء يسوع في هذه البرية هم الوحوش الضارية . ونستنتج من الكتاب ان آدم الاول كان قبل سقوطه متسلطاً عليها وليس على الحيوانات الاليفة فقط . وان عداوة الوحوش لبني آدم هي احدى نتائج سقوطه . فلما نقرأ ان يسوع كان مع الوحوش نتصوره يستعيد تلك السلطة . ونشخصه محاطاً بها نظير دانيال في جب الاسود^(٢) تحفظه هيئته المقدسة من انيابها المسنونة . او ليس من شأن ازالة الخطيئة اعادة تلك السلطة المفقودة ؟^(٣) .
أو ليس الرفق بالحيوانات من مقتضيات الدين والادب ؟

لم يأكل يسوع شيئاً مدة الاربعين يوماً والاربعين ليلة التي قضاها في التجرب . فاغنم الجرب فرصة عيائو الجسدي ليفرغ قواه في ثلاث تجارب

(١) اصف ٩: ١٧ (٢) دا ٦: ٢٢ (٣) مر ١٦: ١٨ ولو ١٩: ١٠ طع ٢٨: ٣-٦

واي ٢٢: ٥ و٢٣: ١٣

قوية نهائية . كان صوم يسوع هذا امرًا عرضيًا طبيعيًا . أولاً لان البرية لا تقدم له بسهولة طعاماً . وثانياً لانه مشتغل عن التفتيش عن الطعام لانصرافه الى الامور الروحية . ولا يرضى ان يترك البرية في طلب الطعام الاً بارشاد الروح الالهي الذي اصعد اليها . كان مشتعلًا ابنهاجاً بتأثير حوادث عماده وغيضاً بسبب مكائد مجرّبه الشريرة . وحماسةً من جرّاء تأملاته باحوال البشر التعيسة تحت العبودية لهذا الشرير . وغيره في الافتكار بالسعي لاجل تخليصهم . فهذا الاشتعال المركّب انساه احتياجاته الجسدية الضرورية . فلم يشعر كثيراً بالجوع الاً عند نهاية هذه المدة الطويلة . في عدد ايام هذا الصوم الطبيعي الاختياري^(١) وفي محله مائل كرئيس النعمة سلفيه الشهيدين موسى رئيس الناموس^(٢) وايليا رئيس الانبياء^(٣) اللذين اختارها الله فيما بعد ليزوراه من السماء على جبل التجلي^(٤)

في اغواء حواء اتخذ ابليس صورة حيوان لايئة اذ لم يكن لديه انسان يستخدمه . لكن حالما تسلط عليها ترك الحية واستخدم حواء في اغواء زوجها . ومن ذلك الحين يستغني عن الحيوانات . لان الآلات البشرية متوفرة لديه . وللنجبة بواسطة المقرّين منقول مضاعف . ومما سبق يتبين ان ابليس لما قصد ان يحول يسوع عن عزمه بان يكفر بموته عن خطايا العالم استخدم رسول الممتاز سمعان بطرس

قد سكّنت الوحي تماماً عن بيان الصورة التي ظهر فيها ابليس ليسوع لما حاوره . الاً ان العقل يحكم بانه لم يظهر في هيئة شيطانية . لان ذلك يحذر للكره والمقاومة ويعطل سعيه . ويترجّح ظهوره شخصياً بناءً على ما ذكر من ان ليس في يسوع اساس داخلي للشر حتى تأتية التجربة من قلبه . ويحتمل انه ظهر أولاً بهيئة شخص اعنيادي اقبل عليه في البرية . فان صحّ هذا الفرض يظهر

(١) يلاحظ ان يسوع تمتنع عن وضع فريضة الصوم على تلاميذه وتابعيه (مت ١٤: ٩)

ومر ١٨: ٢-٢٠ (٢) خر ٢٨: ٣٤ (٣) امل ٨: ١٩ (٤) مت ٢٠: ١٧

هذا الزائر نجيته من جوع يسوع الناتج عن قيادة الروح الالهى اياه الى هذا
الفقر. ثم تركه بدون القوت الضروري الذي يعد ايجاده من واجبات
الانسان الاولى. ثم من باب التودد يذكر يسوع ان قوته كايين الله تجعل
سد هذا الخلل امراً سهلاً عليه جداً. لان الذي خلق الحجارة في الاصل لا يعسر
عليه تحويلها كيف شاء. وان لم يفعل ذلك فانه يزرع الشك في كونه حقاً ابن
الله. وبما ان الآب قد اهملة حسب الظاهر لماذا ينتظر امره؟ لا بل يحق له
ان يشك في محبة الآب وان يتدمر على تدير العناية الالهية

فنحن نسأل اليوم طبعاً ما المانع لاجابة اقتراح هذا المجرّب بان يحول
يسوع الحجارة خبزاً لسد جوعه. وما هي الخطيئة او الخطايا التي قصد ان
يولدها في قلب يسوع. لا يصحّ الجواب ان يسوع رفض هذا الاقتراح لكونه
صدر من الشيطان. لان يسوع لم يعترض في جوابه على المصدر سواء عرف
في وقته ان ابليس هو المتكلم او لم يعرف. اعترض على الاقتراح بقطع النظر
عن مصدره. فلا تُعرف ماهية التجارب التي ذكرت في هذا الحادث الا من شكل
اعتراض يسوع واجوبته على اقتراحات المجرّب. لان يسوع اخذ اجوبته
من الكتاب المقدس وعليه بنى احكامه

ولما كانت كلمته الاولى جواباً "مكتوب" اعلن لمجربيه وللعالم انه قدّم ذاته
للتجرب لا كصاحب سلطان يحق له وكما اختار ان يفعل بعدئذ في قوله
للناس "الحق الحق اقول لكم". بل انه تجرب كبشر محض تحت القانون
والطاعة. وكيفية تظير سائر البشر باقوال الكتاب. وفي الوقت ذاته ابان
باستناده على اقوال الكتاب ما هو المرجع الحقيقي في امور الدين. ومع كونه
اقدّر الناس على افحام المجرّب بالحجج الفلسفية اثبت بجوابه "مكتوب" ان قوة
الاحتجاج الديني توجد في ما هو مكتوب في كتاب الله لا في ما يستنبط من
الفلسفة البشرية. لان سيف الروح الماضي ذا الحدين الذي به وحده يقهر

الانسان عدوّه الشيطان هو كلام الله^(١). ولو اتخذ يسوع في جوابه خطة السلطان لما افادنا ذلك مثلاً. لكنه اتخذ الخطة المباحة لجميع المؤمنين وبها نال فوزه

تمسك المجرب بكون يسوع ابن الله^(٢). لان افتخاره يزيد كثيراً ان تغلب على ابن الله. ومع حذفه الفائق نسي ان ابن الله لا يجوع ولا يأكل خبزاً ولا يمكن ان يجرب^(٣). فاصح يسوع وهمه ببيان انه يقابل لا كابن الله بل كابن الانسان. لم يهتم يسوع كثيراً في كل حياته بتذكير الناس انه ابن الله. فبينما يشير الى ذاته في الانجيل كابن الله اقل من عشر مرات يشير نحو خمسين مرة الى كونه ابن الانسان. فلو اسندت طبيعته الالهية طبيعته البشرية وقت التجربة لكان ذلك بمثابة اعتراف منه ان الطبيعة البشرية عاجزة عن التغلب عليها. ولكن لا يصح القول انه تجرب مثلنا. ولا ان يكون مثلاً للناس. فهو لا يفعل في ساعة التجربة ما لا يستطيع تابعوه فعله. وهذا سبب كاف لعدم تحويله الحجارة خبزاً. فضلاً عن انه يريد ان يذوق في نفسه مصيبة الجوع الشديد كون هذا نصيب كثيرين من بني البشر

هذه التجربة الاولى هي الحيلة التي نصح ابليس بواسطتها لما استخدمها في اطغاء حواء للتذمر على الله والاستقلال عنه تعالى لحرمانه اياها الاكل من شجرة معرفة الخير والشر. وفي اطغائه بني اسرائيل للتذمر عليه تعالى والاستقلال عنه بحجة الطعام والشراب. لكن يسوع ابان له انه لا يتذمر على الآب بعلّة جوعه. لان له كلامه تعالى. وهذا هم جداً عند من الطعام الجسدي. وانه لا يستقل عن الآب في التديب. ولا يسعى للتخلص من الجوع الا بامر. وقد ظهرت افكاره من هذا القليل في غير هذا الوقت لما قال "طعامي ان اعمل مشيئة الذي ارسلني"^(٤)

(١) اف ١٧:٦ (٢) كرّر الشياطين بعدئذ الاعتراف بذلك (٣) يع ١٣:١

(٤) يو ٤:٢٤

وقد قصد المجرب في هذه التجربة ايضاً ان يغري يسوع على الاهتمام أولاً بخدمة ذاته . فان اقنعه بان يفعل معجزته الاولى لمنفعته الشخصية يعد ذلك نجاحاً عظيماً له . لانه يعطل عمل يسوع الخلاصي اذ يصير من الذين يعيشون لذواتهم . لكن يسوع جعل ليس اول معجزاته فقط بل جميعها ايضاً خدمة الآخرين حتى اعداءه كما في حادث شفاء اذن ملخس^(١) . ولم يعمل لمنفعته الشخصية ولا واحدة^(٢) وقد صدق الرسول في قوله "لان المسيح ايضاً لم يرض نفسه"^(٣) وضح فيه من هذا التنبيل تعبير مبغضيه وهو على الصليب "خلص آخرين اما نفسه فما يقدر ان يخلصها"^(٤) . فصار هذا المبدأ قانوناً لتابعيه^(٥) الذين وضع لهم شرطاً اولياً انكار الذات^(٦) . ومن اهم وصاياه "اطلبوا اولاً ملكوت الله"^(٧) وفي اقواله كما في افعاله ضرب على الانانية بقوة

ثم ان هذه التجربة معنى غير المعاني الشخصية . وهو معنى يتعلق بعمله بين الناس كخلص ومصلح . اراد المجرب ان يغريه على تقديم الامور الجسدية على الروحية مراعاة لمشرب الناس عموماً . فينضم كثيرون اليه لهذا السبب . ويكون نجاحه في الظاهر سريعاً . فرفض يسوع هذه الحيلة لم يكن وقتياً . لان مبدأه بان لما قال لسامعيه "اعملوا لا للطعام البائس بل للطعام الباقي للحياة الابدية"^(٨) ويجوابه علم البشر في كل مكان وزمان ان خدمة الارواح تقدم على خدمة الاجساد . وان الاحسان الحقيقي هو ما ينفع النفوس قبل الاجساد . وان الاحسان الى الجسم الفاني يقصد به اولاً ان يصير مقدمة ووسيلة للاحسان الى النفس الخالدة

ذاك الذي تجرب مثلنا ولاجلنا وانتصر حاضر معنا في كل معركة

(١) لو ٢٢: ٥١ ذكر كل الشيرين قطع اذن ملخس . لكن الطيب منهم اي لوقا

ذكر امر الشفاء (٢) لا تستثنى معجزة الاستار في فم السمكة ان حسبت معجزة لانه

فعلها سعة لبطرس بعد غلطه (٣) رو ١٥: ٢٠ (٤) مت ٢٧: ٤٢ (٥) رو ١٤

٧: ٤٢ وفي ١٣: ٥٠ و ١٠: ٢٤ (٦) مت ١٦: ٢٤ (٧) مت ٦: ٣٣ (٨) يو ٦: ٢٧

يثيرها علينا هذا الرجيم . فان انتبهنا لحضوره حالاً في ساعات التجربة بينلنا نصراً كانهصاره على عدونا وعدوه . فنتهلل مع الرسول مرفعين "شكراً لله الذي يعطينا الغلبة ببرنا يسوع المسيح" (١)

هذه المناوشة الاولى في هذه المعركة اسفرت عن انكسار ابليس امام يسوع . لكن ابليس لا يتشنى بسهولة عن مشروعه الخبيث . انما لفرط ذكائه يجدد الهجوم على صورة تخالف الاولى على خطٍ مستقيم . فنراه يترك خطة البساطة ويبدلها بخطة الاحتيال . لانه يعلم ان كل انتصار يفتح الباب لغيره ابهر منه . فيتظاهر الآن بالرضى التام عن تصريح يسوع انه تحت حكم ما هو مكتوب . ويأتيه بسلاح جديد ما هو مكتوب ويطلبه بان يفعل بموجبه . يسلم ايضاً بمبدأ يسوع انه لا ينفصل عن الآب . فيطلب منه ان يتمسك بهذا الارتباط ويبرهن ذلك . ويسلم بافضلية الامور الروحية على الجسدية فيطلب من يسوع عملاً خطيراً خالياً من المنافع الجسدية . لكن فيه تعريض الجسد لخطر مهم . عملاً يكون له تأثير ديني عظيم . ويسلم بنبذ الانانية في التمسك بخدمة الآخرين . فيطلبه لعل فائدته ظاهرة لعموم الشعب لانه يطلبه ليظهر لشعب الله المجتمع في دور الهيكل من رئيس الكهنة فما دون انه حقاً ابن الله ليؤمنوا به . والنقطة الوحيدة في تجربته الاولى التي يتشبث بها في الثانية هي قوله "ان كنت ابن الله"

يقول الكتاب "اخذه ابليس وجاء به الى المدينة المقدسة اورشليم ووقفه على جناح الهيكل وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا الى اسفل . لانه مكتوب انه يوحي ملائكته بك لكي يحفظوك وانهم على ايديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك" . يجوز الظن بانه اتخذ في هذه التجربة صورة ملاك نور . وان بولس يشير الى ذلك بقوله "لان الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور" (٢) . وانه ظهر ليسوع كأحد الملائكة المشار اليهم

(١) اكو ١٥: ٥٧

(٢) ٢ كو ١١: ١٤

في كلام المزمور المكلفين ان يحملوه على ايديهم لئلا تصدم بحجر رجلة . فعليه يتكفل هذا الملاك ليسوع ان يصونه من الاذى في كل الاحوال حتى ولو رمى بنفسه من هذا المرتفع . ولا سيما لانه يقدم بذلك للجمهور وللعالَم برهان نزوله من السماء من عند الله^(١)

من جواب يسوع على هذه التجربة نستخلص ماهيتها . اجاب "مكتوب" ايضاً لا تجرب الرب الهك"^(٢) . اذا ما كتب في محل من الكتاب لا يفسر الا وفقاً لما كتب في غير هذا المحل . يقتضي ان يفسر كلام الوحي بمثله . فيكون مفتاح التفسير الصائب لكل آيات الكتاب ما ورد في الموضوع ذاته من الآيات الاخرى مع مراعاة روح الكتاب اجمالاً . ويدل الاختبار على ان افراد بعض الآيات المقدسة والتشبيث بظاهر معناها فقط قد ادى ويؤدي الى ضلالات كثيرة ومضرة . فلا يجوز تحويل اقوال الله الى غير قصدتها الوضعية

دعا ابليس يسوع في هذه التجربة ليستسلم لروح الافتخار بالقوة التي له فيظهرها امام الجمهور . لكن روح الكتاب وفحوى آياته غير التي اوردها ابليس هي اساس كاف للقول ان الله لا يسمح للانسان ان يقتحم المخاطر دون داع كاف يوجب ذلك . لان الاتكال على حمايته تعالى في ذلك الافتحام يكون تجاسراً منكراً . فهل يجوز او يليق ان يطلب انسان من الرب تسليمه من اضرار تعرض لها تطفلاً او افتخاراً او امتحاناً ؟ ويسوع في كل حياته تجنب المخاطر الكلية الى ان انت الساعة التي فيها وجب ان يقدم حياته ذبيحة اثم

ثم ان الوجه الآخر العمومي في هذه التجربة دعوة ابليس يسوع ليتخذ سياسة الادهاش العقلي وسيلة بها يجعل الناس ان يؤمنوا به . فيعتمد على قوة

(١) هذه التجربة التي وردت ثانية في متى وردت ثالثة في لوقا . فلا فرق بينهما في الفائدة الروحية المقصودة ولا اهمية لهذا الاختلاف في السياق
(٢) تث ١٧: ٦

المعجزة لا على قوة الحق . وعلى الاقناع الفكري لا على الشعور القلي . وعلى
الادهاش لا التعليم . فان حولة عن الاهتمام بالغاثير الروحي في القلوب يكون
ابليس قد حفظ سلطنته على الناس ولو شاهدوا من يسوع مدهشات كثيرة
اما يسوع فلم يسقط في هذه الحفرة التي حفرها له الجرب . ومع انه مزع ان
يصنع معجزات كثيرة فيما بعد فانه لا يصنعها لاجل الادهاش . ولا كوسيلة لجذب
الناس الى الايمان به . بل سيصنعها تثبيتاً للذين قد آمنوا ^(١) . فلا يني ايمان
الناس به على قوته بل على قوة الحق وعلى اساس صفاته المقدسة والمحبة له .
لان مركز الدين هو القلب لا الرأس . وعبثاً ينار العقل ان لم يُمس القلب ايضاً .
لذلك رفض يسوع كثيراً طلب اليهود ان يريهم آيات من السماء

وبعد فشل الجرب في خطة البساطة ثم الاحتيال لجأ الى خطة الوقاحة
والتفاني . فذراه يغير نوع الطلب ويدعو الى امر منكر . لكنه يقدم لقاء هذا
الطلب بدلاً قيمته لا تقدّر . لانه على كيفية نجهلها تماماً اصعد الى جبل عال
جداً . وراه جميع ممالك المسكونة ومجدها في لحظة من الزمان . وقال له لك
اعطي هذا السلطان كله وهذه جميعها ومجدهن لانه اليّ دفع وانا اعطيه لمن
اريد . فان خررت وسجدت لي يكون لك الجميع ^(٢)

ليس في جواب يسوع على هذه التجربة اقل اشارة الى ان اقتراح ابليس
كاذب ومواعيد فارغة . مع ان باستطاعتهم ان يرغم ابليس على القيام بما وعد
ان شاء ذلك . بل بني رفضه على جنس الطلب الذي يكلفه ليقيم لغير
الله اكرام السجود الذي لا يجوز الا له تعالى . ويكلفه ان يقدم هذا السجود ربائياً
لشخص لا يسجد له قلبياً . وان يتخذ لاجل غاية حسنة سياسة سيئة متساهلاً مع
الشر القليل لاجل الخير الجزيل . وهذه على الدوام خدمة شيطانية تخسر
المتساهل ما نوحاه من الخير وتجلب على رأسه وبلاً وبلاً عذاب تساهله

(١) يو ١١: ٢٠ (٢) شخص بعضهم ابليس مترائياً في هذه التجربة . كشخص ملكي
حدثه عن حالة ممالك العالم ورغب اليه الاستيلاء على شعوبها ليدخلها في حوزته في الايمان

ومن الوجهة العمومية كانت تطلب هذه التجربة من يسوع ان يعتمد خطة المجد العالمي في امور الدين حسب السياسة المألوفة قديماً وحديثاً . في زمن يسوع كان رجال الدين جميعاً حتى رسلك ويوحنا المعمدان يشتهون ويتوقعون ملكوتاً زمنياً مجيداً بقيمة المسيح متى جاء . فابليس تعهد ليسوع بان يسهل له اتمام هذه الرغائب اليهودية السائدة عند الجميع . وفي الوقت ذاته يغنيه عن الاتعاب والاهانات والآلام والصلب وعن الصبر طويلاً الوفاء السنين لتأيد سلطته على البشر مكان سلطة ابليس . فينال يسوع غايته السامية بسرعة وسهولة . أفلا يطمئن ابليس بالنظر الى تضحية كهذه يقدمها ان ينجح في اقتراحه

لا يستبعد ان هيئة ابليس في هذه التجربة ايضاً لم تكن هيئة شيطانية ظاهرة تولد المنور منه مباشرة ولا شتمزاز من تقديم السجود له . لكن وقاحة اقتراحه في طلبه من يسوع الطاهر ان يفعل امراً منكراً في الدين تكفي لتكشف عن حقيقة شخصه . لذلك قابله يسوع بمنور حاد . وانتهره بقوله " اذهب يا شيطان " . ومع ذلك لم يمك عنه قوة البرهان . بل سرد له عبارة من نفس خطاب موسى الذي اقتبس منه سابقاً . " انه مكتوب للرب الهك تسجد واباه وحده تعبد " (١)

لما امره يسوع بالذهاب ولّى مخدولاً . فارقة لكن الى حين فقط . وحالما تقرر فوز زعيم البر على زعيم الاثم وفر هذا خاسراً ظهرت مراقبة اهل السماء لهذا العراك الفاصل الخطير . لانه يقال " واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه " . نجاها تنقل اليه التهانى السماوية على فوزه وبشائر الرضى الالهى الممتاز . لان الملائكة هم " ارواح مرسله للخدمة لاجل العتيد ان يرثوا الخلاص " (٢) فكم يكون فرحهم وانفخارهم ان يخدموا الآن ليس ورثة الخلاص بل رئيس الخلاص ورئيس الايمان ومكملة (٣)

(١) نك ١٣: ٦ (٢) عب ١: ١٤ (٣) عب ٢: ١٠ و ٢: ١٥ و ٢: ١٦

في هذه البرية صدمت يسوع انواع التجربة الثلاثة "شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة" (١). تجربة للجسد في امر الطعام. وتجربة للعقل في امر اعجاب الناس. وتجربة للنفس في امر المجد العالي. وفي هذه كلها تجرب مثلنا لكي يرثي لضعفاتها ويعين المجريين. وبها تزكي ونقوى ونجد. وشهد له ابليس شهادة ضمنية قوية لكونه في حذقه الفائق لم يدعه أولاً لأمور في حد ذاتها رديئة او كريهة. اناه أولاً تجارب ظاهرها شريف حتى بعد ان يسقط فيها يجذب تدريجاً الى ما وراءها من المنكرات

وهذا التجرب في البرية يعد اعتماد يسوع الثالث بعد اعتماده بالماء ثم بالروح القدس وهو اعتماده بالنار وبقي عليه اعتماد آخر هو الاعتماد بالدم على الصليب

في آدم الاول تمثل الجنس البشري كله. فلما تجرب سقط وهوى مع نسله كافة الى الحميم. وفي آدم الثاني تمثل الجنس البشري ثانية. فلما تجرب ثبت ليصعد جنسه معه الى النعيم. بسقوط آدم الاول تحولت جنة عدن الى برية. وبثبات آدم الثاني تحول البرية جنة. برية الشر الى جنة البر. برية الخصام الى جنة السلام. برية السخط الالهي والدينونة الابدية الى جنة الرضى الالهي والرحمة والحياة الابدية. برية العداوة لله الى جنة البنوة لله. وبرية اليأس والهلاك الى جنة الرجاء والخلاص

بفوز يسوع على ابليس في هذا التجرب تم استعداده الشخصي. ونال حق المباشرة بالعمل الذي لاجله جاء الى العالم. فإذا ياترى يكون عمله الاول بين الناس في وظيفته الجديدة كالمخلص والمصلح العمومي للعالم اجمع

الفصل التاسع

(يو: ١٩: ٥١ - ٥١)

(المرصع) ف ٦ (الزمان) شباط سنة ٢٧ م
(المكان) عند ضفة الاردن

هود يسوع من البرية الى مقر المعبدان . النسك . وفد الفريسيين وشهادة المعبدان .
المخطاط الكهنوت وتقدم الكتبة والفريسيين . شهادة المعبدان الثانية . تلميذا يسوع الاولان .
حمل الله . جماله الشخصي . تجديد تلاميذ آخرين . شهادة نثنائيل الاولى . شهادة
يسوع الاولى لنفسه

ان عمل يسوع الاول بعد استعداده الطويل والكافي ظهر سريعاً باتخاذ
تلاميذ يلزمونه لكي يعلمهم مبادئ ملكوته الجديد ويدربهم في حياة جديدة
روحية . وهؤلاء سينوبون عنه بعد صعوده الى السماء في نشر هذا الملكوت في
العالم . فحالما انتهت محاربة المؤلفة التي اسفرت عن فوزه التام على خصمه
الشريبر عاد من ساحة محنته الى ساحة مسخه في بيت عبرة مقر المعبدان حيث
ودّعه منذ بضعة اسابيع . يعد هذا المكان على ضفة الاردن مقدساً لان فيه
نال اولاً تلك القوة الكافية الروحية التي بها حاز ذلك الظفر المجيد

ولا بد انه وجد هناك فرحاً بعد عنائه وعيائه الشديدين . لان الانضمام
الى الجماهير الملتفة حول النبي الصالح الغيور والمصلح الشهير ينعش روحه . لانه
فاق المعبدان في حبه للناس وفي رغبته في الامتزاز معهم على رغم ما
في ذلك من التعب والذل والخسران . الروح الالهي الذي قاد يوحنا الى
السكن في البرية كناسك لم يسمح له ان يبقى منفرداً عن الناس بل ساق

الجماعه اليه الى البرية . وهذا الروح بعد ان قاد يسوع وقتياً الى الانفراد في البرية ارجعه الى امتزاج دائم مع البشر كل مدة وجوده على الارض الا في بعض ليالي انفراده لاجل الصلاة . ليس في قدوة يسوع او في تعليمه ما يويد الزعم بان الانفراد عن الناس طويلاً فضيلة . فالنسك ليس في حد ذاته من دلائل التقوى ولا من مقوياته بل هو في الغالب من دلائل الانحطاط الادبي والروحي ويزيد هذا الانحطاط بدلاً من ازالته . لان الانفراد في النسك يخالف روح الوصية الرئيسية بحبة القريب كالنفس . وهي وصية ايد يسوع عظمتها وضرورتها

وقبل وصول يسوع الى بيت عبرة كان قد سبقه وفد قريسي مؤلف من كهنة ولاويين قادمين من اورشليم . لم يأتوا كثيرهم ليظهروا توبة او لسمعوا وعظ النبي الشهير وبقبلوا معموديته . بل ليختنوه وان امكن ليزعزعو نفوذهم وبوقفوه عن عملهم باسم السلطة الدينية في البلاد . فسألوه اولاً "من انت ؟" اننا موعودون بنبي المسيح . هل انت هو ؟ "فاعترف ولم ينكر واقراني لست انا المسيح" . ثم قالوا نحن موعودون ايضاً بنبي ايليا فهل انت هو ؟ قال "لا" . نعم انه مرسل اتماماً للنبوته بنبي ايليا^(١) واني بروح ايليا . لكنه ليس ايليا حرفياً كما يقصد السائلون بسؤالهم . فقال "لا" . ثم سألوه ثالثة نحن موعودون بنبي مثل موسى فهل انت هو ؟^(٢) قال ايضاً "لا" . فسألوه رابعة "من انت لتعطي جواباً للذين ارسلونا . ماذا نقول عن نفسك ؟" فاجابهم ما معناه انه شخص لا اهمية له كالاشخاص الذين سمعهم اذ ليس هو الا صوت والصوت وقتي يُسمع ثم يزول

ان يوحنا فتح بتواضعه باباً لهؤلاء الخبيثاء موافقاً لمقاصدهم السبئية . فسألوه خامسة ما باله يعتمد ما دام ليس احد هؤلاء المعترف بمقامهم عند الامة اليهودية . فخذوا ان يخففوه ويسكتوه . لكنه اجابهم بجرأة مبينة ان لارسالته اهمية

كبرى تتبع اهمية الشخص الذي اتى هو ليعدّ طريقته. وأكد لم انه رغماً عن شهرته الطائفة ونقاطر الجاهل هو لا يصلح ان يكون احقر خدمة هذا القائم في وسطهم والجهول عندهم. ولما كانت افكار هؤلاء الفريسيين عالمية لم يتجهلوا ليسألوه عن هذا الشخص الجديد المتفوق على المعبدان بهذا المنظار فرجعوا خائبين مخذولين

اشبه انحطال هؤلاء الكهنة ورصنائهم اللاويين حالة قومهم في ذلك الزمان. لان مقام الكهنوت كان قد انحط كثيراً بالنسبة الى الزمان السابق وذلك لاسباب ظاهرة ومغفولة. الاول كثرة عددهم. يقال في التلمود^(١) ان عدد الكهنة الساكنين في اورشليم وحدها كان ٢٤ ألفاً. وفي اريحا ١٢ ألفاً ما خلا عدداً وافراً في المدن الكهنوتية الاثني عشرة الواقع اكثرها بالقرب من اورشليم. وبذلك امست حصة كل كاهن في خدمة الهيكل وايراداته جزئية وهذه الزيادة كانت رغماً عن التضييقات التي سببها الكهنوت. لانه لم يجع الا لبي هرون من سبط لاوي الترشع للكهنوت. ومن هؤلاء رُفض كل من وُجد فيه عيب من العيوب الكثيرة المانعة للكهنوت. وكان عدد هذه العيوب الجسدية مئة واربعين علة. اما الانظمة في هذا السلك فكانت هكذا. يحضر المترشح اولاً امام الجمع الكبير ويقدم اليه بينات الكافية انه من نسل هرون. فان وُجدت بيناته ناقصة يُعاد الى بيته لابساً ثوباً اسود علامة الرفض والعار. وان قُبِلت بياشراً بنحس جسمه يتدقيق. فان وُجد سالماً من المئة والاربعين عيباً اُلبس الثوب الابيض الكهنوتي واخذ يتدرج في الرتب الكهنوتية

السبب الثاني لانحطاط الكهنوت كان تصرفات الكهنة اجمالاً ولا سيما عظماءهم مع الشعب وقد بالغ المورخ اليهودي الشهير يوسيفوس في بيان مظالم رؤساء الكهنة ومفاسدهم

وزد على ذلك سبباً آخر مما لسقوط مقام الكهنة. وهو التغيير الجوهري

(١) وهو كتاب مقدسه اليهود المتعصبون فيملونه معادلاً التوراة او ينوقها

الذي صار في الهيكل بواسطة خرابه المكرر. فانه حينما كان في الهيكل كل ما وُضع فيه اصلاً عند ما بناه سليمان من المواد المقدسة كان الكهنوت محترماً غاية الاحترام. اما في الايام التي نحن في ضدها فكان قد فقد منه اهم تلك المواد. لذلك نقصت كثيراً قيمة الكهنوت. من ذلك تابوت العهد الفخم الذي كان المجد الالهي حيناً بعد حين يحمل بين الكرويم على غطاءه. وما كان ضمنه واوجب توقيره الفائق اي لوحا الحجر المكتوب عليهما باصبع الله وصاياه العشر. وقسط المن السماوي الذي كان لا يتلف ولا يفسد جيلاً بعد جيل. وعصا هرون التي افرخت وسفر الشريعة الذي كتبه موسى. وفقد ايضاً الزيت المقدس. ودهن المسحة الاصلي. والنار المقدسة التي كان بانطفائها يعرف ان الله قد ترك شعبه وان خراب هيكله صار على الباب

بناءً على ما سبق ذكره زاد اعتناء المتدينين بين اليهود بدرس الكتب المقدسة وغيرها من كتبهم الدينية. فأخذ تدريجاً المتصلعون منهم (اي الكتبة) مقام الكهنة ورافق انحطاط هؤلاء ارتفاع اولئك واصبح الكتبة اصحاب الرتبة السامية في اعين الشعب والماسكين بيدهم المحل والربط في الدين. واخذوا يؤيدون هذا التعظيم بتعاليمهم. قيل في احد كتب اليهود^(١) "يجب احترام المعلم فوق احترام الاب لان الاب كالابن مدين للمعلم". وفي كتاب آخر^(٢) ان الاب اتى بالابن الى هذا العالم اما المعلم فيأتي به الى العالم الآتي بتعليمه اياه الحكمة

وكان انحطاط الكهنوت الموسوي واخذ الكتبة كرامة الكهنة استعداداً حسناً لظهور الرموز اليه بذلك الكهنوت والذي قال عنه داود "اقسم الرب ولن يندم انت كاهن الى الابد مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق"^(٣) وجاء هذا الانحطاط طبقاً للنضاء الالهي الذي حكم على الكهنوت الارضي بالاضمحلال في ذلك الزمان بناءً على افول قمره تجاه بزوغ شمس ذلك

(١) كتاب كركوت ٩:٦ (٢) بابا مرايا ١١:٢ (٣) عب ١٠:٥ و ٢١:٧

الكاهن الاصلي الوحيد الذي كان الكهنوت اليهودي رمزاً وقتياً اليه . ولا يخفى ان العهد الجديد لم ينقض العمل الكهنوتي بل رفعه ووسعه وعممه . لان المدين القديم والجديد اي الموسوي والمسيحي هما جزآن جوهريان من نظام واحد . والجديد ختم يؤيد القديم كما تؤيد رجولية الانسان طفوليته اما الموجب لذكر زيارة الوفد الكهنوتي للمعداد والفائدة من ذلك كان شهادة المعداد الصريحة الاولى ليسوع في جوابه للوفد . وهذه الشهادة مقدمة مهمة لزيارة يسوع اياه بعد انصراف الوفد

وقد اشير في فاتحة هذا الفصل الى قصد يسوع الخصوصي في هذه الزيارة . فنراه يباشر حالاً اتمام هذا القصد اذ يحق له في انتخاب تلاميذ يلزمونه ان يحصل من زرع المعداد . لان هذا قد اقامه الله خصيصاً ليهي طريق المسيح . ولا سيما ان تلاميذ المعداد قد تأسسوا في المبادئ الروحية التي كانت مهمة تماماً عند غيره من معلمي الدين في عصره

فاستقبل المعداد ضيفه الكريم بشهادة جديدة حال قدومه من برية التجربة . واذ كان واقفاً بين الجموع نظره يسوع قادماً فاشار اليه وقال للذين حوله "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" . ثم كرر قوله للوفد من تصغير نفسه وتعظيم يسوع . واقرانه لم يكن يعرف يسوع قبل ان حل الروح القدس عليه في المعمودية . وتذكر الصوت من السماء لما عمد فختم بكلامه بقوله "وانا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله"

ان شهادة يوحنا الاولى امام الوفد لم تكسب يسوع تلاميذ . ولا هذه الثانية امام الجمهور مع انها اصرح من الاولى . لكن في الغد لما كان واقفاً مع اثنين من تلاميذ نظر الى يسوع ماشياً وشهد له بالثقة بقوله "هوذا حمل الله" . وكان احد هذين اندراوس من مدينة بيت صيدا الواقعة على راس بحر طبرية الشمالي في كورة الجليل . فيكون قد اتى من محل بعيد ليلتصق بالمعداد . اما الثاني فكان بلاشك الكاتب الوحيد لهذا الخبر وهو يوحنا بن زبدي

وسالومة وهو ايضا من بيت صيدا. ولا نعلم ماذا سمعا سابقا من معلمها المجدان
عن يسوع الا انه يرجح انها سمعا شهادتيه المار ذكرها وربما التي اذا ما
للو قد ايضا

اما تسمية المجدان يسوع حمل الله فكانت مؤيدة بقول اشعيا النبي
”نذل ولم يفتح فاه كشاة نساقي الذبح وكنجة صامئة امام جازيها ولم يفتح فاه“^(١)
ان يوحنا كان ابن كاهن وعمل الكاهن الخصوصي ذبح الحملان في الهيكل.
والشرط في الذبيحة ان تكون سالمة من كل عيب. فيوحنا بتسميته يسوع حمل
الله يشهد بسلامته من كل عيب

وبما ان هذا الناسك الشهير والواعظ القدير ماؤ من الروح يعلم جيدا
ان الذبائح الحيوانية في الهيكل لم تكن الا رمزا الى الذبيحة الحقيقية الاصلية
الوحيدة التي هي ”حمل الله“ المذبح حسب القصد الالهي من قبل تأسيس
العالم^(٢) وانما لا تصلح لرفع الخطايا بل هذا هو فعل ذبيحة حمل الله^(٣)
ظهر تأثير هذه الشهادة الثالثة في ان اندراوس ويوحنا سارا حالا وراء
يسوع في طريقه بكل احترام دون ان يتعرض له بشيء الى ان شعر بمرافقتها
اياهم. فالتفت وسألها ماذا تطلبان؟ ان يسوع يسأل كل شخص يتظاهر
باتباعه ماذا تطلب؟ ومطالب تابعيه تختلف كثيرا وعليه تختلف ايضا
معاملة يسوع اياهم فانه قال لبعضهم انتم تطلبونني *** لانكم اكلتم من الخبز
وشبعتم^(٤) فلم يقبلهم تلاميذه

اما جواب اندراوس ويوحنا فكان باحترام وتحفظ كأنهما يريدان في
وقت آخر مناسب ان يأتيا لسمعا كلامه ويتعلما منه فقالا ”يا معلم“^(٥) ابن
تمكث؟ لكن يسوع لم يرص ان يخبرها ويصبر عليهما لوقت آخر. اذ اراد
ان يعلمها ان المطلوب من كل واحد ان يتعبه حالا. لانه رفض دائما الذين

(١) اش ٥٣: ٧ انظر ايضا ارا ١٩: ١١ (٢) رو ٨: ١٣ (٣) عب ١٠: ٤٠ و ١٢: ٩

(٤) يو ٦: ٢٦ (٥) من اشرف الالقاء هندم

قصدوا ان يتبعوه آجلاً والزمهم ان يتبعوه عاجلاً والأفائة لا يقبلهم . فقال
لهذين " تعاليا وانظرا " . ولما اطاعاه ابقاهما عند ذلك اليوم . وهذا لا يزال
التدريب الالهى اى ان الانسان يتخذ الدين لا مجرد شهادة غيره بل لاختباره
الشخصى . فعليه ان يأتي وينظر حسب قول داود " ذوقوا وانظروا ما اظيب
الرب " (١)

نتج عن هذه الزيارة المخصصة ليسوع في مبيته تحويل نام لجري حياة هذين
الزائرين . فان اندراوس لم يشتهر كثيراً فيما بعد . بل كان اعظم اعماله ما
فعله في ذلك الوقت اذ اتى بأخيه سمعان الى يسوع . ويظهر ان سمعان كان
رفيقه في معية المهدان ففتش عنه اندراوس . ولما وجده اخبره عن كثر
لايثمن قد اهدى اليه مع رفيقه يوحنا اذ قال " وجدنا مسيّا "

تضمن هاتان الكلمتان طريق الخلاص كله . من وجد مسيّا شخصياً فقد
وجد كل شيء . فلا يحتاج الى غيره . هذا هو الذي قال عنه النبي داود " الرب
راعي فلا يعوزني شيء " هو " الطريق والحق والحياة " . فمن وجد هذه الثلاثة وجد
الكل . ولم يكتف اندراوس بالقول بل اردفته بالفعل فجاء بأخيه الى يسوع .
وكل من وجد مسيّا حتماً يسرع في دعوة الآخرين ولا تمان بهم اليه مبتدئاً
بالاقربين كما جاء اندراوس بأخيه سمعان . وكان ليسوع النصيب الاوفر من
الذكاء الطبيعى الذي يسمى في الرسالة تمييز الارواح (٢) وفوق ذلك الهام الهى
فعرف سمعان حالما رآه لابل قبلما رآه . وعلم مزاياه ومواهبه ومستقبله فاعطاه في
هذه المقابلة الاولى اسماً جديداً بطرس (في اليوناني) او صفا (في الارامى) وكلاهما
معناه صخرة وهذا اسم لا يستحقه الا بعد ان يحل عليه الروح القدس فتظهر فيه
المواهب التي تؤهل لهذا الاسم . وقد دون يوحنا في بشارته هذه الحوادث بعد
وقوعها بنحو ستين سنة لما رأى ان البشيرين الآخرين اهلوها . وكان يعرف
عن ذاته بقوله " التلميذ الآخر " . ولم يشر في كل بشارته الى ذاته الا هذه المرة وفي

وقت العشاء الاخير. في والحوادث المتعلقة بصلب يسوع وقيامته. ولا يصرح باسمه مطلقاً. وكان ليوحنا اخ اكبر منه اسمه يعقوب كان ممتازاً بين الرسل. ومع ذلك لا يذكره اخوه في بشارته. ولا يذكر مريم ام يسوع باسمها ويُحتمل ان يعقوب كان مع يوحنا وانه تبع يسوع في هذا الوقت ويوحنا لم يذكره. او ان يعقوب بقي في البيت مع ابيه والاجرى يدبر معيشة العائلة بينما ذهب اخوه الاصغر يوحنا ليتعلم التعليم الجديد من المعلمان
قال البشير ان التلميذين "انبا ونظرا". وماذا نظرا؟ نظرا ابن يمكت كما طلبا. الا انهما نظرا عن قرب شخصاً لم يعرفاه سابقاً ولم يتصورا مثله. نظرا شخصاً لم ير العالم مثيلاً له في الكالات العقلية والادبية والروحانية. وقد خاض الكتبة الاقدمون في موضوع هيئة يسوع الخارجية الذي لا سبيل للجزم القطعي فيه واختلفوا في هل كان ذا جمال جسدي. اما في النبوات فتوجد بعض آيات اتخذها قوم دليلاً على ان من جملة انضاع يسوع اتخذه هيئة خارجية حقيرة تسبب ازدراء الناس اياه. منها قول اشعياء "كان منظرة كذا مفسداً اكثر من الرجل وصورته اكثر من بني آدم" (١) ثم آيات أخرى تفيد عكس ذلك. منها قول داود النبي "انت ابرع جمالاً من بني البشر" (٢) وقول سليمان "حبيبي *** معلم بين ربوة *** ككلمة مشتميات (٣)

(١) اش ١٤:٥٢ نرى هذا الرأي في كتابات جستنوس مارتيروس واكليمنطوس الاسكندري وترتوليانس واوريجنوس وباسيليوس وكيرلس. لكن ليس بينهم من رأى او ادعى انه رأى او استشهد بقول من رأى يسوع ولذلك يرتاب بأرائهم (٢) مز ٤٥:٢ (٣) نش ١٠:٥ و ١٦ من الكتبة القدماء الذين يرتأون ان يسوع كان ذا جمال طبيعي في القامة والحيا غريغوريوس وايريمنوس واسايوس الذي يدعي انه رأى صوراً اعتبرها حقيقية مأخوذة عن شخص يسوع في حياته. وينسب هذه الرسوم الى مصورين من الامم الذين لما آمنوا بيسوع لم يمنهم التعصب اليهودي ضد الصور والتماثيل من رسم معلمهم ويوحنا فم الذهب يقول ان الآب السماوي اسخ على يسوع من الجمال الشخصي ما يعد سبباً لنا بعد جمال غيره كقطرات فقط. وهذا رأي اوغسطينوس ايضاً وبضده العقل السليم

اما نحن فنسحب الشعار الموضوع في بعض الحوائث والبيوت . "ان الله جميل ويحب الجمال". وهذا يتفق مع قول داود النبي "واحدة سألت من الرب واياها التمس ان اسكن في بيت الرب كل ايام حياتي لكي انظر الى جمال الرب" (١). ولا ريب مطلقاً في ان جمال الهيئة هو الوضع الالهي في الخلق. وان ما يخالف الجمال هو نتيجة الخطيئة ويعد خللاً . والاهتمام بجمال الهيئة هو من الواجبات. وكل من يخدم الجمال في اعماله ومصطنعاته يقدم لجنسه خدمة نذكر فتشكر

نعم قد تطرّف بعض الاقدمين واخصهم اليونان في اعتبار الجمال الخارجي. فتوصلوا الى عبادته عبادة دينية وادى ذلك طبعاً الى الفساد نظير كل عبادة باطلة. لكن اهتمامهم بالجمال رقاهم كثيراً وخلد ذكرهم بين افضل الاقوام التي قامت في التاريخ البشري

فيحق لنا ان ننسب جمالاً في النامة والمجيا الى الذي حبل به من الروح القدس في رحم عذراء طاهرة اختارها الله من بين الوف العذاري في اسرائيل لتلد الهيكل الجسدي المعين منه تعالى ليتحد به اللاهوت المقدس . ويقوي هذا الظن ما نعلمه من العلاقة الكلية بين النفس والجسد التي تجعلنا نتوقع ظهور جمال خارجي يقابل الجمال الداخلي في هذا الانسان البري من كل خطيئة وهيئة الشخصية التي أثرت في حوادث عديدة على الناس حتي على اعدائه ايضاً تعضد الرأي بانه كان ذا جمال جسدي

ان مقاومي بولس الرسول عيروه واضعفوا تأثيره بحجة حقارة هيئته الخارجية (٢). فلو كان في يسوع شيء من ذلك لالتجأ خصومه الاشداء الى هذا النوع من التعبير كما عيروه بانواع اخرى (٣)

(١) مز ٢٧: ٤ (٢) ٢ كو ١: ١٠ (٣) يجب ان لا ننسى ان ليس بين الصور التي تمثل يسوع والتي لا نحصى واحدة بعول عليها انها حقيقية لانها بلا استثناء تخيلات مصورها لا غير . يقول التقليد ان البشر لوقا كان مصوراً وبناء على ذلك تولدت ظنون

اطلنا النظر في هذا البحث في جمال يسوع لاعتمادنا بان جاذب جماله الشخصي الممتاز كان من العوامل التي جذبت اليه تلميذيه الاولين اندراوس ويوحنا وجعلته يتسلط على افكار الذين دعاهم في ما بعد . حتى كانوا يتركون كل شيء ويتبعونه . هذا مع تكرار اعترافنا انه لا يجوز الجزم القطعي في هذا الامر

معلوم ان سمعان انضم حالاً الى اندراوس ويوحنا فنج يسوع في ضم هؤلاء الثلاثة اليه كتلاميذ^(١) . وبذلك تم قصد في زيارته بيت عبرة . واستعد ليذهب الى وطنه في الجليل في اليوم الثاني . ولكن قبل سفره اتخذ تلميذاً رابعاً اسمه فيلبس وهو ايضاً نظير الاولين من بيت صيدا . الذين سبق ذكرهم طلبوا يسوع فوجدوه . اما فيلبس فيسرع وجده ودعاه قائلاً اتبعني . فان القاعدة العمومية في الدين في "اطلبوا تجدوا"^(٢) وتطلبوني فتجدوني اذ

خرافية نسبت الى بعض صور يسوع القديمة انها حمل هذا البشير . واشتهرت خرافة اخرى من هذا النوع يرى الزائر تأثيرها في مخف كنيسة القديس بطرس في رومية . انخر الكنائس البابوية في العالم (وهي ملاصقة للكاتيكان اي القصر البابوي) هناك مندبل مصور عليه وجه يدعون انه ذلك الوجه البديع الذي نحن في صدده . ويقولون انه بينما كان يسوع حاملاً صليبه في شوارع اورشليم ووجهه مدمى من اكليل الشوك على جبينه وطعم العسكر على وجهه نظرت ذلك امرأة مؤمنة اسمها فيرونیکا من باب بيتها فخرجت اليه وناولته مندبلاً ليمسح به الدم عن وجهه . وانما بعد ان استردته وجدت على المندبل هيئة وجه يسوع مطبوعة عليه فحفظ هذا المندبل بكل احترام الى هذا اليوم . ان القصص الخرافية والآثار الناتجة عنها ليست فقط خالية من الفائدة بل هي مضرّة في الدين . ان الله سبحانه يحكمه الفاتحة قصد ان تحي كل الآثار المقدسة التي قد تؤدي الى التطرف في اعتبارها اعتباراً يقارب العبادة ولذلك يرتاب في صحة كل ما يقال عن وجود شيء منها . فان محل ولادة يسوع وتاريخ ولادته ومحل صليبه ومحل دفنه وكل المحلات التي شرّفها والادوات التي استعمالها او لمسها لم يحفظ لها اثر اكيد . وان كان لقليلها بعض الصحة يجب ان تعد اجمالاً تصورات وهمية او اخبار خرافية (١) ان لم نصف اليهم بعقوب ونقول اربعة لان عدم ذكر عجيء بعقوب الى يسوع في وقت آخر يجعلنا نرجح انه اتى مع اخيه في هذا الوقت

تطلبوني بكل قلبكم" (١). لكن هذه القاعدة شواذ وفيلبس كان نظير متى من هذا الشواذ. فصح فيها قول النبي "وجدت من الذين لم يطلبوني" (٢)

ان الغيرة التي ظهرت في اندراوس ظهرت حالاً في فيلبس لانه وجد رجلاً يظن انه كان صديقاً خصوصياً له اسمه ثنائيل من قانا الجليل فاخبره عن يسوع. وقال له انه هو الذي اخبر عنه موسى في اسفاره المسماة عندهم الناموس وكتب عنه الانبياء بعد موسى وانه ابن يوسف من الناصرة (٣) دل جواب ثنائيل على عدم تصديقه هذا الخبر بناء على ان المسيح لا يمكن ان يكون من الناصرة اما لحقارتها او لان صيتها كان رديفاً بسبب شرور اهلها. فاعترض على فيلبس بقوله "أمن الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح؟"

فلم يشأ اندراوس ان يحتاجه في الامر علماً منه ان مقابلة يسوع تفوق كل برهان آخر وتغني عن ذلك. وكثيراً ما يكون الجدل في المعتقدات الدينية فارغاً واحياناً مضرراً. افضل برهان في فم المؤمن هو جواب فيلبس لثنائيل "نعال وانظر". الروح الذي تكلم في يسوع لما قال للتلميذ "نعالا وانظرا" تكلم في فيلبس بذات اللفظ. فلم يرفض ثنائيل هذه الدعوة او يمتح بلزوم براهين عقلية تسندها ولذلك اظهر حكمة بسبب ثقته في ملارك فيلبس واستقامته ورضي ان يأتي وينظر يسوع بنفسه

كفى علم يسوع بالخفايا ليعلم تاريخ هذا الرجل وصفاته دون مقابلة سابقة بينها او سماع خبر عنه من انسان. فبينما هو آت مع فيلبس لمقابلته يسوع قال للذين معه "هوذا اسرائيلي حقاً لا عش فيه" (٤) ولما تعجب ثنائيل من هذه الشهادة الممتازة من غريب سأل "من اين تعرفني؟" فظهر له يسوع انه كان

(١) ار ١٣: ٢٩ (٢) اش ١: ٦٥ (٣) قد سبق الكلام عن الاسباب الموجبة

لرضي يسوع واهله ان يسمى ابن يوسف (٤) تلك ٢٨: ٢٣ الخ اعطى الله ليعقوب حفيد ابراهيم اسم اسرائيل اي مجاهد مع الله وقادر جزاء جهاده في الصلاة عند مخاضة ييوق. فالاسرائيلي الحقيقي هو الذي صفاته تشبه صفات رجل الله في القديم

يراه يبصر غير طبيعي قبل ان دعاه فيلبس اذ كان تحت التينة ولربما كان مشغولاً هناك بالصلاة والتأملات الروحية بعيداً عن مراقبة الناس وظاناً ان لا احد يدري به . بنى ثنائيل حالاً على كلام فيلبس له فامّن للوقت ايماناً كاملاً وقال ليسوع "يا معلم انت ابن الله انت ملك اسرائيل" قد يكون ان ثنائيل سمع سابقاً اما باذنيه او من آخرين بشهادة المجدان ليسوع انه ابن الله فاعاد شهادة معلمه الاول . اما تسمية يسوع "ملك اسرائيل" فهو اول من لفظ بها

فاجاب يسوع على هذه الشهادة المعتبرة بقوله "سوف ترى اعظم من هذا". سوف ترى انت وغيرك من الآن ان السماء قد فتحت للبشر بعد ان كانت الخطيئة قد اغلقتها في وجوهم . وترون اني انا كابن الانسان موصل بين الارض والسماء وبواسطتي ترسل الملائكة من السماء لخدمة البشر وتعمل الملائكة الى السماء صلاة المؤمنين ثم ارواحهم متى انتهت حياتهم على الارض . وتأتي الملائكة لخدمتي كابن الانسان ايضاً عند الاقتضاء

لنا من الصوت السماوي ثم من فم المجدان ثم من فم ثنائيل شهادة مثلثة بكون يسوع ابن الله . اما الآن فلنا لأول مرة شهادة من فم يسوع ذاته بانه ابن الانسان اي "ابن آدم". وهذا الاسم ليس مقصوراً على يسوع بل تلقب به انبياء قبله ولا سيما حزقيال . لكن يسوع لم يستصغره على ذاته بل افتخر به (١) ومع ذلك مدح ثنائيل لانه آمن به انه "ابن الله وملك اسرائيل" فهل يمدحه على كذب او خرافة او وهم او مبالغة ويقبل كلاماً هو كفر مالم يكن صدقاً؟ وكيف يقبل لقب ملك اسرائيل ان كان مجرد بشر ابن يوسف ومريم

فلنا في كلام يسوع لثنائيل شهادته الاولى لنفسه بكلام لا يجوز لني او رسول او بشر آخر ان بقوله عن نفسه . لان ما يقوله انسان فيهم ومستقيم عن نفسه يعد مهماً جداً لاجل معرفة حقيقة شخصه . ولهذا قال يسوع مرة (وكل

ما قاله كان صدقاً) "وان كنت اشهد لنفسي فشهادتي حق لاني اعلم من اين انيت والى اين اذهب" (١) فلا يمكن ان انساناً كيسوع يشهد لنفسه شهادة غير صحيحة لان استقامته تحميه من استعمال الخداع وفهمه يحميه من الانقياد للارواح. وكل من يقول عن ذاته قولاً غير حقيقي اما ان يكون قاصراً في مداركه او مختل في آدابه. لان الشريف يأبى ان ينسب الآخرون اليه فوق ما يحق له من الفضيلة او المقدرة او المقام. فكم بالحري اذا يأبى كلياً ان يدعي لنفسه ما يخالف الحقيقة ؟

علم رؤساء اليهود الحاذقون اهمية ما يقوله الرجل الفهم والمستقيم نظير المعدادن عن نفسه فارسلوا اليه مع ذلك الوفد الذي مر ذكره يسألونه "من انت ؟ ماذا نقول عن نفسك ؟" فلا ننس ان هذا الرجل الكبير قال عن نفسه في جوابه اقل مما يحق له من المقام والفضيلة والمقدرة. والمعدادن لا يعتبره احد اصالح او افهم او اصدق من يسوع الذي فاق جميع الناس في الذكاء والصدق والتواضع. واقواله اصح الاقوال في العالم. وكان يدقق في الواجبات الادبية تدقيقاً زائداً وبعد اموراً كثيرة مباحة عند جميع رجال الدين سواء انها خطيئة. ولذلك نعلق على ما يقوله يسوع عن نفسه في هذا الوقت كما في غيره اهمية عظمى

والامرواض انه لو قال غير يسوع عن نفسه ما قاله يسوع لما نال من اذكاء البشر واثباتهم سوى التبجح والتخبر والردل. قال احد المحدثين استخفافاً في حديث مع الكاتب الانكليزي الشهير الحاذق كارليل "انا استطيع ان اقول عن نفسي ما قاله يسوع عن نفسه" انا والآب واحد "فاجابه كارليل "نعم لكن العالم صدق يسوع في قوله اما انت فمن يصدقك ؟"

الفصل العاشر

(يو ١٠: ٢ - ١٢)

(المرصع) ف ٧ (الزمان) شباط سنة ٢٧ م (المكان) قانا الجليل

شرح في المعجزات اجمالاً . العرس في قانا الجليل . مشرب يسوع في الافراح . مداخلة
مرم امو . معجزة الاولى تحويل الماء خمرآ . ادلة صدق هذه المعجزة . النظر في استعمال الخمر .
تكريمة الزواج . مقام مريم امو . اخوته في الجسد

أتم يسوع باعتماده ونجربته وانتخاب تلاميذه الملازمين استعداداً لخدمته
الجهارية . ثم افتتح هذه الخدمة بمعجزة الاولى . وقد أهمل خبرها متى ومرقس
ولوقا واورده يوحنا فقط

من المعلوم الاختلاف الكلي حتى بين أهل اليقين المسيحي على حقيقة
المعجزات عموماً ^(١) . اننا من الذين يتمسكون بأنه لا يجوز ان يسمى حادث
ما معجزة طالما يسوغ ان يكون له تفسير طبيعي . ونفج التهور الخرافي الذي
يبل الى اكنار المعجزات والعجائب . الا ان تصديق حدوث المعجزات قد زاد
احتمالاً بالنظر الى ما توصل اليه الانسان في هذا الزمان من التسلط على
النواميس الطبيعية لكي يحوّلها عن مجاريها المألوفة ويستخدمها لاجل نتائج
مدهشة جداً . لان تفوق علماء هذا العصر على رجال العصور المظلمة الماضية
في هذا التسلط وفي احداث غرائب كانت تعدّ معجزات لولا وقوعها فعلاً امر
ظاهر وعجيب . فاذا كان المخلوق يصنع احياناً ما يفوق العقل فهل يستعجب

(١) قد اطلت الشرح في هذه القضية في الكتيب (من هو يسوع المسيح) صفحة ٤٤ - ٥٢

ان يفعل الخالق كما يشاء بالنواميس التي سنّها . فالأكتشافات والاختراعات التي تجدد وتزداد حيناً بعد آخر نخدم اليقين بمجدوث المعجزات الالهية حيناً بعد حين وتجعلها معقولة

وليس معقولة فقط بل ضرورة ايضاً . لانها برهانٌ ناطقٌ حسي لوجود خالق متسلط على خليقته . وللبرهان الحسي اهمية كبرى . والمعجزات (والوحي من اعظمها) ضرورة ايضاً لانها من أفعال الوسائل التي بها يعلن الاله للانسان ما يريد ان يعرفه الانسان عن الذات الالهية وارايدته تعالى لا يقال ان اثبات معجزات يسوع ضروري لتأييد عظّمته . ولم ينسب البشّرون اليه فعل المعجزات قطعياً في كل سني حياته قبلما باشر خدمته التبشيرية عند بلوغه سن الثلاثين . وفي ذلك دليل مهم على صدق اخبارهم . لكن متى صدّقنا حدوث معجزات فعلها انبياء ورسّل بقوة الهية منحت لهم نصديق بالاحرى ان صاحب القوة الاصلية اي الاله المتأنس متى ظهر بين الناس يفعل معجزات بقوة الذاتية يمتاز فيها على كل من فعلها سواه

ومن الامور الحرة بالذكر في معجزات يسوع انها كانت معجزات رحمة لا معجزات ثمة . ولم يفعل سوى اثنتين نتج عنها اذى وخسارة مادية وذلك قصد التربية الادبية . ولم يفعل معجزات مطلقاً لاجل منفعة الذاتية ^(١) . ولا لاجل الادهاش ولا لاجل جذب الناس الى الايمان به . بل لاجل تثبيت الذين آمنوا . لانه كان يرفض طلب اليهود بان يريهم آيات لكي يؤمنوا . وفي معجزته هذه الاولى قيل انه بفعلها أظهر مجده فآمن به تلاميذه ^(٢) . وفي كل معجزاته معنى عميق ورمي روحي . فبواسطتها كان يعلن كثيراً مما بهم اعلانه من افكاره الداخلية ومبادئه وتعاليمه السامية وسجاياه الفاتنة جمالاً وقداً

(١) انظر ف ٨ اما حادث الاستار في قم السمكة لايفاء الجزية فان حسب معجزة بعد احسانا لبطرس لتخليصه من المشكل الذي اوجده جهلة مت ٢٤:١٧-٢٧

(٢) اي تقوى ايمانهم حال كونهم كانوا مؤمنين انظر ايضاً لو ٢٩:١٦ و٢١ ويو ٢٩:٢٠

ثم ان كثيراً من حركاته واسفاره لم يُعرف لولا خبر معجزاته . من امثلة ذلك سفره الى نواحي صور وصيدا الذي ورد في قصة معجزته هناك . ومقدار حنوه نحو الناس عموماً الموضح في معجزات الشفاء واشباع الالوف . وسلطانه على مغفرة الخطايا الذي بان في معجزة شفاء المفلوج في كفرناحوم ونحو ذلك . فلو حذف من اخباره قسم المعجزات والمباحث المتعلقة بها لضاع التسم الاكبر من انجيله . وتعطلت سائر الاخبار لعدم معرفتنا صادقها من كاذبها . فضلاً عن ذلك فان معجزاته اثبتت صدق مدعاه انه نزل من السماء . وقد شعر المخلصون بذلك في زمانه حتى وخصومه رؤساء اليهود^(١)

ان من المعجزات التي ليس لها تفسير طبيعي مطلقاً معجزة يسوع الاولى^(٢) التي حدثت في قرية قانا الجليل وطن تلميذه الجديد ثنائيل الذي فاق كل زملائه في صراحة شهادته ليسوع وقوته^(٣) . ونستنتج ان هذا التلميذ في غيرته الجديدة دعا سيده الجديد ورفقاءه في الايمان ليضيفوه كما فعل متى لما آمن^(٤) وكما فعلت ليدية في ايام الرسل^(٥)

وفي اثناء هذه الزيارة لقانا^(٦) حدث فيها عرس دُعي اليه يسوع وامه واخوته وتلاميذه من مدينة الناصرة على بعد نحو ساعين على المشاة^(٧) . ولا

(١) يو ٣: ٢١ و ٢١: ٢١ (٢) قدم البشير يوحنا فائدة جلي بقوله مع هذه المعجزة " هذه هي بداية الآيات التي فعلها يسوع " ثم بقوله في وقت آخر " هذه ايضا آية ثانية صنعها يسوع " (يو ٤: ٥٤) بهاتين العبارتين نفى كل الاخبار القديمة والحديثة التي تنسب الى يسوع معجزات في سني طفولته وحداثته انظر ف ٦ صفحة ١ (٣) يو ٤: ٤٦ (٤) لو ٥: ٢٩ (٥) اع ١٦: ١٥ (٦) خربة قانا وتسمى للآن قانا الجليل هي غير قانا بقرب مدينة صور (بش ١٩: ٢٨) وموقعها لجهة الشمال الشرقي عن الناصرة . واسمها واثارها باقية الى هذا اليوم وقد وقع بعض المفسرين في الخطا القديم الذي وضعته التقاليد السطحية بتعيين قرية كفر كنا انها قانا الجليل . فتتج عنه اقامة معابد ومزارات هناك مخصصة تذكراً لهذه المعجزة الاولى التي صنعها يسوع (انظر تفسير الانجيل لادي ٢: ٢٧٣) (٧) نستدل من بعض تفاصيل الخبر ان اهل العرس كانوا انساباً او اصدقاء خصوصيين لعائلة يسوع ومن جملة التقاليد القديمة ان هذا العرس كان لراوي هذا الخبر يوحنا الحبيب اخي يعقوب . حتى انهم قالوا انه

يستبعد ان تلاميذ يسوع يتوقعون عدم قبوله هذه الدعوة . بل ينتظر منهم ان يكونوا على مشرب معلمهم الاول المعمدان . وانهم يتصورون ان يسوع يتبع خطة المعمدان وسلفه العظيم ايليا . ويتنحى عن الافراح العالمية ملتزماً طريقة النسك والتعسف . ولربما يفكرون ان رجلاً كبيراً من رجال الدين كيسوع يترفع عن الامتزاج مع الحنفين في العرس . لان في ايام العرس السبعة لا بد ان يتغلب مهرجان الافراح على الصبغة الدينية التي البسوها للاعراس^(١) . وهذه الصبغة جعلتهم يفرضون على العروسين قضاء اليوم السابق للعرس في الصلاة والصوم والاعتراف بخطاياهما . وكان يُطلب من العروس ان تحضر كفين تهدي منها كفناً لعريسها . فيرتديان بهذا الرداء سنوياً في يومي راس السنة والكفارة

لكن لا يسوغ للخلاص العمومي ان يتبع خطة سلفه المعمدان من هذا القيل مثلاً من الدين الوجه الغضوب العابس ومنادياً بالوعيد للخطاة . بل

لما رأى هذه المعجزة آمن يسوع ايماناً تاماً فترك عروسه وتبعه . ومع ضعف الاساس التاريخي لهذا القول قد ورد ايضا في كتابات المسلمين . اما المخرافات السخيفة التي البسوها للاعراس فهذه مثالا . قالوا ان رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل وقفا شبيبتين في عرس آدم وحواء . ورغم لما جوق من الملائكة وان الخالق ذاته اعطى البركة على كأس الخمر التي شرباها

(١) اما توقيف العرس فكانوا يبالغون فيه . رَوَوْا ان الملك هيرودس اغريباس لما التقى بموكب عرس وقف وانتظر حتى مرَّ . وكان على من يلتقي بموكب عرس ان ينضم اليه . وان التقى به موكب دفن يتقدم موكب العرس عليه فيقف موكب الدفن ليمر موكب العرس . وهذه العادة تخالف قول الشاعر العربي

واذا الجنائز والعروس تلاقيا ورأيت دمع نواحٍ يترفرقُ
سكع الذي تبع العروس مبيتاً وغدا الذي تبع الجنائز ينطقُ

ويروون ايضا ان ايزابل ملكة اسرائيل وزوجة اخاب الفينيقية كانت تصفق يديها لكل موكب عرس يمر امامها وتنضم ماشية الى كل موكب دفن . ولذلك لما آكلت الكلاب جثتها (٢ مل ٢٥: ٩ و ٢٦) كوفت على ذلك بان الكلاب لم تاكل يديها ويحمل من كلام نشيد الانشاد (١١: ٣) انهم كانوا يضعون اكليلاً على راس العروس

يُطلب منه ان يظهر اشتراكه مع جميع اصناف البشر في احوالهم المختلفة وليس فقط في أتراحهم بل ايضاً في افراحهم . إنما ضمن الصلاح الكامل . لأنه أتى ليمثل محبة الله لجميع الناس . فعليه ان يفضل تمثيل الوجه الرضي البشوش منادياً بالوعود وهو صاحب البشارة المفرحة وموضوعها ^(١) . وعليه ان يكمل صورة الدين بتأييد مبدأ الالة والموانسة والافراح الجسدية الشريفة رمز الفرح الروحي الذي هو من اركان ملكوته ^(٢)

فيوحنا مثل الصرامة الدينية . ويسوع مثل بالاكثير اللطف الديني . يوحنا ساق الناس الى التوبة . ويسوع دعاهم اليها . يوحنا أتى لا يأكل ولا يشرب . ويسوع أتى يأكل ويشرب ويقبل الدعوات للولائم وان تقام له الولائم الخصوصية . يوحنا لبس الجلد ووبر الابل . ويسوع لبس اثواباً كانت موضوع طمع العسكر الروماني الذي صلبه . يوحنا قال في مقدمة وعظه " يا اولاد الافاعي من اراكم ان تهربوا من الغضب الآتي " ^(٣) ويسوع ابتداء وعظه بقوله " طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات " ^(٤) . فتلاميذ يسوع اخذوا حالاً مثالهم الاولى في المشرب الجديد لمعلمهم الجديد لما لبى الدعوة الى العرس في قانا

وفي اثناء العرس فرغت الخمر ^(٥) فعلمت مريم ام يسوع بذلك بسبب مداخلتها مع اهل العرس . لكن المدعوين حتى رئيس المتكامل المسؤول لم يعلموا فانتدبته للعمل بقولها " ليس لهم خمر " وذلك إما لان أمالها به تجددت بواسطة الاخبار الجديدة عما حدث له على ضفة الاردن فقصدت ان تستفزه لكي يري الناس مقدرة تليق بما تعلمه هي عن اصله ومقامه . او لانها حسبت عجيبه مع زمرة تلاميذه سبب فروغ الخمر . او لان روح الافتخار الوالدي

(١) لو ١٠: ٢ و ١٤ (٢) رو ١٤: ١٧ (٣) مت ٧: ٢ (٤) مت ٢٠: ٥

(٥) نجهل سبب هذا النشل لأهل العرس

الطبيعي جعلها تحسب ان تعظيم ابنها ينيلها هي ايضا عظمة^(١). او بدافع آخر
نجهلة نحن

فمن شكل جواب يسوع لها علم بان في كلامها تعرضا في غير محله اذ
قال لها "مالي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد"^(٢). لان يسوع عالم
انها تحتاج الى مثالة ثانية مؤثرة يدخلها شيء من التساوة حتى تفهم جيدا شأنه
الجديد واخباراته الجديدة والتغيير الكلي في علاقاته العائلية^(٣). فكلامه كان
بمثابة فاصل جديد بينه وبينها. كما انه فاصل بين ماضيه ومستقبله. اذ
يقصد ان يعلمها عدم المداخلة في اعماله ويبين لها في قوله "مالي ولك" انها
ليست بعد امه كما كانت في الماضي. وليست ارادتها قانونه. وايضا اذ ذلك
قال لها يا امرأة بدلا من يا أمي^(٤). قبل هذا الوقت كان يجوز ان يتعلم منها
ويأتمر بامرها. لكن الآن عليها ان تتعلم هي منه. وان تأخذ كل الحذر من
ان تلح أفل تلمح بانه يفتقر الى ارشاد بشري كأنه قاصر في معرفة الواجب
او مقصر في ابفائه. ولا شيء من التحير في قوله لاننا نسبعه بناديتها يا امرأة
في ساعة أعظم حنانه عليها واكرامه اياها^(٥)

فما اعظم الفرق في القصد بين قول الشياطين ليسوع كرها له "مالنا
ولك" وقول يسوع لأمه "مالي ولك" حبا ليكشف لها بذلك حقيقة
وظيفة المخلصية

في هذا الحادث افاد يسوع العالم ان السلطة العائلية في معاملة البالغين
والراشدين لا تتناول الامور الدينية. وان للعمل المنيد وقت ملائم ووقت

(١) هذا تفسير الواعظ الشهير بين الاباء الاقدمين القديس يوحنا ثم الذهب
(٢) صدق يوحنا ثم الذهب في قوله (لم تهمة امه بعد لكن لكونها امه ظنت ان لها
عليه حق كسائر الامهات وان تأمره في كل شيء مع انه يجب عليها ان توقره وتسجد له كرها)
(٣) كانت المثالة الاولى من هذا النوع توبيخه اياها في الهيكل وهو ابن اثنتي عشرة
سنة انظر ص ٧ (٤) لا احد من اتباعه فيما بعد سماه ابن مريم لكن خصومه قالوا
مرة تحيرا له "أليس هذا ابن مريم" (٥) يو ١٩: ٢٦

غير ملائم . فيسوع مستعد ان يعمل ما تطلبه مريم دون ان تطلب منه . لكنه لا يعمل الا في الوقت الملائم . وهذا الوقت يعرفه هو لا مريم . لذلك قال لها "لم تأت ساعتي بعد" (١) . فظهرت مريم رفعتها الالهية بقبولها هذا التوبيخ اللطيف من ابنها وتسليمها له بكل رزانه واحترامها اياه الذي ظهر عندما أمرت الخدام "مها قال لكم فافعلوه"

يسوع عالم ان الوقت قد حان لابتدئ بفعل المعجزات . ومهمته تستدعي ان يظهر ببراهين حسنة مرسلته السماوية وسلطته الالهية . ليعلم الناس ولا سيما تلاميذه ان انصاعه اخنباري لا اضطراري . وان يثبت ايمان الذين تبعوه حديثاً . وان يربي صبيات بين العموم يكفي ليجذب اليه الجماهير لكي يسمعهم تعاليمه ويدعوهم للخلاص بالايمان به . وان يظهر محبة للجميع ومحبة الاب الذي ارسله . اما ساعته لاجل فعل المعجزة فلا تأتي الا بعد ظهور العجز البشري الذي يبتدئ عند العون الالهي

كان في دار اهل هذا العرس ستة اجران حجر يسع كل منها نحو ثمانين جرار ماء اعتيادية . وبسبب عدد المدعوين الذين نموا قبل الدخول الغسلات اليهودية المطلوبة قد فرغت او كادت تفرغ من مائها (٢) . ولما انت ساعة يسوع ليصنع معجزة الاولى امر الخدام ان يملأوا هذه الاجران ماء . فملأوها حسب امره "الى فوق" . ثم أمر ان يستقوا منها ويقدموا لرئيس المتكلم (٣) فامتثلوا . ولما ذاقها الرئيس شهد للجودة الممتازة في هذا الخمر المقدمة

(١) قد ورد تكررًا في كلام يسوع استعمال هذه العبارة عن اتيان ساعة او عدمه . وفي كل ذلك عبرة مهمة (٢) زاد كثيراً عن الاعتدال تفنن اليهود في الغسلات الطقسية المتعلقة بالاكل والشرب فكانت الآنية لهذه الغسلات مهيأة دائماً . وفي الولايم كان يقتضي اكل هذه الآنية ولو بالاستعارة من الجيران . وغسل الآنية فقط يشغل ثلاثين فصلاً في كتاب المشنة . وبين الشروح الكثيرة في انواع الغسلات كانوا يقولون "من يكثر من الماء في غسلاته يكثر من المال في اشغاله" (٣) كان اهل العرس ينتخبون شخصاً من عدد مديري ادارة العرس مع وليمة . وكان اصحاب العريس يتبرعون

اخيراً^(١). وأدى شهادته جهاراً بعد ان نادى العريس وشكره لمخالفته العوائد السارية بتقديمه خمرأ اجود مما شربوا أولاً

كان قصد يسوع ان يخلص اصحاب العرس في ساعة افراحهم من الكدر والعار بسبب فروغ الخمر في غضون الوليمة. وان يفعل ذلك على كيفية معجزة ناطقة غير قابلة الشك والتأويل اذ قصد ان يقدم خمرأ. فاختر آنية ماء لا آنية خمر دفعا للريب بان آثار خمر سابقة تكون قد حوّلت الماء بتأثير طبيعي. او منحت الماء قليلاً من طعم الخمر. واخترها فارغة ليتحقق أكثر ان ما فيها هو ماء صرف. واخترها كبيرة حذراً من الظن انه يمكن استحضار خمر من الخارج يكفي لتمثلتها. وامر ان يملأها ليس اتباعه هو بل خدام العرس دفعا لكل ظن بان اعوانه استعملوا حيلة تعظيمها له. وامر ان يملأوها الى فوق لكي لا يبقى محل للقول ان خمرأ اضيفت الى الماء بعد ان وضعت الخدام

على هذه الكيفية كان شهوداً للحقيقة المعجزة عدد كافٍ من اهل القرية اي الخدم الذين لم يعرفوه قبلاً وليسوا من اتباعه او انسبائه فلا يُظن انهم يتواطئون معه في خدعة. بقي ناقصاً لتأييد عظمة هذه المعجزة شهادة كافية لجودة الخمر لكي لا يقال ان التصور ولد التصديق. وان ما شربوه لم يكن خمرأ حقيقاً. هذه الشهادة أداها افضل شاهد وهو رئيس المتكلم اذ نبه بكلامه جمهور الحاضرين. فلما تناقلت الالسن شهادة الخدام عن مصدر هذه الخمر الحديدية عرف الجميع المعجزة الحقيقية التي صنعها يسوع. وبذلك "اظهر معجزة فآمن به تلاميذه"^(٢)

للخدمة في العرس ويسمون خداماً ("دياكنوس" اي شمامسة)

(١) لا موجب للظن ان الماء كله تحول خمرأ وهو ما يساوي نحو خمسين جرة. اذ يكفي ان تحول الكمية التي استقوها من الاجران (٢) في قول البشير انه "اظهر معجزة" بدلاً من القول اظهر مجد الله اشارة واضحة الى مقامه الذي لا ينسب لمجرد بشر

والذي اخبر بهذه المعجزة هو الذي قال في يسوع "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء ما كان". فلا عجب اذا كان الذي يحوّل اعنيادياً في عروق الكرم ثم في الاوعية المعهودة ماء الى خمر على اسلوب طبيعي يكون له الحق والمقدرة على ذات الفعل لكن على كيفية جديدة خارقة العادة

بشهادة ثلاث حواس اي البصر والذوق والشم أثبت صدق هذه المعجزة الاولى. ولا سبيل لغير الحواس في تحقيق اي معجزة كانت. ولهذا يعترض بحق على الادعاء باستحالة الخبز الى جسد والخمر الى دم في السر المقدس المسيحي. لان الحواس لا توافق على ذلك. وخالق الحواس يحافظ على صدق شهادتها والمطالبون بهذه الاستحالة يدّعون ان هذه المعجزة الفائقة التي تنقضها الحواس تتكرر مرات بلا عدد في اماكن بلا عدد خلافاً لسائر المعجزات. فلهذين السببين مع غيرهما يتطلب تصديق هذا الادعاء نصاً صريحاً في كتاب الوحي مما لا يحتمل تفسيراً آخر او تأويلاً لمعنى مجازي. ولا ريب ان الله لو قصد ان يصدق الناس القول بالاستحالة المسمى اليها لجعل الحواس تشهد بصدقها تحويل يسوع الماء خمرًا بمثل اعماله الدائمة. فهو الذي يحوّل الحسن الى احسن والتمين الى اثنى. حوّل عهد الناموس القديم الى عهد النعمة الجديد^(١) وحوّل الرموز الوقتية الى الحقائق الاصلية كما يحوّل المعمودية بالماء الى المعمودية بالروح القدس وكلمة الارشاد الديني البسيطة الى خمر الخلاص الابدي في قلوب سامعيها

ومن جملة الامور التي تبين لنا تدريجاً ان يسوع ليس قدوة للبشر فيها لكونه ليس مجرد بشر موافقة على استعمال الخمر وتقديمه خمرًا للعرس. لان الذي سوّغ له ذلك علمه بالخفايا. فلا يكون في عمله قدوة الا لكل من يعلم علمه. ثم ان تغيير احوال العالم يغير الوجه الادبي في استعمال المسكرات. فما

(١) موسى حوّل الماء بمعجزة لكنه حوّل دماً وفقاً للناموس القديم القاسي. اما يسوع

فحوّل الماء خمرًا وفقاً للناموس النعمة الجديد

نعلمه عن يسوع وعن مبادئه وتصرفاته يجعلنا نحزم بأنه لو كان في استعمال الخمر التي صنعها ضرر في حينه لكان مستحيلاً أن يصنعها لهم^(١). لأنه متى كان التلذذ بما هو في حد ذاته جائز يتحول عثرة للآخرين يصير هذا التلذذ محرماً^(٢).

يلاحظ أن أول أعمال يسوع الجهارية كان أنه قدس وتوج بالرضى سنة الزيجة التي هي أقدم النظمات البشرية. وهو سنّها في جنة عدن^(٣) حين كان ابوانا الأولان في حالة القداسة التامة وكل نظام سواه سنّ بعد سقوطها ولأسباب غنية عن البيان^(٤) لم يدخل هو في هذا الارتباط الشريف. فلذلك كان لتكريمه الزواج بحضوره هذه الحفلة اهمية مضاعفة. إذ اثبت فعلاً في قانا الجليل ما قاله بعد رسوله وهو "ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد"^(٥). وبذلك حذّر الناس سلفاً من الوهم المضّر المستولي على الكثيرين بأن الزواج هو من باب التساهل مع الضعف البشري وقد سنّ لاجل ردع الناس عن الرذيلة. وإن في الامتناع عن الزواج فضيلة. فتتج عن هذا الظن الفاسد تخيير الزواج وتكريم التبتل. وعمل يسوع يدحض هذا الظن كما يدحضه قول الله لأدم وحواء قبل السقوط "وباركهم الله وقال لهم اثموا واكثروا واملأوا الارض"^(٦).

يجدّنا بولس التبول بين الرسل من محاولة منع الناس عن الزواج^(٧). ومن الغريب أن البعض من الوجه الواحد يرقون الزواج ويكرّمونه فوق ما هو مكتوب في الانجيل فيجعلونه سرّاً من اسرار الكنيسة. ومن الوجه الآخر يحفرونه بتعظيم ضده أي التبتل ويفرضون على خليفة بطرس أن يخالف

(١) نعلم من التواريخ أن انتشار المسكر كان كثيراً بين الوثنيين وقليل بين اليهود

(٢) روم ١٤: ٢١ وا كور ١٣: ٨ (٣) نقول "هو" بناءً على الكلام في يوا ٢٠:

(٤) يكفي سبباً اقتران الطبيعتين في شخص الواحد (٥) عب ٤: ١٣

(٦) تك ٢٨: ١ (٧) ١ كور ٥: ٦ واتي ٣: ٤

خطة بطرس المتزوج . ويحرمون رؤساء الكنيسة المقدسة وقد يسبها من احد اسرارها . ويسمون النذر بالامتناع عن الزواج نذر العفة . كأن الزواج مخالف لهذه الفضيلة الثمينة . والحال ان الزواج من اعظم دعائم العفة

يفيدنا جواب يسوع ان المقام المعطى لمريم ام يسوع عند البعض مقام وهي لا حقيقي . ومن ينسب الى آخر مقاماً لا حق له فيه يهينه . وكل عاقل يشمئز من الذين يحاولون اعطاءه عظمة لا تحق له . فريم المباركة لا يمكن ان ترضى قطعياً بان ينسب الناس اليها عظمة غير ثابتة من قول الانجيل . هي أجل من ان تقبل الاكرام الوهي . والذين يتمنعون عن المبالغة في اكرامها هم محبوبها وانصارها . وليس الذين يتطرفون الى الاوهام في هذا الاكرام

اما في امر شفاعتها فنقول اذا كان يسوع وهو في حال الاتضاع وفي اول خدمته لم يقبل مداخلتها في امر بسيط كتدبير الخمر في عرس فكيف يجوز الظن ان مداخلتها تكون مقبولة الآن بينما هو على كرسي المجد عن يمين الاب (وذلك في اهم الامور اي خلاص النفوس الابدي) لو فرضنا انها تريد ان تتدخل . ولتأكد كل واحد اننا لا نقصد مطلقاً في هذا الكلام تخفيض شيء من التكريم اللائق والواجب لوالدة مخلصنا يسوع المسيح . ولا نقصد الا التحذير من خطأ التطرف في ذلك . اذ لا علاقة لها مطلقاً في غير ناسوت يسوع المسيح . ابنها بالجسد وليس كابن الله قطعياً . فالخطأ يولد الخطأ وهلم جرا . لان ما من نوع يولد الا من نوعه (١)

كان حضور يسوع هذا العرس مقدمة جميلة لحضوره كل عرس يقام بين المؤمنين . لان هؤلاء يذكرون قول الانجيل ان الزواج ينبغي ان يكون في الرب (٢) وسوف يحتفل في آخر الايام بعرس هذا العظيم الذي حول الماء خمرأ في عرس قانا الجليل عندما يجلس هذا العريس الساوي على عرشه الملكي (٣) . وتكون العروس كل جماعة المؤمنين الذين يولفون كنيسة المحبوبة

(١) انظر الحاشية ف ٦ صفحة ٧٣ (٢) ١ كو ٢٩: ٧ (٣) مز ٦٠: ٤٥ مع عب ٨: ١

المخارة^(١). ولا يدوم هذا العرس الروحي سبعة ايام فقط بل الى ما لانهاية له .
فطوبى للمدعوين الى عشاء عرس الخروف^(٢)

واكرام الزواج يتبعه اكرام العلاقات العائلية . فالاسباب في احوال
يسوع وتلاميذه التي اضطرهم الى بعض الاهمال في علاقاتهم العائلية كانت
داعياً لظهور يسوع اعباراً اياها في فاتحة خدمته حذراً من ظن التلاميذ
وغيرهم انه لا يهتم بها فهي غير مهمة . ويؤيد يسوع المقام الرفيع الذي لهذه
العلاقات الثنوية . وفي الوقت ذاته يقدم عليها العلاقات الروحية الاولى
الاسمي والاقدي والاهم التي تربط النفوس باهلها وبالمسيح مخلصها وبأولاد
الله الروحانيين

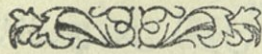
واظهاراً لمحافظة على العلاقات العائلية بعد كلامه لأمه نراه يرافق أمه
واخوته في زيارة الى كفرناحوم على شاطئ بحر طبرية . وقد نبه اهلنا الى انه
يقصد ان يتصرف لا كابن مريم بل في صفته العمومية كابن الانسان الذي
هو ايضاً ابن الله . وهذا لا يجعله ينسى اخوته في الجسد الذين يأتي ذكرهم الآن
لأول مرة

قد كثر البحث واشتد الخلاف في معنى القول "اخوته" . ونحن نعلم ان
ليس المقصود اخوته في الايمان . لان الانجيل يصرح انهم لم يكونوا يؤمنون به^(٣)
فهم اذاً اخوته بمعنى جسدي . ويجوز احياناً اتخاذ هذا الاسم للانسباء الاقربين
نظير اولاد العم وعلى الاخص اذا كانوا قد تبنوا وتربوا في العائلة عينها .
وميجوز كذلك اطلاق اسم اخوة على اولاد ليوسف من زواج سابق
لكن الامر الاهم في هذه القضية ان لا يجزم احد بدون مستند في الكتاب
جزماً قطعياً بكون مريم لم تلد غير يسوع . ومع ان هذا الزعم يجوز لا بلام
الذي يقول خلافاً لذلك . لانه لا يمكن ان يترك الوحي امرأ دينياً يجب
التشبه به بدون التصريح الكافي لاجل بناء اليقين والتعليم عليه

والامر الثاني المهم هو ان نعلم بان هذه القضية ليست جوهرية في الدين
فلا حاجة الى الجزم فيها لاسلياً ولا ايجابياً. لكن الذين يتخذون هؤلاء الاخوة
انهم اولاد مريم بعد يسوع لم بعض الاستناد في كلام الانجيل بينما ليس
لاضدادهم ادنى مستند فيه

والامر الثالث الذي يجب ان لا يبرح من الفكر هو ان التشبث بكون
اخوة يسوع ليسوا اولاد مريم ناتج عن التشبث بتوليتهما الدائمة^(١) وهذا التشبث
ناتج عن خطأ المبالغة في عظمتها . ويؤول الى تخفيض مقام الزواج وهو
خطأ مضر جداً

لم نطل ايام هذه الزيارة لان واجبات يسوع المذهبية كيهودي نقي
تدعوه مع تلاميذه للذهاب الى العاصمة لتأدية الفروض الدينية في عيد
القصص



(١) هذه العقيدة تولدت تدريجاً في الكنيسة المسيحية بعد زمان الرسل . يوجد في
الانجيل اربعة عشر ذكراً لـ اخوة يسوع وذلك في البشائر الاربعة واعمال الرسل وفي
بعض الرسائل . وذكرت اخواته دون تسميتهن وذكرت اسماء اخوته الاربعة بعقوب
ويوسي وسمعان ويهوذا . وقبل عن مريم انها امرأة يوسف وسمي يسوع "ابن البكر" .
فان كنا لاناخذ هذه الدلائل اساساً للجزم بانكار بتولية مريم فكم بالحري تمنعنا عن الجزم
بتلك البتولية

الفصل الحادي عشر

(يو ١٢: ٢-٢٥)

(المرصع) ف ٧ (الزمان) ١١-١٧ نيسان سنة ٢٧ م

(المكان) اورشليم

المخلل الديني في زمن يسوع . ابتداء عمله كمصلح في كبار القوم . طرده الباعة من الهيكل . خدمته الاولى في اورشليم . اعتراضات الرؤساء . الغضب الذي يكون فضيلة . نتيجة الاستخفاف الديني . نتيجة حب المال . علمه بخفيات الناس

لا نعلم كم مرة زار يسوع الهيكل غير الاولى التي ورد خبرها في الانجيل وهو في سن الثانية عشرة^(١) . لان الواجب المذهبي كان يقضي عليه في هذه السنين الثانية عشرة الاخيرة التي قضاها في الناصرة ان يصعد الى اورشليم^(٢) مرة على الاقل كل سنة . وذلك في عيد الفصح

قبل عن لوط لما كان في وسط شرور سدوم "اذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يوماً فيوماً نفسه البارّة بالافعال الاثيمة"^(٣) فتصوّر ذلك العذاب في نفس يسوع البارّة لما كان يطلع على الشرور في هذه الزيارات

كان يرى في رحلاته الاعناء الكلي العموي في التصليمات والتنظيفات في القرى والطرق والمعابر والجسور والينابيع والآبار استعداداً لمرور قوافل المعبدن . ومراعاة للفروض الطقسية وحذراً من النجاسات على انواعها . ومثل

(١) انظر ف ٧ (٢) علو اورشليم ٨٠٠ متر فوق سطح البحر وفخامتها جعلت الناس يعبرون عن الذهاب اليها بالصعود (٣) ٢ بط ٨: ٢

ذلك تبيض القبور . ولا سيما قبور مشاهيرهم . وكان يشاهد في اورشليم وهيكلا تظاهراً زائداً في التدين وفساداً عمومياً دينياً وأدبياً مرافقاً لكل ذلك حتى في الاماكن والافاق والاشخاص المكرسين لخدمة الله . كانت نتيجة هذا الفساد استيلاء الروح العالمي على رؤساء الدين . فجعلهم يتدخلون في السياسة . وبذلك اعطوا الحكم الوثنيين سيطرة على امور الدين الالهى المنزل المقدس . وامتست الرياسة الروحية بيد العاتي والراشي والفاسق ومتملق الحكماء . وبانت اشغال رؤساء الدين سياسية اكثر منها دينية فتمت ترأست السياسة وهي التجارية على الديانة وهي السيد يهوي بيت الدين الى الخراب

فلا بد ان يهتم يسوع كمصلح عظيم باصلاح الدوائر الدينية اولاً . فابتدأ بالهيكل الذي هو بيته لانه بيت ابيه . كانت الذبائح الاضطرارية اليومية في الهيكل كثيرة . حتى كانت في عيد الفصح تبلغ عشرات الالوف ^(١) . لان اليهود المشتتين في كل انحاء العالم كانوا يتفخرون ان يتناطروا الى اورشليم في هذا العيد ليقدموا ذبائحهم من اغنام وماعر وابقار وطيور . فوجب هذا التجمهر بان تكون دار الهيكل الخارجية فسيحة جداً

وكان مفروضاً ايضاً على كل يهودي ان يقدم نقداً للخزانة المقدسة على الاقل نصف شافل من شواقل الهيكل ^(٢) . ولا يقبل نوع آخر من النقود . ففضى هذا القانون على القادمين الى العيد من مقاطعات مختلفة ان يستبدلوا اصناف النقود المتنوعة الموجودة بيدهم بشواقل الهيكل

ثم لما كان يأتي اورشليم كثيرون من الامم الذين آمنوا باله اسرائيل دون ان يهودوا بالاختتان كان محرماً عليهم ان يدخلوا الهيكل الرسمي . ففحصوا لهم داراً اخرى فسيحة خارجية يجتمع فيها الساجدون من غير اليهود سميت "دار الامم" . ثم تحولت تدريجاً الى ساحة تجارية . لان رئيس الكهنة كان يؤجر

(١) يقول المؤرخ اليهودي الشهير يوسفوس ان العدد كان يزيد على مئتي الف

(٢) خر ١١: ٣٠ - ١٦ قيمة الشاقل ثلاثة ارباع الريال المجدي القديم

محلات فيها لباعة حيوانات الذبائح للصيارفة^(١) سدا لمطامعهم. وكانت الاقدار والروائح الكريهة والكلام البذي والخداع والظلم والطبع والضحج تدنس المعبد المقدس. فلا بد من ان انقياء الامة كانوا يشتمون ويثنون بسبب تدنيس هيكلهم لاجل منفعة مالية للرؤساء وحاشيتهم

اما اشتمزاز يسوع في كل زيارة فمن يقدر ان يتصوره؟ واذا كانت ساعة لم تأت بعد لمباشرة عمله الاصلاحى كان التزامه الصبر والسكوت صعباً عليه في تمسكه الشديد بالصلاح التام. في كرهه القلبي لكل شكل من الآثام. وغيرته الوفاة على الشرف الالهى وعلى توفير كل ما يتعلق بعبادته تعالى. فحذقة الممتاز جعله يرى كل ما يرى ويدري بما لا يرى^(٢) ايضاً من انواع هذا الفساد السائد

اما الآن فقد جاء العيد الاول بعد دخوله في وظيفته المخلصية. وصار له الحق التام ان يظهر ذاته كمصلح رسمى مقام من الله لهذا العمل. ويحق له ان يبتدىء بمقاومة اولياء الامور في شروهم جهاراً. جاء الوقت ليقب علينا الازدراء بروح الدين تمت طي الاعناء بحروفه. لانه لا يقدر ان يكون مخلصاً ما لم يكن مصلحاً ايضاً. لان خلاصه هو الخلاص من الخطيئة. هو يسمع انين البشر المحزن بسبب وبلائهم المتنوعة. وقلبه الرقيق يرثى ويردد سؤال النبي الحزين "أليس بلسان في جلعاد ام ليس هناك طيب"^(٣) ولا يبتنى عليه الجواب الذي ورد في قول نبي آخر "نظرت ولم يكن معين وتحيّرت اذ لم يكن عاخذ."^(٤) وبما انه يهتم كل الاهتمام في اراحة البشر من وبلائهم يهتم بازالة الشرور التي تسبب هذه الويلات ونتائجها في الدارين لهذا لا ق ان يبتدىء بعلمه الاصلاحى في اهم المراكز الدينية واعظهما.

(١) علامة ما اتصل اليه الصيارفة في المنكرات انهم حسبوا محرومين من الحقوق المدنية نظير العشارين ورفضت شهادتهم في المحاكمات (٢) يو ٢: ٢٥ (٣) ار ٨: ٢٢

(٤) اش ٦٣: ٥

ولا ينبغي ان هذه الخطة تويد في قلوب المتقدمين في امتي والمتمسكين يتفاليدها بغضة شديكة لشخصي ولتعاليم. ومع انه عالم ان هذه البغضة ستدوم وتزداد الى ان يفوزوا حسب الظاهر بعد سنين بنيل مأربهم اذ يعلقونه ويميتونه على الصليب اخذ بزرع الآن البذار الذي ستكون غلته الصلب

قصد ان يقدم ذاته للامة في مركز الدين وامام رؤساء الدين كمسيحهم الموعود "رجاء اسرائيل" (١). لانه "جاء الى خاصته" (٢). الى "خراف بيت اسرائيل الضالة" (٣). فان قبلوه راعيمهم الحقيقي "لا يعوزهم شيء. لانه في مراعي خضري ير بضمهم والى مياه الراحة يوردهم" (٤). كراع صالح يعلم ما هو لخبرهم اذ يقصد قبل كل شيء ان يحررهم من عبودية عدو نفوسهم ومن سلطة خطاياهم. فلذلك جعل الاصلاح خطوته الاولى

ويعلم جيداً ان لا قوة للشعب على اجراء الاصلاح لو قصدوا ذلك. لان رئيسي الكهنة حنّان وصهره قيافا كانا مع عائلتيهما مكروهين عند العموم بسبب فضائليهما المشهورة. ولا وسيلة للعموم لتزع هذه الرتبة السامية عنها واعطائهما لمن يستحقها

وبما ان يسوع مخلص عمومي يطلب منه ان يعامل طرفي القوم اي الرؤساء الاغنياء المتقدمين والفقراء البسطاء المزدري بهم. فان نقسى على الضعفاء وتساهل مع الاقوياء يجذو الحذو المألوف. لكن التساهل مع الاقوياء لا يعد لطفاً. ولا الصرامة في معاملة الضعفاء بسالة. فيسوع فاق لطفاً في مسابرة البسطاء في معجزته الاولى في عرس قانا الجليل. وسنراه يفوق بسالة في مقاومة العظماء في عمله الاول في قصة الامة

في عمل يسوع كمخلص مصلح يشترط ان يظهر كرهاً شديداً للخطيئة على انواعها. قال داود في المسيح قولاً كرره الرسول بعد "احببت البر" وابغضت الاثم. من اجل ذلك مسحك الله الهك بدهن الابتهاج اكثر من

رفقائك^(١). البغضة تطلب اباده غريمها وليس اجتناباً فقط. فبجرد اجتناب الشر لا يصير مصلحاً ولا يوجد اصلاحاً. واعظم السرور هو ما يتخذ الدين سناراً له. بهذا النوع ابتداء يسوع في عمله الاصلاحى

اخياره رؤساء الدين اولاً كان عين الحكمة. اذ لا اصلاح للرعية الا بعد اصلاح رعاتها ولا صحة للجسم ما دام رأسه معتلاً. ولا نصير للجيش ما دام قائده مختلاً^(٢) وكان اهتمام يسوع ايضاً بتربية تلاميذه الجدد الملائمين له في المبادئ النورية. فمن اهم هذه المبادئ المقاومة العنيفة لكل خلل في الدوائر الدينية. ويعلم هؤلاء الرؤساء الكلام النبوي المشير الى المسيح القائل انه "يأتى بغتة الى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتى قال رب الجنود. ومن يحتل يوم مجيئه؟ ومن يثبت عند ظهوره؟ لانه مثل نار المحمص ومثل اشنان القصار. فيجلس محصاً ومنقياً للفضة فينتقي بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب مقدمة بالبر"^(٣). "ويأتى مشتهى كل الامم فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود"^(٤)

فاتباعاً لهذه النبوة ظهر يسوع بغتة في هيكله كمحصى وياشر تطهيره بياناً لاستعداده ان يطهر هياكل الله الحقيقية التي هي قلوب البشر. اتي مستعداً ولم يبطئ بعلمه. صنع سوطاً من حبال وطرد من الهيكل كل ما لاحق له هناك. لم يستعمل العنف مع الباعة والصيارفة او يطردهم. لانه يريد ان يعرفوا ان غضبه ليس موجهاً ضد اشخاصهم. بل ضد اعمالهم المغايرة. طرد المواشي وقلب موائد الصيارفة. لان ليس من يد تفعل ذلك غير يد. لكنه لم يفلت الحمام الذي اذا طار لا يعود بل قال لاصحابها "ارفعوا هذه من ههنا". ثم خاطب الجميع قائلاً لا تجعلوا بيت ابي بيت تجارة

(١) مز ٧: ٤٥ مع عب ٩: ١ صدق الشاعر في قوله

واذا رأيت الرأس وهو متهشم ابقت منه تهمش الاعضاء (٢) ملا ١: ٢-٣

(٤) حج ٧: ٢

فمن هو هذا الذي يفرز ذاته عن شعب الله جميعاً ويقول "بيت ابي"؟ وهل تكلم هكذا في كل الزمان نبي اورسول او ملاك من السماء؟ ومن هذا الذي في محضراجم الغفير الذي غصّت به دور الهيكل بغير العوائد التي ألفوها وينكر على العبدّة تلك التسهيلات التي طالما استعانوا بها في "دار الامم" لوجود حاجاتهم فيها. وبضطرهم الى الخروج الى شوارع المدينة للحصول عليها؟ ومن هو هذا الذي يستقل عن رؤساء الدين في الدائرة المختصة لسلطتهم. وينقض الحقوق التي اجروها بدارهم للباعة والصيارف؟ باي حق يطرد بعنف ابقار هؤلاء واغنامهم ويشوش حساباتهم وترتيب دراهمهم؟ وكيف يخسرهم الارباح التي اباحها الرؤساء لهم في هذا الموسم المهم؟ ولماذا يستهين بهذه الرياسة المؤيدة من الامة اليهودية باسرها والحكومة الرومانية بعظمتها؟

وكيف يستطيع ان يقوم بعمل كهذا بينا الكهنة واللاويون وهم عصاة قوية مجومون مئات في ممارسة خدمتهم بلباسهم الرسمية؟ أليس ان رثسهم الاعظم قد خول هؤلاء المطرودين حق هذا الاتجار الذي عطّله يسوع؟ فضلاً عما تحت طلب هذا الرئيس من الجنود الرومانية الموقوفة لتأييد تلك السلطة وحفظ نظام الهيكل

ان يسوع الشاب الذي يكاد ان يكون مجهولاً. لان هذا ظهوره الأول امام الجماهير. وهيئة فقرية ورفقاء جليليون قليلون محقرون. فكيف يحسر ان يقدم على عمل كهذا؟ بل كيف يفلح فيه ان اقدم عليه؟ والجواب ان ضامم القوم تعينه على الفلاح. لان الخاطئ جبان تجاه الناس وتجاه ضميره بينا البار جريء. قال الحكيم "الشريد يهرب ولا طارد. اما الصديقون فكشبل ثبيت" (٢) فصمير الفريقين (اي الروساء وتجارهم) كان نصيراً لعمله وقيد

(١) هذه المرة الوحيدة التي ذكر فيها ليسوع بعمل جسدي عنيف. لان طرد عدد

عظيم من الحيوانات دون مساعدة ليس يمين (٢) ام ١١:٢٨

الذين لولا ذلك لكانوا يقاومون شديداً . فلما انتهرهم كآمر ذي سلطان قائلاً "ارفعوا هذه من ههنا . لا تجعلوا بيت ابي تجارة" ذلوا امامه وقد اعانته ايضاً شهادة المعدادن التي تقدمت للروساء بواسطة الوفد الذي ارسلوه اليه ^(١) . ولربما بلغهم خبر المعجزات في قانا ^(٢) التي تؤيد تلك الشهادة . ثم ان اليقظة الجديدة القوية التي نجت عن خدمة المعدادن اعدت افكار كثيرين للاعمال الاصلاحية فينتظران الروساء بحسب حساباً للانتقاء بين شعبهم وان كانوا قليلين الذين تمرروا من تصرفاتهم المغايرة

فاسباب كهذه مهدت السبيل للسبب الاعظم الذي يعزى اليه فلاح يسوع المستغرب في مقاومته الاولى لفساد الروساء . وهذا السبب هو هبة القداسة فيه المقرونة باظهاره تفردّه عن جميع البشر في علاقته مع الله لما قال لهم "بيت ابي" وان لبسالة القداسة هبة لا تقدر

اكتفى الروساء في هذا الوقت ان يقاوموا بالكلام . وحجوه بان لا يحق له ان يعارضهم في سلطانهم على الهيكل وممتلكاته ما لم يكن نبياً او مرسلان من الله . وان كان كذلك فعليه ان يثبت رسالته الالهية بمعجزة خصوصية جديدة امامهم تضطرهم الى الاعتراف بسلطانهم الديني . لكن يسوع لم يرضخ لطلب هؤلاء الاشرار بان يرجع اليهم الحكم فيما اذا كان له حق ان يفعل ذلك الا انه لم يترك لهم حجة بسكونه . فاعطاهم جواباً نبوياً عميقاً حيرهم وضاعف غيظهم عليه اذ اجابهم بلغز معناه ان شخصه معجزة كافية واعظم المعجزات . وان ارادوا ان يعرفوا ذلك فليقتلوه وهو يقوم من الموت بعد ثلاثة ايام . قال "انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة ايام اقيم"

قال الرسول بولس في وعظه امام فلاسفة اليونان الوثنيين في قصبة بلادهم مقابلاً بين اصنامهم والاله الحقيقي "الاله الذي خلق العالم وكل ما فيه

هذا اذ هو رب السماء والارض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالايادي. ولا يخدم بايدي الناس كأنه محتاج الى شيء اذ هو يعطي الجميع حياةً ونفساً وكل شيء^(١) ثم قال ايضاً للمؤمنين "أما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم^(٢). ام لستم تعلمون ان جسدهم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم^(٣). فان جازت تسمية اجساد المؤمنين وهم خطاة هياكل الله كم بالحري نصح هذه التسمية في جسد يسوع الطاهر. لان الهيكل هو المحل المخصص لحلول الاله فيه. وفي شخص يسوع "حل ملء اللاهوت جسدياً"^(٤)

ولولا غلاظة قلوب هؤلاء المتفنين في درس كلام انبيائهم لفظوا لما كتبه اشعياء "ابن البيت الذي تبنيون لي واين مكان راحتي *** الى هذا انظر. الى المسكين والمنسحق الروح والمرتعدين من كلامي"^(٥). وقد فسر استفانوس هذا الكلام بقوله "العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الايادي"^(٦) فهاجوا عند هذا الجواب الذي لم يفهموه اذ حسب الرؤساء قوله "انقضوا هذا الهيكل" تجاسراً كفرياً وجنوناً. كيف يدعوه هذا المعلم الجديد وهو يهودي لينقضوا هيكل الله المقدس الذي هو فخر الامة الاعظم ومن هو هذا الذي يدعي بانه قادر ان يبني مثله بثلاثة ايام ان تنقضوه؟ فان هيرودس الملك مع كل غناه وسطوته واجتهاده الزائد لاجل ترميمه وتحسينه فقط وبعد عمل متواصل مدة ست واربعين سنة^(٧) لم يقدر ان يكمل ذلك فكيف يقيم جديداً هذا الشاب الفقير الجليلي في ثلاثة ايام؟

كان كلام يسوع هذا غامضاً على تلاميذه فلم يفهموا قصده الا بعد ان نقض اليهود هيكل جسده بصلبه واقامة هو في اليوم الثالث. حينئذ فعل هذا القول فعلة المقصود وثبت ايمانهم بسيدهم الذي كانت امنهم قد رفضته. وعلموا

(١) اع ٢٥: ١٧ و ٢٥: ٢٦ (٢) ١ كو ١٦: ٣ (٣) ١ كو ١٩: ٦ (٤) ١ كو ٩: ٣

(٥) اش ٦٦: ١ و ٦٦: ٢ (٦) اع ٤٨: ٧ (٧) ينيبنا التاريخ ان تجديد الهيكل

المشار اليه لم يتم الا بعد هذا الكلام بنحو ثمانية وعشرين سنة

ان جرأته في مقاومة رؤساء الامة انت انما للقول النبوي "لان غيرة بيتك اكلتني . ونعيرات معير بك وقعت علي" (١)

اما تأثير جواب يسوع في الرؤساء فدام طويلاً حتى جعلوه بعد سنين حجة شكواهم عليه لكي يمتوه (٢). ولما تم انتقامهم ورأوه معلقاً على الصليب عبروه به (٣). ولما طلبوا من الوالي حرساً يوضع على قبره ليمنع قيامته بنوا طلبهم على هذا الكلام الذي اوقد في صدورهم نار البغضة المميتة التي التهمت اخيراً بتعليقه على الصليب (٤). وبذلك صح ان غيرته على بيت ابيه اكلته . وكان يسوع عالماً بان تأثير هذا التطهير سينزل قريباً وترجع الامور الى مجراها القديم . لاننا سنراه مضطراً الى تكرار هذا التطهير في مثل هذا العيد بعد ثلاث سنين . لكن لم يوقفه ذلك العلم عن العمل المطلوب . لان اخفاء تأثير العمل المحسن لا يعطل حسنه ولا يضع اجره

ولما كان هذا الحادث هو الاول الذي اظهر فيه يسوع غضباً بحق لنا ان نسأل عن اتفاق هذا الغضب مع القول بكاله الادي . والجواب ان الغيظ قد يكون فضيلة كما قد يكون اللطف عكسها . اذ يشترط في الغيظ الفاضل ان يخلو من كل غاية نفسية . ومن كل حركة مستفجرة . ويشترط في اللطف الفاضل ان يخلو من الجبن والركاكة والحماة . وقد سبق الكلام في ضرورة بغضة الائم وهذه تستدعي الغيظ والحدة والعنف في بعض الاحوال . ولهذا رأينا يسوع يخدم غيظاً على تدنيس الاقداس . فالأقداس هي الاشياء الظاهرة التي تمثل امور الاله القدوس للحواس البشرية . فاسم الله وبيته ويومه وكلامه ورجاله هي اقداس وتحترم اكراماً للقدوس الذي تمثله . وكل من يستخف بشيء منها يحل عليه غضب الخروف (٥) كما حل في هذا الحادث على الذين استباحوا لانفسهم تدنيس الهيكل

(١) مز ٦٩: ١٠ (٢) مت ٢٦: ٦١ (٣) مت ٢٧: ٤٤ (٤) مت ٢٧: ٦٣

(٥) رؤ ١٦: ٦

واحتد غيظ يسوع ايضاً على حب المال الذي هو حسب قول الرسول اصل لكل الشرور^(١) فشرّ تدينس الاقداس الذي نحن في صددِه ننج عن هذا الاصل. وفي قول يسوع "لا تجعلوا بيت ابي بيت تجارة" اوضح ان الربح التجاري كان قد حلّ في قلوبهم محل الحب الالهي. كأنه يقول لهم ما قاله بعدئذٍ "لا تقدرون ان تخدموا الله والمال"^(٢) ويزيد عليه هذا الكلام. ان فعلكم يبرهن انكم تخدمون المال لا الله وشرائكم حب المال هو تدينس الاقداس الذي يستخر الدين لاجل ارباحه التجارية^(٣) فالتجارة التي قضى عليها يسوع هي في حد ذاتها جائزة لابل ايضاً واجبة. وحب المال في حد ذاته كذلك. لكن الظروف حولت هذه التجارة الى المحرام. لان تفضيل المال على الواجب الديني يحول حب المال الى عبادة الاوثان^(٤)

ان يسوع انتصر في هذا العراك مع رؤساء اليهود (ومع الطاغبي الخفي العظيم الذي تعزى اليه كل الشرور) ومع انه رفض ان يصنع عند طلبهم معجزة باشر في اورشليم معجزاته الخيرية "فأمن كثيرون باسمه". كما نرحب لهذا الايمان لولا قول البشير "ان يسوع لم يأمنهم على نفسه لانه كان يعرف الجميع". ومن هذا بان ان ايمانهم كان عقلياً فقط لا روحياً قليلاً. فهم كالارض الخفيفة التي لا يدوم فيها الزرع كثيراً بل متى احدثت عليه حرارة شمس الاضطهاد وطال الزمان يجف ويبس^(٥) فبعض هؤلاء الذين آمنوا سيرتدون متى اضطهدهم قومهم لاجل ايمانهم. والبعض متى تيقنوا ان ليس لمبايعي يسوع منافع زمنية وليس من غرضه انشاء ملكوت يهودي سياسي وجاءه عالمي اما الروحانيون منهم فيتراوحون بين الشك واليقين كما سنرى في الذي هو موضوع الفصل التالي

ان يوحنا الرسول وحده ترك لنا خبر ما جرى في زيارة يسوع هذه

(١) اتي ٦: ١٠ (٢) مت ٦: ٢٤ (٣) انظر كلام بولس القوي في شر حب

المال اتي ٦: ٩ (٤) كو ٣: ٥ (٥) مت ١٣: ٥٠ و ٦٠ و ٢١

لاورشليم في عيد الفصح الأول بعد مباشرة خدمته العلنية . وهو يقدم شهادة
 ليسوع لم تعط الأله ولا تصح في غيره من البشر لما قال "لم يكن محتاجاً ان
 يشهد احد عن الانسان لانه علم ما في الانسان". وهذا القول مما لم يرد مثله
 في نبي او رسول

ومن هنا نفهم جيداً ان يسوع كان ذا حذاقة طبيعية ممتازة ترفع مداركه
 فوق مدارك معاصريه. وان اقتران الطبيعة الالهية بالطبيعة الانسانية زاد كثيراً
 هذا الادراك وهو تفسير كافٍ لمعرفته قلوب الجميع وخفياتهم . فمعرفة كنهه ان
 كانت لانسان خاطئ تعطيه قوة هائلة للاضرار. اما يسوع فلما لا يمكن
 ان يستخدمها الا للافادة . وسرى خيراً عظيماً حصل من معرفته اسرار
 القلوب

الفصل الثاني عشر

مت ١٢:٤ مر ١٤:١ لو ١٤:٤ يو ١٣:١ - ٤:٤

(المرصع) ف ٧ و ٨ (الزمان) نيسان الى ك ١ سنة ٢٧ م .

(المكان) اورشليم . اليهودية

زيارة الرئيس نيقوديموس يسوع . خطاب يسوع الاول وموضوعه الولادة الثانية . ملكوت الله حياة داخلية . القضايا الجمهورية في هذا الخطاب . المعبودية . انصرافه من اورشليم والتعبيد بواسطة تلاميذه . الجدل في التطهير . تلاميذ المعبدان . يسوع عريس الكنيسة . شهادة المعبدان الرابعة . سجن هيرودس اياه . انصراف يسوع من اليهودية

من جملة الذين علم يسوع ما في قلوبهم دون مخبر شخص نال فوق شهرته في زمانه شهرة افضل واوسع بواسطة يسوع . اسمه نيقوديموس^(١) ورتبة "معلم في اسرائيل" "رئيس لليهود" "مشير" اي عضو في "السندريم" مجلسهم

(١) ذكر كتبة اليهود شخصاً بهذا الاسم مع ذكر اسم ابيه وقالوا انه احد ثلاثة هم اغني رجال اورشليم . وان المهر الذي نقد ابنته يو عند زواجها كان مليون ريال ذهباً . وقيل ايضاً انه افقر تماماً وصارت ابنته هذه تعيش بالتسول . لا بل كانت لشدة جوعها تلتقط من بين اقدار ازقة المدينة حبيبات الشعير وغير ذلك لاجل الطعام . وقالوا انه عاش الى ما بعد خراب اورشليم

اما التقاليد المسيحية فتقول انه بعد قيامة يسوع اشتهر ايمانه به واعتمد بيد بطرس ويوحنا ولهذا السبب عزله اليهود من مجلسهم وجلدوه وطردوه من المدينة . لكن الاستاذ الشهير غملاييل (استاذ بولس الرسول) كان نسبة فانتصره وضمه الى بيته في إحدى القرى المجاورة حيث بقي الى حين موته ودُفن باكرام مسيحي بجانب قبر استفانوس الشهيد المسيحي الاول

الملي الكبير المؤلف من سبعين عالماً . فمع انه احد الرؤساء الذين حدث بينهم وبين يسوع الاصطدام المشار اليه في الفصل السابق لم يكن على شاكلة زملائه . لانه مما انحط كبار القوم دينياً وادبياً لا بد من وجود افراد انقياء بينهم مثل نيقوديموس الذي يستنتج انه سر قلبياً بعمل يسوع لما طهر الهيكل^(١) لم يكن يسوع كباقي الناس مسوقاً من الظروف في ما يقوله او يفعله . بل كان يسوق الظروف لتأتي بما يقصده . وكان له ساعة معينة لكل اعماله واعمال معينة لكل ساعاته . وقد انت الساعة ليزيد ايضاحاً في كونه مخلصاً عمومياً . فكما اظهر اهتمامه في ما مضى بصغار القوم وفتح بينهم يظهر في هذه الساعة اهتمامه بكبار القوم وفتح بينهم ايضاً . حتى انه ان يهتم أولاً بالسطاء والنقراء لان الشهامة والرحمة تقضيان بذلك ولان هؤلاء يولفون الاكثرية العظيمة في البشر^(٢) . ولكن لا بد له من الاهتمام بالجانب الآخر المعدود الاعلى لانه مخلص الاغنياء والعلماء ايضاً

فنيقوديموس شخص مهم في ترجمة يسوع لانه الباكورة بين قواد الامة الذين اثر فيهم تعليم يسوع الديني . وكما لم سبب زيارته خطاب يسوع الديني الاول^(٣) . ولا بد ان يكون موضوع هذا الخطاب مبدأ اولياً في الدين .

(١) وربما بعض زملائه ايضاً لانه قال ليسوع "تعلم" بصيغة الجمع

(٢) يجب الحذر من المبالغة في وصف تلاميذ يسوع الاولين ورسلة بالنقر والسذاجة مع ان بعضهم صيادي سمك كانوا اصحاب سفن للصيد ولم اجري يشتغلون معهم . نعم لم يكونوا من علماء عصرهم لكن كلامهم وكتابتهم وتأثيرهم تبرهن على ان معارفهم لم تكن قليلة . ولا يخفى ان اليهود كانوا يكرمون الاعمال اليدوية وكان فرض على الوالدين ان يعلموا اولادهم حرفاً صناعية مما كانوا اغنياء لربما يفتقرون اليها يوماً ما

(٣) قد مضى نحو ثلاثة اشهر مذ باشر باعتداده خدمته الجهارية . فضلاً عن السنين الثلاثين السابقة . ومع ذلك فان كل ما حفظ للعالم من اقواله الى الوقت الذي وصلنا اليه يجمع في كلمات تشغل سبعة او ثمانية اسطر في الانجيل وتلنظ في دقيقة واحدة وهي نحو ١١٦ كلمة ١٢ في زيارته الاولى اورشليم و ١٠ عند تعبه و ٣ عند نجرته (ما خلا كلمات موسى التي اقتبسها في اجوبته للعجرب) و ١٢ للذين تبعوه عند الاردن . و ٤٤ الى

تتصور يسوع وتلاميذه الذين اتوا معه من كفرناحوم^(١) في جلسة مسائية مع اهل البيت الذي كانوا فيه ضيوفاً^(٢). ثم الحركة القوية بينهم عندما دخل هذا الرئيس بغتة بهيئته الطبيعية وبملابسه الفاخرة. لانه كفريسي يكون من الذين يعرضون عصائهم ويعظمون اهداب ثيابهم^(٣) وكان يقابل ايضاً مرة في شوارع المدينة ودور الهيكل حتى وفي دوائر الحكومة بالاكرام الممتاز. لانه جامع في شخصه الغنى والعلم والرتبة والقيادة والصالح والشيخوخة. فكيف لا يجنبي به وقد شرف هذا المحل البسيط في ساعة لا ينتظر من مثله زيارة؟ ولكن مجيئه لا يخلو من الارهاب لانه فريسي وعضو في المجلس الاعلى. وقد بغت يسوع وجماعته على اثر تطهير الهيكل واغاضته الرؤساء بذلك

تتصور وقوف الجميع احتراماً عند دخول هذا الرئيس وانتظار يسوع ورفقائه ليفتح الزائر الكريم الحديث ويعلن غاية مجيئه المستغرب. فلما تكلم هذا الشيخ اظهر اولاً احترامه الشخصي ليسوع. ومع ان يسوع كان شاباً ولا يزال مجهولاً في البلاد وغير متخرج في مدرسة من مدارسهم وجليلي ومن الناصرة اسمهل نيقوديموس كلامه "يا معلم" (ربي) الذي هو اعلى لقب ديني عند اليهود. ويعطى لخرجي مدارسهم العالية اللاهوتية. فالاعتراف بهذا اللقب الشريف لشاب لم يتخرج في تلك المدارس لابل لم يدخلها لم يكن منتظراً من هذا الرئيس الفريسي. وتلا ذلك اعترافه "نعلم انك قد اتيت من الله معلماً". رفعه كثيراً فوق الربيين بين قومه الذين لم يأتوا من الله بل اخذوا تلك الرتبة من الرؤساء ومدارسهم. ثم دعم يقينه بالبرهان. لانه كعالم

تفنائيل و١٨ في عرس قانا الجليل و١٧ عند طرده الباعة من الهيكل

(١) الانجيل لا يذكر الوقت او الظروف المتعلقة بانضمام يهوذا الاسخريوطي الى التلاميذ. لكن لكونه من اليهودية خلافاً لزملائه يظن انه انضم الى يسوع في وقت زيارة هذه لمقاطعة اليهودية (٢) لا يستبعد انه كان في احدى القرى خارجاً نظير بيت عنيا

(٣) مت ٢٣: ٥

لا يسلم إلا لجهة قوية . اذ قال " لان ليس احد يقدر ان يعمل هذه الآيات التي انت تعمل ان لم يكن الله معه "

فمن هذا يلاحظ ان نيقوديموس كان على شاكلة سمعان الشيخ " باراً نقيماً " ينتظر تعزية اسرائيل " (١) . (اي محيى المسيح) . وانه أتى ليتحقق هل هذا المعلم الجديد هو المسيح ام لا . غير انه يستدل من جواب يسوع انه كان معتقداً بنفسه ومتكلاً على صلاحه لاجل الخلاص . وعلى كونه ابن ابراهيم ومن افراد الشعب المختار وكنتم فرائض النظام الموسوي بكل تدقيق . وكفى ليس في المال فقط بل في الاعمال الصالحة ايضاً . وكضليع في الشرائع الالهية والمباحث الدينية ينتظر ان يسبق الجميع الى ملكوت السموات . وان رفعة مقامه في مجلس ملته وكرامته بين شعبه تكون مقدمة لمقام سام في مجلس القديسين في السماء . فما اكثر الذين في كل جيل يتكلمون نظير نيقوديموس على المعارف الدينية والفرائض المذهبية والحسنات الخارجية لاجل الخلاص لكن ايها الرجل الكبير سل ضميرك لماذا جئت ليلاً لزيارة هذا المعلم الذي تقول عنه انه اتى من الله معلماً . أليس ذلك جنباً منك ؟ فأين عظمتك ؟ أليس حياة ايضاً ؟ فأين استقامتك ؟ ان نيقوديموس خاف ان بشهر ميله الى يسوع لانه يعلم جيداً ما لا بد ان يقاسيه ان فعل . لان اقل ما يصيبه العزل من وظيفته والسقوط من اعتبار قومه . ألم يرب بالامس في زملائه هيجان البغض ليسوع في دار الهيكل وفي الاثثار عليه الذي نرجح وقوعه في مجلسه . ثم انه يستحي ان يعرف عنه انه أتى ليستفيد من هذا الشاب الجليلي العاي . وهو أحد رؤساء العلم . ولخوفه وحيائه أتى ليلاً (١)

لا شك ان نيقوديموس علم فيما بعد جسامه خسارته لكونه لم يطرح

(١) لو ٢٥: ٢ (٢) لم يذكر بشير غير يوحنا هذا الشخص . وقد ذكره ثلاث مرات يكرر في كل منها انه اتى ليلاً فيستدل ان في مجيئه ليلاً معنى خصوصاً يجب الانتباه اليه

كبرياءه وخوفه جانباً وينضم كتمليذ الى هذه الزمرة الصغيرة . لان مواهبه واحواله كانت تؤهله لعمل ممتاز ومقام رفيع بين مؤسسي الكنيسة المسيحية . فلو ظهر جميع الذين نظيره يتخذون ستار الليل غطاءً ليقينهم الحقيقي ويخفونه خوفاً او تكبراً او حياء ما كان اعظم الجيش الذي يؤلفونه

نرجح ان نيقوديموس حسب انه اكرم يسوع كثيراً بكلامه وانتظر منه شكراً واعترافاً بذلك . ولا شك ان لاميد يسوع افتخروا واستبشروا بهذه الشهادة . لكن يسوع كطبيب روحي امين لا يفتكر الا بالاعنلال الروحي في زائره المعترف . لذلك قصد ان يجرحه لكي يستخرج الاوهام ويضع في الجرح الدواء المناسب . فالخطوة الاولى في تخلص النفوس هي هدم الاركان الباطلة التي يبني عليها رجاء الخلاص . ويسوع شقّ دفعةً واحدةً بسيف فيه كل الغلافات التي غلف بها نيقوديموس رجاءه الوهمي بالخلاص . ولم يكتثر باكرامه اياه بل اجابه "الحق الحق" ^(١) اقول لك ان كان احد لا يولد من فوق لا يقدر ان يرى ملكوت الله "كأنه يقول له" لانك لم تولد من فوق فانت لا تقدر ان ترى ملكوت الله . ان نيقوديموس لا يجهل موضوع الولادة الثانية لانه موجود في التوراة . لكن اليهود فسروا انه يختص بالوثنيين الذين لا يخلصون ان لم يتهودوا ويختتنوا ويحفظوا سائر الفرائض اليهودية وبما ان كل يهودي حاصل على ذلك فلا يحتاج الى الولادة الثانية ^(٢) . لذلك حار نيقوديموس في امره . فاجاب بكلام ظهر منه ليس فقط الشك الشديد بصدق كلام يسوع بل انه أخذ الكلام ايضاً في الولادة بالمعنى الجسدي تنبأ اشعياء عن يسوع انه "لا يقصف قصبة مرضوضة ولا يطغى فتيلة

(١) كلمة "الحق" هي المترجمة في بعض الآيات آمين والمعنى واحد . وهذه المرة الاولى من مرّات كثيرة بدأ يسوع بها مكررة في تصريحاته تنبيهاً لسامعيه الى قضايا ذات اهمية ممتازة (٢) تطرّفوا في هذا التفسير الى ان قالوا ان هذه الولادة الجديدة تناول ليس القلب فقط بل الجسد ايضاً فتشخّص كل العلاقات السابقة حتى النسبية منها . لذلك تعد الاخوت حتى والام كنهنها غريبتين عن الامي الذي يتهود . فلا يخفى ولو تزوّج باحداها

خامدة“ (١). وقد صحت هذه النبوة في اعتناء يسوع بان يري في هذا الرجل جرثومة ايمانه الجديد . فانه لا يؤنبه على غلاظة قلبه وتفسيره الحرفي للتعليم الروحي . بل يؤيد كلامه الاول بالتكرار ويدخل مع الاعادة شيئاً من التفسير مبيناً ان هذه الولادة من فوق هي ولادة من الماء والروح . يشير بالماء الى التوبة التي كان ماء المعمودية رمزاً اليها وختماً لها . ويعني بالروح الروح القدس الذي هو الفاعل في ”الميلاد الثاني“ . فعل الروح القدس في التطهير الداخلي وعلامته في التطهير الخارجي بماء المعمودية يصير ما يسمى الموت للخطية والحياة الجديدة للبر (٢) . ولا يرث ملكوت السموات الا اولاد الله . ولا سبيل للنبوة لله الا بالولادة منه . والولادة منه لا تكون الا روحية . لان ”المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح“

يسوع يعلم ان الفلسفة العقلية لا تقبل هذا القول لانها لا تدركه . ويعلم الحقيقة التي صرح بها رسوله بولس فيما بعد . ”لان الروح (لم يقل العقل) يفحص كل شيء حتى اعماق الله . لان من من الناس يعرف امور الانسان الا روح الانسان الذي فيه . هكذا ايضا امور الله لا يعرفها احد الا روح الله“ . ”الانسان الطبيعي لا يقبل ما للروح الله لانه عند جهالة ولا يقدر ان يعرفه لانه انما يحكم فيه روحياً“ (٣) . فيسوع لا يلوم نيقوديموس لعدم ادراكه حقيقة الولادة الثانية التي هي سرٌ روحي . لكنه يذكره بانّه يسلم تماماً بامور اخرى طبيعية اعنيادية لا يفهمها . فيوافق ان يقبل ويسلم ايضاً بامور روحية لا يدركها . اتاه شاهداً على ذلك بالريح التي ”تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من اين تأتي ولا الى اين تذهب“ وختم بقوله ”هكذا كل من ولد من الروح“ (٤)

(١) اش ٤٢: ٢٠ ومث ٢٠: ١٢ (٢) روم ١١: ٦ وابط ٢٤: ٢٣ (٣) اكو ١٠: ٢ و١١ و١٤ (٤) في قوله لا تعجبوا اني قلت لكم ينبغي ان تولدوا وليس ”ان تولد“ افتر ذاته عن سائر البشر كما لا يصح فيه هذا القول ولا يطلب منه العمل . فلا يوجد في كلام يسوع

واذ لم تنفثع بهذا الكلام غيوم الشكوك عن افكار نيقديموس قال "كيف يمكن ان يكون هذا؟" كرجل علم يطلب زيادة الايضاح . فحوّل يسوع شكوكه الى بركة فائقة للعالم على الدوام . اشعره أولاً بقصوره بتوبيخ لطيف اذ قال له "انت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا؟" ثمّ التي عليه وعلى السامعين ذلك الخطاب الذي لا يثنى الذي من ضمنه تلك الآية الذهبية التي اتفق العالم انها أهم آيات الكتاب واجملها وهي "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية"

في أوّل الخطاب يثبت حقيقة ان يتكلم بسلطان في الامور السموية لأنه يتكلم بما يعلم ويشهد بما رأى . "وليس احد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء" (١) . اذاً كلامه في وجوب "الولادة من فوق" يجب تصديقه مهما كان غامضاً اذ هو جوهرى واساسه ان قلب الانسان الخاطئ الطبيعي يعدّ ميتاً في الذنوب والخطايا (٢) . وهذا موت روحي حقيقي . اما اهل السماء فاحياء روحياً ولا محل للاموات بين الاحياء . ولا تناسب بين الطبيعة الساقطة والسماء الطاهرة . ولو فرض دخول صاحب الطبيعة الساقطة الى السماء لا يجد هناك ما يلدّه لأن كل ملذاته جسدية . فهو ذاته لا يرضى البقاء هناك . كما لا يرضى ذلك اهل السماء الذين يكرهون الطبيعة الفاسدة كرهاً اشد من كره الاحياء للبحث البالية

فالدين حسب تعليم يسوع هو اصلاً داخلي لا خارجي . هو عطية الحياة من الله أولاً ثم بعد ذلك الاثمار الناتجة عن هذه العطية . والانتقال من حال الطبيعة الى حال النعمة هو وحدة الذي يفتح الباب للانتقال من حال النعمة الى المجد الابدي . لذلك يقتضي ان نتغير عقولنا بالاستنارة وعواطفنا

ما يشمله مع البشر الخطاة في شيء . قابل كلام النبي كلنا (لا كلكم) كعقمت ضللتنا (١) لا نعتذر في كتابنا هذا لعدم التعمق في تفسير الآيات الغامضة لان التفسير

التي بطلبها المطالع يجدها بسهولة في كتب التفسير (٢) اف ١:٢

بالتقديس وارادتنا بالتجديد وسيرتنا بالاصلاح والافلا نرى المنازل السماوية
فهما تكررت على المسامع هذه الحقيقة الاساسية الاولى الجوهرية لا يقال "كفى"
هذا التغيير هو الذي يجعل التجدد يقول مع بولس "استطيع كل شيء"
في المسيح الذي يقويني^(١) اذ بالتجديد يستطيع ما كان قبله مستحيلًا. من هذه
الاستحيلات محبة العدو وتكريس الذات لخدمة الانفس وبذل الحياة لاجل
الغرباء والتلذذ الداخلي بالصلاة الانفرادية والمواضيع الروحية . ثم اعلان
يسوع ان النور الذي آتى به للناس ليس مقبولا عندهم اجمالا . وسبب هذه
الغربة هو ان اعمالهم اعمال الظلام . مما لا يوافق ان يعرض للنور ويكشف
للنظر . بينما فاعلو الصلاح يحبون النور ولا يخشون نتيجة كشف النقاب عن
اعمالهم

في هذه المحاور الدينية الاولى المذكورة نجد نصريحا كافيا لاعظم
اركان الدين المسيحي . فيه نرى يسوع كابن الانسان وفي الوقت ذاته كابن
الله الوحيد . ونرى ذكرا للاقانيم الثلاثة في الاله الواحد تأييدا لحقيقة التثليث
في الله مع التوحيد . وعلان عمل يسوع النبوي والكهنوتي والملكي
يحتاج البشر الى انبياء لاجل الانبياء والتفسير . والى كهنة لاجل الانابة
والتكفير . ثم الى ملوك لاجل الحكم والتدبير . وهذه الوظائف الثلاث تفي
بالحاجات البشرية الدينية كافة . فيسوع المسيح يجمعها في شخصه الواحد . ولم
يشغلها شخص واحد في التاريخ الاسرائيلي . لان الانبياء والكهنة والملوك كانوا
جميعا يرمزون اليه . كانوا يخصصون بعلامة المسحة المقدسة^(٢) ويسمّون احيانا
مسيحا . فجاء مسيح الله^(٣) متمما الى آخر الزمان ما كان يطلب من هؤلاء قبل مجيئه
فهو النبي الذي يخبر بالسمويات ويكشف عن الصفات والمشيئة الالهية
وتفسيرها^(٤) وعن خفيات القلب البشري^(٥) . ولا يزال هو المعلم الذي بروحه

(١) في ١٢:٤ (٢) تذكر المسحة النبوية في امل ١٦:١٩ والكهنوتية في لا ٢:٤ والملكية في

اصم ١٠:٦ و ١٠:٢٤ (٣) مز ٢٢:٢٧ واش ١٠:٦ (٤) يو ١٨:١ (٥) يو ٢٤:٢٥ و ٢٥

يعلم البشر كل الامور الضرورية لخيرهم^(١)

وهو الذي بنوب عن البشر ككاهن اذ قدم نفسه ذبيحة اثم بدلاً عنهم وكفر عن خطاياهم في صفة كحمل الله . لكي لا يهلك كل من يؤمن به . فعل ذلك برفعه على الصليب كما رفع موسى الحية في البرية^(٢) . ويصرح بالغفران الكامل الحالي المجاني لكل نفس بمفردها اذ تتوب . ويقدم كشفع عند الآب السماوي طلبات المؤمنين مشفوعة بوساطته

وهو يتسلط حياً كملك على قلوب المؤمنين ويدبر امورهم ويقهر اعداءهم ويورثهم معه ملكوتاً روحياً ابدياً . فلو لم يكن هو الملك لانه ابن الله لما طلب ان يؤمن الناس به للخلاص . بل طلب كالانبياء ان يؤمن الناس بالله . وفي مقامه هذا النبوي الكهنوتي الملكي يجري الآن في العالم بدلاً عن معجزاته المادية (كالتى فعلها وهو ظاهر بين الناس) معجزات جديدة روحية اعظم جداً من تلك

عاد نيقوديموس الى بيته والى محله في المجلس الكبير وحرّم نفسه فوائد اتباع يسوع جهاراً . لكننا نعلم انه دام ميلاً الى هذا المعلم الذي اعلن له التعليم الجديد وانتصر له احياناً في المجلس ذاته . لكن كان انتصاره خفيفاً عقيماً عاد عليه بالخلج والسكوت^(٣)

ان يوسف و مريم لم يجدا عند ولادة يسوع قبولاً في بيت لحم وطنهما الاصلي . ويسوع ذاته لم يجد قبولاً الآن في الهيكل بيته ولا في اورشليم مدينته . ومع انه ظهر امام الشعب كمصلح كما في تطهير الهيكل . وكعلم كما في حديثه مع نيقوديموس . وكخلص الهى كما في المعجزات التى صنعها امام الجميع^(٤) . فان خاصته لم تقبله في هذه المرة الاولى التى جاءهم فيها . لكن رفضهم اياه لم يشغله عن عمله . بل يجعله يغير مركز العمل . فينتقل من اورشليم ليمثل نوعاً

(١) يوحنا ١٤: ٢٦ و ١٦: ٢٤ و ١٤ (٢) عدد ٩: ٢١ (٣) يوحنا ٥: ٠٧-٥٢

(٤) ٢٤: ٢ و ٢٥ ذكرت هذه اجمالاً بدون تفاصيلها

جديداً من خدمته كخلص عمومي لكل اصناف البشر
 المعمدان لا يزال ناجحاً في وعظه وتعميده . والجاهير تناطر اليه
 الى "عين نون بقرب ساليم" حيث كثرة المياه سهلت له قبول الكثيرين
 الطالبين معمودية^(١) . فاستحسن يسوع ان يماثله في العمل واتخذ موقعاً مجهولاً
 الآن^(٢) للوعظ والتعميد . ولكون القسم الاهم من تلاميذه هم تلاميذ
 المعمدان سابقاً فهم يشتركون في هذا العمل المألوف برغبة واستعداد
 في هذا الوقت ظهر رأي يسوع في امر الفرائض الخارجية في نظامه
 الجديد والمعمودية من اهمها . والمعمدان ذاته نبه افكار الجميع الى ان معمودية
 بالماء هي ثانوية . وان الذي يأتي بعك اعظم منه . لانه يعبد ليس بالماء بل
 بالروح القدس . والآن نرى يسوع يهتم بالوعظ بالدرجة الاولى لا بالمعمودية
 بالماء . ولهذا لم يعمد هو يوحنا بل بواسطة تلاميذه^(٣)

في النظام المسيحي تعطى الاهمية الاولى للتعليم الديني وللشعور الداخلي
 الذي هو فعل الروح القدس لا للفرائض الخارجية ولو كانت من اسرار
 الكنيسة كالمعمودية . فالوعظ يقدم حتى على ممارسة الاسرار . فهينئاً لكل من
 يحصل على شرف مهنة الواعظ الذي يقيم الروح الاهي ويعضد في وعظه
 فيبرهن تأثيره انه مقام من الله وليس فقط من الناس

اما اقامة يسوع في اليهودية فطالت بضعة اشهر وفي خلالها حدث
 جدال في موضوع التطهير بين بعض اليهود وبعض تلاميذ المعمدان . ويظهر
 ان الاولين عيروا هؤلاء بحجة كثرة الذين اتوا الى يسوع وتلاميذه ليسمعوا
 وعظه ويعتمدوا بدلاً من الذهاب الى معلم المعمدان . او انهم تباحثوا ايضاً

(١) لزوم المياه الكافية لاجل الناس وبهائمهم يفر ذكر البشير المياه الكثيرة دون
 الاستنتاج ان التعميد كان بالغطيس . ويرجحون ان عين نون كانت على حدود السامرة
 ولربما ضمنها (٢) نعلم انه كان في اليهودية (٣) نرى مثل هذه الملاحظة في
 خدمة الرسول بولس (اكوا: ١٤)

في المقابلة بين التطهير الخارجي المعظم عند اليهود والتطهير الداخلي المعظم عند المعمدان

هيجت هذه المباحثة غير تلاميذ المعمدان على مقام رئيسهم. فشكوا له هذا الامر وقالوا اليس هو اقدم واشهر من يسوع. وقد خدّمه خدمة جلّى بشهادته المكررة القوية وتعميد اياه وباعطائه اياه نخبه تلاميذ. فكيف يزاحمه يسوع الآن في عمله وعلى مقامه؟ فلم تصادف شكواهم قبولاً عند معلمهم المعمدان. بل اراهم غلظهم وبرهن لهم ان المواهب والتوفيقات هي من الله. فليست موضوعاً للحسد او التذمر عند الذين تنقص لهم. وذكرهم انه اعلن لهم سابقاً صريحاً وتكراراً تفوق يسوع العظيم عليه وانه هو ليس الا مرسلأ امامه

وابان لهم مقام يسوع بواسطة تشبيه جميل. شبه جماعة المؤمنين بعروس (١) عريسها يسوع المسيح وهو اي المعمدان صديق العريس ليس الا. ففي العرس تكون الكرامة كلها للعريس وليس لصديقه اهمية تذكر. نعم له الحصة الكبرى في الفرح متى سمع صوت العريس صديقه. فهو (اي المعمدان) لم يحرم هذا السرور لانه سمع صوت هذا العريس. وبما ان العرس قد ابتدأ فاهمية صديق العريس الذي هيأ له طريقة تنقص واما اهمية العريس فتزيد. وهذا ما يريد صديقه الامين المخلص والمعمدان يعلم ويفرح انه كما يضيئ نور القمر متى بزغ نور الشمس تضئ عظمته امام عظمة الذي دل هو عليه انه "حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم"

وأفهمهم ان هذا العريس ليس من الارض نظيره ونظير سائر الانبياء بل هو من السماء. فيتكلم عن السمويات لا تنال بل رأساً كما رأى وسمع قبل نزوله من السماء. له من روح الله ما لا حد له فمن يقبل شهادته يحتم ان الله صادق. ولكن وأسفاه انه لقلّة عدد الذين يقبلون شهادته جاز ان يقال

(١) نرى تشبيه شعب الله بالعروس في اش ٥: ٦٢ وار ٢: ٢١ واف ٥: ٢٢ - ٢٣

مبالغة "وليس احد يقبلها". لان يسوع يسمى عريس الكنيسة يستحيل ان يكون له شريك من رسل او انبياء او قديسين او ملائكة لانه ليس نظيرهم مخلوقاً بل هو الابن الذي سمع المعمدان عند ما عمده الصوت الالهي المنادي "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت". فلهذا الابن الوحيد قد دفع الآب كل شيء^(١) لفرط محبته اياه واعتماده عليه حتى ان ايمان البشر بهذا الابن هو شرط الحياة الابدية والخلاص . وغضب الله الدائم هو نصيب كل من يتأخر عن الايمان بهذا الابن

هذه هي الشهادة الرابعة الناطقة اداها المعمدان ليسوع . لكنها الاولى في القيمة لما تحويه من دلائل التواضع والشهامة والاخلاص والمودة والنية الروحية . ولا غرو اذا شهد له يسوع بعدئذ "انه لم يقم بين المولودين من النساء اعظم منه" وانه اعظم من نبي "ظهرت طويته النادرة الجبال في كلمته" ينبغي ان ذلك يزيد واني انا انقص . لكن واسفاه ان هذه الشهادة صارت كمقدمة لسجن هذا التقي الغيور^(٢) . فليست المصائب ميزان الاستحقاق ولا دليل الاغضاء الالهي

ولا يظن ان عمل هيرودس في القاء النبط على هذا الصارخ في البرية وزجه في السجن نتج فقط عن غيظه منه لاجل توبيخه اياه على شروره . لان المعمدان معدود عند الشعب كني وانتصار الشعب لانبيائهم كان من دأبه ان يوقف هيرودس عن فعل كهذا . لكن الرؤساء لغيظهم على المعمدان بسبب توبيخه اياهم وحسد اياه على تعلق الشعب به وافقوا هيرودس في غيظه وحشوه على الانتقام منه

فلما زج هيرودس المعمدان في السجن وهاج حسد الفريسيين ابتعد يسوع عن مركز الرؤساء في اليهودية . وانصرف الى الجليل نظير كل حركاته

(١) قال يسوع عن نفسه بعدئذ مثل هذا القول (مت ١٨: ١٨)

(٢) انظر الخبر منفصلاً في ف ٣٦

”بقوة الروح“. اذ لم تأت ساعة بعد ليسلم الى اعدائه ويقدم ذاته ذبيحة.
 فهو يسير بموجب الوصية التي سلمها لتابعيه بعدئذ ”متى طردوكم في هذه
 المدينة فاهربوا الى الاخرى. ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجاً
 *** من تلك المدينة“^(٢). فنراه في هذا السفر قد انتقل من اهل اليهود
 خاصته الى ترحاب السامريين خصومه



الفصل الثالث عشر

(يو: ٤: ٥ - ٤٢)

(المرصع) ف ٨ (الزمان) ك ١ سنة ٢٧م

(المكان) سوخار في السامرة

اليهود والسامريون. مرور يسوع في السامرة وجلوسه على بر يعقوب. مجي المرأة السامرية لتستقي. توقيير النساء. اهتمام يسوع بهذه الخاطئة. تأثير التعليم المسيحي في ترقية النساء. محاورته مع هذه السامرية عن ماء الحياة الذي يعطيه هو. روحانية الله والعبادة الحقيقية. ايمان المرأة به وبكلامه وغيرها على مواطنيها. كلامه مع تلاميذه في الطعام الخفي. الحصاد الروحي في سوخار. حوادث الآبار في الكتاب

بما ان تربية الرسل من اهم مقاصد يسوع تراه يُجيزهم في ظروف متنوعة ليوسع دائرة افكارهم ونطاق اختبارهم. فمن المثائل الاولى هدم التعصب المذهبي واقناعهم بان ملكوت السموات ليس محصوراً في نسل ابراهيم وكانت الطريق الاسهل والاقرّب الموصلة بين اليهودية في الجنوب وعاصمتها اورشليم وبين الجليل وطن يسوع في الشمال هي الغربية التي تمر في السامرة الفاصلة بين اليهودية والجليل. ولان يسوع اخبرها قيل "كان لابد له ان يجتاز السامرة"

وكان البغض المتبادل بين اليهود والسامريين قد ازداد بسبب العلاقات الطبيعية التي تربطها لان علاوة الانساب امر العلاقات. فكان اليهود يتجنسون من السامريين باعتبار انهم وثنيون فلا يجالسونهم ولا يكلمونهم ولا يمرّون في بلادهم الا مضطرين. وكانت المنازعات التخريبية بين الشعبين كثيرة الوقوع

حتى صار اسم سامري عند اليهود اعظم ما يعيرون به^(١). واذا اراد يسوع ان يتزع هذا الروح من قلوب تلاميذه ويليقي في طريقه بذراً روحياً بين الغرباء عن شعب اسرائيل اخنار^(٢) اجنياز السامرة وسافر على الطريق السلطانية التي تمر في مدينة شكيم^(٣) في الوادي بين جبلي عيال وجرزيم^(٤) وكان على الطريق العام في هذا الوادي وجنوبي هذه المدينة بئر يعقوب التي اشتهرت بسبب ما حدث هناك^(٥) عند مرور يسوع عليها. فانه وصل في رحلته اليها نحو الظهر وكان شهر كانون الاول على ما برح. واذا كان متعباً جلس على خرزة البئر بينما ارسل تلاميذه الى سوخار ليشترعوا طعاماً له ولم^(٦). ونستنتج من هذا ان يسوع مع فقره وقفره وفقائه لم يعتمد على الضيافات ولا على الاستعطاء لاجل معيشتهم. بل على الشراء بالمال الذي كان يقدمه له مريدوه حباً وكراماً. وكان يسلم المالية لاحد تلاميذه^(٧)

في هذه الساعة نراه يخبر الاعمى والجوع والعطش ليماننا في هذه الضيقات فيقدر ان يرثي للمصابين بها. ورب سائل يقول لماذا لم يوجد طعاماً له ولم بمعجزة؟ فنحجب ان الوسائط الطبيعية كافية فلا لزوم لمعجزة. وكما سبق القول انه لا يفعل مطلقاً معجزة لاجل اعاله ذاته او منفعة الشخصية^(٨) فلما جاع في برية التجربة ولم يكن من وسائط طبيعية لسد جوعه لم يصنع معجزة

(١) يو ٤: ٤٨ (٢) انظر ٦ وجه ٧٦ (٣) في شكيم اشترى يعقوب حنيد ابراهيم من بني حوراني شكيم حقلاً بمئة قسيطة تك ١٩: ٢٣ وفيه دفنت عظام يوسف عند عود الاسرائيليين من عبودية مصر فصارت لبني يوسف ملكاً يش ٢٢: ٢٢ ويرى الآن المزار المخصص تذكراً لهذا المدفن الذي ربما ليس هو المحل الاصلي الحقيقي (٤) تث ٢٩: ١١ و١٢: ٢٧ ويش ٨: ٣٠ و٢٣ (٥) قيل ان يعقوب هو الذي حفرها بقرب الضيعة التي وهبها ليوسف ابنته. وان مدينة سوخار كانت بقر بها. ويظن ان خربة عسكري في موقع سوخار. وبناء على وجود ينابيع ماء في جوارها سئل لماذا حفر يعقوب بئراً عميقاً قبل ان ملأها الردم خمسة وثلاثين متراً. فاجاب المنسرون انه فعل ذلك ليجد ماء في ملكه ليسي مواشيه منها دون معترض (٦) ليست سوخار على الطريق العام (٧) يو ١٣: ٦ (٨) ف ١٠

لكن الملائكة جاءت وخدمته (١)

وبينا كان ينتظر عود تلاميذه جاءت امرأة سامرية من المدينة المجاورة لتتلا جرّتها من هذه البئر اما لاعتبار مائها مقدساً فتفضله على الماء الاقرب أو لسبب آخر نجهله (٢). ولا ريب انها اشأزت لما رأت عند البئر يهودياً. ولا سيما لان هيئته ولباسه يدلان على انه معلم دين وامثاله هم المتطرفون في كره السامريين واحترارهم. حتّى ان الفواصل المهمة بين يسوع وهذه المرأة تستدعي النظر. ولا هي امرأة سامرية وهو معلم دين يهودي. شعبها مزيج من اليهود والوثنيين (٣) واشد نزاع في العالم بين الشعوب هو النزاع الديني واقربها بعضاً لبعض نسباً ابعدها ادباً عند وقوع النزاع

ان اليهود رفضوا اشتراك السامريين معهم عند ترميم الهيكل بعد رجوعهم من سبي بابل وعاملوهم بالخشونة. فانتقاماً منهم دنس السامريون الهيكل بعضام الموتى. فانسع الخرق بين الشعبين كثيراً ورُفض السامريون من هيكل اورشليم. فاخثاروا موقعاً لعبادتهم على قنّة جبل جرزيم. قالوا انه اقدس من هيكل اورشليم لكونه اقدم في التاريخ المقدس واستندوا في قولهم على آيات من الكتاب (٤) وزادوا على ذلك ان ابراهيم اى باسحق الى هذا الجبل ليقدّمه ذبيحة للرب (٥)

(١) مت ٤: ١١ ف ٨ (٢) هل كان اختيارها ساعة الظهر للاستقاء بخلاف العوائد لكونها مكروهة عند اهل بلدها بسبب صفاتها السيئة ففضلت الابتعاد عن الناس والافراد في اشغالها حذرًا من التعيير؟ (٣) ٢ مل ١٧: ٢٤: ٤١ وعزرا ص ٤. المرشد ٤١٢ قاموس الكتاب ١: ٥٢١-٥٢٦ ادي في يوحنا ٢: ٢٠ (٤) تث ٢٧: ٤ وتك ١٢: ٦ و ١٢: ٤١ و ١٨: ٢٢ و ٢٠: ٢٠ (٥) عاصمة السامريين مدينة السامرة التي رُمها هيرودس الكبير وسماها سيسيتية على اسم مولاه اوغسطس قيصر في اليونانية. بناها اصلاً عمري ملك اسرائيل في نحو سنة ٩٠٠ ق.م امل ١٦: ٢٤ و ٢٤: ٢٢ وهي الآن قرية حقيرة تسمى سبسطية قد عني مؤخرًا اهل العلم بالحفريات فيها للتوصل الى اثار تاريخية مهمة. والبقية الوحيدة من هذا الشعب في بضع مئات من النفوس مستوطنون في نابلس ومحافظون اشد المحافظة على نظامهم

الفصل الثاني انها امرأة وتعلم كم هو احتقار رجال اليهود ولا سيما معلمي الدين بينهم لجنس النساء اذ كانوا يأنفون ان يكلموا امرأة امام اعين الناس ولو كانت زوجة او اختاً. وكان من جملة صلاتهم شكر العزة الالهية لانهم ولدوا ذكوراً لا إناثاً. فكم يكون احتقارهم لنساء السامريين خصوصهم.

الفصل الثالث انها امرأة ساقطة فاي شيء يقدر ان يوفق بين هذا المعلم اليهودي المجليل المبوب الصالح وهذه التعميسة التي قضت حياتها في الآثام ولا تزال مقيمة بها. فبالنظر الى هذه الفواصل يصح القول انها اشمازت لما رأت يسوع جالساً على البئر التي قصدتها من محلها البعيد. ولم تصور مطلقاً انه يكلمها كما وانها لا تريد ان تكلمه. لكن في نظر المخلص العمومي نفس السامري عزيزة كنفس اليهودي. لانه هو الخالق والمخلص والديان للجميع. والسامري المتجدد لا تنقص فائدته في العالم عن فائدة اليهودي المتجدد. فلا فرق عند يسوع بين محب ومبغض في رغبته في تخليص نفوس الجميع. لا يشارك رجال شعبه في احتقار النساء. لان احترام النساء من الفضائل المهمة ويؤد الفضيحة. الرذيلة هي بنت احتقار النساء. اذ يؤدي هذا الاحتقار الى فساد والفساد يوجب الحجاب. والحجاب الجبري الذي هو ضد الطبيعة ليس دواءً ناجعاً للفساد. لا بل قد برهن الاختبار ان هذا الحجاب حاجز يقف في وجه الفضائل ولا يوقف تيار الفساد الاذي الخفي. الحرية الشريفة التريهية ضمن القوانين الادبية هي اسلم عاقبة واجزل منفعة من الانفصال الزائد والحجاب الصارم. الفعل المطلوب هو للدين في القلوب والناموس في العقول والتهديب في العادات

والعفة الحقيقية التي تستحق الاعتبار والتشبه بها ليست عفة النساء ورافضي القدم وعلى انفرادهم من سائر الشعوب. ونظامهم يرفض اسفار التوراة اليهودية والمسيحية ما عدا اسفار موسى الخمسة. وقد حُفظت عندهم نسخة منها تُعد عند اهل العلم من اهم مصادر معرفة التوراة الحقيقية. وعلى رغم اندثار الهيكل النعم الذي بنوه على جبل جرزيم لا يزالون يحفظون على اعتبار موقعه وتقديم الفروض الدينية على اطلاقه كما في القدم

الزواج . قد يكون هؤلاء ابعد الناس عن العفة الحقيقية التي تكون في الدين
 يترجون بعضهم مع البعض على صورة شريفة ولائقة سالمة من كل شائبة ليس
 في التصرفات فقط بل ايضاً في الافكار الداخلية تحت مراقبة عين الله البصيرة
 واحكام الناموس الادي الداخلي . فالعفيف هو من يراه الله عفيفاً . وهذا بالطبع
 يراه الناس ايضاً عفيفاً . لكن قد يحسب الناس عفيفاً من يراه الله عكس ذلك
 ان المخلص مطالب بجميع البشر فبالنساء كما بالرجال . ولهذا لا يمكن ان
 يصرف نظره عن هذه السامرية لكونها امرأة . هو ليس كالمعلمدان الناسك
 متبذراً بكثير من تقاليد شعبه . فلم يأنف مقابلة النساء وسمح لهن ان يتبعنه
 ويكرمنه ويقدمن له من اموالهن . فالحادث الذي نحن في صددده هو الذي
 ظهر فيه اهتمام يسوع بالهذي الديني بين النساء . وكما اسرع ابليس في اسقاط
 حواء في بداية التاريخ البشري اسرع يسوع في بدء خدمته في انهاض بناتها .
 ولا يمكن انهاضهن بواسطة التحقير بل بواسطة التكريم . فالقاعدة المسيحية
 في اكرام النساء لا يدخل ضمنها تسلط النساء على الرجال . فان اعطاء النساء
 التقدم على الرجال في المعاملات الانسية هو من باب الشهامة التي تقضي على
 الاقوى ان يقدم الاضعف

ان سنة المسيح ليست كسنة تنازع البقاء التي تقضي بأن يتطلع القوي
 الضعيف . فيهلك الضعيف ويسلم القوي . بل القاعدة المرعية الآن عند
 جميع الشعوب الراقية ظاهرة في المعاملات عند وقوع الخطر . متى امست
 البواخر في خطر الغرق ترى الرجال الاقوياء يضعون النساء والاولاد
 اولاً في قوارب النجاة . وان هلك من الركاب احد يهلك الاقوياء لا
 الضعفاء . اما سنة تنازع البقاء فلا اثر لها في الشرائع الادبية ولا صدى
 في الاعلانات الالهية للتدريب في الاعمال البشرية . ومن امتيازات التعليم
 المسيحي تأثيره في ترقية النساء مادياً وادبياً وروحياً . فانه بواسطة ولادة
 يسوع من مريم قد أمحي العار الذي لبس جنس النساء بسبب سقوط حواء

اولاً قبل آدم في جنة عدن^(١). وفي كل سني خدمته وعند صليبه كما عند قيامته
أكرم النساء وقد ثبت انهن سبقن الرجال في الغيرة الدينية والامانة نحو
المخلص

قد سبق القول ان هذه السامرية امرأة ساقطة. فكيف يرضى
ان يجالسها او يباحثها او يعيرها اقل التفات؟ قال الرسول "ايه
خطاة للبر ولاثم؟ وايه شركة للنور مع الظلمة؟ وايه اتفاق للمسيح مع
بليعال؟^(٢) لكننا نعلم مشرب يسوع من كلامه في بيت زكا العشار بعدئذ
انه "جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك"^(٣). وقال ايضاً في بيت متى
العشار "لاني لم آت لادعوا براراً بل خطاة الى التوبة"^(٤). فحجة الذي يحضر
امام الطبيب مرضه لا صحة. واهتمام الطبيب ينصرف الى المرضى لا الى
الاصحاء.^(٥) ثم الى اصحاب العلل الميتة قبل البسيطة

ان يسوع اظهر اهتمامه بخلاص الشبان والفقراء والبسطاء في زمرة الذين
دعاهم للتلمذة فتبعوه. ثم اهتم بعد ذلك بخلاص شيخ غني عالم صالح اي
نيقوديموس. وهؤلاء جميعاً من شعب اسرائيل. فبقي عليه ان يظهر اهتمامه
بخلاص شخص يمثل النساء واسافل القوم والذين ليسوا من شعب اسرائيل.
فبواسطة هذه السامرية تمكن من اعلان قيمة النفس الخالدة حتى بعد توغّلها
بالاثام. وانه قادر ان يخلص الى التمام حتى شر الخطاة

لم يبالي يسوع بهذه الفواصل بل فتح الحديث معها بطلب منها ان تسقيه^(٦).
والذي ساقه الى هذا الطلب ليس عطشه الى الماء بل عطشه الى تخليص هذه
النفس الهالكة. وهذا الطلب من معلم يهودي فيه رائحة التنازل والاكرام لها
كأنه يفتقر الى ما تستطيع هي ان تعطيه. فاعطى بذلك مثالة اولى في كيفية صيد

(١) انظر اتي ١٢:٣ و١٤ (٢) ٢ كو ٦: ١٤ و ١٥ (٣) لو ١٩: ١٠

(٤) مت ١٣: ٩ (٥) مت ١٢: ٩ (٦) لا يسبها البشير لكن التقاليد سمّتها

فوتينا وذكرت اسماء اولادها

النفوس. اما هي فاجابت بشيء من الخشونة كما ينتظر من امرأة نظيرها وقالت
 "كيف نطلب مني لتشرب وانت يهودي وانا امرأة سامرية"؟ عند ذلك
 غير الهجمة ليشعرها بمقامه الحقيقي وانه ليس منقراً البها بل هي منقورة اليه . لانه
 يعطيها "عطية الله" ان طلبت منه. هذه العطية اشبه بالماء الحي اي ماء النبع
 الجاري لا الحفین^(١) لما اظهرت مع التعجب عدم ادراك معناه . زاد على
 قوله ان هذا الماء بخلاف الذي تطلبه من بر يعقوب يروي ارواء ابدية
 وينبع الى حياة ابدية . فكانت نتيجة هذا التشويق انها طلبت من الذي قال
 لها ولا استغني ان يسقيها هو من هذا الماء العجيب

لكن من الشروط الاولى المجازمة في خلاص النفس ايقاظ الضمير ليشعر
 الخاطئ باحتياجه الى مخلص ويقدم توبة صادقة . لذلك نرى هذا الطبيب
 يجرحها كما جرح نيقوديموس تمهيداً للشفاء . وكيفية الجرح اعلنت مهارة
 الطبيب . اذ طلب منها ان تدعو زوجها كأنه يريد ان يشركه معها في
 عطية الله . فلما اعترفت ان ليس لها زوج كشف لها يسوع علمه بسيرتها
 المعيبة الماضية وحالتها الاثيمة الحاضرة . وان لطفه ليس ناتجاً عن جهله ما كان
 من شأنه ان يجلب عليها اشد المذمة واتم التحقير . وهذه مثالة ثانية قدمها في
 كيفية صيد النفوس . وان كانت النفوس لا تصاد غالباً بالهجوم المرعى عيوبها .
 لكن عدو الانفس دائماً سهران . فلما رآها ابتدأت تستسلم لهذا المخلص لجأ الى
 احدى حيله الشهيرة وقصد ان يلبسها بالمجدال المذهبي الثائم بين اليهود
 والسامريين في امر محال العباداة . فقادها الى المحجة التي خدعت وتخدع
 الملايين اي حجة تسلسل اليقين الديني من السلف الى الخلف . وبموجب
 هذه المحجة يكفي الانسان ما كان عليه اسلافه من امر الدين . لكن قد تولد
 الايمان في قلبها بعد ايقاظ ضميرها . فرأت في هذا الغريب اليهودي نبياً حسب

١ انظر مز ٢٣: ٢٦ و ٨٠: ٣٦ واش ١: ٥٥ و ١٤: ٢١ و ١٠: ٤٩ و حزو ١: ٤٧ و ٩ و نش ١٥: ٤

وزك ١: ١٣ و ٨: ١٤ و يوا ٢٥: ٦ و ٢٧: ٧ و ٢٨

ذكرها. وبقولها "أرى انك نبي" فتحت باباً جديداً ليسوع ليكشف لها حقائق الدين

فمن على هذا المنبر أي حافة برّ في البرية وامام شخص واحد فقط هو امرأة ذات تاريخ قبيح وهي نصف وثنية لفظ عظة من اشهر عظاته يعادل سموها اخنصارها اذ اعلن فيها ان القداسة ليست في المساجد وما فيها من الآنية المكرّسة بل في القلوب. وان بجيئته قد زال الزمان الذي فيه تُحصر عبادة الله في محلات خصوصية يتوجب على الناس ان يحجوا اليها من بعيد لينقدموا فيها ذبايحهم وتقدماتهم. فان الالهة الوثنية الكاذبة مقيدة في اماكن خصوصية. لكن الاله الوحيد الحقيقي هو روح ومالى الوجود فلا يوجد في مكان دون غيره. ولا يقوّف رضاه على المكان الذي يُسجد له فيه بل على الروح الذي في الساجدين. ولانه روح فهو يقبل الذين يسجدون له بالروح والحق في أي مكان كان. ولا يقبل غير هؤلاء ولو سجدوا في اقدس الاماكن. فقد حان الزمان الذي تنبأ عنه ملاخي لما قال "في كل مكان يُقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لان اسي عظيم بين الامم" (١)

ومع ان هذا لا ينفي تخصيص محلات للعبادة وتوقيرها اللائق لان هذا واجب ديني. لكنه ينفي التطرف في نسبة القداسة الى هذه المحلات. وينفي العقائد الخرافية التي تجعل الناس يستمدون البركة من مصادر مادية نظير آثار القديسين والمواد في اسرار الكنيسة وملامسة الاشخاص والابنية الممتازة في الدين

فلما جرد يسوع هذه القداسة الخصوصية الممتازة عن اورشليم (٢) نفاها طبعاً عن كل مكان سواها. لان دين الاله الذي هو روح لا يكون الاً روحياً. فلا يتألف بالدرجة الاولى من فرائض خارجية بل من عواطف داخلية

(١) ملا ١: ١١ (٢) التي في مقدس للموسوي والمسيحي والمجدي جميعاً

فهذا التصريح اوضح للسامرية ان باب القبول عند الله مفتوح لكل من يسجد له بالروح والحق. وهذا القبول يتناول الذين هم نظيرها لا يقبلون في هيكل اورشليم لانهم ليسوا يهوداً. والذين كانت سيرتهم الماضية معيبة. فالتغيير الذي حصل في قلبها جعلها تشتهي مجيء المسيح ليخبر بكل ما يقتضي ان يعرفه الناس من امر الدين. قال يسوع في وقت آخر ان من له سيعطى ويزاد وهذه المرأة لما فتحت قلبها للنور الحق زادها نوراً في الحال وشرّفها باعلان لم يمنح للروساء ولا لنيقوديموس الموالي له ولا لرفقائه التلاميذ. وبناء على طلبها المسيح قال لها "انا الذي اكلمك هو" ولم يقل يسوع قبل الآن لاحد انه المسيح. اما هذه السامرية فيعتقد انه المسيح لانها اعترفت انه نبي والنبي الحقيقي لا يكون الا صادقاً

ومن شدة ابتهاجها بانها قد رأت المسيح وسمعت كلامه وآمنت به تركت جرتها عند البئر واسرعت الى سوخار لتبشر مواطنيها. ولكن من يبالي بكلام امرأة مثلها مكروهة وهل يمكن ان يظهر المسيح ذاته لمثلها أولاً؟ ومع ذلك نرى فعلاً انه كان لكلامها تأثير نستنتج منه ان التغيير في قلبها فعل في تغيير هيتها ولهجتها وحركاتها حتى كما عرفت ذاتها امرأة ظهرت جيدة للآخرين. فأخذوا لشهادتها اعتباراً لما قالت لاهل المدينة "هلموا انظروا انساناً قال لي كل ما فعلت أعلّ هذا هو المسيح". لانها حسبت جسارة لا تليق بمثلها لو جازمت امام الذين هم اعرف واصح منها ان هذا هو المسيح فهي تطلب منهم ان يحكموا في الامر بعد ان يروه ويسمعوه. فقد أدت شهادتها وتركنت النتيجة لافكار السامعين وضماؤهم. وبذلك قدّمت مثالة مفيدة في الارشاد الديني

ان قوة التبشير الديني هي بالاكثَر في الشهادة لا في النصيحة والمبشر الفهم يقول كما قال صاحب المزمور "ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب" (١)

ولما ودّع يسوع رسله عند صعوده أوضح لهم ان وظيفتهم الخصوصية هي "ان يكونوا شهوداً له الى اقصى الارض" (١) "فالتأثير العجيب الذي رافق تبشيرهم حالاً نَجَّحَ عن حفظهم هذه الوصية واهتمامهم بهذه الشهادة" (٢). وكل عاقل يستخرج من الشهادة التي يعطاها النصيحة التي تحويها فتاويه النصيحة قوية. لكن النصيحة بدون الشهادة تكون ضعيفة. ولهذا زال افتخار هذه المرأة ببرّ يعقوب في وجه اهتمامها بهاء الحياة الذي ابتدأت تعرف قيمته. وصار فيها ينبوع ينبع الى حياة ابدية ليروي الآخرين ايضاً

اذ لم يكن احد من تلاميذ يسوع حاضراً اثناء المحادثة بينه وبين السامرية يكون البشير يوحنا المخبر بها قد اخذ الخبر اما من يسوع او من المرأة. ولكنه يخبر عن تعجبه وتعجب رفقائه لما عادوا من سوخار بالطعام الذي مضوا ليبثاعوه. تعجبوا لانهم رأوا معلمهم يجادل امرأة غريبة سامرية حديثاً جدياً. ورأوا انفعالها الشديد لما تركت جرتها واسرعت الى المدينة كأنه لغرض مهم جداً. فلا نستغرب تعجبهم بل نندحهم لانهم حافظوا على اللياقة والاحترام ولم يقل احد منهم "ماذا تطلب او لماذا تكلم معها". ولما بسطوا الطعام الذي اتوا به ولم يقدم يسوع عليه كما انتظروا قالوا له "يا معلم كل". وكما تعجبوا من حديثه مع المرأة تعجبوا ايضاً لانه لم يأكل. وزاد عجبهم عند جوابه "لي طعام لا أكل لستم تعرفونه انتم"

ان يسوع كَلَّمَ نيقوديموس سابقاً عن الحياة الجديدة بالولادة من فوق فلم يفهم. وكَلَّمَ السامرية عن الماء الحي الحي فلم تفهم. والان كَلَّمَ تلاميذ عن الطعام الخفي المسيح فلم يفهموا. بل سألوا بعضهم بعضاً لعل احداً اناه بطعام في غيابهم. هل هذه السامرية ؟ فاسرع يسوع لازالة حيرتهم وانفهمهم انه لا يشبع من الخبز البائس بل من عمل مشيئة الآب الذي ارسله. كلام وجهه جداً اثبتة ومثله في سلوكه كل ايام حياته تماماً (٣)

(١) اع ١: ٨ (٢) اع ٤: ٢٣ و ٢٦: ٢٢ (٣) قال احد اللاهوتيين "وصل يسوع

أثر كلام المرأة في اهالي سوخار "فخرجوا من المدينة واتوا اليه". وبينما هم قادمون رآهم يسوع عن بعد فحاطب تلاميذه بكلام آخر مجازي. قال انه يرى الحقل قد ابيضت للحصاد مع انه كان باقيا للحصاد المألوف اربعة اشهر^(١). عني بذلك ان جمهور القادمين الذين عرفهم مستعدين لقبول بشارة الخلاص هو تلك الحقول المبيضة. وفرح بهم لانهم باكورة الحصاد الاكبر الذي بين الامم. ولانهم اتوا لا بمجازية معجزات الشفاء ولا منافع اخرى سطحية اوزمنية بل لكي يروا المسيح ويسمعوا تعاليمه. ولانهم ثمر تعبهم على هذه المرأة الخاطئة التي اتى بها الى الخلاص بالتوبة والايمان

"فأمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة*** وآمن به أكثر جداً بسبب كلامه بعد حضورهم اليه فسألوه ان يمكث عندهم. فصع بذلك قول النبي "اصغيت الى الذين لم يسألوا. وجدت من الذين لم يطلبوني قلت ها انذا لأمة لم تسم باسمي"^(٢). فخالف يسوع تقاليد أمته واضطر تلاميذه ان يماثلوه. ومكث عندهم يومين. وكان هذا الحصاد مقدمة لحصاد آخر عظيم في تلك البلاد في زمان الرسل^(٣). اخذ يسوع من هؤلاء الاطفال في الايمان المولودين من أمة غريبة جزاء لا يثمن على تعبه بينهم. لان شهادتهم له امتازت صراحة اذ قالوا "نؤمن لاننا نحن قد سمعنا ونعلم ان هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم"

فاكرم تلك البئر التي اتج لها ان ترجح الجسم البشري الحال فيه الاقنوم الثاني الابن الازلي الذي هو في حضن الآب. وما اعذبها ايضاً لان هذه المرأة الهالكة الجاهلة الماء الحي قصدتها طالبة ارواء عطشها الجسدي

الى البئر معي وعطشانا وجائعا. فلما رأى فرصة لعمل الخير نسي تعبهم وعطشهم وجوعهم ووجد في عمل مشيئة ابيه وإتمام عمله راحة ورياً وشبعاً

(١) حصاد الشعير يتبدى في تلك الجهات في اوائل نيسان (٢) اش ١٦:٥

(٣) اع ٨:٥-٢٥

موقتاً فوجدت هناك مسياً الذي اعطاها ماء حياً ينفع الى حياة ابدية . قد
 ظهر ملاك الرب عند بئر لحي رُئي^(١) ثم عند بئر اخرى في بركة بئر سبع^(٢)
 لتلك المسكينة هاجر المطرودة مع ابنتها وخلصها من الهلاك . وعلى بئر سبع
 قطع ابراهيم عهداً وقدم ذبائح^(٣) وعلى بئر حاران استجيبت صلاة لعازر عبد
 ابراهيم الامين فوجد رفقة زوجة لسيفك اسحق^(٤) ولكن ابن هذه الآبار من بئر
 سوخار التي اتخذها يسوع منبراً حيث لفظ تلك العظة الجوهريّة عن
 روحانية الله وماء الحياة ونالت عندها هذه السامرية ومواطنوها خلاصاً ابدياً

(١) تك ١٤: ١٦ (٢) تك ١٤: ٢١ و ١٩ (٣) تك ٢٨: ٢١-١٢ (٤) تك ٢٤: ١١-٢٠

الفصل الرابع عشر

(مت ١٣:٤ - ١٧ مر ١٤:١ و لو ١٤:٤ - ٢١)

(يو ٤:٤٣ - ٥٤)

(المرصع) ف ٩ (الزمان) ك ١ سنة ٢٧ وك ٢ سنة ٢٨ م.

(المكان) الناصرة - قانا - كفرناحوم

جولان يسوع الاول في الجليل وكلامه الاول في التبشير . شفاؤه ابن خادم الملك في كفرناحوم . ايمان خادم الملك وينهيه . عودته الى الناصرة حيث قدم عظمته الاول امام جمهور . تعجب أهل وطنه ثم غيظهم ومحاولتهم قتله . انتقاله من الناصرة وسكنه في كفرناحوم

بعد ترحب السامريين بيسوع والتمار التي حصدها في اليومين في سوخار استأنف سفره الى الجليل ليباشر هناك خدمته الدينية^(١) . وكانت الناصرة وطنه ضمن كورة الجليل لكنها لا تلائم كمرکز هذه الخدمة . لان القول المأثور وان لم يكن مطرداً هو ان الهوم لا يوقرون المؤلف كثيراً والغرباء يكرمون الانسان أكثر من الاقرباء

(١) مقاطعة الجليل هي القسم الشمالي من الارض المقدسة وتمتد من نهر الاردن شرقاً الى سهل بتولمايس (عكا) غرباً ومن دان (قرب بانياس) شمالاً الى جبل السامرة والكرمل جنوباً وتنقسم الى قسمين شمالي وجنوبي وحدودها تشتعل على انصبه اربعة اسباط من بني اسرائيل وهم يساكر وزبولون واسير ونفثالي . واعظم مدنها الناصرة وقانا وطبرية . وهذه البلاد كانت موطن المسيح ومحل اكثر اعماله ولما ذكرت البشائر الثلاث الاولى من الحوادث غير ما صنع فيها

ويسوع نفسه شهد "ان ليس لني كرامة في وطني". وهذا القول لا يفيد ان مواطنيه في الناصرة رأوا فيه عيوباً منعته عن اكرامه التام. ولو ظهر اقل سبب للانتقاد عليه من الوجه الادبي لكان كتبة الانجيل اشاروا اليه كما اشاروا الى عيوبهم وعيوب بعضهم بعضاً وكما فعل كتبة التوراة في اخبار الانبياء. وهذا الصدق في الاسفار المقدسة هو من أهم ادلة الوحي الالهي فيها تجوّل يسوع في الجليل فوجد قبولاً سطحياً عند الاهالي لان كثيرين منهم كانوا قد عاينوا ما فعل في اورشليم في العيد منذ ثمانية او تسعة اشهر. وشاهدوا نجاحه في طرده الباعة من الهيكل. ثم معجزات الشفاء هناك. وسمعو بمعجزته الاولى في قانا الجليل. وعلموا بانتشار صيته في الاشهر التي علم فيها وعمد في اليهودية بعد العيد

اما يسوع فلم يفتح خدمته في الجليل بالمعجزات. بل كان يركز في مجامعهم بالخبر السار اي بيشارة ملكوت الله. ولم تكن لهجة كرازته لهجة التخويف والتوبيخ بل لهجة المخلص المحب الذي اتى من السماء ليعلن محبة الله للخطاة ويؤسس ملكوتاً يؤلف من البر والسلام والفرح. فكان مجداً من الجميع رغماً عن علمهم باصله الفقري

وقد اشار بوعظه الى اكتمال الزمان بالنسبة الى النبوات القديمة التي تختص بظهور المسيح^(١). وهو "ملء الزمان" الذي ذكره الرسول^(٢). وبذلك اتفق وعظه مع وعظ المعبدان "قد اقترب ملكوت السموات فتوبوا وآمنوا بالانجيل". اي بالبشارة بمجيء المسيح ملك هذا الملكوت

واعاد زيارته لقانا الجليل وطن تلميذ نشأ في محل معجزته الاولى منذ سنة^(٣) حيث صنع معجزته الثانية المذكورة في الكتاب. نقول هنا وليس هنا. لانه وهو في قانا شفى انساناً في كفرناحوم على بعد يوم كامل. وكيفية ذلك

(١) نظير التي في دانيال ٩: ٢٤-٢٧ (٢) غل ٤: ٤ واف ١: ١

(٣) انظر ف ١٠

انه اتى اليه ذات يوم الى قانا خادم للملك هيرودس انتيباس مقوطن في كفرناحوم التي تبعد ساعات قليلة عن طبرية عاصمة مولاة^(١). ومع ان يسوع لم يصنع معجزة شفاء في الجليل الى الآن لما اشتد مرض ابن هذا الرجل واشرف على الموت وفرغت كل الوسائط لشفائه افترك يسوع واستعلم عن محل وجوده. فلما عرف انه في قانا صعد اليه وطلب منه ان ينزل معه الى كفرناحوم ويشفي ابنة^(٢)

وبما ان خادم الملك يكون مرعي الجانب ومعتاداً ان يحصل على مطالبه بسهولة فنصّر ان يسوع يلبي طلبه حالاً بكل احترام وبحسبة شرفاً عظيماً ان يدعى من رجل مثله لينزل ويشفي ابنة. وانه يتمنى فرصة كهذه ليظهر فيها قوته العجيبة. اما افكار يسوع فليست هكذا. ولا يدع مجالاً لوهم كهذا. بل قاد الرجل لاجل خيره الى التذلل وانكسار القلب. لان مثل هؤلاء البركات الالهية^(٣). وقصد ايضاً ان يعزز مقامه كممثل الاله العظيم وان كانت احواله الخارجية خالية من امارات العظمة فردعه قليلاً في جوابه "لا تؤمنون ان لم تروا آيات وعجائب"^(٤). اي انه لا يريد الايمان المسبب عن رؤية العجائب بل الذي يأتي نتيجة ما يروونه فيه ويسمعونه منه من التعليم والصفات والاعمال الحسنة الطبيعية

اما خادم الملك فلم يأت به صبر على هذا الكلام. لان ابنة كان مشرفاً على الموت. فالح عليه قائلاً "يا سيد انزل قبل ان يموت ابني". فاستجاب يسوع جوهر طلبه لا حرفيته. لم ينزل معه لكنه شفى ابنة^(٥). وبدلاً من الذهاب معه

(١) ظن بعض الكتبة المسيحيين ان خادم الملك هذا هو خوزي وكيل او خازن الملك الذي كانت امرأته يونان من النساء الامينات الموسرات اللواتي تبعن يسوع وخدمته من ماहन (لوقا ٢: ٢٨) (٢) القول في الصعود والنزول يؤيد صحة الرواية. لان قانا مرتفعة فوق الجبال وكفرناحوم منخفضة على شاطئ البحر (٣) مز ١٧: ٥١

(٤) لو كان خبر المعجزات وهما او تلقيا لما امكن ان يأتي الخهد بعبارة كهذه. لانه كان بصور يسوع راغباً ومسرعاً في فعل المعجزة المطلوبة (٥) لا يقال عن يسوع انه

قال له " اذهب ابنك حي . " فآمن الاب ايماناً عجيباً بان يسوع يقدر ان يشفي شخصاً عن بعد دون لمس أو مكالمته أو رؤيته . فنزل الى بيته . وبينما هو بعد في الطريق لاقاه عبيدُ المسرعون اليه الى قانا وبشروهُ بشفاء ابنه الفجائي في كفرناحوم . ولما دقق في الاستعلام منهم ليتحقق العلاقة بين كلام يسوع وشفاء الصبي انضح له ان ابنه شفي " في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع ان ابنك حي " . فزاد بذلك ايمانه بيسوع وشاركه كل اهل بيته في ايمانه الجديد . لانه متى كان التأثير الديني قوياً لا بد ان يتجاوز من المؤمن الى اعضاء أسرته

تحولت مصيبة هذا الرجل في مرض ابنه الشديد الى بركة روحية عظيمة جداً . ومن قلب مصيبته خرج خلاص ابدى له ولأهل بيته . الآب السماوي في حكمته وحيه يريد ان تأتي كل المصائب بالبركات

ثم عاد يسوع من قانا الى الناصرة بعد غيابه عنها على ما يظهر نحو سنة وربع . وقد جرت في هذه الاشهر القليلة حوادث جعلت تغييراً ظاهراً في هيئته وحرركاته . فبراهُ مواطنوه كأنه شخص جديد . ولأنهم قد سمعوا خبر معجزاته في محلات اخرى توقعوا ان يفعل مثلها وأكثر منها في بلد وبيوت الاقرباء والاصدقاء . اما هو فكما علمنا لا يهتم أولاً بالمعجزات بل بالتعليم . فقدم عظمتُهُ الاولى امام جمهور في مجيئهم في يوم سبت . قال البشير انه " دخل المجمع حسب عادته " . لان زيارته للمجمع في بلد مدة نحو ثلاثين سنة تعد بالالوف^(١) . ولما دخل المجمع رأى الهيئة المألوفة وسمع الصلاة القانونية . لكن

ذهب من بلد ليشفي عليلاً في بلد اخرى . ويذكر الكتاب انه توجه مرتين الى بيت غير الذي كان فيه لاجل الشفاء (١) لا ذكر للمجمع في العهد القديم . بل لخدمة الاجتماع والهيكل ولكن في السبي اصطحو على بناء معابد سموها مجامع ولما رجعوا من السبي حافظوا على هذا الاصطلاح . فبنوا في كل بلد مجعماً او كنيسة بشرط ان يكون فيه على الأقل عشرة رجال من اهل السر يتألف منهم مجلس ملي (بطليم) ويترغ مجاناً لادارة اشغال الجماعة الدينية

لما جاء وقت القراءة من الاسفار النبوية وقف اعلاناً لاستعدادوا ان يقرأ ان
سمح له رئيس المجمع . فبإشارة من هذا دفع الخادم اليه الدرج المقدس الذي
فيه سفر اشعيا النبي ^(١) . نرجح ان الفصل الذي فتحه وقرأه هو الذي كان
معيناً لذلك اليوم وان ملائمة الفصل لمقصود كان من تدير العناية الالهية

فحوى هذا الفصل قصد المسيح من مجيئه وطبيعة ملكوته الذي نادى
باقترايه منهم . وأشار أولاً الى المسحة التي تعطيه لقب المسيح . لان الله مسحه نبياً
وكاهناً وملكاً ^(٢) . فوظيفته كالمسيح هي ان يبشر المساكين ببشارة مضمونها شفاء
المنكسري القلوب واطلاق المأسورين وفتح اعين العمي وتحرير المنسحقين
والكراسة بسنة الرب المقبولة ^(٣)

وكانت عند سامعيه سنة الرب المقبولة هي سنة اليوبيل التي تعود كل
خمسین سنة مرة . وربما اتفق وقوعها في تلك السنة . فاطلاق المأسورين
وتحرير المنسحقين عند سامعيه التخلّص من النير الروماني والعبودية للملك وثي
اما عند يسوع فسنة الرب المقبولة ليست سنة واحدة من كل خمسین سنة بل
هي تشتمل كل السنين

(١) كان هذا الدرج من الرق الطويل ملتصقاً على اسطوانتين الواحدة في اوله
والاخرى في آخره وكل ما نشرت الواحدة طويت الاخرى وبذلك حفظ مكان القراءة
من مرة الى اخرى (٢) انظر ف ١٢ (٣) اش ٦١: ٢٠ تختلف الالفاظ في رواية
لوقا عنها في التوراة لانه كتب في اليونانية فاقتبس الآيات من الترجمة اليونانية السبعينية
الشائعة يومئذ بين اليهود بينا التوراة مترجمة عن الاصل العبراني . وهذا يجعل فرقاً في
اللفظ مع حفظ المعنى . كقبت الترجمة السبعينية في الاسكندرية نحو ٢٨٠ ق م . لما زاد عدد
اليهود في القطر المصري واهلوا تدريجاً لغتهم الاصلية العبرانية افنقروا الى توراة في اللغة
المألوفة عندهم اي اليونانية . لذلك ترجم علماءهم التوراة من العبرانية الى اليونانية ولكن
دون تدقيق تام . وهذه الترجمة هي التي عوّل عليها المسيحيون في زمن الرسل لانها كانت
في لغة يفهمونها جيداً . وقد استنبط اليهود خرافة متعلقة بهذه الترجمة وهي انه تعين سبعون
عالمًا للترجمة وحصر كل منهم في غرفة منفردة الى ان أتم الكتاب كله ولما تقابلت تلك
الترجمات وجدت كلها بالحرف الواحد فعدت ترجمة مترلة بالهام الهی (انظر المرشد ١١٥)

والنير الذي أتى ليخلصهم منه ليس نيراً سياسياً زمنياً بل نير ابليس
الذي بسببه وضع عليهم أيضاً نير الرومان . فظهروا جهلاً كلياً في صرف
افكارهم وآمالهم الى خلاص جسدي يأتي به مسيحيهم . لان عبيد ابليس لا يمكن
ان يسلموا من العبودية الجسدية اذ هي نتيجة العبودية الروحية لابليس . فان
انقذهم مسيحيهم من نير زماني معلوم لا بد ان يقعوا تحت نير آخر أمر منه . واذ
كان يسوع يعلم هذا جيداً أتى ليخلصهم من نير ابليس أولاً . فان قبلوه
يخلصهم ايضاً من نير الرومان ومن كل نير غير نيره الهين ومن كل حمل
الأحملة الخفيف

كان الاصطلاح عند اليهود ان الفارئ الذي يقصد ان يشرح الفصل
الذي قرأه يعلن ذلك يجلسه امام الجمهور عند فروغه من القراءة . فلما
طوى يسوع السفر وسلمه للخادم جلس فتحوّلت اليه ابصار الجمهور . وبما انه
ابن بلدتهم يعرفونه جميعاً شخصياً ويعتبرونه ويؤثرونه بناءً على امتيازهِ في الصفات
الحسنة والأعمال الصالحة . وقد زاد هذا الاعتبار بسبب سماعهم عنه الامور
الكثيرة العظيمة مدة غيابه

فلا عجب انه لما اعطى علامة استعدادهِ للوعظ امامهم " كانت عيونهم
شاخصة اليه " فابتدأ وعظهُ بقوله " اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم " .
بهذا الكلام قدّم ذاته لهم كمسيحيهم وفي الوقت ذاته لاشئ كل آمالهم الزمنية ان
قبلوه كمسيح . ثم استطرق في كلامهِ المؤثر " وكان الجميع يشهدون له
وتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فيه ويقولون " أليس هذا ابن يوسف " .
من القول " كلمات النعمة " عرفنا نسق وعظهُ . اي ان تعليمهُ كان
كالماء البارد للظمان . وانه اهتم ان يعظ بالبشارة بملكوت جديد روحي بهيج
ظهر في هذه الساعة في قوة خطابه ليس فقط ثمر اخباراته الجديدة الاخيرة
بل ايضاً ثمر سني الاستعداد الطويلة في ذلك المحيط عينه

كان يسوع عالماً بان افكار الجمهور لا تزال بعيدة عن افكارهِ وان

شهادتهم لكلمات النعمة من فيه هي سطحية. وانهم تائقون الى الملكوت الزمني
والمنافع المادية والمجد العالمي والاندهاش بمعجزاته. فانا هم اولاً بمثلين من الامثال
الدارجة بياناً لمعرفة افكارهم اذ قال "على كل حال تقولون لي هذا المثل
ايها الطيب اشف نفسك". يعني ان وطنك الناصرة احق من قانا الجليل
ومن كفرناحوم فلماذا لا يتمتع بمعجزاتك المدهشة والخير الناتج عنها. لكن الى الآن
لم نر منك معجزة. ثم اشار الى المثل الثاني "ليس نبي مقبولاً في وطنه" يعني
خذ وعظك للذين يجهلون اصلك الحقير ولا تنتظر منا خضوعاً لتعاليمك
الجديدة

ولكي يظهر امانته نحو نفوسهم ونحو الحق الثمين قصد ان يبطل اتكالمهم
على علاقتهم الخارجية بابرهم كأن هذه تحقق لهم الرضى الالهي والقبول في
الملكوت. وان يزيل وهمهم بان الله لا يهتم الا بهم بين البشر. فانا هم بشاهدين
لا يمكنهم الرد عليهما. الاول في تاريخ نبيهم العظيم ايليا الذي لما هرب من
غضب شعبه اسرائيل وملكهم لجأ الى ارملة وثنية فينيقية التي اظهرت شهامة
وكرماً ومروءة وايماناً لم يوجد مثلاً في اسرائيل. والثاني في ايام خلفه النبي
اليشع الذي لم يشف احداً من اليهود بني شعبه المصابين بمرض البرص المميت
بل شفى رجلاً امميّاً (سريانياً) من دمشق. فاذا لا يعتني الله بشعب اسرائيل
فقط بل بجميع خلايقه والامم ايضاً. وانه تعالى يفضل الاممي على الاسرائيلي
متى كان هذا ابعد من ذاك عن الايمان الفلبي والطاعة له تعالى

فهذا الكلام أيقظ العواطف الفاسدة الكامنة قبلاً في قلوبهم. وتجدد
فيهم روح الحسد للقرى الاخرى التي رأت معجزاته واستنجوا انه يحقرهم.
فهاج كدرهم مما لاحظوه بان يسوع لا يقصد تخويلهم الفوائد الزمنية التي
يرومونها. وتحرك الادعاء الديني المتعجرف. والنفور من تعليم يسوع بان
الامم قد يفضلون عليهم عند الله. مع انهم يعدونهم ككلاب لا نصيب لهم في
الرضى الالهي وملكوته. "فامتلاً غضباً جميع الذين في الجمع وقاموا واخرجوه"

خارج المدينة وجاءوا به الى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه الى اسفل" (١). وهنا تم القول بنوع خصوصي انه "جاء الى خاصته وخاصة لم تقبله" (٢) وقول النبي انه يكون محذولاً ومحتقراً من الناس (٣)

من يعلم كيف كانت عواطف اهل لما كان الجمهور في المجمع صاغياً وشاخصاً اليه ومتعجباً من كلامه؟ ألم تكن تلك الساعة عندهم ساعة ابتهاج وافتخار؟ أو لم يملأوا بخير عظيم زمني سوف ينالونه بسبب علاقتهم مع شخص ذي اقتدار واعتبار كهذا؟ وإن كان حقاً هو المسيح أفلا يكون لكل افراد عائلته النصيب الاوفر من العز والنجاح في ملكوته

لكن لما تغيرت للجنة وتوقف سرور الجمهور به لا بد أنهم استاءوا من كلامه وخطأه ولا سيما لانهم قدروا العواقب وادركوا ان الشعب في غيظه على يسوع يجعل لاهله قسماً من الغيظ والامانة. فما اهل تلك الساعة عليهم حين رأوه في قبضة الجمهور الهائج المزبد المنتهي لاعدائه. "اما يسوع فجاز في وسطهم ومضى" لانه اتى على هذا الجمهور الشائط غيظاً عليه هيئته الطاهرة فغلّت ايديهم عن اطاعة كيدهم

"ثم أتى وسكن في كفرناحوم" تاركاً الناصرة وشأنها حالياً. فيئس قوماً ضاع فيهم تأثير نحو ثلاثين سنة قضاها يسوع بينهم بكمال ادبي وغيره دينية ومحبة للجميع. ونهاهم بتأثير خطاب واحد يخالف ذوقهم ومشتهاهم بشيرون غارة فوضوية ويلقون عليه ايدي اثميه ويسحبونه بغوغاء بقصد اهلاكه. فما امر التعصب الاعى المذهبي. وما اكثر الفظائع التي ارتكبها الناس حيناً بعد آخر تحت ستار غير الدين. اما يسوع فهياً افكار تلاميذه لمقابلة معاملة كهذه اذ

(١) الناصرة مبنية على سفح اكبة يحيط بها آكام ارفع منها. وعند قنة تلك الاكبة شفر علو كل شفير منها نحو ثلاثين او اربعين قدماً. (ادي في لوقا ٦١) وكان اصطلاح الرجم عندهم انهم يطرحون الشخص أولاً عن مرتفع لعله يموت من جرأ السقوط قبل رجوعه ٢ اي ١٢:٢٥ (٢) يو ١: ١١ (٣) اش ٥٣: ٢

قال لهم في وقت آخر "تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم انه يقدم خدمة لله" (١)

ننحس ايضا حزن قلب يسوع الرقيق على عشراء عمره واقربائه واصدقائه هناك . لانهم طرحوا عنهم بشارة النعمة ورفضوا مخلصهم الوحيد . ألم يبك على الناصرة عند تركه اياها كما بكى بعدئذ على اورشليم ؟ وكيف لانحزن معه اذ نراه تاركا وطنه تركا نهائيا بعد كل اتعايه فيه وبعد تأثير قدوته وكلامه بين قومه دون ان يأخذ منهم على ما يظهر تلميذا واحدا حتى ولا من اخوته في بيته الى ذلك الحين

النعمة التي رفضتها الناصرة انتقلت الى كفرناحوم . وكان ذلك تسهلا لعمل يسوع التبشيري . ولانتشار صيته . وتعظيم شهرته . ومن هنا ولصيتها بيت صيدا تلمذ عديد من صاوي الاشهر والاعظم بين رسله (٢)

موقع كفرناحوم على شاطئ البحر زادها موافقة كمركز لعمل يسوع . لان السفن كانت تسهل عليه كثيرا الانتقال من مكان الى آخر . وزادت مناسبتها

(١) يو ١٦: ٢٢ (٢) كفرناحوم كانت مدينة مهمة على شاطئ بحر الجليل واكبر المدن العشر التي كانت تزين شواطئ هذه البحيرة الخالية الآن من المدن ما عدا طبرية . وكانت كفرناحوم مركزا للحكومة ولجباية المكوس لانها واقعة على الطريق العمومية الموصلة بين الداخلية والسواحل البحرية ومدينة اورشليم والبلاد المصرية وعلى حدود مقاطعة الجليل الشمالية . لا يعرف موقعها بالتأكيد الآن لكن يرجح انه في المثل الذي تشغله اطلال تسمى لثوم على الشاطئ الشمالي من هذا البحر وغربي مصب نهر الاردن فيه . كان العنصر الاممي فيها اقوى منه في مدن الجنوب نظير الناصرة . ولذلك كانت الحركة التجارية والصناعية اقوى والتعصب المذهبي اضعف . وبالنظر لموقعها البحري كان صيد الاسماك فرعا مهما من عمراتها التجارية . وتجارة السمك المقدد من هذا البحر كانت تشغل سوقا خصوصا في اورشليم التي كان احد ابوابها يسمى باب السمك (نخ ٢: ٢٠) ويزعم المفسرون ان زبدي وابنيه يعقوب ويوحنا رسولي يسوع كان لهم في اورشليم محل تجاري يوردون اليه الاسماك من هذا البحر وانهم كانوا من اهل اليسر . ويعضد هذا الرأي قول احدها يوحنا انه كان معروفا عند رئيس الكهنة يو ١٨: ١٥

أيضاً بسبب الذين انضموا اليه كتلاميذ من سكانها ومن بيت صيدا. بعضهم على ضفة الاردن وغيرهم بعد ذلك نظير خادم الملك وعائلته كانت مدة استيطان يسوع في كفرناحوم على ما يظهر سنة ونصفاً ويذكر في خلالها خروجه منها للتبشير ثم عودته اليها تسع مرات. وكان قد زارها مع أمه وأخوته قبل هذا الوقت بنحو سنة وقبل ذهابه الأول الى اورشليم^(١). ويذكر البشير متى في اجتهاده المجهود لاجل تطبيق النبوات على حوادث حياة يسوع ان اتخذها اياها مركزاً لسكنه التي نعيماً للنبوة الواردة في اشعيا المعلقة شروق النور على هذه المقاطعة المظلمة التي سكانها "جالسون في كورة الموت وظلاله"^(٢)

يسرنا ان نتصور الاستقبال الذي حصل ليسوع في هذه المدينة بمناسبة انتقاله اليها. ونخص من المترحمين به عائلة خادم الملك الذين لا يكون ايمانهم الجديد به إلا حاراً وشكرهم اياه كثيراً. وهم يكون فرح الولد الذي شفاه وهو مشرف على الموت بان يرى اول مرة مخلصه الزمني والروحي ليشكره على رحمته الفائقة نحوه. ولا بد انه كان لهذه العائلة جمهور كبير من المحبين والاصدقاء الذين اشتركوا معهم في الاحنفاء بنزول كفرناحوم الجديد. لا بل نتصور انهم عملوا له ترحاباً عمومياً بفضل تلك المعجزة التي زاد تأثيرها عليهم كون يسوع فعلها عن بعد

يظهر ان عائلة يسوع ارتحلت ايضاً من الناصرة وسكنت في كفرناحوم. ولا غرابة في ذلك لان سكنهم في الناصرة يعرضهم للاهانات بسببه. وشرف العائلة يوجب عليهم ان يتصرفوا به ويتركوا جماعة تطرفوا في كرهه واضطهاده ولكن بما انهم لم يؤمنوا به يجوز ان يكونوا قد استاءوا منه لتسببه تركهم بيوتهم واملاكهم واشغالهم في الناصرة

ان صدق الاستنتاج بان سكنه في كفرناحوم لم يكن مع عائلته بل في بيت

تلميذ الغيور سمعان بطرس^(١) يسهل تمكينه هذا التلميذ في ايمانه الجديد وتعليمه
وتدريبه استعداداً للقيادة المهمة المعدة له فيما بعد . وينجم ايضاً عن اختياره
السكن في بيت بطرس ايضاح انفصاله الشخصي عن انسابه ليتفرغ لعلاقاته
الجديدة مع الذين تبعوه كتلاميذ ومع العموم كخلص العالم

(١) يتفق القول ان اندراوس وبطرس كانا من بيت صيدا مع القول ان بيت
بطرس كان في كفرناحوم على فرض انه انتقل اليها بداعي انضمامه الى يسوع او ان بيت
صيدا كانت حسب زعم البعض حارة من كفرناحوم او ميناءها البحري . او انه تزوج من
كفرناحوم وسكن فيها لكنه بقي يمسب من بيت صيدا

الفصل الخامس عشر

(مت ١٨:٤-٢٥ و ١٤:٨-١٧ مر ١٦:١-٢٩ لو ٢٢:٤-٤٤)

(المرصع) ف ٩ و ١٠ (الزمان) اذار سنة ٢٨ م

(المكان) كفرناحوم

دعوة يسوع اندراوس وبطرس ويوحنا . حكم الدين على العلاقات العائلية .
اخراجهُ روحاً نجساً وهو يعظ في كفرناحوم . السكن الشيطاني في زمن يسوع . شفاء حمة
بطرس . حوادث الازدحام والشفاء . شهادة الشياطين لَهُ . العلاقة بين الخطايا
والامراض . مفعول الايمان في شفاء الامراض . اختلاء يسوع للصلاة وجولائه للتبشير
والشفاء

باسنيطان يسوع على شواطئ بحر الجليل^(١) ابتدأت الحوادث التي ألبست
هذه البحيرة الصغيرة شهرة واسعة زادها جمال موقعها . واذا شبهنا نهر الاردن
بمخاض من لجين يزين وسطه هذا الحجر الكريم من الياقوت الازرق . وتحيط به
الجبال كأنها خفراؤه وعند سفوحها تتقبل المروج الخضراء قبلات امواجه .
اما اجل زيناته فهي تلك الحوادث الخطيرة التي خلّد ذكرها "انجيل يسوع
المسيح ابن الله"^(٢) . قال احد الشعراء

"بحر الجليل أيا عديم مثال - فوق البسيطة في سنى وجلال -
رسمت عليك يد القدير العالي آيات حسن - فائق - وجمال -
يعي المبالغ وصفها بمقال -

بحر الجليل ايارواء الصادي يامنهل الورد والقصاد

(١) بحر الجليل هو البحر الذي يمر فيه نهر الاردن وهو التجم الشرقى لبلاد الجليل ويسى
ايضاً جنبسارت (لو ١٠:٥) وكثارة (عد ١١:٣٤ ونث ١٧:٣) وكثيروت (يش ٣:١٢)
وبحر طبرية (يو ١:٦) طوله نحو ١٣ ميلاً وعرضه ستة اميال ومعظم عمقه ١٦٥ قدماً (ادي

من ذائفيك المدح بالانشاد من سائر السباح والرواد
يا بهجة الازمان والاجيال (١)

رأى يسوع في ذات يوم وهو يمشي على شاطئ هذا البحر تلاميذه
الأربعة الأولين . اندراوس واخوه سمعان بطرس ويعقوب ويوحنا اخوه
يشتغلون في صيد السمك . وكان الاخوان الاولان يطرحان شبكة في البحر
اما من سفينتهما أو من على الشاطئ . وكان الاخوان الآخرون مع ابائهما زبدي
والاجري في سفينتهم يصلحان الشباك بعد الصيد . فأتى الى الأولين ودعاها
ليعلمها صيداً افضل وأكثر ضرورة وهو صيد الناس بشباك الانجيل لاجل
تخليصهم من بخر الهلاك . واوصاهم الى شاطئ السلام . ثم مشى واتى الى الاخوين
الآخرين وقدم لهما الدعوة ذاتها

فلبوا حالاً جميعاً هذه الدعوة وتبعوه تاركين الاب والاجري والسفينتين
والشباك والمهنة اي كل شيء . نعم تبعوه سابقاً بالقلب والايمان ورافقوه في
بعض رحلاته . لكن من الآن فصاعداً كانوا ملازمين له

وكان أراهم في اليهودية والسامرة امثلة في اصطيد النفوس . لكنه قصد
الآن ان يحولهم عن اشغالهم الزمنية ليمتكن من تعليمهم وتدريبهم في هذه المهنة
الجديدة أكثر فكثر . ظهر جلياً بعد صعوده نجاحه في هذا القصد عند ما
خلفه هؤلاء في صيد النفوس وأيد علمهم الباهر رؤية النبي الذي قال في
الصيدان على شاطئ النهر الخارج من تحت عتبة بيت المقدس "يكون
سمكهم على انواعه كسمك البحر العظيم كثيراً جداً" (٢)

في القول ان ابني زبدي تركا اباها في السفينة وتبعوا يسوع لنا الحلقة الاولى
في السلسلة المولفة من الذين اطاعوا ويطيعون امر يسوع بتركهم الاهل عند
الاقتضاء لكي يتبعوه . ولكن لا يحق دينياً ولا ادبياً لانسان هو مجرد بشر ان

(١) من موشع للنفس اسعد عبدالله الراعي نشر في النشرة الاسبوعية

(٢) حز ٤٧: ١٠

يطلب من الناس ان يفضلوه على اهلهم الذين تربطهم بهم العلاقات المبتينة التي هي وضع الهي ويسوع المتمسك بالناموس الالهي لا يمكنه ان يحقر الوصية الخامسة التي تأمر باكرام الوالدين كجبرّد بشر لا يقدر ان يطلب من ابني زبدي ترك ابيهما لاجله. ولم يخالف ابنا زبدي هذه الوصية الا ليقينهما ان ليسوع حقوقاً الهية تقدّم على الحقوق البشرية كافة حتى اقدسها. وبما انه واضع هذا الناموس يتدر ان يحوّره كما يشاء

ان ابراهيم خليل الله ترك وطنه الاصلي في اور الكلدانيين واهله هناك إجابةً للدعوة الالهية. فتولد من صلبه شعب الله المختار اسرائيل. وصار يسمّى اب المؤمنين. اذ قال له الله "فيك وفي نسلك نبارك جميع قبائل الارض" (١)

وترك موسى اجابةً لدعوة الله قصور الفراعنة والبنوة الملكية والراحة والرفاه والعلوم والغنى (٢) والمجد ليقود هذا الشعب وينظمه ويستلم الشريعة الالهية الطاهرة التي منها النظام الشهير والعهد القديم الذي هو اساس في الدين

وترك ايضاً هؤلاء التلاميذ الاربعة مهنتهم ويومهم واهلهم ليتبعوا هذا المعلم الفقير المحترق فتأسست منهم ومن رفقاءهم القليلين الضعفاء الكنيسة المسيحية والنظام المسيحي الجديد الروحي الذي غير هيئة العالم وعنى كل نظام سواه

قد جاء في الكتاب ان الله اخبر داود عبك واخذه من حظائر الغنم *** واني به ليرعى شعبه واسرائيل ميراثه (٣) والآن نرى يسوع يختار اندراوس وسمعان ويعقوب ويوحنا من بين صيادي السمك ليرقيهم الى درجة الرسولية الموبنة الشرف والثواب ويجعلهم واسطة المعجزات عديدة في

حياتهم والمعجزات روحية عامة أكثر وأعظم منها جداً هي نتيجة الانجيل الذي كتبوه^(١)

وبعد ان دعاهم تبعوه الى المدينة بصفة جديدة كعلم دين يلزمه اشخاص من اتباعه يؤلفون واية عائلة جديدة يرأسها هو ويباشرون تربيتهم . حتى وهو يعظ ويعلم العموم في السبوت كان تعليمهم أولاً مرماً الخصوصي الذين حضروا وعظته في مجمع كفرناحوم "بهتوا" . ومع انهم سمعوا وعظاً كثيراً وشهيرين قبلاً كان هؤلاء جميعاً يسندون اقوالهم الى اقوال العظماء من اسلافهم . ويمتازون بحسن الذاكرة والاعتناء في حفظ كلام أئمتهم الاقدمين عن ظهر القلب فكانوا يكثرون من سرده على مسامع الجمهور . وعلى هذا بنى الجمهور افتخارهم ومدحه ايامهم

اما الآن فقد ظهر واعظ جديد لا يبالي بالعلوم المألوفة ولا الفلسفة ولا اقوال اولئك المشاهير . وبدلاً من ان يقول "قال الربّي الفلاني" كان يقول "الحق الحق اقول لكم" . وان اعاد كلاماً قديماً كان يصيره جديداً في معناه وتأثيره . وفي تفسير التوراة كان يربطهم روح التعليم وليس حرفة فقط^(٢) وكان من جملة المجمعين للعبادة في احد السبوت شخص "به روح نجس"^(٣) هذا الرجل المصاب بالحلول الشيطاني سمع الوعظ . وظهر ان التأثير الروحي ابتداءً في قلبه . فهاج الشيطان الساكن فيه وجعله يصرخ بصوت عظيم قائلاً "آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري . أتيت لتهلكنا . انا اعرفك من انت قدوس الله" . فظهر روح العداوة الشيطاني في قوله "ما لنا ولك" . واستعمال صيغة الجمع يدل على ان المتكلم يشعر ان فيه آخر

(١) في كل اللوائح في البشائر واعمال الرسل الحاوية اسماء الرسل تأتي اسماء هؤلاء الاربعة أولاً . وثلاثة منهم (بترك اندراوس) ميزهم يسوع مراراً فوق سائر الرسل
(٢) لا يزال يلاحظ هذا الفرق في الوعظ والوعاظ (٣) لم يسم الشخص شيطاناً . بل قيل فقط ان "به شيطاناً"

ينطقه وفي القول "انيت لتهلكنا" اعتراف بسطوة يسوع عليه وعلى الشيطان الحال فيه. والقول الآخر "اعرفك من انت" يدل على معرفة عجيبة ليست لهذا الرجل البسيط بل للشيطان الذي طبعاً يفوق كثيراً اعرف البشر في المعارف العقلية

هم ابليس على يسوع في انفراده في البرية. وهم ايضا في تهيجهم اهالي الناصرة عليه وبقي هو مقتنياً. اما الآن فهم على هذا المعلم الجديد هجومه الاول العلني. ولم يرص ان يسكت بينما كان يسوع يظهر الحقائق الروحية ويشرح طريق الخلاص وينادي بملكوت الله ويوضح شروط الدخول فيه. هو عالم ان يسوع قد جاء لكي يحميهم وينقذ اعمالهم ويدمر ملكوته الفاسد ويسحق رأسه فكيف يمكنه ان يسكت

لربما نستغرب شهادته الصريحة ليسوع بانه "قدوس الله" لعلها كانت النتيجة الاولى من سطوة يسوع عليه والثانية طرده من هذا الرجل. وبما ان لشهادة العدو قيمة مضاعفة اراد يسوع ان يري الجمهور ان الشيطان ايضا مضطرب ان يشهد له. وهذه شهادة الشيطان الاولى ليسوع امام الناس ولكنها ليست الاخيرة^(١). حالما ادعى المصاب هذه الشهادة المعتبرة انتهر يسوع الشيطان قائلاً "اخرس واخرج منه" فاصبح الجمهور كله منتظراً ليري ماذا يحدث. ففي الحال "صرع الشيطان الرجل وصاح بصوت عظيم وخرج منه ولم يضره شيئاً" فلا عجب اذا "وقعت دهشة على الجميع وتبهر واكلمهم" وظهرت في ذلك الكنيس الموقر حركة لم تحدث فيه قبلاً. وصاروا يتسألون من هو هذا الشخص المقتدر الذي اتى ليسكن بينهم. وما هو هذا التعليم الجديد المقرون بمعجزات كهنه. ومن اين حصل ابن النجار على سلطة تمكنه من ان

(١) سنرى ان رداة الرؤساء وبعضهم يسوع جعلهم يتخذون شهادة الشياطين له حجة لتهنؤهم انه يخرج الشياطين بواسطة اتحادهم مع رئيس الشياطين بعزبول (مت ١٢: ٢٤)

يُطاع من الأرواح الشريرة (١)

ان يسوع اثبت في معجزته الاولى (٢) سلطته على النواميس الطبيعية. وفي الثانية سلطته على الامراض الجسدية (٣). وفي هذه الثالثة اعلن سلطته على القوات الشيطانية. وهذه القوات الثلاث في العلاقات البشرية تبرهن مناسبة هذه الانواع الثلاثة من المعجزات في بداية خدمته بياناً لاهليته ان يكون مخلصاً للبشر بكل معاني الكلمة

تطير سريعاً هذا الخبر عن اوّل واقعة علنية حدثت بين "رئيس بيت داود" "ورئيس هذا العالم" فيها ذلّل الأوّل الثاني وقهره. "فخرج صبت عنه للوقت في كل الكورة المحيطة بالجليل". في البرية دافع يسوع عن نفسه في محاربه ابليس. وهنا في كفرناحوم دافع عن غيره وابان لتلاميذه الجدد ولابليس ذاته ولسكان الجليل ولكل اجيال البشر انه قادر ان يقهر ابليس ليس في صدره هو فقط بل ايضاً في صدور الآخرين. هذه كانت من اعظم المثائل الخيرية الممكن اعطاؤها لبني البشر في كل زمان

لا يسعنا السكوت تجاه هذا الحادث الغريب دون طلب بعض الايضاح في امر السكن الشيطاني الذي يُذكر كثيراً في ايام يسوع وبعده كأنه من اهم الامور. والمرجح ان الشيطان بمناسبة مجيء المسيح مخلصاً الى العالم ضاعف قوته وتسلط على البشر فوق المعتاد. ولم يكن ذلك الاً سباحاً من البارئ لتكون غلبة يسوع عليه ابهج وتيجتها اعظم (٤). ولان الشيطان يعرف قيمة القوى

(١) نرى في عدم الاعتراض على هذا العمل في السبت المقدس دليلاً على ان التعصب المذهبي كان في الجليل اخف منه في اليهودية (٢) تحويل الماء خمرًا (٣) شفاء ابن خادم الملك (٤) يجوز ان هذه الحركة الشيطانية ظهرت فقط في المحيط الذي كان يسوع فيه. وسميت هذه الأرواح احياناً شياطين (مت ٨: ١٠) واحياناً ارواح شريرة (اع ١٩: ١٢) واحياناً ارواح نجسة (مر ٥: ٢) وكان يرافق السكن الشيطاني اعراض مختلفة كالخرس (مت ٩: ٣٣ ولو ١١: ١٤) والعمى (مت ١٢: ٢٢) والجنون (مر ٥: ٢) والصرع (لو ٩: ٣٩)

العقلية في الانسان كان الجنون رفيقاً قانونياً للاستيلاء الشيطاني
الخصوصي. وكثيراً ما كان المصاب يُسمّى مجنوناً فقط. فهل كان ما يسميه
الانجيل الاختلال الشيطاني هو مجرد الاختلال العقلي المسمى الآن جنوناً؟
كان يجوز هذا التفسير لو كان يسوع من الذين يتفادون الى الخرافات
الجارية. اولو كان من الذين يتساهلون في الاوهام الدينية ويستخدمونها
لاغراض يعدونها حسنة. ممكن ان ينسب هذا الى بشرٍ قاصرٍ في الفهم او في
الاستقامة لكن ليس ليسوع. فلما نسمعه يخاطب الشيطان كشخص غير
الشخص الذي يحضر امامه ويقول "اخرج منه يا ايها الروح النجس"
"اخرج منه" نعلم ان عاقلاً ومستقيماً كيسوع لا يمكن ان يقول
اقوالاً تشبه بالخزعبلات الصيانية اذا كانت الاصابة في مرض الجنون المهود.
واو كان كلام الشخص الذي به شيطان كلام اختلال عقلي فقط لما كان يشهد
الجنون شهادات عجيبة بامور لم يعرفها احد في ذلك الوقت. ولا يوجد في شفاء
الجنون ما يشبه الصرع والالام المرافقة لاجراج الشياطين

ويلاحظ ايضاً ان اجراج الشياطين كان كفرع خصوصي من اعمال
يسوع ورساله مستقل عن شفاء الامراض. بناءً على اسباب كهذه مع اعترافنا
بالصعوبة الكلية في هذا الامر لا مناص لنا من القول ان هذا النوع من
الاصابات التي يسميها الانجيل ليس "شفاء" بل "اجراج شياطين" لا يجوز
حسابه مجرد مرض الجنون المألوف

ثم خرج يسوع ومن معه من الكنيس وجاءوا نوا الى بيت سمعان بطرس.
اما لانه كان ساكناً هناك او ان بطرس دعاه ليضيفه اظهاراً لامتنانه للشرف
الذي البسه اياه بدعوته ان يصير صياد الناس وان يلزمه كتلميذ دائم.
ولربما اشترك مع عاطف الشكر عاطف الامل ايضاً ان معلمه وسيدٌ يُظهر في
بيته قوة الشفاء التي اظهرها في بيت خادم الملك منذ عهد قريب في هذه
المدينة؟ اذ كانت حماته مريضة في بيته "وقد اخذتها حتى شديداً". يظهر

ان بطرس لم ير من اللبابة ان يكلف يسوع في امرها. لكنه وجد من ينوب عنه. "فاخبروه عنها وسألوه من اجلها". لانعلم بأي كلام انتهر المحي لكنه "اقامها من فراشها ماسكاً بيدها فركتها المحي حالاً". وكان شفاؤها معجزة مزدوجة لان الضعف الكلي الذي يتولد من حي شديدة زال بغتة حتى امكها ان تمارس حالاً شغل البيت. وبذلك صارت مقدمة النساء اللواتي تبرعن في خدمة يسوع بعد شروعه في وظيفته^(١)

فاتشر سريعاً في كل البلد خبر ما فعله يسوع عند ضحي ذلك السبت في شفاء حماة سمعان بعد اخراج الشيطان في الكنيس امام عيون العموم فاتظر اهل المدينة الى ما بعد غروب الشمس احتراماً لنظام السبت. ثم اتوا بمرضاهم طالبين الشفاء من هذا القادم العجيب الذي قد استوطن عندهم. وظاهر الخبر هو انه لم يبق في كفرناحوم عليل. "لان جميع الذين كانت عندهم سقاء بامراض مختلفة قدموهم اليه فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم". فاعظم ذلك السبت اذ "كانت المدينة كلها مجمعة على باب بيت سمعان بن يونا الصياد"^(٢)

يخص البشرون في سرد هذا الخبر المصايين بالسكن الشيطاني الذين كان عددهم وافراً. ويظهر انه لم يضع يده على هؤلاء كما فعل في سائر الامراض لانه يقول ان الشياطين كانت تخرج بكلمة. في الكنيس قال للشيطان "اخرس" بعد ان شهد له انه "قدوس الله". وفي المساء زادت شهادات الشياطين له قوة ووضوحاً. اذ انهم كانوا يصرخون قائلين "انت المسيح ابن الله". فانتهرهم يسوع "ولم يدعهم يتكلمون لانهم عرفوه انه المسيح". فلما رأى

(١) من الاتفاق الغريب قول يوسفوس ان الحيات الخبيثة كانت كثيرة في كفرناحوم بسبب المستنقعات حولها التي افسدت المناخ (٢) ان ما فعله عن يسوع يجعل الظن معقولاً انه اتخذ بيت رسوله الاول منزلاً له في كفرناحوم اذ بذلك تسر له ان يرني ويدرب هذا الرسول بتدقيق أكثر

أهل المدينة أن الشياطين تسميه المسيح وابن الله أما شعروا أنه مستجيب على الأبالسة أن تعظم كذباً الشخص الذي يطردهما أو ليسوا هم كشعب الله أولى بتأدية شهادة كنه؟

ما أجل صورة هذا الحسن واقفاً عند باب البيت في أول ساعات الليل يُدّيك اللطيفة ليمس كل عليل يقدم إليه . فقد برهن بذلك اشتراكه القلبي في مصائب هؤلاء المساكين . وإبان لهم أن القوة للشفاء هي فيه وإن فعلها يتصل بهم منه على طريق انامله متحولاً في طريقه إلى أنواع الصحة المطلوبة على أشكالها حسب الاقتضاء . وبهذا العمل أفهمهم (أن شاءوا أن يفهموا) أن أمراضهم الروحية قابلة أيضاً للشفاء . وأنه قادر على هذه كما على تلك . ومستعدّ لشفائها جميعاً أن طلبوا ذلك منه . حقاً قال عنه النبي "أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها" (١)

هذه بداية اشتغال يسوع بخدمته الطويلة في شفاء الأمراض ونؤكد أنه في كل أعماله الشفائية كان ينظر أولاً إلى العلاقة المتخمة بين الخطيئة والأمراض . لأن الجنس واحد إذ المرض خلل في الأجسام وفساد الوضع الأصلي الإلهي الحسن . والخطيئة خلل في النفوس . وكان قصد يسوع الخصوصي بيان استعدادهم ومقدرته على منح الشفاء للنفوس من داء الخطيئة . لأنه أتى "ليخلص شعبه من خطاياهم" (٢) . وظهر "كحل الله الذي يرفع خطية العالم" (٣) . نزل من السماء لينال به كل من أراد مغفرة الخطايا . وطالما الأمراض هي في الأصل نتيجة الخطيئة صار من الضروري أن الذي يحارب الخطيئة يحارب نتائجها أيضاً وأن لا يتغاضى عن الفرع في مطاردته الأصل . علم أن الناس يحتاجون إلى ما يشوقهم لطلب الشفاء الروحي لأن الخطيئة تبيت الشعور الروحي . فقصد إيقاظ الناس بواسطة معجزات الشفاء وتذكيرهم بلذة الشفاء الأهم . ثم أن حبه للبشر الذين أتى ليخلصهم قاده إلى الاشتاق عليهم في مصائبهم كافة وإلى تقديم كل أسباب

الراحة والسرور للجميع على قدر الامكان
فكل من فيه روح المسيح يهتم في تخفيف ويلات بني جنسه والامراض
اعظمها . والروح المسيحي يقود الاطباء الى مخاطرات كلية مجباتهم وتضيعة
اوقاتهم واموالهم لاجل اكتشاف اسباب الامراض ثم معالجتها . لانهم يحسبون
مخاربة الامراض مجانسة لمحاربة الخطيئة . ويعتبرون الاهتمام بخير البشر
الجسدي فعلاً ضرورياً مع الاهتمام بخيرهم الروحي . الروح المسيحي يقود
الشعب المسيحي اجمالاً الى انشاء المستشفيات والملاجئ على انواعها التي
لا وجود لها في العالم القديم او الحديث الا في البلاد المسيحية او التي انشأ فيها
اولاً المسيحيون فرع الاحسان هذا

”يسوع المسيح هو هوامساً واليوم والى الابد“ (١) . لذلك يهتم الآن
بامراض البشر ويريد تخفيفها . وكما كان يشفي المرضى في اماكن لم يكن حاضراً
فيها جسدياً يفعل الآن . ويريد ان يأتية الآن كل مريض طالباً منه الشفاء
وان يحسب الطبيب الذي يستدعي للعبادة مأموراً منه . والعلاج الذي
يستعمله مراسلاً منه . وان يشكر على نيل الشفاء كانه هو الطبيب الاصيل وان
الشفاء هبة منه . قال الرسول ”امريض احد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة
فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفي المريض والرب
يقبضه“ (٢) . في الامراض يحسب المؤمن ان يسوع هو الطبيب الماهر الشهير
وان الطبيب البشري هو كالمريض الذي يأخذ تعليماته من الطبيب ويعامل
العليل بموجبها . فمهما كان اتكالنا على الطبيب والمريض عظيماً وشكرنا لها عند
النهوض من المرض وافراً يكون الاتكال الاعظم والشكر الاوفر للطبيب
الذي دربهما استجابة لاستغاثتنا به

رأينا يسوع محاطاً بالجمهير انما الازدحام الدائم لا يوافقه . فلا يستغني
مطلقاً عن الاختلاء مع الآب السماوي . ولذلك ”في الصبح باكراً جداً لما صار

النهار قام وخرج ومضى الى موضع خلاء وكان يصلي هناك " كانت خدمته للناس تسوقه الى الصلاة لله لانه بواسطة الاخلاء مع الآب يتأهل لعمله اليومي الخطير بين الناس . كانت صلاته لله تقوده الى خدمة الناس حياً لله فيعود من صلاته الى اعماله بنشاط جديد وفرح مضاعف . حياة كلها صلاة تفقد الآخرين خدمة المصلي . وحياة كلها خدمة تفقد نفس العامل ما يحتاج اليه من الفوائد الروحية التي بها يقدر ان يخدم الآخرين الخدمة العظمية والاسى . فمع طهارة يسوع التامة وقوته الفائقة وكل كماله كانت طبيعته البشرية تحتاج الى الصلاة . وكانت هذه لذته العظمى لا بل تنفسه الروحي الضروري الدائم . فمن اهم فروع الاستفادة من يسوع والاقتراء به فرع صلاته الانفرادية

لكن لم يرص الجمهور ولا تلاميذ يسوع المجدد باخلائه هذا . فشرع بالتفتيش عنه بطرس والذين معه . ولما وجدوه قالوا له " ان الجميع يطلبونك . وامسكوه لئلا يذهب عنهم ايضاً " . اما هو فلم يسل لانسان حق الحكم في كيفية حركاته بل كان يتبع دائماً هدي الروح الذي حل عليه عند اعتماده . فبينما يمثل لطلب الناس تطفلاً يستقل عنهم ويخالف طلبهم . ولهذا قال " ينبغي ان ابشر المدن الآخر بملكوت الله . لنذهب الى القرى المجاورة لاكمال هناك ايضاً لاني لهذا قد ارسلت "

فشرع من ذلك الوقت بمخطة جديدة خلافاً لعادة الشرفيين من معلمين وروساء في الدين وهؤلاء يتبعون خطة المعدادن اذ يتخذون مراكز يستقبلون الناس فيها . والذي لا يقصدهم لا يراهم ولا يسمعونهم . اما خطة يسوع فكانت على قاعدة " لان ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك " (١) وخص مقاطعة الجليل وطنة في جولانته هذا الاول . وقد اشار البشير

(١) لوقا ١٩: ١٠ الغلط العظيم الذي وقعت فيه الكنيسة المسيحية في اكثر الاجيال والاماكن هو تركها خطة يسوع التي تقضي بطلب الضالين والتفتيش عنهم واكتفاؤها بالشعب

الى انواع عمله الثلاثة في هذا الجولان . اولاً انكرازة بيشارة الملكوت كما رأينا
يفعل في اليهودية . ثانياً محاربة ابليس وتحرير الناس من سكو فيهم كما فعل
في مجمع كفرناحوم صباح ذلك السبت الشهير . ثالثاً "شفاء كل مرض
وكل ضعف في الشعب" كما فعل في مساء ذلك السبت عينه

اما هذا الشافي فجعل ذاته شريكاً للبشر في الآلام . وصفه النبي اشعيا
بكلام هذه الترجمة في النسخة اليونانية . "هو اخذ اسقامنا وحمل اراضنا"^(١) . وقال
فيه الرسول "انه مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به"^(٢) "وتكمل بالآلام"^(٣)
"وكان ينبغي ان يشبه اخوته في كل شيء لكي يكون رحياً *** لانه في ما هو
قد تألم مجرباً يقدر ان يعين المجربين"^(٤) . فيرجح انه اخذ نصيبه من عذابات
الامراض في سنيه السابقة في الناصرة . لان سني خدمته العلنية لم تفسح له مجالاً
ليتفرغ لاختبار الامراض . وبما ان الانجيل قد سكنت عن كل ما حدث منه
وله في تلك السنين لا يكون عدم ذكر وقوعه في مرض منافياً للظن بانه
اخذ نصيبه من ذلك . ولا تكون سلامته من الخطيئة موجباً لسلامته من المرض
الذي يعد من نتائج الخطيئة . لانه تحمل كل نتائج الخطيئة حتى الدينونة
بسببها لكن دون شيء من ادناسها . لانه وضع نفسه مقام الخاطئ^(٥) لكي يكفر
عنه ويفتديه من لعنة الناموس^(٦)

—•—

الموجود فيها ومن يتسلسل منهم مع ترك الاشرار لشركهم كأن لا مسؤولية على الكنيسة من
اجلهم (١) مت ١٧: ٨ مع اش ٤: ٥٣ (٢) عب ٨: ٥ (٣) عب ١٠: ٣
(٤) عب ١٧: ٢ و ١٨ (٥) ٢ كو ٢١: ٥ (٦) غل ٣: ١٣

الفصل السادس عشر

مت ١:٨-٤ و ١:٩-٨ مر ١٠:٤-١٢:٢ لو ١٠:٥-٢٦

(المرصع) ف ١٠ (الزمان) اذار سنة ٢٨ م

(المكان) الجليل . بحر طبرية

البرص وتطهير مصاب به . امانة يسوع لمذهبه اليهودي . معاملة الابرص عند اليهود
عجيبة صيد السمك . ترك التلاميذ الاربعة صيد السمك واتباعهم يسوع . شفاء مفلوج .
غفران الخطايا . اتهام الروساء اياه بالتجديف وجوابه على ذلك

بين كل انواع المرض التي قيل ان يسوع شفى منها فاق عدد الذين
شفاهم من مرض البرص اي الجذام المعروف ايضاً باسم الداء الكبير . وقد
خُصَّ هذا المرض من قديم الزمان رمزاً للخطيئة ونجاستها^(١) . حتى سمي الشفاء
منه تطهيراً . وخُصَّ ايضاً لاجل اعلان غضب الله على المخالفين في حوادث
شتى^(٢) . وبين كل ما ذكر في كتب اليهود الطبية من ادوية ومعالجات
للأمراض كافة لا ذكر لعلاج هذا المرض . لانهم تأكدوا انه عدم الشفاء
الأممجة الهية . وظهر اعتقادهم هذا جلياً في جواب ملك اسرائيل في زمن
اليشع في قصة نعمان السرياني^(٣) . لذلك كان هذا المرض هو الوحيد الذي
يقضي على المصاب به ان يفرز عن جميع الناس حتى عن اهل بيته^(٤) . وان
دخل بلداً يجازى باربعين جلدة . وكان يُعدُّ المصاب كأنه ميت^(٥) فيتجنس

(١) لا ١٣:٢٠ و ٤٤ و ٤٥ (٢) مريم اخت موسى عد ١٠:١٢ وجعزي ٢ مل ٢٧:٥

والملك عزيا ٢ مل ١٥:٥ (٣) ٢ مل ٧:٥ و ١٥ (٤) عد ٢٥:٥ (٥) عد ١٢:١٣

من يلمسه كما لو لمس جثة ميت. حتى ان الابرص كان مجبوراً ان يمارس فرض الحداذ نظير تمزيق ثيابه والكشف عن راسه وتغطية فيه وترك الاغسسال وما اشبه. وعليه ان يحذر كل انسان من الدنومة بصراخه الدائم "نجس نجس". وهو المرض الوحيد الوراثي الذي كان ينتقل من الوالد الى الاولاد^(١). وان أصيب انسان به او بما يشبهه به انه برص ثم تحققت سلامته منه فيما بعد كان يتوجب عليه استحصاا شهادة كهنوتية بهذه السلامة^(٢).

لا يقدر ان يفهم قصة يسوع الا من يذكر انه كان يهودياً مجتاً اميناً. ولد في اعرق نقطة من البلاد اليهودية ومن انقى واشرف نسل يهودي. لان الظاهر انه اقتدرن في شخصه السلالتان الملكية والكهنوتية. وصرح انه لم يرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة. فحصر خدمته (الا الجزئي منها) في الارض اليهودية ومع الشعب اليهودي. ولم ينتخب رسولاً من الاثني عشر الا يهودياً. وامثل حتى ساعة صليبه لكل الرسوم اليهودية الجوهرية. فلم يتخذ اسماً جديداً خارجاً عن اسمائهم. ولم يقيم معبداً او ينظم شعباً منفصلاً عنهم. لم يكتب كتاباً ليزيد على كتبهم او يخالفها. وقبل لقب ملك اليهود عند محاكمته^(٣) فوضع عنواناً فوق راسه على صليبه^(٤). وهذه الحقيقة تحملنا على اجمال الاسم اليهودي وعلى محبة الشعب اليهودي وعلى توفير شريعة اليهود وتوارثهم وعلى الاقرار بالدين الذي لا تقدر قيمته الذي للمذهب اليهودي على المذهب المسيحي بل على العالم اجمع.

كان يسوع يوماً في احدى المدن فاته رجل مصاب بهذا المرض على رغم الموانع المبيعة التي تحول دون مجيئه. ولا بد ان يشنت اقتحامه جمهور الحاضرين حذراً من التنجس من هذا المني. لان هيئة الكئيبة توجب

(١) ٢مل ٢٧:٥ و٢صم ٢٩:٣ (٢) اما انتشار هذا المرض منذ القديم فينتضح من لو ٢٧:٤ و٢مل ٢٧:١١ ونظراً لاهمية هذا الداء ومعامليته كرمز للخطيئة نجد ان ١١٦ عدداً في التوراة خصت لشرح (٣) مت ١١:٣٧ (٤) يو ١٩:١٩ و٢٠

الاقشعرار . ورأسه المخلوق مكشوف وثيابه ممزقة تمزيقاً رسمياً وصوته الاجشش من تأثير المرض في حنجرتيه يصرخ تحذيراً للجميع "نجس نجس نجس". ووجهه مبشع من هريان انفه واذنيه وشفتيه وجفنيه لانه حسب قول البشير مملوء برصاً^(١)

"فلما رأى هذا الابرص يسوع خرّ على وجهه وسجد له" يا ايها التعيس في الظاهر انت باحق سعيد. لان روح الله الهلك ان تسجد لهذا الرجل الذي دعوته "يا سيد". لم يسبقك الى هذا السجود الا المجوس من المشرق الذين سجدوا له في طفولتيه. اما بعدك فيفتدي بك ملايين الملايين من صفوف البشر كافة من ادناها الى اعلاها

ولكن كيف قبل يسوع هذا السجود؟ لم يبرح بعد من آذاننا صوته الرهيب في برية التجربة لما طرد ابليس من امامه بقوله له "مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد"^(٢). ورسله حتى وملائكته يوقفون بحمّة سجود الناس لهم لانه لا يجوز^(٣). فهل هم اصالح منه واكثر غيرة على حقوق الذي وحده يحق له السجود؟ ألا يضطربنا الامر ان نرى في قبوله هذا السجود الاول الذي تقدم له بعد ظهوره دليلاً كافياً انه يعلم ان له حقوقاً الهية؟

(١) ما يستحق الذكر في هذا المرض هو ان ميكروبه الذي صار اكتشافه في سنة ١٨٧١ يعيش طويلاً . وقد وجدوه حياً بعد عشر سنين في قطعة جلد مغلقة في ورقة كانت لانسان مصاب . وقد يدوم في الجسم الحي اربعين سنة ومعدل دوامة بحسب ١٨ سنة . وقد حاول علماء الطب والبكتيريولوجيا ادخال هذا الميكروب في جسم احد الحيوانات لاجل الامتحانات الطبية . فلم يتمكنوا من ذلك كانه لا يعيش الا في الجسم الانساني . نقرأ في التاريخ ان هذا الداء قد انتشر في اوربا انتشاراً هائلاً في القرون المتوسطة اي بين ١١٠٠ و ١٥٠٠ مسجبة حتى بُني في تلك القارة تسعة عشر الف مأوى وفي انكلترا وحدها ١١٢ لاجل افراز البرص فيها . واصطحبوا في ذلك الوقت على معاملة الابرص كبيت وكانوا يقيمون عليه فرض الجنائز و يضعون على رجليه نرابا كالميت ويجعلونه يخضع ثيابه في الكنيسة ويتركها فيها ويلبس ثوباً اسود ثم يطرد منها ولا يعود يجوز له الحضور فيها

(٢) مت ١٠: ٤١ ع ١٠: ٢٥ و ١٤: ١٣ و ١٥: ١٩ ورو ١٠: ١٤

يدهشنا ايمان هذا اليائس ونحار في امره كيف تولد فيه هذا الايمان. كان لسان حال المصايين الذين لجأوا الى يسوع كقول أب الولد في قيصريه فيلبس "ان كنت تستطيع شيئاً ففتح علينا واعننا" (١) مع ان عليهم لم تكن بعيدة عن الرجاء كعلة هذا الرجل الذي قال "يا سيد ان اردت تقدر ان تطهرني". حكم لنفسه دون ادنى ريب بمقدرة يسوع على هذا العمل الذي لا يقدر عليه الا الاله. لكنه لتواضعه ولياقته لم يجسر ان يحكم هل يشاء يسوع او لا يشاء ان يشفيه. ومع شدة حاجته واحترام حرية ارادة يسوع فاستحق الاكرام على ذلك والالتفات الى امره

وبناء على ما ظهر منه لم ير يسوع موجباً لامتحان بتأجيل الاستجابة الى حين كما امتحن غيره. بل لاشي ارتيابه حالاً بخصوص ارادته ان يشفيه. ولا سيما لكونه يريد ان يعلن بمعاملته لرمز الخطيئة انه لا يؤجل دقيقة واحدة طلب من يروم الشفاء من خطاياهم والخلاص بمغفرتهم. بهيئنا ان نلاحظ ان ما دفع يسوع لتطهير هذا الابرس لم يكن الحاجة العليل لانه لم يكن للجوجا. ولا حب الافتحار وطلب الصيت. لانه اوصاه ان لا يخبر بالمعجزة. فعل لانه تخن. واظهاراً لحنانه "مد يه ولمسه" تقريباً منه (٢). وكيمودي فعل ما كان محرماً عند اليهود لما لمس هذا الابرس

نرى في لمس يسوع هذا الابرس اموراً هامة. كافاه يسوع على ايمانه العجيب في بابه اذ طيب قلبه باقترابه ولمسه اياه بعد سني نفيه واجتناب الجميع (حتى اهله) اياه وبعد عذابات المتوعة في المرض الشنيع. كان التجسس من الابرس امراً رمزياً. ولان يسوع اتى ليتم الرموز ثم يلغي ما يتمه ألغى بلمسه هذا الابرس سنة التجسس من البرص. ألغى رمزا ووضع مكانه رمزا جديداً.

(١) مر ٩: ٢٢ (٢) بما ان بشارة متى موجهة الى اليهود بالاكتر لا يذكر فيها معجزة ليسوع قبل هذه التي لها علاقة خصوصية بالنظام الموسوي. لكنها وردت ايضا في بشارتي مرقس ولوقا

وهو اللبس . أخذ على نفسه نجاسة البرص لكي يعطي البرص بذلك طهارة . فكان هذا رمزاً الى عمله الفدائي الذي استوجب ان يرسل الله ابنة في شبه جسد الخطيئة^(١) . "ويجعل الذي لم يعرف خطيئة خطيئةً لنصير نحن برّاً الله فيه"^(٢) . واعلن ايضاً ان الارادة الالهية هي ما صرح الله به لشعبه في قوله "اني اريد رحمة لا ذبيحة"^(٣) . ولأن شريعة المحبة للقريب كالنفس تقضي بلمسه لا تقف في وجه ذلك شريعة التجسس . فخالف شيئاً من حرف الناموس احتراماً وانتماً لروحه اي المحبة والاشفاق . وظهر ان اهتمامه ينصرف الى التجسس الداخلي قبل الخارجي وأكثر منه . وفوق ذلك اقتضى ان يوضح ويؤيد سلطانه كصاحب الشريعة واصليها كما في قوله بعدئذٍ "ان ابن الانسان رب السبت ايضاً"^(٤) . فهو يتم الشرائع وبلغها او يؤيدها كما يشاء . ولكونه يهودياً حقيقياً اميناً وضع عنقه اخيارياً تحت نير النظام الموسوي . ولكن اظهر في أكثر اقواله واعماله ما يميزه عن سائر البشر في حين مماثلته اياهم في كل ما يوافق او يجوز . فابهج هذا المسكين بلمسه ثم زاده ابتهاجاً وملأ قلبه وفمه شكراً لما ازال ريبه بخصوص ارادته ان يشفيه بقوله "اريد فاطهر" . هاتان الكلمتان صيرناه انساناً جديداً في الخارج وفي الداخل رأى يسوع ان في انتشار هذا الخبر ضرراً . وان الرجل هائج ابتهاجاً وراغب في نشره . فانتهره وارسله^(٥) للوقت واوصاه "لا تقل لأحد شيئاً" . والسبب لذلك كون يسوع قد تجسس في اعين العموم بلمسه البرص . وهذا الخبر يعيق عمله ان شاع كثيراً . والسبب الآخر هو قصد يسوع ان لا يزيد الازدحام الذي يقف في وجه عمله الاله في الكرازة والتعليم^(٦)

(١) رو٨: ٣ (٢) ٢كو٥: ٢١ (٣) هو٦: ٦ (٤) مر٢: ٢٨

(٥) الكلمة اليونانية اقوى من هذه وتدل على شيء من العنف لاجل اقناعه ان بطيع

(٦) القديس يوحنا فم الذهب يفسر ان يسوع قصد في هذه المرة كما في غيرها ان

يحضّ الذين شغافهم على التأمل بسكوت ووقار في مراحم الله الفاتقة نخوم . وان يحجبهم من

الكبرياء فيما اذا ادهشوا الكثيرين بما حدث لهم وحصلوا بذلك على شهرة

ومن الواجب على هذا الرجل اليهودي ان يخضع دون تردد للنظام الموسوي. فالح عليه يسوع ان يسرع بالذهاب الى الكهنة في اورشليم لكي يحصل على الشهادة التي تعلن براءته وتعيده الى كامل حقوقه بين شعبه. ومع ان هذا الامر ليس سهلاً ولا بسيطاً كان لا بد منه. وقد يكون سبب آخر مختص بالرجل. هو يفتقر كلياً الى شهادة الكهنة في اورشليم. ففي كرههم يسوع قد يسكون عن هذا المسكين الشهادة اللازمة متى سمعوا ان شفاءه كان من يسوع. فقال له اذهب ارفع نفسك (اي ذاتك) للكاهن^(١). اما هذا

(١) بياناً لصحة قول بطرس في وعظه لما سمى الفرائض اليهودية "نير لم يستطع اباؤنا ولا نحن ان نحمله" (اع ١٥: ١٠) يوافق ان نبين تفاصيل الغرض المتضمن في القول "ارفع نفسك للكاهن". فيكون مثلاً نقاس عليه الفرائض الاخرى الثقيلة التي ازالها انجيل يسوع المسيح ابن الله. يضطر هذا المسكين ان يسافر مسافة بضعة ايام الى اورشليم ويميت خارج المدينة. ثم يرسل يطلب كاهناً يخرج اليه ويخلق شعرة تماماً. (لانه ان بقي ولو شعرة يفسد العمل) ثم يذبح عصفوراً ويصفي دمه في ماء في صحن صغير خزفي ويرش من الدم على عصفور ثانٍ حي. ثم يطلق هذا الطير الى البرية. ويستعمل في الرش خشب ارز مربوطاً مع قرمز وياقة زوفا. وبعد فحص الكاهن كل جسمه بالتدقيق يستحم ويغسل ثيابه العتيقة في ماء جارٍ ويلبس ثياباً جديدة. ثم في اليوم الثامن يفحص الكاهن ثانية ويقص الشعر الذي نبت جديداً ويستحم ثانية ويحفظ كل التحفظ من التنجس بشي حتى يجوز له الدخول الى الهيكل في الصباح التالي ليتم التطهير ان وجد سالماً من البرص. ثم في الهيكل يقدم ثلاثة حملان حولية ذكرين واثني. ويقف خارجاً. ثم يأخذ الكاهن حملاً ويوجهه الى الجهات الاربع. ويأخذ صحناً من الزيت فيلوح به ايضاً الى الجهات الاربع. ثم يقود الحمل الى الرجل فيضع يديه على راس الحمل ويعترف بخطايه ويقدمه ذبيحة عن خطيته. فيذبحه كاهنان في الجانب الشمالي من المذبح. ويتلقى احدها الدم في طست والثاني في يده. فالذي يأخذ الدم بالطست يرشه على المذبح. والذي يأخذه يده يذهب الى الرجل ويضع من الدم على اذنيه وعلى ايام يديه اليمنى واليسرى رجلاً اليسرى. ثم يأخذ احد الكهنة زيتاً من الصحن ويسكب في يد الكاهن الآخر اليسرى وهذا يرش منه باصبع يمينه سبع مرات لجهة قدس الاقداس. ثم يدهن بزيت اجزاء جسم الرجل التي دهن اولاً بدم. ويسكب ما بقي من الزيت على راسه. وبعد هذا يدخل الرجل الى دار الهيكل ومنها الى دار الكهنة. وهنا يذبح الشاة بعد ان يضع الرجل

الجهول الاسم فسبب بعدم امتثاله لامر شافيه انزعاجاً للمفضل عليه لانه سبب
ازدياد الازدحام . قال البشير " خرج وابتداً ينادي كثيراً ويذيع الخبر .
فاجتمع جموع كثيرة حتى لم يعد يقدر يدخل مدينة ظاهراً بل كان خارجاً
في مواضع خالية يعتزل في البراري ويصلي "

في هذه الاوان عاد تلاميذه الى صيد السمك . وفي احدى الليالي التي
قضاها كلها بطرس وشريكاه يعقوب ويوحنا وربما اخوه اندراوس ايضاً في
الصيد ولم ينالوا الا الفشل . فرجعوا صباحاً الى الشاطئ خائبين وارسوا . ثم
غسلوا الشباك حسب عادتهم على البر . وما لبثوا الا قليلاً حتى حصل ازدحام
مفرح حول معلمهم على هذا الشاطئ . وكان مفرحاً لان رغبة الجمهور في
استماع " كلمة الله " صيرته من الهج المناظر في الدنيا اي جمهور ملتئم ليسمع
كلمة الله

وتسهلاً للسكوت بين الجمهور ولا يصل الصوت الى السامعين جعل
يسوع منبره سفينة تلاميذ سمعان بطرس . صعد بطرس اليها معه وجعله يبعد
قليلاً عن البر ثم جلس وابتداً بوعظه . ومع انه حفظ لنا بعض كلامه عن
منبر بئسوخار . لم تحفظ لنا كلمة واحدة من درر كلامه عن ظهر السفينة بل
كان وعظه تمهيداً فقط لمعجزة جديدة من نوع جديد (١)
يهتم يسوع لفشل اخصائه في الصيد في الليل الذي مر لانه يريد ان

يديه على راسها ويوضع من الدم على قرون المذبح ويسكب الباقي عند اسفله . ثم يفعل
الكاهن مثل ذلك بالحمل الثالث ذبيحة محرقة . ويحرق على المذبح الاجزاء القانونية كاشحم
وغيره كرائحة ذكية لله . ثم يوقى بتقديمه من الدقيق والزيت فيوضع منها جزءاً على المذبح
ويأخذ الكاهنان ما بقي منها . وما لم يحرق من لحم الحملان الثلاثة . ويلفظان الكلمة
الجوهرية الحية التي لاجلها تحمل الرجل هذه المشقة فيقول " انت طاهر "

(١) لا يذكر هذه المعجزة الا لوقا . على ان البعض يزعمون ان معجزة نظيرها قد وقعت
في وقت آخر في ذات هذه المعجزة وان الاختلاف بين الخبرين في التفصيل لا يلغي ذلك
ومع انه لا يجوز الجزم القطعي في الامر فاننا نخرج ان الخبرين هما عن حادثتين (يو ٢١)

يعينهم في تحصيل معيشتهم وبالأكثر ان يحوّل مصيبتهم الى بركة اذ يعلمهم
مثالة اخرى في سلطانه على الكائنات تهيئة لايمانهم . فلما فرغ من الكلام امر
تلميذه صاحب السفينة ان يبعد الى العمق ويجدد الصيد . وكان هذا الامر
صعباً على بطرس اولاً . لانه غسل الشباك وأعدّها لاجل تجديد الصيد في
الليل المقبل . فان طرحها الآن ولم يفلح يتحمّل نعباً ليس بقليل . ثم بما انه صياد
ماهر ويسوع نجار فثقيل على طبعه ان يأخذ منه تعليمات الصيد . ولا سيما
ان قانون الصيد هناك ان يكون ليلاً وقلما يرجى من صيد النهار . واخباره
في الليل الفئت أكد له ان الاسماك غير موجودة الآن في تلك البقعة .
لذلك اعترض اولاً . ثم عاد فامثل امر يسوع فحصل حالاً على جزاء
تسليمه حتى صار خطر على الشباك ان تتمزق لكثرة السمك فيها . فاستعان
بشريكيه ابني زبدي ومن معها في السفينة الثانية فملاوا السفينتين "حتى أخذتا
في الغرق"

"فاعترنهم دهشة" لهذا الامر العجيب . اما بطرس فاضاع بعض رشده
لشدة انفعاله لانه لما سجد عند ركبتي سيده قال "اخرج من سفينتي يا رب لاني
رجل خاطئ" . فتصوره مدفوعاً الى هذا الطلب الغريب من نخله بسبب
اعتراضه اولاً ومن ارتعابه لوجود شخص في سفينته قادر ان يعرف جميع
سنياته ويحاربه عليها . دفعه ايضاً التواضع لحسب سفينته حقيرة عن ان
تشرف بشخص نظير يسوع . الخاطيء يرتعب دائماً من رؤية القدوس . فلما
رأى بطرس شيئاً جديداً من امجاد هذا القدوس ارتعب واضاع خوفه صوابه
حتى قال ما قال . ولأن طلبه المغاير كان مشفوعاً بسبب شريف جداً وهو
الشعور بالخطا لم يوجّه عليه . فبطرس لم يكن يعرف يسوع بعد كما هو . وظن
انه يريد الابتعاد عن الخطاة . وهذا الوهم في الخطاة عموماً يزرعه ابليس في
عقولهم

لكن يسوع بمحبتته ومحبته رفض طلب بطرس . وهذه خطئته دائماً عندما

يطلب منه المؤمنون في صلاتهم اموراً ليست للخير . فاستجاب طلب بطرس بعكسه . لان بطرس طلب ان يبعد يسوع . اما يسوع فاقرب منه أكثر . لانه نظر الى الصواب في قلب بطرس لا الى الخطأ في صورة كلامه . وطمانته حالاً بقوله " لا تخف " . ثم بتأكيد له انه معين منه لاصطياد الناس . وهذا شغل اشرف واعظم كثيراً من مهنته السابقة . وهي المهنة التي يريد ها يسوع لكل فرد من تابعيه حسب قدرته واختلاف احواله . ولما جاءوا بالسفيتين الى البر تركوا (اي الاربعة الذين دعاهم سابقاً) كل شيء وتبعوه . تركوا صيد السمك في وقت نجاحهم ومعظم ارباحهم فيه

بعد هذا عاد يسوع من شاطئ البحر ودخل بيتاً وصار يعلم كما علم سابقاً في الهيكل وعلى البئر وفي المجمع وعلى ظهر السفينة . فكثرت الازدحام حوله حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب وكان يخاطبهم بالكلمة^(١) . وحضر بين هذا الجهم الغفير " فريسيون ومعلمون للناموس " . كان هؤلاء المعتبرون من متوظفي الدين قادمين من مدن وقرى عديدة في مقاطعتي اليهودية والجليل حتى ومن اورشليم بقصد استماع كلام يسوع ورؤية معجزاته . فتصورهم جالسين في مقام الاكرام في صدر المحل بجانب المعلم الشهير الذي اتوا ليراقبوه وامام عيون هؤلاء جرت آياته في السماء الذين اتوا اليه لان " كانت قوة الرب لشفائهم "

وبعد هنية شعرا جمع بمحركة غير اعتيادية في اطرافه احدثها رجال حاملون مفلوجاً على فراش يطلبون فتح طريق بين الجمهور ليصلوا الى يسوع . لكن حب الذات لم يسمح للواقفين ان يفسحوا لهذا المسكين . لان كثيرين كانوا قد اتوا قبله وهم منتظرون فرصة ليصلوا الى هذا الطبيب العجيب لاجل الشفاء لهم اولادهم . فاستنبط هؤلاء طريقاً مستغربة للوصول

(١) ان كان البيت بيت سمعان بطرس نقدر ان نتصور ارتباك حانه التي شفاها

يسوع بسبب هذا الاحتشاد الكثير

اليه . استدثوا على محل جلوسه في البيت . وثقبوا السقف فوق رأسه ودثوا الفراش من بين الاجر الى الوسط قدامه . فيا له من منظر مدهش يستلفت ابصار الجمع الغفير ويشغل احاديثهم ولا سيما هؤلاء الغرباء الاكابر . امام يسوع وامامهم الآن فراش نزل بينهم يحمل مفلوجاً قد اخرسه فالجّه دون مس سمعه . لا صوت ولا حركة ولا مطالب الا حالته المحزنة

كان يسوع منفرداً عن سائر المعلمين في اهتمامه باحوال الناس الداخلية قبل الخارجية . ولعلمه الخفايا والاسرار كان يمكنه ان يوفق كلامه واعماله تماماً لمقتضيات هذه الاحوال الداخلية . فابتدأ مع هذا العليل بالشفاء الداخلي اذ قال له اولاً "ثق يا بني" (١) مغفورة لك خطاياك . نستنتج من هذا انه رأى في قلب هذا الشاب توبة عن خطايا ربما كانت حديثة الوقوع (٢) وسابقة لاصابته بالفالج خطايا كان يحسب فالجّه قصاصاً لها . فكان مهمّاً غاية الاهتمام بغفرانها مع اهتمامه بالشفاء الجسدي . تتصوره من جملة الذين معمول تعليم يسوع سابقاً واستفادوا منه . فعند وقوع هذه المصيبة الكبيرة تعلق قلبه بهذا المعلم املاً بخلاص روحي وجسدي معاً

والايمان القوي الذي اظهره مقدمه الاربعة كان سبباً عظيماً اضافياً لميل يسوع الى مساعدته . اذ نابوا بذلك عن المفلوج الذي منعه خرسه عن ابراز ما في قلبه من التوبة والايمان . فان كنا قد اصبنا في ما شخصناه يكون هذا المفلوج وهو بعد تحت سلطة الفالج قد امتلاً تعزية وفرحاً روحياً حال سمعه كلمة يسوع المعلنه ان خطاياه مغفورة . فكانت نتيجة مصيبتيه العظيمة انها انت به الى الذي بخاصة من المصيبة الاعظم جداً اي حمل خطاياه يورث صحة تشخيصنا علمنا ان يسوع لا يلفظ بالغفران الا لمن هو اهل

(١) دلت هذه الكلمة على كونه شاباً (٢) على فرض انه من سكان كفرناحوم

لان يسوع كان قد نظف من عهد قريب مدينة كفرناحوم من الامراض لوق ٤: ٤٠

للغفران بسبب شعوره الروحي. فمع ان الجمهور لم يكن اقل احتياجاً من
المفلوج الى غفران الخطايا وكانت رغبة يسوع في تقديم الغفران للفريقين
متساوية لانراه يطرح عليهم غفرانه كما طرحه على المفلوج. وذلك لعدم
استعدادهم الداخلي. قبل ان يسوع يستقبل التائب ويبيد الواحدة هبة
الغفران وفي الثانية القداسة. فلا يعطي احداها بدون الاخرى ايضاً. لسان
حال هذا الشاب وهو بعد في مرضه وخطاياه مغفورة كلام النبي "هوذا
للسلامة قد تحولت لي المرارة وانت تعلقت بنفسي من هذه الهلاك. فانك
طرحت وراءك كل خطاياي" (١) ولا بد انه رثم في قلبه مع داود النبي
"طوبى للذي غفرائه وسترت خطيئته. طوبى لرجل لا يحسب له الرب
خطيئته" (٢). طوباه لان الله يرافق غفرانه بسائر بركاته وليس كالذي تبرئه
المحاكم المدنية. يعطي الله مع غفرانه مواعيد لا تشبه ونعمة فائضة ثم المجد
الابدي

باثبات يسوع حقه ان يمنح الغفران اثبت لنفسه مقاماً فوق سائر البشر.
أثر هذا كثيراً في الذين رأوا وسمعوا ما حدث. فلم ينس بطرس فيما بعد
عمل يسوع الغفراني. اذ سمعه يصرح به امام المجمع الكبير في اورشليم الذي
النّام لاجل محاكمته بقوله "هذا رفعه الله يمينه رئيساً ومخلصاً ليعطي اسرائيل
التوبة وغفران الخطايا" (٣)

اشبه شفاء هذا الرجل الجسدي شفاءه الروحي في ان حمل السرير لم يكن
شرطاً سابقاً لنيل الشفاء بل نتيجة له والصالح ليس شرطاً سابقاً لنيل الغفران
بل هو نتيجة الغفران المجاني وثمره

واشبهه ايضاً في كون شفاء النفس قد منح حالاً. وليس غفران الخطايا
وعداً بامر موجل يحصل عليه الخاطئ بعد موته او عنده. او بعد اظهاره

استغناقا . اذ يعطى حالا عند الطلب المخلص القلبى الحار من انسان يفهم ماذا يطلب . يستطيع المخلص ان يفعل ذلك حالا لانه يعلم طوية الانسان الداخلية . فلا يحتاج كما يحتاج البشر الى وقت لاجل تحقيق استعداد الخاطئ المغفران

واشبهه كذلك في ان يسوع لم يمنح المفلوج جزءا فقط من الصحة ثم يتركه ليسترجع العافية تدريجيا ويطلب من الاربعة الذين اتوا به ان يحملوا له الفراش ليعود الى بيته من حيث اتوا . لكنه اعطاه صحة كاملة دفعة واحدة واعطاه ايضا غفرانا كاملا عن جميع خطاياہ دفعة واحدة . فكل ما يعمله يسوع يعمل كاملا . لو بقي اقل شيء من الخطيئة بدون غفران اوجب ذلك هلاك النفس كما لو بقيت الخطيئة كلها . ولذلك لا يغفر الله الا غفرانا كاملا . لا يمكن لصاحب سفينة اخترقتها ثقوب عديدة ان يصلح بعضها ويترك ولو واحدا منها لان ثقباً واحداً يغرق السفينة نظير المثة

اما الروساء الزائرون الجالسون مع يسوع فلم يعترفوا له الا بالحقوق التي لمعلم بشري وليس بينها حق مغفرة الخطايا . فالذي يتخذ لنفسه حقوقا الهية يعد مجدفا . ولذلك حكموا على يسوع في افكارهم انه مجدف وعليه يكون شر الناس ويستحق شر عقاب ابي الرجم حسب نصوص ناموسهم واصطلاح تاريخهم^(١) . فاهتم يسوع ان يقدم لهم براهين انه اكثر من معلم بشري واذ ذاك لا يكون منحة الغفران تجديفاً واول برهان قدمه في اعلانه لهم ما هي افكارهم التي لم يظهروها لاحد . وبذلك اتم نبوة نبيهم بالمسيح انه "يجل عليه روح الرب وحكمة والفهم *** فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سماع اذنيه"^(٢)

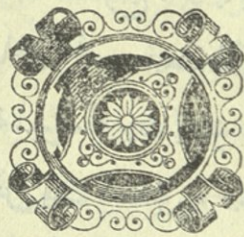
ثم اشار الى برهان آخر تكلم عنه لكي يتأملوا فيه قبل ان يقدمه لهم فعلا

اي القوة لشفاء هذا المفلوج . لان الفالج متى رسخ وظال يكون غير قابل
 للشفاء . لكن ان شفي تظهر النتيجة حالاً . فلا يقدر الانسان ان يقول كذباً
 للمفلوج "قم احمل سريرك وامش" . لان كذبه يظهر للحال . اما القول "مغفورة
 لك خطاياك" فسهل ان يقوله اي كذاب شاء . لان لا واسطة ظاهرة لتكذيبه
 ولهذا السبب يعد القول "مغفورة لك خطاياك" اسهل من القول "قم
 احمل سريرك وامش" فالذي يقدر ان يقول هذا القول الاخير ويصدق
 فيه لا يمكن ان يقول القول الاول الا صدقاً . وهذا كان احتياج يسوع
 لدى ضمائر مناظريه . وبيان لم ان سلطانه على غفرات الخطايا حقه على
 الارض كابن الانسان لانه ابن الله ايضاً . ثم ليثبت قوله بفعله قال للمفلوج
 "قم احمل سريرك واذهب الى بيتك"

ما اعظم حراجه الموقف الآن بعد هذا الامر الصريح للمفلوج . هل ينجح
 هذا الامر في امره العجيب او يفشل ؟ كيف اشرأت اعناق الواقفين بعيداً
 وكيف تصوّبت جميع الابصار نحو سرير المفلوج . وكيف تضاربت آمال
 الحاضرين من محبين ومبغضين بينا استولى على الجميع سكوت كسكوت
 القبر انتظاراً . ثم كيف اهتز هذا الجمهور كشخص واحد عند ارتعاش
 المطروح على هذا السرير وعند نهوضه وعند قيامه في الحِيْظَةِ صحيحاً قوياً .
 وعند رفعه سريره على كتفه ومشيه امامهم . ما كان اعظم مباح مواطنيه
 المجمعين وابتهاج الذين اتوا به الى يسوع

فالذين لم يفسحوا الحامله لاجل المرور في دخوله تسابقوا الآن للتنسيع
 في خروجه . والسرير الذي حملة وهو داخل وكان دليل سقمه صار محمولاً
 منه وهو خارج وكان دليل شفاؤه التام . فما اقوى العبارة التي وضعت لبيان
 شفاؤه "في الحال قام امامهم وحمل ما كان مضطجعا عليه وخرج قدّام الكل
 ومضى الى بيته وهو يمجّد الله"

أثر في هذا المسكين ليس فقط شفاؤه بل بالاحرى غفران خطاياه
 وكم كان التصريح بذلك مؤثراً ايضاً في الجمهور اذ نقرأ انهم "تعجبوا وبهتوا
 وتخبروا بما رأوا وانهم مجدوا الله الذي اعطى الناس سلطاناً مثل هذا .
 فامتلاًوا خوفاً قائلين اننا قد رأينا اليوم عجائب . ما رأينا مثل هذا قط"



الفصل السابع عشر

(مت ٩: ١٧-١٨ مر ١٣: ٢-٢٢ لو ١٧: ٢٧-٢٩)

(المرصع) ف ١١ (الزمان) نيسان سنة ٢٨
(المكان) كفرناحوم

دعوة متى . العشارون واعنناء يسوع بهم . قصد يسوع في التفتيش عن الضالين .
بمحنة في الصوم . الاصول في الصوم الحقيقي . تشبيه يسوع بالعريس . العتيق والجديد .
النظر في الطفوس

خرج يسوع واتباعه من هذا البيت الذي تكرر في تاريخ كل الازمان
بواسطة ثقب سقفه لانزال هذا المفلوج . ثم بانائه غفراناً وشفاء في وقت
واحد . ورجع واياهم الى شاطئ البحر حيث اتى اليه كل الجمع فعلمهم . ومراً
اخيراً في الطريق السلطانية الموصلة بين بلاد الشمال وبلاد الجنوب حيث
يمر المسافرون افراداً وقوافل بين دمشق ومحيطها والمشرق وراءها وبين
اورشليم ومحيطها ومصر وراءها . ولما وصل الى محل الجباية حيث يأخذ
مأمورو الحكومة الرومانية المكوس على البضاعة المنقولة من بلاد الى بلاد
وقف مقابل كوخ احد هؤلاء المأمورين وبعد السلام ناداه قائلاً "اتبعني"
لم يكن باطن هذا الامر بسيطاً كظاهره . لانه كان في ظروف هذا
المدعو الجديد ما ينفرد منه جميع الذين بمعية يسوع . ومع انه ابن بلدهم
كفرناحوم واسمه متى اي "عطية الله" واسمه العبراني لاوي يعلن انه من العائلة
الشريفة الكهنوتية ومع انه من اصحاب المعارف^(١) ومن اهل اليسر المالي^(٢)

(١) كما يتضح من البشارة التي كتبها (٢) كما يتضح من الوليمة الكبيرة التي اولها ليسوع

كان من صنف العشارين المردول المحقر. وهذا يكفي لاشتمزاز كل محب
ولشأنه كل مبغض ليسوع ابن لبي متى العشار دعوته وانضم الى تابعيه
الاخصاء.

لنا في هذه الدعوة شاهد جديد على عظمة يسوع المبنية على استقلاله عن
الآراء السائدة عند الجميع في ايامه. وهذا الشاهد يتفق اتفاقاً جليلاً مع القول
بلاهوته. لان البشر يجارون لفيفهم في افكارهم. ألم يقل الرب لشعبه "لان
افكاري ليست افكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب" (١). فمخالفة افكار يسوع
ومبادئه لافكار معاصريه ومبادئهم دليل على انه "ليس من الارض أرضي"
ان العنف في المعاملة والطبع والغدر في المحاسبة جعل اليهود العشارون
في خدمة الحكومة الرومانية مكروهين من العموم. وكان الشعب اليهودي
كما انه لا يزال شديد التمسك الى درجة متناهية بكل ما تدخله صبغة دينية.
كانت تربيتهم وتاريخهم يعملان ان الله ملكه الحقيقي. وان كل نير سياسي وثني
هو اساساً اهانة لدينهم واحقار لاهم. لذلك كان تدميرهم من النير الروماني
يستند على غيرتهم المذهبية وكانوا يستخرون تأدية الاموال للحكومة وثنية فلا
يؤدونها الا مرغمين (٢). فنتج عن ذلك ان كل يهودي بقي محافظ على تقاليد
مذهبه كان يأبى الاستخدام عند الرومان لاجل اغتصاب هذه الاموال من
اخوته اليهود

فكان الرؤساء والمتقدمون بين اليهود يمتنون العشار ويحرمونه الحقوق
المدنية ولا يقبلون شهادته في المحاكم. وكان يعد في صنف المرايين والمقامرين
واللصوص والقتلة والزناة والوثنيين. وبالاجمال مع جميع الذين كانوا
يملون الواجبات الادبية والفروض الطقسية. كان يحرم طلب الاحسان
منه ومخالطته لاسيما وقت الطعام. كانوا يشبهون العشارين بين سكان المدن
بالوحوش الضارية بين الحيوانات. نتج عن كل هذا ان الادنياء فقط
كانوا يشتمون هذا العار والطرده والاحتقار والحرمان من المقام الديني بين

ربهم. فلذلك زاد تدريجاً التحقير والكره المنوّه بها. نتج ايضاً ما هو اهم اي ان الذين لدناءتهم كانوا يقبلون كل هذه النتائج لا بد ان يزدادوا بفعلها دناءةً شيئاً فشيئاً حتى صار على التمادي تحقيرهم حكماً عادلاً الاّ ما ندر. كيف اذا يدعو يسوع عشاراً ليكون تلميذاً ملازماً ثم رسولاً عنده

المخلص العمومي الذي مهمته كل اصناف البشر وطبقاتهم لا يقدر ان يماثل الرؤساء والمتدينين في اغصائهم عن العدد الكبير من اليهود الذين دخلوا بالاخيار او بالتسلسل في صف العشارين. لابل ان روح المروءة يضطره ان يعوّض بالتفاته الخصوصي على جماعة يحنقرهم الآخرون. هذا ما نراه في دعوة يسوع لهذا العشار ان يتبعه. معلمو الدين اي صف الكتبة والفريسيين هم الطرف الاعلى اي الرؤوس. والعشارون هم الطرف الادنى اي الاقدام في الهيئة الاجتماعية. فمن هؤلاء الآخرين اختار يسوع رسولاً اما من اولئك الاولين فلم يختّر احداً. خالف الراي الذي كان يحنقر ويكره الذين يجبون اموال حكومة اجنبية ظالمة وعلم انه يجب ان يعطى ما لتبصر لتبصر

في فكر يسوع الثاقب ورايه الصائب كانت زلّات معلمي الدين تفوق كثيراً زلّات العشارين في الجسامه وفي استحقاقها الدينونة. هو صرّح مراراً وتكراراً وجهاراً بهذا الحكم العادل. لو كان الفريسيون يتنجسون من الخطيئة كما كانوا يتنجسون من المعدودين عندهم خطاةً لكانوا سلموا من دينوتهم الخفية. حسب النظام الالهي بحسب الخطاة الذين يشعرون ويعترفون بخطاياهم اقرب الى ملكوت الله من المتظاهرين رياءً بالتدين. لذلك تنسم يسوع الخير الاعظم من العشارين المرفوضين من قبل ارباب الدين وليس من رافضهم هؤلاء

سبق خبر فعل يسوع الاول مع شخص من الطبقة السفلى لما بشر السامرية وقادها الى التوبة والايمان. فيفعل الآن فعله الثاني من هذا النوع في دعوته متى العشار وادخله الى ملكوته الروحي. فوضح ان رداة العشارين

هي جنتهم لينالوا الثغرات ممتازاً منه . لانه كطبيب لا يطلب الاصحاء بل المرضى . ومخلص الفريسيين هو ايضاً مخلص العشارين . حتى انه قال مرةً لروساء الكهنة وشيوخ الشعب "الحق الحق اقول لكم ان العشارين والزواني يسببونكم الى ملكوت الله . لان يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به واما العشارون والزواني فآمنوا به" (١) بهذا الكلام اظهر يسوع ان نصيب المعبدان كان نصيبه ايضاً اي رفض الروساء الغير نائين اياه وتمسك الاشرار النائين به لانظن ان هذه بداية معرفة متى بن حلفي (٢) بيسوع . نرجح انه كان قد سمع وعظه تكراراً ومال الى تعاليمه وانه رأى معجزاته وآمن به ايماناً بسيطاً نظير كثيرين غيره . لذلك نقدر انه ابتداءً يأنف وظيفته الدنيئة ويشتهي تركها . وان يسوع بالنظر الى هذا الاستعداد السابق عرفه اهلاً لهذه الدعوة فدعاه حتى ترك كل شيء وقام وتبعه (٣) . لم يقدم عذراً من الاعذار المتوفرة لديه . بل خنق آفة الطمع المستولية عليه حتى الآن . فظهر فعل النعمة فيه بتحويل اميال يهودي وعشار عن حب المال الى حب تضيية المال ومعه كل شيء لاجل يسوع

لم يكتم متى بخساره وظيفته وارباحها لاجل التلمذ لیسوع بل اضاف على ذلك انه "صنع ضيافة كبيرة في بيته ليسوع" . ودعا الى هذه معه كثيرين من قومه العشارين والخطاة لان غيرهم لا يلبثون دعوة عشار . لا بد انه قصد في ذلك فتح الباب لهم ليستنبروا كما استنار . وهذا دأب كل مستنير . هو الوحيد بين الرسل الذي ذكر له عمل كهذا (٤) اظهر به امقنائه الزائد ليسوع

(١) مت ٢١: ٢٢ و ٢٣ (٢) كان يعقوب الرسول المسمى الصغير الذي تبع يسوع فيما بعد هو ايضاً ابن حلفي . لكن لا موجب لحسابه اخاً متى لاتفاق اسم الوالد . نعم كثرة تكرار الاسم الواحد عند اليهود حتى انه بين اثني عشر رسولاً ليسوع وجد اثناث باسم سمعان واثناث باسم يعقوب واثناث باسم يهوذا (٣) لا يمنع هذا القول من انه يكون اولاً رتب اشغال مأموريته لاجل تسليمها قانونياً لحلفي (٤) مجنبل ان ثنائيل (برثولماوس) فعل ذلك . (انظر ف ١٠)

لتنال ان يدعو كتلميذ ملازم مخلصاً اياه من ورطة الآثام. قد رمتى هذه الدعوة حق قدرها. علم ان من ضمنها مخالفة يسوع العوائد القديمة السائدة واغاضته بذلك رؤساء الدين والغيورين فيه. علم ان الخسارة التي تنجم عنها هو في تركه كل شيء لا تقاس بما رجحه عوضاً عن تلك الخسارة. كيف اذا لو عرف آتئذ بروح النبوة لحظة الوافر على مر السنين اذ تصير بشارته فاتحة الانجيل ويخلد اسمه فوق اسماء معاصريه من ملوك وعلماء واغنياء. وانه يرجح بواسطة انجيله نفوساً بلا عدد يكون هو مادتهم الى الملكوت السماوي. هذا وكل من يترك منكرات هذا العالم حتى وخيراتهم وملذاتهم لاجل اتباع هذا المعلم السماوي وخدمته لا بد من ان ينال رجماً جزيلاً ايضاً

اظهر متى صدق تقواه الجديدة في ان صار فكره ماذا يعطي لا ماذا يُعطى. نرى البعض يميلون الى اعتبار ذواتهم مفضلين على الكنيسة في انضمامهم اليها ويتطلبون مقابل ذلك منافع زمنية. يماثلون بطرس الذي في احدى سقطاته الكثيرة قال ليسوع "ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فاذا يكون لنا؟" (١) بينما يجب ان يعتبروا الكنيسة مفضلة عليهم بقبولها اياهم وانه يطلب منهم ان يقدموا للكنيسة قسماً مهماً من خيراتهم الزمنية اظهاراً لشكرهم.

يذكر متى في بشارته دعوة يسوع اياه لكنه اظهر تواضعه بعدم ذكره انه ترك كل شيء وتبعه او انه صنع ضيافة كبيرة له. لوقا فقط يخبر بذلك. ثم بينا مرقس في قائمة الرسل (٢) ولوقا في قائمته (٣) بمحفظان ولا بسميانه متى العشار هو يسمي ذاته في قائمته (٤) بهذا الاسم المحقر كأنه يتعمد ان ينسب الفخر ليسوع الذي تنازل وضمّ عشاراً الى عدد رسله

يقول المثل الدارج في كل لغات الشرق والغرب "ان الطيور على اشكالها تقع". فالفريسيون نظروا الى يسوع بعين الاحتقار لاختياره مخالطة الاديباء

(١) مت ١٩: ٢٧ (٢) مر ١٤: ١٩-١٩ (٣) لو ١٤: ١٦-١٦ واع ١٤: ١

(٤) مت ١٠: ٢-٤

ومجالسهم ومواكلهم . لكن هذا المثل يصح فقط في من يعاشر الاشرار لان ذلك يلذ له لارتباطه معهم في المبادئ والمشرب . ومثل هذا لاحق له ان يتستر وراء قدوة يسوع الذي عاشهم على رغم امياله ومشربه ومبادئه المعاكسة لم ليغيرهم ويهديهم الى النور السماوي

قبل يسوع دعوة متى للضيافة الكبيرة في بيته . وبذلك هدم جداراً متيناً فاصلاً بين رتبة ورتبة أو طبقة وطبقة من الناس واعلن بأن "الله لا يقبل الوجه بل في كل أمة الذي يتقي ويصنع البر مقبول عند" (١) . مبدأ المساواة في الحقوق والكرامة عند الله بين غني وفقير وعالم وبسيط وملك وعبد وطبقات البشر كافة لم يكن معروفاً في ذلك الزمان . بل صرح به يسوع أولاً وأورثه للعالم اثنى كثر

من يعين النظر يرى العجب في هذا الاجتماع الغريب في بيت متى بين طرفي النقيض . على الجانب الواحد نرى يسوع الذي سمي "القدوس" قبل ولادته والذي اضطر ان يشهد له حتى الشياطين بقولهم "نعرفك من انت قدوس الله" . وهو الكامل الذي يكره حتى اخف درجات الدنس والشر والخطيئة على انواعها كرهاً لا يوصف . وهو المنحدر من السماء الطاهرة . ثم على الجانب الآخر نرى زمرة العشارين والخطاة . فكيف يمتزج هذان الفريقان؟ لنا الجواب في كلام يسوع الذي لاجله ذكر الرواة هذه الضيافة

تدمر الكتبة والفريسيون لان يسوع قبل دعوة متى واشترك في وليته . لا مانع عندهم من ان يجلس عشارون على مائدة عشار . لكنهم عيروا هذا المعلم الديني الشهير على ذلك . اشتهأروا من امتزاجه مع هذا الجمهور الذي المنقر . فلم يشأوا السكوت . لما شفى المفلوج في بيت آخر في هذه المدينة بكتهم وابكهم على اعتراضهم الفكري . لذلك لم يجسروا ان يعلنوا افكارهم وهجموا عليه باعتراضاتهم الآن خوفاً من فشل شراً من الاول . فصوبوا افكارهم نحو

الرسل وقالوا "ما بال معلمكم يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة" ثم "لماذا انتم تاكلون وتشربون مع العشارين والخطاة؟"

لم يصبر يسوع على الرسل ليجاوبوا بل اسرع هو في الجواب . علم ان هؤلاء غير مستعدين بعد ليقدموا جواباً كافياً في امرٍ عظيم الاهمية كهذا . لانه يتعلق بقصد الرئيسي في تركه السماء وظهوره متأنساً في العالم . ففي جوابه أعلن وظيفته الروحية التي كانت اعماله الظاهرة رمزاً وايضاحاً لها . كان يشفي الاجسام ليوضح للناس انه طبيب الانفس . فكما انهم رأوا اهتمامه بالسماء في معجزات الشفاء يقتضي ان يعرفوا اهتمامه بالخطاة لاجل شفاء انفسهم من الخطيئة . في هذا الكلام يعلن لأول مرة انه هو الطبيب الروحاني (١) فكما يعلمون ان الطبيب لا يقصد في ممارسة وظيفته الاصحاء بل المرضى . يجب ان يعملوا ايضاً ان المخلص يقصد في ممارسة وظيفته ليس الابرار بل الخطاة . لا يعالج طبيب سقياً يدعي السلامة من المرض وكذلك لا يخلص مخلص خاطئاً يدعي السلامة من الخطيئة . وهذا ما كان يدعيه هؤلاء المتدينون ظاهراً والمنفخرون بانهم معلمو الدين . لو كانوا حقاً ابراراً كما يدعون لكانوا يفرحون بان يروا منه اهتماماً بالضالين ليهديهم الى الصراط المستقيم . ولكنوا يدركون ان امتزاج الطبيب مع السماء فخرلة لا عيب . ولا يدل على انه على شكلم ومشاركاً في اسقامهم

في الوقت ذاته نصح لهم ان يعملوا ما هو مكتوب عندهم وهو قول الله "اني اريد رحمة لا ذبيحة" (٢) . الذبيحة خير للذات والرحمة خير للآخرين . فان

(١) مهنة الطبيب زادت عندهم شرقاً واهمية بالنظر الى مقام الاطباء . لانهم كانوا حسب اصطلاح تلك الايام كهنة الشعب ومشرعيهم ايضاً . اساس هذا التشبيه موجود في اول تاريخ بني اسرائيل في بداية رحلتهم من عبودية مصر الى ارض الميعاد (خر ٢٦:١٥) ومز ٢٠:١٠٣ ومز ٢٠:١٤٧ وار ١٤:١٧ واش ٢٦:٣٠ (٢) هو ٦:٦ استعمل هذا الشاهد مرة ثانية في مت ٧:١٢

ترك أحدهما يريد الله أن يُترك الخير للذات . الذبيحة قد يقدمها شرير لأنها عمل خارجي لكن الرحمة لا تنتج إلا عن شعور صالح داخلي . الذبيحة قد تكون مكرمة للعزة الإلهية^(١) أما الرحمة فلا تكون إلا مرضية لديه . فالداخلي يُقدم دائماً وابتداءً على الخارجي^(٢) . حفظ طقوس الدين التي أمر الله بها يكون بعد حفظ روح الدين الذي أمر به أيضاً . المعارضون على يسوع أهملوا الروح الذي هو الجوهر وتمسكوا بالطقس الذي هو العرض . هذه المثالة الضرورية جداً في كل زمان ومكان لم ينفك يسوع عن تكرارها والتشديد بحفظها . وليست حاجتنا إليها اليوم بأقل من حاجة القوم في ذلك الزمان^(٣) اظهر بقوله لم "لم آت لادعو ابراراً بل خطاةً الى التوبة" أهمية التوبة في عينيه . وما هذه التوبة التي يدعو إليها ؟ أولاً هي شعور الإنسان بفظاعة الخطيئة وبأنه خاطئ . ثانياً . الأسف الشديد على ما مضى من خطاياهم . ثالثاً . العزم الحقيقي بتركها في المستقبل . رابعاً . الالتجاء الى مانح الغفران الإلهي وتقديم شعائر التوبة له تعالى والاستعانة بنعمته لاجل الثبات فيها

بما أن يسوع سدّد تماماً اعتراض الفريسيين على التفاتِهِ الى العشارين فتشوا عن اعتراض جديد يسكونه به . ومع الأسف نرى مجانبهم في هجومهم هذه عليه اناساً من تلاميذ المعبدان . عجباً كيف ينضمّون الى خصوم الشخص الذي هو سيد سيدهم حسب تصريح سيدهم . وكيف لم يستفيدوا من تعليم معلمهم الذي كان جلّ قصده هديهم الى يسوع . اغتموا لتفوق يسوع عليه اذ هو لم يفعل معجزة . ظنوا ان امانتهم له تقضي عليهم ان يصغروا قيمة الذي خلفه ثم

(١) ام ٨: ١٥ و ٢٨: ٣١ واش ١١: ١ و ازا ٢٠: ٦ و عا ٢٢: ٥ (٢) اما هذا الشعور الداخلي فلا بد ان يُثمر في عمل خارجي لمنفعة الناس . في تخصيصه تعالى الذبيحة بين كل الطقوس التي أمر بحفظها نراه يُختار اهم كل مواد النظام الموسوي ويفضل الرحمة عليها (٣) ما امر تبكى هذا الشاب الخار الذي لم يدخل مدرسة عالمة عندهم اذ يقول لهؤلاء وهم معلمو الناموس وقواد الشعب واصحاب السلطة بينهم "اذهبوا وتعلموا" كيف يتعلمون غيظاً ويلتهبون حقداً عليه

فأنة في اعتبار القوم. فان رأوا في يسوع ما يخالف مبادئ معلمهم بركونه
ويخطئون يسوع^(١). وجدوا في قضية الصوم جامعاً بينهم وبين الفريسيين
وفاصلاً بينهم وبين يسوع. فانتقدوا مع اولئك اهماله وإهمال تلاميذه فروض
الصوم. يظهر ان اعتراضهم هذا تقدم وهم في بيت متى بعد الوليمة اذ صار
الجمهور يتزايد لسمع تعليم يسوع ويرى اعماله

كان الصوم امراً عظيماً عند اليهود كما هو الآن عند كثيرين غيرهم.
طلب منهم النظام المنزل ان يصوموا يوماً واحداً في السنة وهو يوم الكفارة^(٢)
اما هم فلو علمهم ان مجرد الصوم يرضي الله زادوا اصواماً جديدة سنوية عديدة
مبتدئين بذلك في سبي بابل^(٣) حتى اتصلوا الى انهم فرضوا على انفسهم صوم
يومين في كل اسبوع على مدار السنة^(٤). نستنتج من جواب يسوع ان الله ترك
امر الصوم اختيارياً وتابعاً للظروف التي تقضي به^(٥). أبان لهم ان لا
محل للصوم الا في الاحوال الملائمة. اي انه لا يناسب تعيين اصوام في اوقات
معلومة تحفظ على سبيل الفرض سواء كانت الظروف تدعو الى الصوم ام لا.
كثيراً ما كانت اصوام شعب الله قديماً مكرهة له على ما عرفنا من كتابات
الانبياء^(٦)

الصوم المقبول هو الصوم الطبيعي الناتج عن حزن حقيقي والدال عليه.
نرى الحزين يهمل الطعام لان الطبيعة تنفر من التلذذ في حالة الحزن ولان
الجسم لا يشغاله بانفعالات الحزن غير مستعد للهضم الطبيعي. وكما ان الفرح
يعين الهضم فالحزن يعيقه. تذليل الجسم دون تذلل الروح باطل. سنسمع

(١) هؤلاء نظمو بعدئذ حزياً باسم معلمهم دام طويلاً وحاول حفظ تفوق معلمهم على

يسوع ورفض تعاليم يسوع الجديدة (٢) لا ٢٧: ٢٢-٢٩ (٣) يو ٣: ١٥

(٤) لنا في الكتاب امثلة الاصوام الاختيارية لاسباب خصوصية. اص ١: ٧ وعز ١٠: ٦

ونخ ٤: ١ وذا ٢٠: ١٠ واع ٢٠: ١٤ و٢٣: ١٤ (٥) انظر كتباً يبحث في حقيقة الصلاة

والصيام للنس ادوردز فور دطبع ثانية سنة ١٨٧٤. انظر قاموس الكتاب ٢١: ٢

(٦) اش ٣: ٥٨-٧ وار ١٢: ١

يسوع قريباً على الجبل يحذر الناس من الصوم الافتخاري والتظاهر فيه
ويبين ان الصوم الاكثر قبولاً لديه تعالى هو الذي لا يعلم به الا الله
والصائم^(١)

في جواب يسوع الذي نحن في صددده يظهر ان لتلاميذ المجدان موجبا
للصوم بما ان رئيسهم قد اخذ عنهم وهو مطروح ظلماً في سجن مظلم. لكن
ليس لتلاميذ يسوع هذا الموجب لان رئيسهم معهم. في الوقت ذاته اشار يسوع
الى يوم مقبل عليهم حين يرفع عنهم عريسهم (اي رئيسهم) فينوحون ويبكون
ويصومون حينئذ^(٢)

في هذا الحديث يذكر سامعيه من تلاميذ المجدان ان معلمهم شبهه
بالعريس^(٣). هو العريس وتلاميذه هم "بنو العرس" فكيف ينتظران بني العرس
ينوحون ويصومون هذا اقوى كلام يمكن استخدامه للتعبير عن الاتحاد
الكلي للكائن بين يسوع وشعبه المؤمنين^(٤)

تشبه العلاقة والنسبة بين يسوع وبين نفوس جميع المؤمنين به ايماناً حقيقياً
حياً علاقة العريس مع العروس من اوجه عديدة. هو يحبهم حباً شديداً حتى
الموت^(٥) والى الابد^(٦). هو يجعل اتحاداً تاماً بينه وبينهم فيصيرون معه واحداً

(١) ف ٢٠ (٢) يوحنا هو البشير الوحيد الذي يستعمل او بعيد هذه العبارة
من اقوال يسوع المعبرة عن موته "بالرفع" (يو ١٤: ٢٠ و ١٢: ١٨ و ٢٤) نرى في هذا
تلميحاً الى العنف والفساوة في اخذ اليهود يسوع للصليب كما اشار النبي في قوله "من
الضغطة ومن الدينونة اخذ" (اش ٨: ٥٢). نعم انه سلم ذاته لمعاملة الصلب بارادته
الحرّة وبمشورة الله الخنومة وعلمه السابق لكن ذلك لم يمنع ما اتى في ثمة هذه الآية في
وعظ بطرس اذ قال لصالبي يسوع بايدي ائمة صلبتموه وقتلتموه (اع ٢: ٢٣)

(٣) يو ٢٩: ٢٢ وف ١٢ لم يكن هذا التشبيه بعيداً عن افكار اليهود "لان اساسه موجود في
كتابة انبيائهم كانوا يقرأون "كفرح العريس بالعروس يفرح بك الملك" (اش ٥: ٦٢).
لان بعلك هو صانعك رب الجنود اسميه (اش ٥: ٥٤) انظر ايضا هو ١٧: ٢ و ١٩ و ٢٠
رو ١٩: ١٧ ونشيد الانشاد بتمامه ومز ٤٥ (٤) اف ٢٣: ٥ - ٢٢ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢

(٥) غل ٢: ٢٠ وف ٢٥: ٥ (٦) يو ١: ١٢

اذ هم في المسيح والمسيح فيهم^(١). وهم الجسد الذي هو رأسه^(٢) هو في جميع ديونهم
للعزة الالهية ويقوم بكافة احتياجاتهم اليومية. هو يشترك معهم في كل مصائبهم
ويتحمل كل همومهم^(٣) ويرثي لكل ضعفاتهم^(٤) ويصبر على كل زلاتهم ويطيل
اناثته على كل اهاناتهم اياه^(٥) ولا يتركهم مطلقاً. هو يعتبر ما يفعله احد بهم من
الخير والشر كأنه فعل به^(٦). المجد الذي اعطاه الآب قبل خلق العالم هو
مستعد ان يهبه لهم يوماً ما^(٧) وحيث يكون هو يريد ان يكونوا هم ايضاً^(٨).
هذه العلاقة الشريفة الفائقة هي النتيجة السعيدة للايمان به وثمر الانضمام اليه

في هذا التشبيه او المثل اعلن يسوع قصده لجهة فريضة الصوم. لكنه لم
يكتفِ بذلك اذ له قصد ايضاً لجهة سائر الفرائض الموسوية. فقدم لسامعيه
مثليْن آخرين بياناً للنسبة بين النظام اليهودي القديم ونظامه هو الجديد.
بظهرانه كان بوجه كلامه على الاخص الى تلاميذ المعدان لكونهم يزعمون ان
الجديد الذي اتى به يسوع يضاف فقط الى القديم الذي اتى به موسى بدلاً
من ان يحلّفه. فيبقى القديم محفوظاً. هذا زعم معلمهم ايضاً. ويعتبرون ان يسوع
وتلاميذه يجب عليهم ان يمارسوا كل الطقوس اليهودية

فابان لهم ان الجديد القوي اذا تعلّق على القديم البالي يتلفه وهو لا يعود
ينفع شيئاً. لذلك يحكم ان "ليس احد يخيّط رقعة من قطعة او من ثوب جديد
على ثوب عتيق" اي ليس احد ممن له حكمة ولو بسيطة يفعل ذلك. ايضاً
لا يضع الفهم السلافة اي الخمر الجديدة في زقاق عتيقة لان نتيجة ذلك تكون
كالاولى وبالأجديداً اي اتلاف الغلاف والمغلف وضياح كل فائدة. الثوب
غلاف يكتسي به الانسان والزقاق غلاف يغلف به الخمر. تعليم السيد هنا

(١) يو ١٧: ٢١ و ٢٢ (٢) اف ٢٢: ١ و ٢٣ (٣) مت ٨: ١٧ (٤) عب

١٥: ٤ (٥) مر ١٤: ١١ ولو ٢٢: ٦١ (٦) مت ٢٥: ٤٠ - ٤٥

(٧) يو ١٧: ٢٢ (٨) يو ١٧: ٢٤

هو ان الغلاف متى خدم زمانه وعنف يكون الحكم فيه الابدال لا الترفيع . هذا لا يعيب العتيق الذي يكون قد اتم القصد في وضعه فيشيخ كما تشيخ النبوة الصادقة عند اتمامها

بهذا التشبيه اللطيف أبان يسوع الحقيقة المهمة التي هي ان النظام الطقسي الموسوي كان قد خدم زمانه وعنف . بحيث ليس حكمة الاصلاح بل الابدال بنظام جديد يخلفه . اخص ما يعنيه في ذلك هو الفرائض الخارجية التي هي بمثابة غلاف الدين . ان قصد انسان ان يحضر عرساً وكان ثوبه عتيقاً معيباً في شيء ليس عليه ان يصلحه برفعة جديدة بل ان يأتي بثوب جديد . وكذلك ان قصد احد سامعيه من تلاميذ المجدان او الفريسيين ان يتبع هذا العريس السماوي عليه بثوب جديد اي فرائض جديدة كالعمودية بدلاً من الختان والعشاء الرباني بدلاً من عشاء الفصح والقسوسية بدلاً من الكهنوت وتقديس اليوم الاول بدلاً من السابع والكنيسة بدلاً من الهيكل ومنبر الوعظ بدلاً من مذبح المحرقة

في المثل الثاني كانه يقول ايضاً الذي يقبل تعليمي الجديد عليه ان يقبله في قلب جديد مولود ولادة جديدة من الروح الالهى (١) . ختم خطابه بقوله "ليس احد اذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد . لانه يقول العتيق اطيب . " نراه في هذا يظهر لتلاميذ المجدان فهمه انهم يتمسكون طبيعياً بالقديم . لان هذه

(١) تفسيرنا هذا بان القلب المتجدد هو الزرق الجديد الذي يستدعيه احتمال ضغط الخمر الجديدة اي التعليم الجديد المسيحي القوي هو تفسير القديس باسيليوس . يفسر القديس اوغسطينوس ان هذا القول صدق بالاكثري في يوم الخمسين لما حلت الخمر الجديدة اي انسكاب الروح القدس بقوة في الزقاق الجديدة اي الرسل المتجددين بالولادة من فوق . ويلاحظ ان قول الخصوم والمنتقدين ان هؤلاء الرسل "كانوا قد امتلأوا سلافة" يأتي طبقاً لهذا التفسير . فسر بعضهم ان الزقاق العتيق هي الفريسيون والزقاق الجديدة هي الرسل

عادة البشر. وهو لا يستغرب الامر ان اقتضى لهم وقت لاجل التروي والبحث
ليقفوا على تفوق الجديد على العتيق. لنا هنا النموذج للتصرف مع الذين تقصد
انارهم بنور جديد. يجب ان لا نستعمل التساوة والالحاح الزائد. بل نقدر
الصعوبات التي تعارض اقتناعهم بافضلية الجديد



الفصل الثامن عشر

(يو ١٠:٥ - ٤٧)

(المرصع) ف ١١ (الزمان) نيسان سنة ٢٨ م.

(المكان) اورشليم

تعليم يسوع في امر السبت . ثقل نير اليهود المتعلق بالسبت . شفاء المفعد عند بركة
بيت حسدا . القضاء الالهي وحرية الانسان . اعتراض اليهود وجوابه على ذلك . وحدة
الآب والابن . الحياة بالابن

في شتو هذا الوقت ذهب يسوع الى اورشليم وكان ذهابه بداعي حضور
أحد الاعياد الكبرى وعلى الأرجح عيد الفصح^(١) . ومن جملة ما قصد التعمد
لمصادمة الفريسيين في موضوع السبت . للعاقل لمحة من روح النبوة ومقدار
نظرة الى المستقبل يتبع درجة ذكائه . وقد نال مشاهير التاريخ سطوتهم
بتفوقهم في تقدير الامور المستقبلية

(١) على الحكم في هذه القضية يتوقف الحكم في عدد سني خدمة يسوع . ولا يُعرف
هذا العدد الآمن كلام يوحنا وحده في اعياد الفصح السنوية التي مرّت على يسوع لان
زملاءه الثلاثة لا يشيرون الا الى فصح يسوع الاخير
تبعت الترجمة اليسوعية العربية بعض النسخ اليونانية القديمة التي يقرأ فيها "عيد اليهود
الذي يعني الفصح" واغلب الذين لا يرتأونه عيد الفصح يزعمون انه كان عيد الفوريم . لكن
هذا العيد كان ذا صبغة عالمية اكثر منها دينية . ولم يكن من الاعياد التي كان يطلب
رسمياً من اليهود الصعود الى اورشليم فيها . بل كان تذكيراً لخلاص اليهود المدرج خبره
في سفر استير . يجد المطالع شرحاً مستوفياً في هل كان هذا العيد الذي نحن في صدده عيد
الفصح او غيره في اتفاق البشيرين وجه ١٤٤ و ١٤٥

اننا نعلم ان يسوع كان له فوق ذكائه المشري معرفة فائقة بالمستقبل وكل ما يمكنه من خفيات الامور . ولا تقدر ان نفهم تاريخه ان حسبه مسوقاً كغيره من البشر بما يصادفه ويفاجئه من الصعوبات . والمقاومات التي اصابته لم تقهقه . بل كان هو يقدم عليها كل مدة حياته كما فعل في امر صليبه اخيراً . من دعائم عظمته كابن الانسان اتخذ خطه الهجوم على المصاعب والمتاعب لا خطة الدفاع . مثال ذلك انه علم من البدء من هو الذي سيسلمه بينما لم يعرف ذلك شخص آخر حتى ولا المسلم ذاته . فنعتبر انه فتح عمداً بواسطة شفائه عليلاً في السبت باباً لاشهار مبادئه الجديدة المتعلقة بالسبت

يكفي سبباً لحضور يسوع هذا العيد ملازمة تلاميذه اياه . اذ جميعهم مضطرون الى الذهاب لتقديم الذبائح هناك كالواسطة الوحيدة آنذ لنيل الغفران الالهي . لكننا نستنتج ايضاً ان يسوع الذي دقق في حفظ الناموس الموسوي ولا سيما الجوهرية منه اشترك مع الشعب في تقديم الذبائح القانونية كغيره . نبني هذا الاستنتاج على معرفتنا انه اشترك في ذبيحة الفصح الاخير ثم على كون خصومه الذين انتقدوا اهالة الغسلات والفرائض السبتية وغيرها لم يذكروا بين شكواهم اهالة اهم الامور اي الذبائح . لكننا نرى ليسوع داعياً اعظم هو سنوح فرصة ثمينة لا يمكنه ان يفوتها لاجل نشر مبادئ ملكوته . لا بد له من ان يجدد للرؤساء والشعب فرصة كافية لسمعوه ثم يقبلوه ويدخلوا ملكوت الله العمومي الروحي الابدي . فيتحدون معه في اصلاح الامة وتحويل غضب الله عنها وفي تخليصها من ظالمها وفي ايقاف تشنيتها وخراب مدينتهم وهيكلمهم . واذا ذاك لا يكفي بان يقدم الفروض الدينية المناسبة للعيد في هيكل الله وينصرف . بل يدبر وسائط تضطر هؤلاء الرؤساء ان يسمعوا كلامه وتصر بجاته بانه مسيهم

يسوع اول ما ظهر كمصلح قصد ان يتبدى في اصلاح بيت ابيه فظهر الهيكل في زيارته الاولى الرسمية قبل هذا الوقت بسنة . والان يكرر

عمله الاصلاحى لكن بيوم ابيه الذي هو موضوع احدى الوصايا العشر .
والذين دنسوا بيت ابيه بعلته الطمع هم الذين دنسوا ايضا يومه بتفنتهم في
الفرائض المرسومة لحفظه . قد سن الله شريعة السبت لخير الانسان الجسدي
والروحي . لكن الذي قدسه الله نجسة الانسان . هذا النير الذي وضعه
البارئ على الانسان كان لاجل صيانتهم من الجروح في جرهموم الحياة . كان
خفيفا يسهل الصعب ويخفف الثقيل . اما رؤساء الدين فلم يتركوه على وضعه
الاهلي بل اخذوا يزيدون ثقله جيلا بعد جيل بوصاياهم البشرية وتفتناتهم
السخيفة^(١) . فصارت ثقله يجرح ولا يعين

لم يخطئ يسوع في قوله للرؤساء في آيائه . "أبطلتم وصية الله بسبب
تقليدكم"^(٢) . لان التطرف يولد الفساد وقيود الوصايا الالهية كافية دون
ان يزيد عليها البشر . الامر ظاهر انهم تاهوا تماما عن معنى الوصية وفوائدها .
يسوع اراد ان ينشل هذا الوضع الاهلي المفيد والجوهرة الجميلة من احوال
الوهم والخطا وينظفها ويسلمها للبشر ليتباركوا بها . استنياه يسوع من نظام
السبت الذي وضعه الرؤساء كان رفقا بالشعب الذي امسى تحت نير قال
عنه صدقا بطرس الرسول "لم يستطع آباؤنا ولا نحن ان نحمله"^(٣) . فاصر
على الاعمال الخيرية في السبت حتى ذكر له سبع معجزات فعلها في السبت
وزكى الذين عملوا فيها اعمالا تقتضيها الرحمة والضرورة

(١) نُسب الى احد مشاهير زعمائهم في العلم والتدين الحاخام شمعي انه كان يشتغل كل
الاسبوع في الافتكار كيف يسلم من مخالفة احدى هذه الشرائع المتطرفة التي سيجعلها السبت
المقدس . كان من جملة تفاصيل شريعة السبت عندهم تحريم الامور الآتية ذكرها . لبس
شرائط غير مخاطة بالثوب وذلك لوضع ثقلها على الثوب فلا يحسب لابسها حاملها . وحمل
الحياط ابرة خارجا عن محله في آخر يوم الجمعة لئلا يدخل عليه السبت وهو حاملها . وكتابة
اكثر من حرف واحد من حروف الهجاء . ونقل الدجاجة شريطا على رجلها . وبقاء
السراج مضيقا كانه يشتعل . وتنقيط الزيت في المكبس

(٢) مت ٢٣: ١٥

(٣) اع ١٠: ١٥

وضع السبت لاجل غايات اربع اولها الاستراحة من الاعمال العادية لاجل خير الاجسام والعقول . هذا الاضطراب هو اقوى ما يكون في العاملين بالاشغال الشاقة . ثانياها الاشتغال بالعبادة فوق سائر الايام . ثالثها التوسع في اعمال الرحمة . ورابعها التذكر الدائم بالسبت السماوي والراحة الابدية للنفوس الخالصة امام عرش الله . يباح في السبت من الاعمال العادية ما كان ضروريا اي لا يصح تسييقه قبل السبت او تأجيله بعده

انتهى يسوع موقعا لاجل اتمام غايته بيت حسدا عند محل الضان^(١) . يوجد نبع فوار في جوار المدينة المقدسة . الى هذا اليوم يفور وينسب الى مياهه عندما تفور فاعلية شفاءية . اوجب تردد الناس بكثرة الى هذا المحل بقصد الشفاء في ذلك الزمان بناء خمسة اروقة حول هذه البركة ليأوي اليها السقاء الطالبون الاستفادة من هذه المياه عند فورانها الطبيعي^(٢)

جاء يسوع في يوم سبت (ولعله سبت العيد) الى هذه الاروقة ورأى فيها "مضطجعا جمهورا كثيرا من مرضى وعمي وعرج وعسم يتوقعون تحريك الماء" . من بين هذا الجمهور التعميس المحزن انتخب شخصا واحدا متقدما في السن ليشفيه فيتبارك السبت المقدس بفعل الرحمة فيه . نستنتج ان الشيء الذي امتاز به هذا العليل حتى خصه يسوع بالشفاء كان صعوبة امره لكبر

(١) ترجمت الكلمة اليونانية باب الضان لكن نرجح صواب الترجمة اعلاه وان موقع البركة لم يكن على احد ابواب المدينة (٢) الذين يزعمون ان حركة هذه المياه كانت طبيعية يستندون في ذلك على بعض نسخ الانجيل القديمة . هذه لا تذكر سببا عجيبا لتحريك الماء في هذه البركة . اما الترجمات المجارية بين المسيحيين فمسنودة الى نسخ اخرى تسحق الاعتبار هذه تنسب تحريك الماء الى فعل ملاك . يفهم البعض ان المتصور في القول في تحريك الملاك الماء هو ان هذا كان الاعتقاد العمومي في ذلك الزمان وان البشير اوردته على سبيل الرواية . فالمطالع مخير بين التفسيرين . لان لاهلاقة الامر بعمل يسوع او بكلامه ويجوز القولان . انما نعيد قولنا السابق ان التفسير الطبيعي يجب تفضيله كل ما جاز اختياره

سنة ولمرور ثمانين وثلاثين سنة على مرضه . لا نظن انه وجد غيره بينهم قضى مثل ذلك في المرض . نستنتج ايضاً ان يسوع رآه موضوعاً مناسباً لمنح الشفاء لكونه يعلم ان مرضه هذا اتاه نتيجة اثم او آثام خصوصية كان قد ارتكبها ^(١) . فسهل منحه شفاء روحياً ايضاً مع شفاؤه الجسدي . رأى فيه الشرط الجازم لاجل مدي المساعدة وهو اليأس . ان لم ييأس الانسان في امره وعلى الاخص في امر خلاص نفسه بدون المسيح لا يمكن ان يمد له المسيح يد المساعدة او بخلصه .

وقف يسوع فوق هذا الرجل المضطجع على فراشه وتفرس فيه وسأله سؤالاً ظاهراً بسيطاً يعرف منه اهتمام هذا المعلم الغريب القادم من الجليل بخير هذا العليل الذي يجهله . قال له "أتريد ان تبرأ ؟" كان يمكن ان يستخف الرجل بهذا السؤال الفضولي من غريب . لكنه احترم يسوع وكشف له حالاً امره . لا بد من ان يتأثر بصره من هيئة يسوع وسمعته من صوته فاحترمه في جوابه "يا سيد ليس لي انسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء بل بينما أنا آتٍ ينزل قدامي آخر" . علق يسوع امر الشفاء على ارادة هذا العليل . هو يوقف دائماً وايداً امر خلاص النفس على ارادة الخاطئ . يقول له "أتريد ان تخلص" قد اعلن الله صريحاً انه هو يريد خلاص الجميع ^(١) مع ذلك باقٍ على الخاطئ ان يريد والا فالتخلص لا يتم

لم يتيسر بعد لبشر حتى ولا لأرقاهم علماً او اوفرهم تقوى توفيق حقيقة القضاء الالهي مع حقيقة حرية الانسان الحقيقية . افضل التفاسير الفلسفية واللاهوتية قاصرة عن ازالة هذا المشكل بالتام . هذا التوفيق من الاسرار التي نتوقع استعلانها في الحياة الآتية . إنما الامران المتناقضان حسب الظاهر ثابتان

(١) قال له بعدئذٍ "لا تخطئ ايضاً لعل يكون لك اشر"

(٢) حز ١٨: ٢٢ و ١١: ٢٢ و يوح ١٦: ٢ و بط ٩: ٢ و اتي ٤: ٢

مؤيدان في الكتب المقدسة وفي تأليف أصلح فلاسفة الدهور وفي ضمير
البشر عموماً واختباراتهم

حرية الانسان لا تقوم بالاكثر بحرية العمل بل بحرية القصد . مثال
ذلك . انه متى رأى الانسان امامه ما لا لغيره هو حرّاً تماماً ان يقصد ويريد
السرقه او ان لا يقصدها ويريدها . ولكن قد تكون حرية تناول هذا المال
ليست له لوجود شهود يمنعونهُ او لاسباب اخرى . لو كان للانسان حرية
تامة في العمل لكانت حريته تصادم حرية البارئ . لا بل حتى بالنسبة الى
البشر ليس الانسان حراً تماماً في اعماله . فكيف تكون حريته بالنسبة الى
الاله اكثر ؟ قيد الانسان في العمل لا ينافي الحرية الحقيقية اي حرية الارادة
التي هي الاصل والأهم في الاحكام الادبية . والاحكام الالهية تبنى بالاكثر على
قصد الانسان لا على عمله . في هذا القصد ليس الانسان مسيراً بل مختيراً

جواب المقعد سؤال يسوع هذا يفيد ان مرضه ثقيل لدرجة انه في هذه
السنين كلها لم يمكنه ان يسبق الآخرين في النزول من الرواق الى البركة عند
تحريك الماء . وايضاً انه منفرد لامعين له يقدم له هذه الخدمة الضرورية .
لو عرف هذا المسكين ان يسوع قصده لكون "ليس له انسان" وان افتقاره
حظه وبأسه حجة عند المخلص لتغيرت لهجة من اليأس الى الرجاء^(١) . لا يزال
هذا المخلص يطلب ويخلص من يشعر ويعترف ان ليس له انسان آخر .
يكترر ابن داود على كل خاطئ قول داود "لا تاكلوا *** على ابن آدم
حيث لا خلاص عندك"^(٢)

لكن وجود هذا الانسان في هذا المحل دلّ على طلبه الشفاء . فلماذا
يسأله يسوع "أتريد ؟" لان ارادته كانت قد أمست سقيمة كجسمه بسبب
تكرار الفشل ومرور السنين . كان يقتضي انه باض قوة الارادة لتشارك مع
قوة الشافي . عليه ان ينتفض من خموله المعتاد . مثل ذلك امر الخاطئ الذي

يلزم فروض الدين الخارجية . يظهر بذلك انه من طالبي الخلاص من الخطيئة . لكن يخشى ان تكرار الفشل في مقاومته للخطيئة بسبب سلطتها عليه ومرور السنين دون تغيير يسببان خمولاً في ارادته وفتوراً في طلب الخلاص من الخطيئة . فيفتضي ان يسمع يسوع يسأله "أتريد ؟" سؤال يسوع هذا هو في محله ايضاً نظراً لكثرة الذين لا يريدون هذا الخلاص . وهو لا يمكن ان يمنحه الا لمن يريد من كل قلبه هذه الهبة التي لا تثمن

كان هذا الرجل مشخصاً لنفسه كيفية الشفاء الذي يطلبه فاناه على صورة تخالف تصوراته كل المخالفة . كان يوجه نظره وامياله واشواقه نحو البركة التي منها توقع الشفاء عند تحريك الماء بواسطة ملاك حسب زعمه . لكن اناه ذاك الذي كل الملائكة تفعل امره عند سماع صوت كلامه ^(١) ومنحه شفاء لم يكن يحلم بمثله

كنا لانستغرب الامر لو اجابة المتعد لما سمع امره "قم احمل سربك وامش" أقمني انت وانزلي الى البركة وقت تحريك الماء وحينئذ احمل سربري وامشي . ان كنت حقاً تشفق علي وترثي لحالي انتظر معي هنا تحريك الماء وكن انت الصديق لوقت الضيق الذي طالما نقت للجيئة ولم يأت . لكننا نمدحه لانه لم يتقيد بظنونه وتصوراته المتعلقة بالشفاء . ومنه نتعلم ان نأخذ المعرفة اللازمة في شروط الخلاص وكيفية من تعاليم يسوع وليس من تصوراتنا السابقة ولا من اقراننا

لما كان الشفاء من الامراض رمزاً للخلاص من الخطيئة لا يوجّل يسوع شفاء هذا الرجل وان كان الوقت سبباً . فالخلاص ايضاً لا يوجّل . واليوم المقدس هو افضل يوم لاتمامه . بقوله للرجل "قم" يقول تحرك افعل ما بطاقتك ان تفعله والا فلا شفاء لك . يقول مثل ذلك للخطيء "تيقن ان الذي يأمرك ان تأتي اليه يعطيك القوة الكافية لذلك . انت تستطيع ان

تدرس الكتاب الالهي تستطيع ان تجتو مصلياً . تستطيع ان تواظب على
الاجتماعات في المعبد . تستطيع ان تسترشد من الذين تعتبرهم مرشدين . فقم .
تحرك روحياً

أحيا يسوع بروحه عند امره رجاءً جديداً في هذا اليأس . فشعر
بنشاط جديد في عضلاته عندما تحرك وحالاً برى وحمل سريرة ومشي .
بقوله للرجل احمل سريرك اوجب عليه ان يبرهن شفاؤه الحالي المجاني
الكامل بعمل ظاهر يمجّد شافيته . عليه ان يجرب الآن مرقن الذي ألفه هذه
السنين الطوال . ولا يترك باباً مفتوحاً للعود اليه كأنه يشك في حقيقة شفاؤه
ودوامه . وان يخرج لممارسة الاعمال المفيدة له ولغيره . مثل هذا يقوله المخلص
للخاطئ واضح ما تستطيع آثار خطاياك بعد نيلك الغفران الحالي المجاني الكامل
واخرج بعد حصولك على الخلاص لتتارس الاعمال الروحية المفيدة لك ولغيرك .
بدلاً من ان تحمل حمل . بدلاً من ان تُخدّم أُخدِم . قدّم بعملك برهان
خلاصك . أعلن عزمك التام ان لا تعود الى حياتك القديمة الاثيمة

بقوله للرجل امش يبين له انه لا يكفي مجرد الشفاء بل عليه ان يترك
محل السقاء ويقصد محل الاصحاء واعمالهم . عليه ان يخرج بين الناس ويربهم
ما عمل به يسوع . على الخاطئ الذي يخلصه يسوع ان يترك عشرته القديمة
الفاسدة أولاً ويطلب عشرة الانقياء ليقوّي في الايمان . عليه ايضاً ان يظهر
للعوم بكلامه وافعاله التغير المهم الذي حصل فيه ويَجِدُ بذلك مخلصه . الذي
حوّل اروقة بيت حسدا الى محل اظهار القوة الالهية للشفاء صوت يسوع
المسموع . والذي يحوّل محل الصلاة الى محل الخلاص استماع صوت يسوع
شخصياً فيه

مهما كان هذا الرجل بسيطاً لا بد ان يعرف ان حمل فراشه الى بيته يوم
السبت هو من المحرمات . لكن هكذا أمر شافيته . فالذي يهب الشفاء بقوة الهية
لا بد ان يكون له حق الامر ويجب ان يطاع . والذي يهب الصحة بحق له

ان يأمر كيف تستخدم الصحة الجديدة. لذلك اسرع حالاً ليجمع ما كان مضطجماً عليه. نصور لذواتنا الحركة الغير الاعيادية بين هذا الجمهور المؤلف من السفهاء على اختلاف علمهم عند رؤيتهم نهوض رفيفهم وحركاتهم يعرفون جيداً بأسه التام السابق. نتصور التهنئات التي انسكبت على راسه والادعية الخيرية على راس المحسن اليه. نتصور ايضاً ان كل شخص بين هذا الجمهور صار يؤمل ان يوجه هذا المعلم الغريب الثفاته اليه ليشفيه. وان الجميع صاروا يصرخون اليه مستجدين. ولا يعني سكوت البشير يوحنا عن شفاء غيره ان يسوع لم يشف آتذ إلا هذا المقعد

لا عجب ان هذا في اندهاله ازوال عليه فجأةً وتاماً وفي اشتغال فكره في حركات الذين حوله وكلامهم وفي افتكاره في مستقبله نسي ان يهتم بالشخص الذي ابراهه ليعرف من ومن اين هو. وماذا جعله يتحنن عليه. لما أفاق على خطأ ايماله كان يسوع قد "اخفى اذ كان في الموضع جمع". كثيرون هم الذين نظيره يكتفون بعمل يسوع لاجلهم ولا يهتمون لمعرفة شخصه ليقدموا له الشكر الواجب لاجل خلاصه

يسوع اعتزل المكان لانه لا يقصد ان ينتشر صيت معجزاته في اليهودية في هذا الوقت. اذ لا يريد ان يمكث فيها. ولان يزيد حسد الروساء اياه. "لان ساعته لم تأت بعد" (١) لو صرح لهم بانه مسيهم لقوى في مريديه هناك المطامع الزمنية التي علقوها على محي مسيهم. فتجنب اتخاذ هذا الاسم لنفسه في ذلك الوقت مكثياً بالاشارة الموجودة في قوله لهم "لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوني لانه كتب عني"

بناءً على التدقيق الزائد والصارم في حفظ السبب أحدث مرور هذا الكهل في الازقة حاملاً فراشه حركة ليست بقليلة لغرابة منظر كهذا. فحالاً اعترضه في سيره بعض رؤساء ملته بحجونه بان عمله هذا لا يحل (٢). مع ارتعابه

(١) يو: ٤: ٢٠ (٢) نج ١٩: ١٢ وار ٢١: ١٧ و ٢٢

من تلويح رؤسائه آياه أجاب ان الذي ابرأه قال له ان يفعل هكذا . فكيف لا يطيع من له هذا السلطان . اما هم فلخبثتهم واجتهادهم في اهلاك يسوع لم يحفظوا بشفائه او يهتئوه عليه . بل اهتموا ان يعرفوا من الذي استبد في وصاياهم ونظامهم . لم يتناول بصرهم العقلي ما كان جميلاً في عمل يسوع هذا . ولا ما كان موجباً للسرور في حالة هذا الرجل الذي هو من رعيته . لان التعصب المذهبي الاعمى كان قد غشى ابصارهم . سبق القول انهم اعنادوا ان يفضلوا حرف الشريعة المقدسة على روحها وطقوسها على معانيها . تسكهم بتفاصيل صغيرة من نوابع الوصايا واهلهم خلاصة الوصايا كلها ومجموعها اي المحبة لله والمحبة للناس جعلاهم لا ينظرون الا الى الخلل الذي حصل في طقوسهم . فاستياؤهم من هذا الخلل الطفيف اعى عيونهم عن رؤية الخير الجزيل الذي حصل لهذا المسكين . لعلمهم عرفوا ان يسوع هو الذي شفاه . لان ليس شخص آخر موجود في البلاد يستطيع مثل ذلك . فلم يهتموا ان يسألوا الرجل من هو الانسان الذي شفاك بل فقط "من هو الانسان الذي قال لك احمل سريرك وامش" ؟

لما لم يحصلوا على جواب منه لجهله من هو الذي شفاه تركوه . لكن يسوع لم يتركه . "وجده في الهيكل" . نرجح ان عمل الشفاء كان صباح السبت وان هذا الرجل بعد نقله فراشه الى البيت أسرع من بيته الى الهيكل ليعتيم فروضه الدينية التي حرمها هذه السنين الطوال ويقدم ذبائح الشكر وتقدماته . وان يسوع وجده هناك في ذات النهار . ثم التقى خطابه في موضوع السبت في ذلك السبت وامام جمهور لا يحشد الا في سبت العيد . لما وجده قال له "ها أنت قد برئت فلا تخطئ ايضاً لئلا يكون لك أشر" . مجرد العذاب لا يجلب التوبة ولا يطفى الاميال الشريرة . فعذاب هذا الرجل كل هذه السنين لا يكفل اجتنابه الخطيئة فيما بعد . ولذلك اقتضى ان نصيح له ان يتحذر من الرجوع اليها

عرف الرجل عند ذلك اسم شافيه . فحالاً اخبر الرؤساء . ان كان عالماً
ببغضهم يسوع يستحق اشد الملامة لاجل تسليبه ايام سلاحاً جديداً
يقاومون يسوع به . لان البشير يقول " لهذا كان اليهود يطردون يسوع
ويطلبون ان يقتلوه لانه عمل هذا في سبت " . لكن لربما كان الرجل بسيطاً
لا يدري بمقاصد الرؤساء ويحسب ذاته ملزوماً ان يقدم لهم الافادة التي
طلبوها منه أو انه ظن ان الرؤساء متى عرفوا من شفاه يفرحون به
ويشكرونه ويستفيدون منه . لما طرد الرؤساء يسوع من الهيكل ^(١) ووثبوه
على تدنيس السبت اجابهم بقوله " ابي يعمل حتى الآن وانا اعمل " . عمل الله
في الطبيعة والعناية والنعمة عمل متواصل لا ينقطع . هو لا يحتاج الى راحة
وعمله لا يحمل الانقطاع . علاقة الابن مع الآب تجعله يعمل كما يعمل الآب
لذلك نرى ان اعمال يسوع متواصلة واقعة في السبوت كما في سائر الايام
مرة اخرى نلاحظ افرازه ذاته في قوله " ابي " بالمفرد معلناً جلياً انه
ابن الله الوحيد . " من اجل هذا كان اليهود يطلبون اكثر ان يقتلوه لانه لم
ينقض السبت فقط بل قال ايضاً ان الله ابوه معادلاً نفسه بالله " . وردت
تكراراً تسمية البشر ابناء الله . ولكن مطلقاً ليس على صورة تتطلب معادلتهم
بالله . لذلك حقاً هؤلاء ان يعدوا كلام يسوع تجديفاً ويفكروا بمجازاته
القانونية بالاعدام كجذف . في زيارته السابقة هاج عليه اصحاب المراتب
لمطامعهم العالمية في التجارة ضمن دار الهيكل . اما الآن فزاد بغضهم مرارة
وانقد لهيب غيظهم بحجة الغيرة على شرف الاله والدين . في المرة الاولى يحمل
ان المتدينين الصالحين استحسنوا عملة الاصلاحي لكونه لم يخالف سنة من سنتهم .
واما في هذه المرة فلكونه مساً ما كانوا يعدونه اهم الفرائض جمعاء بتعديده

(١) كما يستنتج من القول اعلاه كانوا يطردونه كما طرد هو الباعة منه في العيد

حسب زعمهم على السبب المقدس والوصية الرابعة من الوصايا العشر فلا
يقدرون حتى هؤلاء ان يسامحوه

نحن مدينون لهذه المقاومة مع كونها عدائية ومميتة. لانها جعلت يسوع
يتلفظ بخطاب من اهم خطبه. في هذا الخطاب اعلن جهاراً لأول مرة
امام جمهور حقيقة طبيعته الالهية وعلاقته مع الآب. في زيارته الاولى للهيكل
كولد اشار بقوله " ينبغي ان اكون في مالاوي " الى هذه العلاقة امام امه
ويوسف ولربما امام المعلمين الذين كانوا يحاورونه^(١). في زيارته الثانية عندما
طهر الهيكل (وهي الاولى بعد ظهوره كخليص) اشار ايضاً الى هذه العلاقة
امام الجمع الحاضر بقوله " لاتجعلوا بيت ابي بيت تجارة "^(٢). لكنه الآن يشرحها
باستيفاء يناسب اهمية هذا الموضوع عندك. جاء ليعلم الآب للبشر ولذلك
جاز ان يقول فيما بعد لفيلس ورفقائه " الذي رأي فقد رأى الآب "^(٣)
لم يهتم بامر كما اهتم بحفظ علاقته البنوية مع الآب تمام الحفظ. ولم يوضح امراً
كما اوضح كونه لا يفعل مشيئته بل مشيئة الآب الذي ارسله

ها خصوم يسوع يتهمونه الآن بانه " يعادل نفسه بالله ". ان كان نبياً
فقط او مجرد بشر او احد المخلوقين فهو مضطرٌ حكمةً وادباً ودينياً ان
يرفض هذه التهمة. مضطرٌ حكمةً لانها تجلب عليه غضب العموم وبغضتهم
اياهُ وتجعله تحت خطر كلي على حياته بدون موجب حقيقي. مضطرٌ ادباً لان
من يقبل على نفسه بدون اعتراض ملامة بناء على ادعائه بما ليس له يكون
ساقطاً ادبياً اذ لا يحافظ على ما هو اثن كثر بشري اي الشرف وحسن
الصيت. ومضطرٌ دينياً لاجل المحافظة على مقام الاله وشرفه لان لا شريك^(٤) له
فلا يجوز مطلقاً سكوت يسوع لهذه التهمة ما لم يعرف ذاته بالحقيقة معادلاً لله

(١) لو ٤٩: ٢ (٢) يو ١٦: ٢ (٣) يو ١٤: ٩ (٤) نجد مطبوعاً على النفود

العربية القديمة هذه العبارة الجوهريّة " لا اله الا الله وحده لا شريك له "

لكننا نرى انه ليس فقط لم يرفض هذه التهمة . بل لم يرضَ السكوت عندها لئلا يعدّ سكوته خضوعاً وتسليماً وتصديقاً على اعتراضهم . يهتم ان يؤيد لا ان ينكر هذه التهمة . لذلك يزيد كثيراً على كلامه الاول بهذا المعنى . قال " لان مهما عمل الآب يعملهُ الابن كذلك . لان الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعملهُ . وكما ان الآب يقيم الاموات ويحيي كذلك الابن ايضاً يحيي من يشاء . لان الآب قد اعطى كل الدينونة للابن لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي ارسلهُ . وكما ان الآب له حياة في ذاته كذلك اعطى الابن ايضاً ان تكون له حياة في ذاته . واعطاه سلطاناً ان يدين ايضاً "

لو كان هذا ادعاءً فارغاً او زعماً وهمياً لما اهتم يسوع ان يردف هذه الاقوال باقوال تبين خضوعه التام للآب مع معادلته اياه في الطبيعة الالهية بناءً عليه قال ايضاً في بيان خضوعه للآب هذا الكلام " الحق الحق اقول لكم لا يقدر الابن ان يعمل من نفسه شيئاً الا ما ينظر الآب يعمل . وانا لا اقدر ان افعل من نفسي شيئاً لاني لا اطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي ارسلني والاعمال التي اعطاني الآب لأكملها تشهد ان الآب قد ارسلني لان ابي اعظم مني " (١) . تأييداً لادعائه بالبنوة الوحيدة لله على صورة لا تصح لبشر يستشهد خمسة شهود . اولهم المعمدان الذي يرجح انهم كانوا قد سمعوا شهادته ان يسوع ابن الله (٢) استشهد بالمعمدان لانهم لا يستطيعون الشك بصدق شهادته ولا الرد على كلامه فذكرها تسهيلاً لايمانهم . اما هو فلا يبالي بشهادة من انسان . استشهد ثانياً بما هو اعظم ابي باعماله . واحد كبار رؤسائهم اعترف

(١) في طبيعتي الانسان الواحد يقترن الامتياز مع المعادلة فلو نطق جسد الانسان وقال نفسي اعظم مني يفهم المقصود . ولعل هذه المقابلة تسهل فهم قول يسوع ابي اعظم مني هذه المقابلة تطلق على الاقنومين في الاله الواحد (٢) يوحنا ١٨: ١ و ٢٤

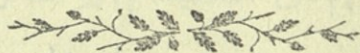
بماتة هذه الشهادة ليسوع^(١). ثم استشهد بمن لا تقابل عظمته مع عظمته غيره . وهو الآب ذاته . فهم لتوغلهم في الشرور لم يسمعوا صوته ولا ابصروا هيئته كما سمعوا وبصر هو . أنا هم بشاهد رابع هو كتبهم المقدسة قال "فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حياة ابدية وهي التي تشهد لي"^(٢). ثم بشاهد خامس هو زعيمهم موسى قال "لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوني لانه هو كتب عني . فان كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي". بصرح ايضا في هذا الخطاب ما هو عملة المزدوج الموكول اليه من قبل الآب اي الاحياء والاهلاك^(٣)

صرح بان الهلاك نتيجة ارادة الانسان "لا تريدون ان تأتوا الي لتكون لكم حياة". لكن لتلا يظن سامعوه انه يدعي بالطبيعة الالهية فقط (كما كان يفعل لو كان خادعا او مخدوعا) فهو يصرح بناصوته ايضا في قوله "اعطاه الآب سلطانا ان يدين ايضا لانه ابن الانسان . في آخر خطابه يبيّنهم على عدم أكثرائهم للمجد الذي يأتي من الله للمستحقين ذلك وعلى اهتمامهم بالمجد العالمي الذي يأتيهم من الناس دون نظر الى الاستحقاق

تعتبر زيارة اورشليم هناك الحد الفاصل النهائي بين قسّي حياة يسوع اذ انه فيها تثبتت عداوة الرؤساء الظاهرة وقصدهم ان يمتوه . بناء عليه تحوّلت خدمته الجديدة الى الجليل^(٤). برفض الرؤساء يسوع قد حكموا على انفسهم باعظم خسارة عليهم وعلى بلادهم يمكن ان تُصور وذلك بسبب عزم يسوع ان يتركهم في ضلالهم بعدئذ . لانه "لم يرد ان يتردد في اليهودية

(١) يو ٣: ٢ (٢) يو ٥: ٣٩ (٣) عن الاحياء يقول "من يسمع كلامي فله حياة ابدية وقد انتقل من الموت الى الحياة وتاتي ساعة وهي الآن حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون" وعن الاهلاك او الدينونة يقول "الآب لا يدين احدا بل قد اعطى كل الدينونة للابن من يسمع كلامي لا يأتي الى دينونة كما يسمع ادين ودينوتي عادلة (٤) هذه الخدمة تشغل السواد الاعظم من اخبار البشيرين الثلاثة غير

لان اليهود كانوا يطلبون ان يقتلوه^(١) قال احد الكتبة "من الآن فصاعداً
لا ملائمة ولا امان لابن داود في مدينة داود ولم يعد البيت الارضي لآبيه مفتوحاً
لوعظ الابن الازلي"



الفصل التاسع عشر

(مت ٢٣: ٤-١٠ و ١٢: ١-٢١ مر ٢: ٢٣-١٩: ٤ لو ١٦: ١-١٩)

(المرصع) ف ١١ و ١٢ (الزمان) نيسان السنة ٢٨

(المكان) طريق الجليل

قطف السنابل في السبت . وضع السبت وأصول حفظه . شفاء ذي اليد اليابسة .
الميرودسيون . تمسك الشعب يسوع وتكثيره الشفاء . شهادة الشياطين له . اختياره
اثني عشر رسولاً

بعد ما ترك يسوع وتلاميذه اورشليم نجدهم مع رفقاء من الفريسيين
المراقبين له في البرية بين الحقول المزروعة . وكان الوقت فصل الربيع
والقمح مفرغاً^(١) . واذ جاع التلاميذ "ابتدأوا يقطفون السنابل وهم سائرون
ويفركونها بأيديهم ويأكلون" . وهذا الفعل جائز بحسب الاصطلاح ونهض
النظام الموسوي^(٢) . لكن تفتتات النهي المتعلقة بالسبت تناولت هذا العمل
البسيط . اذ عللوا ان القطف يعد نوعاً من الحصاد والحصاد في السبت
ممنوع . وان الفرق هو من نوع الدراس ودراس الاغلال في السبت ممنوع .
لذلك عدوا هذا العمل مخالفاً لاحدى وصايا الله العشر المعظمة التي كتبت

(١) في اليوم المسمى عندهم السبت الثاني بعد الاول تختلف التفسير في هذا السبت .
ان القديس ايرونيوس سأل القديس غريغوريوس تفسيره فأجاب سائس لك هذا
القول في الكنيسة اذ لا يكون لك سبيل لتقديم اعتراض قانوني على تفسيري . نحن نبيع
الذين يتخذون "السبت الاول" انه الواقع بعد الفصح "والسبت الثاني هو الذي يليه هذا
السبت الاول فيكون بعد الفصح بخمسة عشر يوماً (٢) تث ٢٣: ٢٥

باصبع الله على لوحى حجر في الجبل المقدس . ثم تسلمت لموسى كلم الله بين
الرعود والبروق ودخان النار الخفية بياناً لاهميتها وتأكيداً لتوفيرها . ولان
وصية السبت هي الوحيدة بين العشر التي تخص بالطقوس الخارجية فاق
اعتناء هؤلاء الطقسين بها على اعتنائهم بما بقي من الوصايا . وتوصلوا الى
مبالغات غريبة في النهي عن العمل فيه فوق كل ما ورد في الكتاب ^(١)

انظر الفريسيون ليروا هل ينتهر هذا المعلم الديني تلاميذ على هذه
المخالفة . فيسوع لانه لا يؤيد هذه التفننات الباطلة في امر السبت ترقب فرصة
لايضاح حقيقة السبت وقصد بذلك افادة سامعيه ولا سيما تلاميذه . ثم افادة
العدد الذي لا يحصى من الذين يقرأون ويسمعون نصر بجاته على نمادي
الاجيال . لكنه يفضل ان ينتظر اولاً انتقاد خصومه . فحصلت هذه الفرصة لما
ابتدأوا بتصويب اعتراضهم الى التلاميذ ثم اليه مدعين ان هذا الفعل لا يحل
في السبت

لم يترك يسوع لتلاميذه مجاوبة الفريسيين ودفع الملامة عنهم . بل اخذ
يزكهم في ما فعلوا . في امور اخرى حتى امر التعميد كان يتكل عليهم .
لكن اهمية التعليم كانت تزيد كثيراً في نظره على اهمية الطقوس . فحفظ بين
هذه الخدمة طالما هو معهم . وفي هذا الامر عبرة لكل عاقل . نرى ايضاً انه كان
يريد ان لا يستقل او ينفصل عن التاريخ اليهودي والنظام الاسرائيلي . بل ان
يسند اقواله واعماله اليها كلما امكنه . لكن لانه علم ان اعتراض الفريسيين
لم ينتج عن اخلاص نحو الشريعة الالهية بل عن كره لشخصه ولباداته وعن
عنفوان وتعظم استحسن ابيكاهم لا محاولة افادتهم او اقناعهم

لذلك اخذ يحجم بما ورد في التوراة التي كانوا يتفخرون كثيراً بعرفتهم الدقيقة
في نصوصها . فابتدأ بتوبيخهم لانهم لم يتذكروا فعل داود نبيهم وملكهم وزعيمهم

(١) خر ١٠: ٢٥ و ٢ و عد ٢٢: ١٥ - ٢٦ قد سبق الكلام في بعض هذه

الاعظم بعد موسى^(١) . في الحادث الذي اشار اليه خالف داود شريعة الهيكل في استسلامه لشريعة الرحمة "لما جاع هو والذين معه" . فان كان الرب لم يبيك داود على ذلك جاز لابن داود الاعظم ان يسمح لتابعيه ان يقطنوا فريكة وياكلوه في السبت

ثم استشهد بمحادث ثان كان ينجده كل سبت امام عيونهم باوامر الهية وليس كالاول بمجرد استئذان رجل من رجال الله . ولذلك فهو اقوى جداً . قال "او ما قرأتم في التوراة ان الكهنة في السبت في الهيكل يدنسونه السبت وهم ابرياء" . يدنسونه السبت اولاً بايقاد النار لاجل الذبائح^(٢) . ثانياً بمضاعفة اشغالهم يوم السبت^(٣) . فاذا العمل الذي هو من باب الخدمة الدينية لا يوافق فقط ان يمارس في السبوت بل ان يضاعف ايضاً

زاد يسوع على هذا الاحتجاج بيان سلطته الدينية . لانه اعظم من الهيكل بل هو رب الهيكل^(٤) فان كانت عظمة الهيكل تحيز تدنيس السبت بالاعمال في خدمته فكم بالحري يحق لرب الهيكل ان يحيز ذلك . لان رب الهيكل يكون رب السبت ايضاً . وهو ذات الهيكل^(٥) الذي "يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً"^(٦) وفيه تقدم العبادة الحقيقية لله لانه الوسيط بين الله والناس^(٧) فما دام الهيكل اعظم من السبت فكم بالحري رب الهيكل . حتى وان غير رب الهيكل اعظم من السبت . "لان السبت وضع لاجل الانسان لا الانسان لاجل الهيكل اعظم من السبت" .

(١) ١ صم ١٠: ٢١ - ٦ عرفنا من ذكر كون خبز التقدمة مخفياً في ذلك اليوم وهو يدل كل سبت ان عمل داود هذا كان في سبت . في خبر داود نقرأ ان اسم الكاهن آنذا كان اخيالك بيتا يسوع بسميه اياثار الذي كان ابن اخيالك فاما ان يسوع ذكر اياثار لشهرته فوق ابيه لكونه رئيس الكهنة مدة حياة داود كملك او ان اياثار شارك اياه في الوظيفة كما شارك قيافا حنا في زمان يسوع . او ان اخيالك كان الذي اعطى داود خبز التقدمة لكن الرئاسة كانت آنذا لابنة اياثار . لم يقل ان اياثار اعطاه الخبز لكن فقط ان ذلك كان في ايام اياثار (٢) انظر خر ٢٥: ٣ (٣) عدد ٩: ٢٨ و ١٠ (٤) ملا ١: ٢ (٥) يو ١٩: ٣ (٦) كو ٩: ٢ (٧) اتي ٥: ٢

السبت" فالسبت والهيكل ووضعا لخدمة الانسان ومنفعته . فيسوع كرب السبت بكرمه وثبته . وفي الوقت ذاته يوسعه ويحرره من القيود التي قيده بها الفريسيون . فلو كان مجرد بشر لما حق له ان يسي ذاتة رب السبت نستنتج من عبارات عديدة في الانجيل ان يسوع استعمل سلطانه كرب السبت ونقله من اليوم السابع في الاسبوع الى اليوم الاول فسمي يوم الرب . وضع نظام يوم الراحة في كل اسبوع لخير الانسان فيدوم ما دام الانسان . المقصود تخصيصه لعمال الضرورة والرحمة والعبادة . طالما يُكرس لله يوم من كل سبعة ايام تكريساً ممتازاً ثم غاية الوصية الالهية . فابدل اليوم السابع بالاول لا يكون قد اجراه الرسل الا باشارة من يسوع اوبالهام من روحه القدوس . ولا يخالف هذا الابدال قطعياً روح الوضع الالهي وقصده . نحسب ان الله وضع في عهده القديم اليوم السابع حافظاً لعهده الجديد يوماً اشرف منه هو الاول في الاسبوع . وكما كان السبت الاول اليهودي تذكاراً ضرورياً للعمل الالهي في الخلق وكما يسمي في الكتاب استراحة الخالق في اليوم السابع كذلك يكون السبت الجديد المسيحي تحويل موضوع التذكار الى ما هو اعظم من فعل الخلق . وهو عمل الفداء الذي تم بقيامة الفادي في اليوم الاول . ولذلك تسمى يوم الرب . وهو تذكاراً ايضاً للعمل العظيم في يوم الخمسين لما تأسست الكنيسة المسيحية في يوم الرب بواسطة انسكاب الروح القدس العجيب في عليية صهيون^(١) . ولا يقدر احد ان يصف او يدرك مقدار فوائد السبت المسيحي في تاريخ تمدن العالم من زمن يسوع الى الآن . ولا ان يشخص الاضرار التي تنجم عن اهماله

نتيجة تعليم يسوع في هذا الامر هي ان الوصية الاولى والعظمى التي ابي المحبة لله لا يمكن ان تعارض الثانية التي هي مثلها اي المحبة للناس . فلا يمكن برضى

(١) انظر مرشد الطالبين وجه ٤٥ لاجل بيان ان يوم الخمسين في تلك السنة وقع

الاله ان يحفظ سبته على صورة فيها قساوة نحو الناس. لذلك ذكرهم بالقول النبوي القديم "اني اريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله اكثر من المحرقات" (١). وقال لهم انه لو علموا معنى هذا القول لما حكموا على تلاميذ الابرياء. من عهد قريب حج يسوع معارضيه بهذه الآية عينها (٢). والان يكررها لانه رأى انهم لم يحفظوها بعد

لم يطل الوقت حتى اعطى يسوع المثالة الثالثة في هذه السلسلة المتصلة في موضوع السبت. واعطاها كالسابتين في يوم السبت. اعطى الاولى في الهيكل والثانية في الحقول وهذه الثالثة في مجمع (٣). عرف عنه انه لا يرى عليلاً الا ويود شفاؤه ولا يراه عليلاً الا ويسترحم منه شفاء. في هذا السبت وهو يعلم في هذا المجمع لاحظ الكتبة والفريسيون الحاضرون انساناً بين المجمع يد يابسة (٤). حالاً توجهت افكارهم نحو هذا الشخص وارادوا شفاؤه لاشفقة عليه بل ليجدوا علة على يسوع تمكنهم من تقديم شكاية رسمية عليه للمجلس الاعلى. فحسب الظاهر سبقوا يسوع في الاهتمام بهذا العليل لما سألوه هل يحل "الابراء في السبت"

لكونهم غير مخلصين لم يحترم سؤالهم ليجيب عليه. لكنه بعد ان اوقف العليل في الوسط ليظهر للمجمع انه لا يهاب مقاوميه ولا يخشى مقاومتهم طرح عليهم سؤالاً لاجل ابكامهم. سألهم اي هو اكثر موافقة للنصد الاله في وضع السبت فعل الخير وتخليص نفس فيه او فعل الشر واهلاك نفس. كأنه يقول انا اقصد تخليص هذا الرجل في يوم السبت. وهذا فعل خيري بينما اتم قاصدون قتلي في هذا اليوم وهذا فعل شر. فأي منا يعد حافظاً لوصية السبت وأي مخالف؟ ذكرهم ان ليس بينهم انسان لا ينشل في السبت خروفاً له سقط في حفرة. فكم بالحري يجب ان ينشل من هو افضل جداً من

(١) هو ٦: ٦ (٢) في وليمة متى ١٣: ٩ (٣) نرجس انه في مدينة كفرناحوم

(٤) لوقا كطبيب يدق بقوله انها كانت اليد اليمنى

الخروف. كان مقررًا حتى عند الفريسيين ان من يهمل فعلاً خيرياً مطلوباً منه وهو يستطيعه يكون قد فعل شراً ومن يتأخر عن تخليص نفس وهو قادر ان يخلصها يكون قد اهلكها . فيسوع بسؤاله هذا دانهم دينونة لم يستطيعوا الاعتراض عليها

انتظر جوابهم لكنهم "سكنوا". ولا عجب . وفي هذا السكوت بيان سطوته الادبية . لكن ليس لم ضمير حي ينبهم الى غلظهم ويبيكنهم على غلاظة قلوبهم ليعترفوا بذلك ويجيبوا ان تجري الرحمة على هذا المسكين . فحالتهم هذه تضطر يسوع كمصلح الى الغضب وكخلف الى الحزن "فنظر حوله الى جميعهم بغضب على غلاظة قلوبهم. الغضب في الحزن بجوهره والحزن في الغضب بقدرته ويجعله فضيلة سامية . قال الرسول "اغضبوا ولا تخطئوا"^(١) كثيراً ما نقرأ في الكتاب عن الغضب الالهي وليس في الاله الا ما هو فضيلة وكمال

قد سبق القول ان الغضب في محله يكون فضيلة لارذيلة . ما كان في يسوع غضباً على هؤلاء المعتزين في كبرياءهم كان حناناً على ذي اليد اليابسة . فشفاؤه بكلمتين فقط . وبهذا الشفاء العجيب اثبت صحة مدعاه انه رب السبت . شفاؤه بقوله "مد يدك" . كان يجشي ان يجيبه جواباً طبعياً ويقول "اني عاجز عن ذلك . فلو كنت قادراً على مد يدي لاستغثيت عن احسانك" . لكنه آمن والا فحاول ما كان قبلاً مستحيلاً عليه . على ايمانه بمدح بينما كان عاجزاً عن عمل مدح لاجله . لم يعطه يسوع شفاء جزئياً بل كاملاً "عادت يد صحبة كالأخرى" ولا يعطي يسوع غفراناً جزئياً بل كاملاً لكل من يلتجئ اليه

نرى فيه وفي ابرائه مثلاً صادقاً للخاطئ والخالص . العمل الذي شفاؤه لم يكن عملاً بل عمل يسوع . لكن عمل يسوع لا يشفيه ما لم يؤمن بذلك العامل وبعمله . هكذا العمل الذي يخلص الخاطئ هو عمل يسوع لا عملنا . انما

نتوقف نتيجة عمل يسوع في خلاص الخاطئ على ايمان هذا الخاطئ بشخص هذا المخلص وبمخلصه

في هذه الحلقات الثلاث المتعلقة بالسبت اوضح يسوع مبدأه الجوهري الذي اشار اليه بعدئذ في قوله "الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحياة" والذي اوضحه رسوله في قوله "لان الحرف يقتل ولكن الروح يحيي" (١) اخفى حالاً هذا الرجل وذكره. ليس كذلك امر الكتبة والفريسيين الذين ابكهم يسوع بقوله اولاً ثم بالاكثربفعله. يقول البشير انهم "امتلاوا حقاً وصاروا يتكلمون في ما بينهم ماذا يفعلون بيسوع. هم مستعدون بحجة المحافظة على الوصية الرابعة ان يضحوا لمهمهم الوصية السادسة القائلة لا تقتل. افكارهم نحو يسوع ومعاملتهم اياه نجاس افكار اهل العالم ومعاملاتهم في جميع الاجيال لرجال الله الممتازين. فالانبياء والرسل والشهداء والمصلحون قد عانوا جميعاً ما قاساه يسوع جزاء لغيرته الوقادة ونقاؤه الممتازة. لا تخلو المراقبة العدائية من فائدة للصالحين لانها تزيدهم حرصاً على حسن السيرة والسريرة وتزيد جلاء الشهادة بفضائلهم التي تزكياها هذه المراقبة الشديدة

حق الفريسيين في هذا الحادث رفع الستار عن الهيرودسيين الذين نراهم لأول مرة في هذا الوقت. ونراهم متفقين مع خصومهم الفريسيين في المؤامرة على يسوع لاجل اهلاكه. باعنيار هؤلاء هو "مفسد الامة ومجذف ومضل" وسامري فيه شيطان وعشير العشارين والخطاة ناقض الهيكل والناموس. اتفق مع كره الفريسيين يسوع من الوجهة الديني كره الهيرودسيين اياه من الوجهة السياسي. لان الرابط الاول والمبدأ الاهم عند هؤلاء كان صون عرش بيت هيرودس. فان كان يسوع ابن داود وارث العرش اليهودي يكون عدواً لدوداً طبيعياً لخنفس هذا العرش اي هيرودس. فيجلبو للفريقين

قتل مسيحيهم ولا ترك الخطايا التي جاء ليخلصهم منها
 لان هذا الاتفاق الاثيم مجلبة لخطر جديد على يسوع انصرف من هناك
 مع تلاميذه الى البحر. وليس في هذا الانصراف شيء من العدول عن الخطة
 التي تأتت به بالبغض الميت. ولا يتخذ بغض رؤساء الشعب ومحاولتهم قتل حجة
 ليتوقف عن المتراج مع الجاهل الملتمة اغاثته. بل بعكس ذلك دام يتقدم
 جميع الذين استنجدوا به لاجل تخفيف مصائبهم. ودام يطبل اناته على غلظي
 القلوب بدلاً من ان ينزل عليهم قصاصات يستحقونها. ودام يدعو شعب
 الله المختار للايمان بالابن الذي ارسله. لم تعكر كل مكاييد اعدائه بمرحبه. فبيضا
 ازدادت علاوة الرؤساء وضوحاً وشدّة ووقاحة ازداد ايضاً تمسك الشعب
 به رسوخاً وشهرةً وامتداداً. التفت الجموع الكثيرة حوله آتية ليس فقط
 من الجليل واليهودية بل ايضاً من ابعد البلاد اي من ادومية وساحل صور
 وصيدا وعبر الاردن (اي يبرية) فشفاهم جميعاً

في هذا التجمع "في موضع سهل" ظهر ان قسماً من الجمع أقبل على يسوع
 لاجل استماع تعليمه ما عدا الكثيرين الذين جاءوا لاجل الشفاء. ظهر ايضاً
 من امر الشياطين الذين كان يخرجهم من "المعذيين من ارواح نجسة" انهم
 ليس فقط عرفوه بل شهدوا له. لا نعتبر انهم أدوا ليسوع شهادتهم القوية
 بقولهم وهم ساجدون له "انك انت ابن الله" الا مكرهين على ذلك بقوة الهية
 اي بسطوة يسوع. ألم يوضح يسوع في اوقات اخرى استحالة مساعدة الشيطان
 اياه برضاه والا فتعرب ملكته؟ لكن يسوع لا يستند على شهادة الشياطين
 ليرغب في دوامها او تكرارها كثيراً. يقبل شيئاً منها لفائدة تأثيرها في الشعب
 لعلمهم ان الشياطين لم تودّ في الزمان شهادات كهذه لغيره من انبيائهم. اذا
 هو منفرد عنهم وممتاز عليهم. لان الشياطين يتفوقون في معرفة الحقائق.
 لذلك نرى يسوع بعد سماحه للارواح النجسة بتأدية هذه الشهادة يعود
 يسكتهم وينتهرهم. لا يخفاه ان افكار الرؤساء الشريرة الجاهلة قد تستخدم هذه

الشهادات سنداً لاثباتهم اياه انه كان يخرج الشياطين برئيسهم بعل زبول
كذلك نرى ان الجمهور كان يتهاقت عليه "لبسة". كل الجمع طلبوا
ان يلمسوه لان "قوة كانت تخرج منه وتشفي الجميع". حتى اضطر ان يأمر
تلاميذه بان "تلازمه سفينة صغيرة لسبب الجمع كي لا يزحموه". والقوة التي
كانت تخرج منه بواسطة لمس المصابين اياه كانت تؤثر فيه بخروجها (١).
كان يقتدر هو لا يغني غيره ويتعب ويضعف ليربح ويقوي الآخرين . قاعدة
التعويض والموازنة في الكون تقضي بان ما نقصد ان نربح الآخرين به
نفعل نحن بسببه خسارة . يطلب منا ان نبذل ونفسي ما عندنا ان قصدنا
ان نكسب ونفيد الآخرين . وفي ذلك نجد نحن خيرنا الاعظم

نحول النظر الآن عن هذا الجمهور الوقتي وهذه المعجزات الوقتية الى
عمل من نوع آخر هو بين اعمال يسوع من اعظمها في سموه وتأثيره ودوامه .
قال مرة "خرجت من عند الاب وقد اتيت الى العالم . وايضاً اترك العالم
واذهب الى الاب . وانا معكم زماناً يسيراً بعد ثم اذهب الى الذي ارسلني" (٢)
يعلم ان ما يعمل قبل انصرفه جسدياً من العالم هو المقدمة والاساس فقط .
فمن يقوم بعدئذ بالتسم الاعظم من هذا العمل الفائق خطورة ؟ . وبالنظر الى هذه
الخطورة يستحيل وجود من يقوم بذلك بقوته . ولذلك فهو يبقى العايل فيهم
ومعهم بعد انجابه عنهم وعن البشر جميعاً

سيكون عملهم شفاء الامراض واخراج الشياطين باسمه وبث التعاليم
الجديدة وتنظيم جمهور المؤمنين الجديد وتدوين حقائق الدين لاجل توريثها
للاجيال التي بعدهم . يحول دون اختياره عطاء العالم كبرياؤهم لئلا ينسبوا
الى انفسهم وينسب العالم اليهم التسم الاعظم من النجاح ولا يتمجد الله كما يجب .
اصاب الرسول في قوله "لنا هذا الكثر في اوان خفية ليكون فضل القوة
لله لا منا" (٣) . لذلك نراه يخنار رجالاً من المعدودين ضعفاء وجهلاء وبصيرهم

اكفاء. وكانت النتيجة انهم قد فاقوا سائر عظماء العالم في حسن تأثيرهم. اسرع في انتخابهم في اوائل سني خدمته ليمكن من تربيتهم قبل صعوده. وجد بين تلاميذه اشخاص قد قضاوا في رفقته وقتاً كافياً ليخبروه كيف يرسخ ايمانهم به ويخبروا انفسهم هل هم مستعدون ان يثبتوا في التلمذة له ويحملوا المحن والصعوبات والمقاومات التي ستبغ هذا الثبات. فمن هؤلاء يعين رسلة واحتراماً للوضع الالهي في صيرورة اسباط شعبه القديم اثني عشر احب ان يجعل رسلة اثني عشر ايضاً. راعى بذلك اصله اليهودي وقصد ان يكمل الناموس القديم لا ان ينقضه. وان يمكن الارتباط بين العهد القديم ونظامه والعهد الجديد ونظامه لا ان يحلله. عرف اهمية هذا العمل الجديد وصعوبته فخرج ليصلي وقضى الليل كله في الصلاة. كان هذا الليل المضني لقواه الجسدية كزرع بارث حصاده في ثمار هؤلاء الرسل في قدوتهم وافعالهم وكتاباتهم التي ملأت الارض. وهذا الحصاد يتجدد ويتزايد جيلاً بعد جيل لجد الله ومسيحه وفخر الذين سماهم رسلاً

قال البشير ولما كان النهار صعد الى الجبل ودعا تلاميذه الذين ارادهم فذهبوا اليه واختار واقام منهم اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا ويكون لهم "سلطان على شفاء الامراض واخراج الشياطين". سماهم رسلاً لكونهم مرسلين منه ليعملوا باسمه لا باسمهم. قال لهم بعدئذ "كما ارسلني الآب ارسلكم انا" (١). اقامهم قبل صعوده بمن كافية لينسبهم كثيراً مما رضعوه مع الحليب وتلقوه في مدارسهم في الصغر وتعلموه من رؤسائهم في الكبر من الآراء المضلة والعوائد الذميمة وليشبعهم من الغذاء الجديد الروحي الذي هو التعاليم الالهية الصحيحة ولينهمهم روح التعاليم القديمة الحقيقية

نصحه بافكارنا وهو ينظر حوله بعد جلوسه بنظرة الحب الممتاز والرضى. لان ليس بين محبته الا الذين دعاهم. نصفي الى هذا السيد الذي يزين جلاله

شبابه بينما يوضع لهؤلاء حقيقة مشروعه الخطير وسمو مقاصد الحية وعظم المسؤولية التي سيضعها على عاتق الذين سينتقمهم من بينهم . لكن ماذا تكون افكار سامعيه ؟ اليس لكل فرد منهم شوق مع امل ان يكون من المنتخبين لما في ذلك من برهان ثقة معلمه به ومن اسباب مصاحبه الدائمة والحصول على ارشاداته الخصوصية ثم على خدمة ممتازة ؟ كيف تشتغل عواطفهم عند ما يتقدمي بسمي رسولاً بعد آخر وكيف يلتفت الجميع الى الذي يسمي بنظرة التطويب وربما بقليل من الحسد الطبيعي !

اقدم سمعان بن يونا ونشاطه وغيرة مع تاريخ تلمذ يسوع كانت اسباباً كافية لتعطيه الاسم الاول في كل من قوائم الرسل الاربعة التي حفظت لنا (١) فنستنتج ان يسوع سماه اولاً في هذا الانتخاب . وانه دعاه باسمه الجديد بطرس الذي يدفع الاتباس بينه وبين سمعان الثاني بين الرسل ثم تلي تسمية اخيه اندراوس - اول كل من تبع يسوع بعد ظهوره - واول مبشر مسيحي في التاريخ . لانه هو الذي اتى باخيه الى يسوع . لكن ليس له ذكرهم في الانجيل بعد هذا . ثم يسمي يسوع الاخوين يعقوب ويوحنا ابني زبدي وسالومة شريكى الاولين في الوطن والمهنة . نرى اكبرها يعقوب مقداً في الكنيسة بعد صعود يسوع حتى انتقاه هيرودس اغريباس بعد نحو خمسة عشرة سنة اول ضحية يقدمها ارضاء لكيد اعداء المسيحية رؤساء اليهود . واما الاصغر يوحنا فعاش كثيراً وخدم الكنائس خدمات جليلة طويلاً بعد ان رقد كل زملائه في قبورهم . مناسبة وضع هؤلاء الاربعة في مقدمة الرسل غني عن البيان لانهم باكورة الذين تبعوه يوم كان لا يزال مجهولاً بين الناس

بين افراد الهيئة المجمع اقام شخصين آخرين كانا رفيقين لهؤلاء الاربعة

(١) مت ٢: ١٠ - ٤ مر ١٦: ٢ - ١٩ ولو ١٤: ٦ - ١٦ واع ١٣: ١ انظر الاتفاق

في التلمذة الأول على ضفة الاردن وهما فيلبس وثنائيل^(١). ولم يرد ذكر فيلبس بعد انتخابه الا في بشارة يوحنا^(٢). واسم ثنائيل لم يرد في قوائم الرسل. لكن نجد في كل منها اسم برثولماوس ملاصقاً لاسم فيلبس. وقد اتفق المفسرون بعد البحث الكافي على اعتبار برثولماوس انه ثنائيل^(٣). تسمية هؤلاء السبعة تم تنظيم نصف الهيئة الرسولية وكلهم من تلاميذ المهدان سابقاً. وكان التصاقهم بذلك النبي المصلح الصارم برهاناً كافياً على حسن استعدادهم الديني. فلا بد من ان انتخابهم جميعاً كان متظراً ومستصوباً من التلاميذ الآخرين الحاضرين. اما الاسم السابع فوجب لبعض الريب. لانه العشار متى اولوي. قد سبق خبر دعوة يسوع اياه^(٤). فهل يصلح رسولاً؟ بناء على مواهبه العقلية والروحية يصلح. ولانه يمثل بين الرسل الحقيقة ان كثيراً مما هو مرفوض من الناس يكون مكرماً عند الله. فيكون مثال دائم لقوة النعمة التي تصير عشاراً أدنياً رسولاً ممتازاً رفيق متى في التسمية هو توما الذي لا نعرف عن ماضيه شيئاً بخلاف السبعة الذين تعينوا قبله^(٥). يليه في التسمية يعقوب ثان لقبوه يعقوب الاصغر او الصغير. ظنه البعض أخاً لمتى لان اسم ابي الاثنين حلفي. لكن ينفي هذا الظن عدم ضم الاسمين كاتصام بطرس واندراوس ويعقوب مع يوحنا^(٦).

ثم انتخب يسوع رجلاً نستغرب تعيينه لسبب هو عكس سبب استغراب تعيين متى. كان متى عبد الرومان واحد مأمورهم وبالنتيجة مكروهاً ومحقرأً من أمته. اما سمعان الغيور فكان عدو الرومان وعضو جمعية غايمه - قلب حكومتهم^(٧). فلذلك كان مكرماً عند امته. استحسن يسوع ان يضم الى

(١) انظر ف ٩ (٢) يو ٦: ٥ و ١٢: ٢١ و ١٤: ٨ هو غير فيلبس المذكور في اعمال الرسل (٣) بر في العبراني يعني ابن فهذا الرسول هو ابن ثلماوس (٤) انظر ف ١٧ (٥) البشير يوحنا بلقبه بالتوأم كانه احد توأمين (٦) لقبه بالغيور بياناً لكونه من الحزب السياسي الحامل هذا الاسم وهو الحزب المتظاهر بمقاومة الحكومة الرومانية والادارة الهيرودية (٧) يشبه ما يسمى في هذه الايام حزب النيهلست

صف الرسل رجلاً من هذا الصنف ايضاً. وبذلك اظهر شجاعته الادبية وقصته ان يمثل رسلة مشارب وطباع ومقاطع وحرف مختلفة. الرسول الحادي عشر ايضاً له اسمان. "لباوس الملقب تداوس" ايضاً "يهوذا اخا يعقوب بن حلفي"

آخر الرسل كان من مقاطعة اليهودية بينما كان الآخرون من الجليل. اسمه يهوذا سيمان الاسخريوطي لان وطنه قرية قريوت^(١). كما انه منفرد عن زملائه الاحد عشر في الوطن هو منفرد ايضاً في الخيانة لانه يوصف في كل القوائم بذكر جريمته الفاتكة قباحة اذ يسمى يهوذا الاسخريوطي الذي اسلمه. لا نتجاسران نجزم في الاسباب التي دعت يسوع لاختيار شخص رسولاً عرفه منذ البداية انه يخونه^(٢). وان الجوهر الديني الذي يوهله للرسولية ليس فيه. يجوز ان يسوع قصد اتمام النبوات وتسهيل المقاصد الالهية فاخاره. يجوز ايضاً انه قصد ان يعطي مثلاً يعلم الناس ان لا ينفكوا عن خدمة الاشرار الدينية لعلمهم برمجونهم للصالح. ومثلاً لكون افعال الوسائل الروحية لا بد ان تفشل مع البعض. او انه انتخبه كي يتضح له انه بلا عذر في خيانتهم الفظيعة بعد الوسائط الفاتكة التي تقدمت له لاجل اصلاحه قد يمكن انه لم يكن شريراً لما تبع يسوع او لما تعين رسولاً وانه كان من الذين يتبدئون حسناً وباخلاص. لكن لعدم اتكالمهم على النعمة الالهية التي وحدها تحفظ من السقوط يتقادون بعد حين الى الاهواء الشريرة. اما تسليم الصندوق لهذا السارق فقد يكون عمل التلاميذ الذي تركه لهم يسوع وانهم عينوه لما وجدوه صاحب اقدم على العمل وبراعة في الحساب

عند نهاية هذا الانتخاب لا بد ان يسوع سرح نظره الثاقب الى الامام ورأى بروح النبوة ما يكون من امر هؤلاء الرسل. رأى ضعفاتهم وسقطاتهم ورأى ايضاً غيرتهم ونشاطهم ونهوضهم من السقطات وغلبتهم على الصعوبات

والمفاوضات ورأى تأثير تبشيرهم في حياتهم وتأثير كتاباتهم ومؤسساتهم بعد
مآلهم. ثم رآهم مكللين بالمجد الفائق بين الشهداء عن يمين العرش الإلهي
جالسين على "كراسي يدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر^(١)"

نقطة واحدة سوداء تشوه هذا المشهد ويتهد لها هذا المخلص المحب وهي
هيئة الرسول الذي بسبب دناءته أُدرج اسمه في ذيل كل قائمة. يعلم يسوع
جيداً أنه بعد كل الوسائط الممتازة التي يجربها سيكُ لأجله سيزداد رياء
وقساوة ورداءة حتى أنه بعد خيانتها الهائلة يذهب في طريق الانتحار المنجع
إلى مكانه في "الظلمة الخارجية حيث دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ". قد
رأينا الآن خاتمة الانتخاب وسنرى فاتحة الاستعداد الذي يليه



الفصل العشرون

(مت ١:٥ - ٢٩:٧ لوقا ٢٠:٦ - ٤٩)

(المرصع) ف ١٢ (الزمان) صيف السنة ٢٨

(المكان) الجليل - قرب كفرناحوم

الوعظ على الجبل . صفات ابناء الملكوت . تأثيرهم كالمح والنور . تثبيت نظام الملكوت .
ايضاح روح الناموس . الصدقة . الصلاة مع الصلاة الربانية . الصوم . الكنز الباقي .
عناية الله . النهي عن دينونة الآخرين . فاعلية الصلاة . القاعدة الذهبية . من ثمارهم
تعرفونهم . العاقل والجاهل

اهم ما في الرسامة اعطاء تعليمات تبين ماهية العمل الداعي للرسامة .
عمل الرسل الاعظم سيكون التعليم الديني كما كان الوعظ من اعظم اقسام
عمل سيدهم . فيقتضي ان يُعطوا اولاً المسائل الكافية لذلك . بناء عليه اردف
يسوع انتخابهم بموعظة عمومية فريدة وافية شاملة ابدية تُعتبر قاعدة المواعظ
وخلاصة الدين . وتسمى "الوعظ على الجبل" (١) . وهي اهم واكمل ما ورد
من عظاته كما انها الاكثر شيوعاً عند العموم والاقرّب قبولاً عند اصدقاء
المسيحية من سائر خطب يسوع . وقد اشغل شرحها المجلدات العديدة
هذه الموعظة هي بمثابة دستور الملكوت الروحي الجديد الذي انشأه يسوع
على اساس النظام القديم الالهي الذي انزل على موسى والانبياء وجاء يسوع

(١) الفاها يسوع في محل مرتفع بقرب كفرناحوم . قد اتفق اكثر المفسرين على حسابه المحل
المعروف حالياً باسم "قرون حطين" وهو للجهة الشرقية الشمالية من مدينة طبرية

لا لينقضه بل ليكمله . في هذا الملكوت يسوع هو الملك الذي انبا الله به قبلاً
بم نبيه داود " اما انا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي " (١) . فلا
بدل له من منشور خصوصي يسلمه لسفرائه الرسل معلناً فيه ما هو جديد في
نظام هذا الملكوت وما هو المعنى الجديد لما حفظ فيه من النظام القديم . فالملك
الذي عينهم يؤيدهم بقوة خصوصية عجيبة تمكنهم من القيام بمهمتهم المتنوعة
العجيبة

فقبل الاصغاء الى كلام هذا المعلم الشهير يوافق ان نقف قليلاً لشخص
الظروف الخارجية المتعلقة بهذه العظة . ليس كما أعطيت الشريعة القديمة
تُعطى الآن الجديدة . تلك أعطيت على جبل سيناء الاجرد بصوت اله غير
منظور ومخوفة بالبروق والرعود والزلازل ولهيب النار المخيفة بينما حُرِّم
على كل حي سوى موسى الكليم الدنوّ من هذا الجبل تحت قصاص الموت
رجماً . اما هنا فعلى جبل حطين الانيس في وسط المروج الخضراء وبين
تغريد العصافير الاليفة وشعشة الازهار الجميلة . والصوت صوت الاله
متأنساً متسرلاً بالطبيعة البشرية محاطاً بتلاميذ ووراءهم جمهور من الذين
تجمعوا من كل الانحاء لاجل استماع كلامه

قال اليهود في تقاليدهم انه متى ظهر المسيح يقف على شاطئ البحر عند
مدينة يافا (مرفأ اورشليم) ويأمر البحر ان يسلم ما فيه من الكنوز . فعند
امره يقذف البحر امام قدميه الجواهر الثمينة الكثيرة والكنوز التي دُفنت في
قعره . فيلبس المسيح تابعيه الالبسة الفاخرة والحجارة الكريمة ويطعمهم منا سواً
يفوق حلاوة ولذة المن الذي اكله آباؤهم اربعين سنة في البرية . هذا تصوير
وهي الهي مسيح وهي

أفلم تكن الهيئة الحقيقية التي نحن بصدد ما أجل وأكمل ؟ هل من جواهر
في قعر البحر تساوي جواهر التعليم الروحي الجوهري ؟ هل من حلال فاخرة

تقابل حلل الخصال الحميدة المكنى عنها في وعظه والظاهرة في مثاله؟ هل في الامر للبحر ان يقدم ما فيه سطوة وهبة كالتي في الامر للشياطين ان تخرج من الناس وللهوتى ان تحيا وفي القول المانح غفران الخطايا في الحال لتابعيه الهائين؟

لا ريب في ان ليست كل درر تعاليم جديدة في مسامع البشر. كان قد سبق عند اليهود كثير وعند الامم قليل من التعاليم المشابهة لها. لكن هذه السابقة كانت لجسم آدم الجميل اول ما جيل من التراب وقبل ان قام حياً بينا تعاليم يسوع اشبه بجسم آدم بعد ان نفخ فيه الخالق نسمة الحياة

صعد يسوع الى الجبل "ولما جلس تقدم اليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم قائلاً طوبى". نفس الشريعة النديمة كان ظاهراً في القول "ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به" (١). وفي اللعنات الصريحة المنفصلة التي نودي بها على جبل عيبال (٢). اما الشريعة الجديدة فقد أعلن روحها في الآية الشهيرة "لانه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية" (٣) فلاق ان يكون استهلال شريعة ابن داود كلمة "طوبى". وهي الكلمة التي استهل بها جدّه داود في مزاميره الفاتنة في الشهرة والجبال (٤)

افتتح يسوع وعظه لا بالوصايا والوعيد بل بالتهنئة والمواعيد. أتى من عند الأب لكي يرد للبشر سعادة فقدوها بسبب الخطيئة. فجعل الفرح من أهم اركان ملكوته (٥). هذا الفرح الحالي الذي يمنحه هو الزهر الذي ثمره الناضج يكون السعادة الابدية. جمع في كلمة طوبى التهنئة والفرح والسعادة. لانه يتكلم عن الطوبى الحقيقية لا الوهمية. ففي يومنا هذا نرى ان مبادئ ملكوته المجدد قد رسمت في العالم. وانها تتسلط تدريجاً قرناً بعد قرن من يوم

(١) غل ١٠:٣ (٢) مت ١٣:٢٧-٢٦ (٣) يو ١٦:٢ (٤) مز ١:١

(٥) رو ١٤:١٧

ظهورها الى الآن على رغم ما اصابها من الانحطاط وما يصيبها من الاهمال .
فقد اجمع عقلاء البشر وعلماءهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم بان شريعة
المسيح آسى كل ما ظهر من الشرائع في تاريخ الاديان ولو من الوجه الادبي
فقط (١)

نرى في سلسلة التطويات التي انت في مقدمة هذه العظة امراً يجب
الانتباه بخصوصي اليه وهو ما أتى قديماً في القول الالهى "لان افكاري ليست
افكاركم ولا طرقكم طريقي يقول الرب" (٢). فمن اوّل اعمال يسوع كمصلح نقض
الآراء الدينية الباطلة السائدة في ذلك الزمان ونفي الخطأ في تعاليم رؤساء
الدين اليهودي في زمانه

الطوبى الاولى نصيب الذين لم شرف الرعوية في الملكوت المسيحى بحق
ملكوت السموات . فهذه الحجة للتطويب يصدّقها سامعوه جميعاً . لانهم
يحسبون ان في مقدمة هذه الرعوية رؤساء الدين من كهنة وكتبة وفريسيين
اي الاغنياء في الاكرام الديني . هؤلاء يكون القول الاول والمنفعة الكبرى
في الملكوت الزمنى المجيد الذي يقيمه المسيح متى جاء . لكن حسب راي يسوع
يكون ملكوت السموات ليس لاولئك وامثالهم بل للمساكين بالروح . لان هؤلاء
هم الذين يملكون مع المسيح (٣) . كان قد استشهد يسوع في عظته الشهيرة
المختصرة في الناصرة بالنبوة القائلة فيه "الرب مسحني لأبشّر المساكين" (٤)
واعطى للمعمدان السجّين اليائس كعلامة كونه المسيح ان في خدمته اليومية
"المساكين يبشرون" (٥) . فبغاية المناسبة خصّص تطويبه الاول للمساكين

(١) قال الدكتور روبرتسون في شرح هذه العظة ان مختصر هذه المبادئ
الادبية كان له تأثير عظيم في ذلك الوقت . ولم يزل اليوم يفوق كل الاقيسة البشرية
الادبية . فتعجب الناس من ذلك الخطاب والعالم لم يزل يتعجب " (الحوادث الهبة وجه ٤٨)

(٢) اش ٥٥ : ٨ (٣) تي ٢ : ١٢ ورو ١٠ : ٥ و ٦ : ٢٠ و ٥ : ٢٢ (٤) اش ٦١ : ١

(٥) مت ١١ : ٥

”فتح فاهُ وقال طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات“

الطوبى الثانية اعطاها للذين يتمتعون بتعزيات الحياة في وسط مصائبها ويضحكون بعد البكاء . فسامعوه لا يخالفونه في هذا القول لكنهم ينصصون هذه التعزيات للاغنياء في الرجال الذين يستعيصون عن المصائب بعرض ذويمهم واكرامهم اياهم . ويتعزّون بكثرة الاصدقاء . اما هو فخصصها للباكين الآن وللذين يحزنون على ما فيهم وفي من حولهم من الاثم والخطيئة . وما في العالم الا تي للمساكين من الويل والشقاء . التعزية الالهية هي للذين قد عني عن اثمهم وقد قبلوا من يد الرب ضعفين عن كل خطاياهم (١)

الطوبى الثالثة هي للذين يرثون الارض . نعم ومن هم ؟ حسب راي سامعيه هم اصحاب النفوذ الذين بهائمهم يتسبطون على البشر وبهارتهم يوسعون املاكهم ويزيدون ثروتهم . أليس هؤلاء هم الذين يرثون الارض ؟ اما حسب راي يسوع فالذين يرثون الارض هم الودعاء . في ملكوت يسوع ليس المموب بل المحبوب هو الذي يرث الارض . رأى هذه الحقيقة داود النبي فقال ” بعد قليل لا يكون الشرير . تطلع في مكانه فلا يكون . اما الودعاء فيرثون الارض ويتلذذون في كثرة السلامة (٢)

الطوبى الرابعة هي نصيب الشباعي . هنا ايضاً اتفاق بين يسوع وسامعيه . لكن من هم الشباعي ؟ عند سامعيه هم الاغنياء في المال الذين لا يشتهون امراً الا وما لهم يا اثمهم به . هم الذين لا يعرفون من الجوع الآسفة . انما حسب رأي يسوع هم الذين لا يباليون بالغنى المادي ولا يشتهون كثيراً خيرات هذا العالم . بل يجوعون ويعطشون الى البر السماوي لاجل نفوسهم ولجل من حولهم . في ملكوت يسوع هؤلاء هم الذين يشبعون . ألم يقل سبحانه قديماً ” هكذا قال السيد الرب هوذا عبيدي ياكلون وانتم تجوعون . هوذا عبيدي يشربون وانتم تعطشون “ (٣)

الطوبى الخامسة خصّها للرحومين . للذين ينالون من الله الرحمة ومن الناس المراعاة . لكن هل هم الاغنياء في السلطان اى الملوك والحكام المرعوبين الجانب السالمون من المظالم حسب ظن سامعيه ؟ وهل هم الذين بسطوتهم يرغمون الناس على مراعاتهم ؟ وبقوتهم يخدمون المصالح الدينية الخارجية ؟ وبذلك يكسبون عند الله ايضا المراعاة ؟ يسوع يقول ان الذين يرحمون هم اللطفاء لا المتجبرون . هم الذين يراعون الناس لا الذين يراعيهم الناس . هم الذين يخضعون للآخرين لا الذين يخضعونهم . في ملكوته يرحم لا العتاة بل الرحماء . قال الحكيم سليمان " الرجل الرحيم يحسن الى نفسه " (١) وقال ابوه داود " مع الرحيم تكون رحيمًا " (٢)

السبب المعطى للطوبى السادسة هو اصعب الكل وابعدا عن التصديق . قال " طوبى للذين يعاينون الله " . أليس هذا مستحيلاً في هذه الدنيا ؟ أليس أنّه هو العلي الذي يرى ولا يرى ؟ ألم يقل يسوع ذاته سابقاً " الله لم يره احد قط ؟ " (٣) مع كل ذلك نعلم ان اشتها الانسان معاينة الله امر فطري واشرف ما هو فطري في الانسان

حسب تصوّرات الذين خاطبهم يسوع ان كان احد البشر يعاين الله في هذه الدنيا او في الآخرة يكون ذلك الحظ للاغنياء في العلم ولا سيما للمتعمقين في الدروس اللاهوتية . فيكون لهؤلاء النيرة الكافية ليروا من الامور الالهية ما لا يراه غيرهم . انما حسب رأي يسوع ليس هؤلاء بل انقياء القلب يعاينون الله . لا انقياء العين بل انقياء القلب . العين التي تستطيع رؤية الله ليست العقل الذكي بل القلب النقي . قال داود النبي " الرب عادل ومحب العدل المستقيم يبصر وجهة *** . من يصعد الى جبل الرب ومن يقوم في موضع قدسه ؟ الطاهر اليدين والنتي القلب " (٤)

(١) ام ١٧: ١١ (٢) ٢ صم ٢٦: ٢٢ ومز ٢٥: ١٨ (٣) يو ١٨: ١

(٤) مز ٧: ١١ و٢٤: ٣ و٤

اما الطوبى السابعة فهي للذين يُدْعَوْنَ ابناء الله . لا خلاف في هذا . انما لا يُدْعَوْنَ ابناء الله الا لانهم فعلاً ابناء الله . فمن هم ؟ حسب زعم عموم سامعي هذا الواعظ هم ابناء ابراهيم سلالة النسل المختار الداخلون بالاختتان في عدد شعب الله بني اسرائيل . هم الذين يقصدون اثارة الحرب على الرومان لاجل تحرير الأمة المقدسة من يدهم حتى لا يكون عليهم مَلِكُ الا الله . هم الذين يقصدون ايضاً محاربة الشعوب الاخرى لكي يكرهوهم بالسيف على اتباع الدين الحق وترك العبادات الوثنية ويجعلوهم خدماً عند شعب الله الخاص الاصيل . لكن حسب رأي يسوع هم الذين يصنعون في العالم سلاماً لا حرباً . لان السلام هو من اركان ملكوته الرئيسية^(١) . هم الذين يصنعون سلاماً مع الله بالاطاعة وسلاماً مع الناس بالمحبة . قيل في الانجيل " جاء يسوع لكي يخلق فينا انساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً "^(٢) * * * * * وثمر البر يزرع في السلام من الذين يفعلون السلام "^(٣)

اخيراً يكرر يسوع الطوبى للذين لم ملكوت السموات . في اعتبار سامعيه ملكوت السموات معداً للاغنياء في التدبير الخارجى . للذين يكثرون من الاصوام والصلوات والحسنات على شرط ان يكونوا من الجنس المختار الاسرائيلي . يعتقدون ان مسيحهم متى جاء يجعل الذي كان مجعاً كنور النجم يصبح كنور القمر . والذي كان مجعاً كنور القمر يصبح كنور الشمس^(٤) . ويعود مجد الشعب الاسرائيلي الى اضعاف اضعاف ما كان عليه في افخر ايام عزهم . هذا ملكوت السموات الذي يحملون به وهؤلاء هم الذين يكون الملكوت لهم ويستفيدون منه . لكن حسب رأي يسوع ملكوت السموات للطرودين من اجل البر . اولئك الذين لكونهم مساكين بالروح وحزانة وودعاء وجياع وعطاش ورقيعي الشعور وانقاء القلب ومسالين لا يعتبرهم العالم بل يحقنهم

(١) رو ١٤: ١٧ (٢) اف ٢: ١٥ (٣) يع ١٨: ٣ (٤) انظر اش ٢٦: ٣٠

ويجنّبهم ويخرجهم من دوائره. لمولاه يعوّض ملك الملوك الجديد باعطائه
ايام ملكوت السموات

هذه هي سلسلة التطويبات العمومية. لم نجد فيها حتى ولا حلقة واحدة
من الثانية تختص بالطغوس المذهبية او تناول شيئاً من الفرائض الدينية
الخارجية. وخلاصتها ان مسكين العالم هو غني الملوك والحزين هو المتعزي
والباكي هو الضاحك. الخاضع للناس هو الحاكم في الناس. الجوعان هو
الشبعان. المعطي هو الذي يُعطى. البسيط القلب هو الفهم. صانع السلام
لاصانع الحرب هو ابن الملك وهو المنصور. المطرود من وطنه هو صاحب
الوطن الثابت

نُعتبر هذه التطويبات كفأس ضرب يسوع بها اصول شجرة الآمال
العالمية المتعلقة بمجيء المسيح وملكوته. ما قاله لليهود خصوصاً في ذلك اليوم
يقوله للجميع على الدوام وهو ان الطوبى الحقيقية الدائمة لا تتوقف على الامور
الخارجية الدينية ولا على النجاح المادي والزمني بل على الامور الداخلية
الروحية والنجاح الابدي. لما كَلَّمَ نيقوديموس كان موضوعه روحانية الملوك.
ولما كَلَّمَ المرأة السامرية كان موضوعه روحانية الله وملكوته. وفي وعظه على
الجبل لا يزال هذا الموضوع شاغلة الاول. والحاجة الى هذا التعليم ليست اقل
في يومنا هذا مما كانت في تلك الايام. يشاهد اليوم في كل المذاهب كثير من
استيلاء المجد العالي على ارباب الدين ومعلميه. ومن ترويج المقاييس المادية
لا الروحية في الدوائر الدينية

كانت هذه التطويبات كتمهة عمومية لخطاب في صيغة المخاطب. وفي
هذه الصيغة كَلَّمَ يسوع الذين انتخبهم في هذا الوقت رسلاً. فتنجّس بمجك كلام
التفسير مع كلام الانجيل الاصلي وحفظ صيغة المخاطب فيه. فيينا يكون كل
الكلام حسب الظاهر كلام يسوع نذكر المطالع بان كلام يسوع الاصلي موجود
امامة في الانجيل. فيمكنه فصل التفسير عن المتن بسهولة. فالاصلي هو الموحى

هو
وال
ال
ف
ال
له
و
ا

بوالثابت . والتفسير هو الاضافة التي للمطالع الخيار في قبولها او رفضها
نشخص يسوع يقول للرسول قد تولدت فيكم مبدئياً الصفات التي بنيت
عليها التطويبات . وذلك يجعلكم ممقوتين من قومكم الذين ربيتم بينهم .
فاقول لكم طوباكم انتم متى عاملوكم على الكيفية التي شرحتها الآن . فمتى
طردوكم واهانوكم وعيروكم وافرزوكم من اجل البر ومن اجل ابن الانسان
لا تحزنوا ولا تتكدروا بل افرحوا وتهللوا . اولاً لان اجركم في السماء لقاء ذلك
يكون عظيماً . ثم لانكم بذلك تماثلون الانبياء الاقدمين فمشترون في شرفهم
الدائم

لاني اقول لكم انتم ملح الارض وانتم نور العالم . ورفض العالم اياكم لا يفسد
ملوحنكم ولا يخفي نوركم . كما يفعل الملح في الطعام الذي يمتصه فعلاً لا يقاوم
تفعلون انتم فعلاً قوياً اصلاًحياً وان كان خفياً حتى في القوم الذين يقصدون
افتراسكم . وكما ان طبيعة النور هي الانتشار فلا يقبل المحصر حيث ينشأ هكذا
لا بد ان تضيء فضائلكم التي هي اثمار الروح القدس فيكم . فيرى الناس
اعمالكم الحسنة . ولكن ليس لتجيدكم انتم بل لتجيد ابيكم الذي في السموات .
وكما ان السراج لا يوقد لكي ينظر الناس اليه بل لكي ينظروا بواسطته شيئاً
آخر اتم منه . هكذا تكونون انتم . لان لاقية للملح في حد ذاته بل في فعله
ولا قيمة للسراج الا في فعله . ولا قيمة لكم كتلاميذي الا وتلمحون وتنبهون .
وقد اقمتمكم لاجل هذا الفعل ليس بين شعب اسرائيل فقط بل انتم ملح الارض
باسرها ونور العالم كله . في شخصكم قبل تعليمكم واكثر منه يظهر الملح والنور
لان الشخص الحي يفعل ما لا يفعله مجرد التعليم

لا تتوهموا ان تعالبي الجديدة تستغف بالكتاب الالهي الذي بين ايديكم
لان زوال السماء والارض ايسر من زوال ادنى نقطة من نقطه الا بعد ان تتم .
اني اقصد اثبات الناموس المتزل على موسى والانبياء لا الغاءه . ابدل منه ما

هو وقتي بعد ان اكمله^(١). أثبت لانقض اعمال ابليس^(٢) وليس ناموس الله واقوال الانبياء. فالناموس لا يزول الا كما يزول البذر في الزهر ثم في الثمر الذي زرع البذر لاجله. الناموس في يد الكتبة والفريسيين لا يثمر بالصلاح فهو كبذر الفاكمة الذي لا يוכל. وان "لم يزد بركم على برهم لن تدخلوا ملكوت السموات"^(٣). بدلاً من ان أعني الناس من مطالب الناموس جئت لأبين لهم عظمها فوق ما كانوا يتصورون

فاقول ان الوصية التي تنهى عن القتل تنهى ايضاً عن الغضب والغيرة والبغض^(٤). صلاتكم وقرايبتكم لا تقبل بمجرد امتناعكم عن القتل ما لم تمتنعوا ايضاً عما يتضمنه روح الوصية قبل حروفها

تعلمتم ان تركوا ذبيحة الفصح قدام المذبح وثوقفوا عن تقديمها لكي ترجعوا وتنزعوا من بيوتكم خبيراً غفلتم عنه. وانا اعلمكم ان ترجعوا وتستغفروا ممن قد اسأتم اليه قبل تقديمكم صلاة لله. الوصية التي تتخذونها نهياً عن الزنا هي تشمل ايضاً الافكار الشهوانية والاميال الفاسدة لا العمل فقط. حتى لفته الخطيئة تدخل تحت هذا النهي^(٥). لا تنسوا انه خير لكم ان تخسروا ائمن ما عندكم ولو

(١) قام يسوع بقوله هذا اذا اطاع الناموس كله واتم كل ما اشارت اليه رموزاً وتنبأ عنه الانبياء وعلى الاخص قد ناب عن الخطاة في احتمال القصاص المتوجب عليهم بسبب مخالفتهم الناموس. اكمله بايضاح مضمونه ايضاً جديداً روحياً وبصويره اياه بنعمته في القلوب وليس فقط في الازهار وباعطائه للمؤمنين قوة جديدة لاجل حفظه
(٢) ايو: ٨: ٣٢ (٣) "سي ملكوت السموات لانه هو النازل من السماء وروحه كروح السماء ومحبته كل الذين في السماء ولان وقايته ووسائط نجاحه من السماء ولانه يقود الى السماء" (ادي في مت وجه ٥٦)
(٤) ايو: ١٥: ٣

(٥) كل فعل او قول او فكر الذي يعيننا لوعلم به خصوصاً او من نوقره من اصدقائنا فهذا ولو لم يعلموا به كان معيباً وحراماً. ليس ان كل مخفي معيب. لو اؤمن انسان على سر شريف يكون كتماناً شراً لا عاراً له. توجد امور يقضي الناموس واللياقة باجرائها في الخفاء لكن لا يعاب فاعلم متى علم الناس بانها فعلها. من امنلة ذلك الصلاة التي امر يسوع ان تقام في الخفاء

كان احد اعضاء جسدكم حتى العين اجملها واعزها من ان تخسروا الرضى
الاهلي الذي هو حياتكم وسماؤكم . وان تجلبوا عليكم الدينونة الالهية التي هي
موتكم وجحيمكم^(١)

عندكم الوصية التي توجب عليكم القيام بحلفكم . اما انا فاقول لكم ليس
فقط لا تخلفوا كذباً . بل ايضاً لا تخلفوا صدقاً . انزعوا من حديثكم كل يمين
مهما كان بسيطاً وصادقاً^(٢) . الحلف في الحديث لا محل له الا ليمين ان بعض
هذا الحديث صادق فيؤيد باليمين وبعضه غير صادق فيترك دون يمين .
الصادق الوقور يكتبني بقول "نعم نعم ولا لا" عالماً ان "ما زاد على ذلك
فهو من الشرير"

ايضاً تعودتم تحليل الانتقام استناداً على النظام الموسوي الذي يقول
"عين بعين وسن بسن" . لكن هذا القول قاعدة العلاقات المدنية الرسمية
لا الشخصية . فانا اجعل لكم تعليماً جديداً اي نزع روح الانتقام من يسيء اليكم .
تنزع الاحكام المدنية الانتقامات الشخصية وتوكل الى الاحكام تربية المذنبين
وردهم . فالاحكام الدينية تمنع الانتقام على قاعدة القول الرسولي "لا تنتقموا
لانفسكم ايها الاحباء ***^(٣) لانه مكتوب لي النعمة انا اجازي يقول الرب"^(٤)
فالتنازل عن حقوقكم الشخصية لمن يقصد ان يسلبها منكم افضل من الخصام
لاجلها

انتم تظنون انه جائز لكم ان تبتعضوا الذي يبغضكم والذي يعاديكم
تعادونه . لكن روح الناموس الداخلي هو روح واطع الناموس الذي يشرق
شمسه وينزل مطره على اعدائه كما على اولاده . فان عاديتهم من عاداكم واحسنتهم
فقط الى الذين يحسنون اليكم لا تكونون افضل من عبدة الاصنام والكفرة .

(١) سيأتي الكلام في ما قاله يسوع عن قلع العين وقطع اليد في قرينه كرر فيها هذا
الكلام مشدداً انظر ف ٢١ (٢) لا يقصد النهي عن الحلف الرسمي الوقور في اظهار
الحق لدى المراكز الرسمية (٣) رو ١٢: ١٩

فلا تقابلوا شراً بشر . ان احسنتم الى من يسيء اليكم تحمدون جذوة العداوة ونظنون لميب البغض^(١) . اتخذوا الكمالات الالهية قاعدة حياتكم فتكونون حقاً (وليس فقط اسماً) اولاداً للآب السماوي . ولكن اعلموا ان كل الوصايا تُحفظ في القلب حفظاً روحياً قبل حفظها حرفياً في الخارج . ولا فحفظها الخارجي لا يُعتبر عند الله

نظام الملكوت الجديد الذي ادخلتكم فيه لا يُبغى الفروض الدينية الموحى بها من الله كالصدقة المتجهة نحو القريب . والصلاة المتجهة نحو الله . والصوم المتجه نحو الذات . لكن يُشترط في هذه الفرائض ان لا تُحفظ على عيون الناس فقط . او تؤخذ وسيلة لاجل الافتخار والتعظيم . ولا كرام الآخرين اياكم . وآلة للرياء الكريه . فان كنتم لا تتصدقون وتصلون وتصومون في الخفاء كعمل لله فقط . وان حفظتم هذه الفرائض لانها مفروضة عليكم من رؤساء الدين وليس تبرعاً لا تحسب عند الله صدقاتكم وصلواتكم واصوامكم الجهارية كشيء . لانكم اذ ذاك لا تكونون الا مرأئين^(٢) . لا تشبهوا بعلي الدين ورؤسائه عندهم . لانهم مراؤون واصطلاحاتهم في هذه الامور فاسدة كنواياهم ومكروهة عند الله . لا تنقادوا الى ضلالة الامم كما قد انقاد رؤساؤكم . فيتوهمون ان مجرد تكرار الصلاة تسرّ الاله الذي يصلون اليه

وبما ان الصلاة هي اهم فرائض الدين فلكي تعرفوا روح الصلاة المقبولة ومضمونها ونسقتها اعطيكم انموذجاً نقيسون به صلاتكم على الدوام . فصلوا

(١) قال يسوع في هذا الصدد "من لطمتك على خدك الايمن فحوّل له الآخر ايضا". رأى البعض صعوبة في تفسير هذه الآية لكن الصعوبة وهمية . يسوع نفسه لما لطمه عند المحاكمة "واحد من الخدام" لم يحوّل الخد الثاني بل وبخ الضارب وقال له "لماذا تضربني" (يو ١٨: ٢٢) القصد في كلام يسوع هو كأنه يقول "فضل ان تحوّل للضارب خدك الثاني من ان تعامله بالمثل" (٢) المرئي في الاصل اليوناني هو الذي يمثل الروايات في المرح . اي انه يتظاهر بهيئة خلاف هيئته الحقيقية لاجل ارضاء الذين ينظرونه ويسمعونه . فالمرئي في الدين هو الذي يتظاهر بالدين على عيون الناس بغير ما هو في قلبه

انتم هكذا "ابانا الذي في السموات ليتقدس اسمك . ليأتي ملكوتك لتكون مشييتك كما في السما كذلك على الارض . خبزنا كفافنا اعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن ايضاً للمذنبين اليانا . ولا تدخلنا في تجربة . لكن نجنا من الشرير . لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد . آمين"

ان امعتم النظر تلاحظون في هذا النموذج المختصر ان روح المصلي يكون روح البنوة لله . لانه يخاطب الله كأب ويعظم المحبة المتبادلة بين هذا الأب السماوي واولاده . ويعظم ايضاً اطاعة هؤلاء له . وانكالم عليه لاجل احبباجانهم على انواعها . ويعظم العلاقة المتبادلة بين اولاده حتى ما يريد المصلي لنفسه يريد للآخرين ايضاً . لان روح البنوة لله يستلزم روح الاخوة للناس . فيصلي المسيحي لا "ابي بل ابانا" . ولا يطلب غفران الأب اياه الا ويقدم لاختوته غفرانه على سيئاتهم لخواه . فاقصد ان اعلمكم جيداً هذه الحقيقة اي ابوية الله للبشر واخوة البشر بعضهم لبعض . لان هذه الحقيقة الجوهرية قد اهلها معلمو الدين ولم يوضحها كما يجب احد في ما مضى

وترون في هذه الصلاة مع روح الدالة البنوية وروح المحبة الاخوية روح العبادة التقوية . وكل ما يعلن الله للناس يعد اسمه ويوقر . لان يومه وكتابه وبيته ورجاله (خدمة الدين) وكنيسته (شعبة المختار) كلها مقدسة بسبب نسبتها اليه تعالى فتوقر . وضعت لكم في هذه الصلاة ذكراً للشرير بطلب النجاة منه . هذا الطلب هو بمثابة اعتراف بقوته العظيمة وسطوته على البشر وبان لا نجاة منه لاحد الا بقوة الهية تنقذهم . واعلنت لكم جلياً في خاتمة هذه الصلاة كما في فاتحتها ان على المصلي ان يقدم امور الله على اموره . لان الله هو الكل وفي الكل . فله وحده الملك والقوة والمجد

اعلمكم في هذه الصورة نسق الاختصار والبساطة في الصلاة . لان روح البنوة والاخوة والعبادة فيها تقضي بذلك . ولكوني لم ادخل بعد على وظيفتي الشفاعية لم اضع اسمي فيها مع انه بعد صعودي تقدّمون صلاتكم الى الأب

باسي . ولم اذكر فيها الروح القدس لانه لم يعط بعد للناس على كيفية
تستطيعون الآن ان تفهموا ما يقال فيه^(١)

واحذركم كل التحذير من حب المال . واذكركم ان كنوز العالم فانية
والباقية هي الكنوز السماوية . فان اكثر الانسان من هذ تعلّق قلبه بالسما
لا بالارض . فبذلك يتسهّل له الصلاح . واما ان ساد في قلبه حب المال
يستحيل عليه ان يحب الله كما يجب . والكثرة في السماء هو ثمر ما يعملّه ويبدله
الانسان في سبيل خير الناس حباً بالله

لانكم نور العالم يستنير بكم غيركم من البشر كما يستنير الجسم بواسطة
العين الصحيحة . فان فقدتم انتم الصلاح كم بالحري يفقد الذين ليس لهم وسائط
الصلاح نظيركم . من جملة الانارة المطلوبة منكم الاتكال التام على الآب
السماوي في امر حاجياتكم الزمنية . عنايته تعالى بمخلوقاته واضحة في طيور السماء
التي ترفرف وتغرّد فوق رؤوسكم وفي الازهار التي تزهر تحت اقدامكم . فكيف
لا يعتني في الذين خلقوا على صورته تعالى وهم اولاده ؟ فان كل ما في الجو
من فوق وكل ما على الارض من اسفل يشهد فعلاً لعنايته تعالى بما قد خلق
وما دام يعتني بادناها كيف يمكن انه يهمل اسمائها الذي وهب الجسد العجيب
لا يغفل بالكسوة الزهيدة والذي وهب الحياة الثمينة لا يتأخر عن تقديم القوت
الرخيص لاجل حفظها . الاهتمام بالحاجيات الجسدية واجب مقدس لا يعني
الانسان منه . لكن الشرط فيه ان يكون خاضعاً للاتكال الحي على عناية الآب
السماوي بحيث لا يكون اهتماماً مضنكاً . وان يكون ثانوياً بعد الاهتمام بالامور
الروحية لاقبلها ولافوقها . ومع ذلك كله فاذا ينفع الانسان اهتمامه منفرداً عن

(١) يو ٢٩: ٧ الاختلاف في حروف هذه الصلاة في بشارة متى عنها في بشارة لوقا
وعدم الإشارة مطلقاً لاستعمالها في الكنيسة الرسولية فيما بعد وكلمة يسوع "صلوا هكذا" هي
اسباب كافية للقول ان يسوع لم يضع هذه الصورة قانوناً حرفياً للصلاة تابعيه بل كانموذج
يوقفون معه صلواتهم

العناية الالهية . فاذا ملجأكم في الدرجة الاولى هذه العناية لا اهتمامكم انتم . وكيف تفوقون على غير المؤمنين ان كان اهتمامكم في الدنيويات كاهتمام هؤلاء؟ فاني انصح لكم اعظم نصيحة عندي واحلاها "اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم"

ثم اوصيكم ان لا تكونوا من الناس الذين يدبنون بعضهم بعضاً . حتى وليس الدين فقط بل الحكمة ايضاً تنهى هذا النهي . لانه على الغالب يُعامل الانسان من الآخرين كما يعاملهم . فالذي يكشف عيوب الناس تكشف الناس عيوبه وهلمّ جراً . الميال الى دينونة الآخرين يكون مدفوعاً من الافتخار والانتقام فيُذم على الامرين . ويرجح انه يظلم في الحالتين . لانه يرى عيوب الآخرين لا كما هي بل مجسمة . ويرى عيوبه هو لا كما هي بل مصغرة . والمعاب لا يصلح مصلحاً للاقل عيباً منه فيصح القول "يا مرأي اخرج اولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً ان تخرج القذى الذي في عين اخيك" اوصيكم بالحكمة والتمييز في مخاطباتكم الدينية لئلا تعرضوا كلامكم على غير جدوى للهز والاحتقار . فتكونون كمن "يعطي قدسه للكلاب وي طرح درره قدام الخنازير" . يجب ان تكون مناسبة بين التعاليم والمقام الذي تقدم فيه واحوال السامعين . واحتق لكم استعداد الآب السماوي لاستماع صلواتكم واستجابتها . ان كان الاب البشري وهو خاطئ لا يتحلى عن طلب اولاده خيراً ويخلص في ما يمنحه كيف يمكن ان يتحلى الآب السماوي الكامل عن تصرفات طالبيه . او يهب غير ما هو خير حقيقي؟ واول ما يريد ان يهبه هو الروح القدس للذين يطلبونه

واسلمكم ايضاً القاعدة المسماة الذهبية التي لا يمكن المبالغة في جمالها ومفعولها فهي تحل جميع العقد الادبية للذين يراعونها . وتلك الحيرات المتنوعة المخصصة بالواجبات الشخصية . وتعني عن الوفاء الوصايا المفصلة لانها تفضل عليها . هذه القاعدة هي "كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم .

لان هذا هو الناموس والانبياء". نعم قد ورد في اقوال القدماء ما يقارب هذا القول ويظن البعض ان هذه القاعدة تكفي لتحيط بالواجب الديني تماماً .
لربما كان زعمهم يصح على فرض انه لا يوجد إله . لكن بما ان الله موجود لا يكون القيام بالواجب نحو الناس الا القسم الاخر في الدين . لان الاعظم هو القيام بالواجب نحو تعالي

اني اضع امامكم طريقين يسير جميع الناس في احدهما . فالاولى ضيقة في بداءتها رحبة في نهايتها . والثانية بالعكس رحبة في بداءتها ثم ضيقة جداً في نهايتها . فانصح لكم ان تختاروا الاولى التي تأتي بالضيق في هذه الدنيا وبالجد في الآخرة . ولا تمتدوا باكثر البشر . لانهم يفعلون بالعكس فيختارون ما هو راحة حالية غاضين النظر عن العذاب الابدي

وانبهكم الى العلاقة بين الشجر والثمر التي تستلزم ان يكون الثمر من جنس الشجر . فاعمال الانسان لا تكون الا تابعة لحالة قلبه الداخلية . يجوز ان يدعي انسان انه نبي مرسل من الله وانه يتكلم بكلام الانبياء . لكن على تنادي الايام لا بد ان تبرهن اعماله صدق مدعاه او كذبه . يجوز ان يلبس الذئب جلد الحمل . لكنه لا يستطيع ان يفعل افعال الحمل . بل لا بد ان تثمر طبيعته في اعماله . ولا بد ايضاً من النطق والالتقاء في النار لكل من ثمره ردي . ولا يوقف هذا القطع احتجاج الذين يتسترون تحت ثوب الرياء متظاهرين بالتدين ومتكلمين على حسناتهم الخارجية مع اهلهم الوصايا الالهية التي لا تروق لهم او التي تخالف اغراضهم . قد يكونون من الذين تنبأوا باسي وصنعوا قوات كثيرة حتى اخراج الشياطين باسي وهم يعترفون بي بافواههم وينادونني "يا رب يا رب" لكنهم لم يفعلوا ارادة ابي الذي في السموات . فساوجب على استنجادهم في يوم الدين "اني لم اعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الائم"

وفي الختام اقدم لكم تشبيهاً مفيداً جداً . لان الذي يعرف مشيئة الله ويعملها يشبه بالذي يضع اساس بيته على الصخر . والذي يعرف ولا يعمل بالذي

يبني بيته على اساس رملي بجانب مجرى ماء . فما دام الجو صافياً والرياح ساكنة يظهر ان هذا الاخير هو الحكيم لانه سلك من مشقة الحفر ونفقاته . فيهنى نفسه ويهنئ الآخرون . ولكن صفاء الجو وسكون الريح لا يدومان الى الابد . فمتى جاء النوء يظهر جلياً ان كان الحكيم واي يسلم بناؤه . الذي يعرف ولا يعمل يتلذذ حالياً بملذات الدنيا ويجنب المصاعب في سبيل البر . لكن متى هبت ارياح يوم الدين وتزل مطر الغضب الالهى وجاءت انهار عذاب الضمير وحدث سيل ارسال الخطاة الى مكانهم في الهلاك " وصدم كل ذلك هذا الشخص يستطع حالاً ويكوك خرابه عظيماً . بينما الاول لا يستطع حتى " ولا يتزعزع لانه مؤسس على صخر

لا عجب انه " لما اكمل يسوع هذه الاقوال بهتت الجموع من تعليمه . لانه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة " . كل من يتأمل بدقة واخلص في نظام الملكوت الروحي هذا وفي قوة المطالبات الالهية من الانسان يئأس من استطاعته ان يحفظ هذا الناموس ويؤدي هذه المطالبات . هذا اليأس هو الخطوة الاولى في الخلاص . لانه يحول الانسان عن الاتكال الباطل على الخلاص بالاعمال . ويقوده بقوة الى المخلص الوحيد الذي جعل الايمان الهى الحقيقى به شرط الخلاص الكافى والوحيد

الفصل الحادي والعشرون

(مت ٥: ٨ - ١٢ و ٢: ١١ - ٢٠ لو ١: ٨ - ٢٥)

(المرصع) ف ١٢ (الزمان) صيف السنة ٢٨م
(المكان) كفرناحوم . نابين . الجليل

ابراؤهُ غلام قائد المئة . اصول للشفاعة . يأتون من المشرق والمغرب . اقامة ابن
ارملة نابين . اصطلاحات اليهود في المآثم . ارسالية المعمدان الاخيرة . الشكوك في
الدين . جواب يسوع بالافعال لا بالاقوال . تعظيم يسوع المعمدان .
نويجة المدن الثلاث . دعوة المتعيين

كنا نتوقع ان يطلب يسوع الاعتزال قليلاً لاجل الاستراحة بعد صلاة
استغرقت الليل ووعظ استغرق النهار وعمل استغرق اعظم قوى العقل
والروح . وهو اختيار الاثني عشر رسولاً . ثم الفاء العظة الوافية التي لخصناها .
لكنه لا يعرف الكلل ولا يعتريه الملل في خدمة البشر . قال انه اتى ليجد
لا ليجد . وهو الوحيد الذي لم يخالف فعله قوله مطلقاً . قال فيه سامعوه
انه تكلم كمن له سلطان . وقول السلطان يتبعه فعل السلطان . لم يتو وعظة
الأ وتجددت معجزاته . دخل مدينة كفرناحوم مرافقاً بمجموع كثيرة . فاستقبله
وفد من معتبري اليهود من اصحاب الوظائف الدينية " يطلبون اليه
باجتهاد " بالنيابة عن المحاكم العسكري ان يشفي عبك المريض المطروح
" منلوجاً متعذباً جداً ومشرفاً على الموت . وكان عزيزاً عندك " . سماء غلامه وهي
كلمة تستعمل في اليونانية عن الابن ايضاً . من كلامه واهتمامه بعبك عرفنا مزاي

هذا الجندي الشريفة . لان في ذلك الزمان كان العبد محقرًا مهانًا الى درجة
قصوى عند أغلب الاسياد

كان ظن هذا القائد الروماني معقولاً ان يسوع المعلم اليهودي ينتقد
الى طلب رؤساء ملتو في المدينة . فاستنجد بهم . وبذلك ظهر ان علاقة هؤلاء
مع يسوع كانت لا تزال حسنة بخلاف الامر مع زملائهم في اليهودية . فامتثل
الرؤساء طلب هذا القائد بناءً على حسن علاقاتهم معه ايضاً . فتمكن من
ملازمة غلامه في اشد ساعات الخطر . لما حضر وفدهم امام يسوع قالوا له
عن الذي كلهم للانابة عنه " بنى لنا المجمع ويجب امتنا ويستحق ان يفعل له
هذا " (١) . لا يلام هذا الوثني على ظنه بانه يحتاج الى شفعاء لدى يسوع لاجل
تحقيق آماله . لم يكن يعلم ان يسوع اعرف جداً من هؤلاء الشفعاء به
وبغلامه وبكل ظروفهما . ولا علم ان محبة هؤلاء له ليست الا جزءاً لا يذكر
من محبة يسوع له . ولذلك لم يعلم ان مداخلة هؤلاء الشفعاء كانت فضولية
تماماً . وفي يومنا هذا ليس من ملاك او قديس ان كان على الارض او في
السماء اعرف بنا او اقرب الينا او احنّ نحونا من يسوع المسيح ذاته لكي
يصلح شفيعاً بدلاً من يسوع . او لكي يعينه في الشفاعة بنا (٢) . ومنزلة
يسوع المسيح عند الآب السماوي الذي عينه شفيعاً وحيداً وكافياً لا تترك
مجالاً لغيره ليجلس بجانبه او يشاركه في الشفاعة (٣)

(١) يظن ان آثار هذا المجمع اكتشفت حديثاً في حفريات تلحوم . فهي من الرخام الابيض
ومزينة بالنقوش . اما تعريف هذا البناء بأل فيدل على التفوق لان المظنون ان مدينة
نظير كفرناحوم لا تقتصر على مجمع واحد ما دام ورد في اخبارهم انه كان في اورشليم ٤٠٠
مجمع . قول لوقا انه فحص بتدقيق وعلما انه كتب تاريخياً أكثر من متى يجعلنا نتبع قول
لوقا وننسب الى كلام متى المعنى الاستعاري اي ان مجيء الوفد بعد كبحي الرجل . رأينا
مثال ذلك في بشارة يوحنا لانه يقول مرة ان يسوع كان يُعبد ثم يقول صريحاً ان يسوع
لم يكن يُعبد بل تلاميذه (يوحنا ٢٢: ٢٤ مع ٢٤: ٢) شفاعته يسوع عند الآب تُبنى
على ما انفرد فيه عن سائر البشر من عمل الفداء الكفاري (٣) ١ تي ٥: ٢

الذين يستشفعون ملائكة أو قديسين لا يتجهون الى ان ما في اقدس
القديسين واعظمهم من اللطف والاشفاق وحب الانسانية والعطف على
البؤساء ليس الا قطرة فقط مما في يسوع من هذه العواطف الشريفة . فهم
كالذين يطلبون ان يستضيئوا بسراج في رابعة النهار

ولا يتجهون الى ان بعد هؤلاء الذين يستشفعونهم عنهم هو كبعد السماء
عن الارض بينما يسوع هو الذي قال صدقاً "ها أنا معكم كل الايام الى
انتضاء الدهر"^(١) . فهم كالذين يصرخون لشخص بعيد جداً عنهم ليكلم شخصاً
آخر بجانبهم ماسكاً بيدهم ومتبسماً بوجههم

ولا يتجهون الى عجز هؤلاء القديسين عن معرفة اسرارهم وظروفهم
ومطالبهم مع علم يسوع التام بهذه كلها . فهم كالذين يلجأون في اشد الامراض
ألمًا وخطراً الى تلميذ طي في بلدة بعيدة بينما استاذ هذا التلميذ وهو امهر الاطباء
في العالم واشهرهم جالس بجانب سرير العليل

لا يتجهون الى البون الشاسع بين مقام هؤلاء القديسين حتى اعظمهم
وبين وحيد الآب الذي اتاه ذلك الصوت من السماء قائلاً "انت ابني
الحبيب الذي به سررت" . فهم كالذين وهم في محضر الملك بدعوة حبية منه
ينادون الحارس على الباب ليستعطف الملك لاجلهم

لا يتجهون الى ان ليس قديس من القديسين قد اعطى برهاناً لحبه اياهم
او سألهم عنهم بينما يسوع قد جاء من السماء وتأنس وعلم وخدم وتألم واحتمل
ومات وقام وصعد الى السماء وجلس عن يمين الله لمشفع في المؤمنين . وكل
ذلك حباً لهم . فهم كالولد الذي في الشدائد والمخاطر يجيد عن أم جامعة
في شخصها كل الكمالات وقد احتملت في تربيتها اعظم المشقات لتمسك بخادمة
البيت بدلاً عنها . يجوز ان يؤخذ رفض يسوع تداخل والدته وقت عرس
قانا الجليل شاهداً مؤثراً لهذه الحقيقة المتعلقة باستشفاع القديسين في امور

الدين . وبذلك أعلم الناس في كل الاجيال ان لا نعمل ولا حاجة الى هذا الاستشفاع .

كان المرضى يحملون اعنيادياً الى محل وجود يسوع . اما في هذا الحادث وافق يسوع الناس على عوائدهم في تمييز كبار القوم . فرضي ان يعامل هذا القائد معاملة ممتازة ولا سيما لانه امي وغريب الوطن . فتوجه مع هؤلاء المعتبرين الى بيت العليل . لكن المخبرون باقترايه سبقوه . فكلف صاحب البيت بعض الاصدقاء الملازمين للاقوا يسوع ويظهروا له احتراماته القلبية وايمانه بمقدرته . وان يغوبوا عنه بالقول " يا سيد لا تعجب . لاني لست مستحقاً ان تدخل تحت سقفي . لذلك لم احسب ذاتي اهلاً ان آتي اليك . لكن قل كلمة فقط فيبراً غلامي " . قوله بتواضع واخلص " لست احسب نفسي اهلاً " هو افضل برهان لاهليته ^(١) . نغني الاستحقاق الذاتي هو المقدمة الضرورية لكل من يطلب معونة يسوع وخالصه

يظهر ان هذا الرجل ظن ان يسوع يفعل معه كما فعل مع مواطنيه ورصينه خادم الملك من عهد نحو سنة ونصف فيشفي غلامه عن بعد بكلمة ^(٢) . وتيقن ان ليسوع ذات السلطة على الطبيعة والامراض التي له هو على انقار الجند والخدم الذين تحت امره والتي لا مريه عليه ايضاً . فاستعار هذا التشبيه الجميل الدال على شهامته وحذقه . يذكر ليسوع التعجب مرتان فقط . تعجب مرة من عدم الايمان ^(٣) . وتعجب الآن من عظم الايمان والحكمة والتواضع واللباقة في هذا الوثني . فالتفت الى الجمع الذي يتبعه وقال " الحق اقول لكم لم اجد ولا في اسرائيل ايماناً بمقدار هذا " . ولم يبال بما قد يحدثه هذا

(١) نفى عن نفسه قول الشيوخ انه مستحق ولعله ان اليهودي يتجسس ان دخل بيت وثني قصد ان يرج يسوع من هذا المخطور (٢) انظر ف ٩ قد نوه البعض ان قصة خادم الملك في يوحنا وقصة قائد المئة في متى ولوقا روايتان لحادث واحد . لكن لان النواصل اكثر من الجوامع نعتبرها حادثتين مستقلتين (٣) مر ٦ : ٦ (ف ٢٥)

من الانبياء في سامعيه من اليهود . ثم صرّح بان القبول عند الله لا يتوقف على الاصل . قال " اقول لكم ان كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب ويتكثرون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات . واما بنو الملكوت فيطرحون خارجاً الى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الاسنان " (١) . في هذه المرة ايضاً اعطى برهاناً واضحاً على كونه ليس مولود عصره ولا اثر الجنس البشري المجرد . لان افكاره مستقلة تماماً عن الآراء السائدة بين قومه وفي زمانه بل مضادة لها على خط مستقيم . وفي نفيه كفاءة الاصل اليهودي حجة للقبول عند الله

ثم ارسل جوابه للقائد دون ان يدخل بيته . قائلاً " كما آمنت ليكن لك " . " فبراً غلامه في تلك الساعة . ورجع المرسلون الى البيت فوجدوا العبد المريض قد صح " . فرح يسوع لرؤيته في هذا الجندي الروماني باكورة الوثنيين (٢) الذين سوف يؤمنون بالذي رفضته أمته الخاصة . وليس انها رفضته فقط زمان ظهوره وجولانه في اراضيها بل لاتزال مصرّة على رفضه الى الآن بعد ان صار ثلث العالم يجاهر بالايان به ويفتخر بان يسمي باسمه . وفي اليوم التالي سافر يسوع من مدينته الى جهة الجنوب ماراً بسفح جبل الطور . ثم مرّ بمدينة عين دور التي تذكره وتلاميذ بالحادثة الغريبة التي جرت فيها قديماً في ايام شاول بن قيس ملك اسرائيل الاول (٣) . وبعد سفر يوم طويل اقترب من مدينة نابين (٤) . واذا ملاك الموت قد ساق جمهور المدينة لملاقاة الجمهور التابع رب الحياة . لان الخارجين من نابين كانوا يحملون على نعش جثة شابٍ وحيد لأمه وهي ارملة . لا يُصوّر حزن مفرط

(١) يشار في عبارة الاتكاء مع ابراهيم واسحق ويعقوب الى التقاليد اليهودية التي كانت تقول ان المسيح متى جاء يصنع وليمة عظيمة لشعب اسرائيل يحضرها الآباء والانبياء الاقدمون ولا يقبل فيها الا اولاد ابراهيم حسب الجسد (٢) لان المرأة السامرية ومواطنيها لم يكونوا وثنيين تماماً (٣) اضم ٧:٢٨ (٤) هي الآن قرية حقيرة فقيرة بقرب جبل الطور

كحزن أم هذه احوالها. لذلك تحرك لحزنها كل سكان المدينة وخرجوا معها ليدفنوا وحيدها على رجاء القيامة. فالتقوا بذلك الذي هو القيامة والحياة. ذاك الذي من امامه يهرب ليس الموت فقط بل ايضاً الذي له سلطان الموت اي ابليس^(١)

يمكن ان نشخص هذا الروح الشرير راكباً على النعش وهو غير منظور منفحراً باقتضاره في افتراسه هذا الشاب. وان نتصور حمته عند رؤيته من بعيد قدوم جمهور عظيم متقاداً الى خصمه الخصوصي يسوع الذي انتصر عليه في كل عراك معه حتى الآن. ألم يصراً باستنائه بغيظ عقيم في الماضي كلما طرد يسوع شيطاناً من مصاب؟ ولربما طمان ذاته في هذا الحادث الجديد بناء على كون يسوع لم يخطف منه الى الآن فريسة الموت. فهو لا يزال منتصراً في هذا الباب

كانت المأساة في المآتم من اقدس الواجبات عند اليهود وتُثيب من يارسها. وحسب اصطلاح ذلك الوقت كان على يسوع والجمهور الذي معه ان يفسحوا لمرور موكب الدفن ثم ينضمون اليه. لكن يسوع صادم هذا الموكب وواقفة^(٢). وبما اننا نعلم ان بكاء اهل الميت ومن معهم يعجده ويقوى كلما التقوا باشخاص آخرين. فبملتقى هذين الجمهورين تحدث مناظر واصوات مؤثرة جداً. فلما رأى الرب هذه المسكينة تحزن عليها وقال لها لا تبكي. ولم يطلب منها الكف عن البكاء كأمر ممنوع او مستفجع. لان الدموع من العطايا الالهية. وقد تكون بركة عظيمة. ففي الظروف الموجبة اليها تفرج ألم الاحزان وتحمد نيرانها. واي شيء اشرف من الدموع التي تسيل حباً للغير والعبرات التي يذرفها الانسان على معاصيه وذنوبه وزلاته؟ والحق

(١) عب ١٤:٢ (٢) كان الاصطلاح في الجليل ان النساء يمشين قدام النعش

بناء على كون المرأة قد ادخلت الى العالم المخطيئة التي تهيئها الموت

انه يبكي على الذي لا يبكي بكاءً رزيناً معتدلاً عند وقوع ما يُوجب البكاء .
وقصد يسوع ايقاف بكاء هذه الارملة باعطائه اياها سبيلاً كافياً لذلك . "فتمدّم
ولمس النعش فوقف الحاملون" . قدّس لمس يسوع نعشاً كان يُجسّ كل
من يلمسه . وامتلكت هيبة يسوع كبار هولاء القوم مع صغارهم فخصعوا ووقفوا
الموكب بانتظار ما يريدُ هو

كان قد أعلن موت هذا الشاب في نابين بصوت البوق^(١) . اما الآن
وعلى هذا الطريق سسمع صوت الذي قال امساً على مسمع من الرؤساء
والجمهور في اورشليم "الحق اقول لكم انه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع
الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون"^(٢) . الآن يُثبت قوله الغريب
بنعله العجيب . فنادى الميت بقوله "أيها الشاب لك اقول قم" . كالصاعقة
وقع هذا الصوت على السامعين . نعم قد سمعوا هذا المعلم ينتهر الارواح النجسة
فتخضع لصوته ورأوه عند ما امر الامراض ان تولي فولّت . وسمعه تلاميذه ينتهر
النوء فاطاع . لكنهم لم يتصوّروا قط او يحلموا ان هذا الصوت يُطرح على
ارواح ولّت الى الابدية . فترجع الى قيودها الجسدية بعد تحريرها منها وعلى
جنة خامدة فتعود الى الحياة . اعلتهم نوارنجهم بقيامة بعض الموتى في القديم
بواسطة الانبياء العظام . ولكن ذلك بعد مصارعة قوية بالصلاة لله واستعمال
وسائط دلّت على صعوبة كلية في الامر . وكانوا يحرون ذلك في السر كأنهم
يخشون الفشل . ثم ان تسعماية سنة قد مرّت على الشعب المختار دون تجديد
حوادث القيامة . فلا يخطر مطلقاً على بال الجمهور ان ذلك يُعاد امام
عيونهم . ولكن هنا انسان يكلم الموت بصوت سلطان . وبأمر لا كالانبياء
بصوت عبد يستغيث . فاي تجاسر هذا بل اي كفر بل اي جنون ؟
لكن الحكم يكون للنتيجة . فها "جلس الشاب وابتدأ يتكلم" . ما اعظم

(١) كان يستعمل عند اليهود البوق كالجرس الآن عند المسيحيين

(٢) يو ٥: ٢٥

دهشة هو لما فتح عينيه ورأى ذاته على محمل محاطاً بمجهور من النائحين ورأى
 كآبة الوالدة التي هو وحيدها! ولما طرق اذنيه صوت الرثاء والنحيب واسم
 موضوع ذلك! ثم كم زاد عجزه لما رأى رجلاً غريباً واقفاً بجانبه لاسماً نعشه!
 رجلاً ظاهرة على محباه امارات الذكاء المفرط والرزانة النادرة مع الطهارة
 السماوية واللفظ يتدفق منه كالنهر من ينبوعه. كنا نشتهي ان نعلم ماذا
 حفظه هذا الشاب عند رجوعه من عالم الاموات مما رآه وسمعه في الهاوية التي
 نزل اليها وقضى فيها تلك الاوقات

لم يقصد يسوع ازالة الموت من العالم. هذا الحكم الالهي لا يلغى ولو توقف
 احياناً. ولا قصد ادهاش القوم واظهار سلطانه. بل كان مدفوعاً لصنع هذه
 المعجزة من حنانه على هذه المسكينة. ان من اعمال ابليس العداية ليس فقط
 اسقاط البشر تحت حكم الموت بل ايضاً تشييع بنايع الخنا والاشفاق.
 فكانت رافة يسوع نحو هذه المسكينة نقضاً مهماً لاعمال ابليس. وحالما عاد ابنها
 الى الحياة دفعة الى امه. كأنه يقول لها بهذا الفعل "ترين الآن لماذا نهيتك
 عن البكاء". فاللطف والاشفاق مزيتان لا تنفصلان عن كل تلميذ حقيقي
 ليسوع قد تعلم منه ويقصد ان يسلك في خطواته. وروح المسيح نطق في
 رسوله في الوصية "فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين" (١)

رأينا خادماً للملك في كفرناحوم يؤمن هو واهل بيته بتأثير شفاء يسوع
 ابنه من مرض خطر. فلا تستبعد ذات النتيجة في الارملة وابنها. بل تتصور
 انها اصبحا شاهدين امينين ليسوع المخلص وخميرة الايمان في مدينة نايين التي
 على رغم حقارتها قد اصبحت شهيرة بسببها. وهذا الحادث الخطير ضاعف
 صيت يسوع الطائر في البلاد. فكانت النتيجة حسب قول البشير ان "اخذ
 الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه.
 وخرج هذا الخبر عنه في كل اليهودية وفي جميع الكورة المحيطة" (٢)

كان يوحنا المعدادن لا يزال منذ أكثر من سنة سجيناً في قلعة مخبروس^(١).
الآن حبسه لم يمنع تردّد تلاميذه عليه. فأخبروه بمعجزات يسوع المتكاثرة.
ولاسيما باعجيبها وأجدّها اقامة الشاب الميت. أخبروه أيضاً كيف تتبع الجماهير
يسوع وتدهش لاقواله وافعاله. قد يرهن المعدادن في الماضي عظم اعتباره
وثقة حبه ليسوع. وقدم له خدمة عظيمة جداً ومتنوعة فهو لا يرتاب في حب
يسوع له. والآن لا يقدر أن يرتاب في قدرته الفائقة. فكيف لا يسأل
يسوع عنه في سجنه هذه الاشهر الطويلة؟ أليس المسيح الموعود به نصير
المظلوم فاي ظلم افزع من الذي اصابه ليس فقط على رغم صلاحه بل بسبب
صلاحه وغيرته على الصلاح؟ فكيف لا يمد له نسيبه وحبيبه بعد خدّ ماته له
يكُ القديرة لينشله من هذا الضيق والخطر ولو اقتضى لذلك معجزة؟

لو كان يوحنا كسائر معاصريه منتظراً أن يكون ملكوت المسيح زمنياً
محاطاً بالمجد وكافلاً للنجاح العالمي لكل الداخلين فيه لا بدّ من سؤاله "ابن هذا
الملكوت الذي بشرت انا باقترابه؟" وابن صفات المحبة والرافة والغيرة على
من له التي ينتظر ظهورها في المسيح ملك هذا الملكوت؟ ثم ان المعدادن قد يرتاب
بعض الريب في شأن يسوع لخالفته اساليب الحياة التقشفية التي اتخذها هو
لنفسه قانوناً اقتداءً بأسلافه الانبياء. فادام المعدادن بشراً تحت السقوط لا عجب
استولى عليه الشك والفنوط احياناً في مرارة ظروفه المتغيرة وبعد كل ما
كان له قبل هذه السنة من الحرية والسطوة والعظمة. ويصعب جداً على
رجل في عزّ قوته ان يقيد بلا عمل عقيب سنين كلها عمل بهمة ونشاط. ففي
ذات يوم خار عزمه وفرغ صبره. فارسل اثنين من تلاميذه الامناء الى يسوع
ليسألوه ان كان هو حقاً المسيح الموعود به او ان المسيح الحقيقي سيأتي بعد
نستنتج من خطة يسوع^(٢) ان سؤال المعدادن نتج عن شكوك حقيقية
يلام عليها بالنظر الى كل ما كان قد رآه وسمعه وشهد به في برية الاردن.

(١) في بيرية (٢) ولا سيما قوله للرسولين "طوبى لمن لا يعثر في"

فتكون هن زلة وان كانت وحيه ذكرت لرجل الله هذا العظيم كما ذكر لغيره من الانبياء والرسل زلات. لكن "الصديق يسقط سبع مرات ويقوم" (١) فشكوك الممعدان ساقته الى يسوع لا الى تركه. يوجد احياناً تظاهر ريباني بالشكوك الدينية بدافع غفوان الادعاء او لاجل غايات نفسانية مع كون المظاهرين بها لا يعتقدون بصحة احتجاجاتهم. دينونة هؤلاء ظاهرة. وثمّ لا احياناً شكوك ليست ريبانية لكنها ناتجة عن تمسك اصحابها بما ينهي الدين عنه. فشرّ هذه ظاهرة ايضاً. لا يمكن اهتداء هؤلاء الى الحقيقة ما لم يتركوا اولاً تشبههم بالمنكرات سواء كانت علنية او خفية

اما الشكوك الناتجة عن قلة المعرفة فقط فالامل قوي بزوالها بواسطة الدرس والسؤال وطلب الهداية الالهية وعمل الواجب الحاضر في حينه بكل امانة واخلاص. والشكوك نظير شكوك الممعدان التي هي مزيج من الحجة والغيرة والتواضع مع شيء من الخوف والميل الطبيعي الى القنوط فانها تقارب الفضيلة. ولا بد من ان تكون نتيجة اخيراً انتشاع غيوم الشكوك وبزوغ شمس اليقين التام

زعم البعض ان الممعدان لم يشك بل قصد ان يأخذ رسوله من يسوع جواباً متنعاً لهم على هذا السؤال الجوهري يفيد سائر تلاميذه. على هذا الفرض نرى في اهتمام الممعدان هذا في آخر خدمته وهو اسير ما رأيناه في اول خدمته وهو حرّ في اوج النجاح اي السعي الحثيث الجدي في هدي الناس الى ذاك الاعظم منه الذي اتى بعد

شاء الآب في حكمته وحيه ان يموت الممعدان شهيداً اذ بذلك يحصل على مجد مضاعف في ابدية ويعطي كنيسة المسيح مثالا مؤثراً للجرأة الدينية التي لا تنهاب انساناً ولو ملكاً في اتباع الاوامر الالهية. ومثالا للجماعة بالدين الحق ومبادئه. فلم يقُد الروح الالهى يسوع لينقذ الممعدان من ضيقه

فَضَّلَ يسوع ان يجيب على سَوَّال المَعْدان بالافعال قبل الاقوال
 ”ففي تلك الساعة شفى كثيرين من امراض وادواء وارواح شريرة ووهب
 البصر لعميان كثيرين“ (١) وبعد هذا البرهان النظري الوافي بانه المسيح
 افهم الرسل ان يُبلِّغوا مرسلها الكريم خبر ما رآياه وسمعه من معجزاته
 وتعاليمه. خصَّ بالذكر علامة روحية هي ان شخصاً قد احرز شهرة وظهر
 سلطاناً بهذا المقدار ثم يعتني بتبشير المساكين لا يمكن الا ان يكون المسيح. ألم
 يعطى النبي العظيم هذه العلامة في قوله ”يزداد البائسون فرحاً بالرب ويهتف
 مساكين الناس بقُدوس اسرائيل“ (٢) وايضاً الرب مسخى لأبشر
 المساكين“ (٣)

اعلن يسوع في اسلوب جوابه اهمية العمل كالبرهان القاطع لمزايا الشخص.
 فان كان هو المسيح حقاً يتضح ذلك من اعماله أكثر من اقواله. ولكن لئلا
 يؤخذ سكوتة ثم كيفية جوابه ثم تخليه عن انتقاد المَعْدان دليلاً على عدم اعتباره
 لهذا الشهم الغيور المعتبر عند الشعب انه من انبياء الله اسرع فبالغ في مدحه
 حالما انصرف رسولا المَعْدان راجعين اليه. لم يشاء ان يبلغ مدحاً هذا آذان
 المَعْدان لئلا يظن انه فقط من باب التعزية او الترضية او التمايق. ولان
 المدح في غياب المدوح تكون قيمة مضاعفة

ذكر الجمهور بايام معظم نجاح المَعْدان حين كان بعض سامعيه بين
 الجماهير المتناطرة اليه في البرية تاركين الاوطان والاشغال وطالبيين ان
 يسمعه ويعتقدوا منه (٤) سألهم هل وجدوه آتئذ رجلاً متقلباً تزعره المخاوف

(١) لوقا الطيب المدقق يذكر الادواء ثم الارواح الشريرة على حدة كأن هذه ليست
 كما يزعم البعض مجرد داء صحي كالجنون او ”النقطة“ (٢) اش ٢٩: ١٩
 (٣) اش ٦١: ١ ينسب البعض ان يوحنا قصد بارسالته تحسيس يسوع لينفذ من سجنه
 لكن المَعْدان يترفع عن ارسال سؤال كهذا على سبيل حيلة لاجل هذه الغاية
 (٤) مت ٥: ٣ ومر ٥: ١

او المطامع فيشبه بقصة تحركها الريح فيعذرون في عدم قبولهم تعليمه اليس في ثباته وعزمه وحزمه سبب وجوده في ذلك السجن الخفيف؟ اذا لا يجوز اتخاذ سؤاله بواسطة رسوليهِ اساساً للحكم بانه رجل ضعيف ومتقلب
سألهم ايضاً ان كانوا وجدوه رجلاً محباً للذات يطلب التمتع والرفاه حتى يروا بين كلامه وسلوكه تناقضاً يعذر من لا يتبع ارشاداته. ألم يجدوا بخلاف ذلك انه سالك في منتهى انكار الذات والانصباب على خدمة الله بواسطة خدمة البشر؟

فان اعتبروه نبياً فقد اصابوا العلم. لكنه ايضاً اعظم من نبي. لان لاموسى بتسليمه الشريعة للشعب بعد اخراجهم من عبودية مصر ولا ايليا بمقاومته عبادة البعل وصنعه المعجزات المدهشة ولا داود برعايته شعب اسرائيل كملك اربعين سنة واعطائه العالم مزاميره الشهيرة قد خدموا العالم خدمة جوهرية كخدمة المجدان لما هيا الطريق للمسيح الموعود به ثم دلّ الناس عليه

ان صحّ قول من كتب "الخلق عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله" يكون المجدان من احب الناس اليه تعالى. وتؤيد ذلك شهادة يسوع اذ قال "الحق اقول لكم انه بين المولودين من النساء ليس نبي اعظم من يوحنا المجدان" وفي ثمة قوله "ولكن الاصغر في ملكوت السموات اعظم منه" ما يصعب الجزم في تفسيره. ولا نرى تفسيراً اقرب من ان ادنى مركز في العهد الجديد يعدّ حظاً اعظم من ارفع مركز في العهد القديم

ثم ونج يسوع الرؤساء لانهم من الناس الذين يصحّ فيهم القول ان "الاولين يكونون آخرين". فبدلاً من ان يكونوا في مقدمة المستفيدين من خدمة المجدان في الوعظ والتعميد بسبب معارفهم ووظيفتهم "رفضوا مشورة الله من جهة انفسهم غير معتمدين منه". بينما العشارون المحقرّون "برروا الله معتمدين بمهودية يوحنا". اظهر لهم ان الدخول في ملكوته لا يكون

دون صعوبة . وإن الممدان هو ايليا المزمع ان يأتي ^(١) . وإن اعتذارهم لعدم انقيادهم الى هذا النبي العظيم مخالف لاعتذارهم لرفضهم الانضمام اليه . ^(٢)
انتقد رؤساء اليهود الممدان لاتباعه عن الناس ولاختياره المعيشة التقشفية قائلين ان "به شيطان" فرفضوه . ثم انتقدوا يسوع لاقترابه من الناس واختياره المعيشة الطبيعية مشتركاً معهم في افراحهم واتراحهم . فقالوا عنه "هوذا انسان آكل وشرب خمر محب للعشارين والخطاة" فرفضوه ايضاً .
واثبتوا بذلك على ذواتهم عدم الاخلاص والاستقامة في المحبين . وأوضحوا انه لا يؤمل ظهور الحكمة الحقيقية وتركيتها الا في اهلها الحقيقيين

مع دينونته الرؤساء لان خطيئتهم تزيد بسبب وسائط المعرفة والتقوى .
الجاهزة لديهم "ونج المدن التي صنعت فيها اكثر قواته لانها لم تسب" . ونعلم من تاريخ الانجيل انه صنع في كفرناحوم وطنه الجديد قوات اكثر من غيرها . لكن اشرك معها جارتها كورزين ^(٣) التي لا ذكر آخر لها مطلقاً في الكتاب .
وبيت صيدا ^(٤) التي لم يذكر الانجيل آية واحدة صنعها فيها . فالتى يقول الآن انه صنعها في هاتين المدينتين ولم يرد ذكرها في من جملة الكثير المتروك المشار اليه في قول البشير يوحنا ^(٥)

الانسان الذي تتوفر لديه وسائط التقدم الديني لا يطوب ما لم تفعل فيه فعلها المطلوب . فان لم تفعله تكون هذه الوسائط سبباً لدينونة مخيفة اكثر بالنسبة الى الذين ليس لهم وسائط نظيره . يبرهن الاختبار ايضاً ان هذه الوسائط تسبب في قلوب الذين يستهينون بها ازدياد قساوة القلب فوق الذين لم يحصلوا عليها . قدّم يسوع شاهداً على ذلك اشرّ مدن العالم واقبحها

(١) ملا ٤: ٥ (٢) نجد في كل الاجيال ان الذين يبحثون ضد الحقائق الدينية ينتقلون من احتجاج الى عكس (٣) توجد قرية قديمة في تلك الناحية تسمى كرازة يظن انها بقية كورزين التي يخبر القديس ابرونيوس عن خرابها قبل سنة ٤٠٠ ب م
(٤) انظر ف ٩ (٥) يوا ٢١: ٢٥

أتذ في عباداتها الوثنية وتصرفاتها الفاسدة . قابلها ومع هذه المدن الثلاث اليهودية التي صنع فيها أكثر قواته . قال انه لو صنعت في صور وصيدا الفينيقيتين وسدوم الكنعانية الآيات المصنوعة في كفرناحوم وبيت صيدا وكورزين لظهر تأثيرها في اهالي تلك المدن القديمة الوثنية ولقد مواتوبة "بالمسوح والرماد" . كما كان قد ميز كفرناحوم في الوسائط ميزها ايضاً في الدينونة "انت المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية" . ففي يوم الدين "يكون لاشهر مدن العالم الوثني حالة أكثر احتمالاً" مما لمدن شعب الله الخاص التي لا تنوب

انتقل يسوع بعد ذلك من مكالمة الناس الى مكالمة الله (١) . ثم من كلام الدينونة الى كلام الحنان الفائق . صلاته الوجيزة في هذه الساعة كانت شكراً لله لانه قد اختار ان يمجده باسمه بواسطة الصغار والمحقرين لا الكبار والمعتبرين . الادعاء هو آفة العلماء ويغلق في وجههم الباب الموصل الى المعارف الروحية . حتى قال الرسول صدقاً "ليس كثيرون حكماء حسب الجسد *** بل اختار الله جهال العالم لينزي الحكماء" (٢) . وبعد صلاته نطق بما لا يصح للمجرد بشر ان ينطق به . قال "كل شيء قد دفع الي من ابي وليس احد يعرف الابن الا الاب ولا احد يعرف الاب الا الابن ومن اراد الابن ان يعلن له" . هو قد اتى من السماء جاعلاً غرضه الخصوصي اعلان الاب للبشر ولا واسطة لبشر ليعرف الله الا بنظره الى ابن الله الوحيد الذي خبر (٣) يضطر احياناً الطبيب ولا سيما الجراح الى علاجات عنيفة ومؤلمة . لكنه

(١) هذه هي المرة الوحيدة التي فيها خاطب الاب بالتخيم "كرب السماء والارض" . لانه في غير هذه الصلاة كان يقتصر على الخطاب البسيط "ابا الاب"

(٢) ١ كور ١: ٢٦ و ٢٧ نقرأ في كتابات اليهود انهم كانوا يقولون في عيد الفصح في عبادتهم "نحن جميعاً حكماء وكلنا نعرف الناموس" لم يتجهوا الى قول المزور "من افواه الاطفال اسست حمداً" (مز ٨: ٢) (٣) يو ١: ١٨

يسوع في تسكين الألم وتقديم المليّنات التي ترجح الجسم بعد الانزعاج .
 فيكون اجتماع العنف والعطف فيه برهان كماله في حرفته . فمن بينات كمال
 يسوع الادبي اجتماع هذين الضدين كل في محله . يرى فيه منتهى العنف
 في الظروف الموجبة لذلك . ومنتهى العطف في الظروف المؤذنة بذلك .
 يذكرنا بقول الرسول " هوذا لطف الله وصراسته " (١) . فبعد عباراته المؤلمة
 التي كان مضطراً اليها ولا يتلفظ بها إلا متألماً في استعمالها غير تماماً لهجته وقال
 قوله الشهير في منتهى الطلاوة والتأثير . هاجت فيه عاطفة الاشفاق على
 سامعيه المتغلبين بمعب خطايا مخيفة نورطهم في اليأس والحاملين ايضاً اثقالاً
 لا يحتمل من الفرائض الناموسية الزائدة (٢) . فننادى بصوت المحن الفائق " تعالوا
 اليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا ارفعكم . احملوا نيري عليكم وتعلموا
 مني . لاني وديع ومتواضع القلب . فتجدوا راحة لنفوسكم . لان نيري هين
 وحمل خفيف "

لا نضل عن معنى النير الذي يدعو يسوع الى حمله . في المعنى الحرفي
 النير هو الوسيلة لراحة الثور في جرّ الاثقال . ارغمة على سحب الحمل بدون
 نير فتكون النتيجة جروح وقروح وفشل . ضع على عنقه النير فيسهل عمله
 المطلوب . يسوع يقدم للمتعبين النير الذي حملة هو في اتعاب حياته الارضية .
 فيسهل له عمله وهو نير الوداعة (٣) . في دعوته هذه الحية ينصح لجميع المتعبين
 والثقيلي الاحمال ان يحملوا نير الوداعة فيجدون في وسط الاتعاب وعلى رغبتها
 راحة لنفوسهم . " لان نيره هين وحمله خفيف " . الكبرياء ام الاكدار والوداعة
 ام الراحة والانشرح " طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض " (٤) لم يته صوت
 دعوته هذه لجميع المتعبين الا وسمع صده في ما عملته امرأة خاطئة لبثت هذه
 الدعوة كما سيظهر في القريب العاجل

(١) روم ١١: ٢٢ (٢) اع ١٥: ١٠ (٣) " احملوا نيري عليكم لاني وديع "

(٤) مت ٥: ٥

الفصل الثاني والعشرون

مت ٢٢: ١٢ - ٥٠ مر ١٩: ٢ - ٣٥ لوقا ٢٦: ٧ - ٢٨: ٨ و ١٩: ٢١

(المرصع) ف ١٤ (الزمان) خريف السنة ٢٨ م
(المكان) الجليل

دعوة سمعان الفريسي يسوع . دهن امرأة تائبة قدمية بالطيب . مثل المديونين
والحبة ثمر المغفرة . خدمة النساء وفضيلة العطاء . اتيان اهلو ليسكوه كخمل . شفاؤه
اعى اخرس مجنون . اتمام الفريسيين اياه بالاشتراك مع الشيطان . دينونة الفريسيين لاجل
التجديف على الروح القدس وتعريف هذا التجديف . الاصلاح يتبدى في القلب قيل العمل .
طلب الفريسيين آية . اعطاؤه اياهم آية يونان النبي . اقرباء يسوع الحقيقيون

دُعي يسوع يوماً من فريسي اسمه سمعان^(١) ليتناول الطعام على مائدته
مع أناس آخرين فلبى الدعوة . نجهل قصد سمعان في هذه الدعوة لاننا نجهل
صفاته . قد يكون قصد بسيطاً لكي يكرم انساناً شهيراً ويرى اعماله ويسمع
اقواله . وقد يكون خبيثاً لكي يخدم افكار زملائه فريسي اليهودية ويصطاد
يسوع . اما قصد يسوع في دعوته فلا يصعب الحكم فيه . لاننا نعلم صفاته
ومبادئه . يبرهن بهذا القبول عدم حقه على خصومه مع كونهم يقصدون
اهلاكه . ويبرهن غيرته الوقادة انه يغتنم كل فرصة لصيد النفوس سواء
كانت من ادنياء القوم او عظماء

مع اعتبار سمعان يسوع بالنظر الى معجزاته وانتشار صيته كني يزدرى

(١) مع عدم ذكر وطنه يرجح انه كان ساكناً في احدى مدن الجليل

به بعض الازدراء بالنظر الى اصله المهود . والى عدم تخرجه في احدى مدارسهم العالية . والى كيفية معيشته الفقيرة وعدم مرافقته بمظاهر التخميم . ويحقره من الوجه الديني لعدم امتثاله العوائد والتقاليد الفرسية . لذلك لم يتنازل ليقدم ليسوع الاحترام والخدمة كجاري العادة في الضيافات . ويظهر انه حسب مجرد دعوته شرقاً كافياً لهذا الناصري . خُصَّ بالذكر حادث جرى اثناء انكاء يسوع على مائدة سمعان . لانه يعلن فتح باب التوبة واسعاً نشر الناس

انتشر في المدينة خبر قبول يسوع دعوة سمعان وربما انتشر ايضاً خبر تقصير سمعان في اكرامه الواجب . فتحتمست لذلك " امرأة في المدينة كانت خاطئة " . لم تحمّل معاملة التحقير لهذا المعلم الفاضل والنبي المحسن . فقصدت ان تعوّض عن ذلك التقصير في اكرامه . " فجاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه " . لانها عالمة بمقامها الذي في اعين المجنّحين وشاعرة بثقل خطاياها الماضية . فلم تجسر ان تتقدم لتسكب على راسه هذا الطيب الثمين . فاستبدلت رأسه بدميه . ألا يحق لنا ان نعتبرها من المتعبين والتفلي الاحمال الذين سمعوا دعوة السامية منذ ساعات قليلة . وانها قبلت هذه الدعوة وانت اليه بالتوبة والايمان ؟ نراها واقفة وراءه تدهن قدميه بالطيب . لكن اطيب من الطيب دموع توبتها السخية التي تتساقط وتمتزج مع الطيب . لان بعضها محرقة بسبب ماضيها المعيب . وبعضها مفرحة بسبب شكرها لاجل الغفران الجديد الذي فيه وجدت راحة لنفسها . فعلها هذا الاكرامى مؤلوف عند الناظرين . لكن الغير المؤلوف رؤيّة امرأة شريفة تذرف دموع التوبة امام عيونهم مع الاحترام الفائق الذي جعلها تسمح قدمي هذا المعلم باعزما لديها اي شعرها . ولذلك لا يستبعد ان نسب الحاضرون حركاتها الى فعل الخمرة نظراً لما يهدونه منها^(١) . لم يدركوا انها فعلت فعل المستعطي المتذلل ثم

(١) انهم عالي الكاهن حنة والدة النبي صموئيل تهمة من هذا النوع (اصم ١٣:١)

الحسن اليه الشكور في تقبيل قدمي من قادها الى التوبة والخلاص
سمعان كفر يسي يجنب كلياً "العشارين والخطاة". ولذلك يكون
استياؤه عظيماً من دخول هذه المرأة جهاراً الى بيته ثم من عملها فيه . لكنه
يُدح لانه لازم السكوت . وافكار يسوع كخالص من الخطيئة بعيد جداً عن
افكار سمعان . لان هذا زعم وهو تحت حكم التباسات الفريسية ان يسوع سمح
لهذه المرأة في ما عملت لجهلة صفاتها وظنوا انها صالحة . فان كان يجهل صفاتها
لا يعتبر نبياً . هذا الحكم حصلة سمعان لنفسه بنفسه . لكنه احترم يسوع بسكوته
ويسوع احترمه في أسلوب كلامه

مثل له مديونين عاجزين عن الايفاء . على احدهما خمسون ديناراً
وعلى الآخر خمسة مئة . وسأل ايها يحب المدين اكثر متى سامحها بالدين كله .
فاجاب سمعان "اظن الذي سامحه بالاكثير" . فصدق يسوع جوابه . ثم
التفت الى المرأة واطهر لسمعان انه كان يشير اليها في السؤال عن المديونين .
قابل دموعها التي سكبتها على رجليه ونشفتها بشعر راسها بالماء الذي لم يقدمه
سمعان لغسلها . وقابل قبلايتها قدميه بالتي لم يطبعها سمعان على وجنتيه . وقابل
الطيب الثمين الذي سكبته بالزيت الرخيص الذي بخل به سمعان عليه .
وفسر قصدهما الشريف اي طلب المغفرة منه على خطاياها الجسيمة . وقصد
الاشراف اي تطمينها بان هذا الطلب قد استجيب . فشكرها الحي للذي منح
الغفران يتبع شعورها بعظم آثامها . واما سمعان فلانه لم يشعر بعظم آثامه لم
يشعر ايضاً بالشكر الحي نظيرها ولم يفهم شعورها

قول يسوع "قد غُفرت خطاياها الكثيرة لانها احببت كثيراً" يؤخذ
مع المثل الذي اوضح فيه لسمعان ان الخاطئ يحب كثيراً لانه غُفر له كثيراً .
فلا يستنتج ان المحبة تسبق المغفرة وتكون سببها بل عكس ذلك هو الصحيح . في
القولين ليس المقصود ان الذي يحب كثيراً يغفر له لانه أحب بل ان الذي
يُغفر له كثيراً يحب كثيراً لانه غُفر له الكثير . بعد هذا التفسير ولكي يعلم كل

السامعين قصة هذه المرأة قال لها "مغفورة لك خطاياك". ولما علم ان المحاضرين كرروا فكرياً المذمة التي ذمَّ بها أهل كفرناحوم قبلهم لما غفر خطايا المفلوج صرف المرأة بقوله لها "ايمانك قد خلصك اذهبي بسلام" (١). شعور هذه المرأة المجهولة الاسم والوطن عندنا بان خطاياها الكثيرة قد غُفرت سيكون افضل حاجز بينها وبين العود الى حياتها السابقة الاثيمة. لان الذي ينال حقاً غفران خطايه يجتهد ان لا يجدد ما قد غُفِر له. وفعل يسوع في ردها الى الصلاح يعد من معجزاته الروحية المهمة

كما يفخر انصار الطبيب الماهر بالحوادث الشهيرة المثبتة مهارته يفخر البشيريون في بيان حادث نظير هذا اثباتاً لقدرة يسوع ونجاحه في رد شر الناس عن ضلال طريقهم وادخالهم الى ملكوتهم ملكوت البر والسلام والفرح (٢). نعتزف باسف لا مزيد عليه ان امثال هذه المرأة في الشرور كثيرون في كل عصر وفي جميع البلدان. ونفتخر بفرح لا مزيد عليه لوجود من هو قادر ومستعد ان يخلص امثالها كما خلصها في الدارين. ومتى كان روح المسيح في شعبه يسعى تابعوه سعيه الجدي في تخليص الشاردات بدلاً من تركهن فريسة لعدو البشر. قال الكتاب "راج النفوس حكيم" (٣). وايضاً "من رد خاطئاً عن ضلال طريقه يخلص نفسه من الموت ويستركثرة من الخطايا" (٤)

استأنف يسوع جولانه من مدينة الى مدينة ولم يحقر القرى الصغيرة ايضاً. اعنني البشير المدقق لوقا ان يفيد العالم في امر معيشة يسوع ورفقائه التلاميذ من رسل وغيرهم في جولانهم. قد تبرهن انه لا يفتقر الى الخدمة المادية لو قصد ان يستخدم قوته على فعل المعجزات. على اننا قد تعلمنا انه لا يفعل معجزة لاجل احد ما الا بعد العجز الطبيعي. وعند ذلك فحسب القول

(١) مخطوطة. ظن البعض انها مرص المجدية (٢) روم ١٤: ١٧ (٣) ام ١١: ٢٠

(٤) يع ٢٠: ٥

السابق لا يفعلها لمنفعته الشخصية. فضلاً عن ذلك يهتم بتربية تابعيه على العطاء والخدمة المادية لرجال الدين تنشيطاً لعملهم. لان الثمرين في العطاء للغايات الدينية هو من أهم فروع النمو الروحي. فنرى يسوع يعلم تلاميذه الذين يستطيعون اعالة الآخرين ان يعولوه مع رسله الفاركين اشغالهم علة معيشتهم من جملة الذين مرّهم نساء كثيرات كنّ يخدمنه من اموالهنّ. يخص الانجيل منهنّ بالذكر في هذا الوقت "يونا امرأة خوزي وكيل هيرودس" (١) "وسوسنة" (٢) "ومريم المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين" (٣) وفي وقت آخر يضيف اليهنّ اثنتين من أمهات الرسل اي سالومة خالة يسوع امرأة زبدي وام يعقوب ويوحنا ومريم امرأة حلفي ام يعقوب الاصغر (٤). لا تغفل عن روح الغيرة وانكار الذات في تركهنّ اوطانهنّ ويومهنّ لاجل هذه الخدمة. ولا عن الصعوبات الكلية في مشقات التغرب والسفر والتعبيرات الثقيلة من روسائهنّ ومواطنيهنّ فوق انفاق اموالهنّ. نريد ان نفهم حثهنّ في الاكرام وعلى الاخص ان نقفي آثارهنّ في ما فعلنّ

كان التعاقب المتبادل بين اسباب السرور واسباب الكدر ظاهراً في تاريخ يسوع كغيره من البشر كافة. فرح برجوع الخاطئة الى التوبة ثم بالخدمة الحبية السخية التي اشرنا اليها. لكن عقب هذا الفرح كدر صدر من الذين كان يجب ويبتظر ان يكونوا اعظم خدمة لسروره. لانه لما زاد الازدحام عليه وعلى من معه حتى انهم "لم يقدرُوا ولا على اكل الخبز" سمع "اقرباؤه" (اي عائلته في كفرناحوم ولربما في الناصرة ايضاً) بذلك. "فخرجوا ليسكوه لانهم قالوا انه مختل" وليس اخوته فقط الذين "لم يؤمنوا به" فعلوا ذلك. بل ان امه ايضاً انتقدت الى هذا الرأي الوخيم. هم المختلون

(١) يظن ان هذا هو "خادم الملك" الذي شفى يسوع ابنه (يو ٤: ٤٦-٥٣)

(٢) التي لا ذكر آخر لها فلانعلم عنها شيئاً (٣) قريبها المجدل كانت على شاطئ

بحر طبرية بقرب كفرناحوم لجهة الجنوب (٤) مت ٢٧: ٥٦

وليس هو . ليس الغيور في الدين هو المختل بل الفاتر في الدين . وكثيراً ما نعد الغيرة جنوناً عند الفاترين كما عند كارهي الدين . اي مرارة حزن لم تولد في قلب يسوع المحب عند محبي امه واخوته لالقاء القبض ثم الحجز عليه كخنثى . لكنهم " لم يقدرُوا ان يصلوا اليه لسبب الجمع "

بينما هم ينتظرون ان يتسهل لهم هذا الوصول اتى اليه بمسكين مجنون اعى واخرس . فلما شفاؤه شفاء تاماً من العلل الثلاث تهيج الجمهور املأ وصار يتساءل عن هذا المحسن المتقدر لعله مسيحه ابن داود . اما الفريسيون والكتبة الذين نزلوا من اورشليم بقصد مراقبته ومقاومته فلم يسعهم السكوت تجاه اميال الحب والاحترام التي بدأت تظهر في الجمهور . فاستعانوا بسطوتهم الرئاسية الممهودة لردع الجمهور عن يسوع بحكمهم عليه انه آله في يد " بعزبول ^(١) رئيس الشياطين " . هذا الحكم اذا عوه بين القوم على غير مسمع من يسوع . لكن يسوع اوضح لهم مرة اخرى طبيعته الساوية في علمه الخفايا دون ان يرى او يسمع . فدعاهم اليه وايقداً يفند حكمهم الشرير

فاعترف بان للشيطان مملكة بين البشر . وسألم كيف يمكن للشيطان ان يساعد من يقاومه ويعضد من يخطف من يده سلطته على البشر . لو فعل ذلك لسنطت لا محالة مملكته . يكون ذلك انقسام في البيت الواحد والانقسام مقدمة الخراب . ليست الشركة مع بعزبول له بل لهم لانهم يفعلون فعل بعزبول في مقاومة من جاء مخلصاً . واما ان كانت القوة التي تخرج الشياطين هي قوة بعزبول فباي قوة يستعين الذين من قومهم يدعون انهم يخرجون شياطين ايضاً ^(٢) اذا ابناء الذين حكموا عليه يدينونهم على هذا الحكم .

(١) احد آله الفلسطينيين كان اسمه بعزبول اي اله الذبان (٢مل ٢٣: ١ و٢٤) فبدل اليهود الباء باللام اهانة لان بعزبول يعني اله القدر (٢) اما ان ادعاهم فارغ فظاهر من النجاء الناس الى يسوع لاجل اخراج الشياطين . ودعاهم في نجاحه ما لا يكون لو كان غيره يفعل ايضاً ذات الفعل مت ٢٣: ١٩ انظر اع ١٣: ١٩

الواقع هو عكس حكمهم لان ما نسبوه الى بعزبول هو فعل روح الله الذي ظهر ليعلن قدوم ملكوته الجديد . يستحيل ان يدخل يسوع بفعله الى بيت الشيطان ويخرج منه شيطاناً ما لم يقيد أولاً بقوته رئيس الشياطين . فكيف يكون شريكه ؟

الفريسيون اعلمهم الروحي لم يتنبهوا الا الى وجهة القوة في معجزات يسوع . وكل من يعترف بوجود الشيطان يعزى اليه قوة فائقة . اما المرمى الروحي ووجهة الرحمة في هذه المعجزات الامر الذي لا يمكن ان يعزى الى الشيطان فاغفلوه . لم يفتنوا الى ما هو ظاهر كعين الشمس وهو ان طبيعة الشيطان وكل اعماله منافية تماماً لاعمال الرحمة والخير . فما اعظم عاهم الذي نسب الى الشيطان هذه الاعمال الخيرية

ثم اثبت يسوع ان في الدين لا يمكن اتخاذ خطة الحياض . كل انسان يكون اما معيناً او خصماً للمخلص . قال " من ليس معي فهو عليّ ومن لا يجمع معي فهو يفرّق " . نعم انه في وقت آخر قال " لان من ليس علينا فهو معنا " (١) ويضنّ لاول وهلة ان بين القولين تناقضاً . لكن هذا الثاني كالاول ينفي الحياض ايضاً . وهذا هو القصد فيهما . اما الاختلاف في الصورة فهو تابع لاختلاف الظروف في الوقتين . كأنه في الصورة الثانية يقول " من ليس معي ظاهراً واسماً ولكنه يعمل اعمالاً في هذا احسبه معي " . وفي الصورة الاولى يقول ان الذي لا يعمل اعمالاً في هو ليس معي ولو تظاهر بذلك . وكل من لا يعمل اعمالاً في يعمل اعمال عدوي فهو لا يجمع معي بل يفرّق . لان الجميع هم اصلاً في خدمة عدوي ابليس . ولا يكونون قد تركوا خدمته الطبيعية فيهم الا بانتقالهم عمداً الى خدمتي . في العالم الروحي مملكتان فقط . والحرب بينهما لا تنهدأ ولا تنتهي . لا صلح ولا هدنة بين هذين الضدين . مملكة الله (مملكة النور والحق والبر)

(١) مر ٤: ٢٠٩ انظر ايضاً لو ١١: ٢٣

ومملكة الشيطان (مملكة الظلمة والبطل والاثم) . وخطه الجياد فيها مستحيلة على كل انسان

يسوع لم يفعل معجزاته الا بقوة الروح القدس الذي لم يعط له بالكيل بل بفيضان . وكان هذا الروح دائماً يقود ويقوي الانسان يسوع المسيح . رد يسوع برواق الاحتجاج والبرهان عما يخصه في اتهام الرؤساء اياه خبثاً . اما عما يخص الروح القدس الذي اهانوه اذ نسبوا فعله الى بعلزبول فيسوع يدافع بغضب مقدس . هو مستعد ان يبين للرؤساء انه لا يتهايم بل يدبرهم علناً على اضرارهم الشعب اضلالاً شراً من سم الافاعي ومجلبة لهلاكهم الابدي . هؤلاء الرؤساء الذين حكموا على يسوع لما صرح بمغفرة الخطايا حكماً ظالماً بانه جدف ثبت يسوع الآن عليهم حكماً عادلاً بانهم جددوا في ما افكروه ولفظوا به بعضهم لبعض في امر اخراج الشياطين

في قلب حكمه هذا الصارم على الرؤساء ضمن اعظم تغزية لعالم الخطاة وهي ان الغفران الالهي يشمل جميع الخطايا مهما كان جرمها متى تقدمت عنها توبة حقيقية مع ايمان . لم يبق الا اعظم الخطاة عذر عظم آثامه ليعيقه عن الخلاص من خطايه ونتائجها . ولم يبق موجب لليأس لاي خاطيء تفانمت شروبه ثم احب ان يقدم التوبة ويطلب الغفران . كلام يسوع هذا المعزي هو تأييد قوي للكلام النبوي " هلم نتحاج يقول الرب . ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج وان كانت حمراء كالدمودي تصير كالصوف " (١)

لكن يسوع اظهر لهؤلاء الرؤساء وللعالم ان نوعاً واحداً من الخطايا يستثنى من الرجاء بان يغفر . وهو النوع الذي ارتكبه هم في تهمتهم هذه . قال " الحق اقول لكم ان جميع الخطايا تغفر لبني البشر والتجديف التي يجدفونها . ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة الى الابد . بل هو مستوجب دينونة ابدية " يجوز الاستنتاج ان هذه الخطيئة الوحيدة

لا تغفر لان التوبة عنها مستحيلة . ولان التوبة الحقيقية هي بفعل هذا الروح القدس . فالذي باهاتوه الروح القدس يمنع فعله فيه يحرم نفسه الوساطة الوحيدة للتوبة والغفران الذي يتبعها

في هذه القضية غموض لم ينقشع في التفسير . يستنتج من هذا الغموض انه لا يهتم كثيراً ان يعلم الناس تماماً ما هو التجديف على الروح القدس . يهتم كلام يسوع لاجل الاحترام الواجب للروح القدس والتحفظ من ان يهان . فالذي يهتم لئلا يكون قد ارتكب ما لا يغفر له فذلك برهان قطعي انه لم يفعل . لان الذي حثَّ جَدَّف على الروح القدس يفقد تماماً الشعور الروحي . والرجاء بغفرانه مفقود . لان الرجاء بتوبته مفقود لعدم مبالاته كلياً بهذه الامور . اذ ان ضميره "موسوم" . هذا لا يكون الا في الذين حصلوا على نور كاف للخلاص فرفضوه تعمداً واصروا على اختيار الظلمة الى ان تركهم الروح الالهي لتساوة قلوبهم . في كلام يسوع هذا عن التجديف على الروح القدس ودرجة شر ذلك اثبات لحقيقة شخصية ذلك الروح واثبات ايضاً لحقيقة التثليث في الله

يتوهم البعض ان باب الخلاص يبقى مفتوحاً بعد الموت فيمكن استعمال وسائل لتخليص نفوس الذين يموتون في خطاياهم دون توبة وغفران قبل موتهم . يتمسك هؤلاء تخميناً لمعتقدهم بكلمة يسوع لليهود "لن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي" كأن الغفران يُعطى في العالم الآتي وليس في هذا فقط . لكن هذا التفسير خطأ والاستنتاج المذكور ضلال . القصد في هذه العبارة قوة النفي لا غير

نبه يسوع افكار سامعيه الى ان الكلام ثمر الافكار ولا يصلح الكلام الا ويصلح اولاً الافكار . افكار الرؤساء الشريرة الكاذبة لا تقدر ان تأتي بكلام صالح . فهم يستحقون اللقب الذي رشقهم به المعبدان في ايام سطوته ويكرره يسوع بتسميتهم "اولاد الافاعي" . كان ستمهم موروثاً فهو لهذا السبب اصعب

وارداً . في هذه القرينة لفظ بحكمة هي جوهرة ثمينة . قال " من فضلة القلب
يتكلم النعم " . وعلم حتى ان الكلمة الواحدة البطالة يجري عليها الحساب يوم
الدين . لانها تكفي للدلالة على حالة القلب التي هي الاساس الحقيقي للدينونة
نوبختة الشديد هؤلاء الكتبة والفريسيين لم يوقفهم عن الطلب بان يريهم
آية . يتنازلون له لكي يريهم اعجوبة يتفرجون عليها . فهذه الوقاحة منهم استحققت
نوبتاً جديداً مرة . قال " جيل شرير وفاسق يطلب آية . ولا تعطى له الا
آية يونان النبي " . الجيل فاسق لان الفسق الحقيقي الاصلي هو الابتعاد القلبي
عن حب الله والتمسك بحب غيره كالعالم . والفسق المتعارف بين الناس هو
رمز لذلك ^(١) . يتظاهرون كأنهم مستعدون ان يؤمنوا بيسوع ان اشبعهم
آيات . حال كون الآيات التي شاهدوها تزيد عما يقتضي لاثبات كونه مسيحهم
وايوجب عليهم الايمان به . امثالهم كثيرون في كل الاجيال . هؤلاء يعتذرون
في رفضهم الدين بما يسمونه النقص في البيئات بينا الواقع هو انهم لا يريدون
ان يؤمنوا ولا يؤمنون ولو زادت البراهين اضعافاً
أحاطهم على آية يونان النبي المألوفة جيداً عندهم . لان فيها اشارة نبوية
الى قصة ان يمكث في القبر ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ ^(٢) . كل ما نعمه في يسوع
يكذب الزعم انه يتخذ خرافة لاجل تمثيل عمله الخطير الوقور في موته الفدائي .
اذا قصة يونان والحوت ليست خرافة . ولا فكأن يسوع يعرض عنها . علق
يسوع على حادثة يونان تعليقاً مهماً . لكنه ليس عادلاً ما لم تكن قصة يونان
حقيقية . ابان ان رجال نينوى الوثنيين يفضّلون يوم الدين عند الله كما تفضل

(١) اش ٢٠: ٥٧ وحز ١٥: ١٦ وهو ١: ٣ (٢) مت ٤٠: ١٢ اما المشكل في الثلاثة
ايام والثلاث ليال فقد بالغ فيه المنتقدون . يستحق الانتباه الى كون المنتقدين الاولين
المحاذقين الذين لم يتركوا حجة لتفنيد التعليم المسيحي لم يدخلوا هذا الاعتراض بين حججهم .
فالاصطلاح اليهودي اجاز ان تحسب المدة بين آخر يوم الجمعة وأول يوم الاحد ثلاثة ايام
وثلاث ليالٍ .

ايضاً ملكة التيمن الوثنية على هؤلاء المدّعين انهم رجال الله . لان اهل نينوى تابوا عند مناداة يونان . ولان ملكة التيمن الوثنية آمنت بسليمان وقصدته من بعيد . بينما الذي هو اعظم جداً من يونان حتى ومن سليمان ظهر لهم وكلمهم بكلام الحكمة السماوية ولم يؤمنوا به

شبه ذلك "الجبل الشرير الفاسق" برجل خرج منه شيطان كان ساكناً فيه ثم عاد اليه مرافقاً بسبعة ارواح آخر شراً منه . فهم على زمان المعدان ذهبوا اليه وقدّموا توبة عن خطاياهم وقبلوا نعيمه . لكنهم لانهم لم يؤمنوا يسوع وقبلوا روحه القدوس ليسكن فيهم ابقوا قلوبهم فارغة فعادت اليهم شرورهم القديمة متجددة اضعافاً . أكد ان اوخر الجبل الشرير الذي كان يكلمه تصير شراً من اوائله . صحت نبوته هذه . لان شرورهم زادت حتى لما طغ كأسها أتاهم زمن الخراب الهائل والعذاب المخيف الذي سيأه يسوع بعد حين "ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن ولن يكون" (١)

اما فائدة العالم من هذا المثل فهي ان مجرد ترك الشرور يكون عبثاً ما لم يملأ الانسان مكانها بالخيرات التي هي ضد تلك الشرور . والأفتعود الشرور القديمة مرافقة بشرور جديدة الى القلب الذي طردها . لان فراغ القلب مستحيل . ما لم يحل روح الله ويسكن القلب الذي يطرد الشيطان منه يرجع الشيطان متنشطاً اكثر ويمتلك ذلك القلب امتلاكاً مضاعفاً . والعود الى الخطيئة شرّ جداً من ارتكابها اولاً

لعل القارئ قد نسي انه بينما يسوع يلقي هذا الخطاب على الجمهور المزدهم حوله لا يزال اقرباً وواقفين على طرف الجميع يترقبون الفرصة لاجل اللقاء القبيح ثم الحجز عليه كخنثى . درجة الحماسة والتفاني التي يحسبها الناس نشاطاً ويمدحونها كحكمة في جمع المال او مقاومة الخصوم او خدمة المعارف يعدونها جنوناً في خدمة الدين والاصلاح (٢) . فلما منع الازدهام اقرباءه من

الوصول اليه كلّفوا بعض الواقفين ان يبلغوا اليه القول "هوذا امك واخوتك واقفون خارجاً يريدون ان يروك طالبين ان يكلموك". ان خرج ليكلّمهم خارجاً يتسهّل لهم اخذهم معهم ولو قسراً لكي يستعملوا الوسائط اللازمة لعله يشفي من هذا الاختلال العقلي الذي اتهموه به ظلماً وجهالة

فتح يسوع بهذا الطلب باب مناسب ليعلم اهله ثم تلاميذه ثم جمهور سامعيه اموراً جوهرية يؤمل رسوخها في اذهانهم بسبب تعلقها بهذا الحادث الظاهر للعيان. علمهم انه ليس من هذا العالم. فلا يعدّ احد البشر أمّا حقيقية او اخوة حقيقيين له كغيره من البشر. العلاقة الوقتية الجسدية مع اهل بيته قد زالت. وحلّت محلها العلاقة الدائمة الروحية. هذه تربة مستقلة عن الروابط الجسدية مع كل الذين يتحدون به اتحاداً روحياً. أعلن كل هذا في سؤاله للذي كلمه "من هي أمي ومن هم اخوتي؟ ثم مدّ يده نحو تلاميذه (من رجال ونساء) وقال ها أمي واخوتي. أمي واخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها. لان من يصنع مشيئة ابي الذي في السموات هو أخي واختي وأمي"

محبة يسوع لهذه الام واحترامه اياها ومحبة لاختوته حسب الجسد لا تكون الاشدّ وانقى من محبة اي انسان كان لذويه. هو مثال الكمال في هذا الامر كما في غيره. لكن امانته وحبّه لانسبائه هؤلاء تخضع كل الخضوع لامانه وحبّه للآب الذي أرسله. ولذلك تخضع ايضاً للمحبة الروحية التي تربط اولاد هذا الآب الروحانيين معه كاخوة حقيقيين. ظهر في جوابه ان كل الذين يعملون مشيئة الآب يكونون اقرب البشر اليه واعزهم عنده

كم تكون تعزية رسله من تأثير هذا الكلام في ايام الاضطهاد المر الذي سيفاسونه من مبغضهم. وحدة يسوع مع كل من يعمل مشيئة الآب السامي تجعله يثيب كل من يصنع معهم خيراً ويعاقب كل من يصنع معهم شراً حتى

ومن يتغاضى عن فعل الخير لاجلهم^(١). يقول لهم النبي "لان من يمسكم يسّ
حدقة عينه^(٢)

فبدلاً من ان يتقاد يسوع الى اهله في غايتهم المحاضرة الناجمة عن الحب
البشري الطبيعي مع قصر البصر الروحي خرج من البيت وجلس عند البحر
وابتدأ يسرد سلسلة امثال تبين ماهية ملكوت السموات



الفصل الثالث والعشرون

(مت ١: ١٢-٥٢ مر ٤: ١-٣٤ لو ٨: ٤-١٨)

(المرصع) ف ١٥ (الزمان) خريف السنة ٢٨

(المكان) شاطئ بحر الجليل

مثل الزارع واقسام سامعي الكلمة . مثل زوان الحقل . مثل نمو الزرع الخفي .
مثل حبة الخردل وازدياد الملكوت . مثل الخبيزة ومفعول اهل الملكوت . تفسير مثل
الزوان . مثل الكثر الخفي . مثل اللؤلؤة الحسنة . مثل الشبكة . الاصول الصحيحة
في تفسير الامثال

نقضى على يسوع عشرون شهراً في التعليم المجهاري في اليهودية
والسامرة ولاسيما في الجليل . لكنه لم يجد الا القليلين يتقادون الى تعاليمه
الروحانية او يدركونها مع انه كان يعلم باساليب جلية . فاستحسن ان يجيد عن
التعليم الصريح والكلام اللطيف . ظهر في الفصل السابق اتخاذ خطه
الصرامة في كشف الستار عن الضلال والرياء والمكر باشباعه خصومه توبيخاً
مرأ . ونراه الآن يستبدل التعليم الصريح بالتعليم الغامض المسبوك في
قالب الامثال . وهذه الخطة الجديدة تفصل بعض الفصل بين الذين يتبعونه
باخلاص فيمتحنهم ويمرهم وبين الذين يتبعونه لغايات نفسانية فتظهر هذه
الغايات . وهذه الامثال فائدة ايضاً لغيلظي القلوب بين سامعيه . لانها تعطيهم
صوراً تحفظ في ذاكرتهم وان كانوا لا يدركون معناها . فتم استئنافها فيما بعد
من غفلتهم الروحية يبصرون نورها

فلما انتقل من البيت الى شاطئ البحر ابتداء يسرد سلسلة امثال كانت
مقدمة لعدد عظيم من التوالب الجديدة التي وعى فيها تعاليمه الجوهريه .
واشتهرت في كل العالم لجمال صورتها وجوهرها . لان نسبة الامثال الى الحقائق
الروحية كنسبة الغلاف الى البزرة . في الابداء يخفي الغلاف الجرثومة التي
يحفظها . لكن لا بد من يوم فيه ينشق الغلاف فتظهر الجرثومة الكامنة فيه .
هكذا الامثال ايضاً تفعل فعلاً مزدوجاً . لانها تعلن الحق لمحبي النور وتخبئ عن
محبي الظلام . فتصير لهولاء رائحة موت لموت ولاولئك رائحة حياة لحياة (١) .
لذلك تشبه ايضاً بعمود السحاب الذي رافق بني اسرائيل اربعين سنة بعد
خروجهم من مصر الى حين دخولهم ارض كنعان . فكان يضيء على شعب
الله وفي الوقت ذاته يظلم على اعدائهم (٢)

الارض وما فيها وضعت خيالاً للسماء وما فيها . فالارضيات في الوقت الواحد
تعلن السماويات وتخفيها . والحقائق الروحية الغير المنظورة في الاصل . وعلى
هذا الاصل بنى الخالق الموجودات المنظورة . كان يسوع يستشهد بهذه لكي
يعبر بها عن تلك . وكان لذات شخص يسوع التأثير المزدوج المتناقض .
فناسوته كان خيالاً للاهوت وفي الوقت الواحد كان يعلنه ويخفيه ويفسره
ويغضه . هكذا في امثاله كان يتقي حقيقة روحية ثم يبين خيالها في الموجودات
المادية . كان يشار لاجل تصوير الامور الدينية اموراً دنيوية تناسبها . فصح
في امثاله قول الحكيم " تفاج من ذهب في مصوغ من فضة كلمة مقولة في
محلها " (٣)

تتماز امثال يسوع في انها لم توضع للتعليم الادبي المحض بل للروحي .
وفي خلوها من فروض خيالية كالنطق للحيوان والتمثل للنبات والحركة للجناد
وما شاكل ذلك . لان كل تفاصيلها مطابقة للنواميس الطبيعية . وذكر الحيوانات
فيها نادر . وتتماز ايضاً في وقارها لاجتنابها كل اشارة هزلية كالتى تدخل

كثيراً في الامثال الجارية . لان مرى امثال يسوع كان تقرير امور ملكوت السموات

في المثل الاول المُسمَّى مثل الزارع قسم يسوع سامعي كلام ملكوته الى اربعة اقسام . قسم يسمعون باذانهم فقط ولا يعون في اذهانهم . وذلك اما لانهم بامور اخرى اولفساوة قلوبهم من جراء انصبابهم السابق على المعاصي^(١) . وهؤلاء يكونون كأنهم لم يسمعوا . وعدم استفادتهم تظهر سريعا . لانهم لم يذوقوا من لذة هذا الطعام الروحي شيئا . شبه يسوع هؤلاء ببذار يقع على الطريق فيلداس ويخطفه الطائر باقرب وقت فلا يأتي بشر

اما القسم الثاني من سامعي التعليم فهم الذين يفهمونه ويقبلونه بفرح . لكن فرحهم سطحي ووقتي . وهؤلاء لم يحسبوا حساب النفقة^(٢) . ولم يستعدوا لاحتمال المقاومات الداخلية والخارجية التي تترصد لكل محبي كلام الله^(٣) . لذلك عند وقوع الضيقات يرتدّون عما كانوا اولاً يتباهون ويفرحون به . يشبه يسوع هؤلاء بالزرع الذي يقع على الارض الخفيفة التي قعرها صخر . هذا الزرع ينبت سريعا لعدم عمق التربة . ثم يجف عند وقوع حرارة الشمس عليه فلا يأتي بشر

القسم الثالث هم الذين يفهمون التعليم ويقبلونه بفرح ويشبتون في وجهه المقاومات غير متزعزعين من جراء الاضطهادات والخسائر التي تنتج عنها . لكن عنادهم الطبيعي يخدم ثباتهم ويعدّون قوتهم شهداء الدين فلا ياتون بشئ ابي لا يمجّدون الله ولا يفيدون الناس . لانهم منهمكون بامور الدنيا . ان كانوا من الفقراء فهم عوزهم او من الاغنياء فهم مقتنياتهم واشغالهم الكثيرة^(٤) . يشبههم المعلم الساوي بالزرع الذي ينمو جيّداً وتظهر فيه للناظرين كل علامات الاثمار ولا يعرف عدم اثمارهم الا يوم الحصاد اذ

(٢) لو ١٤: ٢٨

(١) وقد يكون عدم فهمهم راجعا الى نقص في المتكلم

(٣) ٢ تي ٢: ١٤ (٤) ١ تي ٦: ٩ و ١

تكون السنابل فارغة لان الاشواك والاعشاب البرية تغلبت على الزرع وخنقة فلم يثمر

القسم الرابع والاخير من سامعي التعليم الالهى هم السالمون من العلل التي مر ذكرها. هؤلاء يطلبون اولاً ملكوت الله وبره. فلا يلتمهون عنه بامور العالم اغنياء كانوا ام فقراء. ولذلك لا يباليون بالاضطهادات والضيقات بل "يحسبونه كل فرح عندما يقعون في تجارب متنوعة" (١). ويفتخرون بضيقاتهم (٢). وبالطبع يفهمون جيداً ما يسمعون فيأتون بثمر كثير لمجد الله وخير الناس. اما اثمار هؤلاء فيكون على درجات متفاوتة تتبع المواهب والفرص المتنوعة وموافقة الاحوال التي يوجدون فيها. فشبه يسوع هؤلاء بالزرع في الارض الحبيبة الذي يثمر ثلاثين ضعفاً وبعضه ستين وبعضه مئة. فيسوع بتفسيره هذا المثل اعطى مفتاحاً يعين كثيراً على تفسير سائر الامثال التي وردت بلا تفسير. لما ابتداءً بالمثل نبه السامعين بقوله "اسمعوا هوذا الزارع قد خرج ليزرع". ولما انتهى المثل نبههم ثانية بنداءه "من له اذانان للسمع فليسمع"

اما مثله الثاني فبناه على كون العدو ابليس يدخل في ملكوت يسوع الخارجي اي الكنيسة اناساً ليسوا من شعب الله الا ظاهراً. وهؤلاء ايضاً لا يعرفهم الناس في اول امرهم. فلما ظهر عليهم تدريجاً دلائل حقيقتهم. يقصد رجال الله ان يفرزوه ويخرجوهم عن الكنيسة المسيحية. لكن عمل الافراز والاخراج مخوف بالخطر. لان مدبري الكنيسة لا يعلمون ما في القلوب. فقد يخرجون بطرساً نائباً هو تلميذ حقيقي مع سعيهم في اخراج استرجوطين خائن فاقد كل الصفات المسيحية. ولذلك يطلب من قواد شعب الله التآني الكافي قبل طرد الضعفاء والساقطين لئلا يخطئ حكمهم فيظلمون

ضمّن يسوع هذا التعليم في مثل زوان الحقل . هو كائن الانسان يشبه ذاته بانسان زرع في حقله^(١) زرعاً جيداً^(٢) . ثم يشبه عدوه ابليس بانسان آخر مبعوض زرع في ذات الحقل زواناً^(٣) . ويشبه الملائكة بالمحصادين ويوم الدين بيوم الحصاد . ويختتم تفسيره هذا المثل بقوله " كما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون في انقضاء هذا العالم . يرسل ابن الانسان ملائكته^(٤) فيجمعون من ملكوته^(٥) جميع المعثر وفاعلي الاثم ويطرحونهم في اتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الاسنان . حينئذ يضيء الابرار كالشمس في ملكوت ابيهم . من له اذنان للسمع فليسمع "

قدّم مثلاً ثالثاً دون تفسيره وبناءً على الحقيقة ان النمو في ملكوته الروحي على الارض امرٌ طبيعي لا بد منه . وانه يأتي تدريجاً لا فجأة . وان هذا النمو يكون له اصل سرّي غامض يعجز جميع البشر عن فهمه وتفسيره . ولما كان الوقت الذي يتكلم فيه اول فصل الشتاء وكان عمل الزراع منتشراً حولهم صاغ لهم مثلاً رابعاً زراعياً لاثبات حقيقة ضعف ملكوته في العالم عند انشائه ثم عظمته اخيراً بواسطة نمو خارجي مهم حتى تمكنه عظمته من خدمة الناس خدمات جلّي . فشبه ملكوته بحبة الخردل اصغر جميع البزور التي يزرعها الانسان . لكنها تنمو شيئاً فشيئاً الى ان تصبح اكبر البقول بل شجرة تأوي اليها طيور السماء للاستفادة منها . بزر الخردل يناسب تشبيهاً للملكوت الجديد الذي ادخله يسوع بالنظر الى صغر حجمه ولاستعماله دواء في الامراض ولا تصافيه بشيء من المساواة المؤلمة . ولان منفعوله في الشفاء يتوقف على سحفه كما يتوقف قوة الخلد للخلص على سحفه على الصليب

(٣) اي بنو الشرير
(٥) اذا هو صاحب

(٢) هو بنو الملكوت

(٤) اذا الملائكة خاصته وخدامة ورهبنة امره

(١) الذي هو العالم

المثل الخامس الذي على ما برحَّ قَدَّمة في هذا الوقت وعن ظهر السفينة مبني على ثلاث حقائق مهمة. الأولى ان انماء الملكوت لا يكون بواسطة الازدياد الخارجي كنمو الجراد بل بواسطة المفعول الداخلي كنمو الحبي. ونجاح كنيسة المسيح لا يتوقف على اسباب خارجة عنها بل على الاسباب التي ضمنها. فالسلطة السياسية والثروة المادية وسائر ما يشاكلها لا تُبنى كنيسة المسيح الحقيقية الا قليلاً ونادراً. لا بل كثيراً ما يتوقف هنـه ذلك النمو مع انها قد تنمي جماعات ظاهرة نسي خطأ كنيسة المسيح. لا يبنى الكنيسة الا اعضاءها الذين يحصلون على قوة الهية تحل فيهم

والحقيقة الثانية هي ان في طبيعة ملكوت الله على الارض ما يعطيه الغلبة التامة اخيراً. فيملأ الارض كلها وفقاً للنسبوات الكثيرة المعلنة ذلك^(١) وللقول الرسولي ان خميرة صغيرة تخمر العجينة كلها^(٢)

والحقيقة الثالثة هي ان الدين الحقيقي من طبيعته ان يخرق كل دقائق حياة المؤمن ويملك فيها. فيكون جسمه وعقله وروحه كلياً تحت سطوة تأثير الدين الذي في قلبه. يمثل يسوع هذه الحقائق بالخميرة التي "خبأها امرأة في ثلاثة اكيال دقيق حتى اختر الجميع"^(٣) فيصح تشبيه فعل المسيح في ملكوته بفعل الخمير لكونه خفياً ومتزايداً ويتوقف على وضعه في قلب الذي يطلب تخميره. ولكونه من جنسه ايضاً اي ان المسيح المخلص يتخذ لنفسه طبيعة البشر الذين اتى ليخلصهم^(٤). وخلاص البشر لا يتم بواسطة الملائكة بل بواسطة الناس

(١) نظير مز ١٦: ٧٢ (٢) ١ كو ٦: ٥ (٣) يتشبه بعض المفسرين بجعل التشبيه بالخميرة تشبيهاً سيئاً لكون الخميرة من المخبزات في النظام القديم وبشار اليها في الرسائل كما يجب نزعها لانه على الغالب من رموز الفساد. لكن القديس اوغستينوس يرد على هذا الرأي بقوله انه يجوز اتخاذ الرمز الواحد بمعنيين متضاربين ويستشهد بكون رمز الاسد المخصص للمسيح يستعمل ايضاً في الانجيل لابليس. والقديس اغناطيوس يزيد على هذا ان لنا في الكتاب خيراً جديداً وخيراً عتيقاً (٤) روم ٨: ٣٨

هذا بعض ما حفظ لنا من مجموع الامثال الدرّية التي القاها يسوع على الجمهور المنشد على شاطئ البحيرة في ذلك النهار . لان البشير يقول " وبامثال كثيرة مثل هذه كان يكلمهم حسبما كانوا يستطيعون ان يسمعوا . وبدون مثل لم يكن يكلمهم . لكي يتم ما قيل بالنبى القائل سافح بامثال في وانطق بمكتومات منذ تأسيس العالم " (١)

بعد ان تركوا البحر وعادوا الى البيت سألته تلاميذه عن سبب اتخاذ هذا الاسلوب الجديد في الوعظ الذي لغرضه يتطلب تفسيراً . فاجابهم انه تعتمد الاغراض عن الذين يرفضهم النور الذي لهم فقدوا كل حق بان يزداد لهم (٢) . ولما سألوه تفسير مثل الزارع ونجهم بقوله " اما تعلمون هذا المثل فكيف تعرفون جميع الامثال ؟ فاني الحق اقول لكم ان انبياء وابراراً كثيرين اشتهوا ان يروا ما انتم ترون ولم يروا وان يسمعوا ما انتم تسمعون ولم يسمعوا " (٣)

مع اسف يسوع على غباوة تلاميذه احتلمهم وفسّر لهم مثليّن تسهيلاً لفهمهم غيرها . من مثلي الزارع والزوان وحدهما كان يقوّم ان نجاح الملكوت يكون قليلاً . ففي مثلي حبة الخردل والخميرة نقيض لهذا الوهم وبشارة بنجاح باهر لهذا الملكوت الذي نشأ في ضعف واحتمار

في البيت زاد يسوع ثلاثة امثال اخرى . اراد ان يبين ان ملكوته ذو قيمة تفوق كل شيء في العالم . حتى لو ضحّى الانسان كل شيء لاجله يكون في ذلك حكماً . اراد ايضاً ان يبين ان البعض وان لم يفتشوا عن كثر الدين

(١) مز ٢٧٨ : (٢) ابوا ان يفتحوا عيونهم لئلا يبصروا الحق ويقادوا الى التوبة واصلاح السيرة . فالذي اتوه اولاً عبداً واختياراً وقع عليهم بعد ذلك اجاراً واضطراً قصاصاً لهم . هذا نتيجة تغييظهم الاختياري وسد آذانهم الارادي . فان الله ديان عادل . فتركهم في الظلمة التي اخذاروها والجهل الذي رضوه لكي يدوموا في الظلمة والعصيان الى الابد (ادي في مت وجه ١٨٠) (٣) انظر القول في ١ بط ١ : ١٠-١٢

الحق يعثرون عليه كأنه عَرَضاً بيننا يشتغلون في أمور أخرى كما حدث
لشاول الطرسوسي في طريق دمشق . مثل ذلك بانسان وجد كترًا في
حقل انسان آخر . فذهب وباع كل مقتنياته واشترى الحقل ليحصل على
هذا الكثر

لكن ليس هذا العثور العرضي هو القانون . بل السعي الجدي وراء
هذا الكثر . فالذي في تنقيشه بين مذاهب العالم يعثر على ملكوت يسوع
الروحي ينسى كل ما سواه ويبدل كل نفيس وغالٍ ليمسك به . وإظهاراً لهذه
الحقيقة قدّم يسوع مثل انسان تاجر " يطلب لأبى حسنة . فلما وجد لؤلؤة
كثيرة الثمن مضى وباع كل ماله واشتراها "

ختم يسوع سلسلة أمثاله في هذا اليوم بمثل يشير الى انقضاء العالم حين
يفرز الديان الالهى الاشرار من بين الابرار بواسطة الملائكة . ويشرح الاشرار
في اتون النار حيث يكون البكاء وصرير الاسنان . فلا يطمئن الخاطئ نفسه
بان التساهل الالهى في عدم قصاصه سريعاً يدوم الى الابد . بل عليه ان ينتبه
الآن . وايضاحاً لهذه الحقيقة قدّم مثل الشبكة المطروحة في البحر التي تجمع من
كل نوع . " فلما امتلأت اصعدوها على الشاطئ وجلسوا وجمعوا الجياد الى
اوعية . واما الاردياء فطرحوها خارجاً "

لما سأل يسوع تلاميذه " أفهتُم هذا كله ؟ " واجابوه " نعم " . قال لهم
ان المتعلم في أمور الملكوت عليه ان " يخرج من كثره جُرداً وعُتقاء " . العتقاء
هي اقوال الكتاب والجُدد هي الفوائد المستخرجة منها التي تستدعي الدرس
المدقق لاجل الوقوف على معانيها المقصودة ^(١)

ان لتفسير الامثال الصحيح قواعد اولها ان ليس لكل تفاصيل المثل

(١) هذه الامثال الثمانية مقدمة لغيرها بحيث يبلغ عدد امثال يسوع المكتوبة نحو الثلاثين
في اكثر الاحصاءات وبعضهم ابلغ عددها الى تسعة وخمسين اذ يطلقون على التشبيهات
البسيطة ايضاً اسم مثل (انظر الجدول في ذيل هذا الكتاب)

معان روحية خصوصية مقصودة في الوضع الاصلي . كثيراً ما تهوّر المفسرون لتسيانهم هذه القاعدة . مثال ذلك تفسير البعض ان عدد الهاككين والخالصين متساوي لان عدد الحكيمات والجاهلات في مثل العشر عذاري متساوي . القاعدة الثانية ان القصد الرئيسي الذي وُضع المثل لاجله هو منفتح لتفسيره الذي عليه يجب تطبيق سائر تفاصيله . والاهتماء الى هذا القصد يُطلب من القرينة السابقة والملاحقة للمثل (١)

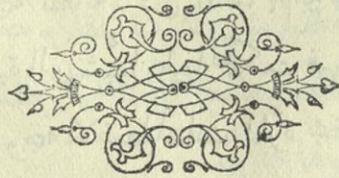
القاعدة الثالثة لا يجوز ان يؤخذ مثل اساساً لحقيقة دينية يتوقف اثباتها على تفسير ما لهذا المثل

ولما اكل يسوع هذه الامثال انتقل من هناك . وتقدم من التعليم بالكلام الى التعليم بالافعال . يذكر الانجيل مراراً علمه بما هو خفي عن الناس جميعاً ولا يذكر غير مرة فقط تحديد علمه كائن الانسان (٢) . لذلك تصوّره مدفوعاً في حركته بعلمه السابق بالحوادث التي ستصادفه في طريقه . والى نتائجها التي هي تحت سلطانه فيجول شرها الى خير عظيم . احوال رسوله في المستقبل ستكون حرجة للغاية . لان التصاقم به سيقضي عليهم ان يتركوا العالم والعوائد الدينية التي شَبُّوا عليها فتمسكت فيهم وصارت عندهم اعز من الحياة وان يجاهروا في وجه الاضطهادات المرة بحقيقة لاهوت يسوع ومجيئه من السماء وان يستشهدوا لاجلها . فهم في حاجة خصوصية الى استيفاء البرهان بواسطة المعجزات على انواعها . يحتاجون الى ما يشبهم في الاتكال على يسوع لاجل الوقاية والنجاة في اصطدامهم ومصارعتهم مع فرعي الشراي المصائب والتجارب

يريد ان يبرهن في هذه الساعات القليلة انه سلطان الكون . وان يد

١ القديس ايرينوس خطأ الغنوسيين الذين خالفوا هذه القاعدة وشبههم بانسان يفكك قطيعات النسيفساء المركب منها صورة ملك ويجعل لذات هذه القطيعات وضعاً جديداً يخرج منه صورة كلب (٢) مر ١٣: ٢٢

قابضة على القوات الطبيعية الهائلة. وإن تلاميذ عند وقوعهم في شدة من جراء
شيء من هذه عليهم بالالتجاء اليه والانتكال عليه. ويريد أيضاً أن يبرهن
أنه متسلط على الشياطين في حركاتهم بين البشر. ومع أنه يترك للشياطين كما
للإنسان الحرية التامة في ارادتهم ومقاصدهم الداخلية يضع لافعالهم حداً حتى
ليس كل ما يريدونه يسمح لهم أن يفعلوه. ولذلك علم تلاميذه أن يصلوا
"نجنا من الشرير" وهي طلبة ضرورية جداً وذات مفعول عظيم بالنظر إلى
سلطانة على قوات الشر حسب القاعدة التي ذكرناها



الفصل الرابع والعشرون

(مت ١٨:٨ و ٢٢-٢٤ مر ٢٥:٤-٢٥:٥ لو ٢٢:٨-٢٩)

(المرصع) ف ١٦ (الزمان) خريف السنة ٢٨ م.

(المكان) بحر الجليل

سلطان يسوع على الطبيعة والمصائب . المقابلة بين يسوع ويونان في النوء . تسكينه
النوء في بحر الجليل . سلطانه على الشياطين والتجارب الداخلية . اخراج الشياطين من
مجنونين في جدرة . اهلاك قطع الخنازير . غلط اهل جدرة الجسم . انواع الطلب وانواع
الاستجابة

شبه شاعر الوحي الشهير الشمس بالعروس الجبار في قوله هي مثل
”العروس الخارج من مجلته يتبع مثل الجبار للسباق في الطريق“^(١). فنستعير
عبارة داود لنشبه بها ابنة ”شمس البر الذي اشرق والشفاء في اجنحه“^(٢).
هو يخرج الآن كالعروس الجبار وكالأسد الذي من سبط يهوذا أصل
داود^(٣) لمقاتلة جبارين مهلكين كما سنرى

لما نسمعه يقول لتلاميذه عقيب تقديم تلك الامثال المفيدة ”لنحتز الى
عبر الجيرة“ يحق لنا ان نتوسع في تفسير مقاصد في هذا السفر. وان لا نحصر
تلك المقاصد في ما يحوجه اليه الإعياء الجسدي بعد مشقات متراكمة . بل
ان ننسب اليه ايضاً قصد مصادمة القوات الطبيعية والشرطانية التي سوف
تخاربه

(١) مز ١٩:٥ (٢) مل ٢:٤ اي كله شفاء حتى اطراف اجنحه (٣) رؤ ٥:٥

كان النهار قد مال ودنا المساء . فصرفوا الجميع "واخذوه" كما كان في السفينة" (التي كانت تلازمه^(١)) واقلعوا قاصدين شاطئ بحر الجليل الشرقي ورافقتهم سفن اخرى صغيرة . ففي سيرهم تحت جناح الليل نام يسوع على وسادة في مؤخر السفينة . ذُكر عنه انه جاع وعطش وحزن وتعب وتهد وبكى واتهم . ولكن لم يذكر مطلقاً انه ضحك او مرض او خاف . ولم يذكر انه نام الا في هذا الحادث . نام كابن الانسان . فاعطى بذلك برهاناً قاطعاً على صدق بشرية . اما بالنظر الى طبيعته الالهية لم يزل كلام داود صادقاً في قوله . "لا ينعس ولا ينام حافظ اسرائيل"^(٢) . لا بل على رغم هذا النوم الجسدي هو ساهر على رفقاءه في السفينة وهم يسيرونها ويلاحظون علامات النوء النازل عليهم من بين الجبال المحيطة بهذه البحيرة

فصلا اكثر اوقاتهم على هذا البحر . وقد قابلوا انواء عديدة في مياهه . فتراهم الآن يهثون القلوع والمجاديف وكلما يلزم استعداداً لما قد يطرا عليهم في النوء الهاجم^(٣)

لم يطل الوقت حتى غطت الامواج السفينة وصارت تمتلئ ماءً فصاروا في خطر . وهذا الخطر ذو بال بالنظر الى ركاب هذه السفينة . سلمت قديماً من ذلك الطوفان الهائل في ايام نوح سفينة كانت نقل ثمانية اشخاص هم عائلة ذلك الرجل الصالح وجرثومة الجنس البشري الوحيدة الفريد في تاريخ العالم . فهل تسلم الآن الجرثومة الوحيدة للكنيسة المسيحية في العالم وهي يسوع ورسله في هذه السفينة على بحر الجليل ؟ فليست اهمية سلامة يسوع وتلاميذه بطرس

(١) مر ٩: ٣ (٢) مز ١٣١: ٤ (٣) تهيج الانواء الشديدة بغثة على هذه البحيرة لان موقعها المنخفض كثيراً عن الجبال والسهول حولها يولد فيها الحر الزائد نهراً . ثم تأتي الرياح الباردة من على تلك المرتفعات ليلاً وتسرب في الاودية العميقة العديدة التي تنتهي في هذه البحيرة فتصطدم فجأة الرياح الباردة مع الهواء الحار فتحدث العواصف التي يشير كل الكتبة اليها

ويعتوب ويوحنا ورفقائهم أقل من أهمية سلامة نوح وبنيه سام وحام ويافت
نرى في هذا النوم القوات المملكة تتخذ نوم يسوع فرصة لتحاول اهلاكه
واهلاك تابعيه . فنشخص هؤلاء الصيادين وحركاتهم العنيفة في مقاومة العاصفة
ونسبح صياحهم فوق هدير الريح وتلاطم الأمواج وهم يصرخون الواحد الى
الآخر بما هو جارٍ معه وما يطلب كل واحد من الآخر ان يعمل . ننظر
كيف يترنحون من ملاطمة الأمواج . ثم يكلّون في محاربة هذه القوات المضنكة
في ظلام الليل الدامس . ويعيون في تفريغ المياه من قعر السفينة . لان السفينة
في البحر الهائج يمكن ان تسلم . ولكن متى صار البحر الهائج في داخلها لا يمكن ان
تسلم^(١) . كما ان الانسان الذي يهيج حوله نوء شرور العالم يستطيع ان يسلم من
الهلاك . لكن يستحيل عليه ان يسلم متى هاج نوء الشر في قلبه . لا يُغرق النوم
الذي في المحيط بل الذي في النفوس . يصح هذا القول في الكنيسة اجمالاً كما
يصح في افرادها . لان الاشرار حولها لا يمكن ان ينفوها . لكن يهدمها الاشرار
الذين فيها

فهل خطر للرسل ان المسيح وهو نائم " حرز حرز " بقي السفينة ومن
فيها من كل اذى وبلا ريب ؟ لانظن . لان الخوف جبار يضعع الرشد
ويشتت الايمان متى كان ضعيفاً . نقصتهم الثقة بيسوع وهو نائم كما تنقصنا نحن
الثقة بيسوع وهو غائب عن الابصار . وقد يكون انهم لاحظوا اقتراب
النوم قبل ان اقلعوا من البر . وان الحاج يسوع بان يسافروا بعد محاولتهم
البناء في الميناء فتح لهم باب التلويح . فكيف لا يزال نائماً على رغم عجز النوم
وصحج النوبة ؟ كيف لا يبالي بهذا الخطر الفائق المحيط بهم

قد يمكن ان يسوع قصد في هذا النوم حتى بعد اشتداد النوم امتحان
ايمانهم^(٢) . في البداية امسكهم عن ايقاظه حبهم واحترامهم وكونهم لا ينتظرون

(١) مجد المطالع في سفر المزامير وصفاً بليغاً للتأثير الانواء (مز ١٠٧: ٢٣-٢٢)

(٢) كما فعل لما تأخر عن الذهاب الى بيت عنيا ليشفي صديقه لعازر

منه مساعدة في تدبير السفينة. لكنهم بعد ان افرغوا كل ما عندهم من
الوسائل لا يسعهم الا وبوقظوه. ألا يحق لهم ان يستأنسوا به في الخطر
الشديد؟ أولا ينتظر منه ان يقدم لله صلاة فعالة تنقذهم من هذا الخطر؟
فأيقظوه. لكن بكلام دل على ضعفة رشدهم بسبب ارتعابهم. صاحوا في
اذنيه "يا معلم يا معلم أما يهيك اننا نهلك؟" هل نسوا سريعاً ما تعلموه عن
مقام يسوع الالهي وقدرته الفائقة حتى ظنوا في جهالتهم انه يحتمل وقوع اقل
ضرر لسفينة تمل الذي عرفوه رباً حقيقياً؟ ايقظوه فقام الذي "يجمع كند
امواه اليم يجعل الحج في امراء"^(١). القائل "انا الذي وضعت الرمل تخوماً
للبحر فريضة ابدية لا يتعداها. فتتلاطم ولا تستطيع ونعج امواجه ولا
تجاوزها"^(٢)

لما استيقظ هذا السيد النائم رأى نوبيث الواحد في البحيرة والاخر في
صدور رسله. فاهتم لهذا اكثر من ذاك. انما بلطفه ابتداء بتوبيخ النوء البحري
بينما كان الرسل اولى بالتوبيخ. يعلم انهم لا يستفيدون بالتوبيخ الا بعد ان يسكن
النوء فسكنه اولاً. تكلم سلطان البحار وقال للبحر "اسكت. ايبكم". ليس كما
ضرب موسى البحر بعصاه بأمر الرب فخضع. بل يجرد كلمته كأمر اخضعه
لانه هو "المتنطق بالقدرة المهدى عجب البحار عجب امواجهها وضحج الامم"^(٣).
نحن نشهد له فنقول قول المرنم "من مثلك قوي*** ومتسلط على كبرياء
البحر عند ارتفاع لجهج انت تسكنها"^(٤). "صوت الرب على المياه*** الرب
فوق المياه الكثيرة"^(٥). فالذي ينتهر الآن بحر طبرية هو الذي انتهر
قديماً بحر سوف فيبس "وسبرهم في الحج كالبرية"^(٦). تسلط آتذ على البحر
الاحمر خدمة لجماعة خائفيه. فيسكن الآن هيجان بحر الجليل لمرور رسله

(١) مز ٤٣: ٧ (٢) ار ٢٢: ٥ (٣) مز ٦٥: ٧ (٤) مز ٨٩: ١٠

(٥) مز ٣٩: ٣ (٦) مز ١٠٦: ١٠

"بالامر سكنت الخور والريج يا جبار فانت سلطان الدهور تقضي بما تختار"

فيه. لأنه كما ان الخراف لا تعرف ولا تطيع إلا صوت راعيها . كذلك الرياح والأمواج لا تعرف ولا تطيع إلا صوت بارئها . اطاعة لصوت الذي هو الكلمة وكل شيء به كان سكنت الريح وصار هدوء عظيم . ولم يكن هذا الهدوء الفجائي طبيعياً . لان قانون الموج ان يزول تدريجاً بعد زوال الريح . فكانت هذه معجزة مزدوجة

نعلم ان السر في الحياة اليومية هو كالسر في تلك السفينة المعذبة . اي ان السلامة للأشخاص وللكنيسة في وسط انواء الحياة تقوم بوجود يسوع المسيح ساكناً في القلوب وسائراً مع كنيسة ليستهر قوات الشر ويوجد الهدوء والظفر علمنا ان العاصف الذي استقط البيت واهلك جميع اولاد ايوب الصديق كان عمل ابليس بسماع الهي^(١) . ولهذا يمكن الظن ان كانت له يداً في هذا النور في البحيرة . فدرى في تسكينه النور محاربة خفية بين "رئيس بيت داود" "ورئيس هذا العالم" . ويجوز ايضاً ان يعزى الى هذا الشرير الذي ادخل الخطيئة الى العالم في جنة عدن كثير من الخلل الموجود في العالم حتى في الامور الطبيعية . ولا تعجب اذا سمع الخالق عز وجل لابليس بنفوذ عظيم في الروحانيات ان يسمح له ايضاً بمثل في الماديات . ولعل هذا ما قصد الرسول بولس في قوله "ان الخليقة أخضعت للبطل ولكن ليس طوعاً"^(٢)

شبه يسوع ذاته في وقت آخر ليونان النبي . ونومه في السفينة يذكرنا بنوم يونان ايضاً في السفينة اثناء نومه شديد^(٣) . اما الفرق بينها فظاهر وعظيم . لان يونان نام وهو هارب من الاوامر الالهية ورفض ان يخدم الناس بتبشيرهم بكلمة الرب . يسوع نام بعد اتمام المشيئة الالهية وتفانيه واعياؤه في خدمة الناس وتبشيرهم . يونان سبب هيجان النور . ويسوع سبب تسكينه . جلب وجود يونان في السفينة خطراً عليها وعلى من فيها . ووجود يسوع في السفينة ازال الخطر وحقق سلامة السفينة ومن فيها . واخيراً كان خروج يونان من

السفينة شرطاً لسكون النور. وبقاء يسوع في السفينة كان شرطاً لذلك ولنا في تسكين يسوع هذا النورحة من القصد الالهي بان يعيد الى الانسان بواسطة عمله الفدائي واتحاد الانسان الروحي مع الله كثيراً من هذه السلطة على الطبيعة التي فقدتها بسقوطه. نرى هذا يتم فعلاً على نوعين. اولاً باستطاعة المؤمن ان يقابل مخاطر القوات الطبيعية واضرارها دون ارتعاب. وثانياً بواسطة رقيه العقلي والادبي اذ يستولي على كثير من هذه القوات ويتلافى اضرارها ويستخدم منافعها. ولنا في كل يوم شواهد ما للانسان الساقط من السلطة على الموجودات على انواعها. يتسلط على البحار بسفنه واسلاكه. وعلى الانهار بمخائره وسدوده. يستخر الرياح والمياه واشعة الشمس والنار والكهرباء والصخور والتراب والمعادن في جوف الارض العميق في خدمة مقاصد. على انواع لا تحصى تخضع له الطبيعة. فلا عجب اذا خضعت خضوعاً ممتازاً للانسان الكامل الذي مثل في شخصه خالق الكون ذاته. فله على الطبيعة سلطة غير محدودة

الريح من خارج البحر مثلت المصائب الخارجية التي تنقض على الانسان ومنها القوى الطبيعية المهلكة للاجساد. والتموج من داخل البحر مثل التجارب الداخلية التي تهيج في نفس الانسان. وهي القوى الشيطانية المهلكة للنفوس. ففي تسكين يسوع هذا النور المزدوج بالمعجزة المزدوجة أعلن استعداد ان يفعل فعلاً مزدوجاً في سفينة حياة الانسان التي تخبط في بحر هذا الدهر. وهو الذي يعطي الفوز على نوعي البلايا والسلامة من شرها. فالمصائب والتجارب هي كبوتقة الصانع التي لا تحوّل الذهب نحاساً ولا النحاس ذهباً بل تظهر الحقيقة وتزيل الالتباس وتزيد الذهب جلاءً وانفصالاً عن النحاس. هكذا التجارب لا تصير الصالح طالحاً ولا الطالح صالحاً. لكنها تظهر الحقيقة وتكشف عن طلاح الطالح وتزيد. وعن صلاح الصالح وتزيد. زعم الانسان بان المصائب تولد اثمًا لم تكن فيه زعم فاسد. كما ان الشمس لا تضع

زرعاً في الأرض لكنها تنعش زرعاً حياً وتيس زرعاً ميتاً هكذا المصائب . فلا ينصرف سعي العاقل بالاكتر الى اجتنابها بل الى تربية الصلاح في نفسه . وما يصح في الافراد يصح في المجتمع ايضاً . شبه المسيحيون الاقدمون الكنيسة بالسفينة بالنظر الى ما ينزل عليها من النوازل وما تناله من الانقاذ والاستفادة . فيجب ان لا تياأس متى خاضت لحج المياه العميقة الهاجئة^(١)

بعد ان خاف الرسل من النوء عادوا فخافوا من الذي سكته . خوفهم من خطر عظيم عقبه خوفهم من شخص اعظم . فتعجب يسوع من عدم ايمانهم . ثم تعجبوا هم من عمله الموجب لايمانهم . غيرته على سلامة رسله وراحتهم وسرورهم ظاهرة . لكنها لم تمنع حدوث النوء . فغيرته الدائمة على شعبه وكنيسته ظاهرة واكيدة . لكنها لا تنفي المصائب . مع كونه يرافقهم في سفينة حياتهم اليومية لا يمنع عنهم وقوع الخطر . انما يمنع وقوع الضرر كما قال داود "لا يلاقيك شر" . فيجب ان لا تنفع في غلط ذلك التلميذ الذي قال له "أما يهلك اننا نهلك" لان سماحه بان تأتينا المصائب لا يعني انه لا يبالي^(٢)

اقترن في الوقت الواحد بيان سلطان يسوع الالهي الفائق واعياؤه الجسدي الذي سبب نومه كأحد البشر الضعفاء^(٣) . وكل من يعتبر يسوع حكيماً ومستقيماً يتحقق انه مستحيل ان يترك رسله يتوهمون ان تسكين النوء كان بامرهم بينما هو تسكين طبيعي^(٤)

(١) اش ٤٢: ١ ونا ٢: ١ و٤ شبه حزقيال النبي المالك ايضاً بالسفينة في كلامه عن صور في عزها (٢) لا يصح دائماً قول المرغم "ينقذ الله سريعاً . آله من كل ضيق" (٣) هل يمكن ان كسبه يلفقون او يتوهمون ان له لاهوتاً ينسبون اليه ايضاً الاعياء . يظهر في هذا الخبر صدق الخبرين لانهم يوضعون تقصيراتهم والتوبيخ الشديد الذي استحقوه ونالوه . ولانهم حفظوا الصورة الطبيعية في كل تفاصيل القصة وحسروا المعجزة في النقطة الجوهرية عند القول "اسكت . ايكم" (٤) "هذه المعجزة المحسوسة كانت رمزاً لتلك المعجزة الاسمية الروحية التي يفعلها يسوع في كل الاجيال اذ يأمر بتسكين روع النفوس في كل اضطرابات الحياة وينخضع لامره جميع القوات التي تقاوم تقدم ملكوته في العالم" (اوغسطس نياندر)

اما النوء الثاني الذي كان في صدور تلاميذه فسكنه يسوع بتوبيخ لطيف قال "ما بالكم خائفين هكذا قليلي الايمان ؟ كيف لا ايمان لكم ؟" أظهر سلطانة في معالجة مثال المصائب الخارجية لكنه أهم كثيراً ان يظهره في معالجة مثال التجارب الداخلية الاشدّ خطراً . فانه يوقف النوعين متى شاء وكان في ذلك خير . لان الساج بالتجارب كالساج بالمصائب ليس الا للخير . نذكر قول الرسول "الله امين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة ايضاً المنفذ لتستطيعوا ان تحتملوا" (١)

حدث بعد تسكين النوء امرٌ يحول الفكر من افعال يسوع الى افعال خصمه ابليس الذي لم يسكت عن يسوع كل مدة وجوده ظاهراً بين الناس . فتعويضاً على فشله في محاولته التسلط على يسوع ضاعف آتذ سلطته على بعض البشر ليستخدمهم في مقاومة خصمه العظيم

ومن جملة آتاه البشرية آتذ رجلا ن يطوفان البرية في كورة الجرجسين (٢) في المحل الذي قصد يسوع ان ينزل فيه من السفينة . واذ رأى هذان قدوم سفينة هجا من مأواها في الملافن الصخرية . لانها كانا قد قطعا بجنونها الطرقات في تلك الناحية كلها على العابرين . ويرجح انها قصدا التفك بالقادمين فيها وعلى الاخص بيسوع لانها عرفاه . فأتيا بصرخان بهيئتها المكربة ملطخين بدمائها لانها كانا يجرحان ذواتها بالحجارة . عند ذلك امر يسوع الارواح النجسة المحالة فيها ان تخرج منها . فصاحا للوقت بكلام بعضه شيطاني وبعضه رحمانى ما دل على سطوة يسوع عليهما . قائلين "ما لنا ولك

(١) اكو ١٠: ١٣ (٢) هذه الكورة هي في مقاطعة بيرية التي عاصمتها جدره المعروفة الآن باسم (ام قيس) الواقعة الى الجنوب الشرقي من بحر طبرية . وكان القسم الأكبر من السكان وثنيين مع كون البلاد لليهود . وقد سبق الكلام عن الاحتلال الشيطاني الخصوصي في زمن يسوع تحت اسم "ديمون" الذي كان يسبب الجنون وعن معرفة الشياطين بيسوع وشهادتهم الممتازة له (انظر ف ١٥)

يا يسوع ابن الله العلي. أجيئت الى هنا قبل الوقت لتعذبنا" (١)
 حصر البشير مرقس هذا الخبر في أشهر هذين الرجلين وأورده مفصلاً.
 بعد انتصار يسوع الارواح الشريرة المحالة في هذا الرجل وفي رفيقه ركض هذا
 وسجد له صارخاً "استخلفك بالله ان لا تعذبني". الفعل الاول لأمر يسوع
 الشياطين ان تخرج كان تعذيباً للمسكون. لان الشيطان لا يخرج من انسان
 الا ويصرعه ويؤلمه. ولذلك كان المسكون يخاف ويطلب التخلص من
 الآلام. وفعله الثاني كان تعذيباً للشيطان لان لذته هي في تعذيب الانسان
 واهلاكه. وعذابه يكون بنزع فريسته من بين محاليه. فالساكن والمسكون
 يصرخان "لا تعذبنا"

يا لها من صورة مؤثرة على شاطئ هذا البحر. يسوع واقف مكلل بهيئة
 القداسة المقترنة بالسلطان والحنان. ووراءه الرسل وهيئتهم تدل على الاضطراب
 الشديد الذي اضنكم في الليل الغابر. وعلى اضطراب جديد من هجوم
 هذين الشخصين عليهم في هذا الوعر وجهلهم ماذا يصير من امرها. ومع
 اضطرابهم ترى في وجوههم ملامح الشفقة على هذا المعذب بالارواح النجسة.
 وامامهم هذا الشخص البربري الجاثي في عريه وجروحه امام سيدهم بهيئة
 الاضطراب ايضاً من فعل الشيطان الذي صرعه قبل خروجه. ومع هذا
 الاضطراب يمتزج في هيئته شيء من آمال المستنجد بشخص يعرفه قادراً على
 تخليصه من شقائه

سؤال يسوع "ما اسمك" أظهر له باجلى بيان صعوبة امره الغير
 الاعتيادية. اجابة المجنون صدقاً "اسمي لجئون. لان شياطين كثيرة دخلت
 فيه" (٢)

(١) يعلم الشياطين ان السماح لهم بالمداخلة مع البشر هو الى حين وإلى درجة محدودة

(٢) لجئون هو اسم الفرقة الكبيرة العسكرية عند الرومان وهذا المجنون يعرف جيداً

لما عجز رئيس الشياطين عن اضرار يسوع راساً بواسطة هذين الجنونين
دبر حيلة اخرى قصد بها تهيج سكان تلك الكورة ضد يسوع. فعلم الارواح
الشريرة الحالة في هذا الشخص ان تطلب من يسوع بلجاجة ان لا يامرهم
بالذهاب الى الهاوية. بل ان يسمح لهم بالدخول في قطع كبير من الخنازير
نحو الفين كان يرعى "عند الجبال بعيداً عنهم"

الارواح نجسة والخنازير على شكلها. فيسوع لا ينكر الملازمة في هذا الطلب
وبما ان الخنازير محرمة عند اليهود فقنيتها برهان غلبة الطمع على الدين في
اصحابها الذين يرحح كونهم يهوداً. فسمح يسوع ان يقاصوا باتلاف هذه الفنية
المحرمة. ولا سيما لانه يحصل بذلك برهان حسي بان الاحلال الشيطاني
حقيقي وبان الشفاء من هذا الاحلال كان حقيقياً ودائماً^(١). ويأخذ الجميع
مثالاً لشر عاقبة الاستعباد للشيطان. وبرهاناً لسلطان يسوع على
الخيرات الزمنية فيصرف بها حسب حكمته. لان الذي سمح بهذه الخسارة
على اصحاب الخنازير هو المالك الاصلي الحقيقي^(٢). وليس عناية الصمدانية
تسمح كل يوم بمثل ذلك في العالم حتى بين خائفيه ايضاً؟ فكل من يقول لربه
ان كل ما نعطيني اقبله بشكر وكل ما تأخذه مني أسلمه برضى وكلما لا يأتيني
استغني عنه دون تدمير قائلاً "الرب اعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب
مباركاً"^(٣)

قال يسوع للارواح "امضوا فخرجت ودخلت في الخنازير. واذا قطع
الخنزير كلة قد اندفع من على الجرف الى البحيرة واخنق في المياه". رعاة
الخنزير مطالبون تجاه مستأجرهم فاندهلوا من هذا الامر الغريب الذي
حدث امام عيونهم. واستولى عليهم الخوف كما استولى على المسافرين مع يسوع
لما سكن النوء. فهربوا واذاعوا في طريقهم بين الضياع وفي المدينة خبر ما

(١) لعل يسوع حكم ايضاً ان هذا السماح يسهل خروج الارواح من الانسان دون

زيادة في تعذيبه

(٢) مز ١٣٤

(٣) اي ٢١:١

حدث للمجنونين وللخنازير. فهرع العموم قاصدين محل هذا الحادث الغريب وعند وصولهم راوا في جثث الخنازير حالاً برهان صحة رواية الرعاة. وزاد دهشهم عند رؤيتهم مواطنهم المشهور في جنونه وفضائعه "لابساً وعاقلاً وجالساً عند قدمي يسوع" يسمع تعليمه في موضوع ملكوت السموات الذي دخله جديداً اذ آمن بالملك الروحي الذي نجاه

فاعتراهم الخوف ايضاً لوجود شخص بينهم صاحب سلطان كهذا مستعد لاستخدام سلطانه في مقاومة البطل ولومها أدى الى الخسائر المادية. ومن منهم يؤمن على ممتلكاته ان اتلف له يسوع كل ما داخله محرم نظير قطع الخنازير؟ فهل ابتهجوا بظهور خصم ابليس القوي والقادر ان يقبضه ويخلص الناس من الاستعباد له؟ وهل امتلأوا سروراً وشكراً لانه فعل ذلك لاجل مواطنهم؟ وهل حسبوا خسارتهم الخنازير طفيفه بالنسبة الى الرج في شفاء مجنونهم؟ كلا. لان الشيطان نجح فيهم بمكيدته. فنفروا من هذا المفضل القدير "وطلبوا اليه ان ينصرف ويمضي عن تخومهم". وكان اولي بهم ان يفعلوا فعل سامري مدينة سوخار وطلبوا اليه ان يدخل مدينتهم ويمكث عندهم ليظهروا امتنانهم من احسانه ويستفيدوا من تعاليمه. اما يسوع فاستجاب طلبتهم وانصرف ودخل السفينة ليعود الى الجليل. طرده كما طرد فرعون موسى بقوله "اذهب عني. احتز لا تر وجهي ايضاً انك يوم ترى وجهي تموت" (١). فموسى اطاع وكان الخير له في ذهابه وهو المطرود والويل لطارده. هكذا امر يسوع والجدرين

لكن ماذا يفعل هذا الرجل الذي شفي؟ هل يطلب العود الى بيته واملاكه واشغاله ليستعيز عن الزمان الطويل الذي فيه كان ليس فقط بطلاً بل مخزياً. لو كان شفاؤه جسدياً فقط لفعل ذلك. لكن قاعدة يسوع ان لا يشفي جسداً الا ويشفي معه نفساً اهم منه بما لا يقاس. فظهر الشفاء

الروحي في هذا المجنون من طلبه الى يسوع "ان يكون معه"
 هذا الطلب الرابع الذي تقدم ليسوع في هذا الحادث . الاول طلب
 جهالة لا مزيد عليها . وهو طلب المجنون من يسوع "ان لا يعذبه" . فكون
 اجابة هذا الطلب اعظم اذية للطالب الجاهل صالحة الحقيقي لا يمكن الا
 ويرفضه يسوع حباً له . والثاني طلب الشياطين ان يأذن لهم بالدخول في
 الخنازير . فاستجاب يسوع هذا الطلب لان فوائد الاستجابة اكثر من
 اضرارها . الطلب الثالث كان من اهل الكورة بان يتصرف يسوع عنهم .
 فاستجاب يسوع هذا الطلب ايضاً مع كونه لضررهم لانهم ليسوا مجانين . ولانهم
 بعد هذا البرهان الظاهر امام عيونهم بانه يقدر ان يخلصهم من سلطة الشيطان
 "احبوا الظلمة اكثر من النور لان اعمالهم كانت شريرة" (١) . فهو لا يرغم
 احداً لقبوله والايمان به ولا يزور الا الذين يريدونه ولا يخلص الا طالي
 الخلاص

الطلب الاخير هو الطلب الوحيد الصالح . ومع ذلك رفضه يسوع
 اصاح اعظم . لانه يفضل دائماً الاصلح على الصالح . جيد ان يكون هذا المتجدد
 مع يسوع كما طلب . لكن يسوع يحتاج الى مبشرين في تلك الكورة من اهلها
 - مبشرين يتكلمون عن اخبار عما فعل بهم يسوع . وهذا الرجل يحتاج الى
 عمل يقويه في ايمانه وسلوكه . ولا شيء ينشط المؤمن الحديث مثل الاقرار
 العلني بمراحم الرب في الخلاص . بناء على اسباب كهذه لم يدعه يسوع ان يبقى
 معه بل صرفه قائلاً "اذهب وارجع الى بيتك والى اهلك واخبرهم كم صنع
 الرب بك ورحمك" . واطاعة لهذا الامر مضى وابتداً ينادي في المدينة كلها
 وفي العشر المدن فتعجب الجميع

جاء خبر ما فعله يسوع بهؤلاء الطالبين شاهداً لقولنا السابق ان صلاة
 الشرير لا تؤول الا الى خرابه وان اهل صلاة الصالح لا تؤول الا الى خيره

ولا يعلم إلاّ العليم الحكيم المدبر أمور المؤمنين كثرة المراحم التي تأنيهم بعكس ما يطلبونه

ولنا في هذا المجنون مثال صادق للخاطئ . حتّى ان الخطيئة جنون النفس وليس المجنون المعروف سوى خيلاً ورماً الى الجنون الحقيقي المهم المؤبد . وهو الخطيئة ففضل مجنون جدره الثبور النجسة مسكناً على البيوت النظيفة الصحية المرتبة وكان عمله إضرار ذاته مع كل من لاصقه أو مرّ به . كان يجنب معاشره الأصحاء ويختار عشراء من المجانين نظيره مع وحوش البرية . ويقول للخلص الوحيد " مالي ولك " . لم يظهر مخلص من جنون الخطيئة ومن نتائجها في الدنيا والآخرة إلاّ هذا الذي خلص مجنون جدره في ذلك اليوم من جنونه وأسبابه ونتائجه

إذا فرضنا ان يسوع قصد الاستراحة بذهابه في السفينة الى العبرنجد انه حرّمها بسبب توحش الجدرين . فرجع الى وطنه في كفرناحوم . ومع ان يسوع تركهم حسب الظاهر لكن الحب لا يترك ولورفض . فيسوع مستعد ان يزور بلادهم بعد حين وان يرسل لهم قبل زيارته سبعين مبشراً في وقت واحد ليطوفوا في تلك البلاد ويبشروا بمجيئه وملكوته . لذلك اهتم ان يبقى هذا الشاهد الجديد مبشراً في تلك الناحية استعداداً لذلك اليوم المقبل



الفصل الخامس والعشرون

(مت ٩: ١٨-١١: ١ و ١٣: ٥٤-٥٨ مر ٥: ٢١-٤٢ و ١: ٦-١٣)
 لو ٨: ٤٠-٦: ٩

(المرصع) ف ١٦ و ١٧ (الزمان) ٨ ك ١ السنة ٢٨ م
 (المكان) كفرناحوم. الناصرة. الجليل

اقامة ابنة يابرس من الموت . شفاء نازقة الدم . فتح اعين اعميين . شفاء اخرس
 مجنون . الرفض الثاني في الناصرة . الجولان الثالث في الجليل . ارسال الاثني
 عشر للتبشير

لم تفلح مقاومة الرؤساء في ايقاف تيار شهرة يسوع . فاصبح الآن اشهر
 شخص في البلاد كلها . وصارت كل حركاته وسفراته معلومة عند الجميع
 وكان محور الاحاديث كما انه مقصد كل مستغيث . لذلك لم تدن سفينة من
 البر حتى كان جمهور واقفاً ينتظره على الشاطئ . وحال نزوله من السفينة
 اخذ حسب عادته يكلمهم

في ذلك اليوم كان في بيت يابرس كبير القوم في كفرناحوم ورئيس
 مجتمعهم فراش تشغله وحيدته وعمرها اثنتا عشرة سنة وهي في حالة النزاع
 محاطة بالعائلة والمقرّبين الغاصين بالبكاء شعوراً مع الوالدين في مصيبتهم
 الجسيمة . ولم تنجح معالجات الاطباء ولا خدمة الاقرباء ولا تضرعات الاحباء .
 ولم يبق رجاء الا بالالتجاء الى الناصري الشهير المستوطن بينهم
 يرجح ان هذا الرئيس قاد سابقاً الوفد الذي طلب من يسوع الذهاب

الى بيت قائد المئة ليشفي عبده^(١) وكان هذا الطلب مستثنى لاننا لاحظنا سابقاً ان يسوع لم يذهب غالباً الى البيوت لشفاء المرضى فيها. ولهذا استعظم قائد المئة الامر وقال انه غير مستحق ان يدخل يسوع تحت سقفه. فشفي يسوع الغلام دون دخول البيت. فلا بد ان يستصعب يابرس الذهاب الى يسوع ليطلب مجيئه الى بيته. ويستصعب ايضاً مفارقة وحيدته في حالتها هذه ولا يؤمل ان يسوع يأتي الى بيته لو ارسل له آخر. ولا يمكن اخذ الابنة في درجة الخطر الى يسوع

فاسرع بذاته الى الشاطئ "ووقع عند قدسي يسوع وسجد له" فاما كان اعظم دهش الحاضرين عند رؤيتهم رئيسهم متذللاً بهذا المقدار امام النجار الناصري الفقير الذي هو رفيق للعشارين والخطاة ومحقر عند الفريسيين قومه. غير ان ما عرفه يابرس واهل كفرناحوم عن فضائل نزيلهم الجديد وفضله يفسر شيئاً من هذا الاحترام الغير المنتظر. مصيبة هذا الرئيس الشديدة دللته. وساقته الى القدير فانفتح له باب الفرج. وتحولت مصيبته الى بركة اعظم^(٢). كان يستطيع يابرس ان يقول فيما بعد مع نبيه داود "قبل ان اذلل انا ضللت. خير لي اني تذلللت لكي اتعلم فرائضك"^(٣)

صبر عليه يسوع الى ان "طلب اليه كثيراً" ووصف حالة ابنته واطهر من الايمان ما اكفى به يسوع. لانه قال "ابنتي الصغيرة على آخر نسمة لبتك تأتي وتضع يدك عليها لتشفى. تعال وضع يدك عليها فتحيا". يستحيل ان يتغاضى يسوع عن طلب كهذا مقرون بايمان. لان الايمان هو كالدلو الوحيد لسحب الانسان ماء الحياة من آبار الخلاص. الايمان هو كالعين الوحيدة التي بها يرى الانسان طريق السماء ليسير فيه. الايمان هو كاليد

(١) ف ٢١ (٢) يسوع لم يبنه هذا الرئيس عن السجود له ولا رفعه عن الارض كما كان يجب عليه لو كان بشراً محضاً فنعم المصيبة التي تسوق المصائب الى المعين الالهي

(٣) مز ١١٩: ٦٧ و ٨١

الوحية التي بها يتناول الانسان خبز الحياة ليحيا به "لان البار بالايمان يحيا" (١)

فمضى يسوع معه هو وتلاميذك وتبعه جمع كثير زاده مقام يابرس وشعور اهل المدينة وتأثرهم من سجوده علناً ليسوع على شاطئ البحر . فلماذا لم يأمر يسوع بالشفاء عن بعد كما فعل مرتين (٢) قبلاً ؟ ألا يكون في ذلك معجزة البهج وموجباً اقوى لايمان الجمهور واهل المدينة والبلاد به ؟ ربما كان ذلك لان يسوع علم ما لم يعلمه يابرس او غيره من الحاضرين . وذلك ان الابنة قد ماتت فعلاً بعد خروج ابيها من البيت . فصار العمل المطلوب اصعب جداً وبما ان رئيس المجمع معدود عدوه الطبيعي في ذهابه معه يظهر له مراعاة ممتازة . ويتقدم بذلك مثلاً معتبراً لمحبة العدو . وبما ان يابرس اتم الشروط الاربعة اللازمة لنيل بركات الخلاص نال طلبه وذهب يسوع معه الى بيته . وهذه الشروط هي الايمان اليه والاتضاع امامه والحرارة في الطلب منه والايمان الحي به

"وفما كان يسوع منطلقاً زحمته المجمع" واذ لا يمكن للحاط بازدهام كهذا ان يسرع في السير فلا ريب ان يابرس استاء من هذا البطء لان الدقائق كانت عندك كالساعات لابل كالايام . وزاده استياء وقوف يسوع في الطريق ووقوف الجمهور معه بسبب امرأة مسكينة . غير ان ما سبب استياءه عاد عليه بالبركة في تقوية ايمانه واحياء رجائه

هذه المرأة المجهولة الاسم والوطن كانت قد قضت اثني عشرة سنة في مرض اضنكها الماء ونجلاً لانه من دواعي النجس الطنسي عند قومها التي تحرما كثيراً من التمتع الدينية . فضلاً عن مصائب المرضى العمومية نظير تحملها هذه السنين كلها علاجات عديدة ومتنوعة بعضها كريمة وموئلة للغاية .

(١) غل ١: ٣ (٢) مرة مع ابن وكيل هيرودس واخرى مع غلام

فبذلت في هذا السبيل كل ما لها اطاعةً لمطالبي الدجالين المسيين اطباء^(١).
 فلا نستغرب قول البشير انها لم تستفح شيئاً بل صارت الى حالٍ اردأ
 لاسبيل هذه المسكينه لتستعين على انفراد لاجل الشفاء. ولا تسمح لها
 حشمتها ان تستعين جهاراً في امر داء كدائها. فما الحيلة؟ اجتمعت قوة ايمانها
 يسوع مع شدة حاجتها اليه. فقالت في نفسها يكفيني لمس ثيابه فقط. ولي
 ملء اليقين ان ذلك ينيلني الشفاء دون ازعاج المعلم والتعرض للملاحظة
 الجمهور. ولانها لم تتوقف كالكثيرين عند الفكر الحسن والقول الصائب
 نالت منيتها. ولم يكن الازدحام مانعاً لها بل اقتربت الى وراء هذا الشا في
 ولمست هذب ثوبه^(٢) وللحال علمت بشفائها الفجائي على صورة لم تكن تتوقعها.
 ومع ان عملها لم يخل من اعتقاد خرافي بان القداسة والقوة تحلان في المادة
 وتخرجان منها تمدح على ايمانها اكثر مما تلام على اوهامها. ولكن اللوم كل
 اللوم على مروحي الاوهام لغاياتهم النفسانية. اما يسوع فلم يمسك عن هذه
 المرأة فائدة الايمان بسبب وهما العرضي

(١) في بعض الكتابات القديمة قوائم العلاجات المعينة للدواء المختلفة. منها يرى
 المطالع ان اكثرها قاس جداً لا يؤمل منه سوى العذاب المفرط. لانه لم يوجد في ذلك
 العصر اطباء قانونيون. لذلك نقرأ في التلمود "ان افضل الاطباء معد لجهم". وشاع
 عندهم هذا القول "ان الطيب شر من اللص. لان هذا يأخذ اما مالك او حياتك بينما
 ذاك يأخذ حياتك ومالك معاً" (٢) يلاحظ ان يسوع جاري القوم في العوائد
 التي لا ضرر من ممارستها. فكان لباسه على ما يرحح كلباس معلمي الدين عند اليهود امثالاً
 للتعليمات القديمة التي منها "كلم بني اسرائيل وقل لهم ان يصنعوا لهم اهداباً في اذيال ثيابهم
 في اجبالهم ويجعلوا على هذب الذيل عصاة من اسما نجوني. فتكون لكم هدباً فترونها
 وتذكرون كل وصايا الرب... لكي تذكروا وتعملوا كل وصاياي وتكونوا مقدسين
 لاهكم" (عد ٢٨: ١٥ - ٤٠) ايضاً "اعمل لنفسك جذائل على اربعة اطراف ثوبك" (مت
 ٢٣: ١٢) نتيجة هذه الوصايا كانت مظاهرات فاوغة بين الفرسيين حتى ونجهم يسوع
 بقوله "كل اعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس فيعرضون عصائبهم ويعظمون اهداب
 ثيابهم" (مت ٢٣: ٥)

هذه المرأة انت من وراءه فلم يرها ولم تلمس شخصه. فتوهمت انه لا يدري بما فعلته. لكن لانه عالم الخفايا اوقف السير وقال "من لمس ثيابي؟" فظن الجميع حتى رسلة انه سأل استعلاماً. ولكن قصه كان استنطاق المسؤول كما في سؤال الرب قايين بعد قتله اخاه "اين هابيل اخوك؟". كان للمرأة قبل شفائها سبب كافٍ للتستر فزاد بسؤال يسوع ثم باتت به الجمهور كله الى ما حدث ثم بكونها سرقت الشفاء دون استئذان الشافي

واذ نظر يسوع حوله كأنه يستفهم من الجميع كثر الذين انكروا ولم يعترف احد. اما بطرس المتسرع في الكلام فتاب عن زملائه في مواخذه يسوع مذكراً آياه ان الازدحام جعل الكثيرين يلمسون ثيابه. لكن يسوع لم يسأل عن اللمس البسيط بل عن لمس الايمان اذ لا شيء يهيمه كالايمان فاما انها هو الذي ميزها عن الكثيرين غيرها من الذين كانوا نظيرها يطلبون الشفاء. ومجرد لمس هذب ثوب يسوع مقروناً بالايمان كان باب الخلاص لها بينما معاشره يسوع ومساكنه ثلاث سنين دون ايمان لم تأت بهن النتيجة الجوهريه للاستخريوطي بل زادت دينونه

قصد يسوع بهذه المعجزة كعادته شفاء جسدياً وروحياً. وان يظهر الشفاء الروحي كالجسدي لفائدة المرأة ذاتها والرسول وبابرس الذي ينال تقوية ايمانه ومثاله الاعتراف بفضل الشافي. قال الكتاب "القلب يؤمن به للبر والهم يُعترف به للخلاص" (١). فعلى هذه المرأة ان تحمل صليبها اكراماً لشافئها. وان تعترف بقدرته وفضله لاجل صاحبها الروحي. لذلك نظر يسوع الى الورا وتطلع فيها مبيناً انه عرفها. فارتعبت خوفاً اذ لا تعرف يسوع ولطفه وحب للناس وخافت من القصاص على عمل لاحق لها فيه. او على الاقل من توبيخ صارم امام الجمهور. واذ لم يعد يمكنها الا الاعتراف العلني تقدمت وسجدت له واعترفت بعلتها المخجلة اولاً. ثم بما فعلته خفية

وبالشفاء العجيب الذي نالته . فكلها حالاً بكلام ملوّه العطف
والرحمة قائلاً "ثقي يا ابنة ايمانك قد شفاك . اذهبي بسلام وكوفي صحيحة من
دائك"

لم يفرغ يسوع من هذا الكلام حتى وقعت على راس يابرس الضربة
القاضية على رجائه . لان رسول سوء جاءه من بيته يقول "ابنتك ماتت .
لماذا نتعب المعلم بعد ؟" أفلا يأسف على تذليله ليسوع او يندم على خروجه
من بيته وغيابه ساعة احضار وحيدته ؟ . ألا يتوقع شاته زملائه الفريسيين
لكرهم هذا الناصري الذي لا يخضع لهم ؟ ولكن يسوع استدرك هذا التأثير
السيئ وطبب خاطره بقوله له "لا تخف . آمن فقط فهي تُشفى"

ولنذهب الآن بالفكر الى بيت الحزن فنرى ان جماعة عند موت
الابنة في غياب ابها باثروا بالفروض المطلوبة في حوادث الموت التي من
جملتها استئجار مزمرين ونادبات^(١) . وقام صياح الاهل والمحيين مصحوباً
بنتف الشعر والطم على الصدور وتمزيق الملابس وذرّ الرباد على
الروؤس . لان الابنة كانت وحيّة والبيت كبيراً والعائلة معدودة
الخاطر^(٢)

فلما وصل يسوع والاب والجمع الى البيت امر يسوع ان يبقى رسله مع الجمهور
خارجاً ما عدا بطرس ويعقوب ويوحنا الذين ابتداءً يميزهم فوق رفقائهم
فادخلهم معه ليكونوا شهوداً للمعجزة العظيمة وترك التسعة خارجاً ايناساً للجمع
الذي لم يسمح له بالدخول . وعند دخوله الدار تكذّر من الضجيج والبكاء

(١) ار ١٧:٩ (٢) افقر بيت كان عليه ان يستدعي مزمرين ونادبة واحدة .
وكانوا يستعملون شرب الخمر مع النذب . يقال ان اليونان والرومان قصدوا بالصياح
فوق الجنة اما ان يمسكوا الروح عن مفارقة الجسد او ان يوقظوا الميت من سباته ان كان
موتة غير حقيقي

والنوح وونج القائمين بها^(١) وسعى ليزيل اوهامهم في امر الموت الجسدي
بارجاعه روحاً الى جسدها بعد الموت . وشبه الموت بالنوم بالنظر الى القيامة
العتيقة .

لما دخل قال للمجنهين "لماذا تفجئون وتبكون ؟ تفحوا . لا تبكوا . فان
الصبيبة لم تمت لكنها نائمة " . فاستهزأ الحضور به ولا سيما النائحون
الماجورون . وضحكوا عليه لعدم معرفته الفرق بين النائم والمات^(٢) . فلم
يرض ان يشاهد هؤلاء المستهزئون فعلة السماوي الوقور بل اخرجهم جميعاً
فلم يشهد هذه المعركة التي فيها يقهر يسوع آخر عدو يبطل اي الموت^(٣)
الا الوالد والوالدة والرسول الثلاثة . ثم دخل واياهم غرفة الموت . قيل عنه في
الانبياء انه "يبلغ الموت الى الابد ويمسح السيد الرب الدموع عن كل
الوجوه"^(٤) . "ومن يد الهاوية اقدمهم . من الموت اخلصهم . ابن اوباولك
يا موت ؟ اين شوكتك يا هاوية"^(٥) . ووصف الرسول عمله انه "ابطل
الموت واناار الحياة والخلود"^(٦)

نرى الذي قال عن حياته "لي سلطان ان اضعبها ولي سلطان ان آخذها

(١) كانت هذه العوائد مأخوذة عن الوثنيين الذين لارجاع لم وراء القبر فيموتون
كالحيوانات حاسين ان الموت هو موت الانسان بكليته ويشبه باطفاء السراج او بقصف
العمود . وقوى تعليم الصديقين هذه العوائد السيئة لانكارهم عالم الارواح وحصرهم الوجود
في المادة . ونفوذهم في العالمات اعطاهم بعض السلطة ايضاً في امور الدين
(٢) بنى البعض على قوله ان الصبيبة "لم تمت لكنها نائمة" اخرجهم هذه المجاذبة من
بين حوادث اقامة يسوع الموتي . لكن الاصح ان تؤخذ المناحة وضحك النائحين عليه
وقول البشير انهم عرفوا انها ماتت برهاناً كافياً على الموت الحقيقي . وان يؤخذ كلام يسوع
على معنى ما قال عن لعازر الذي كان له أربعة أيام في القبر . "لعاذر حينئذ قد نام .
اكني اذهب لاوقظة" وفسر البشير هذا الكلام بقوله "كان يسوع يقول عن موته . وهم
ظنوا انه يقول عن رقاد النوم" (يو ١١: ١١ و ١٢) (٣) ١ كو ١٥: ٢٦

(٤) اش ٨: ٢٥ (٥) هو ١٤: ١٣ (٦) ٢ تي ١: ١٠

ايضاً^(١) يدخل مع هؤلاء الخمسة غرفة الموت وبهذا السلطان يمسك يد الجنة ويكلم الروح التي فارقت الجسد ويرجعها اليه بقوله " طليثا قومي"^(٢). "والموت قامت الصبية ومشت". ثم امر ابويها ان يقدموا لها طعاماً بالنظر الى صومها الطويل وانتهاك قواها. فيظهر ان العافية انتها دفعة واحدة. فحدثت هذه المعجزة دهشاً عظيماً. حتى كانت وصية يسوع بعدم نشر خبرها عبثاً. فاعطى يسوع بعمله مثلاً جديداً للتحقيق ان الوضع الالهي الحياة الروحية ننصل من المحي روحياً الى الميت روحياً بواسطة التقرب المحي. فتوسط المحي لاهياء الميت ليس فقط جائزاً بل واجباً مقدساً على المؤمنين كافة

عاد يسوع من بيت الرئيس الى منزله وفي الطريق صرخ وراءه رجالان اعميان طالبين الرحمة. اظهرا ايمانها به في اللقب الذي نادياه به "يا ابن داود". وهذا النداء لم يسمع قبل هذه المرة. كلام الانبياء حقق ان المسيح يكون ابن داود^(٣). فيشتم من صراخها الاعتراف بان يسوع هو المسيح. واذ ذاك يكون قد رأى فاقد البصر الجسدي يسوع بالبصر الروحي. ما لم يره اهل البصر الجسدي. واخبروا قول داود "انه ينبغي الفقير المستغيث والمسكين اذ لا معين له. يشفق على المسكين والبائس ويخلص انفس الفقراء"^(٤) ونصرح اشعياء النبي بان المسيح سيعطي البصر للعميان^(٥). اما يسوع فلم يلب طلبها او ينتبه اليها اولاً. لكن اغضاه لم يثن عزمها. فتبعاه الى البيت مجددين استنجادها به

فظهر قصده في عدم الانتباه اليها اولاً لما سألها ان كانا يؤمنان بقدرته

(١) يو ١٨:١٠ (٢) في اللغة الارامية والمعنى "يا صبية لك اقول قومي"
(٣) حز ٣٤:٣٢ و ٣٤ (٤) مز ١٣٧:١٣ و ١٣ (٥) اش ١٨:٣٩ و ٥:٣٥
كان العمى عند اليهود من جملة بعض بلايا مجسومها ضربات الهية (مت ٢٨:٢٩) وكان يستعمل كثيراً في كتاباتهم رمزاً للاستعباد للخطيئة انظر اي ١٢:٢٤ و ٢٥:٢٥ واش ٨:٤٢ و ٩:٥٩ و ١٠:١٥ و ١٤:١٥ و رو ١٧:٣ و ١٨ و ٢ بط ١:٩ و ٢ كو ٤:٤

على فعل لم يسبقه اليه آخر . لان لجاجتهما واحتياجهما وحرارة طلبهما لا تكفي . الجوهر في الايمان . فاجاباه حالاً دون تردد بالايجاب . فلم يسألها يسوع الوديع والمتواضع القلب والمهتم أولاً بتمجيد الآب ان كانا يؤمنان ان الله قادر بل كان سؤاله هل تؤمنان اني انا اقدر . ففي هذا الامر نظرهم . يسوع يريد دائماً ان يظهر في الشفاء مع قدرته حبه ايضاً . فاذا كان هذان الاعميان لا يستطيعان ان يريا ادلة حبه في محياه . اعلنها لهما بواسطة انامله اذ لمس اعينها فانفتحت . ومع فتحه اعينها فتح لها طريق الخلاص بقوله " بحسب ايمانكما ليكن لكما " . فلم تكن المعارف ولا المقام ولا الغني ولا الصلاح بل الايمان علة نجاحهما

هذه الحلقة الاولى في سلسلة حوادث اعادة يسوع البصر للعميان . فكما انه الحياة واحيا ابنة يابرس بعد الموت هو ايضاً النور فاعاد البصر للعميين . وقال لهما كما قال للكون المظلم في البدء " ليكن نور فكان نور " (١) . واوصاها ان لا يعلم احد . لكن الشهرة والاكرام كانا يتبعانه على رغم هربه منها (٢) . لان هذين الرجلين لم يردفا ايمانها بالطاعة بل خرجا يناديان بما فعل بهما يسوع

ثم دخل بعدها اناس مقدمين ليسوع انساناً به شيطان مسبب له الجنون والخرس . فادام به شيطان يعد خرسه بركة . لكن باخراج يسوع الشيطان المتملك فيه اعاد له قوتي العقل والنطق . فتجدد وزاد تعجب العموم وشهدوا ان هذه السلسلة من حوادث الشفاء فاقت كل اخبار المعجزات الكثيرة في تاريخ شعب اسرائيل . اما خصوم يسوع اي الفريسيون فاغتموا هذه الفرصة الجديدة لتهمة باخراج الشياطين بقوة رئيس الشياطين واذا اراد يسوع بعد انتشار صيته وانحياز الكثيرين اليه ان يعطي اهالي

(١) تك ١: ٢٢ (٢) شبهوا الكرامة بخيال الانسان ان تبعها يهرب منه وان هرب

وطنه الناصرة فرصة جديدة لان يقبلوه عاد اليها . من جملة كالاته سحجة
حب الوطن . فلا حقد في قلبه بسبب ما فعلوه به لما اضطروه ان يهجر
الناصرة ^(١) . فزارهم الآن بعد مرور سنة على زيارته السابقة في ظروف وهيئة
جديدة تسهل لهم بل تستدعي احترامه والترحب به . وأول ما ذكر في هذه
الزيارة دخوله المجمع يوم السبت ليعلم اهل المدينة المجنوعين فيه للعبادة
القانونية

يظهر ان "أخواته" كنّ متزوجات في الناصرة ولربما احد اخوته
الاربعة ^(٢) واهل الناصرة لم ينسوا معاشرتهم اياه زهاء ثلاثين سنة كنجار بسيط ابن
نجار يخدمهم في هذه الحرفة ويتقاضى منهم اجرة الخمسة في بناء بيوتهم وتدير
ادوات الزراعة من عيذان وانبار ونوارج وما شاكل ذلك . وهذا ما جعلهم
يستغنون به بالمقابلة مع اكرام سكان المدن الاخرى اياه . لكن في هذا
الوقت اثر صيته الطائر (الذي لا يمكنهم الاغضاء عنه) والكلام العجيب الذي
فاه به بسلطان وليس كوعاظهم . فاحترموه بعض الاحترام . قيل "كثيرون
اذ سمعوا بهتوا" . ودار على السنتهم السؤال "من اين لهذا؟ وما هذه الحكمة
التي اعطيت له حتى تجري على يد قوات مثل هذه؟" اما روح
الاستغفاف فتغلب على روح الاحترام حتى كرر يسوع المثل الذي ذكرهم
به في زيارته الاولى الذي يبين عدم كرامة النبي "في وطنه ويبن اقربائه
وفي بيته"

كان يود ان يصنع بينهم قوات كثيرة كما في الاماكن الاخرى . لكن
معجزاته كانت ترافق تعلية . وحيث لا قبول لتعاليمه لا محل لمعجزاته . لانه لم
يفعلها لاقناع عدي الايمان بل عند وقوع الحاجة لتثبيت المؤمنين .
"فلم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم" ^(٣) هكذا يعلق كل خاطئ

(١) لوقا ١٩: ٤ ف ١٤ (٢) يعقوب ويوسي وسمعان وبهذا (٣) لم يحسب شفاء
مرضى قليلين من "القوات" حتى ان أحد البشيرين قال "لم يصنع ولا قوة واحدة"

باب الخلاص في وجه نفسه بعدم ايمانه بالخلص كما اغلق اهل الناصرة باب المعجزات التي كانوا يظنون ان يشاهدوها . فصح قوله " حسب ايمانكم يكون لكم " (١) تعجب يسوع سابقاً لعظم ايمان شخص (٢) . وهنا ذكر نتيجة الآخر الوحيد لسبب عدم الايمان

ثم ترك الناصرة واخذ يطوف المدن والقرى في خدمته المتنوعة " يكرز بالبشارة ويعلم في الجامع ويشفي المرضى " . وساء حال شعب شبهة بتطبع " غنم لاراع لها " اذ كان لهم رعاة اسماً لا فعلاً . لان هؤلاء بالحقيقة " أجرى لا يبالون بالخراف " فلا يقودونهم الى " المراعي الخضر والى مياه الراحة " (٣) . الى هذه الخراف النعيسة جاء " الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف " . ونحن لما رأى شقاءها

بناءً على اثار مساعيهم في تربية رسلهم وجعلهم اهلاً لان يشتركوا في هذه الخدمة الشريفة " دعا الاثني عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين " (٤) لان تمرينهم على العمل بعد تمرينهم في التعليم صار ضرورياً للغاية . فاستفهم اولاً بقوله " الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون " . وافهمهم ان الفعلة لا يكونون الا مرسلين من رب الحصاد الذي يرسلهم استجابة للصلاة

لا بد من استعداد الرعاة الروحانيين لعلمهم . فيطلب ان يتدربوا انفسهم اولاً ثم ان يختاروا من اصحاب الكلمة والحق في ذلك . ولكن بعد انتداب انفسهم واختيار الناس اياهم لا تصلح خدمتهم الا ويكون المرسل الحقيقي هو روح القدير (٥) . فلا يتوقف ايجاد الفعلة الروحانيين الناجحين على المدارس

(١) مت ٢٩:٩ (٢) ف ٢١ لو ٩:٧ (٣) صورهم وردت في كتب الانبياء

انظر حزقيال ص ٣٤ (٤) الفائدة من هذه المخططة ظاهرة اذ يتناوب الاثنان في العمل وتحصل فائدة من تنوع المواهب ويصلح الواحد ما يراه في الآخر من الخلل . أما ارسال اثنين فقط فلتخفيف اُنغال الضيافة وزيادة عدد الاماكن التي تزار

(٥) ار ٢٣:٢١

التي تثقف الأحداث . ولا على الرواتب التي تقدّم لهم ترغيباً . بل على ارسال ربّ الحصاد اياهم

فربّ الحصاد زوّد هؤلاء الرسل المتفرقين ازواجاً للتبشير زاداً كافياً .
لأنه اعطاهم السلطان المنتضي والقوة لتأييد تبشيرهم بمعجزات الشفاء واخراج الشياطين حتى واقامة الموتى^(١) . واعطاهم ايضاً ما هو اهم اي التعليمات الصريحة المتعلقة بمواضيع تبشيرهم واساليبه

وصرح لهم ان مسؤوليتهم الاولى هي نحو شعب الله الضالّ . فُصر الوقت المعطى لهم يقضي بهذا الحصر . واختيار الذين يعرفون الله معقول . لان الذي يعرف الطريق لا يضلّ الاً عمداً فيكون قصاصة مضاعفاً . ومتى ارتدّ الى الطريق تكون فائدته مضاعفة بواسطة معرفته . ثم ان هذا الضالّ يضلّ الآخرين اضعاف ما يضلهم اُجاهل

واوضح لهم الفرق بينهم وبين رؤساء الدين والمعلمين الذين يجعلون خدمة الدين تجارةً لاجل الارباح المادية . لان الخير الذي يعمله الانسان ولا يأخذ عنه بدلاً مادياً يكون حسن تأثيره مضاعفاً . لذلك جعل قاعدة علمهم "مجاناً اخذتم مجاناً اعطوا"^(٢) . وتسهيلاً لحفظ هذه القاعدة يكفل لهم ان حاجاتهم الجسدية في هذه السباحة تأتيمهم دون تديرها منهم . فهو يعتني بزمانياتهم ان كانوا يهتمون بروحياتهم . بهمة ان يعلمهم بالاخبار ان هذه كلها تزداد للذين يطالبون اولاً ملكوت الله وبره . اي للذين يتفرغون للاهتمام بالحاجات الروحية^(٣)

(١) مع ذلك لا ذكر لحادث من هذا النوع جرى معهم فعلاً

(٢) انما في الاخذ مجاناً خطر ليس بقليل لئلا يقوى روح الطمع والبخل والتركك على الآخرين بدلاً من الكرم والسخاء والاعتماد على النفس

(٣) في غير هذا الوقت أوصاهم بعكس هذه الوصايا التي فيها تنهاهم عن الاستعدادات المادية (لوقا ٢٦: ٢٢)

واوصاهم ان لا يستقلوا من بيت الى بيت في القرية الواحدة . لان الوقت لا يكفي لاجل التأثير المطلوب في اكثر من البيت الواحد بواسطة تكرار التعليم والتأثير الشخصي . فيقتضي ان يتركوا في كل بلد بيتاً واحداً مختصراً جيداً يخبر البلد كلها . واوصاهم ايضاً ان يعززوا كرامة علمهم وشرف الحق الذي هو موضوع كرازتهم بواسطة انذارات مخيفة لكل من يرفض قبولهم وقبول كلامهم . لانهم يمثلون الملك الذي ارسلهم . فمن يهينهم يهين ملكهم ومرسلهم . فان وقع ذلك فهو يؤدّب كل من يؤذيه . ومن يرفض سفيراً يمثل العرش السماوي لا يمكن ان يسلم من عقاب مخيف

وتنبأ لهم باضطهادات عنيفة من اناس يكونون هم بينهم "كغنى في وسط ذئاب" . لان غرضهم يعرضهم للكراهة والاضطهاد من ملوك وولاة . فعلمهم بحفظ طبيعة الحملان واجتناب الشراسة والانتقام . فليعلموا ان الروح الالهى لا يفارقهم وعليه يستندون في المدافعة اللائقة . " فيعطون في تلك الساعة ما يتكلمون به " . قد عومل هو قبلهم بما سيقاسونه من الاضطهاد . وهذا يعزيهم في دورهم متى "امسوا مبغضين من الجميع من اجل اسمي" . وخطر العذاب او الهلاك الجسدي لا يوجب الخوف والحذر كخطر عذاب النفس الابدى . وعناية الآب السماوي بهم نتناول كل امورهم حتى "احصاء شعور رؤوسهم جميعها" . ومن لا يردعه الخوف والحياء من الاعتراف بالخلص ينال اخيراً اعتراف المخلص به في السماء

هو رئيس السلام وملكوته ملكوت سلام . لكن السلام قد يستوجب الحرب لاجل تأييد . واظهار الحق لا يمكن الا ويهيج البطل لمحاربتهم . ولذلك ما جاء ليلقي سلاماً على الارض بل سيفاً . وعملة لا بد من ان يفرق بين اقرب الاقرباء في كثير من الاوقات والاماكن . وعند ذلك يظهر من بفضل رضى الامل على رضى ربه ومن يترك ربه ليلتصق باهله ومن ينكر ربه وايمانه للخلص من الموت الجسدي . فهؤلاء هم الخاسرون . اما من يبقى اميناً

لربه فيثاب معه تعالى علي كل خير يعملها مها كان بسيطاً نظير اعطاء كاس
ماء بارد لتلميذ من تلاميذه حباً له
فلما اكمل يسوع هذا الخطاب تفرق رسله في الجبهات المختلفة للعمل الخطير
الذي انتدبهم اليه



الفصل السادس والعشرون

(مت ١: ١٤ - ٢٣ مر ١٤: ٦ - ٤٦ لو ١٩: ٣ و ٢٠: ٩ و ٧: ٩ - ١٧)

(يو ١: ٦ - ١٥)

(المرصع) ف ١٨ (الزمان) ك ٢ السنة ٢٩ م.

(المكان) قلعة مخيروس - كفرناحوم - بيت صيدا

هيرودس انتيباس . هيرودياً وانتقاماً من المعبدان . وليمة هيرودس وقطع رأس
المعبدان . مضى يسوع مع تلاميذه الى عبر البحر . اشباع الخمسة الآلاف في بيت صيدا .
المقابلة بين وليمة هيرودس ووليمة يسوع . قصد الجوع اقامته ملكاً

لم يزل المعبدان سجين هيرودس "الملك" (١). ولم يرق قلب هذا العاني
لنبي الله الذي غار على خيره الابدي . ولا شعر بان توبخه لتخليصه من شرك
مهلك . ولكي يرفع من امام الشعب عثرة تهوّر كثيرين في الرذائل . لكن
ليس الاسير الحقيقي المعبدان في سجنه بل الملك هيرودس في قصره . لانه وان
كان جسد المعبدان مقيداً في سجنه فنفسه الحرة تتمتع بالرضى الالهي وتستعد
لسعادة ابدية ممتازة . ولكن هيرودس يتمرغ جسدياً في الملذات الوحشية فجسد
يرسف في قيود الاهواء الفاسدة ونفسه في أسر تام لعدوها الشيطان ثم عبداً
اسيراً للامراة الشريرة التي اصطادته باسراكها المهلكة لتطرحه معها في حمأة
العار المؤبد وفي نار جهنم التي لا تطفأ

(١) سمي "الملك" مع ان وظيفته الحقيقية "رئيس ربح" تحت امر الملك في رومية

ورث هيرودس انتيباس رذائل ابيه هيرودس الكبير دون مندرته (١). وفي زيارته رومية نزل ضيفاً على اخيه فيلبس المتزوج بهيروديا ابنة أخ آخر لها. فنتج عن فساد اخلاق الاثنين ان هيروديا فضلت الاقتران بعمها الملك وترك عمها الزوج الاصلي المستوطن في رومية دون منصب. فحضرت مع انتيباس الى ولايته وتبعنها ابنتها سالومة التي ماثلتها في الآداب السافلة. وبعد حضور هؤلاء الثلاثة الى البلاد ارغمت هيروديا انتيباس ان يطلق امرأته الشريفة ابنة اريetas ملك العرب التي تزوجها لاسباب سياسية. وبعد حين عزله الامبراطور ونفاه لاشتغاله في مكيمة سياسية فمات في المنفى. في منطقة هذا الحاكم كان وطن يسوع واكثر حوادث خدمته اي في الجليل وبيرية كتسلط ابزابل الشريرة على زوجها آخاب ملك اسرائيل في القديم كان تسلط هذه الشريرة على زوجها الجديد الذي لاحقاً لها فيه. وكانت كابزابل سبب هلاك زوجها ديناً ودنيا

كان الممدان نبياً شهيراً موقراً في البلاد قبل ظهور يسوع. والملك انتيباس المتظاهر بالمذهب اليهودي لغاياته السياسية كان يطلبه لسمع وعظة

(١) العائلة الميرودية تميز من بطالع تاريخها نظراً لتكرار الاسم الواحد فيها وتعداد الزوجات. ولزواجهم في درجات القرابة المحرمة. يذكر التاريخ منهم ثلاثاً باسم سالومة وخمساً باسم مريمي واربعة باسم ارستوبولس واربعة باسم اغريباس وخمسة باسم انتيباترس. وكان يسمى اكثر من واحد بين اولاد الاب الواحد بالاسم الواحد. كان هيرودس الكبير تسع زوجات. لان الاصطلاح اليهودي كان يسمح للملك بثاني عشرة زوجة في الوقت الواحد. وكان له ابنان باسم فيلبس. ونعلم ان هيرودس اغريباس تزوج باختر برنيكي. لقب هيرودس كان كلقب فرعون وقبصر لقباً عائلياً. وهيرودس انتيباس كان هو أحد الابناء الثلاثة الذين خلفوا هيرودس الكبير. (انظر ف ٤) اخذ ارخيلاوس ابنه السامرية ملتصقاً القسم الاهم اي اليهودية التي اورشليم فيها. والسامرة وادومية اي من جبين ومرج ابن عامر شمالاً الى جهات بير سبع جنوباً. واخذ فيلبس ابن اليهودية كليوباترا جهات تراخونيتس وابطورية اي حوران والشام. ثم اخذ انتيباس مقاطعة الجليل اي من مرجعيون شمالاً الى مرج ابن عامر جنوباً ومقاطعة بيرية اي جبل عجلمون والبلقاء

لكن المعبدان كبطل مملوء من الروح القدس لا يداجي ولا يهاب الملك ولا سيما ملكاً صفاته جعلت يسوع يسميه ثعلباً^(١). فكان ييكنه شديداً ويتصح له كثيراً في امر اقترانه الفاحش. فحنقت هيروديا عليه وارادت ان تقتله ولم

تقدر

لا يبعد ان رؤساء اليهود حذروا هيرودس من المعبدان لثلاثين حركة ضده ويقلب عرشه^(٢). لان الرؤساء ايضاً كانوا نظير هيرودس ناقلين عليه لظواهره فسادهم وتوبيخاته القاذحة على شرورهم. وبسبب انخياز الشعب اليه وملاحظته عظم الفرق بين الفريقين في الصلاح

أدب المعبدان هيرودس بفيه فانتقم منه هيرودس بسيفه. اذ ارسل واوثقه وطرحه في السجن^(٣). ما اصعب منظر سوق هذا الشهم الصالح الغيور مكبلاً الى حبسه بداعي انتصاره للصلاح. كانت هيروديا في حمها مصرّة على قتله. لكن جبن هيرودس امسكه عن تنفيذ ارادتها. "خاف من الشعب لان يوحنا كان عندهم مثل نبي". والسبب الآخر هو ان ضميره كان حليفاً لخطة النبي. "فكان يهاب يوحنا عالماً انه رجل بار وقديس". وهذا جعله يحفظ المعبدان ويسمعه بسرور ويفعل كثيراً ما يقوله

اما هيروديا فلم يخمد حقد ها لانه لا يمكنها ان تأمن على سلطتها ومقامها ما دام المعبدان حياً. فجاء يومها للانتقام في عيد مولد زوجها الحالي. اقتدى هذا المسمى ملكاً بالملوك وعمل عشاء دعا اليه "عظماءه" وقواد الالوف ووجوه الجليل. وكان تدير الوليمة بيد هيروديا فزينت ابنتها سالومة وتلميذتها في الخلاعة البالغة من العمر نحو السابعة عشرة وارسلنها لترقص في باحة الوليمة امام هذا الجمع الكثير العدد المختلف الاسباط والرتب والمزايا والمترخ بالمسكر

(١) لو ١٢: ٢٢ (٢) حسب قول يوسيفوس (٣) كان لانتباس قصر فخيم يسمى مخيروس شرقي بحر لوط وحسب اصطلاح الملوك كان قسم منه سجنًا. وهنا سجن للمعبدان حسب قول يوسيفوس

تَبَّاهُ هَذِهِ الْأُمُّ الَّتِي لَمْ تَكْتَفِ بِفَعْلِ الْمُنْكَرَاتِ بَلْ ضَحَّتْ نَامُوسَ ابْنَتِهَا فِي سَبِيلِ كَيْدِهَا الْجَهَنَّمِيِّ . فَسَرَّ هَذَا الْحَاكِمُ الْمَلِيْمُ لِسُرُورِ ضَيُوفِهِ الْوَحْشِيِّ بِرَقْصِ سَالُومَةِ . وَفِي سَكْرِهِ قَصَدَ أَنْ يَتَبَاهَى بِالْكَرَمِ أَمَامِهِمْ . فَخَلَفَ لِلرَّاقِصَةِ أَنَّ يُعْطِيَهَا مِمَّا طَلِبَتْ مِنْهُ حَتَّى نِصْفَ مَمْلَكَتِهِ ^(١)

عِنْدَ ذَلِكَ رَجَعَتْ سَالُومَةُ إِلَى أُمِّهَا لِتَسْتَشِيرَهَا مَاذَا تَطْلُبُ . وَلَوْ لَمْ تَكُنْ عَلَى شَكْلِهَا لَاقْشَعَرَتْ وَاسْتَعْفَتْ مِنَ الطَّلِبِ الَّذِي لَقَنْتَهَا إِيَّاهُ أُمُّهَا . لَكِنَّهَا عَادَتْ إِلَى الْمَحْضَرِ وَبَدَلًا مِنْ أَنْ تَطْلُبَ نِصْفَ الْمَمْلَكَةِ قَالَتْ بِكُلِّ وَقَاحَةٍ "أُرِيدُ أَنْ تُعْطِيَنِي حَالًا هَهُنَا عَلَى طَبَقِ رَأْسِ يَوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ" . فَإِذَا قِسَاوَةُ بَرَبَرِيَّةِ دُمُوءِهَا تَفُوقُ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي هَذِهِ الْإِبْنَةِ . كَانَتْهَا تَصَوَّرُ شَكْلًا جَدِيدًا غَرِيبًا تَضِيْفُهُ عَلَى مَآكُولَاتِ هَذِهِ الْوَلِيْمَةِ الْفَآخِرَةِ الَّتِي كَانَتْ تَقْدِّمُ عَلَى أَطْبَاقِ أَمَامِ الضُّيُوفِ . فَطَلِبَتْ أَنْ يَقْدِّمَ هَذَا الصَّنْفَ الْجَدِيدَ "هَهُنَا وَحَالًا"

مَا لَمْ تَلْهُ هِيرُودِيَّا مِنْ زَوْجِهَا وَهُوَ صَاحِبُ نَالْتِهِ وَهُوَ سَكْرَانٌ . غَيْرَ أَنَّ "اغْتَمَّ وَحْزَنَ جَدًّا" لَمَّا أَتَتْهُ الْفِكْرَةُ بَعْدَ السُّكْرَةِ . لَكِنْ "مِنْ أَجْلِ الْأَقْسَامِ وَالْمُتَكَبِّينَ مَعَهُ لَمْ يُرَدَّ أَنْ يَرُدَّهَا" . فَلِلْوَقْتِ أَرْسَلَ سَيْفًا قَطَعَ رَأْسَ الْمَعْمَدَانِ فِي السَّجْنِ وَسَلَّمَهُ لِلصَّبِيَّةِ غَارِقًا فِي الدَّمِ . وَهَذِهِ أَعْطَتْهُ لِأُمِّهَا ^(٢)

لَمْ يَتْرَكْ جَثْمَانِ إِيْلِيَا الثَّانِي هَذَا دُونَ كِرَامَةٍ لِأَنَّ تِلَامِيذَهُ جَاءُوا حَالًا وَرَفَعُوهُ وَدَفَنُوهُ بِمَزِيدِ الْأَحْتِرَامِ ^(٣) . وَلَمْ يَنْتَهُوا مِنْ دَفْنِهِ حَتَّى اتَّوَا لِيُخْبِرُوا يَسُوعَ عِنْدَ رَجُوعِهِ مِنْ جَوْلَانِهِ الثَّالِثِ فِي الْجَلِيلِ . كُنَّا نُوَدِّ أَنْ نَعْرِفَ مَاذَا قَالَ يَسُوعُ لَمَّا أَخْبِرُوهُ بِهَذَا الْحَادِثِ الْمُنْجِعِ الَّذِي أَصَابَ حَبِيبَتَهُ وَنَسِيبَتَهُ وَسَلَفَتِهِ فِي الْكَرَازَةِ بِالْمَلَكُوتِ

(١) كَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّ الْمَمْلَكَةَ لَيْسَتْ لَهُ لِيُعْطِيَهَا بَلْ لِيَقْصُرَ الَّذِي عَيْنُهُ

(٢) يَقُولُ الْقُدِّيسُ إِيْرُونِيمُوسُ فِي كِتَابَاتِهِ أَنَّ تِلْكَ الْأُمَّ أَظْهَرَتْ شِدَّةَ انْتِقَامِهَا مِنْ هَذَا

الْبَارِ بِأَنْ ثَقَبَتْ لِسَانَهُ بِحَرْبَةِ اقْتِصَاصٍ لَمَّا أَتَى إِلَيْهَا بِرَأْسِهِ عَلَى الْكَلَامِ الَّذِي كَانَ يُوَسِّعُهَا بِهِ

(٣) يَقُولُ أَيْضًا إِيْرُونِيمُوسُ أَنَّهُمْ حَمَلُوهُ إِلَى سَبَسْطِيَّةِ عَاصِمَةِ السَّامَرَةِ لِيُدْفَنُوهُ هُنَاكَ

طوباك يا معمدان يا نبي الله الامين . كان لباسك رداءً من وبر الابل ومنطقة من جلد على حقوبك وهو أحقر اللباس البشري . لكن على جبينك هبة الروح القدس وفي نطقك سطوة اعظم الانبياء . والآن لباسك حلة الشهداء المتسربلين بلباس ابيض نقي بين الشيوخ عن يمين العرش الالهي في السماء^(١) . كان طعامك الجراد والعسل البري احقر الطعام لكنك كنت تقمذي من الخبز النازل من السماء الذي لا يأكله الا الانقياء . والآن تاكل على الدوام من ثمر شجرة الحياة المغروسة على شاطئ نهر الحياة في فردوس الله^(٢) . اين الذين احقروك ؟ اين الذين قاوموك ؟ اين الذين قتلوك ؟ محقروك في الحياة سوف يحسدونك بعد المات

وانت يا هيرودس كما اشتار شمشون الجبار من جثة الاسد البالية عسلاً لسد جوعه يجني الفهم من تنن صنيعك الشنيع عسل التحذير من مخاطر خلع نير التواضع الالهية^(٣)

وانت يا هيرودس سبب هذا الحادث الفظيع . هل لديك من مطهر لغسل هذا العار المؤبد عن اسمك ؟ هل من عظيم في العالم يقدر ان يخلصك او يخلصك من الدينونة الخيفة التي انزلتها على راسك ؟

وانت يا سالومة هل تخشعين وراء إثم والدتك وتعذرين ؟ ألا يضرب بك المثل الآن في كل العالم بالخلاعة لانك وافقت بفسادك على عمل من اقبح ما ذكره التاريخ ؟

كان موت المعمدان خسارة عظيمة على يسوع وعلى عمله الاصلاح في البلاد . وكانت كيفية قتله مجلبة لخطر جديد عليه . لان نجاح خصومه الذين كانوا ايضاً خصوم المعمدان يجرهم على ان يستعينوا بهيرودس ليتخلصوا من يسوع كما تخلصوا من سابقه . اما الخطر على عمله فلأنه صار يخشى ان يرتد كثير من اتباعه بتأثير باكورة الاضطهاد الفعلي هذه . ولا سيما لانهم

(١) رؤ ١٣: ٧ و ١٤ (٢) رؤ ١٠: ٢٢ و ٢٣ (٣) قض ٨: ٢٤ و ٩

تحققوا الآن بان آمالهم السياسية والزمنية المتعلقة بيسوع وملكوتهم الجديد قد اضمحلت

ولما عاد الاثنا عشر رسولاً الذين ذهبوا ازواجاً للتبشير فاجأهم خبر قتل المعلمان. فلا بد انهم تأثروا جداً. ولا سيما الذين منهم اهتموا بواسطته الى يسوع. وبعد ما قصوا على يسوع اخباراتهم المتنوعة والشرح والتعليم الذي كرزوا بذني الخملات التي زاروها استحسن يسوع ان يخفي وياهم مدة ليستريحوا قليلاً. لانه وجد الجماهير تتوارد اليهم في كفرناحوم ونواحيها ولاشغال في خدمتها يضغط عليهم حتى لا تقيس لهم فرصة للاكل. وبالنظر الى الاحوال المخرجة قرر ان يتوارى مع تلاميذه عن ابصار الرؤساء الى حين. وان يفرق الجماهير التي تكون حجة سياسية للقبض عليه كما حدث لما سجن المعلمان

وكانت السفينة الموقوفة لخدمة مشظر. والاعياء يدعو للاستراحة. والبحر افضل باب الانسحاب من ازدحام الجمهور وضغط الاشغال. والحكمة تقضي بالانتقال من تحت ولاية قاتل المعلمان الى مقاطعة اخيه فيلبس الاصغر منه كثيراً. وهذا يمكنه من تعليم تلاميذه مسائل نظرية في البر لا تنسئ له في المدينة. ولا يمكنه ان يعلمهم اياها الا في ضيق ياتي عليهم. فركب وتلاميذه السفينة واقبلوا الى عبر البحر. وبما ان الريح لم توافقهم. آل بقاء سير السفينة الى زيادة استراحة ركابها

اما الجماهير فلم تكن تترثي لانهم رأوه وعرفه كثيرون. فتراكضوا الى بيت صيدا في العبر^(١) مشاة على شط البحيرة الشمالي عابرين الاردن عند مصبه وسبقوا السفينة. وحال وصولها اجتمعوا اليه مع كثيرين من سكان تلك

(١) بيت صيدا هذه غير التي على الشاطئ الغربي الملاصقة لكفرناحوم. شادها هيرودس فيلبس على الجانب الشرقي الشمالي من البحيرة. وسماها بيت صيدا يولياس تكريماً لمولاه القيصر (اذ كان له ابنة اسمها يوليا)

الجهات التي مروا بها . فلم يسمح قلبه الحنون ان يدفعهم عنه او يجافهم او يوبخهم . وما داموا يطلبونه فهو يترفق بهم . فقبلهم وكلمهم عن ملكوت الله والمحتاجون الى الشفاء شفاهم . فبالفرط هذا الحنو وهذا التفاني في خدمة الناس تم عاد فانسحب ثانية وصعد مع تلاميذه الى جبل . لكنه لم يكده يجلس هناك حتى " رفع عينيه ونظر ان جمعا كثيرا مقبلين اليه " فبدلاً من تولد الضجر في صدره زاد حنواً اذ رأى في افرادهم ما رآه سابقاً من نفوس جائعة تشبه خرافاً تائهة بلا راع . فتحنن عليهم وشفى مرضاهم

يظهر ان هذه الحوادث ابتدأت باكراً حتى " بعد ساعات كثيرة صار المساء ومعه مسؤولية جديدة . قال يسوع مرة " يكفي التلميذ ان يكون كـ معلمه " . فليت الرسل كانوا كمعلمهم في حنوه وصبره وحبهم لخدمة الناس . ولكن النتيجة تجعلنا نقصوهم يتأففون في حيرتهم ويتشاورون على انفراد . الى ان قرأ رايهم اخيراً ان يعرضوا على يسوع ما رأوه واجباً في الاحوال التي وجدوا فيها . لم يتعلموا بعد ان يصبروا الى ان يأخذوا التعليمات من سيدهم . وغفلوا عن انه لا يحتاج الى من يعلمه او يذكره بما يجب فعله . فهل عدوا ذواتهم اشفق منه او بالمحري ادرى منه بما يقتضيه صالح هذا الجمهور وراحة يسوع وراحتهم ؟

فتقدم اليه الاثنا عشر جميعاً وقالوا له " الموضع خلاء والوقت قد مضى اصرف الجمهور لكي يمضوا الى الضياع والقرى حوالينا فيبيتوا ويبتاعوا لم طعاماً لاننا ههنا في موضع خلاء . وليس عندهم ما يأكلون " فيظهر انهم خشوا ان يطالبهم الجمهور بمقتوق الضيافة ان لم يصرفهم يسوع . وحسبوا ان هؤلاء الرجال والنساء والاولاد مع مرضاهم يتضررون اذا دخل الليل عليهم في هذا الخلاء

فوجه يسوع لفيلبس جوابه على هذا الكلام^(١) . وكان في صيغة السؤال

(١) نستنتج من ذلك انه كان المدير الخصوصي لأمورهم الزمنية مع كون امانته الصندوق

عن محل يوجد فيه طعام . كأنه يكلف فيلبس بتدبير ما يلزم هؤلاء الضيوف فقال "من اين نبتاع خبزاً لياكل هؤلاء؟" سأل ليس ليستفهم بل ليمتنح وليعلم . لانه كان عالماً جيداً ما هو مزعم ان يفعل . لكنه اراد ان ينتبه الرسل الى عجزهم والى ضعف ايمانهم . لان مثالة التواضع هي مثالة اولية يقتضي ان يتعلموها

وكان فيلبس متنبهاً الى صعوبة الامر من وجوه عديدة . فعمل حساباً بان الخبز وحده يكلف اكثر من مئتي دينار^(١) . فاين الدنانير؟ هل هي عند الذي ليس له اين يسند رأسه؟ وفضلاً عن ذلك لو حضرت الدنانير اين الوقت للذهاب الى قرى عديدة لجمع كمية كهذه ولو من الخبز وحده والاتيان به والشمس اوشكت ان تغرب؟ وفوق هذا كله اين وسائط النقل لاجتماع طعام يكفي الالوف؟ ويلاحظ ايضاً ان حصّة يسيرة من الخبز الخاف لا تقوم بضيافة يليق ان يقدمها شخص كيسوع لضيوفه . فاجاب فيلبس سيده بقوله "لا يكفهم خبز بمئتي دينار لياخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً" . وظن ان جوابه يفتح يسوع فينبع نصيحة الرسل ويصرف الجميع . فكلم كان عجيبة لما اجابه يسوع حالاً "لا حاجة لهم ان يمضوا اعطوهم انتم لياكلوا" . فهذا امر صاحب سلطان ورسلة لا يدرون

هذه مقدمة للمعجزة الوحيدة بين معجزات يسوع اعننى البشرون الاربعة بخبرها . وربما اجمعوا على ابرادها نظراً الى خصيها في المثائل الروحية الجوهرية وتفوقها في عدد الذين تناولتهم . ولانها آتت في حين لزومها بناءً على اشتداد مقاومة الرؤساء ورفض الناصريين اياه ثانية . وقتل المعبدان دون معارضة من رؤساء ملته ان لم يكن بتحريضهم . فاهتمام البشيرين بها يجعلنا نحن ايضاً ان

بيد الاسترخيوطي (١) ما يعادل نحو ثمانية غرش . لو فرضنا انهم ستة آلاف نفس يقتضي لم قنطاران ونصف من الخبز ليعطى كل واحد نصف اوقية اي رغيفاً واحداً من الخبز المعتاد

يهتم بما تتضمنه من التعاليم الروحية التي ننظر فيها بالاختصار في سياق تفصيل
المعجزة ذاتها

كان قوله الاول لرسلك "اعطوهم انتم لياكلوا" بينما يعلم هو واياهم ان
ليس لديهم طعام . فبقوله هذا علمهم ان الذين يقصدون افادة الآخرين
يحتاجون اليه اذ ليس لديهم ما يطعمون به نفوساً جائئة . وفي الوقت ذاته
يشير الى اختيار الله الوسائط البشرية لاجراء مقاصد تعالي في العالم . لانه
لا يوزع خيرات الروحانية والزمنية رأساً او بواسطة الملائكة الا نادراً . وذلك
متى فقدت الوسائط البشرية . وهذا القانون هو لخير الموزعين والموزع عليهم
معاً . اذ تولد بذلك رُبط المحبة بين المحسن والمحسن اليه . ويتنشط الموزع في
ممارسة انكار الذات وخدمة الآخرين . وهذه مثالبه الثانية

فاعترض الرسل على ما أمروا به قائلين "أنمضي ونبتاع خبزاً بمئتي
دينار ونعطهم لياكلوا ؟" فقدّم لهم مثالة ثالثة بقوله "كم رغيفاً عندكم ؟
اذهبوا وانظروا" . نبههم بهذا الكلام الى ان العمل الالهي لا يعني عن العمل
البشري المستطاع . فانه لا يوسع نطاق المعجزة كما لو كان قصد الادهاش .
ولم يرد ان يوجد خبزاً من لا شيء طالما يوجد شيء . فاستخدم اولاً الموجود
بين ايديهم ليعلمهم ان لا يطلبوا من الناس حتى ولا من الله عملاً يستطيعونه
بالوسائط الطبيعية . لان هذه دبرها لهم الله . فلاحقاً لهم في غيرها الا بعد
الفراغ من استعمالها . توكلوا الانسان على غيره في ما يستطيعه بحسب دناءة .
وانتظاره ان الله يعمل ما يطلب منه هو يعدّ دلالاً كريهاً . فمتى عجز العمل
الانساني او انتهى يحق طلب العمل الالهي

ولنا حجران شهيران شاهدان على هذه الحقيقة وهما الحجر الكبير على قبر
لعازر الذي لم ترفعه القوة الالهية لتفتح الطريق لخروج الميت . لان الواقفين
هناك يستطيعون ذلك . والحجر الكبير على باب قبر يسوع الذي دحرجه
ملاك الرب النازل من السماء بمعجزة لان النساء يعجزن عن رفعه بسبب حجمه

وختم الحكومة اياه ووضع الحرس الروماني امامه

وكان اندراوس تلميذ يسوع الاول قد لاحظ غلاماً بين الجمهور (ربما كان يبيع طعاماً) باقياً معه خمسة ارغفة شعير وسكبان . فاخبر يسوع عنه مع التحفظ قائلاً " لكن ما هذا لمثل هؤلاء ؟ " وبذلك فتح اندراوس في هذا السؤال بدون قصد منه ليسوع باباً لتقديم المثالة الرابعة . لم يكن جواب يسوع بعد ان سمع بوجود هذا القليل " اتركوه لانه لا يستحق الذكر . " ولا قال " قدموها للجمع . " بل قال " ايتوني بها الى هنا " ليعلمهم انه هو مصدر الخير والبركة . هو الملك وصاحب الحق . وكل ما عندنا هو له يتصرف به كما يشاء دون معارض

ولما كان الترتيب من ابواب الرقي المهمة في الدين والدنيا لا تعجب من اهتمام يسوع به كمثالة خامسة . فامر رسالته ان يجعلوا الناس يتكثرون فرقاً خمسين خمسين على العشب الاخضر . فلو توزع الطعام على هذه الالوف دون ترتيب لداس بعضهم بعضاً وتغلب القوي على الضعيف واخذ البعض كثيراً والبعض لم يأخذوا شيئاً فيقع تشويش كلي . لكن بواسطة الترتيب يتم التوزيع بسرعة ولياقة وانصاف^(١) . فيرى كل مفكر في امور الطبيعة اهتمام الخالق بامر الترتيب . ويظهر ايضاً بأجلى بيان في النظام الموسوي^(٢) المثالة السادسة قدّمها يسوع لما استلم الارغفة والسكبان . لانه " رفع نظره نحو السماء وشكر . " فعلم تلاميذه ان كل خير حتى الطعام الذي نتبأه هو عطية الهية . وانه عند تناول الطعام يجب دائماً تقديم الشكر للمعطي الجواد .

(١) ان فرضنا عدد النساء والاولاد القاء على الاقل يكون المجموع ستة آلاف . فيوزع كل رسول على خمسةة شخص في عشرة صفوف (٢) قد يدل المطالع من زيادة التفصيل في اسفار موسى الخمسة في شرح ذلك النظام ما لم يذكر ان الله قصد بهذا الشرح الوافي ان يؤيد ضرورة الترتيب في كل الامور ولا سيما في الدين . وان يرسخ جيداً في عقول شعبه الخدار استحضانه تعالى حفظ القوانين

ولا مسوغ لحصر الشكر لله في وقت تناول الطعام فقط بل يستفاد ان الشكر يقدم عند نيل كل نوع من الخيرات . لان " كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند ابي الانوار " (١)

وبعد ان شكر بارك وكسر الارغفة والسمك . ثم ناول الكسر التي باركها للرسول لبقدموها للمصطفين فرقاً على البساط الاخضر . وفي هذا العمل علمهم المثالة السابعة التي هي ان يطعموا غيرهم أولاً ثم يأكلوا هم بعدهم كما يجدر بالخدمة الامناء . وهذه مثالة اللياقة المصطلح عليها في الضيافات . اذ يقدم صاحب البيت الطعام لضيفه أولاً ثم يأكل هو بعد . (التمدن يتطلب اللياقة لكن الدين يتطلب اكثر . فاجفاء والخشونة اللذين يتباهي بهما بعض المدعين بالتدين زاعمين انها علامة عدم اكتراثهم بالامور العالمية ها عكس التدن (الصحيح)

في اثناء هذا التوزيع على هذا العدد الغير حدثت معجزة الاكثار . قيل انه " قسم السمكتين " (٢) على الجميع بقدر ما شاءوا . فاكلوا وشبعوا جميعاً . وليس ذلك فقط بل ان القطع التي لم تؤكل كانت اضعاف الموجود اصلاً

بهذه الحادثة المؤثرة الغنية بالفوائد طبع يسوع على عقول تابعيه وقلوبهم مثالة الثامنة المهمة جداً . اذ جعلها مثالة نظرية محسوسة تعلمهم استعدادهم لياخذ خد متهم الدينية الضعيفة وكلامهم البسيط ويضع فيها قوة وتأثيراً ليزيد فعلها اضعاف اضعاف فعلها الطبيعي . لانه يأخذ ما يقدم له ويزين ثم يعين لمقدمه زائداً . فالنفوس والاجساد مع قواها ومواهبها ومعارفها ثم المقتنيات والافاق والمسااعي والاشغال كافة حتى والعيال الاعز جداً ما سواها اذا تركزت له يقبلها ويباركها ويجعلها تزيد كثيراً نمواً وفائدة عما لو نقصت لها بركنة المثيرة . فاعظم تشجيع لفاعل الخير المتواضع ياتيه من يقينه بان الذي اشبع

(١) يع ١٧:١ (٢) ليس في بحيرة طبرية من اسماك البحر الكبيرة

الآلوف بالزاد الزهيد مستعد ان يرافق خدمته الحفيرة ببركته الفياضة ما
كثيراً

اما السؤال عن كيفية هذا الاكثار في الطعام فعبت لانه لم يصرح به .
فاما انه زاد بين يدي يسوع اثناء مناولة الرسل ليظهر بذلك ان فعل
التكثير فعلة . او انه كثر بين ايدي الرسل تنشيطاً لهم وتعليماً بان المعطي
يُعطى ويزاد له وفقاً لقول الحكيم "يوجد من يفرق فيزداد ايضاً ومن
يسك أكثر من اللائق وانما الى الفقر" (١) . لان البركة تحمل لا على ما نخزنه
بل على ما نوزعه

بقيت مثالة اخرى نهائية هي التاسعة قدمها يسوع لرسله . وهي مثالة
الاهتمام بالفضلات والكسر واعتبار الصغار . لانه يخشى ان يستخف الرسل
بالكسر الفاضلة بعد المعجزة التي جرت امام عيونهم . وان يقولوا هل يُجمل ان
الذي اوجد من هذا القليل كفاءة لعدد كهذا يفكر بفضلات الكسر الساقطة
على العشب ؟ نعم يسأل . لان قانوناً من قوانين عنايته هو "لكي لا يضيع شيء"
" لا تحفرن صغيراً امراً انما تلك الصغار الى الكبار دليل "

يتحول الفكر من وليمة يسوع البسيطة في البرية الى وليمة هيرودس
التي سبقتها في قصره الشاهق . في السابقة جلس الآكلون متجلين بملابسهم
الثمينة على أسرة مزخرفة معدة للتنعم . واكلوا طعاماً فاخراً نادراً وارتشفوا
المسكرات الكثيرة الثمن بآنية فضية وزهنية مرصعة بالجواهر بينما كانت آلات
الطرب بيد الماهرين في العزف تشف آذانهم . وكانت النتيجة السكر والخلاعة
وقتل نبي الله العظيم وانحدار هذا الملك وضيوفه الى الهلاك الابدي

اما في وليمة يسوع تحت القبة الزرقاء فجلس ضيوفه على أسرة العشب
الاخضر واكلوا كسراً من خبز الشعير وسمك البحيرة وارتشفوا الماء الزلال من
آنية هي اباد خشتها معاطاة الاشغال ولم يطرب آذانهم الا تغريد الطيور

الآلية. اما نتيجة هذه الولاية فكانت الشعب الصبي العجيب لألوف من البسطاء
الشاكرين. وإيجاد حياة روحية جديدة في الكثيرين الذين آمنوا بصاحب
الولاية الجليل. وتقدم تعاليم جوهرية والإشارة الفعلية الى كسر جسد العنيد
في موته على الصليب. وبذلك يعطي جسده مأكلاً حقاً روحياً لاجل حياة العالم
لما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا "ان هذا هو بالحقيقة النبي
الآتي الى العالم" اي النبي الذي وعد به موسى^(١) وسيكون "مثل موسى".
موسى أطعم آباءهم في البرية المن والسلوى وما يسوع يطعمهم في البرية خبزاً
وسمكاً. فهذا هو بالحقيقة ذاك النبي

احتفاء الشعب بيسوع كان كاللهيب في القش متقطعاً بهب ثم يخبث.
وقد تكون الهبة العظمى قبيل انطفاء اللهيب. فهاج الشعب احتفاءً بهذا النبي
وابدأ يتحدث بالمناداة به ملكاً بدون انتظار طلبه او استخسانه. ربما استشاروه
ولما رأوا انه رفض بتأن عزموا على "اخطافه" واقامته ملكاً على رغم ارادته.
واستناداً على قوته الظاهرة في معجزاته يفتقون النجاح في هذا المشروع فيخلعون
اولاً ملكهم الشرير هيرودس وربما يقاصونه على فعله الشنيع في قتله نبيهم
المعمدان. لانهم لم يشاركوا رؤساءهم في رفضه وكرهه. ثم ينادون بيسوع
مسيحهم وملكهم ابن داود. ويشهرون الحرب على الجيوش الرومانية المرابطة
في بلادهم. ويتقدمون من انتصار الى آخر على الممالك حولهم فيصيرون
شعوبها خدماً لهم الى ان يصبح العالم بأسره في قبضة ايديهم

لا غرو ان هذا التيار الخيالي المدهش من اعمال ابليس الذي يرغب
في ان يحنل الشعب بيسوع على هذه الصورة. وربما وجد في التلاميذ ايضاً
ميل يقوي هذا العزم في الجمهور. ولا سيما لان رسله كانوا يتوقعون بكل تأكيد
تعيينهم في المقام الاول والقيادة في هذه المملكة العظيمة. فعلم يسوع بهذا
واستدرك الامر

وكانت خطوته الاولى فصل تلاميذه عن الجمهور المتبعين لهذا العمل . قال البشير انه "الزمهم ان يدخلوا السفينة ويسبقوه الى العبر حتى يكون قد صرف الجمع". لم يسهل عليهم ترك سيدهم في اَباب نجاحه الباهر وارتفاع صيته الى اوجه . في حين يخال لهم ان باب العظمة العالمية والثروة الزمنية قد فتح امامهم^(١). ان كان في صرفهم استعمل شيئاً من العنف نظراً لما نعتهم نراه يردف العنف باللطف . لان البشير يذكر صريحاً انه "ودّعهم". اي انه مع كونه يفترق عنهم ساعات قليلة فقط فانه يودّعهم وداعاً حقيقياً يحقق لهم به عواطفه الحارة نحوهم

وخطوته الثانية صرف الجمهور الامر الذي مهد طريقة بصرف التلاميذ اولاً . وكانت خطوته الثالثة انصرافه هو وصعوده منفرداً الى الجبل ليصلي . يذكرنا فعل ابليس في افكار الجمهور في هذا الوقت بالتجربة الثالثة العظيمة التي قدمها ليسوع في البرية قبل الآن بسنتين لما وعده بكل ممالك العالم ومجدها . فإعادة هذه التجربة في ظروفه الحالية تستدعي صلاة خصوصية للآب ملافاة للاخطار الجديدة . ولذلك انصرف الى الجبل منفرداً . ولما رأى الناس ان يسوع لم يسافر مع رساله في السفينة راجعاً الى وطنه في العبر توقعوا رؤيته في تلك النقطه في الغد . فلم ينصرفوا الى اماكنهم البعيدة

(١) لا يستبعد ان الاستخريوطي كان المحرك الاعظم بين الرسل في هذه الحركة السياسية تحت طي المظاهرة بالغيرة لتعظيم يسوع وكمثائه مقاصده ومطامعه الذاتية يجر معه سائر زملائه بسهولة الى الاشتراك في مشروع الجمهور الجديد

الفصل السابع والعشرون

(مت ٢٤:١٤ - ٢٠:١٥ مر ٤٧:٦ - ٢٢:٧ يو ١٦:٦ - ٧١)

(المرصع) ف ١٨ و ١٩ و ٢٠ (الزمان) نيسان السنة ٢٩م
(المكان) بحر الجليل او جنيسارت

المشي على الماء - ارتعاب الرسل ومشي بطرس على الماء - خطاب يسوع للجموع
في خبز الحياة . ارتداد كثيرين عنه . الاكل بايدي غير مغسولة . تمسك اليهود الفارغ
بالتقاليد وتوبيخه اياهم على شرّ الرياء . ماهية الطهارة والتجاسة

اسباب شتى خصوصية دعت يسوع للصلاة منفرداً . منها قتل
المهدان . واستيلاء الوهم على القوم بخصوص الملكوت الجديد . وانقياد الرسل
الى هذا الضلال . وعلمه بان أكثر الذين تظاهروا انهم معه سيخلّون عنه .
وفيا هو يصلي على الجبل وحده في الليل ورسله في السفينة وقع اضطراب في
المجيرة اذ "هاج البحر من ريح عظيمة تهبّ وكانت السفينة معذّبة من الامواج
لان الريح كانت مضادة" . لم يكن الرسل قد نساوا فعل يسوع في النوء قبل
هذا الوقت بنحو نصف سنة^(١) . ولكن كان آئذٍ معهم في السفينة . اما الآن
فيخيمهم غيابة . فهل فطنوا يا ترى ان الذي يشفي العليل بكلمة وعن بعد
يستطيع ان يحفظ ويعطي السلامة عن بعد ايضاً
وما زالوا يصارعون النوء الى قرب الصباح^(٢) . ومع كل الجهد في التجذيف

(١) انظر ف ٢٤ (٢) الهزيع الرابع هو الساعات الثلاث التي فيها يتبدى الصباح

بايدي هؤلاء الرجال الممرنين وهم في شرخ الشباب لم يتمكنوا من قطع أكثر من ثلثي المسافة بين الشاطئين أي نحو ثمانية آلاف ذراع فقط . يسوع في مخدع الصلاة الهادئ على الجبل عالم بعذابهم وهم لا يدرون^(١) . وهو الحب الذي لا يريد عذابهم إلا بمقدار ما يؤول لخبرهم . فلما رأى اضطرابهم والمخطر عليهم نزل من الجبل ومشى على البحر الهاجج معتلياً امواجه في هبوطها وارتفاعها كأنها اليابسة وهو مسرع للافراج عنهم

هذا هو الكلمة "الذي كل شيء به كان" . وقد وصفه ايوب بقوله "الباسط السموات وحده والمشي على اعالي البحر"^(٢) . رفقا بهم لم يتجه توجاً الى السفينة لئلا يخيفهم . بل مشى ماراً بقرينهم كأنه يتجاوزهم . لاشك انهم ألقوا النصص الخرافية الدارجة في كل عصر عن ظهور اشباح روحية مزعجة . والآن يشاهدون لأول مرة في حياتهم روحاً او خيالاً من المسمى عنها . فصرخوا مرتعنين قاصدين إخافة هذا الخيال ليبعد عنهم . ولكن اتى صدى صراخهم خلافاً لما انتظروا . لان هذا الخيال اجابهم بصوت لا يشبهه به وبكلام ملوّه الاطمئنان المحي قائلًا "تسمعوا انا هو لا تخافوا" . فهذا الصوت الحنون والمشجع يسمع حينما يوجد مؤمن حقيقي مضطرب من جراء هموم الدهر ومخاوف الحياة . ولا سيما متى كان انزعاجه مسبباً عن ثقل خطايه ومخاوف الابتعاد الابدني عن الله

فلما اقترب المتكلم وعرفوه تمنى بطرس الجسور ان يتشبه بسيد في المشي على الماء . فصرخ "يا سيد ان كنت انت هو فمُرني ان آتي اليك على الماء" . فهل يسمح له بما طلب و يصرف النظر عن شكه في قوله "ان كنت انت هو" بعد قول سيد "انا هو" ؟ . نعم اذا كان بذلك يقدر ان

(١) من قول يوحنا ان فصيح اليهود كان قريباً فلم ان الليل كان مناراً بضوء القمر . وكان بسهل مراقبة حركات البحر والسفينة من على الجبل حيث كان يسوع

(٢) اي ٨:٩

يُري تلاميذه ان كل شيء مستطاع عند الله . فمضى شامخاً يمشي على الماء من فعل المستحيلات . وقد عرفنا من الماضي ان يسوع ينظر بعين الاعتبار الى كل حركة فيها ولو ذرة من الايمان ليتوبها فقال له " تعال "

نحج بطرس في اول الامر لانه " نزل من السفينة ومشى على الماء ليأتي الى يسوع " فلان كل فكره ونظره منجهاً الى يسوع لا خوف عليه بل يفعل المستحيل . لكن نجاحه ادى الى فشله . لانه ابتداءً يفكر بمانته ويفتخر بعمل لم يسبته اليه احد فحوّل فكره ونظره من يسوع الى نفسه . فابتدأت الامواج الهائجة ترعبه حالاً واخذ يفرق . ولم تفك معرفته السباحة . وصار يحسد رفقاءه في السفينة بعد ان كانوا يحسدونه لما مشى على الماء . ولسبب خوفه زاد الخطر عليه فصرخ " يا رب انجني " . ففي الحال مدّ يسوع يده وامسك به ونشله . ثم وبخه بقوله " يا قليل الايمان لماذا شككت " فصحّ فيه كلام داود النبي " نشلني من مياه كثيرة " (١) فطوبى لكل من يسمع هذا الصوت اللطيف المحب في توبيخه قائلاً " لماذا شككت " كم وكما من الذين ولد فيهم الادعاء بالمعارف او الافتخار العالمي شكوكاً دينية يوجبهم المخلص عليها

كانت نجاة بطرس من الغرق نتيجة مسك يسوع ايّاه لا مسكه يسوع . وهكذا نكون نجاة الخاطئ عند ما نكلّ يده ونغض عيناه وبرئتي تسكه بالمخلص فلا يرى امامه الا الهلاك . ولكن متى فطن ان المخلص المحب المقتدر الذي لا يعي ولا ينم ماسك به فيجمل الرجاء مكان اليأس

لما ظن التلاميذ في السفينة انهم رأوا خيالاً صرخوا ليعيدوه عنهم . اما الآن " فرضوا ان يقبلوه في السفينة " فصعد اليهم . ويمرّد دخوله اليها " سكنت الريح وللوقت صارت السفينة الى ارض جنيسارت التي كانوا ذاهبين اليها " (٢) اعترف البشير مرقس (لسان بطرس) ان الرسل " لم

(١) مز ١٢٤: ١٨ (٢) لما فارقوا يسوع على الشاطئ الشرقي قصدوا الذهاب الى كفرناحوم لكن النوء اضطرهم ان يتوجهوا الى ارض جنيسارت جنوباً . ومنها ذهبوا الى كفرناحوم

فيهموا بالارغفة اذ كانت قلوبهم غليظة . فلما رأوا هذه العجبة الثانية في اليوم الواحد "بهتوا وتعجبوا جداً" . مع ان يسوع اسكت هذا البحر من اجلهم منذ بضعة اشهر . نراهم حالما ارسوا يتقدمون ويسجدون له سجودهم الاول كجماعة قائلين " بالحقيقة انت ابن الله "

كان قد أثر كثيراً في العموم شفاء المرأة بمجرد لمس ثوبه لذلك لم يكذب بطاً البر حتى تقاطروا اليه من كل الجهات واضعين مرضاهم على اسرة في الاسواق " لكي يلمسوا ولو هذب ثوبه فقط . وجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء " علمنا قبلاً ان الشفاء حصل بواسطة لمس يسوع المرضى . فالآن نرى الشفاء بواسطة لمس المرضى يسوع . ونستفيد ان الخلاص مركب من اللبس المتبادل بين المخلص والخطيئ . لكن لمس المخلص للخطيئ هو الاسبق والافعل وعليه الاعتماد

عند شق فجر اليوم التالي ابتداءً الجمهور الذي كان ينتظر يسوع في عبر البحر يفتش عنه . المعلوم عندهم انه لم يدخل السفينة مع رسوله بل صعد الى الجبل وحده . وانه لم تكن سفينة اخرى هناك نقله الى الشاطئ الجليلي . ففضى هذا الجمهور ليلة في البرية عازماً على العود الى الاوطان بموكب يقوده هذا النبي المنتدر بعد عوده صباحاً من الجبل

فالريح الغربية التي قاومت سفينة الرسل واعاقنها الى الصباح وافقت واوصلت بسرعة الى الشاطئ الشرقي سفناً اخرى قادمة من طبرية في الغرب . فلما فرغ صبر الجموع وخاب امالهم من رجوع يسوع ركبوا السفن ليرجعوا الى الجهة الغربية ويفتشوا عنه هناك . لان عميداً كهنا ابداً يطعم الجماهير التي تبعتها بمحجرة كما اطعم موسى آباءهم في البرية لا يترك فصالحهم الزمني ساقهم الى الالتصاق بشخص نظيره يؤملون ان يريحهم من اتعاب كثيرة

فتعجبوا لما وجدوه قد سبقهم وظهروا حيرتهم في كيفية وصوله قبلهم . اما يسوع المترف عن الغايات الذاتية فلم يكثر باحتفائهم به . ولم يذكر لهم معجزة مشيه على الماء تفسيراً لحيرتهم . ولم يمسه تعظيم اياه عن توبخ يستحقونه . لما "سألوه يا معلم متى صرت هنا" . اجابهم "الحق الحق اقول لكم انتم تطلبونني ليس لانكم رأيتم الايات بل لانكم اكلتم من الخبز فشبعتم" ^(١) كأنه يقول انتم تطلبونني ليس لاجل التعليم الروحي قوت النفس الباقي بل لاجل طعام الجسد البائد . مع اني قادر ومستعد ان اعطيكم الطعام الباقي للحياة الابدية . لاني كابن الانسان مخنوم من الله الاب لهذا العمل . يقولهم هذا فتحول له الباب لتقديم خطاب عن خبز الحياة يُعد من اعظم خطبه ^(٢)

الذي يمهنا بالدرجة الاولى ما يكشف لنا هذا الخطاب عن حقيقة شخصية يسوع . فقد اشار فيه ست مرات الى ضرورة اكل جسده وشرب دمه . وكرر ثلاث عشرة مرة انه نزل من السماء . وصرح اثنتي عشرة مرة انه هو الذي يهب الحياة الابدية . ولما كنا نعلم ان اعظم البشر لا يستطيع ان يهب لبعوضة ساعة واحدة من الحياة نسأل من هذا الذي يتعهد بان يهب الحياة الابدية للملايين المؤمنين به . وست مرات يؤكد لسامعيه ان الخلاص لا يكون الا للمؤمنين به لانه مرسل من الله مخلصاً . واربع مرات يقول انه يقيم المؤمنين به من الموت في اليوم الاخير . ثم يتفرد عن البشر في تسميته الله "ابي" . وادعى لنفسه انه قد رأى الاب وانه هو الوحيد الذي رآه . فاية صلاحية لمجرد بشر ان يفوه باقوال كهذه ؟ بل ما كان اكذبها لو لفظها رجل ليس الا كاحد الانبياء . فالامر واضح اذا ان يسوع قصد ان يفهم سامعوه انه ليس مجرد بشر . ولانه فهمهم ومستقيم لا بد من تصديقه

(١) اي ليس لانكم رأيتم آيات تثبت كوني مسيحكم لتؤمنوا بي (٢) اننا لمدبونون للبشير يوحنا لاجل ملخص هذا الخطاب

ومن أصعب الأمور عند سامعيه اليهود (١) قوله عن وجوب أكل جسد وشرب دمه. "فخاصم بعضهم بعضاً بسبب هذا الكلام" (٢). اذ لا يخفى على المطالع كم كان محرماً عندهم أكل اللحم بدمه. فلا بد أنهم أشاءوا من ذكر شرب دمه أضعاف اثنى عشر مرة من ذكر أكل جسد فحق للذين لم يعترفوا بأصله السماوي أن يتذمروا من كلامه هذا. اذ يحسبون أنهم يعرفون جيداً أصله وأهله (٣). فاي حق له بهذه الأقوال ؟

يصح تشبيه يسوع بالخبز من وجوه شتى. لأن الحياة الآتية. ولا حياة به إلا بعد سحقه. ولا حياة بعد سحقه إلا بتخصيصه للنفس بفعل الايمان الذي يشبه بفعل الاغذاء الجسدي (٤). فأخذ القوم باجماله كلام يسوع هذا بالمعنى الحرفي فعتروا بسببه. وتناولت هذه العثرة كثيرين من تلاميذه أيضاً. ولا يزال الى الآن جمهور غفير نظيرهم من الذين يتقيدون بالمعنى الحرفي. فأيد صدق مقاله بإشارته الى حادث عتيق عجيب جداً اذ تنبأ لهم لأول مرة عن صعوده الى السماء الذي سوف يشاهده كثيرون من تلاميذه المؤمنين. فيكون لهم حينئذ افضل برهان أنه نزل من السماء فلا يمكن ان يتكلم إلا بالصدق. ثم

(١) تعودنا ان نعلم كلمة "اليهود" في كتابات يوحنا بمعنى "روساء اليهود"
 (٢) يظهر ان يسوع والجمهور كانوا قد انتقلوا في اثناء هذه المحادثة الى المجمع في كفرناحوم (٣) نلاحظ تمنع يسوع عن اصلاح وهم الذين نسبوا اليه الولادة من يوسف "رجل مريم" وأسباب هذا التمنع ذكرت سابقاً ف ٦
 (٤) لا يفوت القارىء النبيه ان لا علاقة لهذا الكلام مع أكل جسد المسيح وشربه دمه في العشاء السري الذي لم يكن قد رسم بعد. ولا بالخبز والخمر المقدسين المكرسين في ذلك العشاء. والامر ظاهر كعين الشمس ان لا معنى حرفي لقول يسوع بلزوم أكل جسده وشرب دمه في غير وقت كسر جسده وسفك دمه على الصليب. فلا سبيل لاختذ هذا الكلام لأروحياً. وعلى فرض ان العشاء الرباني لم يرسم ببقية هذا الكلام على قوته وصدقته. فليست حقيقة أكل جسد المسيح وشرب دمه نتيجة وضع السر المقدس. بل هذا السر نتيجة تلك الحقيقة الاساسية السابقة. وسيأتي بيان خطأ التفسير الحرفي لهذا القول في شرح سر العشاء الرباني في ف ٢٢

حذرهم من التفسير الحرفي بقوله "الروح هو الذي يحيي . اما الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحياة"

ابان لهم ايضاً انه يعرف ما في قلوبهم . فيقدر ان يميز المؤمنين الحقيقيين من غيرهم . ويعرف ان ايمان بعض تلاميذه سطحي . وان واحداً منهم سيسلمه . وانه مطلع على ذلك من البدء . وأشار الى الكفارة التي اتي ليقدمها عن الخاطئ بقوله انه يبذل جسده من اجل حياة العالم . فجاء هذا الخطاب كحد فاصل بين احشياء جماهير الجليل به والرفض والعدوان الذي ما زال يعلو ويتفاقم الى ان طما فوق رأسه واغرقة بتعليقه على الصليب

"من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ولم يعودوا يمشون معه" ولا يستبعد ان ايمان رسله تزعزع ولو قليلاً بسبب ارتداد هؤلاء . فاستحسن ان يفتح لهم باب الارتداد لكي ينجسوا اما تركه او تجديد النصاقم به . لكن الرسل اجابوه بقم بطرس سريعاً وصريحاً "يا رب الى من نذهب ؟ كلام الحياة الابدية عندك . ونحن قد آمنّا وعرفنا انك انت المسيح ابن الله الحي" . فمع فرحه بجواب بطرس حزن على الرسول الخائن يهوذا الاسخريوطي . فقال مشيراً اليه "أليس اني اخترتك واحداً منكم شيطان" (١)

يتبادر الى الذهن ان الحوادث الاخيرة شوّقت الرؤساء في اورشليم الى رؤية يسوع في هذا الفصح لكي يجدوا عليه علامة لمحاكمته واعلامه . لكن يسوع لم يصعد الى هذا العبد . فلما خاست آمالهم ارسلوا معتمدين ليراقبوه . حاسبين

(١) لا يستبعد ان هذا الخطاب والحادث الذي ادى اليه كان الحد الفاصل في حياة الاسخريوطي الخائن الذي ذكرت الآن الاشارة الاولى الى خيانه المقبلة . ونظن انه تبع يسوع اولاً بدافع مطامع زمنية . ولما انطفأ رجاءه عند رفض يسوع مشروع اقامته ملكاً وسمع هذه التعاليم الروحية الصعبة ورأى ارتداد جمهور التلاميذ عن يسوع زاد نفور قلبه . لكنه كتم ذلك الى ان طغى كاس نفوره اخيراً في حادث التسليم

انهم يتمكنون على الاقل من تحريك النفور في قلوب الشعب من شخصه وكلامه وافعاله

لكن هذا الامر لا يتم بانهم باقل مخالفة للشرعة الالهية. فلا سبيل لهم للوصول الى غايتهم الا فيما يخص بشرائعهم الاضافية التي وضعها علماءهم وتسمى "تقليد الشيوخ". تطرفوا في تكريم هذه لدرجة تجيز القول بانهم كانوا يعبدونها ويقولون فيها اقوالاً هي بالحقيقة تجديف. من جملة كتاباتهم في هذا الموضوع ان الخالق سبحانه يقضي النهار في مطالعة التوراة والليالي في مطالعة التقاليد القديمة مع ما يجدده منها علماءهم حيناً بعد حين. كان عندهم مجموع من التقاليد يسمونه "الحلقة". فقالوا ان البارئ برأس في السماء مجعاً سبعينياً نظير مجعهم في اورشليم للبحث في قضايا "الحلقة" لذلك بعد ان عادوا شرائع البشرية بالالهية لم يقفوا عند هذا الحد احرام بل صاروا يفضلون البشرية على الالهية. فشبهوا التوراة بالماء والتقليد بالخمر وتفسير التقليد بالخمر المطبوع. وشبهوا التوراة بالجسد والتقليد بالنفس. وقالوا ان الذي يخالف تعاليم الكتبة يستحق الاعدام. واليك ما ورد في التلمود "انتبه يا ابني الى كلام الكتبة اكثر من شريعة موسى". وقال احد علماءهم "ما اعظم جهل الكثيرين الذين يحفظون اقوال الشريعة الالهية ويهملون شرائع الربيين". وجاء في المشنة ان من علم تعليماً يناقض قوانين الكتبة كان ذنبه اعظم ممن يعلم تعليماً ضد اوامر الكتبة المقدسة^(١). "وايضاً السيف يأتي علينا قصاصاً على تفسير التوراة على خلاف تعليم التقليد. لان التوراة تتضمن وصايا عرضية وجوهرية لكن التقليد (صو فرم) لا يتضمن الا الجوهرية".

فنتج طبعاً عن كل هذا ترك شرائع الله والتمسك بشرائع التقليد متى ظهر بينها اختلاف. وتوارى الدين في العالم توريد بشواهد كثيرة هذه النتيجة في كل الزمان. لان الشرائع الاضافية فوق الاصلية الالهية تفوق احتمال البشر.

(١) زمن يسوع (وجه ١٤٦)

فلا بد من اهمال بعضها. ولأن الاهلية تخالف الاميال الساقطة والبشرية توافقها صار اهمال الاهلية امرًا طبيعيًا. ولا عذر لليهود في زيفانهم هذا. لأن الانذار الالهي في هذا الصدد صريح. قال "لا تزيدوا على الكلام الذي انا اوصيكم به. ولا تنقصوا منه. لكي تحفظوا وصايا الرب الهكم التي انا اوصيكم بها" (١). ولا عذر للمسيحيين ايضًا. لأنه ورد في خاتمة الانجيل "لاني اشهد لكل من يسمع اقوال نبوة هذا الكتاب ان كان احد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب. وان كان احد يحذف من اقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب" (٢).

وقد اسهبنا في هذا الشرح لينفض للمطالع الداعي للهجة القاسية التي استعملها يسوع في مخاطبته الرؤساء في موضوع التقاليد. وان هذا المعلم السماوي الحاضر مع شعبه يقيح ما هو جارٍ الآن من تخويل رؤساء الدين ومجامعهم ومحاكمهم حتى وضع قراراتهم في منزلة معادلة لشرائع الكتاب الالهي المتزل (٣). ولا سيما لأن هذا يؤدي الى تفضيل الاضافة على الاصل منع الكلام الالهي عن العامة واناطة الاطلاع عليه بعلماء الدين فقط. وهؤلاء يقدمون للعامة ما يشاءون من التعاليم الدينية على الصورة التي يريدونها. فرؤساء اليهود لكي يمنعوا الشعب عن مطالعة الشريعة التي تكشف الستار عن افعالهم علموا ان لمس التوراة محرم على العامة. وقد ثبت فعلاً ان اكثار الاعياد التي هي بوصايا بشرية تؤدي الى اهمال اليوم السابع الذي هو بوصية الهية. واكثار الوسطاء والشفعاء المعيّنين من البشر يؤدي الى اهمال الوسيط الوحيد المعين من الله. والتمسك الشديد بالفرائض الخارجية المرسومة من الناس يؤدي الى اهمال الواجبات الالدية

(١) تث ٢٤: ٢٦ (٢) رؤ ١٨: ٢٢ و ١٩ انظر أيضاً اش ١٣: ٢٩

(٣) قال أحد اللاهوتيين "ان الحرب القديمة بين كلام الله والتقليد لاتزال قائمة على قدم وساق (ادي ٤٩٨: ١)

الداخلية المرسومة من الله

فالوصايا البشرية اما ان توافق الالهية فتكون فضولية. او تخالفها فتكون محرمة. او متوسط فلا توافق ولا تخالف. واذا ذلك تكون اختيارية فلا يخطئ من يهملها. فلاحق الآلهة سبحانه ان يقيد حرية الضمير. وكل محاولة بشرية لفعل ذلك يجب ان تقاوم شديداً^(١). فنرى ان يسوع الذي طهر أولاً بيت ابيه من التجارة الذميمة^(٢) وطهر يوم ابيه من الفرائض الثقيلة^(٣) يطهر الآن كذاب ابيه من المزيادات البشرية التي طمرته. والتقليد الذي عارضه المخلص بالغسلات الطقسية

اعتنى النظام الموسوي كثيراً بأمر النظافة لدواعٍ صحية وادبية وروحية لكي يوجه النظر الى اهمية نظافة القلب الداخلية بواسطة ما أمر الشعب به من النظافة الجسدية. فلكي يشار الى تنجس النفس بواسطة الخطيئة وضع الله نظاماً لليهود من ضمنه ان التنجس الديني ينتج عن اهمال النظافة الخارجية. فال ذلك الى افرار شعب الله الخاص عن الامم حولهم لصيانتهم من اقتباس عاداتهم السيئة وعباداتهم الباطلة

لكن التقليديون حولوا هذا النظام الى نير ثقيل اذ بنوا عليه تفنناتهم السخيفة العديدة^(٤). فقد افترى ربيهم الشهير يوسي ان خطيئة الاكل بايد غير

(١) قال احد العلماء "نرى العراك العظيم الذي قام بين المسيح والاستبداد الاكبريكي. فحارب المسيح من أجل الحرية البشرية. وفي هذا الجهاد الذي هو أعظم جهاد في التاريخ ربح الحرية لروح الانسان بأعظم ثمن (المحادثات المهمة وجه ٢ و ٤ من المقدمة) (٢) انظر ف ١١ (٣) انظر ف ١٩ (٤) تشغل تفاصيل

الغسلات الطقسية وحدها باباً كاملاً من أبواب التلمود التي تشغل نحو ستة آلاف صفحة كبيرة. وبما ان مرقس خصص بشارته للأمم أكثر من اليهود نراه يعتني في تفسير اصطلاحات اليهود كما فعل في خبر الحادث الذي وصلنا اليه. فالكلمة اليونانية المترجمة "بالاعناء" تعني "الى المعصم". قضى عليهم القانون برفع اليدين في الاغسال لكي يسري الماء من الانامل الى المعصم. حتى اذا بقي التنجس آثار تكون في المعصم لا في الانامل التي تتناول الطعام. وكلمة غسل هي ذات المترجمة أحياناً تعبيد

مفسولة تعادل خطيئة الزنا . وقالوا ان من يهمل هذا الواجب يمسك عليه
 شيطان يسمى "شبتا" يعذبه ليلاً على فراشه . قيل ان حاخامهم الشهير اكيبا
 سُجن مرة . وكان يُعطى في سجنه مقداراً قانونياً من الماء يكفي غسلاته وشربه
 بالشف . فلما اتاه السجن يوماً بما لا يكفي للحاجين ارتبك كثيراً . فترك الشرب
 ليتم الاغتسال قائلاً "افضل الموت على مخالفة سنة اجدادي" . وكان عليهم
 ان يجلبوا الماء اللازم للغسلات في اوانها ولو عن بعد ساعة ونصف

لا يقدر يسوع كد صلح ومعلم ان يجاري الرؤساء في هذه الاباطيل .
 وشعوره الرقيق لم يسمح له ان يؤيد المحرم الكبير الذي كان يوضع على من
 يهمل الغسلات المفروضة . فلما ابى الرضوخ هذه الفرائض البشرية تشبه
 تلاميذه او بعضهم به . والمراقبون الذين حضروا من اورشليم لاحظوا هذه
 المخالفة . فاغتنموا الفرصة لتعنيفه . فلما وجهوا سؤالهم اليه انتقاداً على تلاميذه
 وهو يعلم نواياهم الخبيثة اجابهم حالاً "يا مراؤون"

المرائي يتظاهرون بتدين ظاهري لا حقيقي . وهو شرّ الاشرار لكونه يُخفّر
 الدين اكثر مما يحقره الكافر . والخبث شرّ من الفجور . فالذي يسخر دين الله
 لغاياته الخبيثة يهين الله اكثر ممن يجاهر بمقاومته تعالى . هذه هي المرة الاولى
 التي فيها ألبس يسوع الرؤساء هذا اللقب المعلن حقيقة . واطلاعه على
 اسرار قلوبهم خوّله الحق بهذا الحكم وجعله عادلاً . لكن لا يحق للذين
 لا يعلمون اسرار القلوب ان يتشبهوا به في حكم حكمه

قد يمكن للمرائي الماهر ان "يخدع حتى المختارين" . ويمكنه ان يعاشر احد
 عشر رسولاً سنين معاشرة تامة متواصلة ولا يظن احد فيه سوءاً كما فعل
 الاسخريوطي . ومن الوجه الآخر يمكن ان يسقط الغير المرائي سقطات تجعل من
 يراها ان يتأكد انه مراء . مثلاً من كان لا يحكم على سمعان بطرس انه مراء كبير

فكانوا يعهدون الاسرة التي يجلسون وينامون عليها . ويظن انهم لم يكونوا يغطسونها .
 فيظهر ان كلمة تعبيد قد تفيد غير التغطيس

لو كان حاضراً انكاره في دار رئيس الكهنة وسمع الذي كان يجاهر بتفوق محبته ليسوع ينكر ويحلف انه ليس تلميذ ولا يعرفه؟ مع ان هذا الحكم ظالم جداً. فمن هذين الشاهدين يتضح وجوب الامتناع عن الحكم من هم المراؤون^(١) لم يضرب يسوع على نوع من الشر بمقدار ما ضرب على شر الرياء. وقد وجه الى المرائين اقصى توبيخاته^(٢). والعالم اليوم في حاجة كلية الى مصليين يفتقونه في محاربة هذه الآفة المهلكة. والى مجتهدين في طرد هذا الشيطان الخبيث من الدوائر الدينية لكي تتفق ظواهر اهل الدين تماماً مع بواطنهم. حينئذ يلبس الدين هبة جديدة ويتمجد الاله الذي من اسمى اسمائه "الحق" نكاد لانجد في كلام يسوع ما يجوز تسميته تهكماً. لانه لم يستعمل المزح مطلقاً. لكنه في هذا الوقت قال للروساء تهكماً "حسناً رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم". ونبههم على تشبثهم بالامور الطفيفة وتساهلهم بالامور العظيمة كالفسادات التي يفتكرون بها الآن. هي كالقذى في عين تلاميذك او كالبعوضة لانها فرائض بشرية ثانوية. وبينما يتشبهون بها يهملون الشرائع الالهية الجوهرية كالرحمة والحق التي تشبه بالخشب الكبيرة او بالجل. لذلك هم كمن يلع الجمل ويصفي عن البعوضة^(٣). او الذي يطلب اخراج القذى من عين اخيه والخشبة في عينه^(٤)

أيد دينوته من بشاهد مما اصطالحوا عليه في النذور والاقواف. أذن التقليد لاي من شاء ان ينذر او يوقف لله ما كان يجب عليه ان يعول به والديه العاجزين. حتى متى طلب منه والداه حاجتهما يجيب انه نذرهما لله

(١) يرى الناس زلات اهل الدين لكنهم لا يرون محارباتهم الداخلية ضد الاموال والافكار الشريرة ولا توبتهم السرية ولا الدموع التي يذرفونها في الخفاء كما فعل بطرس على اثر سقوطه المشين (٢) الوسيلة الفضلى أو الوحيدة لاصلاح المرائي هي كشف ريائه له ونزع الوجه المستعار الذي يلبسه. فالعنف في معاملته هو عين الحكمة والرحمة أملاً باصلاحه (٣) مت ٢٤: ٢٣ (٤) مت ٢٧: ٢٤

وان الله اولى منها . وانه نفع والديه بنذره هذا اكثر مما لو اعطاها المال لانها ثابان معه على غيرته في خدمة الله ! ولكون ما كان عليه لوالديه قد تقدم لله فلا سلطة له بعد ان يحولها . وسلطته على ريع ما نذره تبقى له ان شاء ان ينقذه على ذاته . لكن ليس على والديه (١) فتنتج عن ذلك ان كل انسان وقع بينه وبين والديه او احدها خلاف وخطر على باله في ساعة حموه ان يقول لها "قربان" يتقيد بذلك ويحرم عليه من قبل الرؤساء ان يعول والديه مما قال عنه "قربان" . لذلك كرر يسوع حكمة عليهم بقوله "فقد ابطلتم وصية الله بسبب تقليدكم"

ثم انتقل من مخاطبة هؤلاء المرسلين المثلثين الرؤساء "وقال للجمع اسمعوا مني كلكم وافهموا" . وابتداءً بوضح لهم بطلان ما تعودوه من الاعشاء الزائد لئلا يدخل في افواههم شيء يسبب لهم تجسسا طقسيا . الحارس لمنع التجسس يجب ان يقف على باب القلب لاعلى باب الفم . لان مركز الشيطان في الانسان ليس في المعدة ليهم الانسان اهتماما كبيرا بما يدخل الى جوفه بل في القلب . وليس التحذير الحقيقي مما يدخل في الانسان بل مما يخرج منه . ولا بعد الانسان نجسا الا متى خرجت منه كلمة نجسة او فعل فعلا نجسا فيكون برهانا على نجاسته الداخلية

ومع ان التلاميذ تشبهوا به باهال الغسلات المفروضة لكنهم لم يفهموا المبدأ الديني المتبع في ذلك . فاستصعبوا خطته في كلامه القوي الذي ينكر الرؤساء منه . فتقدموا اليه وقالوا له "نعلم ان الفريسيين لما سمعوا القول نفروا" فيا للعجب كيف يجهلون الى الآن ويسألونه "نعلم" . لما تركوا الجمع ودخلوا البيت سألوه تفسير ما قاله . فونجهم بقوله "هل انتم ايضا حتى الآن هكذا غير فاهمين؟" لكن لبي طلبهم واوضح لهم الامر بالاخصار وبكلام يستحق

(١) هذا التقليد مع تفسيره كان موافقا جدا للمستولين على ايرادات الهيكل . فلامعجب انهم استنبطوه وأثبتوه لانه كان يكثر التدور للهيكل فتكثر آرا باهم منها

مزید الاعتبار. اذ قال " ان كل ما يدخل فم الانسان من خارج لا يقدر ان ينجسه . واما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر . وذلك ينجس الانسان . لانه من داخل من قلوب الناس تخرج الافكار الشريرة قتل زنى فسق سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة شهادة زور تجديف كبرياء جهل . جميع هذه الشرور تخرج من الداخل . هذه هي التي تنجس الانسان . واما الاكل بايد غير مغسولة فلا ينجس الانسان "



الفصل الثامن والعشرون

(مت ٢١: ١٥-٢١ مر ٢٤: ٧-٢٧)

(المرصع) ف ٢٠ (الزمان) نيسان السنة ٢٩ م
(المكان) نواحي صور وصيدا والمدن العشر

ذهاب يسوع ورسلة الى البلاد الفينيقية . شفاؤه ابنة مجنونة هناك . شفاة الرسل
والقدسين . ايمان والدتهما العجيب بعد امتحان يسوع اياها شديداً . رجوعه الى العشر المدن .
شفاؤه اصم اعقد هناك

جاء الصيف وبدخوله تاهب يسوع لترك الجليل . لان العوامل المتنوعة
التي رأيناها مؤخراً والتي من شأنها عرقلة اعماله توجي اليه بالانصراف الى
جهات اخرى . ومن الآن فصاعداً لم يعد يذكر انه وعظ في مجامع الجليل .
وكمخلص عمومي لا بد من التنازل ولو جزئياً الى نقطة اخرى في القسم الواسع
من العالم الذي تحت سلطة العبادة الصنمية

فبانتقاله الى بلاد اُممية يحصل هو ورسلة على بعض الراحة الجسدية والعقلية
لان الازدحام عليه يخف بين اناس يجهلة اكثرهم . وينال ايضاً غايته اذ
يتفرغ لتعليم رسله استعداداً لتركه اياهم . فبرؤيتهم بلاداً جديدة تتسع
لمداركهم . ويتبدى فيهم الاستعداد لوصيته الوداعية ان " يتلمذوا جميع الامم
ويكرزوا بالانجيل للخليفة كلها " (١) . وسيرون في هذه السباحة شاهداً جديداً

على صدق نبوته لما قال في مسامعهم "يأتون من المشارق والمغرب ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات" (١). فيعلمهم بالمشاهدة ان الذين ليس بالارث بل بالايمان. لذلك انصرف معهم الى نواحي صور وصيدا فخر البلاد الفينيقية حيث اراهم عالماً جديداً والبحر الكبير

حسبت البلاد الفينيقية على رغم ضيق نطاقها من أهم الممالك القديمة من حيث علومها وصناعاتها وتجارها. لانها كانت دولة بحرية بل سيدة البحار (٢). فتصور دهر هؤلاء الصيادين الجليليين لما اشرفوا على هاتين المدينتين من المرتفعات فوقهما لانهم يرون الاحواض المتسعة ملاءى من السفن الكثيرة الكبيرة الحجم التي تخر البحار حاملة التجارة الفينيقية. فابن المقابلة بين هذه السفن وبين قواربهم على بحيرة طبرية؟ ويرون المعامل الكبيرة التي كان يصعد دخانها الكثيف تشتغل بصنع آنية الخزف والزجاج والنحاس والحديد. والهيكل والقصور الفخمة والبساتين الزاهية الواسعة

ولا يبعد ان يكون قد ذكر يسوع تلاميذه كيف تخصصت هذه المقاطعة عند تقسيم الارض على بني اسرائيل لسبط اشير. ولكن لسبب زيفانهم عن الله بقيت مع غيرها خارجة عن حوزتهم (٣). "فدخل بيتاً وهو يريد ان لا يعلم أحد. فلم يقدر ان يخفي" اذ كيف يمكن ان تخفي الرأفة الزكية التي كانت تفوح من شخصه الكريم؟ كان قد وصل الى هذه الاصقاع شيء من صيت حنوه ومقدرته لان بعض اهليها كانوا قد ذهبوا اليه سابقاً الى كفرناحوم (٤). ويستحيل ان

(١) مت ١١: ٨ (٢) عظمة صور وصيدا الفاتحة قديماً امر اشتهر في التواريخ كما في الكتاب المقدس (٣) قيل في الكتاب حي غضب الرب على اسرائيل وقال من أجل ان هذا الشعب قد تعدوا عهدي الذي اوصيت به آبائهم ولم يسمعوا لصوتي فانا ايضا لا اعود اطرد انساناً من امامهم من الامم الذين تركهم يشوع عند موته. فهو لا الامم الذين تركهم * * * اقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيديون والحويين سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون الى مدخل حماه قض ٢: ٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٣

(٤) مت ٢٤: ٤ ومر ٨: ٣ ولو ١٧: ٦

مسافراً مهوباً كيسوع يدخل قرية مرافقاً بتلاميذ كالرسل ومن معهم الآ
ويسأل الناس عن امره . فسمعت به امرأة واقعة في مصيبة عظيمة اذ كانت
ابنتها مجنونة جداً لان بها روح نجس

ومع احتقار شعبها لليهود سجدت عند قدمي يسوع . وصرخت باحترام
قائلة " يا سيد " . ربما فهمت انه من اشرف عائلة عند اليهود . او علمت ان
مسيح اليهود يكون ابن داود . فظننت انها تعظمه وتسره بمناداتها اياه " يا سيد
يا ابن داود " . لكن اذا كان ابن داود فقط والمسيح الذي صورته اليهود
لا ينفعها بشيء . لانه يكون مخلصاً سياسياً عالمياً لا يبالي الا باليهود ويرفض
جميع الامم عبدة الاصنام نظيرها لانه بعددهم كالكلاب المكروهة المطرودة (١) .
فطلبت منه الرحمة . لكنها لم تقل ارحم ابنتي بل " ارحمني " . مصيبة المجنون تنوع
عن غيرها من المصائب في ان كل ثقلها يقع ليس على المصاب بل على اهله .
فهذه الابنة لا تشعر ولا تهتم لمصبتها . لكن الحنو الوالدي جعل مصيبة الأم
جسيمة جداً . ولا سيما لانها امرأة ممتازة في صفاتها كما في مصبتها . ونحن نعلم
ان الصلاح لا يحمي من المصائب . بل قد يكون موجباً لازديادها كما في
الاضطهاد . وكما ظهر في تاريخ ايوب الصديق . قد صدق داود بقوله
" كثيرة هي بلايا الصديق " (٢)

فهذه المرأة كرمت يسوع وسجدت له واستنجدت به بمجراحة . لكنه لم يجيبها
بكلمة (٣) . وظهر انه خرج من البيت متوجهاً الى محل آخر . فتبعته مكررة
صراخها وهو لا ينتبه اليها . لكنها لم تيأس . لعلمها رأت فيه ما حقق لها على رغم

(١) هي امة كنعانية من الشعب الذي امر الله باخراجه من البلاد وابادته لثلا
بطني شعبه اسرائيل المجاور له (تث ٤: ٧ و ٢٠: ١٢ و ٢٧: ٣٢) وقال البشير انها فينيقية سورية
تمييزاً عن فينيقية افريقية التي عاصمتها قرطجته في بلاد الغرب (٢) مز ١٩: ٢٤
(٣) قال يوحنا في الذهب عن هذا السكوت " ختم النبع وامسك الطيب عن العليل
علاجه "

سكوته ان صيته في الخو ليس كاذباً وانها تحصل بواسطة الحاجة على بركة منه. ولعل سكوته ناتج عن اشتغال افكاره في امور أخرى أهم من أمرها . يكفي انه لم يضجر من صراخها ولم ينتهرها. فتشجعت على الحاجة في الطلب. هوسكت لكن هي لم نسكت

اما الرسل فضجروا من لجاجتها . لان تأثير تربيته اليهودية لم يزل بعد وكيهود يتنجسون منها . فارادوا ان يلي يسوع طلبها ولو لاجل راحتهم من "صباحها وراءهم" . فتقدموا وطلبوا اليه ان يصرفها . هل يرتاب احد في شفاعة الرسل هذه وحصول المرأة على مطلوبها بمداخلتهم ؟ نعم يرتاب المفكر اذ يرى في هذه الشفاعة محاولة القاصرين ارشاد الكامل . ولذلك لا نستغرب فشل هذه الشفاعة في رفض يسوع مداخلتهم . والحق ان سكوته عن طلبها كان عليها ضربة خفيفة بالنسبة الى جوابه على شفاعة الرسل لاجلها . قال "لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة"

هذا الصانع الماهر قد وضع الذهب في البوتقة لكي يكرره فيخرج مصفى . فان رفعه عن نار الامتحان سريعاً لا يتم الخير المقصود . والذي "يعلم ما في الانسان" اكتشف في قلب هذه المرأة جوهره الايمان فقصد صقلها ليزيد لمعانها . وحباً لخبرها لا يرضى بالصقل الخفيف . فبينما نرى الرسل القساة الذين طلبوا ان تنزل نار من السماء لتهلك الذين لم يضيفوهم^(١) حلما يتشفعون بالام الحزينة نرى الذي فاق جميع البشر حلماً ورقة يظهر القساوة في سكوته اولاً ثم في رفضه طلب رسله لاجلها . يقال حقاً ان في بعض الظروف لا يجوز الحكم حسب نظر العين وسمع الاذن

لكن كيف ينحصر مخلص العالم والمصلح العمومي ذاته لخراف بيت اسرائيل فقط ؟ قال بولس الرسول ان يسوع المسيح "قد صار خادماً الختان من اجل صدق الله حتى تثبت مواعيد الآباء"^(٢) . فلو خرج بين الامم لحال

(١) لو ٩: ٥٢-٥٦ (٢) رو ١٥: ٨

ذلك دون اصفاء اليهود اليه وهم أحق بالبشارة أولاً. ولم يشاء ان يفتح لرفضهم اياه باباً باشرائه الامم معهم في خدمته في تلك الاشهر القليلة التي لا تفي بخدمة اليهود والامم ايضاً. وحباً لتلاميذه فضل ان يترك لهم العمل الاوسع والشرف الاعظم بتبشير الامم بعد ذهابه عنهم مصرحاً لهم انهم سوف يعملون اعمالاً اعظم من اعماله^(١). لذلك نراه يتنحى غالباً عن العمل العمومي بين الامم^(٢) قبل حقاً ان الريح التي تطفئ القنبلة تزيد الحريق الكبير اضطراباً. فالصدمة التي تطفئ الايمان الضعيف تزيد الايمان القوي قوة. فنرى هذه المرأة تتقدم وتجدد استجادها كأن الرفض يزيد قوة ايمانها فسجدت ثانية وصرخت "اعني". كان مفعول هذه الكلمة الواحدة البسيطة الصادرة من قلب ملتهب اعظم من كل العلوات الفصيحة التي تقدمت في الهيكل العظيم في ذلك اليوم. أفلا يترأف الآن هذا السيد الصارم؟ ألا يكفي هذا القدر من احتراق قلبها؟ كلاً. لان هذا الرؤوف يريد ان ينيلها مجداً اعظم بعد تركية ايمانها بائتمان جديد أمر من الأول

لما نقرأ جوابه على صراخها "اعني" نقول ليتني بقي ساكناً كما في الأول. وليتني لم يلفظ ذلك الكلام الجارح "دعي البنين أولاً يشبعون. ليس حسناً ان يؤخذ خبز البنين وي طرح للكلاب". ألا يشك من يقرأ هذا الجواب لعل احد مبغضي يسوع ماهر في التزوير قد اخلفه. أيجمل ان يخرج كلام كهذا من فم ذلك الذي أحب العالم بأسره كبيره مع صغيره واميره مع فقيره صالحه مع طالحه حتى بذل نفسه عنهم؟^(٣)

(١) يوحنا ١٢: ١٤ (٢) هذه هي قاعدة خدمته القانونية. انما الشذوذ يسمح له ان يضع البزرة الصغيرة في الحقل الاممي خلافاً للقاعدة لكي يعطي لتلاميذه مثلاً يبين طريق مستقبل خدمتهم (٣) تذكرنا هيئة صرامته الوقتية يوسف وهو متول إدارة المملكة المصرية لما قابل اخوته الذين استعطفوه وهم يجهلون (ولاسيما بنيامين حبيبه الخاص) مقابلة صارمة جداً لقد حبي بينما قلبه الطاهر يتفتت حنواً عليهم حتى غص بالبكاء

ان هذه المرأة نظرت اليه كابن داود ومسح اليهود وخدمهم . واذا ذاك
لا حصه لها مطلقاً في عطاياء وبركاته . ولا يقدر ان يجعل لها هذه الحصه الا
بعد ان تعرفه وتعرف به مسيحاً للام ايضاً . فنفتح لها مجوابه القاسي باباً تفصل
منه الى هذه المعرفة وهذا الاعتراف . هو "ملاك العهد" الذي سمح ليعقوب
حنيد ابراهيم في ساعة يأسه ان يصارعه عند مخاضة يئوق . وان يسكه الى ان
ينال البركة المطلوبة^(١) . نراه الآن يسمح لهذه المسكينه الكنعانية ان تصارعه
وتغلب عليه وتنال سوءها

ففي عظم تواضعها مع عظم احتياجها صارعته في احتجاجه وحولت حجة عليها
الى حجة جديدة لها . هذه بلاغة الاحتجاج^(٢) . ألم يقل لها يسوع "دعي البنين
اولاً يشبعون" اذا الكلاب تأخذ دورها بعد البنين . فجعلت يسوع بوضعه
اياها بين الكلاب يعترف ان لها حقوقاً . وان كانت ادناها . لان آب البنين
حول المائدة هو ايضاً رب الكلاب تحت المائدة . فان كانت في من الكلاب
فللكلاب ارباب وهو اذا ربها . ولها الفئات الفاضلة عن البنين

في ايمانها هذا اعطت مثلاً يوضح شيئاً عن الايمان . لو كان ايمانها ايمان
الراس فقط نظير ايمان كثيرين لا فتنها معاملة يسوع اياها ان تركه وان
لا نصيب لها عنده . لكن لان ايمانها قلبي نظر الى ما وراء الظواهر وحقق ان
يسوع لا يرد طلب مستغيث ولو أجل الاغاثه او كان ظاهر كلامه رفضاً .
فيسوع العالم بايمانها وثباتها بعد ان شدد الامتحان عليها اناها قوة جديدة
لايمانها . ومديحاً ممتازاً وشهرة مؤبده . فلا يمكن ان تنسى مدى حياتها بهجة

(١) تك ٢٤: ٢٢-٢٠ (٢) قال لوثيروس "اصطادته بكلامه هو . فكن مثلها
مصدقاً كل ما يخبرك به الرب ولكن لا تقطع الصلاة الا وتغلب كما غلبت هي . حول ما
ينسب اليك من الخطا والتقصير الى حنح وبراهيم على احتياجك الى ان تصطاده بذات
كلامه" . ونرى مما لها في الابن الضال الذي اعترف بان لاحق له في البنوية وطلب ان
يحسب كأحد الاجرى في بيت ابيه

تلك الحقيقة حين لبي يسوع طلبها اللجوج بقوله لها "يا امرأة عظيم ايمانك ليكن لك كما تريدن . ولجل هذه الكلمة اذهبي . قد خرج الشيطان من ابتك" . هذا الرجل العظيم لم يرضخ البتة في كل مصارعاته مع فلاسفة اليهود بل كان يفهمهم باجوبة السديدة ويريمهم بعدهم عن ملكوت الله لكنه يتنازل ويرضخ الآن بحلم عجيب لهذه المسكينة في احتياجها عليه وبين قربها لهذا الملكوت

نلاحظ ايضاً ان التلاميذ حصلوا على نتيجة مجيدة في هذا الامتحان لانهم رأوا امامهم مثلاً لخراف هذا الراعي العظيم التي ليست من الحظيرة اليهودية وبعضها يفوق الخراف اليهودية في المواهب الروحية . يحنجون الى شاهد كهذا حين يباشرون تبشير الامم الوثنية . قد تعودوا ان يسمعو من يسوع توبيخاً بقوله لهم مراراً "يا قليلي الايمان" (١) . ولما كاد يغرق بطرس بالامس وبخه قائلاً "يا قليل الايمان لماذا شككت" (٢) . فاي خجل غشيم جميعاً اذ سمعوا سيدهم يقول مبتجماً هذه الوثنية المعدومة الوسائط الدينية "عظيم ايمانك ليكن لك كما تريدن" . فاخذوا في هذا الحادث أقوى برهان لصدق يسوع في قوله ان "الآخرين يكونون اولين"

برينا هذا الحادث ان استجابة الصلاة لا تتوقف على مقام الطالب كما يتوهم كثيرون . بل على روحه في الطلب قد ظهر هذا لما اتاه يوماً تلميذه المتمازان يعقوب ويوحنا الحبيب مع والدتهما التي كانت ترافقهم وتخدمهم من ماها وطلبوا منه شيئاً فلم يسمع لهم . اما الآن فاستجاب لهذه الغريبة العديدة المقام (٣) . قد رأينا فيما سبق تلاميذ كثيرين في وطن يسوع يرتدون عنه . لكن تلك الخسارة وان كان ظاهرها عظيماً لا توازي رجحان هذه النفس النادرة المثال التي انضمت اليه في القرية الوثنية في نواحي صور وصيدا .

(١) مت ٢٦: ٨ و ٢٨: ١٢ و (٢) مت ٢١: ١٤ (٣) يذكر القديس

الكليمنطوس ان اسمها كان يوسطا ويحيى في تاريخها انها تركت مذهبها الوثني وتبعت المسيحية

الموانع القوية التي صادرت المفلوج كانت في ظروفه فتغلب عليها وافتح . اما غلبة هذه المرأة فاعظم لان الموانع التي صادرتها كانت من الرب ذاته . وتستحق الاكرام لانها آمنت تماماً في كلمة يسوع " قد خرج الشيطان من ابنتك " فلم تطلب منه ان يذهب معها ولا ان تحضر الابنة اليه . بل ذهبت الى بيتها ووجدت ان ابنتها قد شفيت من تلك الساعة وانها مطروحة على الفراش . لان الشيطان قد خرج منها بعد ان صرعه كما دته وألمها كثيراً^(١)

ان هذا الحادث هو من التي ورد خبرها ليس بسبب الذين صنع بهم يسوع معجزاته بل بسبب الذين استغاثوا به لاجل غيرهم . فلم يكن القصد فيه تعظيم المعجزة الجسدية التي صنعها يسوع بالابنة بل الروحية اي الايمان الذي وضعه بروحه في والدتها . حوادث الشفاء كانت لا تحصى وأكثرها متشابهة فلا تستدعي الذكر المفصل . اما حوادث الايمان فكانت نادرة وهي التي يهتم يسوع بها ويهتم البشيرون بذكرها

ثم سافر يسوع من جهات صور وصيدا شرقاً الى مقاطعة ديكابولس اي العشر المدن في الجولان^(٢) . وكانت هذه البلاد زاهية بالتمدن اليوناني وتجارها واسعة . وفيها وفي طريقه اليها كما في نواحي صور وصيدا كان خارجاً

(١) هذا الحادث الثالث والاخير المذكور فيه شفاء يسوع انساناً عن بعد . وقد سبقه شفاء ابن خادم الملك و غلام قائد المئة انظر ف ١٤ و ٢١ (٢) انظر الاتفاق ٢٨٩ وادي ٥٤١ و ٤٨٣ و ٥٠١ وقاموس الكتاب ١٠٣:٢ نظم بومبايس هذه المقاطعة السنة نحو ٦٥ ق م . واعطاها امتيازات سياسية واستقلالاً فعقدت روابط متبادلة لحمايتها من هجمات القبائل البربرية القاطنة الصحراء لجهة الشرق . لم تنفق التواريخ في تسمية هذه المدن وقد اندرس أكثرها . وبظن ان دمشق احداها . لكننا نعلم ان واحدة فقط كانت غربي الاردن وهي سكيوبولس (اي بيسان) وتسعاً شرقية . منها جرش وعمان وأم قيس والقنوت . بعد عود بني اسرائيل من سبي بابل لم يستردوا هذه المقاطعة فبقيت وثنية مع وجود يهود كثيرين بين سكانها . ويرجح ان يسوع في هذه الرحلة فخطاً مرافق جبل لبنان الجنوبية ومرّ بمرجعيون الى عبر الاردن الشرقي تحت ظل جبل حرمون العظيم . وهو المعروف اليوم باسم جبل الشيخ

عن ابيالة هيرودس انيباس وسلطته الجائرة وعن سلطة رؤساء اليهود التي هي اشد خطراً عليه . وكان قد قضى قبلاً في هذه المقاطعة ساعات قليلة عندما اخرج الشياطين من "لجئون" وعلى ما نرى ان عمل هذا الرجل اثر في تلك المقاطعة حتى لما جاء يسوع وصعد الى جبل وجلس "جاء اليه جموع كثيرة مع عرج وعي وشل وخرس وآخرون كثيرون وطرحوهم عند قدمي يسوع فشفاهم"

خص من بين حوادث الشفاء حادث اهمّ اعقد جاءوا به محمولاً (١) اما لعجزهم عن افهامه ما يقصدونه له او لكونه مختلّ العقل او معتلّ الجسم . فهذا الاصمّ الاعقد لم يسمع كغيره من يسوع ولا عنه . فقصد يسوع ان يحرك فيه عاطفة الايمان الضرورية في كل عليل يشفيه . ولكي يكلّمه يهدو كلاماً روحياً اول ما يمنحه قوة السمع انفرده به عن الجمع . ثم وضع اصابعه في اذني الرجل كأنه يفتح فيها باباً للسمع . "وتفل" (٢) ولمس لسانه . بهذه الحركات البسيطة احيا فيه ايماناً جديداً . وأيد مبدأ استعمال كل ما يمكن من الوسائط الملائمة

بقي عليه تحويل افكار هذا المسكين الى مصدر كل الخيرات الالهية ليعلم من حيث يأتي عونهُ . "فرفع يسوع نظره نحو السماء" مظهرًا بذلك تعلّقه الكامل بالآب . قال البشير "وإنّ" . لعله يجمع في آتية هذه انين الخلق آجمع ويرفعه شاكياً مصائبهم التي لا تخصّ الى الآب الساوي طالباً منه الرحمة لجميع المصابين بالعلل الجسدية . لانه هو الذي قيل عنه "في كل ضيقهم تضايق" (٣) . ثم امر العليل بلغته الارامية قائلاً "أفثا" اي "انفتح" فانحلّ رباط لسانه وتكلّم مستقيماً . فتمّ قول النبي "آذان الصمّ تفتّح" (٤) . ومع اجتهاد يسوع ان "لا يقولوا لاحد" كانوا ينادون اكثر كثيراً ويزيدون تعجب الجموع

(١) كما تفيد الكلمة اليونانية في الاصل (٢) كان التفل عندهم من العلاجات الطبية القانونية (٣) اش ٩: ٦٣ نسب اهد المفسرين آيينه الى التأمل بما سوف يفعلهُ هذا المسكين من الشرور بعد نيْلِهِ قوة السمع والنطق (٤) اش ٥: ٣٥

كانت مناظر الشفاء جديدة عند أكثر هذا الجمهور وعرفوا ان يسوع هو من بني اسرائيل وليس وثنيًا نظيرهم . وان آلهتهم التي كانوا يفخرون بها ويتكلمون عليها لا تستطيع شيئًا مثل هذا الذي كان يصنعه يسوع باسم اله اسرائيل . فلذلك عندما " تعجبوا وبهتوا للغاية " صاروا يجدون اله اسرائيل ويسوع ايضًا قائلين " انه عمل كل شيء حسنًا " . وهذه الشهادة انه يعمل كل شيء حسنًا يقدمها الملايين من الناس الذين على توالي الاجيال والقرون يأتون اليه ويتخذونه لانفسهم المخلص والمدير والملك في حياتهم اليومية . هؤلاء ان عاشوا فللرب يعيشون وان ماتوا فللرب يموتون ^(١)



الفصل التاسع والعشرون

(مت ٢٢: ١٥ - ٢٨: ١٦ مر ١: ٨ - ١: ٩ لو ١٨: ٩ - ٢٧)

(المرصع) ف ٢١ (الزمان) صيف السنة ٢٩ م

(المكان) المدن العشر . كفرناحوم . بيت صيدا .

تخوم قيصرية فيلبس

اشباع الاربعة الآلاف . التحذير من خير الفريسيين . شفاؤه أعشى بيت صيدا .
اعتراف بطرس الشهير في من هو يسوع . مفاتيح ملكوت السموات . كلام في مقام بطرس
الحقيقي . ماهية السلطان الرسولي . إنباء يسوع الأول بموته وقيامته . اعتراض بطرس
على ذلك وتوبيخ يسوع إياه . كيفية اتباع المسيح

هذه هي زيارة يسوع الاولى على ما يظهر الى هذا التقسم من البلاد الوثنية
المحيطة ببلاد اليهود . وهنا في دائرة المدن العشر ايضاً جمع حوله صيته المنتشر
بجماهير كما في الجليل . فحدث مرةً ان هذا التجمهر كثر عليه جداً في البرية
وطال ثلاثة ايام حتى نفذ الزاد . لان قوماً منهم جاءوا من بعيد . فحملوا اشفاقة
على تكرار اشباع الجمهور بمعجزة . وهذا الاشفاق عينه برافق ويلازم كل
فرد من البشر من مهرب الى لخب . كان كلامه المحنون "لست اريد ان
اصرفهم الى بيوتهم صائمين لئلا ينجوروا في الطريق" (١)

(١) يحاول البعض ادغام خبر هذه المعجزة مع خبر السابقة على شكلها كانتها معجزة
واحدة . لكن يسوع ذاته ينفي هذا الظن بذكر المعجزتين في القول الواحد (مت
١٦: ٩ و ١٠ انظر ف ٢٦) . لان الاشباع الاول كان في بلاد اليهود وهذا في بلاد الامم .

لا يسعنا إلا استغراب تكرار الرسل اعتذارهم بالعجز في صيف ذات السنة التي في ربيعها اشيع سيدهم جمعاً أكثر بشيء زهيد من الطعام. غير ان يسوع بكتهم بعد قليل على نسيان المعجزتين معاً وعدم استفادتهم منهما. فالشكوك المحاضرة تولد عن نسيان المراحم الماضية

لكون هذه المعجزة تناولت الالوف زادت في انتشار صيته في هذه البلاد الجديدة. لذلك اضطر ان يغادرها تخلصاً من الازدحام. فدخل السفينة مع تلاميذه وجاء الى تخوم مجدل^(١) ودلمانوثة المجاورة لها. هنا طوى الفريسيون والصدوقيون الخصومة الطبيعية المزمنة المتبادلة لكي يتفقوا على مخاصمة يسوع. فكان اتفاقهما معاً اسهل من اتفاق احدهما مع يسوع. لان الخصام بينهما كان في العقائد والفرائض. فلا يستلزم انتصار احدهما على الآخر اصلاحاً فعلياً. واما الخصام مع يسوع فكان في الآداب الاساسية التي كان يسوع يتشبث باصلاحها. فانتصاره على اي كان منها يستدعي تغييراً كلياً في التصرفات. والفرقان بآيانه التغيير المطلوب بقائاً

اتي هؤلاء وطلبوا آية من السماء ليؤمنوا به. ولكن قصدهم الحقيقي ان يجرّبوه^(٢) فتنهّد بروحه أولاً. ثم ونجّهم على رباّهم لتظاهروا انهم لا يعرفون بعد انه المسيح حال كون البراهين التي حصلوا عليها كافية لازالة الريب تماماً من هذا القليل. وعلى نقصيرهم في الروحانيات مع مهارتهم في العالميات. وكرّر قوله السابق ان آية يونان النبي هي الوحيدة التي تُعطى لهم^(٣). ثم تركهم ومضى

وكان الاول اعجب من هذا بكثرة الآكلين وقلة الزاد. فالذي يكرّر خيراً ليجعله خبيرين لتعظيم العامل لا يمكن ان يورده ثانية أصغر من الأول. ومعنى ومقرس يذكران معجرتين. وجمع الكسركان في قنف في المرة الأولى وفي سلال في الثانية (انظر ذكر السّل في ٢٩:٥ ع ١) فوق طبرية بنحو ثلاثة اميال لجهة الشمال^(٢) وقاحة الصدوقيين في طلب آية من السماء ناطقة أكثر لكونهم ينكرون وجود عالم الارواح

في السفينة الى العبر الشرقي . ولعلمه ان تربية تلاميذه السابقة جعلتهم يوقرون
الفرّيسيين والصدوقيين قواد الشعب بسبب مقامهم الديني والسياسي فاراد
ان يحذرهم موصياً اياهم ان يحنبوا خمير الرياء الظاهر في هؤلاء المتضادين
في المعتقد والمتفقين في الضلال . ولما لم يفهموا انه يعني بالخمير تعاليمهم الفاسدة
وسلوهم الرديء ونجهم لاتخاذهم كلامه في الخمير بالمعنى الحرفي لانهم
نسوا ان يأخذوا زاداً الا رغيفاً واحداً . لظنهم انه يهتم نظيرهم بالقوت
الجسدي

لا بدّ من الانتباه الى غرابة مجاهرة الرسل باخبارهم عن عيوبهم
وتقصيراتهم وتوبيخات يسوع المرّة عليهما . (١) فتعجب كيف يكتبون انه
قال لهم " يا قليلي الايمان . اأنتي الآن لاتفهمون ولا تشعرون بعد ؟ أأنتي
الآن قلوبكم غليظة ؟ ألكم أعين ولا تبصرون ولكم آذان ولا تسمعون ؟
كيف لاتفهمون ؟ " فما اجل مثالم في الاستقامة والتواضع ! ويسوع يوضح
في هذا التوبيخ ان الايمان بصر روحي وسمع روحي . وان قليلي الايمان هم قليلو
الفهم . فالؤمن هو الفهم وليس عديم الايمان

ولما وصل الى بيت صيدا يولياس على جانب البحيرة الشرقي حيث اشيع الخمسة
الآلاف اتوه باعى ليشفيه باللمس . فلم يقبل ان يعينوا له اسلوب الشفاء . لكنه
استجاب طلبهم وشفاه على الاسلوب الذي استحسنه هو . اخرجته الى خارج
القرية وبينما كان الضرب ينتظر متحيراً ماذا يصير فيه او يطلب منه نقل
يسوع في عينيه ووضع على كل عين يداً فابصر الناس كاشجار يمشون . اي
انه البصر على قدر ايمانه . ولما زاد ايمانه بعد البصر القليل كرّر يسوع وضع
يديه على عينيه . فانه البصر الكامل . وبذلك مثل الذين يستنبطون
تدريجاً في الامور الروحية . فان استعملوا النور القليل الذي لم تكون النتيجة
ازدياد النور . " لان الذي له سيعطى ويزاد " . ولم يخبر البشير ان

(١) هل يفعل مثل ذلك رواة القمص الوهمية ؟

كان هذا الرجل اطاع امر يسوع "لا تدخل القرية ولا تقل لاحد في القرية".

ثم ارتحل يسوع ومن معه شمالاً سفر نحو يوميت الى سفح جبل الشيخ في نواحي قيصريه فيلبس^(١) هنا تتهيج عواطف التلاميذ انتصاراً للعبادة الطاهرة المعقولة للاله الواحد الذي هو روح. عند ما يرون عبادة الجنون والخلاعة التي كان يمارسها سكان قيصريه فيلبس. فتمتجاء يوم مارسهم التبشير فيقدم هذا الاطلاع على بعض الخرافات التي تستولي على الذين يتركون الاله الحي الحقيقي خالق الجميع ليعبدوا عمل ايديهم

وفي احد الايام انفرد معهم واعدهم بصلاة خصوصية لامر ضروري له ولهم. وذلك ان يعلنوا اعتقادهم فيه وتعلقهم به صريحاً. العاقل المستقيم كيسوع تعرف افكاره السابقة من اقواله وافعاله اللاحقة. فنستنتج الآن ان صلاته الانفرادية انصرفت الى الطلب من الاب ان يمجدا اسمه بحفظ ايمان

(١) لما رحلت قدم اليونان في سوريا بعد انتصارات اسكندر الباهرة خصصوا لعبادة "بان" اله الاحراج الكهف الكبير في بانياس المظلل بالاشجار الغضة التي اوجدتها هناك مياه النبع الغزير الصادر من الكهف. وهذا النبع هو أحد الاصول الثلاثة المهمة لنهر الاردن. ونظراً للملائمة هذا الظل الكثيف للقباحات التي امتزجت مع فروض عبادتهم الوثنية بنوا هنا هيكلًا مهمًا ترى بعض آثاره إلى هذا اليوم. وسموا الحبل بانياس احتفاءً بالهم بان. وهذا الموقع غاص بالمناظر الطبيعية الجميلة تقصده السياح ليس فقط بسبب الحادث الذي نحن في صدد بل ايضاً لروية هذه المناظر والنهر الذي يتدفق هناك من أسفل جبل الشيخ العظيم. فلما أخذ الرومان من اليونان حاكمية البلاد ثبتوا في هذه المراكز عبادة بان وجدد فيه هيرودس الكبير هيكلًا من رخام اكرامًا لمولاه الروماني. لانه مع ادعائه اليهود رياءً كان يشيدها لكل وثنية لاسباب سياسية. فلما تولى ابنه هيرودس الحكم في تلك المقاطعة وسع وحسن القرية التي يجوارها الهيكل وسمّاها قيصريه على اسم مولاه. ثم ليميزها عن قيصريه على شاطئ البحر الكبير هي الكبرى اضاف اليها اسمه فدعاها قيصريه فيلبس. وفي مرور الزمان أعيد اليها الاسم القديم بانياس

رسله من الزعزعة . لأنه عازم ان ييغتم بخبر جديد يخالف كل
تصوراتهم ومشتهمهم . ألا وهو خبر موته العنيد على الصليب بعد اهانات
والآلام لا توصف

فانهم أولاً بهذا السؤال "من يقول الناس اني انا ابن الانسان" وكعادته
لم يكن سؤاله للاستفهام بل لخير الذين يطلب منهم الجواب . طلب منهم
الرأي العام بخصوصه كابن الانسان فقط . لان العامة لا يرون إلا ناسوته .
فاجابوه ان الناس في حيرة من جهته . يعتبرونه نبياً عظيماً . لكن لا يتصورونه
نبياً جديداً يظنون انه ايليا او ارميا او المعداد او نبي آخر قديم قد ظهر
ظهوراً جديداً . والظاهر ان ليس احداً يقول انه المسيح المنتظر

هل هذه النتيجة من خدمة ثلاث سنين بين الجماهير انهم لم يعرفوه انه
المسيح ؟ هل ذهبت اتعابه إدراج الرياح ؟ . قد اصاب الرسول بقوله "ان
النور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه" (١) بعد اشباعه الخمسة الآلاف
قال عنه الجمع "ان هذا هو بالحقيقة النبي الآتي الى العالم" (٢) . اي النبي
الذي ينبغي ان يظهر قبل مجيئ المسيح ليعلم مجيئه . لكن لانهم لم يروا فيه
علامات المسيح المصور في افكارهم لم يقل احد انه المسيح

اما النجاج او الفشل في مرسلية يسوع على الارض فلا يتوقفان على رأي
العامة الذين سماهم في سؤاله "الناس" . بل على تأثير كلامه واعماله في معتمديه
المنتخبين الذين اقامهم "ملح الارض ونور العالم" (٣) بشرط ان يستنبطوا
ويتمسكوا منه أولاً . لأنه لم يأت ليحصد بل لينزع ويعين الذين يخلفونه في
متابعة الزرع وينوبون عنه بعدئذ في الحصاد . لا يعاب الزارع
الذي يرجع مساء الى بيته فارغ اليدين . لأنه لم يخرج صباحاً ليحصد . وغاية
يسوع في نزوله من السماء لم تكن ضم جمع غفير اليه ظاهراً ابان وجوده بين
الناس . فعدم حدوث ذلك ليس من باب الفشل

(١) يوا: ٥٥ (٢) يوا: ١٤: ٦ (٣) مت ١٣: ٥ و ١٤

وهذا السؤال عن رأي "الناس" كان مقدمة فقط للسؤال الا هم عن رأي رسله الذين ثبتوا بعد ارتداد الاكثرين عنه . فاعاد ذات الامتحان الذي ادى الى ذلك الارتداد على اثر خطابه في خبز الحياة . اذ كان سابقاً بشخص امام سامعيه امور ملكوته الجديد . وفي ذلك الخطاب ابتداءً بخطبه الجديدة اي توجيه الافكار الى شخصيته كملك الجديد لهذا الملكوت . والان يتبع هذه الخطة مع الاثني عشر . بعد سني الدرس والتدريب انت الساعة لفحصهم واظهار افكارهم في شخصية المعلم وليس فقط في تعليمه . لذلك سألهم "واتم من تقولون اني انا ؟" دون حصر سؤاله كالمرة الاولى في كونه ابن الانسان . لا يستطيع بشر ان يشخص عظم النتيجة المتوقعة على اجنياز الرسل هذا الامتحان بنجاح

لا ريب انهم كانوا قد تحدّثوا في ما مضى وتجاوزوا كثيراً في الامر المسؤول عنه الآن . وتمسكوا طول حياتهم بالامال السياسية العالمية المتعلقة بمجيء المسيح . فيكون تركها تماماً من اصعب الامور . لكن قطع كل تردد في افكارهم ضروري جداً . فاراد يسوع ان يضطرهم الى ذلك نهائياً . ليت الجميع يدركون ضرورة "القطع والبيت" دون تردد او اهمال في تقرير المعتقد الديني ومباشرة السلوك بهوجبه

كان السؤال عن الرأي العام بسيطاً والجواب عليه سهلاً ايضاً . فتقدم منهم اجمالاً . اما هذا السؤال الاصعب فناب فيه بطرس عن الهيئة اما تبرعاً كما في اوقات اخرى اولا ان يسوع نظر اليه كانه يكلفه الجواب بالنيابة عن الآخرين وبالاتصاله عن نفسه او ان رفقاءه او ماؤا اليه ان يمثل الهيئة في الجواب

فكم كان ابتهاج يسوع عظيماً لما اخذ من رسله بقم زعيمهم ذلك الجواب المستوفى الصريح "انت المسيح ابن الله الحي" . كان سؤال يسوع اولاً ما القول فيه كابن الانسان . فجاءه في الجواب الثاني "انت ابن الله" .

فما اعظم سر التقوى الذي اشار الرسول اليه ^(١) اي ان القولين في يسوع انه ابن الانسان وانه ابن الله الحي صادقان على رغم ما في ظاهرهما من التناقض. يسوع اتخذ لذاته لقب الاتضاع . وبطرس اعترف له بلقب الارتفاع . لم يبتج يسوع لصورة الجواب . لان الشياطين سببت الى مثل هذا القرار مراراً ^(٢) . وكذلك ثنائيل ^(٣) وبطرس ذاته اجاب قبلاً بهذه اللفاظ ^(٤) . لكن ابتج لروح المتكلم ورفقائه . وللايمان الثابت بعد تجميع الحوادث السابقة . فطوب بطرس حالاً تطويلاً شخصياً لم نقرأ انه اسبغهُ على غيره اذ قال "طوي لك يا سمعان بن يونا" ^(٥)

ليس في هذا التطويب مديح للتطوب بل مهنة لحظه المتنازع . لان يسوع اظهر حالاً اساس تطويبه بقوله "ان لحماً ودماً لم يعلن لك لكن ابي الذي في السموات" ^(٦) . فليس شيء مما قاله او فعله بطرس مجلبة لهذا التطويب بل ما ناله من كرم الاله الذي اعلن له بالهام روجي تلك البنية الوحيدة له تعالى التي اعترف بها بطرس في هذا الوقت . وهذا التطويب لبطرس يذكرنا بتطويب الملاك جبرائيل لمريم كما رأينا في حينه ^(٧) . ونحن نعلم ان نور الخلاص نظير هذا الاعلان لبطرس لا يمكن ان يأتي من البشر . هم يهثون السراج والزيت . لكن النور عمل الاله

ثم اعاد يسوع لهذا الرسول ذكر الاسم الذي دعاه به بياناً لثباته . وقال له "على هذه الصخرة ابني كنيسة وابواب الحجيمن لمن تقوى عليها . واعطيتك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحله على الارض يكون محلولاً في السموات" . على هذا

(١) اتي ١٦:٣ (٢) مت ٢٦:٨ ومر ١١:٣ ولو ٤:٤١ (٣) يو ١:٢٩
(٤) يو ٦:٦٩ (٥) بقوله سمعان بن يونا ميره عن الرسول الآخر سمعان القانوني (٦) اشرنا سابقاً الى المعنى القوي في استعمال المفرد "ابي"
(٧) انظر ٦

القول بنى بعض المسيحيين سلطة بشرية مطلقة نذرعت بالادعاء بالعصمة
وفتحت باب السماء لمن شاءت واغلقتها في وجه من شاءت . وارتفعت فوق
اعظم ملوك الارض . فكان هؤلاء يتناولون تيمان ما لكم من يدها . واهتزت
لها المسكونة . لذلك صارت هذه الآية التي قالها يسوع من اشهر الايات
الكتابية واكثرها انتشاراً واعظها تأثيراً . وقد دارت حولها رحي اشد المعارك
الدموية والمناظرات العلمية

فما اننا نتمسك اشد التمسك بصحة كل ما قاله يسوع بجدر بنا ايضاح
ما نفهمه من قوله هذا . فتوسع ونجاسر بان نضعه في قالب جديد
تفسيري . وتصور يسوع يقول لرسوله المقدم " انت يا بطرس قد برهنت
ثباتك الصخري في هذه الاحوال الصعبة بتكرارك بيان حقيقة كوني في شخصي
الواحد المسيح البشري . وابن الله الحي . وانا اصرح لك اني سائبني كنيسة على
صخرة هذه الحقيقة الجوهرية التي نطقت بها الان بعد ان اعلنت لك من اني
الذي في السموات (١) . وكل مقاومات العالم وقوات الحميم الى آخر الايام
لا يمكن ان تغلب على الكنيسة المؤسسة على هذه الحقيقة . ولا في اري فيكم
بداية الاهلية للعمل الخطير الذي اقمتمكم لاجله . اصرح لك وللذين نبت
عنهم في الجواب باني قد عينتكم لتنبوا عني وتكملوا عملي بعد صعودي الى
السماء (٢)

(١) الرجوع الى الاصل اليوناني ضروري لفهم هذه الآية . لان يسوع استعمل
كلمتين الواحدة عن الشخص والاخرى عن اساس الكنيسة . الاولى بطرس بصيغة المذكر
(أي حجر واحد مقطوع) والثانية بتراب بصيغة المؤنث (أي الصخرة الثابتة في مكانها) الاولى
بطرس لاستعمل مطلقاً في الانجيل بمعنى صخر أو حجر بل اسماً لسمعان بن يونا فقط . فلا
يصح ان تترجم صخرة بل بطرس . اما الثانية بتراب فلا تترجم الا صخرة . فالترجمة الصائبة هي
" انت بطرس الحجر الثابت القوي وعلى هذه الصخرة (الحقيقة التي صرحت بها) ابني
كنيسة (٢) اعطى ذات السلطان في وقت آخر في صيغة الجمع (مت
١٨: ١٨ و ١٩ و ٢٠: ١٩-٢٢) وكما تكلم بطرس كنائب في مجاوبته على سؤال طرحه يسوع

اعطيكم مفاتيح ملكوت السماوات اي تفتحون باب الخلاص بتبشيركم بي في كل
البلدان وتدخلون الى كنيسة الذين ترونهم من اهل الخلاص لكونهم آمنوا
شروط الخلاص. واخوكم سلطاناً لتصرّحوا بالهلاك الابدي للذين يرفضون
الشروط ويتأخرون عن التوبة والايمان والصالح. تحلون وتربطون ايضاً
هنا بواسطة كتابكم الانجيل مقادين بالهام الروح الالهي. فكل ما تضعونه في هذا
الكتاب يكون مُصدّقاً في السماء. وكل ما تتركونه يكون مردوداً في السماء.
لان ما نكتبونه في اليقين الديني من الواجبات والمحرمات يكون ما سمعتموه
مني او ما تأخذونه بالهام روحي. فيصلح ان يكون قانون كنيسة الى كل
الازمان. وسأعطيكم نصيباً خصوصياً وكافياً من روح النبوة وتمييز الارواح
ناهيلاً هذه المهمة الفائقة. واجعلكم اهلاً له بسكب الروح القدس عليكم سكباً
عجيباً يحقق لكم ولجميع الناس انكم نوابي المفوضون. وسأمنحكم ختاماً لكل
ذلك قوة لفعل المعجزات العظيمة. أسلمكم هذا العمل الخطير لاني استندكم فيه
فتستطيعونه“

قد نيت حول هذا الكلام لبطرس اغلاط كثيرة منبعها الاعظم الوهم
بان يسوع افكر في بطرس وتعظيمه. حال كون الحقيقة انه افكر بالكنيسة
وتعظيمها. فمحور هذا الحديث هو اساس الكنيسة لا شخص بطرس. ونحن
نعلم ان اساس الكنيسة الشخصي هو يسوع ذاته. لان بطرس وغيره من الرسل
يوضحون ذلك^(١) فيسوع هو الشخص الوحيد الذي يدوم حياً فيها. ولما
يتكلم الرسول عن ”المبنيين على اساس الرسل والانبياء”^(٢) يعني بذلك
الاساس الذي بني عليه الرسل والانبياء. فلا يمكن ان تبنى الكنيسة على شخص
غير يسوع. لكن لما كان يتكلم بيسوع هنا كاللاني بقوله ”ابني كنيسة” يتضح
انه يعني بالاساس لا شخصاً بل مبدأ روحياً. لان الكنيسة بناء روحي.

على الجميع يؤخذ كلام يسوع المتكلم كانه له وللذين ناب عنهم ايضاً

(١) ابط ٤: ٢-٨ و ١ كو ١١: ٢ (٢) اف ٢: ٢٠

فالاساس الروحي هو حقيقة التأسس المعلنة في العبارتين "ابن الانسان"
 "وابن الله الحي" (١)

يتضح مما سبق ان ليس في كلام يسوع لبطرس ما يخوله الرئاسة على
 زملائه وعلى الكنيسة. ولا في شيء مما ورد في تاريخ الكنيسة الرسولية بعد
 صعود يسوع. ومفاد الحوادث التي عقيبت صعوده الى آخر اخبار الانجيل
 ينفي الرئاسة بين الرسل او في الكنيسة. وقد تشاجر الرسل اكثر من مرة
 بعد هذا الوقت في من هو الاعظم بينهم (٢) واتى ابنا زبدي مع والدتها يطلبون
 الجلوس عن يمين يسوع ويساره في ملكوته. وفي عشاء الفصح الاخير لم
 يكن بطرس بجانب يسوع بل التلميذ "الذي كان يحبه" وله وليس
 لبطرس سلم أمه وهو على الصليب. وترأس يعقوب لا بطرس المجمع العظيم
 الرسولي الاول في اورشليم (٣). وظهر بولس في كنيسة انطاكية سلطاناً فوق
 سلطان بطرس (٤). وكان جماعة الرسل يرسلون بطرس الى الخارج للتبشير
 كغيره منهم (٥). واستهلال بطرس رسالتيه برهان آخر واضح لانه لم يرد في
 ذلك الاستهلال اقل اشارة لرئاسة له في الكنيسة او امتيازاً فوق غيره من
 الرسل. بل يتكلم كرسول بسيط نظيرهم. مع انه كان يطلب من كل رسول
 كتب للكنائس ان يعطي وظيفته حتماً في المقدمة. وهذا ما فعله بولس ايضاً.
 لكن بناء على خدماته المهمة وسجاياه الحميدة ولربما بسبب سنه ايضاً امتاز في
 التقديم والاكرام

(١) نلاحظ ان مرقس (لسان بطرس) ولوقا يوردان هذا الخبر دون اشارة الى
 هذا الكلام لبطرس الذي ذكره متى وحده. فليست اهميته بالمنزلة التي يتوهم البعض
 واللائكان ذكرها الآخرون (٢) مع ١: ١٨-٦ مر ٢٣: ٩ و ٢٤: ٩ لوقا ٢٢: ٢٩
 و ٢٣: ٢٢-٢٤ (٣) اع ١٥: ١٣ و ١٩ (٤) غل ١١: ٢ و ١٤ (٥) اع ١٤: ٨
 (٦) كل منشور رسمي يستعمل بيان كامل ما لفاشره من الوظائف الرسمية والنفوق
 المتأززة

ولكن اهم نقطة في هذا البحث هي تسلسل السلطان البطرسي مها كان نوع ذلك السلطان ودرجته. وليس من دليل على ان ما اعطاه يسوع لبطرس من السلطان يتسلسل. ولا يجوز القول بتسلسل فائق الالهية كهذا الا بالاستناد الى براهين تضارع قوتها اهمية القضية. فلا يتقبل ما اعطاه يسوع لبطرس الى غيره. لم تقم الكنيسة الرسل الاولين ليكون لها الحق باقامة غيرهم. وليس من دليل على دوام الرتبة الرسولية. والعقل يدل على ان رسولا لا يقيم رسولا كما لا يقيم وزير وزيرا او سفير سفيراً. حاول الرسل اجمالاً اقامة رسول وعينوا متياس. لكن ظهر ان الله لم يصدق علمهم. اذ اقام هو الرسول الثاني عشر ليكمل العدد بعد سقوط الاسخريوطي. اذ عين شاول الطرسوسي اي بولس ولم تثبت رسولية متياس بشي.

وبعد اعتراف بطرس هذا "انتهر يسوع تلاميذه واوصاهم ان لا يقولوا لاحد انه يسوع المسيح" لان ساعته لم تأت بعد. فيكفي ان يعلموا هم هذه الحقيقة الاساسية. لكن هذا الاقرار المستوفى من رسوله مهدته اتمام قصده في استجوابهم الحالي. وهو ان يعلن لهم لأول مرة صريحاً غاية مجيئه من السماء. قال البشير "من ذلك الوقت ابتدا يعلمهم انه سينتالماً كثيراً في اورشليم ويرفض من الرؤساء ويقتل ثم يقوم في اليوم الثالث". انتظر الى ان يرسخ في قلوبهم اليقين بسر تائسه ويعترفون به بلسانهم صريحاً ونهايها قبل ان يعلن لهم امر آلامه وموته ثم قيامته. لان فهم عمل الفداء بموته يتوقف على فهم تائسه اي طبيعته المزدوجة. فان لم يعرفوه المسيح ابن الله وابن الانسان لا يدركون معنى موته ولا قيمته. وكل من يرفض حقيقة التائس لا يترك مكاناً للفداء. لذلك ترى الذين ينكرون لاهوت يسوع ينكرون ايضاً كفارته. لان القضيتين مرتبطتان برباط لا يجل

لكن هذا الاعلان الجديد المنزع بخالف كل آمال الرسل على خط مستقيم. فلم يسع بطرس السكوت بل تجاسر واخذ سيده على جانب "ابتداً

ينتهره. " يا للعجب ان الذي اعترف في هذه الساعة ان هذا السيد هو ليس
المسيح العظيم فقط بل ابن الله الحي ينتهره ويكذبه بقوله " حاشاك يا رب
لا يكون لك هذا ". فما رآه بطرس في نفسه غير حية نحو سيده كان بالحقيقة
اطغاء شيطانياً فتح له بطرس الباب بانتفاخه من تطويب يسوع اياه وتخويله
هذا السلطان الجديد . لان الاسد الزائر ابليس كامن لهذا الرسول المقدم .
فوثب عليه في ساعة ارتفاعه وجندله الى الارض مهشماً راضياً في غفلته ان
يكون مجرباً لسيد له ثنية عن عزمه في اتمام الفداء ^(١) . كان خيراً لكل ناجح
وممدوح ومرتفع لو تحذر من حيل الشيطان لاسقاطه . ولنا هذا التحذير في
قول الرسول " من يظن انه قائم فليستظر ان لا يسقط " ^(٢) . وكان سليمان
الحكيم السابق بالانذار بقوله . " قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ
الروح " ^(٣)

فلم يحتمل يسوع هذا الكلام بل انتهر الشيطان الذي تكلم في بطرس .
ووجع بطرس توبيخاً مرّاً . فابن رياسته وابن عصيته لما حوّل يسوع نظره الى
رفقائه الرسل المبعدين عنه قليلاً وقال لبطرس " اذهب عني يا شيطان .
انت معثرة لي . لانك لا تهتم بما لله لكن بما للناس " . رأى عالم الخفايا ان
نوايا بطرس لم تخل من حب المجد العالمي . فيستحق هذا التوبيخ الصارم . ولانه
تلميذ حقيقي ليس انه يحتمله فقط بل ويستفيد منه ايضاً . قال الحكيم " وخب
حكماً فيجبك " . وايضاً " وخب فهما فيهم معرفة " ^(٤) . " وسمع الانتهاز من
الحكيم خير للانسان من سماع غناء الجهال " ^(٥) . وقال كاتب المزمور
" ليضربني الصديق فرحمة وليوبخني فزيت للراس " ^(٦) . شرب بطرس
الحلو ثم المر ولتقوية تأثير المر الحسن تركه يسوع دون تلميح

(١) نعم ان ابليس حاول هذا الامر اساً في نجريته ليسوع في برية اليهودية انظر

ف ٨ (٣) ١ كو ١٣: ١٠ (٣) ام ١٨: ١٦ (٤) ام ٨: ٩ و ١٥: ١٩

(٥) جا ٥: ٧ (٦) مز ١٤١: ٥

ثم دعا تلاميذه مع الجمع الذي كان قد انفرد عنه وأعلن لهم الشروط الثلاثة الشهيرة المطلوبة من تابعيه

الشرط الأول انكار الذات . اي تسليم زمام الذات والحياة له . لما أنكر بطرس يسوع قال " لا اعرفه " . ومن يتبع يسوع حقاً وينكر نفسه يقول لا اعرف نفسي حاكماً في حياتي بل ربي هو الحاكم ^(١)

الشرط الثاني حمل الصليب يومياً . وهذا بالاكثير هو التمثيل بيسوع الذي حمل صليبا لم يضعه آخر عليه بل هو قصده وإقامته وحمله حباً لتخليص النفوس من الخطيئة واهلاك . وحمل الصليب وراء المسيح هو الاقدام على المصائب والمتاعب والمساعي الجسدية حتى والموت تبرعاً لا ارغاماً متى كان ذلك اهتماماً بتخليص النفوس . ليس معظم ما يطلبه هذا الشرط احتمال صليب يوضع علينا بل حمل صليب نقصه ونرفعه باختيارنا لخير الآخرين

الشرط الثالث اتباع يسوع اي السير في خطواته بالتدقيق دون كلل او فتور ودون تردد أو ارتداد . هو الراعي الذي يتقدم خرافه فتسير وراءه امانة وأمنة . أبان ان هذه الشروط الثلاثة مبنية على حقيقة رئيسية في ناموس النعمة هي ان الذي يطلب السلامة أولاً يخسرها والذي يطلب الخدمة أولاً يجد السلامة ايضاً والذي يعتني أولاً ان يحبي ذاته لا يحبي الرب فلا يسلم . واما الذي يعتني أولاً ان يتفرغ لخدمة الرب ويرضى ان يهجم على المخاطر في سبيل هذه الخدمة هذا يحبي الرب فيسلم

سأل يسوع سامعيه ان كانت قيمة العالم بأسره تساوي قيمة نفس واحدة . والجواب . هذا غير ممكن طالما العالم وكل ما فيه من الخيرات والامجاد يزول

(١) يقول في قلبه " لا ابتغي مشيقتي . يا سيدي العلي . بل ما تشاء منيتي . فلا اخنباري لا ابتغي مشيقتي . يا مرشدي الرحيم . قصور علي حجتي . في رشدك القويم لا ابتغي مشيقتي . يا ملكي الجبار . اذ انت رب الحكمة . فاحكم بما تختار "

بينما النفس خالدة تبقى الى الابد . اذا ما اعظم غباوة الذي يهمل امور النفس
في سيره وراء الارباح العالمية . لانه لورج العالم كله ثم اراد ان يشتري به
الخلاص يجد ذلك مستحيلاً

واخيراً انذر سامعيه ان لا يستحووا به ولا بكلامه ولو استهان ذلك الجيل
الفاسق الخاطيء به وبهم . فانه يوم يجي في مجدايه مع الملائكة ليحازي كل
واحد حسب عمله يستحي هو بالذين استحووا به اولاً . وختم بقوله ان بعض
سامعيه يرون في حياتهم ابن الانسان آتياً في ملكوته ملكوت الله قد
اتي بقوة ^(١)



(١) فسر بعض الآباء الاقدمين هذه النبوة الغامضة انها تشير الى رؤية ثلاثة من
رسله مجده على جبل التجلي . وفسر غيرهم انها تشير الى خراب اورشليم الذي عاش يوحنا
على الاقل الى ما بعده . والبعض ينسبون الى يسوع الاشارة الى كلا الامرين

الفصل الثلاثون

(مت ١٧: ١ - ٢٣ ومر ٢٠: ٩ - ٢٢ لو ٢٨: ٩ - ٤٥)

(المرصع) ف ٢٢ (الزمان) خريف السنة ٢٩

(المكان) جبل الشيخ - قيصرية فيلبس - الجليل

التجلي على الجبل . ظهور موسى وإيليا وحديث يسوع معها بخصوص موته العتيد .
الصوت من السماء . الفوائد الناجمة عن التجلي . فشل الرسل التسعة في محاولتهم اخراج
الروح النجس . نزول يسوع والرسل الثلاثة من الجبل واخراج الروح الشرير

تقف الآن على عتبة حادث خطير جداً . قد مضى اسبوع قضاء يسوع
وتلاميذه في نواحي قيصرية فيلبس حيث ابلغهم ذلك الاعلان المرعب المتعلق
بالامم وصلبه^(١) . ولا ريب ان اعلاناً كهذا يزعزع الايمان المتولد في قلوبهم
ولا يزال في طور الطفولية . فاعترفوا قبل ان سمعوه بيسوع انه المسيح ابن
الله الحي . ولكن بعد هبوب زوبعة ذلك الاعلان الفجائية يجتاحون الى ما يمكن
رجاءهم ويجدد ايمانهم بسيدهم . ويحتل ايضاً ان يسوع ذاته في طبيعته البشرية
شعر ببعض الانزعاج عند رؤيته شبح الصليب الخيف الذي ظهر امام بصيرته
بصورة اجلى واقرب من ذي قبل بمناسبة اخباره الرسل به لأول مرة

فلا عجب انه لجأ في احوال كهذه الى الصلاة على اسلوب فوق المعتاد .
قد سبق القول ان معرفة مواضع صلواته الخصوصية تؤخذ من النتائج التي

(١) ان الفرق بين قول البشير الواحد ستة ايام والآخر ثمانية ايام يدل على ان
احدهما حسب اليوم الاول والاخير والآخر حسب الستة الايام الكاملة فقط

تليها . فعلى هذا القياس فتحكم انه طلب من الآب وسائل جديدة قوية تثبت يقين الرسل بالحقيقة الأساسية التي كانت موضوع اعترافهم . وتكافئهم على ما اظهروه من الايمان على رغم النقص في أدلة طبيعته الالهية . وبالطبع لا تخلو صلاته من طلب لاجل نفسه كبشر ان يمنحه الآب من روحه ما يكفي لانتعاش فؤاده . ويشدد عزائمه استعداداً لهذه المحنة المضنكة . ولا بد ان الآب اشعره بقبول طلباته وبقرب استجابة ممتازة تناسب حراجه الموقف

فاخدمعه الرسل الثلاثة الذين ميزهم سابقاً^(١) وصعد بهم "الى جبل عال منفردين" لان الضرورة كانت تقضي ان لا يصعد وحده كعادته بل ان يشاهد عدد كاف ممن يوثق بشهادتهم استجابة صلاته في النتيجة المقصودة اما الرسل التسعة الآخرون فتركهم مع الجمهور عند اسفل الجبل^(٢) لا يمكن الجزم في تفصيل ما حدث في هذا المرتفع الذي سماه بطرس بعدئذ "الجبل المقدس" . لكن يرجح ان الاربعة بلغوا راس الجبل في آخر النهار . وبينما كان يسوع منصرفاً بكلمته الى الصلاة تثقل بالنوم رسالة الثلاثة الذين اكرمهم وميزهم باستصحابه ايام ليشاركوه في الصلاة . ولو علموا خسارتهم في هذا النوم لسهروا معه ولم يتركوه وحده في صلاته^(٣)

لانه بينما هم مثقلون بالنوم طرأ على هيئته الطبيعية تغيير عجيب . فكأنه خلع ستار الانضاع الوقي وابرق نور مجده الاصلي الحقيقي . ذلك المجد الذي يعطيه لمخاربه اخيراً عند ما يظهر بمجده الدائم الفائق "ويغير شكل جسد تواضعنا

(١) انظر ف ٢٥ (٢) التقليدات القديمة عينت جبل الطور بقرب الناصرة انه جبل التجلي . لكن الاطلاع على التواريخ الراهنة اسفر عن وجود حصون مسكونة على قمة هذا الجبل قبل زمن يسوع وبعده فتناهي الزعم بان يسوع انفرد عليه لاجل الصلاة . ووجود يسوع آنذ بقرب جبل الشيخ (حرمون) يرجح ان ذلك الجبل هو موقع هذا الحادث حسب رأي افضل المفسرين (٣) سوف نرى مثل هذه الصورة لهؤلاء الاربعة في بستان جثمانى . والذين ينامون مثل بطرس ويعقوب ويوحنا في اوقات الصلاة يفسرون بركات جزيلة

ليكون على صورة جسد مجدي بحسب عمل استطاعته ان يخضع لنفسه كل شيء^(١). وهذا التمجيد كالذي حصل عندما اعتمد من يوحنا في الاردن جاءه وهو يصلي. قال البشير "وفيما هو يصلي تغيرت هيئته. واضاء وجهه كالشمس. وصارت ثيابه تلمع كالنور وبيضاء جداً كالثلج. لا يقدر قصار على الارض ان يبيض مثل ذلك"

اي ان الآب استجاب صلاته ومجده لتنشيطه وتثبيت رسله ايضاً. مجده بالهيئة وبالصحبة كذلك. لانه ارسل له ليس ملاكاً حسب المؤلف في تاريخ شعبه بل رجلين ظهرا بمجد وهما موسى زعيم الناموس وإيليا زعيم الانبياء ركنا شعبه الممتازان اعادهما من عالم الارواح ليتكلمتا مع ابنه الوحيد ملياً في أهم المواضيع. (وكان يكتفي عن العهد القديم بتمامه بالعبارة "الناموس والانبياء"). موسى كلم الله وفخر بني اسرائيل الاعظم المتصف بالحلم والوداعة. هذا دفنه الله قبل هذا الحادث نحو ١٥٠٠ سنة في راس جبل ولا يعرف قبره الى هذا اليوم. وربما تمجد جسده دون ان يرى فساداً. وإيليا رجل الله الجبار المتصف بالنشاط والغيرة ومحاربة الشر حتى انه سمي النبي الناري الذي صعد الى السماء قبل هذا الحادث بخو الف سنة في مركبة نارية ولم يمسه الموت الطبيعي

اما موضوع الحديث الذي دار بين هؤلاء الثلاثة المجدين على مقربة من الثلاثة النائمين فكان ذات الاعلان بموت يسوع العتيدي الذي تكلمنا عنه انه ازعم الرسل. والاسم الذي وضعه الانجيل هنا للموت هو نفس الذي اتى في التوراة لانتقال بني اسرائيل قديماً من عبودية مصر الى ارض الميعاد. اذ قال البشير ان موسى وإيليا تكلمتا معه عن "خروجه الذي كان عتيدياً ان يكمله في اورشليم"^(٢). اي ان موت يسوع لا يكون قسراً كغيره بل اختياراً أكمل

(١) في ٢: ١٣ (٢) بطرس في رسالته يسمي الموت بهذا اللقب المجبيل (٢بط ١: ٢٥) ويلاحظ المطالع ان لكل من هؤلاء الثلاثة تاريخ جبلي مقدس وهيام اربعين يوماً واستعداد وافٍ روحي في البرية

بقصد ویکمله

في تلك الساعة فقط في التاريخ كله تمثلت الكنيسة الواحدة المسيحية الكاثوليكية (اي الجامعة) التي تكلم عنها يسوع بقوله عن الاساس الذي عليه يبني كنيسة لما كلم بطرس في الاسبوع الماضي. لان رأس الكنيسة الوحيد وقف على هذا الجبل يتكلم مع زعمي العهد القديم^(١) المثل قسم الكنيسة الموجود في السماء على مسمع الرسل الثلاثة الممتازين زعماء العهد الجديد وممثلي القسم الارضي من هذه الكنيسة الواحدة

ولا عجب ان بولس صرح بلذة موضوع هذه المحادثة واهيته ايضا. اذ قال "لم اعزم ان اعرف شيئاً بينكم الا يسوع المسيح واياه مصلوباً"^(٢) والملائكة والقديسين في السماء يردّدون في تسابيحهم ذكر هذا الموت المجيد الذي هو اكليل فخر يسوع الممتاز والذي لاجله يحبه الآب^(٣) ولا ريب ان الذين يسكتون عن موت يسوع الفدائي او ينكرونه يخسرون ويخسرون كل من ينتمي اليهم اعظم شمس من شمس مجد الازلي. قال هو مرة "ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن ان ماتت تأتي بشمر كثير"^(٤) ربما كان قد استوفى حديث يسوع مع زائريه السماويين لما استفاق الرسل من نومهم الثقيل ورأوا فجأة ان سيدهم لم يعد جاثياً يصلي كما عهدوه عند ما غلبهم النعاس. ولما نظروهم يتكلم مع شخصين لم يصعدا معهم الى هذا الجبل العالي وعرفوها. كان لرويتها وقع اعظم في اعينهم مما لو كانا ملاكين. لا تبهم زبارة ملائكة مجهولي الاسم والامر كزيارة النبيين العظميين

(١) قال احد الافاضل عن هذين النبيين "في هذه المقابلة شهدا بصحة دعوى يسوع واعترفا ان وظيفتهما انتهت باتيان المعلم العظيم الذي اشارا اليه وشهدا به قبل اتيانه ووضعاً عند قدميه الوكالة التي تولياها بناء على انه يعظم بموته الشريعة الادبية ويكمل في الشريعة الرمزية ويتم كل النبوات ويبلغ كل ما في النظام القديم غاية". (ادي في مت ١٧ صفة ٢٣٨) (٢) اكو ٢: ٢ (٣) يو ١٠: ١٧ (٤) يو ١٢: ٢٤

الذين يوقرونها ويحلمون ذكرها الى درجة تقرب من العبادة. والذين كانت
اعمالها الحجة موضوع دروسهم واحاديثهم منذ الطفولية. وهما هم الآن يصرون
في يقظة وليس في رؤيا مجداً جديداً عجيباً لرفيقهم وسيدهم يسوع مع موسى
وايليا مسربين ايضاً بمجد سماوي^(١). وما زاد اسفهم كثيراً على ما خسروه من
هذا المجد في نومهم ملاحظتهم ان موسى وايليا بهماً للانصراف. ولهذا لا نتعجب
ان بطرس العجول الجسور يحاول امساكها عن الذهاب

قد تعودنا ان نراه نائمًا عن الصواب في تجاسره. اما الآن فيتطفل ويقدم
ليسوع رأياً للعل. فانه ان المتوجب عليه انتظار آراء يسوع وارادته الكاملة
لا تقديم آراء ليسوع كأنه اوفر حكمة من سيده. فاقترح ان يشتغل مع رفيقيه
في نصب اكواخ كالتى تعودوا ان ينصبوها في ضواحي اورشليم في عيد المظال.
اكراماً ليسوع وزائريه ينصبون ليس مظلة واحدة كبيرة عمومية. بل لكل منهم
مظلة منفردة خصوصية لعل رؤيته التداير المعدة لراحتهما تجعلها يطيلان المكث
هناك. أفلا يثق بطرس بان يسوع يجيد هذا الرأي الذي يؤول ايضاً الى
اطالة راحته وسروره وتجيده. لانه بقيه من تحمل الذل والكدر في مخالطة
اليهود المفلتين سواء كانوا من خصوم خبثاء يحاولون قتله او مجانين وسقاء
يسترجمون الشفاء. فاسند اقتراحه الى حجة صحيحة وجميلة بقوله "يا رب جيد
ان نكون ههنا". ومثل هذا القول قد درج على السنة المؤمنين في كل آن
ومكان متى حضروا في اماكن الصلاة

اما الجواب على اقتراحه فلم يأت من يسوع بل من السماء. لانه "فما
هو يتكلم ظللتهم سحابة نيرة فخافوا لما دخلوا في السحابة". ثم زاد خوفهم جداً
وسقطوا على وجوههم لما طرق مسامعهم من وسط السحابة صوت من شخص غير
منظور. ولا سيما لما دل الصوت على قرب الجلالة الالهية التي كانت تحل في

(١) يتضح من كلام بطرس ويوحنا فيما بعد ان هذا الظهور كان حقيقياً (يو ١٨: ١٨)

المسجد القديم وتكلم موسى . صوت الذي قال عنه المزمور " الجاعل السحاب مركبة " (١) . وقال اشعياء " هوذا الرب راكب على سحابة سريعة " (٢) . فلا عجب اذا سنطوا على وجوههم وخافوا جداً . لان " ليس احد يرى الرب ويحيا " (٣) او لئلا يظهر لهم صاحب الصوت فيموتون غطوا وجوههم وانطرحوا على الارض حاسبين قوة البصر

يُستدل من كلام هذا الصوت انه آتى لاجلهم . فما أعظم هذا الاكرام وهذه المكافأة لهؤلاء الرسل على ايمانهم . كم مرة طلب رؤساء اليهود آية من السماء عبثاً . اما الآن فأعطي لهؤلاء الصيادين الثلاثة أعظم آية في الصوت الذي قال في آذانهم " هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت . له اسمعوا "

في الاسبوع الماضي وافق يسوع على شهادتهم انه ابن الله وليس ابن الانسان فقط . فالآن يثبت صوت من السماء تلك الشهادة . فصار برهاناً حسياً كاملاً على ما شاهدته عيونهم وسمعتة آذانهم على هذا الجبل . فاي محل بعد للرتياب ؟ لما جاهر هؤلاء فيما بعد بهذه الحقيقة اسندوا تاكيدهم اياها الى هذا الحادث الفريد ليس في ايامهم فقط بل في كل التاريخ . وجاء هذا الاعلان بغاية المناسبة في الاحوال التي اشير اليها في فاتحة هذا الفصل

أخذ الرسل من الصوت السماوي مثالة مهمة جداً اي ان الاهتمام الاعظم يجب ان يُصرف الى نيل الرضى الالهي لا البشري . فاي عاقل يبالي بفيظ البشر حتى اعظمهم او بمقاومتهم حتى امرها متى كان حائزاً على الرضى الالهي ؟ في قول الصوت " له اسمعوا " اتاهم تصديق ما فعلوه في عدم استماعهم لرؤسائهم الكهنة والفريسيين ورؤساء الكهنة وفي اصغائهم الى يسوع بدلاً منهم . ومع وجود موسى وإيليا معهم لم يكن الامر الالهي " لها اسمعوا " . فكم بالبحري لا يكون الامر الالهي ان يصغوا للرؤساء الصغار في ذلك العصر .

(٢) قس ٢١: ١٢ مع خر ١١: ١٦

(٣) اش ١٠: ١٩

(١) مز ١٠٤: ٢

أفلا يرن في متبع كل مؤمن دوماً هذا الصوت الالهي القائل عن يسوع
 "له اسمعوا". فيجعله يعدل عن الاصغاء الى التعليم البشري ما لم يكن ذلك
 التعليم صدى لتعليم المعلم الالهي ؟ لان محبي الله لا يحبون ان يصغوا الا لصوت
 وحيد

وبينما كان هؤلاء الثلاثة ساقطين على وجوههم خوفاً ارتفعت السحابة
 مركبة الملك السماوي نقل النبيين رجوعاً الى حيث كانوا اذ قد اتما رسالتهم .
 فلم يؤيد احضاء الرسل الثلاثة بهما . لا بل كان الصوت الذي امرهم ان
 يسمعوا للابن الحبيب بمثابة توبيخ لطيف على تمسكهم بموسى وايليا كأنهم يرجحون
 بمعينتها اكثر مما هم حاصلون عليه . وكان الصوت يقول لهم ليس حظكم الديني
 مرتبطاً بالذين لا يدومون معكم نظير موسى وايليا . بل بالذي هو رفيقكم
 الدائم وان كنتم لستم تعرفون قيمته بعد

لكنهم لم يدروا بارتفاع السحابة وذهاب النبيين الا بعد ان لمسه يسوع
 وقال "قوموا ولا تخافوا . فرفعوا اعينهم ونظروا حولهم بغتة ولم يروا الا
 يسوع وحده معهم . " فنعم الخوف الذي تعقبه الطائفة من الله . ونعم البصر
 الذي يحدق "يسوع وحده" كما جرى لبطرس ويعقوب ويوحنا في هذه
 الساعة المباركة . لم يروا الا الذي هو الكل وفي الكل اذ ليس من
 حاجة الى غيره . وكل من يرى بعين الايمان الامور السماوية او يسمع باذن
 الايمان الصوت الالهي تنحصر كل امانيه في يسوع وحده . "عريس الكنيسة"
 لا يقبل معه شريكاً في محبتها . فان لم يكن عندنا ان يسوع وحده هو المخلص
 والشفيع وسيد حياتنا يكون لنا ليس مسيح الله بل مسيح آخر مختلفه نحن

لا شك انه يزول من افكار الرسل كل ريبة بخصوص الخلود بعد
 رؤيتهم موسى وايليا عياناً . ولما كان الصدوقيون المتنفذون وفلاسفتهم العلماء
 ينكرون الخلود والارواح كان هذا البرهان المناقض لاصالهم غاية في الاهمية
 امام الذين سيكونون معلمي الكنيسة المسيحية الجديدة . واستفاد الرسل ايضاً انه

يوجد جسد موجد مرتبط بالجسد الارضي الاصلي وغير مقيد بالقيود التي كان مقيداً بها هنا في كل حركاته . فقد اشار بولس الرسول الى ذلك لما كتب للمسيحيين اليوناني الاصل في مدينة كورنثوس والميلاني للبحث الفلسفي كلاماً مسهباً في هذا الموضوع استهلكه بقوله "كيف يقام الاموات وبأي جسم يأتون" (١)

وقد تبرهن ايضاً للرسل ان الذين ماتوا في الايمان ليسوا في حالة السبات بانتظار يوم القيامة كما يزعم البعض . بل هم امام العرش يستعدون لخدمة افكار الاله ومقاصد . اما انه سيكون لجميع المؤمنين (وليس للذين يتقبلون فقط على الصورة العجيبة التي كانت لهدّين النبيين) اجساد مجيدة وراء فساد القبر فظاهر من عبارات كثيرة في الانجيل المقدس

من وادي الاقصاع العميقة في بركة التجربة صعد يسوع في اول خدمته الى جبل التجلي العالي جداً في منتصف خدمته ليتزل منه ايضاً الى وادي ذل اعمرى من الاول في نهاية خدمته عند آلامه وموته على الصليب . وكما كان على رأس هذا الجبل مجد كان عند حضيضه هوان لانه بينما كان بطرس ويعقوب ويوحنا في نعيم كان رفقاءهم التسعة في حميم . لم ينل هؤلاء شيئاً مما حظي به الثلاثة تثبيتاً لايمانهم بيسوع بعد الانباء بموته . فيظهر ان ايمانهم تزعزع لان يسوع كان قد اعطاهم جميعاً قوة لفعل المعجزات قبل هذا الوقت (٢) والان نراهم يحاولون في غياب سيدهم ان يخرجوا روحاً نجساً اخرس واصم حالاً في شاب قدّمه اليهم والد لكنهم فشلوا لضعف ايمانهم . واكسبتهم خيبتهم استهزاء خصومهم بين الجمهور . فبانوا بخل عظيم . وزاد عنائهم لما حاورهم هؤلاء العلماء طارحين عليهم سوالات تعجز عن حلها البسطاء نظيرهم

فبينما نيران محاورهم تنصب على رؤوسهم درى الجمع باقتراب يسوع ورفقائه النازلين من الجبل ومعهم جمهور كان قد استقبلهم قبل وصولهم الى

الرسول التسعة. فركض الجمع الذي مع هؤلاء التسعة حالاً وسلموا على يسوع. لكنهم تخبروا لما رأوه. ولا عجب اذا كان لم ينزل ظاهراً في هيئته آثار لمجده في التجلي كما حدث لموسى عند نزوله من الجبل^(١). اما يسوع فمع علمه بما جرى طلب من الكتبة ان يخبروه بموضوع محاورتهم مع تلاميذه. لكن أبا الولد المصاب لم يعطهم فرصة للجواب. اذ تقدم وجثا ليسوع وصرخ طالباً منه ان يفعل له ما عجز رسلة عن فعله. واحتج في طلب الرحمة ان ولدك وحيد وشرح حالته المحزنة بهذه الالفاظ "ها روح يأخذه ويصرخ بغتة. وحيثما ادركه يمزقة ويصرعه. فيزبد ويصر باسنانه ويبس ويتالم شديداً. وبالجهد يفارقه مرضضاً اياه. وكثيراً ما القاه في النار وفي الماء ليهلكه"^(٢).

ان سلمنا بالعلاقة الكلية بين العلل الجسدية والروحية في كثير من الاحوال يسهل علينا الفهم بان مرض هذا الشاب مع خرسه وصممه ناتج عن سلطة شيطانية^(٣) لذلك نرى يسوع يعتني ليس في ازالة الاعراض بل في ازالة الاسباب اولاً. والوالد استخدم فشل التلاميذ التسعة حجة ثانية لاستنجاده بيسوع. فكان جواب يسوع توبيخاً عمومياً للحاضرين. يشمل الكتبة الذين حاوروا تلاميذه. وتلاميذه الذين فشلوا في ما بشروه. والوالد الذي قصر في ايمانه. اذ قال "ايها الجبل غير المؤمن والمتلوي الى متى اكون معكم الى متى احتملكم؟"

فأثر هذا الكلام في الاب لتذليله استعداداً لتوليد الايمان في قلبه. لكن يسوع لم يتركه في ذل بل انعشه بقوله "قدم ابنك الى هنا". أليس هذا صوت يسوع على الدوام لكل والد "قدم ولدك الى هنا". وهذا التقديم هو ما يفعله الوالدون عند ما يأتون باولادهم الفاضلين للعباد المسيحي. وهذا ما

(١) خر ٣٠:٣٤ و ٢ كو ٣:٧ و ١٢ (٢) في هذا الوصف تظهر اعراض داء النقطة

تماماً لكن هذا لا ينفي وجود سبب فوق الطبيعة لهذه الاصابة (٣) انظر لو ١٣:١٦

يفعله بالصلاة والايمان كل مسيحي لخلاص ذويہ الذين لا يزالون في قيود ابليس

اشترك البعض مع الاب في تقديم ابنه . لكنهم لم يدركوا ماذا يكون فعل الروح النجس عند مقابلته مع يسوع . فكأنهم وهم يسعون في الرحمة نحوهم سعيهم الى نقية . لان الروح لما رأى يسوع للوقت صرع الولد ومزقة فوقه على الارض يترغ ويبرد . لان ابليس لا يفلت من فرائسه احداً بسهولة . وقبل كسره يظهر كيدته بتعذيب الذين يضطرون ان يفلتهم . لكن هذا العذاب هو باب الفرج . وطالب الخلاص لا ينتظر ان يسلم من الصرع . لان خطاياہ الماضية تعذبه وآلات ابليس البشرية تقاومه . "فحقاً ما اضيق الباب واكرب الطريق الذي يودي الى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه" (١)

اما يسوع فسعى في تنشيط ايمان الوالد و اظهار محبته له بسؤال بسيط عن مدة استيلاء هذه المصيبة على الوالد . فدل جواب الرجل " ان كنت تستطيع شبيئاً فتحن علينا واعنا " على انه لم يكن يعرف يسوع سابقاً . ولا بد انه فهم من التسعة ان يسوع اعطاهم سلطاناً كافياً لاجراج الارواح . فلما وجدهم عاجزين في قضية ابنه ظن ربما يعجز يسوع فيها ايضاً . لكن يسوع علق على جواب الرجل درة غنية جداً لما قال " كل شيء مستطاع للمؤمن " . فكأنه يقول للرجل " ليس الخلل في استطاعتي ان اشفي ابنك بل في استطاعتك انت ان تؤمن . ففعل دواء هذا الطبيب فعله الشافي في هذه النفس العليله . لانه "صرخ للوقت بدموع او من يا سيد فاعن عدم ايماني " . فاصاب العلم في طلبه تقوية ايمانه (٢)

(١) مت ١٤:٧

(٢) يقول الشاعر المسيحي

مولاي اني مؤمن زدني
عزماً يقوي بالندى آمني
واجعل يقيني ثابت الركن
واشدد بروحك مولاي ايماني
آمنت يا ربّي فقوّ ايماني
شدّد يقيني وزد فيك إركاني

صار صراخ هذا اليائس شعاراً مؤثراً و صلاة جميلة لكل من يشعر باهمية
الايمان و بتقصيره فيه . لان الايمان القلبي مفتاح الخيرات الالهية . ليس
للمفتاح فضل . لانه لا يوجد من الخيرات شيئاً . لا يضع حبة واحدة من
الحنطة في الحاصل الكبير . لكنه الواسطة الوحيدة والكافية لاستدراار كل ما
في هذا الحاصل قانونياً . دموع هذا الرجل جعلته مثلاً للتغيير الروحي في
القلب الذي كان يرافق معجزات يسوع الشفائية . و صح فيه قول النبي داود
” الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج “^(١) . فانتهر يسوع الروح
النجس بسلطان آمر مطاع حتى من الشياطين قائلاً ” ايها الروح الاخرس
الاصم انا امرك اخرج منه ولا تدخله ايضاً “

فعند ذلك بذل الشيطان حسب عادته منتهى قدرته قبل خروجه
لكي يعذب ويهلك ان امكن . لكنه وجد هنا من هو اقوى منه الذي قيده
لانه أتى لينقض اعماله . ولم يسمح له ان يوصل هذا المصاب المسكين الا الى
حافة القبر قبل ان يطلقه . وكما نتقدم اظم ساعات الليل فجر النهار كان امر
هذا الولد . لان الشيطان صرخ وصرعه شديداً قبل خروجه حتى قال
كثيرون انه مات . اما يسوع فمد تلك اليد المحسنة والموصلة بيته وبين
اليائسين والحلقة الرابطة المعطي بالمستعطي . ونشل هذا الولد من باب الهاوية
واقامه سالماً صحيحاً . وسلمه الى ابيه . ان الخاطئ المتسلط عليه ابليس لا يسمع
الاصوات الالهية ولا ينطق بمجد الله . لكن الذين يحررهم يسوع من هذه السلطة
يحررهم ايضاً من الخرس والصمم الروحيين فيسمعون تعليمه ويتكلمون بايمانه^(٢)
عرف الجميع ان يسوع عمل هذا باسم ابيه ولجنه . لذلك ” بهتوا من عظمة
الله “ . في هذا الكلام دليل ان أغلب الجمهور في هذه البلاد الاممية كانوا وثنيين
ورأى للمرة الاولى برهاناً حسيماً للفرق بين آلهتهم الباطلة و اله اسرائيل الحي

القادر على كل شيء . بعد ذلك دخلوا بيتاً منفردين . فسأله التسعة عن سبب فشلهم . لأنهم لم يتعلموا بعد ان سبب كل فشل لا يكون إلا داخلياً . لان الفشل الذي اسبابه خارجية لا يُعدّ فشلاً حقيقياً . ولم يتقوهوا لينظروا في قلوبهم ليجدوا علّة انكسارهم . ويُحتمل ان حب الذات منعهم عن السرور بنجاح يسوع في ما عجزوا عنه . واذ كان عدم ايمانهم سبب فشلهم قال لهم ” ان هذا الجنس لا يخرج الا بالصلاة والصوم“

في خاتمة كلامه اعلن مجدداً قيمة الايمان بقوله ” لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لکنتم تقولون للجليل ” انتقل من هنا الى هناك فينتقل“ . لا يخلو هذا القول من صعوبة في تفسيره . لكن لا يظن احد ان يسوع قصد فيه المعنى الحرفي . هو ذاته لم ينتقل جبلاً فكيف يتظر ذلك من تلاميذه؟^(١) . صاحب الافكار العالمية لا يرى في هذه الآية طلاقاً . لانها لا تتم حرفياً . لكن ذو الافكار الروحية يرى بالواقع حوادث نقل الجبال بالمعنى الروحي متواصلة جبالاً بعد جيل

لم ينزل يسوع يتابع جولانه مع رسله بعد نزولهم من الجبل . وبينما هم يترددون في الجليل كان الجميع يتعجبون من كل ما فعل . لكن له عمل خصوصي كان في المنزلة الاولى من الاهمية . لانه علم ان اعلانه الاول لتلاميذه بالامم وموته وقيامته في اليوم الثالث لم يرسخ في اذهانهم . فيلزم تكراره مع الشرح لزيادة تأثيره . وهذا لا يتم الا على انفراد عن الجموع . لذلك ذكر البشير في هذا الوقت انه لم يرد ان يعلم أحد . اي انه اراد الاختلاء مع تلاميذه على قدر الامكان . ثم يزيد انه ” كان يعلم تلاميذه ويقول لهم ضعوا انتم هذا الكلام في اذانكم“ . ثم كرّر الاعلان المنوّه عنه . وبعد هذا التكرار الصريح

(١) ما هي المائدة التي تحصل من نقل الجبل . انها لا تربو عن الاضرار حتى ولا

يقول البشير. "وأما هم فلم يفهموا هذا القول. وكان مخفي عنهم لكي لا يفهموه".
 لا يعني بهذا الكلام أنهم لم يسألوا بالقضية. لأنه يختم بقوله "فحزنوا جداً
 وخافوا أن يسألوه عن هذا القول"



الفصل الحادي والثلاثون

(مت ٢٤: ١٧-٢٥: ١٨ مر ٢٢: ٩-٥٠ لو ١٩: ٤٦-٥٠)

(المرصع) ف ٢٧ (الزمان) خريف السنة ٢٩م

(المكان) الجليل وكفرناحوم

المنجزة لانياء الجزية . مثالة في التواضع . العثرات وتجنبها والويل لمسيها . يسوع جاء ليرد الضالين . تحذيرة من احتقار الصغار . قانون المساعدة الاخوية . نصريجة بحضوره الدائم مع تلاميذه . مثل العبد الظالم والنهي عن التحقد

لانعلم نوع الاستنبال العمومي الذي حصل ليسوع عند عودته الى وطنه كفرناحوم بعد غيابه الطويل . لكننا نعلم ان حياة مال الهيكل ترقبوا رجوعه ليأخذوا منه الدرهمين المفروضين على كل يهودي فوق سن العشرين ^(١) . ويجوز ان هذا الطلب تقدم الآن لأول مرة بتحريك من الرؤساء لاجل تخفيفه بجرمانه من حقوق الاعفاء الممنوحة للانبياء ورؤساء الدين اولاً لتخاد حجة لضرره ان أبي الدفع . ويجوز انه كان يدفع سنوياً هذه الكمية الزهينة . فالتقى الجباة ببطرس خارجاً وسألوه أما يوفي معلمه الدرهمين حسب عادته ^(٢)

(١) كانت هذه الجباية لنفقات الهيكل في شراء حيوانات للذبايح اليومية وحطب ودقيق وبخور وملح وزيت الى غير ذلك (٢) قيمة الدرهمين نصف شاقل اي بين السبعة والثمانية غروش انظر خر ١١: ٢٠-١٦ و ٢٦: ٢٨ مل ١٢: ٤٠ وه ٢٠ اي ٢٤: ٥٠ و ٦ و ١٠ ونح ٢٣: ١٠ أيضاً أنظر الشرح في مت ٢٤: ١٧ في تفسير الانجيل . لم يذكر هذه القصة الا متى الرسول الذي كانت مهنته الجباية . وذكرها لانه كتب لليهود الذين كان هذا المطلوب من طقوسهم المذهبية

كان عليه ان يسأل يسوع قبل ان يجاوبهم . لكنه تطفل وقال لهم "بلى" . فلما عاد الى البيت اضطر يسوع ان يبين له خطأه . ولعله بما جرى دون ان يسمع الحديث سبقه في الكلام وسأله ممن يأخذ ملوك الارض الجباية او الجزية . هل تؤخذ من بني الملك او من رعاياه الذين هم اجانب بالنسبة الى اولاده ؟ فأجاب بطرس "من الاجانب" . فقال يسوع "اذا البنون احرار" . قد اعترفت يا بطرس اني ابن الله . فكيف يطلب مني جزية لبيت ابي ؟

اكتفى يسوع بان صرح بحقوقه ولم يتشبت بها . لانه لو اصر على عدم الدفع يُعثر الآخرون . لان الرؤساء والعموم لا يعترفون به كالمسيح . فيكون رفضه ايفاء الجزية في اعتبارهم تمرداً وتحدياً للهيكل والدين . ولم تكن هذه الجزية من تقاليد الشيوخ ليكون في رفضها فائدة تعليمية . بل من النظام الاصلي . وهو لا يقصد إلغاء الفرائض الخارجية التي هي بوصايا الهية الا بعد اتمامها واكمال عمله الفدائي . فامتثل للنظام واعطى بذلك مثالا لتابعيه ان لا يتشبتوا بحقوقهم متى كان يخشى من ذلك ضرر او خصام او شكوك . فالسير على هذه القاعدة يزيل القسم الاعظم من المشاكل والخصومات بين الناس

قد يكون الصندوق الذي كان بتسليم الاسخريوطي فارغاً في هذا الوقت . او ان يسوع اراد ان يقرن خضوعه للنظام بمجزة تقوي ايمان بطرس وتعلن ان هذا الخضوع لم يكن قسراً . فمع خضوعه للظلم في ما يتعلق ببيت ابيه الضيق المسمى الهيكل يستعمل سطوته المحقة في بيت ابيه الاوسع الذي هو الخليقة . لذلك أمر بطرس ان يحضر المطلوب فقط بواسطة مهنته . ليس بصيد رسمي بالشباك والسفينة بل بالصنارة لاجل السرعة . واخبره انه عند فتحهم اول سمكة يصطادها يجد استاراً يساوي اربعة دراهم تكفي لايفاء المفروض عليه وعلى سيده . وقال "اعطهم عني وعنك" لا "عنا" لان بطرس مكلف بالدفع

قانونياً ولكن يسوع غير مكلف فيكون دفعه كرمًا
في هذه الحادثة باب للمفكر ان يسأل هل يُحسب هذا العمل معجزة وما
نوع المعجزة فيه؟ ربما ساق فعل يسوع هذه السمكة الى هذه الصنارة . والآ
فعلي الاقل ان علم يسوع بما تكون نتيجة إلقاء الصنارة يكون من باب
المعجزات . لا يخبر البشير عن نتيجة امر يسوع . فالإضراب عن بيان نجاحه
يؤيد صدق الرواية . لانه غير معقول ان يلقق احد رواية كهذه الآ وبيّن
ان القول تمّ فعلاً . لم تخرج هذه القصة عن قاعدة يسوع ان لا يفعل معجزة
لفائدة ذاتية اذ قصد فيها المحافظة على صدق بطرس وكرامته وتقديم قدوة
في حفظ النظام الموسوي بتدقيق

والظاهر ان بعض التلاميذ عند رجوعهم من جبل التجلي تحدّثوا على
غير مسمع من يسوع في من هو الاعظم بينهم . ومن الطبيعي ان الذين منهم لم
يدّعوا لانفسهم الاولوية كانوا ينتصرون للذين يريدون لهم الكرامة الممتازة .
فأوصلهم الحسد الى الاحتجاج الحاد الذي لربما بنوه على بعض الامتيازات
الشخصية في معاملات يسوع وكلامه . فما اشدّ هذه الضربة على قلبه الرقيق المحب
بوقوع هذه المشاحنة الدنيئة الصبائية بين الذين قد اصطفاهم من بين كل
البشر رسلاً له وباله من هبوط عظيم في الآمال التي تعلقت عليهم !

فبعد وصولهم الى كفرناحوم فاتح بعضهم في ما عسى ان يكون موضوع جدالهم
الحماشي الذي لم يسمعه فسكتوا . كان يجب عليهم ان يعترفوا ويصلحوا زلتهم .
أو لم يقرأوا في كلام الحكيم "من يكتم خطاياهُ لا ينجح ومن يقرّها يرحم" (١)
أو لم يذكروا اختبارات داود الذي قال عن نفسه "لما سكّت بليت عظامي
من زفيري اليوم كله . قلت اعترف لك بذنبي وانت رفعت آثام خطيئي" (٢)
لكن بعد سكونهم تقدّموا وطلبوا اليه ان يفيدهم عن اساس العظمة في ملكوت

السموات ومن هو الاعظم فيه (١)

فلكونه اراد ان يستفيد كل الرسل الفائدة التي نتمتع بها هذا السؤال جلس ونادى الآخرين منهم حتى اجتمع الاثنا عشر جميعاً . ثم دعا ولداً اليه واقفته في الوسط لينظر اليه الجميع (٢) . ثم احضنه متخذاً هذه المثالة العملية اساساً فعليه المخالف روح العالم . واما ان العظمة في ملكوته لا تكون الا للذي لا يطلبها وان لأحد يدخل هذا الملكوت الا من يرجع ويصير مثل ولد

المعلوم ان من اوصاف الولد بساطة التواضع بدلاً من ادعاء العظمة . وعدم المبالاة برفعة المقام . وسهولة الانقياد والطاعة دون تردد او اعتراض بدلاً من عدم الاكتراث للحكم الصالح . وسرعة المسامحة على الاذية بدلاً من الحقد والتشبث بالانتقام طويلاً . والانصباب على الرجاء والنظر الى المستقبل بسرور بدلاً من القنوط واليأس . والارتضاء بالخير التليل بدلاً من الطمع وتصديق المقال بدلاً من الشكوك والظنون السيئة

لذلك قال " فالاصغر فيكم جميعاً هو يكون عظيماً " (٣) قال الرسول " يقاوم الله المستكبرين واما المتواضعون فيعطيه نعمته " (٤) . تسعة عشر قرناً مرت على البشر ولا يزال هذا التعليم مجهولاً الا عند القليلين . واكثر الناس لم يحفظوا شيئاً من فن التواضع ! والرسل ذواتهم لم يستفيدوا في ذلك الوقت الا قليلاً من هذا التعليم . لانهم جددوا هذه المشاحنة

(١) يخال لنا ان المسيح الاعظم والبادي بهذه المشاحنة كان الاسخريوطي ولكونه غير متجدد روحياً كان اكثر تغرضاً من الآخرين للطمع والكبرياء والمجد . قال الحكيم " ان خاطئاً واحداً يفسد خيراً جزيلاً (جا ١٨:٩) (٢) لعله كان ابن بطرس صاحب البيت (٣) يظهر ان الرسل لا يعرفون من هو الاعظم بينهم . ويسوع في جوابه لم يعطِ اقل اشارة الى عظيم بينهم . فكيف يتفق ذلك مع الزعم انه لما كلم بطرس في قيصرية فيلبس عن اساس الكنيسة والسلطان والمفاتيح اعطاه الرئاسة الدائمة

فيا بعد . وفي هذا الوقت طلبوا ان يعرفوا من منهم يكون الاعظم في ملكوت السموات . لذلك هم في خطر ليس ان يفقدوا الامتياز فقط بل الدخول الى هناك . وما دام الذي يطلب العظمة لنفسه ولا يرجع ويصير مثل الاولاد لن يدخل ملكوت السموات عليهم ان يتركوا السؤال عن العظمة ويهتموا بالسؤال عن الدخول

ثم علمهم يسوع شيئاً عن كرامة اسمه . حتى ان كل ما يصنعه احد باسمه يُحسب اكراماً له . ومن يكرم صغيراً باسمي يكون قد اكرمه . ومن يكرمه يكون قد اكرم الآب الذي ارسله . فاجمل هذه الرابطة التي تربط الآب بالابن ثم الابن باصغر المؤمنين باسمه واحقرهم !

على اثر هذا الكلام اخبره يوحنا عما جرى معه ومع بعض رفقاءه لما التفتوا بانسان يخرج شياطين باسم يسوع وهو ليس من تابعيه ظاهراً . فمنعاه ظناً منهم ان لاحقاً لغيرهم بهذا الامتياز الذي خوّلهم اياه سيدهم . لكن طالما لا يقدر غير يسوع ان يعطي هذا السلطان فلا مانع من ان يكون قد اخذه هذا منه على غير علمهم . وان يسوع اجاز له ان يعمل باسمه دون ان يرافقه ودون ان يعرف الرسل به . ولا نعلم ان كان توقّف هذا الرجل عن العمل . لان البشير لم يخبر بذلك . غير ان يسوع خطاً يوحنا واظهر ان من ليس عليه فهو معه ^(١) اي ان لاهياء بالنسبة الى ملكوت البر والى شخص ملكه يسوع . فلا يصح ان يقال مطلقاً في الدين " لاهياء ولا علينا " . والواجب على يوحنا ان يعرف ان كل مستقيم يستي اسم المسيح سنداً لعمله يسند المسيح . لان عمله يكون عزيزاً لديه . " اسم الرب برج حصين يركض اليه الصديق ويتمتع " ^(٢) . وحامل هذا الاسم باستحقاق يكون تحت حمايته وكل من يؤذيه ييأز به الملك ويكافئ كل من يقدم له اقل خدمة باسمه

ثم تطرق الى موضوع آخر مهم جداً وهو العثرات . وكان قد تكلم عنه

(١) . انظر مت ٢٠: ١٢ والشرح في ف ٦: ٢٢ (٢) ام ١٠: ١٨

في وعظه على الجبل ^(١). ويكرّره الآن كتعليم خصوصي لرسليه وحدهم. يكفني بان اعطاهم قدوة في اجتناب العثرة في امر الدرهمين. ولا بانه ونهم على غلطهم في اعثار هذا التلميذ المجهول الذي كان يخرج شياطين باسمي. فوضح لهم ان غرق الانسان مثقلاً بجحر الرحى في لجّة البحر افضل له من ان "يعثر احد هؤلاء الصغار". ولا بد من انه قصد بالاعثار اولاً قود الانسان غيره الى الخطيئة. وعنى ايضاً الاهانة والتكدير في غير محله. فمن يفعل ذلك لاحد تلاميذه الحقيقيين ينال جزاء مخيفاً يجعله يتمنى ان يبذل لو امكن بالغرق في قعر البحر

ولكي لا يؤلّد كلامه آمالاً فارغة في الرسل فيظنون انهم يستطيعون ازالة العثرات من العالم تماماً قال "لا بد ان تأتي العثرات". فهل يُعذر مسيبيها لانها لا بد ان تأتي؟ اسرع يسوع وتلافى هذا الوهم الذي يحسني وراءه من كان ميالاً للمخالفة. فقال "لكن ويل لذلك الانسان الذي به تأتي العثرة" ^(٢). ولو قيل ان سقوط الانسان واسقاطه غيره لا بد منها في هذه الدنيا لا يعارض هذا القول شيئاً من حرية الانسان النامة في افكاره والحرية الكافية في حركاته فلا يحجبها من مطالبة الديان

اما نصيحة يسوع ان يقطع الانسان يده ويقلع عينه متى اعثرناه فكلام مجازي. لان الامثال الحرفي لا يزيل الاثم الذي مركزه القلب اي عواطف النفس لا اعضاء الجسد الخاضعة لتلك. فقطع هذه لا يصلحها. يمكن الانسان ان يرتكب جميع الخطايا في فكره وقلبه ولو قلع ايس العين اليمنى فقط بل اليسرى ايضاً. وقطع يده اليمنى واليسرى ايضاً. حتى ولو اعدم كل اعضاءه مع بقاءه حياً. الاله الروح الذي له وحده الحكم في امر الخطيئة والهلاك ينظر

(١) انظر ف ٢٠ ومت ٢٦:٥ و ٢٠ (٢) ان قلنا لا بد من ان يسكر البعض

فهل يُعذر من بيعهم المسكر وقس عليه سائر العثرات

الى ما في القلب وليس الى ما في الاعضاء وبمحكم . المقصود من هذا الكلام هو ان كل ما يستلزم الخطيئة يجب ابعاده ولو كان عزيزاً عند الانسان كعينه اليمنى اوبك اليمنى . واهتمام يسوع بهذا التعليم يُعرف من كلام قاله سابقاً في وعظه على الجبل (١)

ولا ينبغي على كل بصير ان الخالق قصد ان تكون اعضاء الجسد كافة بركة وآلة للخير في نفع الناس وتحميد اسمه تعالى . لذلك يسيّ الرسول الاجساد هيكل الروح القدس . فالذي يشوهها يهين هذا الهيكل وصانعة . لانه سبحانه لا يطلب قلعاً ولا قطعاً لاعضاء الجسد بل صيانتها وتكريسها لخدمته الواجبة . وهذه الخدمة تتعذر على من يتلف هذه الاعضاء

كل مطالع وقور يرتعد من كلام يسوع الخفيف في تعليمه في هذا الموضوع وما يُضاعف هذا التأثير صفات المتكلم الممهودة من لطف ورقة وحنان . فلم ينطق به في ساعة غيظ ليقال انه بالغ فيه عن انفعال ولم يقه به لخصومه ليظن انه شدّه قصاصاً لم على مكايدهم . بل كلم به احباءه بكل هدوء ومحبة لما قال ان كل من يعثر او يُعثر غيره يُعرض لجهنم النار حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ . ليس في نفس يسوع في هذا الكلام من رائحة التهديد بل هو تحذير وانذار مقدّم مفيد من قد اتي من السماء ليخلص كل من يقصد الخلاص من هذه الابدية المرعبة . ولا يمكن ان محباً نظيره يبالغ في وصف المخاوف التي يخشى ان تصيب الذين يحبهم . فلا يجوز الاستخفاف بها .

يتضح من هذا الكلام كم كان تركه الاحضان الابوية في السماء ومقاساة ما قاساه على الارض ضرورياً . حقاً انه لا يكفي لنا نُس الاله وما احتمله من الآلام والصلب الأتخليس البشر من ويلات كاثلي تكلم يسوع عنها . فمن ينكر الدود الذي لا يموت والنار التي لا تطفأ لا يترك مسوغاً للحجى ابن الله من السماء واحتماله ما احتمل . فالدود الذي لا يموت نتيجة الموت اي فساد لا ينتهي

أبدأ . وعن موت روجي ليس بعدُ حياة . ” والنار التي لا تطفأ ” كتابة عن هلاك أليم محقق أشبه بالآلام المحرق بالنار . والمحذر من اتخاذ هذا الكلام بالمعنى الحرفي يزيد الحقيقة هولاً . لأن كل شريف يعلم أن الآلام النفسية أصعب جداً من الآلام الجسدية

وبما أن يسوع قال هذا الكلام لرسله عرفنا أنه يجب ليس على الشرير فقط بل على الصالح أيضاً أن يضيف إلى أسباب اجتنابه الأثم ذكر هذا الويل الذي يقع فيه الأثم لاحالة . ومتى وقع لا يبقى له سبيل للقيام . ولولا الكفارة التي أوجدها يسوع بموته والغفران الموعود به للمؤمنين الحقيقيين لكانت استحالة السلامة من العثرات تلقى حتى اصلى المتنين في اشد دركات اليأس

حذر يسوع رسله من احتقار الصغار مشيراً إلى اعثناء الله بهم حتى أنه يتقدم لهم خدمة ملائكية خصوصية . قال ان ملائكتهم ينظرون كل حين وجه الأب السماوي . فاي حق للناس ان يحقروهم ؟ يفهم ان هذا القول لا ينحصر في صغار السن بل يشمل أيضاً صغار النفوس وعلى الاخص المؤمنين به الواقعين تحت نيران الاضطهاد او الغرقى في بحر الاحتقار (١) . وفي ما يلي من كلام يسوع دليل على ان خلاصه يعم جميع الاطفال . لانه قال ” ليست مشيئة امام ايكم الذي في السموات ان يهلك احد هؤلاء الصغار ”

واردف بهذا القول كلاماً جميلاً في غاية مجيئه من السماء بين فيه تمسكه بلقب ابن الانسان . وهو ” لان ابن الانسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك ” . ومثل عمله بتفتيش انسان عن خروف اضاعه . فترك على الجبال التسعة والتسعين التي لم تضل لكي يفتش عن الضال . ومتى وجده يفرح به

(١) تكلمنا ملياً في خدمة الملائكة في غير هذا الفصل . وليس لنا في غير هذا القول مستند للظن ان العزة الالهية تخصص ملاكاً حارساً لكل شخص . فلا حق لنا ان نجزم بصحة هذه العقيدة الدارجة لئلا يكون لهذه الآية تفسير آخر اصح

اكثر من التسعة والتسعين . حقاً ان اهتمام الله وفرحه بخاطئ واحد يتوب
اكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون الى توبة يفوق ادراك البشر وان
افكاره تعالى ليست كافكارهم

ثم تكلم يسوع عن عشرة أخرى لابد من وقوعها بين اهل الايمان ضمن
الكنيسة . فكيف يتصرف المؤمن متى تعدى عليه اخ ؟ يطلب منه ان
لا يدخل معه في منازعة . وان يحفظ نفسه من الغيظ . وان يراعي المحبة الاخوية .
فلا يفشي الامر خشية تجسسه ولا تعقيد اصلاحه . وعليه ان يعاتب المعتدي حياً
وعلى افراد املاً برجوعه عن غيئه في الحال ومنعه عن تكرار زلته . لانه يرجح
ان المعتدي متى رأى في غريمه روح الحب وخطه المسالمة ينحجل ويندم ويتوقف
عن تكرار الاعتداء ويصلح ما فعل . ولهذا السبب قال يسوع " ان سمع منك
فقد رجحت اخاك "

اما ان قسى المعتدي قلبه فالواسطة الثانية لتخيله واقناعه الاستعانة
بلجنة صغيرة مختصة تسعى في اصلاح ذات البين . وتكون شاهداً على المعتدي
ان لم يمثل للحق وللمعتدي عليه ببراءته من الذنب . لكن ان اصر على رفض هذه
الوسائط المحبة ترفع القضية الى المجلس الرسمي اي الكنيسة لتنظر في الامر
وتسعى في اصلاح المذنب ^(١) . وهذا الاستئناف مفيد . لان من شأنه ان يجعل
المعتدي يدعن للجنة لئلا يزيد تخيله وتخنض كرامته بسبب تقديم
الشكوى عليه للكنيسة . فان لم يدعن لحكم الكنيسة يحق للشاكي ان يمتنبه
ولا يعتبره كآخ . لانه قد برهن ان ليس فيه الشروط الجوهرية للاخوية
المسيحية وبعد هذا الكلام كرر يسوع عبارات منح السلطان للحل والربط الذي

(١) في كل تعليم يسوع وكلامه هذا هو الذكر الثاني والاخير للكنيسة التي سوف

صرّح به بصيغة المفرد لبطرس بصيغة الجمع للرسل اجمالاً^(١). قال "حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم" لذلك "ان اتفق اثنان منكم على الارض في اي شيء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل ابي الذي في السموات"^(٢). هذه هي المرة الاولى من مرّات كثيرة فيها صرّح بانه يكون حاضراً مع اتباعه على الدوام . وهذا الادعاء لا يجوز بل لا يمكن ان يفوه او يفكر به انسان فهم ومستقيم كيسوع ان كان مجرد بشر فقط . ولذلك لا يقال في غيره من مؤسسي المذاهب الدينية . والعيب الاعظم والعلّة الكبرى في كثيرين من الذين يسمون مسيحيين انهم يهلون هذه الحقيقة الجوهرية . لذلك يعيشون كأن مسيحيهم غائب في السماء كغيره من الانبياء والرسل الكرام . فلا يتحفظون من المنكرات ويبادرون الى الحسنات في الافكار والاقوال والافعال كما لو كان معهم وانتهوا الى حضوره

كانت الشريعة اليهودية تقضي بان يغفر لمن يسيء اولاً وثانياً وثالثاً . وان تكرّرت الاساءة لا يكلف بتكرار المغفرة وشعر بطرس ان شريعة يسوع الجديدة اوسع من القديمة . ومناسبة ذكر التعدي وبيان المعاملة المتوجبة ولما نهض وسأل السيد "يا رب كم مرّة يخطئ اليّ اخي وانا اغفر له ؟ هل الى سبع مرّات ؟" ظنّ ان سبع مرّات هي اكثر مما يطلب منه فيكون قد تكرّم بقوله الى سبع مرّات فكم كان خجلاً لما اجابه يسوع "لا اقول لك الى سبع مرّات بل الى سبعين مرّة سبع مرّات". يعني الى ما لا نهاية له

ما اصعب هذا الامر على الانسان . فان الطبيعة البشرية لا تحتمله دون نعمة الهية . لكن الروح الذي يفود الى مسامحة مسيحية قلبية في المرة الاولى يفود ايضاً في الثانية والى ما لا نهاية له . ولا سيما انه كلما غفر مرّة يتقوى فيه هذا الروح فيسهل تكرارها اكثر من منحها المرة الاولى . والذي ليس في قلبه ان

(١) سبق الشرح في هذا السلطان في ف ٢٩ (٢) ان كان هذا القول موجهاً

للرسل لكنه نعم ايضاً جميع المؤمنين الحقيقيين

يسامح المغفرة في المرة المئة يبرهن ان مسامحته الاولى لم تكن من روح مسيحي حقيقي . فكل من يشعر بفضل الاله الغفور لا يمكنه ان يحاسب اخوته مهما عظمت تعدياتهم عليه

ولما كان ضرورياً ان يبين يسوع اساس هذا القانون الصعب ليقنع رسله بصوابه اوضح لهم ذلك بواسطة مثل العبد الظالم الذي بعد ان ترك له سيده الملك ديناً بليغاً للغاية لا يمكنه ايفاءه^(١) قبض على احد رفقاءه عبيد هذا الملك لدين زهيد كان له عليه^(٢) وزجه في السجن . مع كل الاسترحامات والمواعيد واحسان مولاه اليه بتركه له هذا الدين العظيم لم يكن قلبه يصبر على رفيقه . بل اخذ بعنته ومضى والقاء في سجن حتى يوفي الدين . فلما بلغ العبيد رفقاءه مولاهم الملك هذا الامر اغناظ جداً واحضر هذا العبد الظالم وأنبه "وسله الى المعتدين حتى يوفي كل ما كان له عليه" . فاذا كان مفلساً قبل سجنه اي امل له ان يوفي الملايين وهو سجين ؟ فلا مناص من بقاءه الى الابد بين ايدي المعتدين

في هذا المثل شبه الله بالملك والخطاة بالعبيد المديونين . فلعظم الدين الذي لله على الخاطئ يستحيل عليه كلياً ان يوفيه . لكن الله برحمته وبناءً على عمل الفداء هو مستعد ان يغفر لاعظم الخطاة متى اعترف له وطلب منه الرحمة وتعهد ان يصلح امره فيما بعد . اما دين الخاطئ لرفيقه البشري فزهيد بالنسبة الى دين هذا الرفيق لربه . لذلك فهذا المخطئ اليه من العبد رفيقه متى حصل على الغفران الالهي لاحقاً له ان يمسك عن رفيقه المغفرة على زلاته ولو مهما تكاثرت وتكررت . ولا يحق لانسان ان يدين اخاه قبل مقابلته واستماع احتجاجه وعذره لعله اخطأ سهواً أو ظلمه واش . فاذهب العبارة التي ختم بها السيد جوابه على سؤال بطرس بقوله "فمكذا الي الساموي يفعل بكم ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لاخيه زلاته"

(٢) يعادل بنحو ثلاثة ملايين من الليرات (٣) يعادل نحو اربع ليرات

فلنا في هذا التعليم منتهى تحريم الحقد . وبيان نتيجة الحقد المخيفة . ولنا في الصلاة الربانية برهان اهمية وجوب ترك الحقد لما نصلي " اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين الينا " فلو ساد هذا بين المسيحيين لكان يضي نورهم هكذا قدام الناس فيمجدون اباهم الذي في السموات . ولا ينتظر البري الى ان يأتيه المذنب ليستغفر منه بل يسبقه انما للقول " اذهب وعانبه بينك وبينه " تمثلاً بالذي لم ينتظر الخاطئ الى ان يتوب ويأتي اليه بل قد اتى من السماء ليطلب ويخلص ما قد هلك



الفصل الثاني والثلاثون

(يو ٧: ١-٨: ٥٩)

(المرصع) ف ٢٤ و ٢٥ (الزمان) خريف السنة ٢٩ م .

(المكان) اورشليم

عيد المظال وصعود يسوع اليه . عدم ايمان اخوته به . تعليمه في الهيكل . طلب اليهود قتله . ايمان كثيرين به . منادائه بالماء الحي . ارسال الفريسيين خداما ليمسكوه ومدافعة نيقوديموس . الاتيان اليه بامرأة أمسكت في زنا . فتحها باب التوبة والرجاء . خطابه في الشهادات التي له . دينونة الذين يبغضونه . الحرية الروحية

يخبر البشير يوحنا ان يسوع تعهد في هذه المدة التغيب عن اليهودية بسبب اصرار اليهود على قتله (وهو مضطر ان يحفظ بحياته الى ان تأتي ساعته في الفصح المقبل الذي كان فيه مزمعا ان يقدم حياته ذبيحة عن خطايا البشر) الى ان جاء عيد المظال ^(١) احد الاعياد الثلاثة السنوية التي فيها يجب على كل يهودي الذهاب الى اورشليم ليقدم في الهيكل فروضة الدينية ^(٢) انى هذا القانون بفوائد جزيلة . لانه كان يضطر اليهود المتفرقين ان

(١) في ١٥ تسري اي ت ١ بعد يوم الكفارة باربعة ايام واساسه في الشريعة الكلام الالهي في (لا ٢٢: ٢٤-٤٣ نث ١٦: ١٣-١٥) وكانوا يزبنون في المنازل بالازهار والاغصان الخضراء ويكثر من العزف والطرب . اما الذبائح والتقدمات المفروضة لكل يوم من اسبوع هذا العيد فمفصلة في سفر العدد ٢٩: ١٢-٢٨ (٢) خر ٢٢: ١٤ و ١٧ و ٢٢: ٢٤

يجمعوا ويتبادلوا الافكار فتتجدد التعاليم الدينية والارشاد والغيرة القومية والارتباط المذهبي فكانت هذه النتائج وسيلة فعالة للتقدم والاتحاد وللصيانة من التأثيرات السيئة من قبل العناصر الوثنية المحيطة بهم

ومع ان عيد الفصح هو اعظم الاعياد لم يكن الابتهاج فيه عظيماً كما في عيد المظال الذي صار في اعتبار القوم اعظم الاعياد . معلوم من التاريخ الاسرائيلي^(١) ومن كتابات يوسفوس وبلوخرس وحاخامي اليهود الذين من جملة اقوالهم "من لم يرافراح عيد المظال لا يعرف ما هو الفرح". وما زاد في بهجه وقوعه عقيب يوم الكفارة . فكان رفع الدينونة على خطايا السنة بواسطة اجراءات يوم الكفارة داعياً عظيماً للابتهاج . وكذلك وقوعه عقيب جمع الاغلال السنوية حيث يقدم فيه الشكر للمنعم الالهي لاجل خيرات الارض في بلاد قوامها المواشي والاغلال . واتخاذ تذكارات الحانة سني التيه في البرية . أضف الى ذلك بهجة ذكر دخولهم ارض الميعاد التي تفيض لبناً وعسلاً وامثلاكهم اياها

وكان مفروضاً على الشعب كله حتى سكان اورشليم ان يهجروا مساكنهم ويقضوا اسبوعاً كاملاً في مظال بينونها من الغرف إما على السطوح او في الدور او في البرية تذكارات السكنى اربعين سنة في الخيام مدة ارتحالهم من مصر الى كنعان . وكان معبدهم ايضاً خيمة

وكان على احد الكهنة في صباح احد ايامه ان يأخذ وعاء ذهبياً ويملاؤه ماء من عين سلوام بجانب الهيكل ويدخل به من باب الماء الى الهيكل ثم يمزج معه خمرًا ويسكب المزيج على المذبح بين هتاف الشعب المجمع تذكارات المعجزة اعطاء الماء في البرية في تلك الرحلة . وكانوا ينصبون في دار النساء منارتين ذهبيتين ينتشر نورهما ليلاً على المدينة كلها . ثم ينير الشعب الازقة والبيوت فتصير المدينة المقدسة شعلة واحدة تذكارات للعمود الناري الذي

(١) زك ١٤: ١٦-١٩ ونح ٨: ٩ و ١٠ و ١٣-١٧

كان ينيرهم ليلاً . وكان العلماء والشيخوخ والرؤساء يرقصون في دار الهيكل
تشبهاً بدلاود لما رقص امام تابوت العهد "بكل قوته" (١)
وضعوا ايضاً تذكاراتاً لأخذ آبائهم مدينة اريحا اذ طافوا حولها وهتفوا
فستطت اسوار المدينة امامهم بمعجزة الهية (٢) . فكان الكهنة في اليوم الاخير
الاظم يطوفون حول المذبح سبع مرآت حاملين الاغصان والازهار هاتفين
هتاف النصر . وكان الجمهور يتوجه الى عين سلوام ليشرب وهو يرغم كلام
اشعياء "ايها العطاش جميعاً هلموا الى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشربوا
وكلوا هلموا اشربوا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا ولبنًا . فتمستقون مياهًا بفرح من
ينابيع الخلاص" (٣)

وكان صعود يسوع الى هذا العيد منتظرًا ومرغوبًا فيه عند الجميع .
في اورشليم ينتظره الذين "كانوا يطلبون ان يقتلوه" . وفي الجليل يطلبون
مرافقته في الطريق الى العاصمة ليشاهدوا منه في سفرهم معجزات جديدة .
وانسابوه يرغبون في ذهابه أملًا بأنه يتظاهر سياسيًا مما يعود عليهم بالفوائد
الزمنية . لانهم يتصورون ان النصيب الاوفر يكون لهم في ملكوته الزمني
العتيد

فلما رأى اخوته انه لم يستعد للصعود ولا اعلن قصده بذلك تذكروا
وونبوه بتهمهم . قائلين "اذهب الى اليهودية * * * واظهر نفسك للعالم" .
قال يوحنا المقرب اليه "ان اخوته ايضاً لم يكونوا يؤمنون به" . اي لم يقبلوه
مسيحهم المنتظر . لانهم لم يروا فيه مسيحًا سياسيًا حسب طلبهم . ولا بد ان عدم
ايمان اخوته به كان صليبيًا ثقيلًا جدًا بحملة يسوع كل تلك السنين . لأنه

(١) ١٤:٦ صم (٢) يش ١٢:٦-٢٠ (٣) اش ١:٥٥ و ٢:١٢ خالف
الصدوقيون الفريسيين في فريضة سكب الماء والخمر على المذبح ومرة لما كان رئيس الكهنة
صدوقيًا اظهر مخالفته بسكب الماء على الارض بدل المذبح فحاول الجمع ذبيحة لاجل ذلك
وحدث شعب عظيم في دور الهيكل اسفر عن قتل ستة آلاف شخص

كان يحبهم محبة نسبية . وكان في قلبه مرارة حزن مفرط من اجلهم . ظهر ما يشبه ذلك في كلام الرسول بولس . فمع كونه لا يعادل سيده في سمو العواطف وشدة التأثيرات الشريفة قال "اقول الصدق في المسيح لا اكذب وضميري شاهد لي بالروح القدس ان لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع . فاني كنت أود لو اكون انا نفسي محروماً من المسيح لاجل اخوتي انسابي حسب الجسد" (١)

فما اغرب صلابة كل قلب لا تليق النعمة الالهية . فان قدوة يسوع الكاملة واعماله العجيبة وتعاليمه السامية لم تفعل في اخوته لتعودهم الى الايمان به . فمن يتم واجباته الروحية نحو اهله ويراهم بعد ذلك بعيدين عن الايمان له في قصة يسوع مع اخوته بعض العذر في حيرته وبعض السلوى في مصيبتهم لما حاول اخوته ان يعلموه ماذا يفعل اجابهم كما اجاب امه لما حاولت مثل ذلك في العرس . قال "ان وقتي لم يحضر بعد" . يتظر وقت الله لان هذا وقته ايضاً . اما هم فلا يتظرون وقت الله . لذلك "وقتهم في كل حين حاضر" . هم في امان بذهابهم الى هذا العيد لان العالم لا يقدر ان يبغضهم لانهم منه . اما هو فليس في امان لانه ليس من العالم . والروساء يتظرونه ليقتلوه بسبب شهادته ضد اعمالهم الشريرة

وكما صنع الخمر في قانا الجليل لما انت ساعته بعد هنيئة هكذا بعد ان قال لـ اخوته "انا لست اصعد بعد الى هذا العيد" حضر وقته قريباً اذ كانوا قد سبقوه . "فصعد هو ايضاً لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء" . وأول من فتش عنه لما ابتداء العيد خصومه "اليهود" الذين قصدوا ان يحرقوه بسؤالهم "ابن ذاك" . وطلبه كثيرون غيرهم ممن شهد بعضهم بصلاحيه وفضله وسماء البعض الآخر "المضل" . فاشتهار بغض الروساء له وعزمهم على قتله اسكت الذين

ارادوا ان يتصرفوا له. "حتى لم يكن احد يتكلم عنه (حسناً) جهاراً لسبب الخوف من اليهود" (١)

لكن لما اتصف اسبوع العيد ظهر يسوع وابتداً يعلم في الهيكل حتى انذهل خصومه من معارفه وحكمته لعلمهم انه لم يدخل احدى مدارسهم العالية فاعتنم يسوع هذه الفرصة لتجديد الآب بقوله ان تعليمه ليس له بل للذي ارسله. وبرهاناً لصدقه عدم طلبه مجد نفسه كما لو كان كاذباً. واعلن لهم مبدأ جوهرياً في الدين بقوله "ان شاء أحد ان يعمل مشيئة الله يعرف التعليم هل هو من الله" اي ان الوسيلة لازدياد النور العمل بموجب النور الموجود. المجتهد في العمل بمقدار معرفته تزيد معرفته لاحالة. ومن يمنع عن العمل محتجاً انه ينتظر اكمال مشتهاه من النور يبقى في الظلام ولا يقبل له عذر

ثم طالبهم بناموس موسى الذي ينهاهم عن القتل وهم يحاولون قتله. قال "ليس احد منكم يعمل الناموس". لم يدرك اليهود انه يعلم الخفايا فظنوا انه لا يعرف قصدهم الردي. لذلك انكروا قائلين "بك شيطان من يطلب ان يقتلك" (٢). فاضطراً ان يذكرهم بمحاولتهم قتله قبل هذا الوقت بنحو سنة ونصف لما شفى في سبت عيد الفصح عليلاً عند بركة بيت حسدا. اذ حكموا عليه آنذ لانه عمل خيراً في سبت. ونسوا انهم يشتغلون في السبت كما في ختن الذكر الذي يقع يومه الثامن في سبت. فكيف يخالفون ناموس السبت لكي يحفظوا ناموس الختان الذي اوصى به موسى نقلاً عن الآباء قبله ثم يدبونه ويطلبون قتله لكونه خالف شريعة السبت لكي يحفظ شريعة الرحمة. وطلب منهم العدل في ما يحكمون

ولكن اذ كان الاكثرون لم يسلّموا بانه المسيح. لان معلمهم يقولون ان

(١) من عبارات كذه نعرف ان يوحنا متى قال "اليهود" يعني الرؤساء ومبغضي يسوع. لان الذين خافوا من اليهود كانوا ايضا يهوداً (٢) قد يكون هذا كلام الغرباء الذين يجهلون مكيدة الرؤساء

المسيح يأتي بفتنة ولا يعلم احد من اين هو". واما يسوع هذا فهو ابن يوسف ومريم من الناصرة^(١). علم يسوع افكارهم فرفع صوته^(٢) امام الجمهور ليسمع الجميع ونادى مكرراً ما قالوه في ما بينهم مؤكداً لهم انه قد أتى من قبل من لا يعرفونه اي من قبل الله. فهاج هذا القول الرؤساء حتى طلبوا ان يسكوه. لكن لان ساعته لم تأت بعد نجا من فحهم على طريقة لم يأت بيانها وبدلاً من ان يسكوه آمن به كثيرون. لانهم رأوا منه اعمالاً عظيمة وكثيرة لم يقدرُوا ان يتصوُّروا ان مسيحاً غيره يقدر ان يفوقه فيها

الجرأة في الدين لا بد ان تثمر. والمقاصد الالهية لا يغيرها ولا يوقفها حتى اقدر البشر. فذلَّ خصومه امام جرأته وتركوه يعلم في الهيكل. ولم يخف بل هم خافوا وخشوا انتصار الشعب له وازدياد مريديه ان حاولوا تنفيذ قصدهم. فانسحبوا بعد ان سخروا بعض صغار الموظفين عندهم ليمسكوه ويأتوا به الى مجلسهم. فبكتهم وحيرهم بكلام عن ذهابه الى الذي ارسله

وفي اليوم الاخير من العيد وهو "اليوم العظيم" بينما كانت الجماهير تتقاطر افواجا الى عين سلوام لتشرب وترغم "ايها العطاش جميعاً هلموا الى المياه". ثم تعود الى الهيكل "وقف يسوع ونادى قائلاً ان عطش احد فليقبل اليّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه انهار ماء حي". ذاك الذي نادى قديماً بروحه في كلام النبي الذي برده الآن هذا الجمهور ينادي الآن بصوته المسموع "ان عطش احد فليقبل اليّ ويشرب"^(٣). هو الذي اعطى من ماء الحياة لتلك السامرية العطشانة عند بئر سوخار اذ آمنت فجرى منها انهار ماء حي ودعت سكان المدينة وآمن

(١) بموجب احد التقاليد اليهودية ينتظر مجيء المسيح في نصف الليل بفتنة كما جاء الملاك الذي اهلك ابكار المصريين وخلص ابكار الاسرائيليين. فلا يعلم احد من اين يأتي

(٢) غير مرة قبل انه رفع صوته قوياً (مت ٥٠: ٢٧ ومر ١٥: ٢٤ ويو ١٢: ٤٤)

(٣) انظر اش ١١: ٥٨ وام ٤: ١٨ وحز ١٢: ٤٧-١٢ وزك ٨: ١٤

به بسببها كثيرون من السامريين. وهو يريد ان يهب لسامعيه تلك الهبة عينها وان يفعلوا فعل تلك السامرية. في تمثيله هذا اشار الى فعل الروح القدس الذي سيرسله بعد صعوده الى السماء ويسكبه بغزارة على المؤمنين به. وهذه هي المرة الاولى التي فيها تكلم يسوع عن فعل الروح القدس في المؤمنين. وعن الافعال العجيبة التي سوف يفعلها هذا الروح

فوقع في الشعب انشقاق ثانية بسببه. ولما انتهى العيد وطالب رؤساء الكهنة والفريسيون خدامهم الذين ارسلوهم ليمسكوه اجابوهم "لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان". ومن ذلك اليوم الى الآن يشهد كل مخلص فهم أمعن النظر في كلام يسوع مثل هذه الشهادة. فعدم امتثال هؤلاء المرسلين اوامر اسيادهم زرع الشكوك في مرسلهم. فسألوهم "ألعلّ احداً من الرؤساء او من الفريسيين آمن به؟" كان خوفهم في محله. لان في مجلسهم شخص واحد على الاقل اي نيقوديموس وهو رئيس عالم ومعتبر آمن بيسوع قبل هذا بزمان. فتحمس هذا واعترض على مخالفتهم مقتضيات شريعتهم في طلبهم قتله دون محاكمة رسمية واعطائه فرصة للدفاع. لكنه لم ينل منهم سوى التعبير لاجل اعتراضه. لانهم اتهموه تلميذاً انه منحاز الى يسوع بغرض الوطنية. فيكون جليلياً محترماً ومكروهاً نظير يسوع. لانه لم يقم نبي من الجليل

هؤلاء المقامون رعاة للشعب في امور الدين اظهروا الآن عدم مبالاتهم بالخراف. لانهم قالوا تحقيراً "هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون". فلا عجب ان قابلهم يسوع بالصرامة لكي يحطم نفوذهم المؤذي ويجرّر من نيرهم كل محب للحق والحرية. ثم ارفض المجلس. وتفرّق الاعضاء الى بيوتهم. اما يسوع فخرج من المدينة ليمبيت في جبل الزيتون^(١)

وفي صباح اليوم الثاني نزل الى الهيكل. فلما انتشر خبر وصوله احاطوا به جمهور كبير. فجلس في وسطهم كمعادة المعلمين واخذ يشرح لهم امور ملكوته

(١) ربما في بيت اعازر واخيه في بيت عنيا

الروحي . وبعد هزيمة حصلت ضجة بين الحاضرين . لان جماعة من الروساء وعلماء الدين طلبوا ان يفسح لهم الجمع لوصول الى يسوع وهم يحرقون امرأة نعيمة أمسكت في زنى . وتظاهروا في ريائهم المعهود بغيرة كاذبة على شريعة العفة . وباحترام كاذب ليسوع . تراوا بتسليم حق الحكم المنوط بهم ليسوع في امور شريعتهم الدينية المقدسة . ولقبوه باكرم القاهم اي معلم في الدين . ووقفوا المذنب في الوسط امام الجمهور في المحل العمومي المقدس طالبين منه الحكم هل تعامل حسب مقتضى الشريعة ام لا

من مدة ليست بعيدة كانت الحكومة الرومانية السائدة قد منعت قطعياً المحاكم الدينية اليهودية من الحكم بالاعدام . فان حكم يسوع بان تُرجم هذه الخاطئة يخالف النظام السياسي الجاري . ويغضب كثيرين في الشعب ايضاً الذين تعودوا التساهل في الاحكام . وان حكم بعدم رجمها يفتح لهم باباً واسعاً ليقبوه امام الشعب كخالف لشريعتهم المقدسة . فتحققوا في افكارهم ان يسوع يتصرف كيف ما حكم . وبما انهم يعلمون كيف تصرف امامهم قبلاً بشريعة السبت حاسباً ذاته اعظم من موسى وغير مفيد بشريته املوا ان يتصرف بشريعة الزنى ايضاً . فيهيجون عليه كل من تهمة المحافظة على العفة والآداب الصحيحة . فقالوا له . موسى يقول كذا وكذا . فماذا تقول انت ؟ كأنهم يعترفون له بحق مخالفة احكام موسى لو شاء

اما افكار يسوع فكانت منصرفة من هذه المذنب الى طالبي رجمها وهم اوفر منها اثماً . فلا يستحسن ان يتساهل مع الخبيث والرياء ويمسك عن الظالم والخبيث والمرائي قصاصاته الادبية بالتوبخ والدينونة . فكان جوابه الاول انه انحنى وصار يكتب باصبعه على الارض ليعطي سائليه فترة للافتكار . ولما تابعوا السؤال اجابهم قانونياً ما معناه . حسب شريعتكم متى ثبت جرم الزنى على امرأة فالشهود هم المطالبون اولاً بالرجم وانتم الشهود . فمنكم يطلب الرجم على قولكم ان جرمها ثابت ثم ان العدل يقضي بان الذي يخطئ اولاً يجازى اولاً .

فالذي منكم قد خالف شريعة العفة قبل هذه المرأة لا يحق له ان يطلب قصاصها قبله . فليبتدئ برجمها البري منكم لا غير وبالنظر الى مركزكم بالنسبة اليها تساوي افكاركم الشريرة فعل هذه المرأة الشرير ثم انحنى ثانية وصار يكتب باصبعه على الارض^(١) . فانسحبوا خجلاً مكسورين امام الذي هاجموا . وخرجوا بالترتيب الذي دخلوا به حسب رتبهم الشيوخ أولاً ثم الآخرون حتى لم يبق منهم احد . الضمير . الضمير . ما أعظم وما أثن هذا النذير الالهي في صدر الانسان . قال الشاعر الانكليزي الشهير " ان الضمير يصيرنا جميعاً جناء "

يرجح ان التلاميذ والجمهور لم ينصرفوا مع الشاكين . بل انتظروا النتيجة في امر المرأة التي بقيت واقفة في الوسط وقد اتجه فكر يسوع الآن اليها . قد أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك . قال " لم يرسل الله ابنته الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم "^(٢) . والمطرود من الناس لاجل شروره يهتم به يسوع اهتماماً ممتازاً . كما ان اهتمام الطبيب بالعليل يكون بالنسبة الى سوء حاله . فعرف يسوع ان معاملته للمشتكين عليها أحييت فيها آمالاً جديدة باصلاح سيرتها . فبعد ان سأها " ابن اولئك ؟ أما دانك أحد ؟ " واجابت " لا أحد يا سيد " قال لها " ولا انا ادينك اذهبي ولا تخطئي ايضاً "

بقوله " ولا انا ادينك " تصرف قانونياً . لان هرب المدعين والشهود قبل استجوابهم بوجب اسقاط الدعوى . فليس في قوله هذا اقل تساهل مع الخطيئة التي أتهمت بها . التساهل مع الخطيئة دأب الخطاة لا دأب قدوس نظير يسوع . وهو مبدأ عالمي لا روحاني . الذي يميل الى غض النظر عن فساد غيره هو الذي يريد العذر لذاته في فساد . فانخلص لا يتساهل مع

(١) زعم البعض انه رسم امام عيونهم باصبعه كلمات لغزية يفهمها كل منهم مفردة تدل على معرفة يسوع اسرار حياته وخطايته الخفية . ولذلك تهيج الضمير في كل منهم منفرداً . ولا صرح بكيفية القصاص كانوا جميعاً ممسوكين منه (٢) يو ١٧: ٢٣

الخطي في خطيئته. بل يُسهّل عليه تركها. والبعد بين الامرين شاسع. اذ من شأن التساهل زيادة الاثم. ومن شأن التسهيل ملاشاة. والزيادة في كره الاثم تمنع التساهل لكنها تزيد التسهيل. فلآن كره يسوع للخطيئة لا يوصف ومحبة للخطيئة لا تحدّ امتاز في تسهيله للخطاة ترك خطاياهم

ثم عاد واستأنف تعليمه للجموع بعد الانقطاع الذي سببه حادث المرأة. فشبه ذاته وعلمه بالنور. وحقاً ان من اشرف القاب "نور العالم" فاعترض الفريسيون على كلامه بحجة ان شهادة الانسان لنفسه غير ثابتة فاجابهم بما معناه ان هذا الحكم ولو صحّ في الخطاة الذين تخدعهم الانانية او يخدعون الآخرين عمداً فلا يصحّ في الكامل الذي هو في حضن الآب. هذا فضلاً عن شهادة الآب الغير قابلة الشك او الاعتراض. فلما سأله "ابن ابوك"؟ أجاب ما لا يحق لبشر ان يقوله "لستم تعرفوني انا ولا ابي. لو عرفتموني لعرفتم ابي ايضاً". ولما كرّر كلامه السابق انهم لا يقدرون ان يتبعوه الى حيث يذهب بعد قليل قالوا تهكماً "أأله يقتل نفسه حتى يقول هذا القول"؟ فاجابهم بكلام آخر لا يسوغ لبشر ان يقوله. قال "أنا لست من هذا العالم أنا من فوق. ان لم تؤمنوا اني أنا هو تموتون في خطاياكم. ولم يتركني الآب وحدي لاني في كل حين افعل ما يرضيه"

يقول يوحنا ان نتيجة هذا الكلام كانت ايمان كثيرين به. وان يسوع صرح لهؤلاء بان الحق يحرّر من يعرف الحق. وان حرّره الابن فبالحقيقة يكونون احراراً. واجاب الذين اعترضوا انهم لا يحتاجون الى التحرير. لانهم احرار كونهم من ذرية ابراهيم وليسوا عبيداً. فقال لهم ان العبودية الحقيقية هي الاستعباد للخطيئة. وان كل من يفعلها هو عبد لها. والعبد لا يرث ولا يدوم في البيت. وقال للذين يضمرون في قلوبهم قتله "تطلبون ان تقتلوني لان كلامي لا موضع له فيكم". ثم استحسن ان يعلن لهم ما هو الاستعباد للخطيئة الذي هم في رقبته لانه يعني البنوة لابليس. فادعاهم بالبنوة لابراهيم بدون

حق. لكونهم يعملون ليس اعمال ابراهيم بل اعمال ابليس. لان ابراهيم لم يطلب ان يقتل انساناً مجرد تكلمه بالحق. قتل البريء هو عمل ابليس لاعل ابراهيم. ومثله الكذب الذي تعودوه. لان "ابليس كذاب وابو الكذاب"
ثم قال قولاً آخر لا يجوز لمجرد بشر. "من منكم يبكتني على خطيئة؟"
سائر الانبياء اعترفوا بخطاياهم بتدلل واسف وحزن. فمن هذا الذي يقول هذا القول عن نفسه؟ لو كان بشراً فقط لحقّ اما ان نحسبه دون اولئك الذين في التواضع المجمل أقرّوا بانهم خطاة. ثم قال ايضاً "الحق الحق اقول لكم ان كان احد يحفظ كلامي فلن يرى الموت الى الابد". وهذا القول ايضاً لا يحق لبشر

فلا عجب ان اتهمه خصومه بعد هذا الكلام انه "سامري وبه شيطان".
وحجّوه ان اب الآباء ابراهيم وسائر الآباء والانبياء ماتوا. فكيف يسلم من الموت كل من يحفظ كلامه وسألوهُ من تجعل نفسك؟ فجواباً على هذا قال القول الشهير الذي ثبتت بلا مراجعة ادعاءهُ انه ليس بشراً فقط لان حياته لم تبدئ كسائر البشر لما وُلد. بل انه منذ الازل. قال "ابوكم ابراهيم" (١) تهمل بان يرى يومي فرأى وفرح". فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد أفرأيت ابراهيم؟ (٢) فاجابهم "الحق الحق اقول لكم قبل ان يكون ابراهيم انا كائن. فرفعوا حجارة ليرجموه". تجاوز قصد الرجم من تلك الخاطئة الى هذا الكامل المنضال. لكنه سلم منهم. لان ساعته لم تأت بعد. فاخفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى

(١) لم يقل ابونا حال كونه يهودياً (٢) في هذا القول دليل على ان يسوع كان في منظره وقوراً ومهوباً فوق ما يطلبه سنه. وربما ظهر في ملاحيه تأثير فرط انعايه وحدّة عواطفه

الفصل الثالث والثلاثون

(مت ٨: ١٩ - ٢٢ و ١٩: ١ و ٢ مر ١: ١ و لو ٩: ٥١ - ١٠: ٢٤ - ٢٧)

(المرصع) ف ٢٦ (الزمان) ت ٢ السنة ٢٩ م

(المكان) الجليل . السامرة . ييرية

تركه الجليل نهائياً . رفض السامريين إياه وطلب يعقوب ويوحنا الانتقام منهم .
الذين قصدوا اتباع يسوع عبثاً . ارسال السبعين للتبشير وتدريبهم . تويجة المدن الثلاث
ثانية . رجوع السبعين وتهلل يسوع . الناموسي الذي قام بحربة . مثل السامري الصالح .
من هو قريبي

عاد يسوع من اليهودية الى الجليل بعد الحوادث التي ذكرت في الفصل
السابق . لكن اخبار هذه الرحلة وحوادث الجليل بعد بلوغه تلك المقاطعة
يسكت عنها البشرون تماماً^(١) . ويخبرون فقط بتركه الجليل نهائياً ورجوعه
الى اليهودية لينهي فيها حياته الارضية . بعد ان قضى سني استعداده ومعظم
حياته في الجليل حيث قدّم القسم الاكبر من تعاليمه وفعل اكثر معجزاته . لكنه
مضطراً ان يختم خدمته الشخصية بين الناس في اليهودية ولا سيما في المدينة
المقدسة محل تقديم الذبائح (اذ هو الذبيحة الاصلية الحقيقية) حيث يجتمع

(١) هذه بداية القسم الاخير من حياة يسوع الذي يستغرق نحو ستة اشهر . ويتنا
يخصّص مرقس قسماً من اصحاح ومتى اصحاحاً وقسماً من آخر للحوادث بين ترك يسوع
الجليل ووصوله الى اورشليم يشغل لوقا بها نحو نصف بشارته . وهذا يؤيد القول ان كل
بشير من الاربعة مع قصده ان يكرّر بعض الاخبار التي اوردها غيره لتكون الشهادة
مربعة الزوايا اهتم أيضاً بايراد ما امكن من الحوادث التي اهلها غيره

الشعب اليهودي في العيد العظيم من كل أنحاء العالم . فقصده يسوع ان يقدم لهؤلاء كما لسكان اورشليم ورؤسائهم الفرصة الأخيرة لقبولهم كمسيحهم المنتظر وينالوا المواعيد والبركات الشخصية والشعبية التي تتبع الايمان به

ففي طريقه الى اليهودية يعنى بتبشير قسم مهم من ارض الميعاد لا يزال مهملاً في سياحاته وسياحات رسله التبشيرية . ذكر هذا القسم باسم "عبر الاردن" في كلام النبي عن الاراضي التي سوف يبصر شعبها نوراً عظيماً^(١). وفي قول البشير ان يسوع ثبت وجهه لينطلق الى اورشليم نرى اشارة الى الصعوبات الخارجية والداخلية التي تعرض له في هذه الرحلة

بمروره في السامرة ارسل خيراً سابقاً الى القرية التي قصد ان يبيت فيها مع رفقاءه^(٢) فهاج النور السامري عند خبر قدوم جماعة من اليهود مع هذا المعلم الشهير ووجهتهم اورشليم ليؤدوا فيها فروض الدين . لان السامريين يمسكون بوجوب تاديتهما في جبلهم المقدس . ولربما اخذتهم ايضاً غيرة الحسد فنزوا من يسوع لاهماله بلادهم وتخصيصه خراف بيت اسرائيل الضالة في احساناته العجيبة . ولربما استصعبوا تقديم الضيافة لعدد كهذا من المسافرين . فرفضوا قبوله

لما عاد المرسلون بخبر الرفض استاء اللئيف الذي حول يسوع جداً من هذه الالهانة لقائهم العظيم ولم . كنا نتوقع تحمس بطرس في مقدمة القوم .

(١) اش ١: ٩ و ٢ . كان اسم هذه المقاطعة الواسعة عند اليونان ييرية . وهي نظير الجليل تحت حكم هيرودس انتيباس . وفيها كان قصره في مخيروس محل سجن المعبدان واستشهاده . وفيها كانت بيت عبرة التي اتخذها المعبدان مركزاً لتبشيرهم وتعبيدهم . وكان سكانها مزيجاً من اليهود والوثنيين . وارضها من نصيب سبطي جاد وراوين ونصف سبط منسى طولها ستون ميلاً شمالاً وجنوباً . وعرضها من الاردن غرباً الى البرية الغير المحدودة شرقاً . وعاصمتها على قول يوسفوس مدينة جدارة . وتشمل اللقاء وعجلون وهوران والجولان (٢) يرجحون ان هذه القرية هي المعروفة اليوم باسم جين على طريق القدس من البلاد الشمالية

لكن سبقه ابنا زبدي يعقوب ويوحنا اللذين سماها يسوع ابني الرعد . واستأذنا منه ان ينزل ناراً من السماء تهلك هؤلاء المتوحشين . ألم تسقط في هذه المقاطعة قديماً نار من السماء بطلب ايليا فاهلكت مئة رجل من عسكر الملك أخزيا المرسلين للقبض عليه . أَو لم يجعلها امساً على جبل التجلي ان معلمها اعظم من ايليا؟ فما دام الغضب الالهي حلّ نارياً على مهيني ايليا كيف لا يجازى بمثل ذلك مهينو سيدهم الذي قد عرفوا واعترفوا انه ابن الله ومسيحه؟ (١)

لكن في بعض الامور لا يصلح الاقتداء بالانبياء . "فالتفت (يسوع) وانهرها وقال لستما تعلمان من اي روح أنتم . كأنه يقول لستما تعلمان من اي روح يجب ان تكونا بمعيتي . وكلما جرى الى الآن امامكما كاف لتعلمما ما هو روح الذي يجب ان يكون روح تلاميذي ايضاً . فالروح الذي سافكما الى هذا الطلب لا يخلو من عنفوان الشبية وانتقام الكبرياء . فهل رأيتم في شيئاً من هذا؟ وقد سافكما روح التعصب المذهبي الذي شبيتما عليه فكنتما تحسبان هؤلاء السامريين كلاباً نجسة . فاستصعبتما احتمال الاهانة ممن تحقرانهم . فهل رأيتم هذا في؟ لما هاج عليّ جمهور الناصرة وجروني الى حافة الجبل ليقتلوني هل اقتصصت من احدهم؟ ولما قاموا عليّ في اليهودية ليرجموني هل انتقمتم من انسان؟ ولما طردوني من كورة الجدرين هل قاومت احداً لذلك؟ ألم اقل لكم تكراراً "أحبوا اعداءكم احسنوا الى مبغضكم" فكيف تطلبان الآن ان تفنيا بنار من السماء اهالي هذه القرية؟ أَلستما تعلمان بعد كل هذا اني انا ابن الانسان لم آت لاهلاك الناس جسداً وانفساً بل لتخليصهم؟ (٢)

(١) لم يرضوا ان يكونوا ابني الرعد فقط بل يرومان بانزال النار السماوية ان يكونوا ابني البرق ايضاً (٢) ما اعظم التغيير الذي حصل في طبيعة يوحنا بعد هذا حتى صار يوصف بالحبيب . وكم كان مسروراً بعد سنين لما قاده الروح الى السامرة للاشتراك مع بطرس في تعبيد وثنييت المؤمنين الكثرين المستجدين هناك (اع ٨: ٢٥)

فرفض يسوع اقتراح تلميذيه المكرمين المسبب عن رفض السامريين اياه . وانتقل مع جمهور تابعيه الى قرية اخرى يرجح ان موقعها وراء الحدود السامرية . وقدم بذلك مثالاً للطف والحلم والوداعة في احتمال عمل بربري . كانت اعمال الشفاء في هذه الرحلة اكثر من كافية لتشغل كل اوقاته . لكن البشير يقول " وكعادته كان ايضاً يعلمهم " بيانا لكون اهتمامه الاول بالتعليم الروحي . فجميع الذين يشتغلون في اعمال الرحمة للجساد عليهم ان يرافقوها مثله بالتعاليم الروحية لاجل النفوس . اعترضه في سيره احد الكتبة^(١) . وبعد السلام قال " يا سيد اتبعك اينما تمضي . لربما ظن ان يسوع يتفخر بتابع كهذا ويترحب به كثيراً . لكن يستنتج من كلام يسوع ان في قلب هذا الكاتب مطامع عالمية . فلا نصيب له او لامثاله في معية يسوع الذي وهو الاله المتأنس تنازل الى ادنى دركات الفقر الزمني تعزية لفقره العالم لكي لا يبأس افقر البشر لشدة فقره . كان سريره مستعاراً لا ملكاً وقبره كذلك . ومثله كل ما استعمله بين المهد والحد . كانت معيشته من مال المحبين المحسنين . ولم يترك للاقتسام بعد موته سوى الثياب التي عليه والاكفان التي تركها في القبر عند قيامته . فكان جوابه لهذا الكاتب " للثعالب اوجرة ولطيور السماء اوكار . واما ابن الانسان فليس له ابن يسند رأسه^(٢) ثم انظناً خبر هذا الكاتب

وبعد قدم يسوع لاحد رفقاءه المؤمنين دعوة ليكون تلميذاً ملازماً . فرضي على شرط ان يعطى مهلة ليذهب اولاً ويدفن آباءه . فاما ان يكون اناؤه

(١) انظر الشرح في ف ٩ في صنف الكتبة (٢) لو ٩: ٥٨

فللطير وكر وللثعلب ال وجار المريح لكي يسكن
واما ملك الانام فلا مفر يكون له موطن
اله السما العلي لقد قضى عيشة الفقر من اجلنا
لنغني الخلائق من فقره ونشفي باسقامه ذو الضنى

خبر وفاة والد فيغيب منه وجيزة ثم يتبع يسوع . او انه يقصد ملازمة ابيه
المسن كفرض مقدس الى ان يصير حراً بوفاته فيترك كل شيء ويتبع يسوع .
لكن يسوع لم يتساهل بطلب كهذا . لانه لا يرضى بتقديم الواجبات للوالدين
على الواجبات لله . فامر الرجل ان يترك للهوتى روحياً وتدير الموتى جسدياً .
وهو كحي روحياً بعد ايمانه الجديد يلتصق بالاحياء روحياً مثله . تمسك
يسوع بالوصية التي تأمر بكرامة الوالدين امر لا ريب فيه . وبرهن في
حادثه في الناصرة لما كان خاضعاً لابويه^(١) . ونذكر انه ونب شديداً رؤساء
اليهود الذين كانوا ينتفضون الواجبات للوالدين تحت حجة قربان^(٢) .
فالمسوخ لامره هذا الرجل ان يترك اياه ويتبعه هو تمثيلة الاصل الحقيقى
للعزة الالهية . فتمت تضاربت الحقوق الالهية مع الوالدية تقدم حتماً تلك على
هذه^(٣)

ثم تقدم رجل ثالث يقصد ان يتبعه . انما يطلب ان يغيب غيابة جزئياً
لتوديع الذين في بيته^(٤) . لهذا ايضا لم يسمح يسوع . يُحتمل ان بيته في بلد
بعيدة . او ان يسوع عرف ان احوال بيته تعاكس قصد الحسن . فان رجع
ليودع اهله يضطرون عليه وينعونه . او ان يسوع قصد ان يوضح امام جميع
تابعيه ان دعوته لا يجوز تأخيرها مطلقاً ولو قليلاً . فاجابه على استناده "ليس
احد يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء يصلح للملكوت الله" . كانه يقول
له اذكر امرأة لوط^(٥)

الذين ذكر صريحاً انضمامهم الى يسوع قليلون جداً . لكن في اخبار
هذه السياحة شاهد جديد على الكثير الذي اهل البشرون ذكره . وهذا
الشاهد يدل على وفرة عدد تلاميذه . وعلى ان جمهوراً منهم رافقه في هذه

(١) لو ١٢: ٥١ (٢) مت ١٥: ٥٠ ف ٢٧ (٣) سيأتي شرح على هذه الحقيقة

في ف ٢٦ (٤) يشبه اليسوع في ما طلبه من ايليا (١ مل ١٩: ٢٠) (٥) لو ١٧: ٣٢
وتك ١٩: ٢٦

السياحة . حتى وُجد بينهم سبعون رجلاً يناسبون لان يرسلهم لاجل التبشير في القرى والمدن التي كان مزعماً ان يتبعهم اليها في ذلك الاقليم الواسع (١)

نقرأ انه رتب هؤلاء السبعين وارسلهم اثنين اثنين ووكّل اليهم العمل المزدوج اي التعليم والشفاء كما فعل لما ارسل الرسل (٢) . بهذه الواسطة تظهر اهمية العمل اكثر مما لو ذهبوا افراداً . وهذه الواسطة يشجع ايضاً الواحد الآخر ويصلح اغلاطه ويتناوبان في الكلام والاعمال . فلو زاد عدد كل فريق عن الاثنين لثقلوا على مضيفهم ولقلت اماكن تبشيرهم . بمنحه اياهم قوة الشفاء يكتبسون اتباع الناس وثقتهم ومحبتهم . ويظهرون اهتمام سيدهم بصالح الجميع الزمني مع الروحي . وبما ان الشفاء كان باسمه يشوقون الاهالي لان ينتظروا مجيئهم بعدهم . ويبشرون بالملكوت الجديد المقرب منهم وبملك هذا الملكوت الذي ارسلهم امامه (٣)

فرودهم بمثل النصائح والاعلانات التي قدّمها للرسل قبلهم . الا انه اضاف عليها وصيته ان لا يسهوا على احد في الطريق . نتجت هذه الوصية عن الاصطلاحات الشرقية في اكثر السلامات . فقصر الوقت واهمية العمل المزدوج لا يميزان قضاء الاوقات في الكلام الفصولي . اوصاهم ايضاً ان ياكلوا ما يتقدم لهم دون سؤال او اعتراض . عليهم ان يهملوا التفننات اليهودية في امر المأكولات لئلا تنفق حاجزاً بينهم وبين الذين يقبلونهم في بيوتهم . واردف

(١) في اختياره سبعين رجلاً لهذا العمل راعى تقاليد امته . لان الذين اقاموهم بوصية الهية شيوخاً ومدبرين للشعب بصفة دائمة كانوا سبعين . يقول تقليد اليهود ان موسى كتب على سبعين ورقة كلمة شيخ واصاف ورقتين دون كتابة . ثم اختار من كل سبط ستة رجال فلما سجدوا القرعة خرج الاثنان اللذان سجدوا الورقتين الخاليتين من الكتابة . ومن السبعين الآخرين تألف المجلس المالي الذي كان في زمن يسوع يسمى السنهدريم . انظر خر ١٠٢٤ وعدد ١٦: ١١ و ١٧ (٢) انظر ف ٢٥ (٣) لا يوضح البشير ان كان

ارسلهم في وقت واحد أو بالتتابع

هذا القول يمثل هو كلام يسوع الوحيد الذي تكرر في اسفار الانجيل اللاحقة
لاخبار البشيرين وهو قوله "لان الفاعل مستحق اجرته" (١)

ذكر ايضا انه كرر في هذا الوقت ما نطق به سابقاً من الولايات على
المدن الثلاث التي ميزها بالوسائط المفيدة فوق غيرها (٢)

نرجح ان السبعين مبشراً رجعوا تدريجاً . لكنهم رجعوا جميعاً بنعمة الفرح
مع شيء من التعجب . يظهر ان السلطان الذي خوّلهم اياه يسوع لم يتناول
اخراج الشياطين . فلما شرعوا باخراج الشياطين ايضاً ونجحوا طغى ابتهاجهم .
حتى كان خبر هذا النجاح يشغل المحل الاول في تقاريرهم لمسلّم (٣) لكنهم
اعننوا ان يعزوا اليه هذا النجاح . قالوا "يا رب حتى الشياطين تخضع لنا
باسمك" . فلماذا اسم يسوع وليس اسم الله ؟ واي فعل لمجرد الاسم ما لم يكن
يسوع معهم روحياً لكن فعلياً على رغم غيابه جسدياً ؟

ففي جوابه نبّه افكارهم الى كون نجاحهم راجعاً الى العمل الالهي في طرد
ابليس من السماء التي سقط منها بسبب كبرياءه سقوطاً سريعاً كالبرق .
كانه يقول لهم بينما انتم رأيتم فشل بعض الجنود انا رأيت فشل رئيسهم
وسقوطه (٤) . فوق هبوط ابليس الاصلي قبل الخلق هبط ايضاً في انكسارائه
العديّة امام يسوع ورساله . والآن هبط هبوطاً جديداً في انتصارات هولاء
المبشرين السبعين عليه . رأى يسوع ايضاً بروح النبوة سقوط الشيطان

(١) ١ تي ١٨:٥ (٢) مت ٢٠:١١-٢٢ انظر ٢١ (٣) اقل عدد يفرض
للحملات التي زاروها ٢٥ فيما اذا كان كل زوج زار محلاً واحداً فقط وهذا لا يحتمل وقوعه .
اذا عدد حوادث الشفاء كثير (٤) انظر الشرح في ف ٨ ابليس في الترجمة
العربية التمييز الموجود في الاصل اليوناني في امر الشيطان والشياطين . لان الشيطان
الذي دخل في الاسخريوطي مثلاً وساقه الى شروره العظيمة يُسمى ايضاً ديمابولس . هو
الرئيس ويسمى ايضاً ابليس وعلاماته الاعمال الاثيمة . اما الشياطين التي كان يخرجها يسوع
ورسله من الذين تحمل فيهم فكانت تسمى دايمون . وهي خدمة أو ملائكة هذا الرئيس .
وعلاماها العلل العقلية والجسدية على انواع مختلفة

الناس في المستقبل اذ يؤخذ اسيراً ذلك الذي طالما أسر البشر لارادته . ويُقيد
بقيود لا تُحل ذلك الرجيم الذي طالما قيد البشر بقيود الطبيعة المفسدة
والعادات الذميمة . بلبقه رئيس هذا العالم تظهر مملكته وبلقيه سلطان الهواه
يظهر مسكنه ولبقيه رئيس الظلمة يظهر نوع اعماله ولبقيه حاكم في قلوب غير
الطائعين يظهر من هم رعاياه

قول يسوع لهم "لا يضركم شيء" قول قوي جداً يذكرنا بكلام داود
في المزمور "الرب راعي فلا يعوزني شيء" ^(١) "ولا يلاقيك شر ولا تندنو ضربة
من خيمتك" ^(٢) وبكلام الرسول "كل الاشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون
الله" ^(٣) . يشتم شيء من التوبيخ في كلام يسوع لهم كانه خامرهم قليل من روح
الافتخار . ولانه لم يرد في تقاريرهم ذكر لتبشيرهم الذي كان في عيني يسوع
غرضهم الاول فقال "ولكن لا تفرحوا بهذا ان الارواح تخضع لكم بل افرحوا
بالحري ان اسماءكم كتبت في السموات

قال في مسامعهم سابقاً . كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم "يا رب
يا رب اليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات
كثيرة؟ فحينئذ اصرح لهم اني لم اعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الاثم" ^(٤) .
أفلا يعلمون ان نجاحهم باخراج الشياطين مخوف بخطر الكبرياء . لانه في
الظاهر نتيجة عملهم بينما النجاح الحقيقي الذي هو كتابة اسمائهم في السموات سالم
من هذا الخطر . لانه ليس عملهم ليفتخروا به بل عمل الله وهبة من نعمته المجانية ^(٥)
هنيئاً لهؤلاء الذين حقق لهم ان اسماءهم مكتوبة في السماء . لكن هل لمجرد بشر

(١) مز ١٢٣: ١ (٢) مز ٩١: ١٠ (٣) (رو ٨: ٢٨) "ان سمح ربنا بتزول
شيء من المصائب الجسدية لا يسمح بشيء من الاذى الروحي فايكون ضرراً الاجساد
فلا يبدؤ بكون رجلاً لنفوسهم" (ادي في لوقا ١٠: ٩) (٤) مت ٢٢: ٧ و ٢٣
(٥) القول في كتابة الاسماء في السماء لا يؤخذ حرفياً بل معنوياً وهو رمز تكرر
ذكره في الكتاب (خر ٢٢: ٢٢ في ٢٠: ٤ و ٥٣ و ٨: ١٣ و ١٢: ٢٠ دا ١٢: ١٢) (١٠: ١٢)

حق ان يصرح لأتاس مخصوصين ان اسماءهم مكتوبة في السموات ؟
 في حياة يسوع كلها لم نقرأ انه تهليل إلا في هذا الوقت . مع اننا نقرأ ثلاث
 مرّات انه بكى . وتكراراً انه انزعج او اضطرب بالروح أو حزن . تهليل لانه
 رأى في غلبة تلاميذه على العدو واستفادة الناس منهم اعظم نجاح حصل الى
 الآن في عمله . وفي تهليله اتجهت روحه طبعياً ليس نحو الناس بل نحو
 الآب السماوي . فحمدت عبارات استعمالها سابقاً ^(١) ثم قال لهم على انفراد " ان
 انبياء كثيرين وملوكاً ارادوا ان ينظروا ما انتم تنظرون ولم ينظروا وان
 يسمعوا ما انتم تسمعون ولم يسمعوا "

لا نغفل عن الفائدة العظيمة التي حصلت لهؤلاء السبعين بواسطة ارسالهم
 هذه . لان فائدة الفاعل من فعله اعظم من فائدة المفعول لاجله ^(٢) في اشراك
 هؤلاء السبعين موقتاً في العمل الذي خص به الرسل الاثنا عشر سابقاً بتعلم
 تابعوا المسيح ان التبشير ليس محصوراً في خدمة الدين القانونيين . بل ان كل
 مؤمن عليه ان يكون مبشراً . وان يُفرغ رسمياً قسماً من اوقاته وامواله للتبشير
 بانجيل يسوع . متى ادرك المسيحيون هذه الحقيقة وعملوا بموجبها يفعلون
 المعجزات الروحية . وقد قال عنها السيد لتلاميذه " من يؤمن بي فالاعمال
 التي انا اعملها يعملها هو ايضاً ويعمل اعظم منها لاني ماض الى ابي " ^(٣) . والحمد
 لله ان الشواهد على صدق هذا المقال تُقرأ في تاريخ الكنيسة قديماً في زمان
 الرسل والآباء وحديثاً في تاريخ انتشار الانجيل في بلدان كثيرة

(١) مت ٢٥: ٢١ ف ٢١ يحق لنا ان نعد هؤلاء السبعين من جملة
 الخمسة أئ الذين اجتمعوا مع يسوع في الجليل بعد قيامته ٦: ١٥ . ثم بين المئة
 والعشرين تلميذاً الذين حاصروا في عليه كيرة في اورشليم بالصلاة الى ان اخذوا الموهبة
 الجوهريّة الموعود بها اي حلول الروح القدس في يوم الخمسين بعد هذا التاريخ بستة
 اشهر (اع ١٥: ١) لانعلم ولا اسماً واحداً من اسماء هؤلاء السبعين إلا ان اوريجينوس أحد آباء
 الكنيسة المشهورين يقول ان البشير لوقا كاتب هذا الخبر كان منهم (٢) يو ١٤: ١٢

هؤلاء السبعون في سياحتهم هذه فحوا الارض البور في مقاطعة يريّة
فبعهم يسوع وزرع الكلمة. ثم بعد انى الرسل وحصدوا هذه الحقل وفقاً
لقوله لهم على بئر سوخار "انا ارسلتكم لتحصدوا ما لم ت تعبوا فيه. آخرون
تعبوا وانتم قد دخلتم على تعبهم" (١)

لنا بعد خبر رجوع السبعين خبر كاتب او ناموسي انى لكي يجرب يسوع.
فسأله سؤالاً جوهرياً هو افضل سؤال يستطيع بشر خاطئ ان يسأله.
قال "يا معلم ماذا اعمل لأرث الحياة الابدية؟" لو كان سؤالاً جدياً لنتج عنه
جواب جوهرى يليق بهذا السؤال. ولو كان سؤالاً عدائياً لنتج عنه توبيخ صارم.
لكنه سؤال ماحكة بسيطة فاخذ جواباً يلايمه هو رد السؤال الى السائل
ليجيب هو عليه ما هو مكتوب في الناموس (٢) كان جواب هذا الكاتب ممتازاً
كسؤاله. اخنار من كل التعليم الدينى في التوراة العبارتين الجوهريتين
اللتين بضمهما تلخص وصايا الله كافة بافضل نص واضح ترتيب. اخذ من سفر
التثنية العبارة التي يستعملها كل يهودى في صلاته اليومية (٣). ومن سفر
اللاويين عبارة أخرى (٤) مكملًا بذلك كل الناموس (٥) حسب شهادة
يسوع ذاته. فكان جوابه "تحب الرب اهلك من كل قلبك ومن كل نفسك

(١) يوحنا ٢١: ١٥ مع ٢١: ٩ و ٢١: ١٥ (٢) نقرأ في كتاب التفسير للعالم البابوي
الشهير كوسنال كلاماً بمناسبة إحالة يسوع الكاتب على نص الكتاب المقدس لاجل الارشاد.
قال "يسوع ذاته يجبلنا على ناموس الله المكتوب. مع انه هو الحق بعينه ويستطيع ان
يقدم للانفس راساً التعليم المقدس. تفتيشنا باطل عن نور آخر غير الذي نجده في شريعة
الكتاب. الذي نص هذه الشريعة وجعلها قاعدة حياتنا هو روح الله. فنحن نهبين هذا الروح
ان اعملنا درس هذا الكتاب. أو ان فضلنا عليه افكار أحد البشر. أول سؤال يطرح
على المسيحي أمام عرش الديان الالهى في اليوم الاخير يكون هذا السؤال ما هو مكتوب في
الناموس؟ ماذا قرأت في الانجيل وأي مارسة مارست تعاليمه؟ كيف يجيب على هذه
الاسئلة كل من كان يمكنه أن يطالع الكتاب ولم يفعل؟ (٣) نت ٩: ٦

(٤) لا ١٨: ١٩ (٥) انظر مت ٤٠: ٢٢

ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك . فقال له يسوع
 ” بالصواب اجبت افعل هذا فتحيا ” . قد ادرك هذا الكاتب الشريعة الالهية
 إدراكاً كافياً لخلاصه لو كان امراً عقلياً يتوقف على حسن الادراك والمعرفة .
 لكنه علم جيداً انه لا يستطيع تماماً ان يحب الله وقريبه هذه الدرجة . وانه على
 هذه القاعدة ليس له ولاغيره حق في الحياة الابدية . والآن فلماذا يسأل هذا
 السؤال ؟ يعلم ما قيل في ناموسه ” ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو
 مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به ” ^(١) ونحن نعلم ما ورد في كلام الرسول
 ” من حفظ كل الناموس وانما عثر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل ” ^(٢) .
 اذا المعرفة الملزمة وحدها لا ترجح الضمير بل تزعجه . ولا تزيل الدينونة بل
 تزيدها . وحفظ الناموس لا يحوّل الخلاص ما لم يُحفظ تماماً

لذلك يُطلب من كل خاطئ ان يعرف ليس فقط الشريعة بل نفسه ايضاً
 ونقصيرها وعجزها . في هذه المعرفة الثانية كان هذا الكاتب ناقصاً . فقصد ان
 يبرر نفسه وهو ليس باراً . لا يقدر ان يسأل من هو الله لاجبه . فسأل من
 هو قريبي لاعرف ان كنت احبه كنسي فأرث الحياة الابدية . في هذا السؤال
 مجال للجدال . قد يكون فكره انه في هذا الجدال يظهر براعته في ابراد آراء
 الامة ليخالف بها يسوع فيخطئه ويزعزع ثقة الجماهير به ويفخر عليه امامهم

اجاب يسوع كما في الاول بسؤال آخر ليجعل السائل نفسه يجيب على
 ما سأل . لكن يهد طريق الجواب بواسطة قصة قد تكون وقعت فعلاً وقد
 تكون فقط احدى امثاله الشهيرة ^(٣) . وفي الوقت ذاته يصلح غلطاً مهماً
 ان نكتبه ككتبه اليهود في حصرهم الوصية بالقرب في ابناء ملتهم فقط . فاختر
 رجلاً سامرياً لكي يتقض هذا القيد الفاسد . واختره ليمثل به الفضيلة .

(١) تث ٢٧: ٢٦ غل ٣: ١٠ (٢) يع ١٠: ١ (٣) قال المفسر الانجيلي ضرب
 المسيح تلك القصة مثلاً لبيان تعليمه لا يمنع من انها كانت من الواقعات فانطلق عليها اسم
 المثل السامري الصالح (إدي صفحة ١١٢)

فبالنظر الى ما حدث له مؤخرًا من الاهانة والرفض في القرية السامرية . كانت خطته هذه ناطقة بالشهامة وبالحكمة الروحية^(١)

مثل بمسافر (كان بالطبع يهوديًا) توجه في اشغاله نازلًا من اورشليم قاعدة الدين الى اريحا قاعدة الانشراح . احواله وصفاته مجهولة تمامًا اذ لا دخل لها في المقصود . الا انه وقع في طريقه بين ايدي كمين من اللصوص^(٢) . هولا بعد ان سلبوه كل شيء حتى ثيابه اشبعوه ضربًا وجرحًا حتى لم يعد يقدر ان يصرخ أو يخبر أو يستجير تركوه بين حي وميت . واذ كانت روحه تتراوح بين البقاء والفرار " عرض ان كاهنًا نزل في تلك الطريق فراه "

حسب اصطلاح الناس وحسب فكر هذا الكاهن كانت مقابلته بهذا المنظر المكرب عَرْضًا . مع انها من تدابير العناية الالهية شفقة على هذا التعيس ؟ بعرض كهذا يمتحن الاله كل واحد منا هل يلي الدعوة الالهية الخفية التي تتدب لاعمال الرحمة والخير

لما رأى الكاهن هذا المسكين " جاز مقابلة " . فتخاله مغضًا عينيه وسادًا أذنيه ومقسياً قلبه وملقاً ضميره ومبرراً نفسه باعذار سفسفية . لكنه غير معذور في ما فعل . المصاب اخوه في الجنسية اليهودية . فهو مكلف للساعدة التي قصد ان يتصل منها . فوق ذلك فوظيفته تكلفه رسميًا لاغاثه هذا المسكين . لانه احد رؤساء الدين ومعيشته من عموم الشعب لاجل خدمتهم في كل ما

(١) سبق الشرح في النفورين اليهود والسامريين في ف ١٢ (٢) هنا اشارة الى ما اشتهرت به الطريق المتحدرة من اورشليم الى اريحا من الوعورة الموحشة الخطرة حتى أطلق عليها اسم " الطريق الدموية " . يرجع انها في المساء في ايام بشوع عقبة ادوميم اي الدموية (يش ١٥: ٧ و ١٨: ١٧) و اشارة أيضًا الى انخفاض اريحا عن اورشليم نحو ٢٤٠٠ قدم في مسافة نحو ٢٠ ميلًا . ثم الى كون اريحا في من مدن الكهنة الخصوصية . لان نحو نصف كهنة اليهود اي ١٢٠٠٠ الفا كانوا مستوطنين فيها

يمكن . وقد أفرز ليكون قدوة للشعب في اعماله . فلذلك كان اغضاه
خطأً مبيناً

بعد الكاهن مرز ميل له وهو لاوي اي في المنزلة الثانية من خدمة الدين .
نراه افضل من الاول . لانه اذ صار عند المكان جاء . ونظر . تحرك فيه
بعض الحنان . لكنه لم يثمر شعوره في عمل اذ هو ايضاً " جازمقابلة "

هذان لا يجهلان الوصية المكررة في الشريعة الالهية التي بين ايديهم
الموجبة مساعدة الاخ حتى والعدو في ساعة ضيقها . فهي توجب ليس فقط
انقاذ اشخاصها بل اعانتها على انقاذهم ايضاً ^(١) . فكيف الامر الآن
وخادم دين قد رآها أخاهما بالذات في اسوأ حال ممكن تصويره ولم يمد له
يد المساعدة ؟ هل اعتذرا بانها قد عملا واجباتها لله وللناس لانها اتما بكل
تدقيق في هذه الزيارة كامل الفروض الدينية في المقدس ؟ أو حسب ان هذا
الانسان قارب الموت ولا فائدة من خدمته بل ان مات بين ايديهما يتنجسان
فيتوقفان الى حين عن ممارسة الفرائض الدينية ؟ كان يجب عليهما ان يذكر
القول الالهي " اني اريد رحمة لاذبيحة " ^(٢) ان كان عذرها مخاطر الطريق
التي اثبتنا ما حدث لهذا الرجل حتى حسب الابتعاد سريعاً لاجل السلامة امراً
ضرورياً او ان اعتذر الكاهن بان اللاوي وراءه فيترك له هذه الخدمة
واكتفى اللاوي بان الكاهن الذي سبته أرفع مقاماً منه في الدين وملزوم
أكثر منه . حتى ما لا يطالب به الكاهن لا يطالب به اللاوي . هل بين اعذار
كهنه ما تقبله الشهامة والمرورة او ما يقبله الاله ؟

نجد في هذين الشخصين شاهداً جديداً مؤثراً للحقيقة الجوهرية في الدين
التي هي ان الانسان لا يبدان فقط على ما يفعل من الشر بل ايضاً على ما يهمله
من الخير . نفع انه لم يذكر هذين سيئة فعلوها يتبعها الرأي العام الى آخر

(١) تث ٤:٢٢ خر ٤:٢٢ وه في التفسير حكوا ان هذه الوصايا تطلق على العدو

اليهودي فقط (٢) هو ٦:٦

الزمان بسبب ما لم يفعلاه لما تفاضيا عن مصيبة اخيهما
 نلتفت الآن من صورة الكاهن واللاوي المذكورة الى صورة مبجلة تفاجئنا.
 هي صورة مسافر ثالث غريب الجنس سامري معدود عدواً طبيعياً للواقع بين
 اللصوص. لو كان الجريح ذاته في صحبه وسلامته كالعادة لكان يبصق على
 هذا السامري ويشتمه ويتجنس منه. لانه ابعد الناس عنه. برح أيضاً ان هذا
 السامري عالم بان اخوي هذا المطروح قد مرّ به ولم يربّيا لزوماً للاتفات
 اليه. لكن على رغم هذا كله اطاع الامر الالهى المشار اليه الوارد في الاسفار
 الخمسة لموسى التي يعترف بها السامريون. فصاح مرةً أخرى قول يسوع
 في الآخرين الذين يصيرون أولين والأولين الذين يصيرون آخرين

لان هذا السامري ترجل عن دابته ومال الى هذا الجريح وفحصه ثم
 صبّ على جروحه خمرًا^(١) وزيتاً^(٢) ثم ضمّدها بما لديه^(٣). ثم اركبه على دابته
 ومشى بجانبه ماسكاً به في هذه الطريق الوعرة الى ان اوصله الى الفندق.
 وهناك لم يستغف من المسؤولية والتعب والخسارة عند تسليمه اياه الى صاحب
 الفندق اليهودي بل دفع لهذا نفقة اعاليه كمية تعادل اجرة الفاعل على يومين
 واعداً انه يحاسب فيما بعد عما يتفق عليه صاحب الفندق عليه فوق ذلك الى ان
 يشفى ويواصل سفره

لما اكمل يسوع هذه القصة سأل التلاميذ اي الثلاثة الذين مرّوا بهذا
 الجريح نصرّف كقريب يحب قريبه كنفسه. كان على التلاميذ ان يجيب هو

(١) لامانة الجراثيم بماذا الكحول ليفعل كفايض في قطع الدم (٢) للتليين
 والتلطيف. اشعياء النبي يشير الى هذا النوع من المعاملات إذ يقول "جرح واحباط
 وضربة طرية لم تعصب ولم تعصر ولم تلين بالزيت (اش ٦٠: ١) وان المسافر كان يحمل
 معه زيتاً للحاجة اليه ظهر في قصة يعقوب ابن اسحق الذي وان كان هارباً مسافراً وحده
 وليس معه الا العصا وجد معه زيت ليسكب على الحجر (تك ٢٨: ١٨) (٣) ربما يمزق
 قطع من ثيابه لاجل ذلك

”السامري“. لكن التعصب المذهبي لا يدعه يُسلم باللفظ الصريح ان سامرياً يكون افضل من كاهن يهودي. فاحتج بالايجام واجاب ”الذي صنع معه الرحمة“. اكفى يسوع بهذا الجواب وقال للناموسي ”اذهب انت ايضاً واصنع هكذا“. اي كن انت قريباً لكل من يحتاج مساعدة منك تستطيعها ولو كان عدوك

ذكر يسوع هذا السامري لايكرم السامريين ولا ليهين الكهنة واللاويين. لكن ليُعلم ان الاجنبي عن الدين الذي يطبع شريعة المحبة خير من خادم الدين الذي يخالفها. سأل هذا الناموسي عن المحبوب بدلاً من الحب. سأل من يستحق ان يُعامل كقريب. فكان الاجوب ان يسأل ليس ”من هو قريبي“ بل قريب من أنا؟ وهل تصرفني مع الناس هو تصرف قريب يحبهم كنفسه. القريب هو الذي تلتقي طريقي بطريقه. والذي تطالعه يدي لو قصدت. فمهما ابتعد قلبه عني وعاداني لا يزال قريبي ويُطلب مني ان أُحبه كنفسي واعامله معامله تدل على ان هذه المحبة حقيقية (١)

جدد يسوع في هذه القصة تعليمه الرئيسي بان الدين لا يقوم بحفظ

(١) قد اتفق اكثر المفسرين القدماء وكثير من المتأخرين ان يروا في هذه القصة تمثيل عمل يسوع لاجل البشر. من هذه الآراء ان المسكين الذي نزل من اورشليم (المدينة المقدسة) الى اريحا (المدينة النجسة باصطلاحات وثنية) يمثل الجنس البشري الذي هوى من القداسة الى الاثم وان اللصوص يمثلون ابليس وملائكته الذين بطغيانهم قد اوصلوا البشر الى حال التلف الروحي والاشراف على الهلاك. يرون في الكاهن واللاوي اللذين مرّا دون اغاثة المجرع ناموس الاعمال القديم مع طقوسه التي لم تقرب الناس الى الله بل تركتهم يزدادون شرّاً. ثم في السامري الصالح يرون المخلص المرفوض من خاصته المكروه من الخطاة الذين آتوا ليخلصهم لكنه لم يبال بهذا الرفض وهذا الكره بل سكب لاجل العالم الخاطئ خردمه وزيت روحه القدوس واوصل الذين مسك أمرهم وسلوالة الى فندق الكنيسة لاجل المعالجة والاعالة الروحية حيث يقدم هو القوة والقوت وكل حاجاتهم الروحية. يرون في صاحب الفندق خدّمة الدين وفي الديّارين سرّي الكنيسة وفي الوعد أن يفي ما تبقى وعد يسوع أن يجي ثانية بالمجد

الفروض الخارجية والطفوس المذهبية . اذ ان الشخصين اللذين اكملاهم
 الفروض الحقّة المعينة منه تعالى واكملها في الهيكل المقدس كانا مخالفين
 لاساس الدين المتعلق بمحبة القريب . ومن يخالف وصية محبة القريب لا يمكن
 ان يكون محباً حقيقياً لله . اذا فالكاهن واللاوي لم يحفظا شيئاً من جوهر الدين .
 بينما الذي لم يتم من فروض الدين الخارجية شيئاً وكان اجنبياً عن شعب الله
 المختار أظهر محبته لقريبه الذي هو عدوه الطبيعي محبة لله أيضاً . فهذا مقبول
 عند الله وذاتك مرفوضان

هدم يسوع بهذه القصة جداراً من الجدران الفاصلة بين المذاهب وابان
 ان الجوهر في الدين لا يختص بالمذهب بل بالمشرّب . يجب ان تربط
 المذاهب المختلفة رابطة روحية تثبت وحدة الايمان مع اختلاف التفسير . وان
 لا يخلّ هذا الاختلاف في المحبة الاخوية . بل عوضاً عن النفور المتبادل
 بسببه يكون الاشتراك المتبادل في الفحص والمطالعة والتفتيش عما هو أصح
 في هذه التفاسير . ثم الاشتراك التام في كل مشروع مفيد لاسيما الديني منه
 باعتبار ان الحق الجوهري واحد والصالح واحد والاهتداء الى الله هو المقصود
 في كل فروع الدين



الفصل الرابع والثلاثون

(لو ٢٨: ١٠ - ٤٢ يو ١: ٩ - ٤١)

(المرصع) ف ٢٧ (الزمان) ك ١ السنة ٢٩ م.

(المكان) بيت عنيا - اورشليم

يسوع في بيت عنيا . فتح عيني اكمه . الايام بخصوص المصائب . المحاورة مع اليهود بخصوص هذه المعجزة . مقابلة يسوع ثانية الاكمه وتثبيت ايمانه . طرد اليهود هذا الرجل من المجمع

واصل يسوع ورسلة سفرهم نحو اورشليم الى ان بلغوا قرية بيت عنيا . هذه قرية حنيرة وقذرة تسمى الآن العازرية وتبعد عن المدينة نحو ثلاثة ارباع الساعة على المشاة^(١) . لكنها ذات رائحة ذكية في التاريخ وصيت طائر بسبب عائلة نقيّة سكنتها في زمن يسوع . وبسبب منح يسوع هذه العائلة صداقة شخصية ممتازة قابلتها بتقديم تزل مرج يسوع ورسله ياوون اليه مسرورين كلما شاء ذلك يسوع . لان احوالهم الزمنية تيسر لهم ذلك^(٢) . قال البشير لوقا ان

(١) موقعها شرقي اورشليم في لحف جبل الزيتون . لا ذكر سابق لهذه القرية التي معنى اسمها بيت الخس او العناء (٢) يحق لنا ان نحسب هذه العائلة من اهل اليسر المالي . لا يجهل ان يسوع يضع على جماعة فقراء انقال الضيافة له ولجماعته الكثيري العدد كما في هذا الوقت وغيره . ولا يتيسر لفقراء القيام باودهم . يؤيد هذا الاستنتاج ما اجراه يهود اورشليم من الاكرام لهذا البيت عند موت لعازر وثن الطيب الذي سكنته مريم على قدسي يسوع . من ذكر وليمة اقيمت له في بيت عنيا في بيت سمعان الابرس (مت ٢٦: ٦) استنتج البعض ان هذا اسم أب العائلة او انه اسم زوج مرثا المتوفى

امراً اسمها مرثا قبلته في بيتها^(١). وذكر معها اختها مريم. لكنه لم يذكر أخاها
لغازر الساكن معها^(٢)

دخول يسوع هذا البيت الممتاز مع رسله وغيرهم من مرافقيه لا بد من
ان يجمع قوماً آخرين من أهل القرية فحال جلوسه أخذ كعاده في الحديث
الديني. عند ذلك ظهر الفرق بين الاختين المتساويتين في الاهتمام الحبي
باكرام هذا الضيف الشهير وطلب رضاء وخدمة افكاره. فمرثا المشغولة لنا
انها الاكبر سنّاً ومديرة البيت اهتمت حسب العادة بالخدمة الجسدية. قيل
”كانت مرتبكة في خدمة كثيرة“. ولا عجب لان عدد الضيوف الذين

ياغنونها ومقام معلمهم النبي العظيم الصانع المعجزات يكفيان لهذا الارتباك

اما مريم^(٣) فان نيرتها الروحية دلّتها على ان يسوع ليس كغيره من
كبار القوم ليفرح بمظاهر ضيافة كريمة او يسأل كثيراً عما يقدم له من الطعام.
شعرت بان معظم سروره ينتج عن اصغاء الناس الى تعاليمه. في الوقت ذاته
هي من الذين طوّبهم يسوع في قوله ”طوبى للجياع والعطاش الى البر“^(٤).
فليس فقط مراعاة لمشرب يسوع بل ايضاً لاجل ارواء نفسها ”جلست عند
قدميه وكانت تسمع كلامه“. مثلت تمثيلاً جميلاً القليلين الذين ليست الدنيا
عندهم الا تابعة للدين وخاضعة له. ليس انهم يقصدون ترك الدنيا وشروطها
بل تقديم الدين عليها. هؤلاء هم الذين مكتوبة اسمائهم في سفر الحياة لان الله
قد اختارهم للحياة الابدية^(٥) وعلى جبينهم علامة اختياره اياهم

كان خطأ مرثا في هذا الوقت تقديم الحسن الدنيوي على الاحسن
الديني. وكثيراً ما يمنع الحسن الوصول الى الاحسن. ولان الخطأ لا يولد
الا الخطأ تدرّجت الى التذمر في قلبها على اختها وحسدتها لجلوسها عند
قدمي يسوع. ثم أثمر تذمرها هذا ثمراً امراً هو تذمر على المعلم ذاته. كان

(١) مرثا اسم سرياني لا عبراني ومعناه سيدة (٢) انظر يوا ١١ وف ٢٨

(٣) مريم اسم عبراني معناه مراة (٤) مت ٦:٥ (٥) مت ٢١:٢٤

الاولى بها ان تُسرّ لاختها لانها حاصلة على هذه الفرصة الثمينة للاستفادة او على الاقل ان تقول لها اعلمي معي اولاً يا اختي ثم فجلس سوية عند قدمي المعلم. اكنها وقفت وقالت "يا رب أما تبالي^(١) بان اختي قد تركتني اخدم وحدي؟ فقل لها ان تعينني"

يسوع يعلم جيداً ضرورة الزمنيات. وهو كان يخدم زمنيات الناس كثيراً مع روحياتهم. لكنه لا يقدر ان يغفل عن افهام مرثا ان الله قال "هوذا الاستماع افضل من الذبيحة والاعغاء افضل من شحم الكباش"^(٢). وانه ان كانت تقصد ارضاءه فهو يسرّ بمن يحب ان يسمع تعليمه اكثر ممن يقدم له خدمة جسدية. في فكرها وقولها ظلمت اختها وسيدها وكدرتها. فاضطرّ يسوع الى توبيخ لطيف يبين منه ان خطأها حقيقي وجوهري. والّا فما كان هذا الضيف الكريم يوبخها وهي تسعى لاجل انشراحه. قال لها "مرثا مرثا انت مهتمين وتضطرين لاجل امور كثيرة". كأنه يقول ان انها كك بالامور العالمية بحرمك الهدوء والسلام والسرور الناتجة عن طلب ملكوت الله ابي الخير الروحي اولاً. ليس ضرورياً للانسان الا أمر واحد وهو النصيب الصالح الذي اخارته اخذك والذي دوامه لها مكفول

بعد هذا الحادث نجد يسوع يحول في مدينة اورشليم. كان قد أيد في تعليمه العلاقة الكلية بين الخطيئة والرزية. من جملة ذلك قوله للمتعبد الذي شفاه عند بركة بيت حسداً "لا تخطئ ايضاً لئلا يكون لك أسر"^(٣). لكن لا بدّ له من ايضاح خطر التطرّف في التمسك بهذه القضية. في كل الزمان يسأل كثيرون عند وقوع انسان في مصيبة ما هي الخطيئة التي لاجلها جوزي هذا الانسان بهذه المصيبة. ويتخذون الرزية التي يلاقها البعض عند ولادتهم جزءاً على ذنوب في والديهم او اجدادهم. ويجدون لهذا الحكم سنداً في الوصية الثانية التي تقول ان الله اله غيور يفقد ذنوب الاباء في الابناء الى الجيل

(١) هذه ملامة على يسوع (٢) اصم ١٥: ٢٢ (٣) ف ١٨

الثالث والرابع من مبغضيه^(١). ويحسبون ان مقدار المصيبة تكون قياساً لجرم الخطيئة^(٢)

من اضرار هذا الخطأ الجسدية الاطمئنان الكاذب عند الاشرار الحاصلين على الراحة الجسدية والتوفيق العالمي وحسبانهم ذلك علامة الرضى او الاغضاء الالهي على رغم شرورهم . هذا الخطأ يشيع كثيراً بين الاشرار الذين يتمسكون بتأدية الفرائض الدينية الخارجية ويهملون المحبة القلبية لله

ان سؤال الانسان عن خطاياه هو وعلاقة رزاياه بها شيء وسؤاله عن خطايا غيره ورزاياهم شيء آخر . يحق له ان يدين ذاته بينما لا يحق له ان يدين غيره^(٣). وان الثماتة في الغير عند وقوعهم في المصائب ليس فقط خطيئة بل ايضاً سخافة عقل . لانها مبنية على ظن وهي وغلط . ضربات الله للبشر في هذه الدنيا حية تتبع الفائدة لا الاستحقاق . ” فالذي يحبه الرب يودبه ويجلد كل ابن يقبله ”^(٤). شارك رسل يسوع مواطنهم اليهود في الاوهام الممار

(١) لا بل تطرف البعض الى القول ان المصائب تأتي الانسان جزاءً على خطايا في الاشهر قبل ولادته . وقال غيرهم اعظم من ذلك اي ان المصائب قد تأتي قصاصاً على خطايا في حياة اخرى للمصاب قبل حياته الحاضرة . لانهم اقتبسوا هذا الرأي من أهل مبدأ التقيص الوثنيين (٢) من اشهر امثلة هذا الخطأ ما ظهر من اصدقاء ايوب الثلاثة (٣) ” الذي تعتريه مصيبة ما شديدة فليس من قبيح الغلط بل من واجباته ان يفحص ويبحث ذاته امام صانعه ليخبر ان كان فيه خطيئة ما سرية غير نائب عنها يترجع عنده انها في سبب حلول تلك المصيبة عليه ” (الاتفاق وجه ٣٧٤) لم يغلط اخوة يوسف لما تذكروا في ساعة ضيقهم الشديدة في زيارتهم مصر سوء تصرفهم مع اخيهم . فقام عليهم ضميرهم بيكهم وقالوا بعضهم لبعض حقاً اننا مذنبون الى اخينا الذي رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع . لذلك جاءت علينا هذه الضيقة (ثك ٤٢: ٢١ انظر ايضاً قض ٧: ١) لكن غلط أهل مليطة الوثنيون لما رأوا الافعى تعلق بيد بولس الرسول فحكموا عليه بقولهم بعضهم لبعض ” لا بد ان هذا الانسان قاتل لم يدعه العدل يحيا ولو نجا من النجر ” (اع ١٦: ٣٨)

(٤) عب ٦: ١٢ انظر ايضاً مز ١٩: ٢٤ ورو ٨: ٢٨

ذكرها فافتضى لاجل ازالتها مثالة مؤثرة محسوسة رأى يسوع (ان لم نقل دبر) فرصة ملائمة لوضعها

مرّ في المدينة برجل وُلد اعمى يعيش بالتسوّل . برّحّ ان يسوع وقف عنده وكلمه ليفتح باباً للسؤال الذي قدمه تلاميذه لانهم سألوهُ " يا معلم من اخطأ هذا ام ابواه حتى وُلد اعمى ؟ " اجابهم يسوع ما معناه ان هذه المصيبة العظيمة لم تأت هذا الرجل نتيجة خطيئة او خطايا خصوصية ارتكبها هو او والداه . انما العناية الالهية سمحت بهذه الضربة لتظهر اعمال الله في المصاب . النتيجة اثبتت كون هذا الاكمه رجلاً ذكياً فهِمّاً . فان اصبنا في ظننا انه سمع سؤال الرسل وجواب يسوع لا تكون افكاره الاّ متهمجة بسبب هذا الحديث بين غرباء جليليين يسمعون ولا يراهم يسمون احدهم معلماً ويستوضحون منه اسرار القضاء الالهى

ما اعظم الفرق بين هذا الكلام المعزّي من هذا الغريب وكلام القويب الموجب لليأس الذي كان يسمعه كل حياته من الجميع عن اسباب مصيبته . يسمع لأول مرة ان مصيبته هذه لا تدل على انه مغضوب عليه من الله ومرفوض بل بالعكس ان الله في مصيبته مقاصد خيرية . نقله هذا الكلام من عالم القنوط الى عالم الرجاء . وابتدأ التغيير الروحي في قلبه والايمان بهذا المعلم المجهول . سأل عن اسمه فأخبر ان اسمه يسوع . آه لمصيبة عماء انه لا يستطيع ان يرى هذا المنتصر له . لو نقد يسوع في هذه الساعة ليس فقط الدنانير النحاسية التي تعودها بل الذهبية ايضاً لما احسن اليه بمقدار احسانه بهذا الجواب حتى ولو تركه وشأنه حالاً

لكن هذا بداءة فقط لعمل يسوع الخيري معه . نبّه سامعيه اولاً الى قصر الفرصة الباقية له للعمل^(١) . قال " ينبغي ان اعلم اعمال الذي ارسلني ما دام نهار . يأتي ليل (واي ليل) حين لا يستطيع احد ان يعمل " . ثم اشار

(١) بناء على قرب تسليمه لأعدائه وصلبهم اياه وذهابه من العالم تاركاً ايامه

الى وظيفته الخصوصية كالنور الحقيقي الآتي الى العالم الذي يدير كل انسان^(١). قال "ما دمت في العالم فانا نور العالم". اي ان الظلمة الجسدية والروحية كالتي اعثرت هذا الضرب هي ضدي وانا ضدها. فسأزِيلها. ثم حسب عادته لانه قال فعل ايضاً. نفل على الارض وصنع طيناً وطلّى بالطين عيني الاعى^(٢). وامرُ ان يذهب ويغتسل في بركة سلوام^(٣) "فمضى واغتسل واتى بصيراً". ظهرت القوة الالهية في هذا العمل بواسطة البون العظيم بين آلبه وتيحيته. لكن الامر البسيط اي الطلي بالطين كان مهماً لاجل تحقيق العلاقة بين الفاعل وفعله. ولجل احياء الايمان في قلب هذا العليل. بما ان الايمان هو الشرط المجازم في الابرأ. كان مهماً ايضاً ايضاح ضرورة الطاعة التي هي ثمر الايمان. يقتضي ان يأتي بعد فعل يسوع فعل الاكبه والا فلا ينتفع من فعل يسوع. ليست النتيجة العجيبة التي حصلت ثمر فعل الاكبه لكنها توقفت على ذلك الفعل. لو لم يؤمن لما أطاع ولو لم يطع بعد ايمانه لما جاز ان يقال انه آمن. آناه الابرأ لانه آمن لكن لانه آمن ايماناً بثمر بالطاعة. وهذه على الدوام قاعدة الخلاص والايمان والاعمال. من يؤمن يخلص لان من يؤمن لا بد له من ان يعمل. فان لم يعمل حسب الفرصة المعطاة له يحكم انه لم يؤمن. فيهلك ليس لانه لم يعمل بل لانه لم يؤمن ايماناً صحيحاً

نرى هذا الفقير ماراً بين الجماهير بعد الطلي وقبل الاغتسال ووجهه

(١) يوحنا ٩: ١ (٢) ألف اهل تلك الاجيال والبلدان استعمال لعاب الفم (الريق) والطين لاجل الالتهاب البسيط في العين. ولكن ليس عاقل يتصور ان هذا الطين يهب بصراً جديداً كاملاً ولا سيما لآكبه (اي مولود اعى) (٣) هذه البركة التي يخرج منها من تحت فتحة الهيكل في لجهة الجنوب عن موقع الحرم الشريف تحت الجامع الأقصى واسمها حالياً بركة سلوان وفي العهد القديم شيلوه نح ١٥: ٣ واش ٦: ٨ يقولون انهم كانوا ينسبون الى مياه هذه البركة فعلاً صحيحاً كما الى مياه بركة بيت حسدا. فان صدق ذلك نحسب ان يسوع ارسله اليها وليس الى بيته للاغتسال بالماء الاعنيادي تنشيطاً لايماناً الجديد الضعيف وتسهيلاً لطاعته

ملطخ بالطين وسيره جدي فوق العادة ما ينبه الناظرين ويهيج عليه الاستهزاء. ولا سيما ان اجاب على السؤالات عما يقصد. لكن الاستهزاء لم يشنه عن طاعته ولا نصائح العقلاء له ان لا يتقاد لكلام غريب مكروه من امته. وان لا يعرض ذاته للازدراء والتهديد. لان عمله لا بد من ان يثير عليه غيظ الرؤساء لكونه يعمل في السبت ضدًا لتعاليمهم. كل هذا لم تطف فتيلة ايمانه المدخنة ولم ترده عن الذهاب لما امره يسوع. ولما نال البصر عاد الى المحل الذي فارق يسوع فيه ليمتع بصره الجديد بروية المفضل القدار الذي انعم عليه بهذه الهبة التي لا تثمن. فيقدم له الشكر اللائق والواجب. ويستمد منه ارشادات جديدة دينية يرى ذاته بافتقار اليها. لكنه لم يجد يسوع هناك ولم يجد من يهديه اليه. هذه المعجزة رمز مناسب جدًا للخلاص. لكونها منحت هذا الاكبه ما لم يكن له سابقًا. لا يصح هذا القول في سائر المعجزات لانها حتى اقامة الموتي كانت انما تعيد للانسان ما كان له اصلاً وقد خسرته. لكن مصيبة هذا الرجل الكبرى هي انه اكبه في المعنى الروحي ايضاً. لانه ولد في الاثم والخطيئة كما ذكره الرؤساء^(١). ففتح يسوع مع البصر الجديد الجسدي ما هو أهم بما لا يقاس وهو بصر جديد روحي

فلأن هذا كله حدث في يوم سبت كان سكان العاصمة متخفين عن الاشغال العادية يطوفون الاسواق جماهير مستعدين للتفرج والتحدث بما يجري امامهم ويتمشون ذهاباً واياباً الى الهيكل والجامع لاجل العبادة القانونية. فالمتعصبون لما رأوا هذا ماشياً في السبت يطلب الشفاء حقوا عليه وارادوا مجازاته لمخالفته شريعة السبت المقدسة^(٢). والمترفقون خافوا من الاولين ولم يجسروا ان يتصرفوا لهذا المحسن او لهذا المحسن اليه. لان الرؤساء كانوا قد تعاهدوا ثم اعلنوا جهاراً انه ان اعترف احد بان المسيح يخرج من المجمع

(١) مز ٥١: ٥ (٢) كانت احدي فرائضهم تحريم على الانسان مسح جنسه بلباغ يوم السبت معالجة لالتهاب فيه ما لم يكن خطراً كلياً على بصره

لما فشل هذا الرجل في طلب رؤية شافيه رجع الى بيته ليروي نفسه
لوالديه ولبراها لاول مرة في حياته التي لم تقل عن الثلاثين سنة^(١). وله مثل
هذا القصد لجهة جيرانه ايضاً. الفرق في المحيا بين وجود العينين وعدمه ليس
بقليل. فالغيب الذي حصل في منظر هذا الرجل بسبب تجديد عينيه ثم
ايضاً بسبب هجته الجديدة أوقع الريب (ولا عجب) في الذين كانوا يعرفونه
بعض المعرفة النظرية فقط. لهذا السبب اختلف الراي بخصوصه. واعتقد
البعض ان القول في ابرائه هو اما وهم او خداع. وان هذا البصير ليس هو
ذاك الضرير بل شخص آخر يشبهه. اما هو فلم يرض الا الانتصار للصدق
ثم للمفضل عليه. فصرح "اني أنا هو". لما سأله كيف جرى له ومن شفاه
اجابهم بالواقع. لكن لما سأله ابن هو قال "لا أعلم"^(٢). يتمنى الرجل لو
استطاع ان يهتدي الى محل وجود يسوع ليهدمهم اليه

اما المتعصبون فلأنهم لم يهتدوا الى المسبب لهذه المخالفة التي أغاظتهم
جروا هذا المسكين معهم الى محضر الفريسيين في مجلسهم الملي ليحكم فيه واخبروهم
القصة. لما طلب اعضاء المجلس ان يسمعوها من فم رأساً قصها عليهم. ولما علموا
ان يسوع الذي يبغضونه وينوون قتله فعل هذه المعجزة حاروا في امرهم. ان
حكموا عليه لاجل مخالفة السبت يثبتون المعجزة ويشيعون خبرها فيزيد تمسك
الشعب بيسوع اذ يرجو هؤلاء ان يكون هو المسيح. ولأنه وقت العيد العظيم
لا يستبعد ان الشعب يثير حركة جديدة سياسية وينادي بيسوع مسيحهم
وملكهم. واما ان انكروا حقيقة المعجزة فيخسرون الحجة التي فرحوا بها للحكم عليه
بأنه دنس السبت. لذلك ترددوا وناقضوا ذواتهم. لانهم اثبتوا المعجزة اولاً
وافتكروا الآن ان بلاشوا تأثيرها بقولهم ان فعلها في السبت برهان ان الفاعل

(١) يظهر هنا في قول والديه انه كامل السن (٢) سطر في توارينهم خبر
معجزات عظيمة وعديدة فعلها الانبياء في القديم ولكن ليس بينها كلها اعطاء بصير لضرير
ولا سببا لاكمه. فلا تعجب من رغبتهم في رؤية يسوع بعد رؤيتهم ما فعل

ليس من الله . بالنتيجة يكون قد فعلها بقوة الشياطين
 لكن قوماً في المجلس^(١) اعترضوا على هذا الرأي بقولهم "كيف يقدر
 انسان خاطيء ان يعمل مثل هذه الآيات". فحصل انشقاق في ذات المجلس
 بسبب ما ظهر من ذكاء هذا الرجل وبساطته واخلاصه . فغيروا خططهم
 وعمدوا الى الحيلة المعاكسة للاولى . حاولوا انكار المعجزة لعلمهم بنجحون في تحقير
 يسوع بالاحتيال والتهديد والاحتجاج . وطلبوا ان يجرؤوا الرجل وابويوه الى
 انكار المعجزة او الى التناقض في الاستنطاق لكي يشهروهم ككذابين او
 مخدوعين

لكنهم لم يفلحوا . بل كلما اعادوا عليهم سوء الاتهم انجلت الحقيقة اكثر
 فاكثر . جبن والديه جعلها يتركانه وحده ليدافع عن الحقيقة التي يعلمانها .
 اذ خافا من الحرم الديني . اما هو فظهر جرأة وحكمة غريبتين . افهمهم بحججه
 ونجلهم على تحجيم . اخيراً استخفوه على الصورة المصطلح عليها عندهم في طلب
 اعتراف المجرم بجرمه . وهي الصورة التي استعمالها يسوع مع عخان^(٢) . "أعط
 الآن مجداً للرب اله اسرائيل" يعني مجداً للاله الذي هو الحق بمراعاة الحق
 في استنطاقك . لان الحق سبحانه يثيب الصادقين ويعاقب الكاذبين . لكنهم
 الآن يبذلون جهدهم في اجبار هذا الرجل على انكار الصدق والحلف كذباً
 لينفذوا غايتهم في يسوع . ومع ذلك يقولون "أعط مجداً لله". بذلك ظهر
 عمق ريائهم في الدين وفراغ ضميرهم من الحق واباحتهم المحرمات بل حضهم
 عليها لاجل نيل مراماتهم العدائية . عندما طلبوا منه هذا اليمين عصي امر
 رؤسائهم وأدى تلك الشهادة الشهيرة التي اصبحت كمثل جميل متعارف . قال
 "اعلم شيئاً واحداً اني كنت اعمى والآن أبصر". هذا القول هو قاعدة كل
 من اخبر الخلاص بيسوع بواسطة الايمان الحي . ولانه يقدم هذه الشهادة عينها

(١) ولعل نيقوديموس كان قائدهم لان هذا القول يشبه قوله منذ ثلاث سنين انظر

يو ٣: ٢٢ (٢) يش ١٩: ٧ انظر ا ص ٦: ٥ وار ١٢: ١٦

كلام هذا الرجل اخيراً كان توبيخاً لرؤسائه. لما كرروا سؤالهم ليوقعوه قال "قلت لكم ولم تسمعوا لماذا تريدون ان تسمعوا ايضاً. أأعلمكم انتم تريدون ان تصيروا له تلاميذ؟ فستموه مفتخرين عليه انهم تلاميذ موسى بينما هو تلميذ هذا الجليلي الجهول الاصل. شتموه بحجة انه ضل وكفر في تسميته نبياً. فاعاد غريم الكثرة عليهم بتجليله اياهم لانهم وهم معلمو الدين يجهلون اصل شخص قادر على عمل يبرهن انه من الله^(١). ختم بكلام قوي زاد برهان ذكائه واقدامه وايمانه. ذكر هؤلاء العلماء في الكتاب ان كل توارينجهم منذ نشأة العالم لم تأت بشاهد واحد لمنح البصر لمولود اعى. ثم قال "نعلم ان الله لا يسمع للخطاة. ولكن ان كان احد يتقي الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع. لو لم يكن هذا من الله لم يقدر ان يفعل شيئاً". لقوله هذا مستند في بعض آيات الكتاب^(٢). فالخطاى الوحيد الذي يسمع له الله هو الذي يقدم توبة حقيقية صادقة امامه تعالى. فشاطوا غيظاً عليه ورشقوه بهذه السهام "في الخطايا ولدت انت بمجملتك وانت تعلمنا؟" ثم حكموا عليه ووضعوه تحت الحرم الاعظم^(٣) "واخرجوه من المجمع"

مع ان يسوع كان قد توارى عن ابصار هذا الرجل فلم يعرف هيئة مخلصه لم يبرح هذا من اهتمام يسوع به. وزاد اهتمامه بعد ما جرى على الرجل من النصاص الظالم. فقصد ووجده وقال له "أتؤمن بابن الله؟" ^(١) راعي

(١) نسبهم يناقضون كلامهم السابق لما قالوا ليس هذا هو المسيح لاننا نعلم من اين هو واما المسيح متى جاء فلا يعرف احد من اين هو (يو ٣٦:٧ و ٢٧) اما الآن فيقولون انه ليس المسيح لانهم لا يعلمون من اين هو (٢) مز ١٨: ٦٦ و يو ٢٩: ٨

(٣) بين درجات الحرم الثلاث اعظمها (٤) يعلم من بطالع النسخ الاصلية اليونانية للانجيل ان بعضها يقرأ "أتؤمن بابن الانسان" فالذي يزيد الحق بان تختار التي تقرأ "ابن الله" وليس "ابن الانسان" هو سجد هذا الرجل بعد هذا السؤال. ومع ذلك فان اليقين بلاهوت المسيح لا يتوقف مطلقاً على مجرد حروف وآيات مفردة قد يقع الخطأ في نقلها بل هي مسنودة على آيات عديدة لا اختلاف في صحة نقلها فضلاً عن اشارات وحوادث لا تحصى

يسوع في هذا السؤال المبدأ الذي اعلنه لما صلى "احمدك ايها الآب رب السماء والارض لانك اخفيت هذه عن الحكماء والفهاء واعلنتها للاطفال . نعم ايها الآب لان هكذا صارت المسرة امامك" (١). لم يعتن ان يعلن ذاته كابن الله للعلماء في الامة . لكنه اعلن ذلك لهذا الفقير الميال الى الايمان . والذي ظهر جوهره لما اجاب "من هو يا سيد لأومن به" ؟ حالاً اناره يسوع بقوله له كقولهِ للسامرية الخاطئة "قد رأيته والذي يتكلم معك هو هو" (٢)

ما اصعب هذا الجواب على مسامع يهودي متمسك بالتوحيد . كيف يكون هذا الرجل الذي امامه ابن الله وكل ملاحه بشرية ؟ فان كان حقاً ابن الله يقتضي السجود له حالاً . ولا فلا يجوز بل يكون السجود له خطيئة عظيمة . عرف واعترف اولاً ان يسوع نبي ولم يسجد له . واما الآن فيسجد . لانه صدق قوله في نفسه انه ابن الله بمعنى يميز سجوداً له لا يعطى لنبي او ملك او ملاك . في هذه الساعة تم ابراء هذا الرجل من عماه الروحي الذي ولد فيه . فابصر جلياً ورأى امامه بعينه الجسديتين يسوع الناصري ابن مريم وبعين الايمان رأى ابن الله الوحيد . اخذ هذا المسكين من رؤسائه الشنيعة والحرم . لكن يسوع عوض عليه اضعاف الاضعاف بالبركة والخلاص . اولئك اخرجوه من المجمع واغلقوا في وجهه باب النظام الديني والحقوق المذهبية . لكن يسوع ادخله الى ملكوت الله وفتح له باب السماء . اذا لم تكن مصيبة هذا الاكهه انه خارج عن احاطة العناية الالهية به . ظهر الآن صدق قول يسوع انها كانت لتظهر اعمال الله فيه . وليتم للمصاب خير عظيم . بسبب عماه اهتدى الى الخلاص الابدي ورج صداقة هذا الخل السماوي الذي قال عنه الشاعر

للورى خلٌ وحيدٌ ما له اصلاً نظير
حبه حبٌ شديدٌ لا يكافى بالكثير

ونال ذكراً شريفاً موبداً في التاريخ . ثم انه خدم يسوع بنشر صيته

انتشاراً جديداً وبشهادته الصادقة له . وخدم ذوي القلوب السليمة حوله باعطائهم اسباباً كافية للجأوا الى هذا المخلص وينالوا به خلاصاً . كل هذا نتج عن عماءه ولربما فوق هذا كثير مما لا نعلمه . أفلا يحق لنا ان نتصوره بين القديسين في السماء يقدم شكراً وافراً على الدوام لانه ولد أعني؟ (١)

يلاحظ القارئ النبيه ان هذا الاكبه خلافاً لاكثر الذين شفاهم يسوع نال ما نال دون طلب قدمه . ماثل الكثيرين الذين تسبق بركاتهم صلواتهم وذلك من كرمه تعالى الفائق الادراك . كانه عثر عرضاً على الكثر الخفي في الحقل . صح فيه القول الالهي " اصغيت الى الذين لم يسألوا . وجدت من الذين لم يطلبوني (٢) وقبلما يدعون انا أجيب وفيما هم يتكلمون بعد انا اسمع (٣) لما اعترف هذا الرجل بايمانه بيسوع وسجد له كان حاضراً بعض الفريسيين الذين رفضوه فقال يسوع على مسمع منهم انه قد أتى الى العالم لاجل الدينونة . يذكر القارئ ان يسوع قال عكس هذا القول سابقاً (٤) . هذه المناقضة في الصورة لا في الحقيقة وسببها استعمال كلمة دينونة لاكثر من معنى واحد . ختم كلامه امام هؤلاء الفريسيين بتصريحوه ان الذين لا يشعرون بعمائم الروحي يهبطون الى الهاوية حيث العمى الجسدي والروحي الموبد قال " الآن تقولون اننا نبصر فخطيتكم باقية "

حتماً انك تحسد ايها الاكبه المجهول الاسم لاننا نرى فيك باكورة جيش الذين تألموا لتمسكهم بيسوع المسيح . بين جميع الذين شفاهم يسوع انت الوحيد الذي عرفنا عنه انه اظهر شكره لشافييه بالمجاهرة انتصاراً له امام خصومه . انت اول الذين بعد ظهور المخلص نالوا منه الطوبى التي للمطرودين من اجل البر (٥) . هل في قلبك أسف الآن وانت بين الذين أتوا من الضيقة

(١) لم يذكر الانجيل من المعجزات التي فعلها يسوع في اليهودية في كل مدته سوى

(٢) اش ٢٤:٦٥

(٣) اش ١:٦٥

هذه المعجزة ومعجزتين أخريين

(٥) مت ١١:٥ ولوقا ٢٢:٦٧

(٤) يوحنا ١٧:٣ و٤٧:١٢

العظيمة فتجدوا امام العرش الالهي^(١) لانه في شهر ك ١ السنة ٢٩ م في يوم
سبت اخرجك رؤساء دينك خارجاً عن المجمع والقوا عليك حرمهم الكبير .
ألم يعزّزوا بذلك مجدك الابدي ؟ ألا نسمع صوتك من امام العرش مشجعاً
كل من يقاوم على الارض لتمسكه بايمانه بذلك الراعي الصالح الذي يقود الى
مراعٍ خضر والى مياه الراحة ؟ اما صورة هذا الراعي فقدمها يسوع آنثذ
لرؤساء اليهود في خطاب جليل طامع بالتعاليم والتعزيات الروحية
رأينا كيف لم يسكت يسوع لهؤلاء الظالمين الذين حرموا هذا الاكبه
لاجل شكره ومحبه وشهادته للذي منحه البصر . أليس فخر الرجولية الانتصار
للضعيف المحقر المظلوم ؟ نتج عن هذا الاصطدام بين الرؤساء ويسوع شرارة
نور ثمينة هي مثل الراعي الصالح^(٢)



(١) رؤ ٩: ١٧-١٨ يوحنا وحده دون هذا المثل ولم يرد في بشارته
من امثال يسوع العديدة الا هذا

الفصل الخامس والثلاثون

لو ١١: ١-٤٠ يو ١٠: ٢٢-٤٢

(المرصع) ف ٢٨ و ٢٩ (الزمان) ت الى ك ١ السنة ٢٩ م
(المكان) اورشليم

الرعاة الامناء والغير الامناء . يسوع الراعي الصالح . عيد التجديد . الحديث في الصلاة . اخراج شيطان من اخرس . اتهام يسوع بالاشتراك مع الشياطين . الويلات على مائدة القريسي . جوابه للناموسي

امام يسوع الآن رعاة شعب الله المختار القانونيون . فكيف يقتضي ان يكلمهم ؟ في صفته النبوية الاصلية كلم اسلافهم بروحه في الانبياء قديماً الذين نطقوا بالتوبيخات الشديدة المرة^(١) . وهؤلاء الذين خلفوهم بماثلونهم ويزيدون عليهم بالاخلال في هذه الوظيفة المقدسة فيستحقون ذات المعاملة بل اشد منها . وقد اثبتوا وجددوا هذا الاستحقاق السيء في معاملتهم هذا المسكين الاكبر من ابناء رعيتهم الذي كان يجلس ويستعطي الى ان منحه يسوع البصر ولهذا يسميهم سراق ولصوص . لانهم لم يدخلوا على وظيفتهم الرعائية من الباب الوحيد الذي عينه الله الذي هو يسوع ذاته . بل طلوعوا من موضع آخر . ولم يدخلوا بدعوة الهية . ولا لاهلية فيهم . بل لنجاحهم في الوسائط السياسية . دخلوا من الثلمات في سور المحظيرة كالارث او الحماة او

(١) اش ١١: ٥٦ وار ٦: ٥٠ وزك ٢: ١٠ و ٥: ١١ و حز ٢٤

التليق او الرشوة او المحيلة او الاستبداد . فا الفائقة من تسلسلهم الهروفي ورسامتهم القانونية وغير ذلك من الشروط الرسمية الخارجية طالما هم نائمون عن الباب بتصورهم واشتهائهم مسيحيًا سياسيًا . هو ذاته الباب . والى اليوم لادخول مبارك على الخدمة الرعائية الا من هذا الباب

قال احد اللاهوتيين "ان الراعي الحقيقي بين البشر هو الذي يتقلد هذه الوظيفة حبًا للمسيح ويقصد تجيد المسيح ويعمل عمله بقوة المسيح ويعلم تعليم المسيح ويسلك في خطوات المسيح ويسعى لبأني بالنفوس الى المسيح . ولا يصح الخروج ايضا الا من هذا الباب . اي ان الراعي الديني لا يجوز له ان يترك هذا العمل الا باستئذان هذا الذي هو الباب وسماحه . قال "الحق الحق اقول لكم اني انا باب الخراف . ان دخل في احد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى . فالباب للرعاة هو الباب ايضا للرعية اي لافراد المؤمنين

فسر البعض ان البواب المذكور في هذا المثل هو الروح القدس . يعني ان اتصال الراعي الى قلوب رعيته بقوة روحية لخلاصهم وبنائهم لا يكون الا بفعل هذا الروح . كما ان تأثير يسوع في تبشيريه كان يعزى الى هذا الروح

انما وصف يسوع بانه الباب لا باني مطلقا بحقوق كالاتيه . فهو ايضا الراعي ذاته . ولا يوجد تشبيه آخر يخلو لاسرائيلي نقي كالتشبيه بالراعي . لان شعبه هم من سلالة رعاة تبتدى من ابراهيم ثم احفاده ثم نسلهم الذين نزلوا الى مصر ثم عند صعودهم منها . ثم موسى وداود وعاموس وسواهم . والترنيمات في مزامير داود كانت تصور الرب راعيا . فكان يصلي "يا راعي اسرائيل . يا قائد يوسف كاضان" (١) . وكان يقرأ في نبوة اشعيا "هوذا السيد *** كراع برعى قطيعه . بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يجملها ويقود المرضعات" (٢) . ثم ان أحلى المزامير كلها وبيت القصيد فيها مزموه الراعي

الذي مطلعهُ "الرب راعيّ فلا يعوزني شيء. في مراعي خضر يرُبضي. الى مياه الراحة يوردني. برّد نفسي يهديني الى سبل البر من اجل اسمه. ايضاً اذا سرت في وادي ظلّ الموت لا اخاف شراً لانك انت معي. عصاك وعكازك هما يعزّيانني" (١)

ليست مهنة الراعي مهنة فخر ودلال. بل هي مخوفة بالمتاعب والمخاطر في الوعور وبين الوحوش الضارية. فيسوع كالراعي الصالح تجلّ اعظم المتاعب والمخاطر ثم بذل حياته ليخلص خرافه الخاصة. بينما الذين ساءم سُرّاقاً ولصوصاً لا يأتون الا ليسرقوا ويذبحوا ويهلكوا. والذين ساءم أجرى لا يدافعون عن الخراف في ساحات الخطر وساعاته. بل يهربون ويتركون القطيع يتشتت ويفترس. "لانهم لا يبالون بالخراف"

فقصد الذئب الخصوصي ليس الراعي بل الخراف. والفريسة الخصوصية التي يترصدّها ابليس لاهلاكها هي تلاميذ المسيح. فلكي يسلم هؤلاء من مخالبه ذاق يسوع موتاً لا يستحقّه. واحيا الموتى بموته الذي برهن القيمة العظيمة التي يقدّرها خرافه اجمالاً وافراداً. وهو يعرف كل فرد من قطيعه معرفة تامة تتناول اساءهم وجميع اسرارهم وخفيّاتهم. ومعرفة الدقيقة واهتمامه التام بكل فرد من رعيته التي لا تحصى ليست باقل الآن مما كانت عليه لما اسلم نفسه على الصليب

وفي وظيفته الرعائية يقوم بالقيادة النبوية والاقانة الكهنوتية والحماية الملكية. فكراعي نبوي محب لا يسوق خرافه الحقيقيين بل يقودهم سائراً امامهم ومنتقياً لهم افضل المراعي. وكراعي كاهن يقدّم ذاته ذبيحة ليطعمهم جسداً مأكلاً حقاً إذ هو خبز الحياة النازل من السماء. وكراعي ملكي يتلقّى امامهم كل

(١) مز ١٢٣: ١-٤ سبق. القول بتشرّف الرعاة عند مجيئ المسيح باختيار الله

ايامهم ليبشروا بالميلاد الجديد قبل جميع الناس

المخاطر والاعلاء وبانتصاره عليها بحججهم وينصرهم ايضاً. وهم في دورهم يعرفونه معرفة جيدة ليست لغيرهم من البشر. ويسمعون صوته ويتبعونه ولا يصغون لصوت غير صوته. وهذا الحصر هو من علامات الخراف الحقيقية

لاحظ يسوع اثناء خطابه انهم لم يفهموا كلامه. فكررهُ وفسره موضحاً لهم انه يضع نفسه عن الخراف تبرعاً. فيحقق له القول "لهذا يحبني الآب لاني اضع نفسي لآخذها ايضاً. هذه الوصية قبلتها من ابي". وهذا يشبه قول اشعيا (١). ووضح لهم ايضاً ان له سلطاناً ان يسترد حياته البشرية بعد وضعها ابي ان يقوم بقوته الذاتية بعد هذا الخضوع الاختياري للموت

ثم صرح ايضاً باهتمامه "بالخراف الأخر التي ليست من هذه الخطيرة" بقصد المتعلق بها. قال "ينبغي ان آتي بتلك ايضاً لانها لي فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد". لكن مسيح سامعيه هو لليهود فقط. فمسيح يقصد ضم الامم الخارجية الى شعب الله المختار لا يقبلونه قطعياً. فدل كلام يسوع صريحاً على انه لم يكن ابن عصره ولا افكاره ثم تر بيته. لانه خالف تماماً المحيط الذي نشأ وعاش ضمنه.

ورد في هذا الخطاب اقوال كافية لتتكرر القسم الاعظم من سامعيه. فقالوا "به شيطان وهو يهذي لماذا تسمعون له". اما القسم الآخر وهو الاصغر فلم يسكت عن هذه التهمة بل أجاب "ليس هذا كلام من به شيطان". واسندوا جوابهم الى المعجزة الجديدة التي كانت المقدمة لهذا الخطاب "فقالوا ألع شيطاناً يقدر ان يفتح اعين العميان". اما نحن فنضيف على برهانهم الاستفهامي برهاناً آخر ونسأل على فرض الشيطان يقدر ان يفتح اعين العميان هل يمكن ان يريد فعلاً خيراً كهذا؟ أفلا تكفي الرحمة في هذا الشفاء برهاناً انه ليس فعل

(١) آثامهم هو يحملها. لذلك اقسام له بين الاعزاء ومع العطاء يقسم غنيمة. من اجل انه سكب للموت نفسه. وأحصى مع آثمة. وهو حبل خطيئة كثيرين وشفع في المذنبين (اش ٥٣: ١٢)

شيطاني ؟ لو اراد الشيطان الخير للناس لما كان شيطاناً . فغباءة الرؤساء كانت تظهر بنوع خصوصي في نسبتهم اعمال يسوع الخيرية الى الشيطان . وكانوا بذلك يشبهون على انفسهم حكم يسوع عليهم بانهم عميان . ولماذا لم يذكر هؤلاء العلماء في الكتاب ان في التوراة وضع منح البصر للعميان من جملة علامات المسيح واقعاله^(١)

فالانشقاق الذي وقع بينهم بسبب هذا التعليم لا يعيبه . ألم يقل يسوع سابقاً انه لم يأت ليلقي سلاماً بل سيفاً^(٢) وانه اتى ليفرق^(٣) . لانه من طبيعة الحق ان يفرق بين الذين يقاومونه والذين ينتصرون له . هذه هي المرة الثالثة لذكر وقوع الانشقاق بين اليهود بسبب كلام يسوع واقعاله^(٤)

عظم اليهود عيداً سنوياً آخر سموه عيد التجديد^(٥) ولانه ليس وضعاً الهياً كالنصح والمظال والخمسين لم يكن الصعود فيه الى اورشليم من الفروض الدينية . كان يتدئ هذا العيد الذي مدته ثمانية ايام في ٢٥ شهر كسلو الذي يضم أوأخرك ١ مع أوائل ك ٢ . فكان قريباً من اليوم الذي اصطلح عليه المسيحيون تذكراً لولادة يسوع المسيح . واساسه ما حدث بعد ما دنس ملك سوريا الظالم انتيوخس ايفانيس الهيكل لما اخذ المدينة في سنة ٦٧ اقم^(٦) فلما قام القائد اليهودي المكابي الشهير يهوذا وجدد الهيكل تعين تاريخ تجديد عيداً مهماً عندهم فصار امراً طبيعياً ان يغلب فيه روح الابتهاج المتناهي . ولذلك كان الجمهور العظيم يأتي فيه الى العاصمة اخنيارياً^(٧) وكانوا

(١) اش ٥: ٣٥ و ١٨: ٢٩ و ٧: ٤٢ (٢) مت ٢٤: ١٠ (٣) مت ٢٥: ١٠

(٤) يو ١٦: ٧ و ١٦: ٩ (٥) وفي لغتهم شنوحة (٦) سفر المكابيين الاول

٢٢: ١ و ٢٩ و ٦٣ (٧) يؤخذ خبر اصل هذا العيد من الاسفار اليهودية المعروفة

بالابوكريفا (انظر سفر المكابيين الاول ٥٩: ٤) هذه الاسفار تعتبر اجمالاً ككوارنج صادقة .

لكن اليهود لا يتخذونها جزءاً من التوراة . ولا من اسفار الوحي . فيما ان المسيحي أخذ من

اليهودي توراة لا حق له ان يضيف ما لا بعده الشعب اليهودي من التوراة

يزيدون على زينة المدينة بالازهار والاغصان نهارة وبالمصابيح والمشاعل
ليلاً زينة صدر الهيكل بتيجان وتروس ذهبية

ينبهر البشير يوحنا وحده ان يسوع حضر هذا العيد وذلك في سنته
الاخيرة وقبل صليبه بخو ثلاثة اشهر . وكان حضوره مناسباً لاتفاق موضوع
الاحتفال مع قصد يسوع الذي اتى بعيد تجديد مبعث هو تطهير هيكل الله من
تدنيس الخطايا المستولية على الناس . حفظ يسوع تماماً القانون الذي وضعه
لغيره والذي يقضي بمحبة العدو . وكان حبه الحقيقي الخالص لاعدائه هو الدافع
لتوبيخاته القاسية وادائه المرأة . وكان قصص الدائم ان يفتح امامهم باباً واسعاً
للايمان به لخلاص نفوسهم من الهلاك وحفظ امتهم ومدنيتهم وهيكلهم من
الخراب . وهذا الفتح جدده في هذا العيد ابان الاحتشاد الغير الاعيادي في
دور الهيكل وفسحات العاصمة . ولكون ساعته قد اقتربت يجوز له ان يخاطر
اكثر ويعرض لهيجان اليهود عليه بسبب ايضاح حقيقة شخصيته وتعليمه
امامهم اكثر من قبل

فنقرأ انه في احد ايام العيد بينما كان يتمشى في رواق الهيكل بسبب
الشتاء احاط به اليهود (١) (اي رؤسائهم) (٢) اللاجئون للسبب ذاته الى
هذا الرواق الشرقي المعروف برواق سليمان (٣) . مؤامرتهم عليه معروفة
وقصدهم مكشوف لدى العموم . فاتفقوا على هذا السؤال "الى متى نعلق انفسنا؟
ان كنت انت المسيح فقل لنا جهرًا" . ولانهم يتصورون وينتظرون مسيحاً
سياسياً لا يجيبهم "نعم" . ولانه حقاً المسيح لا يقدر ان يقول "لا" . فاحال
على ضميرهم الجواب على سؤاها مذكراً اياهم ان كلامه السابق كان جواباً

(١) في اليونانية كما في العربية تطلق كلمة شتاء على فصل الشتاء وايضاً على المطر .
ولهذا فالشتاء المذكور يشير الى المطر (٢) اصطلح البشير يوحنا ان يكنى عن الرؤساء
بكلمة "اليهود" (٣) يقول يوسيفوس ان هذا الرواق أو اكثره سلم وقت خراب
الهيكل الاخير

كافياً لو كان لهم ميل ان يدعنوا للحق ويقبلوا مسيح الله الحقيقي بدلاً من مسيحيهم الوهمي

الشجرة تُعرف من ثمارها لا من مجرد اسمها . فذكرهم ان له اعمالاً قد عابنوها تفصل هذه الحيرة التي تظاهروا بها رياءً . ونستروا وراء الشكوك التي لم تكن الا غطاء واستعداداً للانكار . فعليهم ان يدرسوا اعماله ليس من وجه قوة المعجزات فقط بل بالحري من وجه الصلاح الخيري . وان يلاحظوا كيف يعمل كل اعماله باسم الآب الذي ارسله وليس لاجل التعظم الذاتي . فاعماله الظاهرة برهان كونه المسيح . ليس ان اعماله تصيره ابن الله . بل انها علامة لذلك . كما وان الاعمال الصالحة لا تصير الانسان من اهل الخلاص لكنها علامة لذلك بشرط انها من التي يراها فاحص القلوب صالحة

قد مضى على هذا العيد نحو شهرين مذ اوضح لهم في مثل الراعي الصالح ان خرافه تعرفه وتسمع صوته وتتبعه . فيوضح لهم الآن انهم ليسوا من خرافه في عواطفهم القلبية . ولذلك يرفضون اجلي البراهين على كونه مسيحيهم . ويرفضونه لانه لا يجاريهم على اميالهم . جاذبته القوية للأشخاص الذين يستحقون اسم الخراف بالمعنى الروحي برهاناً ثانٍ . هولاء بفعل الروح الالهي في تجديدهم يميلون الى الراعي الصالح . والراعي الصالح يُعرف من ميل الخراف اليه واتباعهم اياه . كما يميز الفولاذ المغنطيسي عن الحديد البسيط عند وضعه بين قطع الفولاذ وجذبه اياها . قال في خرافه " ان تهلك الى الابد ولا يخطئها احد من يدي . ابي الذي اعطاني اياها اعظم من الكل . ولا يقدر احد ان يخطئ من يدي " (١) اما الذين يحسبون ذواتهم ومحسبهم الناس من خرافه ثم يرتدون عنه فامرهم موضح في قول الرسول " منا خرجوا . لكنهم لم يكونوا منا . لانهم

(١) من مطالعة الاصل اليوناني يظهر ان قوله انه يعطي خرافه حياة ابدية يشير الى الوقوع الحاضر والمستقبل . أي ان الحياة الابدية تنبئ في هذه الدنيا في قلب الحياة الحاضرة والا فلا تكون

لو كانوا منا لبقوا معنا . لكن ليظهروا انهم ليسوا جميعاً منا^(١) . من نتحقق
انه من خراف المسيح اصبح تحت كفاليته انه لا يهلك . فيستحيل على ابليس وعلى
العالم خطفه من يد راعي السماوي . وان ضلّ فهذا الراعي يردّ نفسه ويهديه
”الى سبل البر من اجل اسمه“^(٢)

اليقين المسيحي المبني على هذه الآية مع امثالها هو مرساة لنفس المؤمن .
ولاسيما في ساعة السقوط . ولكن لئلا يتصور احد ان هذا اليقين يفتح الباب
للبقاء في الخطيئة طمعاً بكفالة يسوع انه لن يهلك نذكر مثل هذا بان الحياة
الابدية التي يعطيها يسوع لخرافه حياة سماوية من دأبها ان تكره الاثم وتحب
ارضاء الآب السماوي . لان كل من يرضى ان يبقى في اي نوع كان من الاثم
(اي حسب قول داود كل من براعي اثماً في قلبه)^(٣) يبرهن بذلك انه
ليس من خرافه الخاصة . ومن يطلب فقط الخلاص من عذابات الآخرة
لا محل له بين الخراف التي يجمعها الملك عن يمينه في يوم الحساب . وكل من
يجب الخلاص حباً صادقاً ويقصد باستقامة ثابتة ان يتخلص من كل ما يخالف
ارادة هذا المخلص يحق له ان يطمئن على رغم سقطاته . وان يتمسك بقول
الرسول ”ان الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل الى يوم يسوع المسيح“^(٤) .
وبقول الحكيم قبله ”الصدّيق يسقط سبع مرات ويقوم“^(٥) . لا يعقل ان
المخلص القدير يتندى بعزل ويفشل فيه اخيراً . ليس لغير خرافه ان يدركوا
هذا السر الذي يعني وهم الخراف فقط

في هذا الخطاب تظهر جلياً امارات طبيعته الالهية التي خولته حتى التكلم
على صورة لانه لا يجوز لانسان هو مجرد بشر . لانه سمي المؤمنين خرافه . وقال انها
تسمع صوته ليس انها تسمع صوت الرب كما كان يقول الانبياء . وان الكلام
كلامه (لم يقل كلام الرب) وان الخراف تتبعه . وانه هو الذي يعطيها حياة

(١) يو: ١٩: ٢٢ (٢) مز: ٣٢: ٢٣ (٣) مز: ٦٦: ١٨ (٤) في ٦: ١

(٥) ام ١٦: ٢٤

أبدية . وإنما في بك هو . ولا أحد يخطئها من بك . وله الحق ان يقول انها لن تهلك أبداً . قال أولاً انها لا تُخْطَف من بك . ثم انها لا تُخْطَف من يد ابيه (١) . فليلاً يُظن ان هذين القولين متنافيان ختم خطابه بالقول " انا والآب واحد " . وفي هذه العبارة اعلن التوحيد والثنية في الله في وقت واحد

سقط هذا الخنام الخطير على الرؤساء السامعين كصاعقة هيّجهم حتى لم يعد لهم الا الاختيار بين امرين . اما ان يعبدوه كال المسيح ابن الله الوحيد . او ان يرجوه كمجذوف حسب نصّ ناموسهم . " فتناولوا حجارة ليرجموه " . لكنه قابل هذه الحركة بالبسالة قائلاً " اعمالاً كثيرة حسنة اريتم من عند ابي بسبب ابي عمل منها ترجوني ؟ " اجابوه ان تجديفه هو الموجب لرجوه . " قالوا انك وانت انسان تجعل نفسك الها " . فاجابهم " الذي قدّسه الآب وارسله الى العالم أقولون له انك تجذّف لاني قلت اني ابن الله ؟ " لا يقول نبي عن نفسه ان الآب قدّسه وارسله الى العالم . ولما نفى يسوع عن نفسه التجديف في قوله انه ابن الله عرفنا صدق هذا القول . والأفكان ينكر انه قال ما يحسب تجديفاً في فم مجرد بشر . فلما حاول اليهود ثانية مسكه " خرج من ايديهم " وذهب الى المحل الذي عمده فيه يوحنا المعمدان . ونجح هناك في تبشيريه اذ آمن به كثيرون

وفي احد الاوقات لما فرغ من الصلاة سأله احد تلاميذه ان يعلمهم الصلاة . كما فعل المعمدان (٢) . فاجابه يسوع بتكرار الصلاة الربانية مختلفة قليلاً عن صورتها في وعظه على الجبل (٣) . واردف هذه الصورة بمثل الصديق الذي

(١) تمسك المسيحيون الاولون بشدة بوظيفة يسوع الرعائية في السرايب تحت مدينة رومية التي حفرها المسيحيون وسكنوها ابان الاضطهادات الخفية التي أثارها خصومهم لبيدوم ووجدت النقوش التي كانوا يرسمونها على الحجارة اظهراً لاركان ايمانهم . فالرسم الذي كثر عندهم كان رسم يسوع كراع بيده عصاً يحمل على منكبيه نجمة (٢) لعل السائل أحد الذين كانوا قبلاً تلاميذ المعمدان (٣) انظر ٢٤

يأتي ليلاً ليقترض من صديقه خبزاً ولا ينجح أولاً . لكنه ينجح أخيراً بواسطة لجأجه . وبنى على هذا المثل نصيحة الشهيرة "إسألوا أعطوا اطلبوا تجدوا . إفرعوا يفتح لكم" . أي أولاً سؤال بسيط . وإن لم يكف فاقوى منه أي طلب . وإن فشل الطلب فالقرع . فما نعطاه فوراً هو خير . وما ننجح بعد الطلب هو خيراً عظم . وما نناله بعد القرع هو كمال الخير

ثم أوضح علاقة المؤمنين النبوية مع الله . فهذه تكفل لهم نيل الخير منه . إذ يستحيل أن يسكه عن الذين يحبهم كأولاده . طالما الأب الذي هو بشر ساقط لا يندع ولك ولا يتأخر عنه فكيف يمكن أن الأب السماوي الكامل يندع أو يتأخر . ولا سيما أن طلب منه أولاده عطية الروح القدس اثن عطاياه ؟

وبعد هذا أخرج شيطاناً آخرس^(١) . فتكلم الآخرس ونجيب الجموع . لكن بعضهم كرروا تهمة السابقة أنه حليف رئيس الشياطين ويستمد هذه القوة منه . فافتضى أن يبين لهم أنه لا يحتمل أن يقاوم الشيطان ذاته لئلا تخرب مملكته . وقدّم لهم مثلاً شبه فيه الشيطان المملك في الإنسان برجل قوي مطمئن أنه لا يمكن أن يؤخذ منه ما هو قابض عليه . ثم شبه ذاته برجل اقوى منه الذي يغلبه ويتزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزع غنائمه . وجدّد اعلان الحقيقة أنه في الدين لا تجوز درجة متوسطة . ولا يقدر الانسان ان يلزم الحياد في الحرب بين الحق والبطل بين جيوش يسوع وجيوش ابليس . لذلك "كل من ليس معي فهو علي"^(٢) . ثم كرر قوله السابق عن شيطان يعود الى الحلول في انسان بعد خروجه منه

بناءً على ما سبق ظهر تأثير تعليمه في احترام الجمع . لان امرأة رفعت صوتها مطوبة الام التي ولدت ابناً نظيره . فجاء هذا التطويب طبقاً لنبوة

(١) أنظر الشرح في ف ٢٧ (٢) انظر مت ٢٠: ١٢ والشرح في ف ٢٢

أمه قبل ولادته لما قالت "هوذا منذ الآن جميع الاجيال تطوبني" (١) ففتحت
هذه المرأة باباً لجواب يسوع الجوهري الذي بين فيه ان الطوبى الحقيقية
لا تُبنى على النسب بل على الطاعة لله. ولا على الظروف الخارجية بل على
الصفات الداخلية

وبعد هذا كثر الازدحام حوله وزادت لاجاة الذين كان جلُّ رغبتهم
في ان يريهم آيات جديدة مذهشة. فمع رفض طلبهم وبجهم واصفا اياهم بمجمل
شرير يشبه اهل نينوى المدينة الوثنية الاشورية. وشبه ذاته يونان النبي. الا
انه بين انه اعظم من يونان. ولذلك فهو اولى بان يُصغى الى كلامه. فيكون
الذين خاطبهم شراً من اهل نينوى. لان هؤلاء تابوا بمناداة من هو اصغر
ممن يكلمهم الآن. ولان سامعيه لم يؤمنوا بكلامه ستكون حالتهم في الدين
اصعب من حالة اولئك الوثنيين

ثم قابل بين سامعيه وهم الشعب المختار وبين ملكة سبا الوثنية التي انت
من التيمن بهدايا ثمينة تاركة وطنها وعرشها لتزور الملك الحكيم سليمان
وتصغي الى تعاليمه. فبعلها هذا تدبر في يوم الحساب هؤلاء اليهود الذين لم
يتنبهوا الى تعاليمه وهو اعظم من سليمان وبالاولى ان يُصغى الى كلام
حكيمه. ثم صرح بان نور الصلاح لا يخفى اذ القصد منه افارة الآخرين.
ولكن الذي يعرف ان يعمل صلاحاً ولا يعمل فكأنه يغلق باب الصلاح في
وجه الذين لا يعرفون. ولا حق انه ان يدين هؤلاء الجاهلاء على عدم صلاحهم
ما دام هوليس صالحاً

في اثناء خطابه هذا تقدم اليه فريسي ودعاؤه ليتغدى عنده. ومن توبيخ
يسوع الشديد لجماعة مضيفه نحكم ان قصه كان خبيثاً لا بسيطاً وعدائياً
لاحقاً (٢). فاستاء هذا الفريسي لما رأى ان يسوع يهمل الغسلات الطقسية
قبل الاكل فقراً افكاره وذكره وذكر الحضور ان الفريسيين يهتمون بالنقاوة

(١) لوقا ١١: ٤٦ (٢) قال له يسوع باطنكم مملوء اخنطافاً وخبيثاً

الخارجية تاركين النقاوة الداخلية جانباً وانهم لذلك "اغبياء". فهو يريد ان يهديهم الى الحكمة السديّة التي تقدّم الداخلي على الخارجي. يريد ان يقودهم الى ما هو جوهرى في الدين ليتركوا الاستناد على العرضي. طعن بسيف فيه الحاد تطرّفهم في التمسك بالاعشار المخصصة بالهيكل بينما هم يهلون الجوهريات نظير الحق ومحبة الله. دانهم ايضاً على طليهم الخفية والجور الجهاري من الناس. وذكرهم ان الذين يكرمونهم يجهلون الشر الذي في قلوبهم كما قد يجهل المسافر القبور الخفية التي يدوسها في سفره. فكانت دينوتة هذه ليعلّمهم ان الاكرام الحقيقي يتبع الاستحقاق. فنطق عليهم بالويل لان الذي حاله حالة الويل وهو لا يدري يحتاج الى محب يريه ويبلّ لعله يتخلص من اسبابه

شمل الكتبة ايضاً مع الفريسيين في دينوتته. فاعترضه ناموسي (كاتب) باحترام ظاهري قائلاً "يا معلم حين نقول هذا نشتمنا نحن ايضاً". لان الناموسيين بتفسيرهم وازدحامهم على الناموس ارغموا الشعب ان يحفظوا بكل دقة فرائض طقسية ثقيلة جداً يستعفون هم من حملها. مع انه كان يجب عليهم ان يحملوا من هذا النير اكثر مما يحملوا الشعب. ووثّهم على اهتمامهم باكرام الناس اياهم بدلاً من الاجتهاد لكي يستحقوا ويتالوا الاكرام الالهى الافضل

كان امامهم وهو يتكلم وادي قدرون مكان قبور الانبياء المبيضة والمزينة في هذا العيد. فاشار اليها ووثّهم على اهتمامهم بهذه التذكارات لانبياء قتلهم اجدادهم. وما هم يسلكون سلوك اجدادهم القتلة. ويرفضون تعاليم هؤلاء الانبياء الذين لو ظهروا في زمان سامعيه وتكلّموا ضدّ شرورهم لعاملوهم كما عاملهم اجدادهم. واظهر لهم ان ارتباط الاجيال بعضها ببعض يجعلهم شركاء في المسؤولية عن قتل جميع الذين قتلوا في سبيل الله اضهاداً. فلما كانت المجازاة الالهية تتبع الافكار مثل الافعال سينالون المجازاة التي كانوا يستحقونها لو ظهر بينهم الانبياء وتيسّر لهم ان يقتلوهم. وفوق ذلك يؤخذ كلامه كنبوة عمّا يريدون ان يفعلوه به الآن لو سنحت لهم الفرصة. وما سيفعلونه به لا محالة في وقت

قريب متى انت ساعة . ونبيهم ايضاً لانهم لم يستفيدوا من علومهم الدينية كما يجب . ولا انهم اضلوا البسطاء واغلقوا في وجههم باب المعرفة في الامور الالهية ورثوهم عن طريق الخلاص

كانت نتيجة هذه الولىمة وكلام يسوع قبلها وبعدها حق جديد وشديد عليه من الكتبة والفريسيين الذين توعدوه وصادروه وراقبوا حركاته لكي يجدوا ممسكاً يبنون عليه شكاية تسلطهم عليه لاذيته . وصاروا يبذلون الجهد الجهد في الانتقام منه لكي يزجوه من طريقهم محافظة على كرامتهم امام الشعب وعلى منافعهم الذاتية

قد تعودنا على حكمة يسوع ولطفه ايضاً . فها هذا الكلام الذي زاد نفور اليهود منه وحنقهم عليه ؟ قال الحكيم ان "جروح المحب امينة" (١) . ومرض هؤلاء المدعين المتعجرفين لا تؤثر فيه المليئات كالكلام اللطيف ونحوه . فلا تصلحهم ولا تصلح لهم الآعالجات القاسية . وليس ذلك فقط بل ان يسوع مضطراً ان يحرر تابعيه من نير الرؤساء الثقيل ويزيل عن اعين العموم برقع الجهل الذي جعلهم يستعبدون لهؤلاء المرائين الظالمين . يريد ان يعلم العموم ان لا يتنادوا بواسطتهم الى الضلال والهلاك . وهذه المقاصد السامية لا تتم الا بتأومة الرؤساء بعنف . لكن لا بد ان كان يستعمل العنف في كلامه كان يظهر في هيئته ولهجه ما كان يحقق لسامعيه انه مسوق الى ذلك بحب شديد وبالغيرة على صالحهم الابدي



الفصل السادس والثلاثون

(لوقا ١: ١٢ - ٢٥: ١٤)

(المرصع) ف ٢٠ و ٢١ و ٢٢ (الزمان) ك ٢ السنة ٢٠ م .
(المكان) ييرية

التخدير من روح الفريسيين . شر الرياء . مثل الغني الغني . عناية الله تنفي ألم .
الاستعداد والسهر . الأمانة والخيانة في الوكيل . ذبح المجليين في الهيكل . شفاء المنجية في
السبت . الباب الضيق . التخدير من هيرودس . ابرأؤه المستسقي . الاتضاع والارتفاع .
الاحسان . العشاء العظيم والاعذار . تقدير الصعوبات

بلد يسوع الآن الانتقال من مخاطبة مبغضيه الى مخاطبة محبيه قبلما يزول
من افكارهم تأثير توبيخاته لاولئك . وتأجيل كلامه للجماهير التي وصفها البشير
” بالربوات حتى كان بعضهم يدوس بعضاً ” . سمي تلاميذه احباء وحذّرهم من
آفة الدين الكبرى المنتشرة كثيراً التي سماها ” خمير الفريسيين الذي هو
الرياء ” . لان الرياء كان دأبهم الخصوصي وشرّ مزايهم . موازين الله ليست
كموازين البشر . لان الناس لا يستخفون فقط بالرياء بل كثيراً ما يتباهون
به . ومحنقرون الذي بواطنه لا تخالف ظواهره ناسين اليه بساطة تحط في
مقامه . ويحلّون الذي لا يطلع احد على افكاره الحقيقية . بل ينقذ مقاصد في
الناس بواسطة اخفاءها عنهم

ففتح يسوع هذا المبدأ . وظهر جهالة التمسكين به قائلاً ” ان ليس مكتوم
لن يستعلن ولا خفي لن يعرف ” . وكانت خطته الضرب ليس على شرور

الاردياء وعلى ما يتجده الناس عامة . لانه يوجد من يفعل ذلك . بل على الامور الغير المكروهة عند عموم البشر ما يكرهه الله واتقواؤه . فالرياء في الدين يسوق البعض الى التظاهر بما يخالف افكارهم وشعورهم الداخلي . فيتظاهرون بغير مذهبهم الحقيقي لاجل خير زمني . ويسوق غيرهم الى التمتع عن الاعتراف بمعتقدهم الحقيقي والانضمام ظاهراً الى جماعة لئلا يخسروا منافع دنيوية . فهؤلاء ايضاً مراوون كالأولين . لان التظاهر بغير الواقع هو الرياء بعينه

ولما رأى يسوع ان في الاعادة افادة كرر لهم بعض وصاياه السابقة مع بعض التغيير في قوالها ^(١) . منها نهية عن الخوف من الناس ولو هما اضطهدوهم . لان اذيتهم تتناول الجسد فقط وهو العرض . اما الخوف من الله فيجسي مع الجسد النفس التي هي الجوهر . فالذي يغضب الله لارضاء الناس يجني على نفسه جناية لا مزيد عليها . ومنها ايضاً تأكيد عناية الله بكل فرد منهم واظهاره وجوب الاعتراف العلني به . والويل للذين ينكرونه . وتشديده باحترام الروح القدس احتراماً فائقاً

وفي اثناء ذلك أتى اليه رجل وطلب منه ان يستعمل سطوته الادبية في اقناع اخيه ان يقاسمه الميراث . فرفض التداخل في الامر . لانه يحصر مساعدته الزمنية في الحاجات الضرورية التي ليس لها مرجع آخر . ولان خدمته دينية خالية من كل صبغة سياسية مذهبية . فلا يرضى ان ينظر الناس اليه كرئيس مذهب يقضي في امور تابعيه الزمنية . وبمناسبة هذا الحادث قُبِحَ خطيئة اخرى اعم من الرياء وغير مستتجة عند العموم . وهي خطيئة الطمع اي تعلق القلب بالمال

ولكي يوضح ما هو الطمع الذي ينهى عنه قدّم لهم مثلاً عن غني توفرت خيراته الزمنية . لكنه لم يهتم ان يكون غنياً لله . بل رضي ان يعيش غنياً عنه

(١) انظر شرح تعليماته لرسوله في ف ٢٥

تعالى . لما اخصبت كورته كان يجب ان يشكر الله ويعترف بفضله . لكنه لم يفعل . وكان عليه ان يعرف ان امواله ليست له بل لربه . وانه موكل عليها ليستخدمها في ما يهديه الله اليه من الاعمال المفيدة له ولغيره . لكنه لم يفعل . فاي حق له ان يعتني الله به ما دام لا يبالي بالله ولا بالناس بل بذاته فقط ؟ فكان نصيبه ان نقصت حياته بقدر ما زادت حاصلاته . لانه سمع صوت الرب قائلاً ” يا غني هذه الليلة تُطلب نفسك منك . فهذه التي اعددتها لمن تكون “ . ان الحق سبحانه لا يحصر خيرات الزمنية في الذين يتقونه . بل يمن بشمس وهوائه ومائه على الظالمين كما على الابرار ^(١) . لكي لا يفسد الدين بسبب استغلاله للمطامع الزمنية

فيتضح من هذا المثل ان الطمع الذي يشير اليه هذا المعلم الصالح ومجرمه ليس الذي يتعدى على حقوق الآخرين كما في السرقة والغدر والظلم والخداع وما شاكل ذلك مما يتجنى جميع الادباء وتنبه عنه جميع الشرائع المدنية . بل الطمع المباح في الشريعة والاصطلاح . وبما ان حياة الانسان ليست في مقتنياته يكون هذا الطمع خطأ وجهالة

وبعد ان كرر بيان اعناء الله بحاجياتهم الزمنية المؤبد باعنائهم بالنبات والحيوان . وبعد ان طمأنهم بانه على رغم ضعفهم الكلي قد سر الآب السماوي ان يعطيهم الملكوت حثهم على العطاء مبيناً ان ما يبذله الانسان في عمل الخير هو الذي يبقى له . وما يذخره لنفسه فهذا يخسر . وان بذل المال في سبيل البر يقرب القلب الى الله . لانه ” حيث يكون الكثر هناك يكون القلب ايضاً “

ثم اشار الى حقيقة مجيئه ثانية وفجأة ما يوجب على كل عبيد السهر والاستعداد لملاقاته بفرح . فالذين يراهم سيدهم عند مجيئه مستعدين يكافئهم ويتكسهم ويقتدّم ويخدمهم . ويكونون حقاً مطوّين . ولما سأله بطرس تطفلاً

”ألنا نقول هذا المثل أم للجميع ايضاً؟“ قدّم لهم مثلاً آخر أبان فيه نصيب عدي الامانة في ما وكلم الله عليه . هؤلاء ” يقطعهم سيدهم ويجعل نصيبهم مع الخائنين “. فالذي يعطيه الله كثيراً ان كان من مواهب او معارف او مقتنيات يطالب بالكثير. والذي عنده قليل يطالب بالقليل. لكنه لا يعنى من المطالبة . في غير هذا الوقت سيح يسوع هذا القول لئلا يُظن ان الذي يعرف قليلاً هو الاسعد لكونه يطالب قليلاً. وعلم ان الانسان لا يطالب فقط بما عنده او أعطيه بل يطالب ايضاً بما كان يمكنه ان يحصله لو سعى جدّاً . فيجازى الانسان ليس فقط على مخالفة ما يعرفه من الواجب بل ايضاً على ما يهمله من الوسائط لزيادة المعرفة

أظهر ايضاً في خطابه انه أتى الى العالم بتعاليم هي كنار تحرق اشواك الاباطيل والمتمسكين بها حسب قول المعدادان انه ” يتقي ييدره فيحرق الثبن (اي الباطل) بنار لا تطفأ“^(١). لانه متى ” جاء النور الى العالم واحب الناس الظلمة اكثر من النور“ لا بد من الخصام بين انصار النور وانصار الظلام . لان من طبيعة انصار الظلام الخصام . فحيثما يكون الكل ظلاماً او الكل نوراً لا خصام . اما متى أقبل النور على الظلام يقوم هذا عليه فيحدث الانقسام . فالانقسام اذا نتيجة حتمية لحيء المسيح لبثّ تعاليمه

ختم يسوع هذا الخطاب البليغ بكلام للجموع موضحاً الخطر في عدم انتباههم الى معنى مجيئه . فبما انهم حكماء في ما يخص بامورهم الزمنية ويعرفون كيف يلاحظون اقتراب المطر ليتدبروا في اشغالهم الجسدية لماذا لا يستخدمون هذا الحذق والتمييز في مصالح النفس الثمينة ؟ لانه سوف يأتيهم زمان بصرخون ولا مجيب نظير كهنة البعل على جبل الكرمل^(٢) . ويستحيل حينئذ ان يخلصوا الا على الفرض المحال انهم يكفرون تماماً عن جميع خطاياهم

ضد الله والناس . فلماذا لا يتوبون الآن في اليوم المقبول ويتصالحون مع
الديان ؟ (١)

قضى القانون والعادة في بلاد اليهود انه متى لجأ مجرم الى الهيكل ونسك
بقرون المذبح يتوقف كل من يتعقبه احتراماً للمذبح ويتركه الى وقت آخر .
والحكومة الرومانية السائدة وقبلاً احترمت غالباً هذه العادة . ولكن حدث
ان الوالي بيلاطس البنطي خالف هذا القانون على كيفية فظيعة . فهاجت
الخواطر الدينية وأتى البعض يخبرون يسوع ليسمعوا ماذا يقول . قالوا ان
هذا الوالي القاسي الجبار امر جنوده ان يتعقبوا اناساً من الجليل قد اغاظوه .
وان يدخلوا وراءهم ان اقتضى الحال الى الهيكل حيث يحرم الدخول على كل
من هو ليس يهودياً . فبينما كان هؤلاء الجليليون يقدمون في الهيكل ذبائحهم
دخل الجنود الرومانيون الوثنيون البيت المقدس ونجسوه بمجرد دخولهم .
ولما تمسك الجليليون بقرون المذبح احتفاءً بذبحهم امامه . فامتزج دمهم بدم
ذبائحهم (٢)

فالمثالة التي قدمها يسوع لرسله لما سأله عن سبب عى الاكله يقدمها
الآن لنا في هذا الخبر المفجع مع غيرهم من سامعيه (٣) . وهي ان الرزايا قد لا تدل
على خطايا خصوصية عوقب مرتكبوها بهذه الرزايا . ووضع ايضاً ان الذين
لا يأتهم العقاب سريعاً على الخطايا الغير المغفورة لا يعفون منه الاً وقتياً . فان
كثيرين من الاشرار الناسين الله موقفون في زميناتهم . وكثيرون من الافاضل

(١) اراد البعض ان يفسروا عبارة "لا تخرج من السجن حتى توفي الفليس الاخير"
كدليل ان بعد الموت يوجد باب لخلاص الغير التائبين في هذه الحياة . لكن لا ينبغي ان
المخاطب بعد موته كما قبله لا يمكن ان يوفي الفليس الاخير . فاي عاقل يستند على اساس واهن
كهذا العقيدة جوهرية تتوقف على صحتها السعادة او الشقاوة الابدية (٢) لعل معاملة
بيلاطس هؤلاء وهم من رعايا هيرودس كانت علة العداوة بين هذين الحاكمين المشار
اليها في لوقا ١٣: ٢٢ (٣) ف ٢٤

الانقياء يقاسون أقصى دركات الشقاء الزمني. لأنه لا يشترط في إثابة الصلاح ومعاقبة الطلاح ان يكونا في هذه الدنيا. قد يكون للمولى عز وجل مقاصد حكيمة في ترك الخاطئ ناجحاً في الوقت الحاضر كما فعل بهيرودس الكبير. وفي وضع البار في أتون النار كما اصاب الشبان الثلاثة في بابل. والموت على صورة مرعبة فوق العادة لا يكون دائماً علامة الغضب الالهي^(١). اذا لا تدل هذه المصيبة المجسية على تفوق هؤلاء القتلى في الآثام

فاذا كان هؤلاء المخبرون من اليهودية وخامرهم بعض الشبهة على مصيبة هؤلاء الجليليين المحترقين عندهم نفهم كيف وبخ يسوع خطاهم بتذكيرهم بمصيبة اعظم وقعت على اناس منهم ايضاً في جوار الهيكل المقدس. الذين سقط البرج عليهم في سلام فاهلك منهم ثمانية عشر شخصاً. فاي مسوغ للشبهة طالما كانت المصيبة الاولى في الجليليين فعل حاكم قاس لا يعرف الله. اما الثانية ففي اهل اورشليم ذاتها وتعدّ فعلاً اهلياً لا دخل فيها ليد بشرية؟ فالحكم واحد سواء كانت المصيبة من فعل بشري ام لم تكن. فيسوع قصد ان يزيل الوهم السائد في امر المصائب. وان ينذر سامعيه بشدة بقوله "ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك يهلكون"^(٢)

لان ليس لسامعيه نجاة من الهلاك الذي يترصد لهم كامناً في مكنونات المستقبل القريب ما لم يتوبوا عن رفضهم اياه كمسيحهم الحقيقي. وبما ان هذا الانذار لم يشرفهم تركوا ليمسكوا فيما بعد بكل من قام وقال "أنا المسيح". ولذلك كانوا يثيرون حيناً بعد آخر فتناً سياسية وحرية ضد الحكومة الرومانية افرغت اخيراً صبر القياصرة. فجردوا عليهم تلك الحملة العسكرية

(١) قال المنسر "الواسطة لتمييز الذين يقبلهم الله والذين يرفضهم هي الاثمار التي تظهر في حياتهم. فحقاً ليست كيفية الموت تكشف طبيعة الانسان بل حياته اليومية (اتفاق البشيرين ٢٧٠) (٢) ظهر جلياً الوهم المشار اليه في كلام اليفاز التيماني لايوب (اي

الساحة التي قضت نهائياً على حياة الأمة وعلى المدينة العظيمة والهيكل المقدس والفروض الدينية الموسوية . وعند ذلك تجددت المصيبتان المذكورتان في هذا الحديث على صورة مجسمة . لان الرومان ذبحوا في الهيكل ليس بضع جليليين بل الوفاً من نخبة الأمة . وسقطت الابراج والاسوار والجدران لاعلى ثمانية عشر شخصاً بل على الجماهير الغفيرة

شبه أمة اليهودية بشجرة تين قُضي عليها لعدم اثمارها . وأمر بقطعها لانها تعطل الارض . وشبه الخالق سبحانه بصاحب الكرم وشبه ذاته بالكرام . فهو كالوسيط بين الله ابيه والناس الخطاة يستدرك الغضب الالهي الذي استحقوه لعدم اتيانهم بالاثمار الصالحة ولتعطيلهم الارض بقذورتهم الشريرة بين الامم^(١) . ويسترحم الصبر الالهي عليهم حتى يتم ما يقصد للخلاصهم . يعترف بان الله صبر عليهم ثلاث سنين بينما كان هو يعلمهم ويخدمهم بطرق متنوعة . ولم تنق له غير واسطة وحيدة واخيرة يقدمها لهم بسببها يتوبون . وهي انه يقدم ذاته امام عيونهم ذبيحة اثم عنهم . فان قبلوا هذه الواسطة يسلمون . والا فيقطعون . وقد تدونت على صفحات التاريخ بعد صعود المسيح الخاتمة الحزنة لما صورته يسوع في هذا المثل الذي تم به كلام المعلمان عند اول ظهوره لما قال "والآن قد وضعت الفاس على اصل الشجر . فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار"^(٢)

بعد هذا وهو في احدى القرى دخل المجمع في سبت وصار يعلم . فوجد بين العابدين امراة منحنية الظهر لا تقدر ان تنتصب البتة منذ ثماني عشرة سنة . حتى لم يعد لها أمل بصحة الجسم . لكن تقواها جذبتها الى المعبد على رغم هذه العلة . لا يظهر انها استنجدت بيسوع . بل كانت تصغي الى تعليمه . فدعاها ليشفيها ثم مجدّد تعليمه في قضية السبت وبركانه . فلما تقدمت اليه وضع يديه

(١) مت ١٣: ٢٢ "لانكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس . فلا تدخلون انتم

ولا تدعون الداخلين يدخلون" (٢) مت ١٠: ١٣

عليها كطبيب يقوم ظهرها المنحني . وقال " يا امرأة انك محمولة من ضعفك " . فانتصبت حالاً صحيحة من دائها . وظهرت ايمانها وفعل النعمة في قلبها بانها مجدت الله . فاغتاظ رئيس المجمع مدّعياً بالمحافظة على وصية السبت . ومع احترامه الربائي ليسوع صوّب توبيخه نحو المجمع أمراً اياهم ان لا يطلبوا الشفاء في السبوت ما دام لهم ستة ايام أخرى لذلك

اما يسوع فرفع عن هذه المسكينة وعن المجمع هذا الحكم الظالم . وذكر هذا الرئيس المرائي انه وكل جماعته يعملون في السبوت اعمالاً للمحافظة على مواشيهم تزيد على ما عمله هو للمحافظة على هذه المرأة . فاذا كانوا يقودون في السبت مواشيهم الى المياه بعد ان يحلّوها من مراتبها كيف يدينون من يحلّ شخصاً من اولاد ابراهيم من قيود طالت بهذا المقدار بفعل الشيطان ليقودها الى مياه الصحة الجسدية ثم الى الحياة الابدية ؟ فانتعش المجمع بكلام هذا السيد الجليل " وبجميع الاعمال الحيدة الكائنة منه وأنجل جميع الذين كانوا يعاندونه " (١) . ثم كرّر في هذا الوقت مثلي حبة الخردل والخميرة (٢)

بعد هذا انصرف من هناك مسافراً على مهل نحو اورشليم . وكان يزور المدن والقرى في طريقه ويعلم . وبما ان معجزاته السابقة كفت لتثيت كون تعليمه من الله قل اهتمامه بتجديدها وانصرفت عنايته بالاكثري الى التعليم . وفي اثناء ذلك سأله رجل " أقليلون هم الذين يخلصون ؟ " فهل قصد ان يقصر سؤاله على اليهود بمعنى هل كثيرون من شعب اليهود يخلصون (٣) . او قصد الاشارة الى كون الذين آمنوا بيسوع قليلين وطلب الاستفادة بالنظر الى هذه القلة لانعلم . لكن نعلم ان يسوع لم يقبل ان يدخل معه في البحث في ما

(١) لان الرئيس لم يكن وحده في انتقاد هذا العمل المخوري (٢) ف ٢٣

(٣) كان هذا من مواضع الجدل بين معلمي اليهود . اذ وجد بينهم من قال انه كما رفض شعب اسرائيل اجمالاً ومات في القفر . ولم يدخل ارض الميعاد سوى شخصين . كذلك لا يدخل كنعان السماوية من بني اسرائيل الا القليلون بالنسبة الى المرفوضين

يخص بالاحكام الالهية التي ليست من المعلنات ولا مما يطلبه الله من الانسان
او يهبه للانسان او مما يطلبه الانسان من الله . فاجابه " اجتهدوا ان تدخلوا
من الباب الضيق " الذي لا بد ان يغلق يوماً ما . فحينئذ لا يعود ينفع
الاجتهاد ولو أقصاه . ولا الاحتجاج ولو اشدّه . ولا الضراعة ولو أحرّها

ثم عاد وفند مرة اخرى الزعم الفاسد بان الذي لا يتوب في هذه الحياة يجد باباً
مفتوحاً بعدها . لانهم فاعلو ظلم لا يمكنهم الدخول الى الديار المقدسة السماوية .
ولا ان يثبتوا فيها لو دخلوا . ولا تنفعهم اقوى الحجج التي يتشبثون بها طالما لم
يسعوا في حياتهم الدنيا للتخلص من الاثم . وبما انهم لم يتغذوه راعيهم فلا يعرفهم
خرافة . بل يضطرون ان يقول لهم " تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم " . لانه
قدم لهم خلاصه فرفضوه . فليس هلاكهم فيما بعد بسبب كثرة خطاياهم . بل
بسبب رفضهم الرحمة المقدمة لهم

في يوم ابعادهم عنه يزيد عنايتهم برويتهم عن بعد انبياءهم المكرمين في
المجالس السموية دون ان يستفيدوا منهم شيئاً . وروية كثيرين داخل الملكوت
السماوي من الذين كانوا يحقرونهم في حياتهم الدنيا وينكرون عليهم الرجاء
بالخلاص . اذ سيأتي هؤلاء من جهات الارض الاربع ليتكشوا في ملكوت الله
بين رؤساء الشعب وانبياءهم الذين عدوا انفسهم وخدمهم " ابناء الملكوت
يطرحون خارجاً حيث البكاء وصرير الاسنان "

لم يكف يفرغ من هذا الكلام حتى اتاه فريسيون يندرونه بمخطر عظيم
يتهدده . قالوا ان الملك هيرودس يطلب قتله . ونصحوا له ان ينصرف من
تحت اياله . لا مسوغ ان ننسب اليهم قصد المحافظة على حياته كما اننا لا نعلم
مقدار الصدق في مقامهم الذي قد يكون حيلة لاجل ابتعاده عنهم . لكن
لا ينتظر من يسوع ان يخضع للتهديد . مع انه في حكمته كان يجيد عن الخطر
ما دام ساعته لم تأت بعد . هو عالم ان هيرودس نجح في قتل المعمدان . ويعلم
ايضاً ان اعظم الملوك لا يقدر ان يمس من كان محفوظاً من الله

لذلك قال للذين كلموه "امضوا وقولوا لهذا الشعب (هيرودس) ها انا اُخرج شياطين واشفي اليوم وغداً وفي اليوم الثالث اكمل". اي انه يداوم عمله حسب الترتيب الذي عينه . ويختم سفره في اورشليم بعد ثلاثة ايام لكي يقتل فيها . وليس عن يد هيرودس كما يظنون . بل عن يد خصمه بيلاطس الوالي . فجاراهم على رغبتهم وانصرف عنهم . ولكن ليس بالسرعة التي يريدونها . لان له وقتاً معيناً يصرفه عندهم . فلا يترك بلاد هيرودس حالاً لخوفه . بل حينما يريد ذلك امتثالاً لارادة ابيه وارادته ان يسفك دمه ليس في اباله هيرودس بل في العاصمة حيث سفك دم اكثر الانبياء منذ القديم ورد فيما تقدم كلام مرثيسوع في ادانته الاشرار الظالمين من رؤساء امته . لكننا لانجد كلام الاحقار منه نحو احد الا في تسميته الملك هيرودس ثعلباً . التعليم المسيحي هو ان "يعطى ما لقيصر لقيصر". اي ان يحترم ويُطاع الحاكم ولو كان شريراً الا عند امره بمخالفة الارادة الالهية . لكن ما بحق ليسوع لا يجوز لغيره . فلا يكون قدوة لغيره في هذا الكلام . ولا نعلم كيف سلم يسوع آنثذ من انتقام هيرودس بعد هذا الجواب . لكننا نعلم انه تيسر له الانتقام منه في اسبوع الآلام^(١)

مع تصريح يسوع بدينونة مخيفة على اورشليم وتسميته اياها "قائلة الانبياء وراحة المرسلين اليها" طمح كاس حبه لها فرثاها سلفاً برثاء مؤثر للغاية . قال "يا اورشليم يا اورشليم كم مرة اردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا". فانه اراد خلاصهم اما هم فرفضوا . فاعجب هذا الحنان نحو مضطهديه . الا انه لم يخف عنهم نتيجة عنادهم اذ قال "هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً". وتنبأ لهم انه يغيب عن ابصارهم الى يوم فيه يشتركون مع الجماهير عند دخوله اورشليم راكباً^(٢) . فينادون امامه قائلين "مبارك الآتي باسم الرب"

(١) لو ١١: ٢٢ (٢) لانهم سوف يتوجهون اليها في عيد الفصح المقبل

لا بدّ ليسوع وتلاميذه في أسفارهم أن يحملوا ضيوفاً على أصحاب الوجاهة والكرم في المدن والقرى التي يزورونها. ولا سيما التي ليس فيها مضافات عمومية أو فنادق رسمية. وشهرته في الوعظ وإجتراف المعجزات فتحت له بيوتاً كثيرة كانت مغلقة في وجهه لولا هذه الشهرة. فنجح في إحدى قرى يريّة يلبي دعوة رئيس فريسي لياكل خبزاً عنده في يوم السبت. وكان هناك تحت مراقبة جماعة هذا الرئيس المدعوين معه لمناولة الطعام. فعرفنا أن هذه الدعوة لم تكن عن حب وإخلاص. مع ذلك فإن يسوع لتواضعه وتسامحه لم يرفضها بل رأى فيها فرصة لتقديم مثال حسن ومثالي جوهرية

صادف في هذا البيت رجلاً مستسقياً. فاستدرك انتقاد مراقبيه بسؤاله "هل يحلّ الأبراء في السبت؟" فتخبروا بأنهم إن قالوا "نعم" يكونون قد فتحوا له باباً لفعل المعجزة ولا يمكنهم ثمّ الانتقاد عليه بحجة السبت. فيريد تعلق الشعب به وتعليمه. وإن قالوا "كلا" يتجهّم من كتبهم كما فعل سابقاً ويخجلهم. "فسكنوا". فامسك الرجل وإبراه وأطلقته. ثمّ بكّت مرة أخرى مقاوميه على أفكارهم السرية في انتقادهم عمله في السبت. ألا يعملون في السبت أعظم من ذلك لتخليص حيواناتهم من الضيق. فهل يجوز لهم في السبت تخليص بهيمة من ماء بئر تقع فيه ويحرم عليه تخليص أخيه ابن آدم من الاستسقاء

وإذا لاحظ يسوع في غضون الوليمة كيف تسابق ضيوف هذا الفريسي إلى المتكأ الأول على المائدة الذي هو الأشرف حسب اصطلاحهم. بنى على ذلك تعليمه أن "كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع". ونصح للحاضرين أن لا يعرض أحدهم نفسه للحجل باختيائه الموضع الأول. فالتعظم ذميمة والتواضع باب الكرامة الحقيقية التي تجلو للشريف العاقل والأكرام الظاهري أو الاجباري لا بروق الآللذي لا يدوق

ثمّ التفت إلى صاحب البيت وذكره أن الذي يدعو للطعام أمثاله وإخصاءه فقط أو الأغنياء من جيرانه يكافأ في هذه الدنيا. لأنهم فيما بعد

يدعونه الى مواعيدهم. اما الذي يريد المكافأة في قيامة الابرار فعليه ان يدعو ويُطعم اهل الفاقة والذل. فالذي يسخر في اي نوع كان من الكرم لاجل العوض وزيادته في الزمن الحاضر يكون عمله طمعاً لا كرمًا. وهذا الاتجار بالسخاء بلاشي السخاء. ومع ان الذي يسخر أَملاً بالعوض في الزمن الآتي هو اوفر شرفاً وحكمة من الاول لكن ليس له فضل حقيقي. بل الفضل للذي يسخر ليجرد حبه لربه ولبنى جنسه دون نظر الى العوض لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة. والاكرام الالهية لمثل هذا مكفول

انتبه احد الضيوف الى ما قيل في الولايم فقال "طوبى لمن ياكل خبزاً في ملكوت الله". حاسباً ذاته من هؤلاء المطوبين لامحالة. فشرع يسوع يزحزح اطمئنانه الفارغ بتقديم مثل اتخذ فيه الولية رمزاً الى الدين كما فعل اشعياء قبله^(١)

وشمل مع هذا الرجل كل سامعيه مبيناً انهم بعيدون عن حقيقة الدين لتعلقهم الشديد بالدنيا وشبههم باشخاص دُعوا الى عشاء عظيم في بيت انسان شريف فقدموا اعذاراً مختلفة وتأخروا عن العشاء. فلأن سامعيه هم الاقرب ظاهراً لصاحب الولية واولى بعشائه. انتهت الدعوة الالهية اولاً الى وليمة الدين. ولانهم ممتازون معرفة وظروفهم تخولهم التأثير الاعظم في الآخرين

لكن لانهم رفضوا دعوته فانه يوجهها الى العشارين والخطاة بين الشعب المختار. وهؤلاء يشبهون باهل الشوارع والازقة في مدينة الملك. ثم لان عشاءه يكفي لجمهور كبير يعم الدعوة الى الذين في الطرق والسيارات خارج المدينة اي الشعوب الاممية غير اليهود. وهؤلاء مع كونهم محقرين

(١) اش ٦٥: ٦ "لان الدين الحق يغذي النفوس ويلد لها. ولان الاله يقدمه للناس على نفقته تعالى مجاناً. ولانه يترك للمدعوين تمام الحرية بقبول الدعوة او رفضها. ولانه جامع عظيم بين الذين يلبون الدعوة ويشتركون فيه

ومرفوضين عند سامعيه يميلون أكثر من الرؤساء الى قبول الدعوة الالهية الى
التوبة والايان

شبه هؤلاء الرؤساء بالذي يقول "اشتريتُ حقلاً وانا مضطراً أن
اخرج وانظره. اسألك ان تعفني". ثم باخر يقول "اشتريتُ خمسة ازواج
بقر وانا ماضٍ لامتنعها. اسألك ان تعفني". وبثالث يقول "اني تزوجتُ
بامرأة فلذلك لا اقدر ان آجي". (ان اعفيتني اولم تعفني). فالاعذار الباطل
في الدين هو اصطلاح قديم ومنتشر كثيراً ومهلك. شخص يسوع غيظ
الباري سبحانه من الاعذار على انواعها. لانها تدل على الاستخفاف بدعوته
الالهية لوليمة الخلاص^(١). وعلى غباوتهم الفاتكة لوضعهم ارباح الدنيا موضع
ارباح السماء. وعلى ظنهم ان اعذارهم تفيدهم. وان الباب يبقى مفتوحاً لهم ان
أتوا متأخرين

ثم انتقل من هناك مع جمعٍ غفيرٍ ملتفتٍ حوله. وفي سيره التفت اليهم
وحقق لهم صعوبة التلمذ له مكرراً الاشارة الى الباب الضيق الذي نصح لهم
ان يجتهدوا في الدخول منه. وانذرهم عجيء وقت فيه تتغير الظروف فيقوم
الناس على تابعيه حتى أهلهم الاقربون. ويضطرون ان يختاروا بين الاهل
وبينهُ. وبين الحياة بعيدين عنه وبين الموت لاجله. حينئذٍ لا يستطيعون ان
يتبعوه ما لم يتركوا الاهل لدرجة تحسب قدام الناس كالبغضة. اي ان محبتهم
له تقوى حتى تصير محبتهم لاهلهم كأنها بغضة بالنسبة الى هذه المحبة الجديدة

يخطئ خطأ ظاهراً كل من يتخذ هذا الكلام الاخير حرفياً. والمفسر المختص
الطالب الوقوف على الحقيقة يضع قول يسوع "احبوا اعداءكم" بجانب قوله
الآن "ان كان احد ياتي الي ولا يبغض اباؤه وامه وامراته واولاده واخوته

(١) يذكر كثيراً في آيات غير هذه غضب المولى سبحانه. ويقصد بهذا القول اظهار
الله استيائه كما يظهر ذلك صاحب الغضب من البشر. لكننا نخذر من ان نجعل عواطف
البشر قياساً حقيقياً للعواطف الالهية التي لا يمكن ان ندرکها

واخوانه حتى نفسه ايضاً فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً". فالامر واضح ان الكلام في وجوب بغض الامل وبغض النفس كلام مجازي من باب المبالغة لزيادة الايضاح والتأثير

وحذر سامعيه ايضاً من اتباعه بآمال فارغة . ودون تقدير الشرائد والعقبات في هذا السبيل . فانه لا يتملك احداً ليكسب تلاميذ . ولا يهتبه العدد كما يهتبه النوع . فيغربل تابعيه ليحصل على مطلوبه ولو قل العدد . وأيد هذا التحذير بمثل انسان يقصد بناء برج . فالحكمة تقتضي ان يحقق أولاً وجود المال الكافي بين يديه لانتمام العمل . ولا فلا يباشره . ثم بمثل ملك يضطر لمقاتلة ملك آخر هاجم على بلاده . فلا بد من الفحص أولاً ليتحقق هل تقدر جنوده ان تظفر بضغفي عددها بالجنود المعادية . ولا فيسعى في استرضاء خصمه " ويسأل ما هو الصلح "

وكما امر ان " يبغض " تابعوه اهلهم ونفسهم امرهم ايضاً ان يتركوا كل اموالهم . والتفسير السابق يتناول هذا ايضاً . لان ما امرهم به من واجب العطاء ينفي التفسير الحرفي . اذ لا يمكن ان الذي يترك كل ماله يمارس العطاء المطلوب . فالمتصور في هذا الكلام ترك التعلق الشديد بالمال . وتكريسه كله للرب . وتركه كله متى كان حنطة يؤدي الى ترك المسيح

ثم ختم هذا الخطاب ببيان اهمية الجوهر الديني وعدم الاكتفاء بالاسم . واستخدم للمرة الثالثة التشبيه بالملح . فالتلميذ الذي ليست فيه الصفات المسيحية هو كالمح الذي لا ملوحة فيه . " فلا يصلح لارض ولا لمنزلة . فيطرحونه خارجاً ليلباس من الناس . من له اذنان للسمع فليسمع "



الفصل السابع والثلاثون

(لوقا ١٠: ١٠ - ٢٢)

(المرضع) ف ٢٢ (الزمان) ك ٢ السنة ٢٠ م

(المكان) بيرية

معاملة يسوع الفريسيين والعشارين . الفرق بين الفرقين . التفاف العشارين حوله . تدمير الفريسيين . مثل الخروف الضال . مثل الدرهم المفقود . مثل الابن الضال . كيفية رجوعه الى بيت ابيه . الغفران وتأثيره . الابن الاكبر وفعل الحسد فيه . الفريسيون والعشارون ايضا

العلوي يسوع يجد ليزيل الفواصل بين اقسام البشر . وكل تلميذ حقيقي له يسعى سعيه . واي ان ينحاز الى فئة دون اخرى من الفئات التي رآها في البلاد . فامتزج مع كل منها بحسب الاقتضاء ليجمع بينها ما يمكن . فخالف في خطئه هذه رجال الدين والادب والعلم في عصره . ولا سيما رجال محيطه اليهودي . جاء كيهودي الى خاصته خراف بيت اسرائيل الضالة فلم نقبله . ووجد فاصلاً كلياً بل فواصل بين طرفي الشعب اي الفريسيين وهم الراس والعشارين وهم القدمان

اما الفريسيون فكان تحجبهم العشارين امراً طبعياً لا بد منه بالنظر الى ما كانوا عليه . اذ ليس في قلوبهم المحبة لله لتولد المحبة للناس حتى شرهم . ولم ينظروا ان يهتموا بخلاص العشارين والخطاة واصلاحهم . مع انهم مطالبون بهم كونهم رعايتهم ومعلمهم القانونيين . ولو افكروا ان يسعوا لهذا الغرض

ليس لديهم الوسائط الروحية الملايئة لهذا العمل الخطير . وفوق ذلك ليس فيهم من جوهر الدين ما يكفي لمحايتهم من عدوى فساد الاشرار لو خالطوهم

فالفواصل بين الفرّيسيين والعشارين كوّنت هوة عميقة تُعزى بالاكثـر الى عمل الاولين . لانهم حرّموا على انفسهم وعلى جماعاتهم الاختلاط بهم حتى ولو كان بقصد حثّهم على درس الناموس . وقالوا ان الذي يقترب من الاشرار ولو بعد توبتهم ليس من الحكماء . ومنعوا التزوّج منهم . وان اضاع احد هم شيئاً لا يجب هديّة اليه

من المفرّان معاملة الاحتقار تولّد الفساد في الفريقين وبما انها تُثبّت العواطف الشريفة في المحقّر صار العشارون يحقّرون انفسهم من الوجهتين الدينية والادبية . لان حرمانهم الحقوق الدينية والحكم بان باب الخلاص والسماء مغلق في وجوههم جعلهم يستسلمون اكثر فاكثر للدناءة والفساد . ولذلك امسوا يستحقّون منت الفرّيسيين واحتقارهم . فاصبح الفريقان على طرفي نقيض . ويسوع بامتزاجه مع الفريقين اراد ان يزيل الفاصل بينهما اليه بالايمان

الوالد او الطيب المحب يعالج اولاً اصحاب العلل الاوفر شدة وخطراً . ولهذا بدأ يسوع كطبيب روحاني محب بالفرّيسيين والروساء . لان اكثرهم شراً اعظم في عينيه من شرّ العشارين . ونورهم اكثر . وبالنتيجة تكون دينونتهم ايضاً اشدّ . ويزاد على ذلك ان مقامهم ومواهبهم تجعلهم مفيدين اكثر من العشارين ان اُصلحو . لكنهم لم يقبلوا علاجه . لانهم تعودوا ان يغطوا عيوبهم الداخلية امام الشعب بتدينهم الظاهريّة . ولادّعائهم انهم اصحاء تقموا على الطبيب الذي كان يكشف حقيقة مرضهم الروحي الميت ورفضوا بتاتاً الطبيب وعلاجه . ولم يقبلوا منه الا معجزاته . حتى انهم اعترضوا على بعضها بحجج اما سخيفة او كثرية

لذلك حوّل التفاته الى العشارين والخطاة الذين لم يتستروا بالرياء بل كانت عيوبهم مكشوفة ومعترف بها^(١). فهان عليهم ان يترجّوا بهذا الطيب الروحاني ويلجأوا اليه. لانه بعد ان يتسوا من معاملة رؤسائهم سمعوا ورأوا عكسها من هذا المعلم الناصري والنبى الجديد

رأوا في هذا المنتدر في الاقوال والافعال الذي صار اشهر رجال البلاد تواضعاً يرافق عظيّمه ورأفة ترافق طهارته والتفاتاً الى المحقرين ترافق شهرته. وسمعوا من فيه لهجة اللطف والحب الغريبة عن آذانهم. رأوا باب الرجاء بالخلاص الذي كان مغلقاً في وجوههم مفتوحاً الآن امامهم بفضل هذا المرشد الحكيم الذي اظهر لهم ان توبتهم ممكنة ومقبولة عند الله

ولما سمعوا منه مؤخراً انهم اقرب الى ملكوت السموات من محقرتهم الرؤساء مالوا اليه والتفتوا حوله ووجدوا منه ترحاباً وكراماً وتشجيعاً. ولم يطلبوا منه معجزات كالفرّيسيين. بل حسب قول البشير "كانوا يدنون منه ليسمعوه". وبعضهم تبعوه كما فعل متى الذي صار رسولاً. مع انه لم يظهر ان فرّيسياً واحداً تبعه علانية

فهاج غيظ الفرّيسيين على مُصلح ونجّم بكلام صادق وخيف. وكشف النقاب عن فسادهم على مسامع الشعب وخالفهم في اعتبار هؤلاء. وخطأهم في معاملتهم العشارين. وفضل العشارين عليهم. وهاج غيظهم على العشارين ايضاً لانقيادهم الى هذا المصلح. وتذمروا وهم رعاة الشعب لقيام يسوع بما يطلب منهم نحو هؤلاء الخراف من رعيتهم. ولم يدركوا ان ما لاموه عليه هو فخره ومجده الحقيقيين. واهالهم اياه هو عارهم وانهم الابديين^(٢)

(١) عمل بولس الرسول ما يشبه عمل يسوع لما خصّ بنبيّيره اليهود اولاً. ولما رفضوه حوّل خدمته الى الامم (اع ١٨: ٦-١٨) (٢) عودنا الى الفرّيسيين وامورهم وكشفنا عيوبهم بقصد يو ليس فقط تفسير حوادث حياة يسوع تاريخياً. بل تنبيه الافكار الى فرّيسي كل العصور. ولا سيما في عصرنا هذا نقبجاً للعبادى الفاسدة التي تتسلسل من

ساد آتذ ولا يزال يسود اعتقاد منبعه شيطاني. وهو ان الله يفيض الخاطئ ويريد ابعاده لكونه خاطئاً. حال كون الحقيقة ان المكروه عند الله ليس الخاطئ بل خطيئته كما ان المكروه عند الوالد الشريف ليس ابنة الشرير بل شره. ويسوع جاء من السماء ليعلم للبشر الخطاة افكار الله وعواطفه الابوية. فكان تخصيصه مشاهير الخطاة في التفاني ومعالجة الروحانية اياهم ضرورياً جداً لاجل هذا الاعلان

فلما تذمر الفريسيون والكتبة في احد الايام على يسوع قائلين "هذا يقبل خطاة وياكل معهم" قدم لهم ثلاثة امثال في عقد واحد بياناً للحقيقة الجوهرية ان شر الاشرار لا يزيج المحبة الالهية الابوية عنهم. بل يؤثر في الرضى الالهي وفي كيفية المعاملة. لكن ليس في المحبة. لانه عند وقوع البنين في اشراك ابليس يشتعل الحب الابوي مضاعفاً اسفاً على تعاسنهم ورغبة في تخليصهم منها. ومثال ذلك يشاهد في من له ولد قاصر او مريض او معتوه او شارد. فتوبة الشرير عزيزة جداً لديه تعالى ولدى جميع البشر الصالحين

اول الامثال الثلاثة المشار اليها سبكه في قالب الاستفهام. سأل سامعيه من منهم لمة مئة خروف واضاع واحداً منها لا يترك في البرية التسعة والتسعين التي لم تضل وينتقش عن الضال حتى يجده (١). فكانه في هذا السؤال يبيّنهم كرهاة الشعب على اهلهم الضالين مكتفين بالتسعة والتسعين التي يعدونها غير ضالة. وحاسبين ان الضال يستحق ما هو فيه من العذاب والخطر والهلاك

امثالهم جيلاً بعد جيل. وتظهر في كل جيل ونشوته. ونحذراً لكل فرد من ان ينقاد الى هذه المبادئ التي تجلب على صاحبها الويلات التي نطق بها يسوع على فريسي عصره (١) سأل مثل هذا السؤال في قالب آخر وقرينة أخرى سابقاً

انظر ٢١

ان يسوع يقدم ذاته كالراعي الصالح الامين المحب الذي ليس فقط لا يالو جهداً في تفتيشه عن كل نفس ضالة بمفردها بل ايضاً انه لما يجدها لا يعاملها بالعنف اقتصاصاً منها نظراً لما تكبدت بسبب شرورها. اذ يرثي لضعفها ويحن لشقاها ويحملها على منكبيه فرحاً^(١). ويأتي بها الى بيته مميّزاً اياها بذلك عن التي لم تضل. ثم يدعو للاشتراك معه في فرحه ارواحاً تشبه بالاصدقاء والجيران اي الملائكة والقديسين في السماء الذين يفرحون بمخاطبة واحد يتوب اكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون الى توبة^(٢)

فمن هو هذا الذي ينجاسران يصف حوادث السماء وكيفية افراح اهلها؟ لاحق لاحد في ذلك الا ليسوع ذاته الذي كان منذ الازل في حضن الاب وقد نزل من السماء. ومن هم المعبر عنهم بالتسعة والتسعين باراً لا يحتاجون الى توبة. ليسوا ملائكة. لانه يقول ان الملائكة لا تفرح بهم كفرحها بالضال القائب. ولا بشرأ صالحين. لان الرسول يقول "ليس بار ولا واحد. الجميع زاغوا وفسدوا معاً"^(٣). اذا هم الذين يتوهمون ويدعون خطأ انهم ابرار. وهذا ما كان يفعله سامعوه من الفريسيين. ويفعله خلفاؤهم في كل جيل

لكن على افتراض كان هؤلاء ابراراً ولم يضلوا. واعتبرت قيمتهم مئة ضعف العشارين والخطاة والضالين لا يكفي بهم هذا الراعي السماوي ويترك المحقرين والمرفوضين منهم. بل متى رأى توبة خاطيء واحد يسر بذلك اكثر من الفرائض المقدسة التي يمارسها الرؤساء في الهيكل من صلوات واصوام وتقديمات. لانه جاء من السماء ليخلص الخطاة. ثم انه لا ينتظر الخطاة ليأتوا اليه اولاً. بل هو يقصدهم ويحدهم ويحتمهم على الرجوع الى الله والى بيت ابيهم

(١) اش ١١: ٤٠ (٢) هذا عكس قول الفريسيين. لانه ورد في كتبهم انه يكون فرح قدام الله عند ما يهلك عن وجه العالم انسان من الذين يكدرونه

(٣) رو ١٠: ٣ و ١٢

الاصلي الحقيقي . فلو كان الفريسيون على مشرب اهل السماء لسروا ايضا بما
يسر اهل السماء . والخاطئ الذي يعرف ان توبته تجعل اجراس السماء تفرع
فرحاً يجرد دافعاً قوياً وشريفاً يسرع به الى الخلق

والمثل الثاني يصور للنساء بين سامعيه عملاً نسائياً في البيت . ويجعل
النسبة بين الضالين وغير الضالين كواحد الى عشرة فيعظم نسبة قيمة الخاطئ
وخسارة المالك السموي الذي له الارض وملؤها المسكونة وكل الساكنين
فيها ^(١) . في المثل اضاعت المرأة درهماً من عشرة وبعد التفتيش بواسطة
تكنيس البيت على ضوء السراج نجحت . ففرحت جداً بوجوده كما فرح
صاحب الخروف . واشركت الآخرين معها ايضاً في الافراح

يجوز القول ان المرأة تمثل الكنيسة كما مثل الراعي المسيح رأس الكنيسة
وعريسها الروحي . فكنيسة المسيح الحقيقية تسير على خطتها لانها مقودة بروحه .
ولذلك تفتش بكل اجتهاد عن التائبين في قفار الخطيئة . والسراج الموقد
بيدها هو كتاب الوحي الذي قال فيه داود "سراج لرجلي كلامك ونور
لسبيلي" ^(٢) . والتكنيس هو الارشادات والتأديبات الكنسية التي من شأنها
تنقية القلوب واصلاح التصرفات . والكنيسة تصدق في اعترافها "الدرهم
الذي أضاعته" . لان كثيراً من المالكين يطلب من الفاترين في الكنيسة
ومن الكنيسة اجمالاً بسبب تقصيراتها ^(٣) . والراعي محق في قوله خروفي . اما
المرأة فلا تقول درهمي لان الملك ليس للكنيسة بل لرئيسها

علم يسوع في هذين المثلين ان نبع الخلاص هو العمل الالهي في طلب
الخاطئ لاعمل الخاطئ في طلب الخلاص . لان هذا الثاني من ذلك النبع .
فليس في الدين قول جوهرى اكثر من القول ان الاصل في الدين ليس ما
يعمله الانسان لاجل الله بل ما يعمل الله لاجل الانسان

(١) مز ١٣٤ (٢) مز ١١٩: ١٠٥ (٣) انظر حز ١٧: ٢٣-٢١

اما المثل الثالث فانه الدرّة الفريدة في عقد امثال يسوع كافة . وفيه تشبيه لعمل الاولاد في العائلة تنبيهاً للاولاد بين سامعيه . ويوضح ما لم يعلن في السابقين من عظم المسؤولية على الذين يصلون عن الله ونواميسه . ويلاحظ ايضا ان هذا المثل يمتاز علمهما في القيمة المعطاة للضالين . لان نسبتهم كواحد الى واحد ويمثلون بالابن العزيز الاصغر لا بمعدن او حيوان . وفي ابضاحه ضرورة العمل البشري في الرجوع الى الله بالتوبة والارادة المطلقة . الامر الذي هو ثمر العمل الالهي الاساسي في التنقيش عن الضالين وفتح الباب لخلاصهم . فضم هذا الامثال الثلاثة الى عقد واحد ضروري لاستيفاء الفائدة في امر الخلاص

حصر يسوع الشعب اليهودي الذي خصّه بمجده في صنفين يمثلها ابنان لاب واحد . فالان الاكبر الذي له شرعاً نصيب مضاعف في الارث^(١) يمثل جميع الذين يحافظون على صورة الدين . وهم في اعين الناس واعين انفسهم اهل الدين والامانة لله . لانهم يحفظون بتدقيق فرائض الدين الخارجية ولا يتبهون علانية في برية الاثام والمعاصي

ويمثل الابن الاصغر سائر ابناء الامة الذين يتبعون الاهواء المنكرة ولا يتقيّدون بفروض الدين فيجدون المراحم الالهية ويستخدمون عطايه تعالى لهم في العصيان عليه . ويبدلون حرية البنوة لله بالعبودية العلنية لابليس . ويجدون لذتهم في هذه العبودية المعيبة لاني تلك البنوة الشريفة . اذ يقصدون عمداً وظاهراً الابتعاد عن الله . لذلك يتبهون دون خجل ودون تردد عن كتاب الله وعن عبادته وعن معشر الابرار . فينجّم عن ذلك ابتعادهم عن الفلاسفة والسلامة والسعادة . وبالاجمال عن صالحهم وصالح من هم حولهم في الدارين

شطر^(٢) هذا الابن الاصغر عن بيت ابيه وعن اخيه الوحيد وعن العناية

(١) نت (١٧:٢١) (٢) اي شرد فسي هذا المثل مثل الابن الشاطراي الشارد

الوالدية وعن خيرات وطنه وعن المعشر الصالح وعن العمل لزيادة الثروة التي تأتيه بالارث من ابيه . ملّ ونفر من القبول البيتية الشريفة والسطوة الوالدية المكرمة . واشتهى ان يحكم نفسه بنفسه . وان يتطوَّح في الملذات الفاسدة بين الاشرار . اخى عنه لنير ابليس فكانت كل ملذاته تمكّن هذا النير وتصبّ عليه النجاسة منه الى أن امست حالته حالة الجنون حالة من لا يدري ماذا يفعل ولا يفعل الا للمضرة

شقّ عصا الطاعة البنوية . فعزم على الابتعاد عن ابيه لكي يتصرّف كما يشاء . فخلع ثوب اللياقة وطلب بكل وقاحة من ابيه وهو لا يزال حياً نصيبه من الميراث . ترك روح البنوة الذي يقول "ابانا الذي في السموات . خبزنا كفافنا اعطنا اليوم" وطلب دفعة واحدة كل نصيبه من ابيه ليستقلّ عنه تماماً . فهو اشبّه بالخاطيء الذي يعيش لذاته دون نظر الى ارادة الله ويتباهى باستقلاله عنه تعالى مفتخراً بما يعيبه

فما ان الطاعة الاجبارية لا تحلّ ولا يحبّ اراد ابوه ان يجاريه على طلبه المنكر ويطلق له الحرية التامة واعطاه نصيبه من الميراث كما يرى ذلك في معاملة الله الاشرار الذين يعطيهم من عنايته الفياضة خيرات ارضية جزيلة حسب ما يرغبون . ولكن هذه العطايا ليست علامة الرضى متى أعطيت للبعيد عن الله في عواطفهم وتصرفاتهم . ومع ان هذا الجاهل انفصل قليلاً عن ابيه لم ينصرف حالاً من بيت ابيه . "بل بعد ايام ليست بكثيرة" . هكذا الخاطيء ايضاً لا يتندى حالاً بالانفصال الكلي عن الله . بل يتصل تدريجاً الى ذلك والى اظهاره للآخرين

في الكورة البعيدة التي سافر اليها هذا الشاب اطلق العنان للاهواء الفاسدة حيث ليس من يردعه او ينجله او يذكره بماضي الصالح وباصله الشريف .

وفيها "بذر ماله بعيش مُسرف" حتى افتقر تماماً. وانفق عند فراغ جيبه حدوث مجاعة هناك مما قسى قلوب عشرائه وقطع عنه مصادر القوت الضروري

نتصوره مراعيًا في غربته بعض تقاليد شعبه في الأمور الخارجية. لكن عضة الجوع المجاعة الى الخدمة عند صاحب خنازير ارسله ليرعى خنازيره في البرية. فضي دينه لجوعه. ورضي بالنجاسة لكي يشبع. ولما كان يعود بالخنازير مساء الى ماواها كان صاحبها يعطيها عشاءها من الخرنوب المذخور عنده لئلا يسد به ما نقصها في المرعى بسبب القحط. وكان هذا المسكين يشتهي من شدة جوعه ان يساوي هذه الحيوانات النجسة "ويملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تاكله. ولم يعطه احد"

كثيراً ما يستخدم الله الشدائد لارجاع الناس اليه تعالى والى وطنهم الحقيقي السماوي. لكن وأسفاه ان كثيرين تزيد شدائدهم ابتعادهم عنه تعالى. فما يقصد الله بركة الخلاص يحولونه لعنة للهلاك. والذي تردده الشدائد الى بيت ابيه يبرهن بنوية الحقيقية. فان هذا الابن الشاطر وجد في قلب مصيبيته باب الخلاص. وكان مثلاً جديداً للحقيقة ان الدخول الى الخلاص يكون من باب اليأس

ان هذا الولد لا يزال ابناً واباه لا يزال اباً. وكما ان الطاعة لم تصيره ابناً هكذا عصيانه لا يقطع هذا العلاقة التي هي وضع الهى ولا يلاشيها الا الموت^(١). ولا يخفى ان في صدر كل خاطيء من بني البشر جرثومة البنوة لله. فمها هبط شر الناس في حماة الاثم. ومما علت جبال خطاياهم فهذه الجرثومة المباركة لامتوت ما داموا في قيد الحياة ما لم يمتوها عمداً بنجد يفهم على الروح

(١) ما ادرانا اذا كانت نتجدد وتدمم العلاقة البنوية في الابدية حيث يتكلم المؤمنون مع ابراهيم واسحق وابنه ويعقوب حفيد.

القدس الذي وحده يوقظها ويحييها ليلاً صاحبها الى الخالص الوحيد وينال
الخالص

قبل ان هذا الشاب رجع الى نفسه . لان الفاقة الشديدة طيرت جنونه
واعادت اليه الرشد . فكان رجوعه الى نفسه مقدمة لرجوعه الى بيت ابيه .
فلما عقد النية على هذا الرجوع كان تائباً ومتواضعاً وموقناً برأفة ابيه وكرمه .
لان كل هذا ظهر في الكلام الذي اعدّه ليقوله لايه عند المقابلة

قد ظهر صدق توبته بقوله " اخطأت الى السماء وقدامك " . بهذا
اقتدى داود الذي بعد سقطته الفظيعة صلى " اليك وحدك اخطأت والشر
قدام عينيك صنعت " (١) . وشعوره بان خطيئته كانت ليس ضد ابيه فقط
بل ضد الله بالاكتر حوّل حديد ندامته الى ذهب توبته . فالندامة وحدها
كالشجر العديم الثمر فيقتضي تحويلها الى توبة مثمرة . ولا يسمى عمل " ما خطيئة " .
بالنسبة الى حقوق الناس بل بالنسبة الى حقوق الله فقط .

وظهر صدق تواضعه في شعوره بانه اضاع كل حقوقه الاصلية . فلم يعد
يليق الا ان يكون بين الاجرى . لابل يكون قبوله كاجير (٢) فضلاً من ابيه
وظهر صدق ايقانه في رأفة ابيه انه قام وذهب غير خائف ان يطرده
ولو كان مستحقاً ذلك . وهذا الايمان (اي الايمان) شرط جازم في التوبة .
فالتوبة دون ايمان تكون فارغة وتبقى ندامة فقط . والندامة لا تؤدي الى
الخالص كما يشهد حادثا عيسو والاسخريوطي . فالابن في المثل لا يعزم فقط
على الرجوع بل رجع وليس كالكثيرين الذين يكون عزمهم الحسن كره
لا يعتقد . فاي نفع في احسن عزم ان لم يخرج الى حيز الفعل ؟

(١) مز ٥١: ٤ يرى البعض في هولا الاجرى عالم الحيوانات التي يفتح
المخلوق يده فيعطى قوتها في حينه ويملاً كل حي سروراً . يجب ان يتأمل المخاطب العاصي
على الله بالمخلقة الطائعة له ومتى فطن كيف تشبع الحيوانات من جوده تعالى يدرك ماله
عند الله من الشبع الروحي ان خضع لله

وفيما هو يقترب من بيت ابيه كان قلب هذا الوالد ملتهباً بالحب الشديد لهذا الشارد وابصاره تراقب الطريق التي ذهب فيها متوقفاً اياه نائباً . لانه عاناه من اجل ابنه الضال اكثر مما عاناه الراعي والمرأة بمقدار ما لمعزة الابن من التفوق على الدرهم والخروف وطول غياب ابنه الحبيب . وكان ثم مراقبته الدائمة انه " رأى ابنه اذ كان لم يزل بعيداً " فلم ينتظر وصوله . ولم يفكر بتذليله . ولم يذكر سيئاته . لانه يعلم ان الاستعباد لابليس هو اعظم المصائب الداعية للشفقة . فهل يزيد عذاب ابنه بتوبيخه على ما مضى ؟ لان القصد من التوبيخ تحريك الصالح للتوبة فتى ظهرت لا يعود له محل

ظهر الجمال الادبي بكل معناه في هذا الاب في القول انه تحن لما رأى ابنه . بينما كان ينتظر انه يغتاض . وهكذا خلاص الخاطئ عند الله ليس ناتجاً عن مجرد الاشفاق الالهي . بل عن محبة الاب لابنه الشارد في قفر الهلاك الروحي والمقيد بسلاسل عدوه ابليس هذا الابن هو من صلب ابيه مهما شرد واضاع المشابهة له . هو حامل اسمه مهما لطخ شرف هذا الاسم . هو وارث بيته مهما بذر من ارثه في المعاصي

يقاى الخالق سبحانه في كل شيء الا في ملاقاته الخاطئ النائب . فلاشارة الوحيه في الكتاب للاستعجال الالهي وردت في هذا المثل . لان يسوع قال عن هذا الاب انه تحن وركض لملاقاة ابنه . وقابله مقابلة محب حنون . ونسي كل ذلك التاريخ الماضي المعيب اذ " وقع على عنقه وقبله " على رغم حاله القدره . وعوض له عن خسارته وشقائه في الماضي بالتفات يفوق التفاته الى ابنه الذي لم يضل . ولم يتمهل في المصالحة والغفران واعادة الحقوق البنوية الى ان يبرهن ابنه صحة توبته بسلوك حسن منه كافية . بل وهب له هذه كلها دون استحقاق سابق . بل مع ضياعه كل استحقاق بنوي سابق . فتكون طاعته المتواصلة بعد المصالحة والمغفرة والاكرام برهاناً افضل لصحة توبته من الطاعة

التي يقدمها للحصول على الانعامات الابوية . كما ان المغفرة التي تُعطى للخطيئ
قبل الطاعة القائمة تكون نعمة الهية وكرماً اكثر من التي تعطى جزاء بعد
الطاعة . وفي العهد القديم اساس كافٍ وجميل لمعرفة هذا المبدأ الديني
المتعلق بفيضان الغفران الالهي لجميع التائبين (١)

ما احمل هذه المقابلة الحبية الحارة التي فيها فاق سرور الاب الصالح على
سرور ابنه التائب . فهل كان تأثيرها في هذا الشاب توقُّفه عن انكسار القلب
بسبب ماضيه المعيب ؟ او عن التذلل اللائق امام هذا الوالد الكريم ؟ او
عن الاعتراف الذي قصده لما رجع الى نفسه في غربته البعيدة ؟ كلا ثم كلا .
ان عزمه الصالح تجدد وتقوى بسبب ما اخبره الآن من الحب الوالدي
والعاطفة الشريفة والغفران المجاني . هكذا الخطيئ التائب يتأثر افضل تأثير
من الغفران الالهي المجاني الحالي الكامل وتزيد وتقوى توبته الصادقة . ومن
المستحيل ان يولد فيه هذا الغفران طمعاً بالحلم الالهي لكي يوجِّل اصلاح سيرته
ويتساهل مع الاميال الشريرة . لان هذا الغفران يكون روابط جديدة حيية
بينه وبين الغفار تجعله ان يحسب بكل قواه جميع ما لا يرضاه . عند هذا
اللقاء ابتداء الابن الشاطر بالقول الذي رتبته لما رجع الى نفسه وهويين
الخنازير . لكن الاب اكتفى بالفاتحة وقاطعه في الكلام قبل وصوله الى الطلب
ان يكون اجيراً عند ابيه . واسرع بالامر لعبيك ان يجتهدوا بخدمة كالابن
الاصغر الاعز . وكان حقوقه في البيت أُعيدت اليه مضاعفة (٢) . فبدلاً من
الخرق القدرة الرثة التي اتى فيها اتوه بالحلة الاولى اي بالفخر الموجود اشارة

(١) ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج وان كانت حمراء كالودودى تصير
كالصوف (اش ١٨: ١) هذه الجمرة مسّت شفتيك فانزع ائتك وكفر عن خطيتك (اش
٧: ٦) انت تعلقت بنفسى من هوة الهلاك فانك طرحت وراء ظهرك كل خطاياي
(اش ١٢: ٣٨) قد محيت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك (اش ٢٢: ٤٤)

(٢) اش ٢٠: ٤٠ و ٧: ٦١ ورو ٢٠: ٥

الى صفاته الجديدة . هكذا يفعل الله مع الخطايء الغائب اذ يمنحه ثوب برّ
 المخلص^(١) ليرتدي به . فيظهر امام الله ليس معاباً باثامه بل مبرراً ومطهراً
 بجود مخلصه . ثم امر الاب باعطاء ابنه الخاتم علامة السلطان النبوي الذي
 بخوله حتى الختم عن ابيه في المعاملات الرسمية . وفي هذا اشارة الى السلطان
 الروحي الذي يهبه الروح القدس لمجاوله في التائبين . وامرله بجذاه ليقمّن
 من السعي الجدي في صواح بيت ابيه . وفي هذا اشارة الى الوقاية الروحية
 التي يحصل عليها كل نائب حقيقي . ثم اكل الاب احفاده بتوبة ابنه باعداد
 وليمة ياكل فيها ابنه الفخر ما كولات البيت تعويضاً عن آلام الجوع في ما مضى^(٢) .
 وصرّح لعبيده سبب كل ذلك بقوله "لان ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان
 ضالاً فوجد" . عدّ توغل ابنه في الشرور موتاً ادياً روحياً كما ان غيابة اشبه
 بالموت الجسدي . فكان رجوعه كمن يقوم من قبره . فالخطيئة وليس موت
 الجسد هي الموت الحقيقي . وهذا ما اشار اليه سبحانه لما انذر آدم انه يوم ياكل من
 الثمر المنهي عنه موتاً يموت^(٣) . وبينما كانت الافراح دائرة في البيت عاد الابن
 الاكبر في آخر النهار من الحفل . وتعب اذ سمع اصوات الطرب وما يتعلق
 بها دون داع يعلمه اذ ذلك . فظهر اخلاقه السيئة اذ لم يدخل ببساطة قلب
 فرحاً لما سيجي في بيته . بل دعا احد الغلمان باسائة ظن وخبت واستعلم منه
 الحقيقة . وعند ذلك هاج حمقاً وحسداً ورفض الدخول والاشتراك في
 سرور ابيه واخيه

حقاً انه لا يوجد في هذه الدنيا افراح الا وترافقها اكدار التي كبراً ما
 تكون مسببة من الاقربين . صور يسوع في الابن الاصغر العشارين والخطاة
 الذين فتح لهم باب التوبة للخلاص ودخلوا . وفي الابن الاكبر صور الفرسيين
 الذين بدلاً من الفرح لاهتداء الضالين يتذمرون عليه لاجل ردهم وعليهم

(١) قد اذهبت عنك ائمتك والبسك ثياباً مزخرفة (زك ٤: ٣) (٢) اش ٦: ٢٥

(٣) انظر الكلام في اف ٤: ٢ وه وامثاله

لاجل رجوعهم . الابن الاكبر في تمرره لم ير في اخيه الا العيوب . حتى انه لم ير ض ان يسميه اخاه بل قال لاييه "ابنك هذا الذي اكل معيشتك مع الزواني"

قد يكون كلامه صدقاً لكن ليس الصدق كله . لانه سلب اخاه فضيلة التوبة . وفي كبريائه لم ير في ذاته الا الفضائل . اذ قال لاييه "ها انا اخذت منك سنين هذا عددها وقط لم اتجاوز وصيتك" . فلو فرضناه صادقاً في هذا القول لم يكن الصدق كله . لان افكاره في خدمته لاييه ظهرت بقوله "وجدت يا لم تعطني قط لافرح مع اصدقائي . وفي استيائه من فرح اييه . فيتضح من ذلك ان الانانية في روحه وتصرفاته وضعت بينه وبين اييه هوةً وابتعاداً اكثر مما وضعه الابن الاصغر في ذهابه الى كورة بعيدة وشروبه هناك . لكن اباه لم يعامله حسب استغناقه . لانه خرج اليه وتنازل له ولطفه بدلاً من ان يوجهه او يتركه . حتى بعد ان اهانه ابنة بتويخ مروشي من الاحتقار اجابه حياً بحجة قوية قائلاً "يا ابني انت معي في كل حين . وكل مالي فهو لك" . فالدليل من هذا ان الحب الالهي والرحمة لا يمسكها الله حتى عن الفريسيين المتكبرين القساة . بل يتمتعهم بكل وسائل التوبة والايمان نظير العشارين واكثر . ماداموا في الدنيا لا يزالون معدودين ابناء البيت وميراثهم في الملكوت محفوظ وما عليهم الا ان يتوبوا ويتركوا شرورهم كما فعل العشارون والخطاة قبلهم . لم يذكر في هذا المثل خبر لتوبة الابن الاكبر بعد ما ظهر من فظاعته . لكننا نعلم ان الذين مثلهم اي الرؤساء والفريسيون لم يتوبوا بعد او لم يؤمنوا . بل بقوا مصرين على غيهم . وعلى الحسد الذي جعلهم يسهون يسوع الى بيلاطس للصلب . وعلى البغض الذي ظهر في محابته امام رؤسائهم . ومعاملتهم اباه القاسية . نتعلم من قصة الابن الاكبر ان الاديبي المتكبر المتكلم على صلاحه لاجل التبرير امام الله هو ابعد عنه تعالى وعن السماء من الشرير الذي شره ظاهر ولا يدعي الصلاح . لان الامل في اصلاحه اقوى . ليس من شأن

تقرير هذه الحقيقة تخفيف خطيئة الذين شرورهم ظاهرة او عذرهما . بل التنبيه الى الشر الاعظم اي الشر الخبيث المستر بالمرء والمرتدي بالرياء والادعاء . قال الرسول " يقاوم الله المستكبرين . واما المتواضعون فيعطيهم نعمة " (١) فان اكبر الموانع في سبيل الخلاص الرياء والكبرياء . وبسببها امتنع الفريسيون عن الايمان والخلاص بالمسيح . وبسببها يعثر الكثيرون الآن . وقانا الله من شرها . ومن حسد الذين يميزهم بخيرات الزمنية والروحية كما حسد هذا الابن الاكبر اخاه (٢) . ولا تغفل عن التصريح الالهي بان اصرار الضال على ضلاله يُعدُّ خسارة عليه تعالى . كما ان رجوعه عن ضلاله يُعدُّ رجاءاً وسروراً له تعالى . فاعجب هذا الحب والتنازل الالهي ! وما اعظم هذا الباعث للامتناع عن الخطيئة



(١) يع ٦:٤ (٢) يجوز ان نرى في هذا المثل ايضاً تشخيص الامم الوثنية اجمالاً في شخص الابن الاصغر والامة اليهودية في الابن الاكبر . لانهم كانوا يرفضون الامم ويستأثرون من قبول يسوع اياهم

الفصل الثامن والثلاثون

(لوقا ١٠: ٦ - ١٠: ١٧ يوحنا ١: ١ - ١: ٥٤)

(المرصع) ف ٢٣ و ٢٤ (الزمان) ك ٢ وشباط السنة ٢٠ م
(المكان) بيت عنيا . بيرية . افرام

مثل وكيل الظلم . مثل الغني ولعازر . المسامحة . لافضل في اتمام الواجب . مرض
صديق لعازر . الراي المسيحي في الموت . مجي يسوع الى بيت عنيا . يسوع هو القيامة
والحياة . بكاء يسوع عند القبر . اقامته لعازر . ايمان كثيرين به وغيظ الروساء من
ذلك . موامرتهم على قتله . مشورة قيافا ونبوته

تابع يسوع تعليمه بالامثال . وخص تلاميذه بمثل يعبر عن وجوب
الاهتمام بالمستقبل . ويظهر غلط الذين يهتمون كثيراً بالزمن الحاضر ويغفلون
الاهتمام بالزمن الآتي . فيحافظون على زمنياتهم ويهملون روحياتهم
صوّر غنياً دعا اليه وكيله المسيطر على املاكه وطلب منه الحساب
واعلن له عزله بناء على وشاية اتته بانه يبذر امواله . وطلب منه في المحاسبة ان
يقدم صكوكاً (بتوقيع المزارعين وتصديقه كوكيل) تبين ما للمالك عند كل
شريك من حاصلات املاكه . فبدلاً من ان يعترف بخيائته ويستغفر
ويتعهد بالاصلاح اخذ يفكر بحيلة تنفعه بعد طرده من الوكالة . فالسلطة
الشرطانية التي تجعل الآثام تولد آثاماً أخرى جعلته يخترع خيانة جديدة أردأ
من الاولى . لانه دعا المزارعين الى الخيانة معه . ومن بطغي غيره تكون

دينونة مضاعفة

فلكي يشتري لنفسه بمال سيك اصدقاء يعولونه في ضيقه لقاء الارباح التي تأتيم بواسطته علم الشركاء ان يكتبوا صكوكا بكميات دون الحق ليصدقها ويقدمها للهالك . وقدّم لضميره هذا العذر "ماذا أفعل ؟ لست استطيع ان أنقب . واستحي ان أستعطي" . وكان اولى ان يقول "لست استطيع ان أخلس"

فلما اطلع مولاؤه على هذه الخيانة الجديدة دهش لجسارته وفطنته . وحسب المثل السائر "أعط الشيطان حقه" مدحه على ما سمأه حكمة في ما فعل . لم يتناول المدح الخيانة في عمله . والا فما كان تسمي "وكيل الظلم" ^(١) . ولأرجعة سيك الى وكالته . ختم يسوع هذا المثل بقوله ان ابناء هذا الدهر أحكم من ابناء النور في جيلهم . ونصيحة لسامعيه ان يستعملوا ما لديهم من مال الظلم ^(٢) في خدمة الآخرين ولا سيما في خدمة صواحبهم الروحية الابدية

ليس في هذا المثل قطعياً قصد إغثار من يجمع بالظلم او الخداع مالا لكي ينفقه كله او بعضه في سبيل الخير والاحسان . بل البيان ان افضل باب للتخلص سريعاً من مال الظلم متى وجد هو بذله في سبيل الخير . ولا سيما ما يهد للمحسن اليه طريقة الى السماء . الوكيل في المثل اوجد مال الظلم ليربح به اصدقاء يقبلونه متى جاء ضيقه . فكم بالحري يسعى الذي يقصد التخلص من مال الظلم الموجود بين يديه ليربح بواسطته اصدقاء يستقبلونه في الديار الابدية . وان كان وكيل الظلم اجتهد هكذا وبالحرمان ليحقق مستقبله الزمني . فكم بالحري يجب ان يجتهد كل حكيم ليتحقق مستقبله الابدي . والذي تظهر امانته في الامور الارضية التي تعدّ زهيدة هذا بخثاره الله ليرزقه الكنوز الاثني

(١) نذكر طابقي تفسير هذا المثل الصعب بقواعد تفسير الامثال التي وردت في ف ٢٢

(٢) لان قليلة سالم من انتلطح بالظلم . ولان من دايه ان يجرّ قانيه الى الظلم . لان

عجة المال اصل لكل الشرور (١ تي ٦: ١٠)

كثيراً اي السماوية (١)

ثم اعاد يسوع ما صرّح به سابقاً من استحالة خدمة الله والمال في الوقت الواحد وثبوت ناموس الله . وقداسة سنة الزواج . وغلط التساهل في امر الطلاق . ولما استهزأ به محبو المال من الفريسيين بسبب اقواله ذكرهم ان ليس من يبرّر نفسه هو المبرّر بل من يبرّره الله . وان احكام الله بعيدة عن احكام البشر

ثم شخص في مثل آخر غنياً " يتنعم كل يوم مترقياً " وجد بين ملتهمسي احسانه رجل اسمه لعازر (٢) مضروب بالقرح ومطروح عند مدخل قصره ليلتقط طعامه من الثنات الساقط من مائدة الغني . وكان الدواء الوحيد لقروحه تنظيفها بالسنة الكلاب رفقاءه عند الباب التي كانت تساقه في الثنات . واخيراً مات الرجلان وأكرما في موتها اكراماً متخالفاً . فالغني دُفن بمزيد الاحشاء البشري وحرم النصيب السماوي . ولعازر لققره المدقع لم يذكر حتى دفنه البسيط البشري . لكن الملائكة التي تحلّ حول خائفي الله (٣) حملته الى " حضن ابراهيم " (٤)

ففي الهاوية التي ذهبت روح الغني اليها لعدم استعداده للسماء رفع عينيه الى النعيم ورأى سعادة لعازر هناك . فلم يحسر ان يطلب التخلص تماماً من عذابه في الحجم . لكنه توهم ان تلطف آلامه ممكن . وعلم ان الاسترحام من العزة الالهية عبث بعد ان اهل ربه كل مدة حياته . فاستنجد بزعيم مذهبه الاقدم اب الامة اليهودية واب الاباء ابراهيم . كان تعود في حياته احتقار لعازر والآن توهم ان يستخذه لتخفيف عذابه . فطلب من ابراهيم قائلاً " يا ابي ابراهيم ارحمني وارسل لعازر ليلّ طرف اصبعه بماء ويبرد لساني . لاني معذب

(١) " ان الله يثيب الامناء في اليوم الاخير حسب اعمالهم لاجلها " (ادي)

(٢) ليس لعازر بيت عنيا اخا مرثا ومرم (٣) مز ١٣٤ : ٢ (٤) كان اليهود يعنون " بحضن ابراهيم " دار النعيم

في هذا اللبيب^(١). هوذا الذي كان لعازر يشتهي فئات مائدتيه يشتهي الآن قطرة ماء من اصبع لعازر

فاجابه ابراهيم ان الذي يستوفي ملذاته في الحياة الدنيا غير مبالٍ بالابدية لا بد ان ياتيه يوم فيه يعرف مقدار خسارته الجسيمة . والذي يتم شروط نيل السعادة الابدية لا يهتم ولو مهما تقضى عليه في حياته الدنيا من الدل والعذاب . لان ساعة واحدة في حزن ابراهيم تعوض كل ذلك وتنسيه اياه . وان بين النعيم والحميم قوة عظيمة مثبتة يستحيل اجنيازها . فلا يمكن ان يسقط الى الحميم من قد نال النعيم ولا ان يرتقي الى النعيم من قد ارسل الى الحميم . هذا الجواب من ابراهيم يلاشي كل الآمال الفارغة المنتشرة المتعلقة باستعمال وسائل للصعود بعد الموت من الحميم وعذابه الى النعيم وثوابه . لان هذه الآمال اغواء شيطاني

لما تحقق هذا المعذب ان تلطف عذابه مستحيل والقضاء عليه مهمل حول فكره الى اخوته الخمسة الذين تركهم في الدنيا . علم ان عذابه يزيد متى انضموا اليه في الحميم وطالبوه بما كان يجب عليه ان يفعل في حياته لردم عن طرق الهلاك . فطلب من ابراهيم ان يرسل لعازر اليهم لينبئهم بما اصابه من العذاب ويحذرهم من الانضمام اليه . فاجابه ابراهيم بما معناه ان حاجة اخوته العظمى ليست الى زيادة البراهين العقلية . وان الذين لا تكفيهم براهين الكتاب للآيمان لا يؤمنون ولو مما زيد لهم من الميقات العجيبة . عدم الايمان عي روجي لا تزيد البراهين الجديدة . كما انه لا فرق عند الضرب بين درجات النور . فلو زادت الشمس ضياء لا يستفيد بذلك

(١) لا سيل الا الحجاز في التعبير عن امور الروح . لذلك يشبه عذاب الارواح الملائكة بجريق النار في الاجسام . والانجيل لا يعلن اسلوب اتصال المعرفة والكلام بين سكان الحميم والنعيم اذ ليس هنا من قواعد الدين او من واجبات الانسان فلا يطالب الكتاب بايضاحه

ظن هذا الغني الغبي ان اخوته الذين عرفوا لعازر في تعاسته على الارض
يتنبهون متى رأوا آتياً من السماء مجيئاً ليبلغهم تحذير اخيهم المعذب. فيتوبون
ويطلبون الخلاص. لكن جواب ابراهيم فند زعمة الواهن. نرى في هذا المثل
اشارة الى الارتباط الكلي بين قسي حياة الانسان وان احواله في الآخرة تتبع
احواله الروحية في الدنيا. وان باب السماء لا يبقى مفتوحاً لغير الثائمين بعد
موتهم. وان استنجااد الانسان في حياته بالقدسين في السماء لا فائدة منه على
الاطلاق

ثم بناء على تأثير تكرار كلامه السابق لتلاميذه بخصوص العثرات
والمساحة وقوة الايمان قالوا "يا رب زد ايماننا". فصرح لهم بان لا فضل
لأفضل البشر في عين الاله. كما ان لا فضل لعبد مملوك في اجراء او امر سيده
قال "متى فعلتم كل ما أمرت به فقولوا اننا عبيد بطلون لاننا انما عملنا ما كان
يجب علينا" فان كان الذي يفعل كل ما أمر به يبقى عبداً بطلاً ماذا يقال
في الذين لا يفعلون الا جزءاً زهيداً من ذلك ؟

وفي هذه الاثناء اتى الى مقره في بيت عنيا على الاردن (المسماة ايضاً بيت
عبرة) رسول من بيت عنيا الاخرى قرب اورشليم ^(١) مستجلاً موفداً من
مرثا ومريم لابلاغه هذا القول "يا سيد هوذا الذي تحبه مريض". ليس محبة
اخيها ليسوع بل محبة يسوع لاختيها كانت المحبة في هذا الخطاب. وهذه على
الدوام لهجة التقوى الحقيقية المعترفة بان اساس السرور والرجاء والخلاص
ليس في محبة الخاطئ للمخلص بل في محبة المخلص للخاطئ. مرثا ومريم تعلمان
الخطر الذي يتهدد حياة سيدهم وحياة تابعيه ان عاد الى جوار اورشليم بعد
انصرافه من هناك بداعي هذا الخطر. فلم تدعوا له ان يأتي اليهما. ولربما تذكرنا
انه كان احياناً يشفي عن بعد فيكفي ان يتبلغ مرض اخيها
فاجاب يسوع على هذه الرسالة وجيزاً دون تقديم عذر لعدم ذهابه مع

الرسول قال "هذا المرض ليس للموت بل لاجل مجد الله ليتجدد ابن الله به".
 نقدر رجوع الرسول سريعاً ناقلاً كلام الاطثنان هذا ليرد هيب القلب في
 الاخيرين. لكن اية تعزية لها في هذا الكلام مع الرسول وقد سبق في غيابه
 ابداع جثمان أخيهما في قبره. وماذا تفكران الآن او يفكره رسوله في قول
 يسوع في ذات يوم موته ان هذا المرض ليس للموت؟ اما الصديق في قول
 يسوع فراجع الى صحة تفسيره. يستفاد من هذه القصة ان بعض كلام الكتاب
 المستصعب او المستحيل تصديقه يعود ذلك الى عدم الاهتداء الى تفسيره الصحيح
 لا بد ان الرسل اطمانوا لما لبث يسوع في مكانه يوماً ثم ثانياً ولم يمس
 بهم الى محل الخطر. لكن كلام البشير عن محبته هذه العائلة الثقية أكد انه
 لم يتأخر عن الذهاب بسبب عدم اكترائه لها. اما اطثنائهم فلم يطل. لانه
 في اليوم الثالث وهم لا يعلمون بان حبيهم لعازر قد مات امرهم يسوع ان
 يستعدوا للعود الى اليهودية

فعارضوه أولاً بقولهم "يا معلم الآن كان اليهود يطلبون ان يرجعوك
 وتذهب ايضاً الى هناك"؟ احنا روا في هذا الامر الجديد. لانه لو كان ذهابه
 ضرورياً لشفاء لعازر لماذا لم يذهب حالاً؟ وان كان غير ضروري فلماذا
 يناظر بنفسه وبهم؟ نرى في هذا القول شاهداً نقول الحكيم "ان لكل شيء
 زمان ولكل امر تحت السموات وقت *** للصيانة وقت وللطرح وقت
 *** للحرب وقت وللصلح وقت" (١). فانه في الشهر الماضي انصرف يسوع من
 اورشليم ومن كل مقاطعة اليهودية ولجأ الى يريّة تخلصاً من غيظ الرؤساء
 الطالبين قتله (٢). والآن بعد مرور نحو شهر نراه يفعل عكس ذلك مفتحاً
 المخاطر التي كان قد اجتنبها وعائداً الى "جب الأسود"

استخدم يسوع اعتراض الرسل ليعلمهم ان لا خوف على الذي يسير
 بارشاد الهي. لان هذا هو النور وعدمه هو الظلام. فالخطر المهلك في طريق

الذي يمشي برأى نفسه فقط. وأبان لهم انه يقصد بالذهاب الى اليهودية ايقاظ لعازر من النوم. ومن تسميته لعازر "حبيبنا" عرفناه شاباً ممتازاً في صفاته يليق ان يكون صديقاً خصوصياً ليسوع ورساله

فكان جواب التلاميذ اجمالاً ليسوع ان نوم هذا المريض علامة جيدة تدل على اشرافه على الشفاء. فلما رأى يسوع انهم لم يفهموا لغزه اوضح الامر بقوله "لعازر مات". ثم اظهر لهم ان عدم وجوده في بيت عنيا ليس في لعازر كان خيراً لهم لانه ينتج عنه تقوية عظيمة لايمانهم. فامساكه عن بركة الشفاء العظيمة كان لكي يهب بركة اعظم جداً في اقامة المريض بعد موته. وكثيراً ما يجري الاله على هذا المنوال مع خائفيه. قد سبقت تسمية يسوع الموت نوماً^(١). لان موت المؤمن وقي. ويعتبه يقظة القيامة والسعادة الابدية

يظهر ان التلاميذ ترددوا في امر الطاعة. لكن توما تحمس اخيراً وقال "لنذهب نحن ايضاً لكي نموت معه". في حادث آخر نرى توما ضعيف الايمان اسير الشكوك. لكن هذا الحادث يظهر شدة حبه ليسوع واستعداده ان يموت لاجله. فلا يدعه يذهب وحده الى هذا الخطر^(٢)

ثم سافر يسوع وتلاميذه وقبل بلوغهم بيت عنيا سمعت مرثا بقدومهم^(٣). فاسرعت للملاقاة سيدتها تاركة اختها مريم تقوم بواجب المعزين الجالسين في البيت. ولما كان يوحنا هو المخبر الوحيد بهذا الحادث وكان يعني غالباً "الروساء" بقوله "اليهود" نستنتج من قدوم هؤلاء من اورشليم للقيام بفروض التعزية ان هذا البيت كان من البيوتات ذات اليسر والمقام^(٤)

لا يذكر ان مرثا سجدت ليسوع او بككت عند وصولها اليه. بل يذكر قولها

(١) في حادثة ابنة يايروس ف ٢٥ (٢) نقول التقاليد الموثق بها ان هذا الامين الذي قال "لنذهب الى اورشليم لنموت معه" ذهب برفاقته الروحية الى اطراف المسكونة ومات شهيداً في بلاد الهند (٣) ولربما بايعاز من يسوع ذاته (٤) انظر ف ٢٤

فقط "يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي. لكني الآن ايضاً اعلم ان كل ما تطلب من الله يعطيك الله اياه". كان ايمانها بيسوع قوياً لكن غير كامل. لانه لما قال لها "سيقوم اخوك" لم تفتكر بانه يقيمه الآن. بل انه سيقوم مع سائر المؤمنين "في اليوم الاخير". فاحرم السيد ايمانها مع ضعفه كما يفعل على الدوام. وذلك باعلان فائق من اجل ما فاه به ومن اعظم النطق البشري. اذ قال لها "انا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الابد". في توجيه هذا الكلام الكبير لامرأة جدد برهان اكرامه الشريف للجنس النساء. وهذا الاكرام قد اصبح قاعدة اساسية للتدبر والرقى. ومن مقتضيات الدين الحق

لكن من غير الله ينسب الى نفسه صدقاً ان الموت والحياة يتوقفان على الايمان به؟ وانه هو الحياة وهو القيامة؟ ومن يستطيع ان يصف او يدرك مقدار التعزية التي حصلت للمؤمنين من هذا الكلام منذ لفظ به يسوع الى هذا اليوم. وستحصل في المستقبل الى ان يحى المتكلم مجيئه الثاني العتيد المجيد وقيم بصوته جميع الذين في القبور؟ لما سأل يسوع مرثا "أتؤمنين بهذا؟" اجابت "نعم يا سيد انا قد آمننت انك انت المسيح ابن الله الآتي الى العالم". فكان كلامها الاول زهر الايمان وهذا الثاني ثمره الذي نضج سريعاً

عند ذلك طلب يسوع ان يرى اختها ايضاً. فانظر حيث كان بينما أسرع مرثا الى البيت واخبرت مريم سراً بطلب يسوع. فلما قامت هذه حالاً وخرجت تبعها المعزّون لظنهم انها تحتاج الى من يلطف حزنها ويوقف بكاءها عند قبر اخيها. فكان لعلمهم هذا فائدة جلي. اذ بذلك شهد خصوم يسوع على غير قصدٍ منهم اعجاب معجزاته كافة. وبعد ان عابوا اقامة لعازر من قبره يستحيل عليهم الشك او الانكار

نشخص هذا الموكب الوقور سائراً بسرعة من البيت الى الجبانة لتقدمه الاخثان الخزيتان. ثم ارتباك هؤلاء اليهود اذ بغتوا برؤية المعلم الذي

بمغضونته ويطلبون موته ورأى المرأة التي يتبعونها تسجد عند قدميه . ونصرخ
كما صرخت اختها قبلها " يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي " . وهو كلام
كاتب بلا شك تردّدانه كثيراً في الايام الاربعة الاخيرة ^(١) . ليس في كلامها
ملامة لتأخر يسوع في الحجيء . لان اخاها مات يوم ذهاب رسولها . فلم تقول
" لو جئت " بل " لو كنت ههنا " . تكلمت مريم ثم انفجر نبع بكائها وبكاء اختها
وبكاء الذين رافقوها حتى اصبح المحل ساحة بكاء وعويل

فتهيّجت عواطف يسوع الرقيقة . " وانزعج بالروح واضطرب " ^(٢) . ثم
سأل عن محل الدفن ليس عن جهل لكن لانه لا يريد ان يظهر معرفته في
الغيب دون موجب لذلك . اذ يقصد بالاكثران يعرفه الناس كابن
الانسان . فاجابوه " يا سيد تعال وانظر " . فمشى معهم ودموعه تتساقط
بهذو حتى قال اليهود " انظروا كيف كان يحبه " ^(٣) . ربما تعجب كيف بكى
مع انه كان ذاهباً ليقبضه من قبره ويرده الى بيته . فلماذا لم يكن مبتهجا ؟
لا يتبع مادام احبائه مكتئبون . بل يقدم للعالم قدوة المواساة اللطيفة
الصادقة . فيبكي مع الباكين كما يفرح مع الفرحين ^(٤) . بكى لانه رأى في هؤلاء
الباكين مثلاً لبكاء البشر اجمالاً . بكى لشعوره مع البشر في مصائبهم التي
لا تحصى . فتعجب الرؤساء الحاضرون كيف لم يستعمل هذا الباكي قدرته

(١) المسافة بين بيت عنيا الشرقية والغربية سفر يوم فان اعتبرنا ان لعازر مات
يوم وصول الرسول اليه يكون ذلك اليوم مع اليومين اللذين قضاها يسوع في محله ثم
اليوم الذي سافر فيه الى بيت عنيا اليهودية اربعة ايام وذلك من حين موت لعازر الى
حين وصول يسوع الى القبر (٢) المعنى الاصلي للكلمة اليونانية انزعج هو اغناظ .
فيخال لنا ان المقصود اعلان شعائر الغيظ في قلب يسوع على عدوه ابليس الذي شخصه
امامة في هذه الساعة كما كان يفعل كثيراً لانه السبب الاعظم للشقاء والبكاء والموت في
العالم (٣) نجد ان كلمة بكى في هذه الآية في الاصل اليوناني تفيد البكاء الهادئ . بينما
الكلمة عن بكاء الآخرين تفيد البكاء المصنوب بالعويل . ولما بكى يسوع على اورشليم كان
بكاه بصوت مسموع وليس البكاء بسكوت (٤) رو ١٢: ١٥

المعمودة في شفاء شخص بحجة بهذا المقدار. وكان قد شفى امام اعينهم من مدة قصيرة انساناً غريباً في اورشليم وُلد اعمى فكيف لم يشف حبيبه لعازر ويمنع عنه الموت ؟

لما أتوا الى القبر تجدد انفعال يسوع ثانية بانزعاج الغيظ . ولا موجب لذلك الا على الفرض المعقول انه زاد اقتراباً عند القبر من خصمه الروحي ابليس ومن المصارعة القوية معه لخطف فريسة الموت من قبضته . لانه يقابله الآن في امنع معاقله اى القبر . وكان على باب المدفن حجر كبير يقتضي رفعه . وبما ان هذا باستطاعة الواقفين لا يفعل يسوع ذلك بمعجزة . ولو كانت تؤول لتعظيمه وادهاش الحاضرين وفشل خصومه . لما أسكت الجراهمائج بكلمة فعل ما كان مستحيلاً دون معجزة . اما الآن فأمر الحاضرين ان يرفعوا الحجر . وفي ذلك مرآة الخلاص . لا يجوز ان يتوقف الخاطئ عن العمل المطلوب منه محتجاً انه ينظر العمل الالهى العجيب . بل كما اوقف يسوع إقامة الميت على دحرجة الناس الحجر يوقف تخلص النفس على فعل الخاطئ في التوبة والايمان

اما صاحبة الكلمة في امر التقييد فاعترضت على رفع الحجر عن باب القبر بدافع الشك والاحشام لانها استنكفت الاشراف على جسد اخيها بعد ان بدأ فيه حسب زعمها الفساد والنفاء . وقالت " يا سيد قد انتن لان له اربعة ايام " (١) . فقابلها يسوع بتوبيخ لطيف في جوابه . " ألم أقل لك ان آمنت تترين مجد الله ؟ "

ولما فتحو باب القبر كان عمل يسوع الاول تحويل افكار الحاضرين الى المجالس على عرش الكون - ابيه الذي هو مرتبط معه ارتباطاً خوله حق

(١) يحظر على البال عند قولها " اربعة ايام " العقيدة السائدة عند يهود ذلك العصر ان الروح ترفرف حول جسد الميت ثلاثة ايام تحاول العود اليه وان مرثا تشير الى انه قد مضى الوقت الذى ضمنه يوجد بعض الرجاء برجع النفس الى الجسد الذى فارقه

القول في وقت آخر "انا والآب واحد". فلا يرضى ان يتصور احدا الحاضرين انه يعمل عملاً مستقلاً عن الآب . ولييان اشراك الآب معه في ما سيعمله الآن رفع عينيه الى فوق وقال "ايها الآب اشكرك لانك سمعت لي". ثم لكي لا يتصوروا انه يصلي كأحد الانبياء الذين ينالون احياناً ما يطلبونه وحياناً لا ينالونه قال في صلاته "انا علمت انك في كل حين تسمع لي". ولكي لا يظنوا ان صلاته كانت لاحتياج فيه كانه عاجز في ذاته قال "ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك ارسلتني". والقاعدة لكل من يريد ان يخاطب موقى الذنوب والخطايا ان يخاطب الله أولاً في الصلاة لاجلهم كما فعل يسوع في هذه الساعة

ثم عند نهاية صلاته صرخ بصوت عظيم قائلاً "لعازر هلم خارجاً". الصوت العظيم يشعر الحاضرين بعظم العمل وصعوبته . ويذكّرهم ان النفس غير موجودة في هذا القبر وانه ينادى بها عن بعد من وراء القبر^(١) . فعند هذا الصراخ السلطاني خرج الميت من قبره لابساً اكفانه التي قيدت حركاته . فامرهم يسوع "خلّوه ودعوه يذهب". فصحت الآن النبوة التي نطق بها يسوع يوم شفى عليل بركة يمت حسداً وقام عليه اليهود ليقتلوه قائلاً "الحق الحق اقول لكم تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون"^(٢)

من موجبات تصديق خبر اقامة لعازر برمته خلّوه من تفاصيل تختص بالتحيات والحديث بين لعازر بعد قيامته ويسوع واخيه والآخرين . ومن كل اشارة الى ما اخبره مدة افتراق نفسه عن الجسد المودع في القبر^(٣) . لانه لا يصدق ان خبراً مختلفاً كلة او بعضه يهمل اموراً كهذه

(١) ما عدا مرة واحدة وردت في تاريخ ايليا نجد ان الصوت الالهي يعبر عنه كصوت

قوي يشبه غالباً بصوت البوق او الرعود (٢) يو ٥: ٢٥

(٣) نقول التقاليد ان لعازر عاش بعد قيامته ثلاثين سنة

النور عند ظهوره يقسم الموجودات الى نظيفة وقذرة . وكل ما اشهد
النور تنجلي هذه القسمة اكثر فاكثروا . فلما ظهر نور سلطان يسوع وصلاحه
انشق الجمهور الحاضر الى شطرين . كثيرون منهم آمنوا به . ولكن قوم منهم
مضوا الى الفريسيين ليهيجوهم ضدّه . فصيح في هؤلاء قول يسوع السابق " ولا
ان قام واحد من الاموات يصدقون "

كانت هذه المعجزة حينئذٍ اقطع برهان لصحة ارسالية يسوع المساوية وصدق
تعليمه . واكفى اثبات لافتناع كل من عند قابلية للاقتناع بالحق . ومع ذلك
فالاكثر لم يؤمنوا ^(١) . بل ازدادوا قساوة وبغضا بتأثير رؤيتهم هذا
البرهان القاطع . وقصدوا ان يكذبوا قوله انه القيامة ومانح الحياة بقضائهم
عليه بالاعدام

فعقد هؤلاء المتقدمون في الشعب مع رؤساء الكهنة جلسة خصوصية
لمجمعهم الكبير للنظر في الظروف الجديدة التي اوجدتها إقامة لعازر من قبره
فاعترفوا انه كان يعمل آيات كثيرة . فان تركوه يؤمن به الجميع بتأثير
شخصه وتعليمه وآياته . وانه يخشى من هذه الحركة حدوث فتنة سياسية ضد
الحكم الروماني تحرك غضب الحكام وتجعلهم يملكون الامة او يبددون بها بالسي
وكانت هذه الجلسة توفيقاً عظيماً للدعوة المسيحية . لانها انت بشهادة جليلة من
خصوم يسوع

في غضون الجلسة تكلم رئيسها قيافا (رئيس الكهنة) كلاماً نبوياً أنطقه به
الروح الالهي على غير فهم منه . قال " انتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون انه
خير لنا ان يموت انسان واحد عن الشعب ولا تهلك الامة كلها . قصد
قيافا في كلامه نصيحة ان يقتل يسوع لئلا تهلك الامة بسببه . وقصد الروح

(١) الفيلسوف اليهودي الشهير سبينوزا من اعظم قواد القائلين بوجود اللاهوت
في كل الموجودات . وقال مرة " لو اقتنعت باقامة يسوع لعازر من الموت لكنت انرك كل
فإسفتي واعلها باطله واتبع بكل رضى المذهب المسيحي على علانيته

الذي نكلم بوا خطبه ان يبين ان موت يسوع كان كفارة عن الامة وليس عن الامة فقط بل "ليجمع ابناء الله المتفرقين الى واحد"

قيافا واكثر رؤساء الكهنة كانوا صدوقيين ينكرون القيامة وعالم الارواح . لذلك كانت اقامة لعازر من الموت ضربة مؤلمة جداً . لانها اعلنت للعموم ببرهان قطعي فساد تعليمهم . وهذا ما قوى اتحادهم مع خصومهم الفريسيين لاهلاك يسوع . ولا غرو ان مهدت كثيراً هذه القيامة الطريق لتصديق قيامة الذي اقام لعازر التي حدثت بعد شهرين . ولا سيما لان يسوع لم يرقد في قبره المدة التي رقد بها لعازر في قبره (١)

لم يصبر المجمع الى جلسة اخرى بل ربطوا في ذلك اليوم بقرار رسمي القصد القديم بقتل يسوع الذي حاولوا تكراراً اتمامه لكن عبثاً (٢) . واخذوا يسعون من الآن وصاعداً بموجب مستند رسمي مصدق من المجمع الذي لا يستأنف حكمه (٣) . لذلك انسحب يسوع وقتياً مع تلاميذه من دائرة الخطر واقام في مدينته يقال لها افرايم على اطراف البرية شرقي اورشليم (٤) . ولم يعد الرؤساء يعرفون اين يجدونه . وكان لهذا القرار اهمية عظيمة لانه الخطوة الاولى الرسمية في انتحار الامة الاسرائيلية والاعلان الاول الرسمي من رؤساء الكهنة بان يذبح "حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم"

(٢) هذه هي آخر معجزات يسوع التي صنعها امام العموم . وبحسب سكوت البشيرين الثلاثة غير يوحنا عن ايراد خبر هذه المعجزة دليلاً على انه لما كتبوا كان احد افراد هذه العائلة لا يزال حياً . فلم يوافق اشهار هذا الحادث عنهم . ولكن لما كتب يوحنا لم يكن هذا المانع (٣) انظر مر ٦: ٢٣ ويو ١٦: ٥-١٨ و ٢٥: ٧ و ٢٢ (٢) يوجد في تلمود اليهود قول بان الحرم الكبير قد أعلن على يسوع بصوت ٤٠٠ بوق قبل قتله باربعين يوماً حسب مقتضى النظام لاجل اعطاء فرصة لظهور الشهود في قضيتو (٤) موقع مدينة افرايم لا يزال مجهولاً الا ان البعض يظنون انها قرية الطيبة التي تبعد عن اورشليم اقل من سفر يوم كامل

الفصل التاسع والثلاثون

(مت ٢٠: ١٩ - ٢٤: ٢٠ و ٢٦: ١٢ - مر ٢: ١٠ - ٥٢ و ٢٤: ١٤ - ٩)
(لو ١١: ١٧ - ٢٨: ١٩ يو ١١: ٥٥ - ١١: ١٢)

(المرصع) ف ٣٥ - ٣٨ (الزمان) اذار السنة ٢٠ م.
(المكان) بيرية - اريحا - بيت عنيا

تطهير العشرة البرص . اتيان الملكوت . الفريسي والعشار . سنة الطلاق . مباركة
الاطفال . الرئيس الشاب الغني . مثل فعله الكرم . انباؤه الثالث بموته وقيامته . طوح
امراة زبدي وابنها . اعمى اريحا . زكا العشار وضيافته وتغييره . الوصول الى بيت عنيا
والعشاء والدهن بالطيب . المؤامرة على لعازر

رجع يسوع الى اورشليم لان عيد الفصح (ميعاد تقديم الذبيحة الكفارية)
صار قريباً . فاستقبله في قرية مر بها عشرة رجال برص كان احدهم سامرياً^(١) .
ولا يخفى ان المصابي تجمع الخصوم . فمراعاة للقانون واللياقة لبثوا بعيداً
وصرخوا "يا يسوع يا معلم ارحمنا"

في بداءة خدمة يسوع اقتضى ان يلمس البرص الذين طهرهم . لان في
ذلك بيان حنانه وتفضيله الرحمة على الفرائض الخارجية . اما الآن وقد اشتهر
كل ذلك فلا حاجة الى هذا اللمس . فاقصر مع هؤلاء العشرة على الامر ان
يروا ذواتهم للكهنة في اورشليم بياناً على انهم طهروا^(٢) . فاطاعوا حالاً قبل

(١) الابرص اليهودي نجس فلا تلبسه مخالطة سامري ابرص في منفاها في البراري

(٢) انظر ف ١٦

ان يروا من التطهير شيئاً . لذلك اكرم يسوع ايمانهم الذي اثمر بالطاعة . وفيما هم سائرون طهروا . اما التسعة اليهود فلم يبالوا بالذي قدّم لهم هذه الرحمة فتابعوا سيرهم نحو اورشليم . لكن السامري الغريب تأثر من احسان لم يتوقعه فرجع وهو يمجّد الله بصوت عظيم ليقدم الشكر اولاً للذي انقذ من العار والخطر والنفي وحرمان الحقوق الدينية . وجثنا عند قدمي يسوع . فقال جزاءه تلك الكلمة الثمينة "ايمانك خلّصك" . ألا يمثّل هذا الحادث اكثر التاريخ البشري ؟ وهل يؤدّي اكثر من واحد في العشرة شكراً لله على مراحم الوافرة ؟

بعد هذا سأله الفريسيون "متى يأتني ملكوت الله" ؟ فاجابهم بحقيقة اساسية متعلقة بملكوته . انه لا يقال عنه في مكان او زمان خصوصي . او ان هيئة او طائفة او كنيسة خصوصية هي ملكوت الله . بل "ها ملكوت الله داخلكم" . اي انه يؤلف من القلوب التي هو حال فيها وحاكم عليها

ثم صوّب كلامه الى تلاميذه الحالمين بالملكوت الزمني . وأشار مرّة اخرى الى ما امامه من الآلام الكثيرة والرفض . وتكلّم عن مخاوف اليوم الذي فيه يظهر ابن الانسان . لان ذلك اليوم يذكر العالم باحوال الطوفان العظيم وتدمير سدوم وعمورة بالنار والكبريت . حيث تسمي الامة اليهودية جثة بالية تنقض عليها النسر الرومانية وتقتنصها ^(١)

اكمل كلامه للتلاميذ بتقديم مثل القاضي الظالم ايعلمهم المداومة واللجاجة في الصلاة . لانه ان كان القاضي الظالم يلبي طلب ارملة اللجاجة وينصفها فكم بالمحري ينصف قاضي الكون العادل كل من يجد في الاستنجاد به اذ ان اللاجئيين اليه بايمان هم مختاروه

وبعد ذلك جدّد كلامه للفريسيين ليرهم صورتهم في مثل ثانٍ متعلق بالصلاة . فشخص لهم مصلياً فريسياً معتدّاً بنفسه يشكر الله في الهيكل في ساعة

(١) كان النسر شعار المملكة الرومانية ويوضع فوق كل راياتهم الحربية

الصلاة لامتيازهِ في الفضائل . وعشاراً يصلي في ذات الوقت والمحل متواضعاً عند مدخل الهيكل ورأسهُ المنحني يدل على خشوعهِ . وقرعهُ على صدرهِ يبين حزنهُ على آثامهِ . وكلامهُ يشف عن ايمانه بقوله ” اللهم ارحمني انا الخاطئ “ . ألم يقل الكتاب ان ” ذبائح الله هي الروح المنكسرة . القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحقرهُ “ (١) فنزل العشار الى بيته مبرراً دون الفريسي . ” لان كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع “

بعد هذا اتاهُ الفريسيون بسؤال عدائي في امر الطلاق . ومع ان عندهم قضاء الشريعة الموسوية تظاهروا باكرامهِ واعطائه الحق كما فعلوا قبلاً (٢) ليثبت او يلغي تلك الشريعة . فاعاد الحكم للشريعة . ولما حجّوه ان الشريعة تجيز الطلاق بشرط ان يتم رسمياً ويثبت بصك قانوني اجابهم ان هذا كان تساهلاً بالنظر الى قساوة قلوبهم . وسلم ان الله اعطاهم اولاً شريعة اقتضت على ما يجهلونهُ لكي يحرّروهم من فساد عوائد الامم حولهم . ويقودهم تدريجاً الى الوضع الالهي الاصلي الذي قضى ان تكون امرأة واحدة لرجل واحد (٣) . لكن نظام ملكوته الجديد لا يجيز الطلاق الا لعلّة الزنا . ومتى أُجري الطلاق على هذا القانون لا يجوز ان يتزوج المجرم فيما بعد

فلما سمع تلاميذهُ هذا القانون الضيق بالنسبة الى ما تعودوه قالوا ” ان كان هذا امر الرجل مع المرأة فلا يوافق ان يتزوج “ . فظهر لهم ان الامتناع الحسن عن الزواج هو الذي يكون لاجل ملكوت الله

وعلى اثر هذا الكلام في العلاقة العائلية فاه بكلام جميل يخلص بالاطفال . لان الازدراء بالصغار ساد كثيراً في كل اقسام العالم . وكل ما يرى من اهتمام الاهل باطفالهم لا ينافي هذا الحكم طالما هو من النوع الذي يشترك فيه المتوحشون والحیوانات ايضاً . فالخلص العمومي لا بد ان يهتم بهذا القسم

(١) مز ٥١: ١٧ (٢) في قضية المرأة الزانية ف ٢٢ (٣) اتخذ اليهود التساهل الموسوي حجة للتساهل الذي فتغلوا كثيراً في الشرور الناجمة عن ذلك

العظيم من النوع البشري . وكان تكملة للاطفال من اهم امتيازاته . جاءه في هذا الوقت اناس يقدمون اطفالهم "ليضع يديه عليهم ويصلي" (١) لانهم اشتهوا لاطفالهم بركة هذا النبي الكلي الطهارة والمقدرة . لكن الرسل ظنوا ان يقولوا سيدهم من الانزعاج ببيانهم هؤلاء ان مهمة يسوع اعظم من ان تسمح له بان ينظر الى امر طفيف كهذا . فانتبهروهم ليذهبوا عنه

اما هو فاعناظ بسبب هذه المعاملة الخشنة الدالة على البون العظيم بين مشريه ومشرب رسله ومعاصريهم وخطائهم في ذلك . وفي غيظه كما في رضاه كانت تشرق جواهر الحكمة الالهية . لانه في تبكيته رسله لفظ تلك العبارات المؤثرة التي يتعلمها كل ولد مسيحي ولا يقدر تأثيرها في العالم منذ ذلك الوقت وهي "دعوا الاولاد ياتون الي ولا تمنعوه لان مثل هؤلاء ملكوت السموات" . وصرح بانه لا يدخل احد ملكوت السموات ان لم يرجع ويصير مثل ولد (٢) اننا نوقن بان فداء يسوع يعم جميع الاطفال الذين يموتون في الطفولية في كل الاجيال على اختلاف احوال اهلهم الدينية والمدنية . وبناء على هذا ما اكثر الجمهور البشري الذي ينضم الى الجيش السماوي مقابل العدد الغير من البالغين الذين يموتون في خطاياهم

وفيا هو خارج الى الطريق جاءه رئيس يهودي غني جدا وجثا له كما فعل زميله في كفرناحوم (٣) . كل الامارات تدل على انه آتى باخلاص ليستفهم منه عن طريق الخلاص . واكرمه بقوله "ابها المعلم الصالح . اي صلاح اعمل لارث الحياة الابدية" . فاجابه صريحا بخلو كل بشر حتى اصلحهم من الصلاح الكامل . وانه لا يجوز نسبة ذلك الا الى الله وحده . فبما ان هذا الرئيس يعتبر يسوع معلما بشريا فقط تكون تسميته اياه معلما صالحا خطأ

(١) لا يُعرف من كلام البشير هل كانوا رجالا او نساء او من الجنسين

(٢) مت ٢٠: ١٨ (٣) اناه يارس بطلب دينوي اي شفاء ابتو الوحيدة اما

هذا فطلب روحي

سأل اي صلاح يعمل لكي يرث الحياة الابدية . فافاده يسوع ان
الصلاح الذي يؤدي الى الحياة الابدية هو الصلاح الكامل فقط . وهذا
معقول . لان الصك مثلاً الذي فيه علة واحدة يفسد كله . قال الرسول
” من حفظ الناموس كله وانما عثر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل “ (١) .

ولما ادعى الرئيس انه حفظ الناموس كله منذ حدثته نظر اليه يسوع واحبه
لاخلاصه واجتهاده . وعلى رغم جهله الحقيقة ان حفظ الناموس المقبول عند
الله هو المحفظ الروحي لا الحرفي . ولكي يكشف له ذلك امتحنه بقوله له ” يعوزك
ايضاً شيء واحد . ان اردت ان تكون كاملاً فاذهب وبع املاكك واعط
الفقراء . فيكون لك كنز في السماء . وتعال اتبعني حاملاً الصليب “

روح وصايا الله وملخصها هو محبة الله فوق كل شيء ومحبة القريب
كالنفس . فان كان هذا الرئيس المدعي قد حفظ الوصايا كلها فلا يصعب
عليه الامتثال لما امره به يسوع . لكنه اثبت على نفسه بطلان ادعائه . لانه اغتم
على هذا القول ومضى حزينا . لانه كان ذا اموال كثيرة . وبهذا اثبت انه
يحب ماله اكثر من الله وان المال هو ربه الحقيقي . احبه يسوع ولما لحظ ان
هذا احزنه أسف جداً لتفضيله المال على ملكوت السموات

ان ملكوت الله يؤسس في هذه الحياة . والذين يدخلونه يدخلون في
حياتهم الارضية وقاعدتهم ان تكون كل مقدماتهم مكرسة للملك . فمتى طلب
منها شيئاً بقدر برغبة وسرور . فيزول بذلك كل تدمير مسبب عن فقر
او خسارة مادية . ومن كان قلبه معلقاً بامور الدنيا لا يجد في السماء ما يلد
له . وليس له كنز هناك . فذهابه الى السماء يكون عبثاً فضلاً عن كونه
مستحيلاً

بمناسبة هذا الحادث نادى يسوع تلاميذه باسم جديد قائلاً ” يا بني ما
اعسر دخول المتكئين على الاموال الى ملكوت الله “ . ولكي يبين انه ليس فقط

عسراً بل مستحيلاً قال ان " دخول جمل من ثقب الابرة ايسر " من ذلك .
ولما اعترض التلاميذ بقولهم " اذاً من يستطيع ان يخلص " افهمهم ان ترك محبة
الدنيا مستحيل على الطبع البشري الساقط . انما كل شيء مستطاع عند الله .
فبقي غير الروح الالهى القدير قلب محبي المال يستطيعون ان يدخلوا الملكوت
الروحى

حرك ذكر المال بطرس ليقول . " ها قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا
يكون لنا " ؟ يضاف هذا السؤال الى هفواته الاخرى المدونة في الكتاب .
فاجابه يسوع بما يفيد انهم ينالون الثباتاً خصوصياً من العناية الالهية في هذه
الدنيا مرافقاً باضطهادات لامتحان ايمانهم وزيادة ثوابهم . ثم في الدهر الآتى
يرثون الحياة الابدية . وفي هذه القرينة اعاد ما قاله سابقاً وسيقوله ثالثة بعد
حين ان كثيرين اولون يكونون آخرين والعكس بالعكس . وأيد ذلك بمثل
فعلة الكرم الذي مفاده ما يأتى

في ساعات مختلفة من النهار استأجر صاحب كرم فعلة بحيث ذهب
الاخرون قبل نهاية النهار بساعة واحدة . وشارط الذين ابتدأوا في اول
النهار باجرة ديناراً واحداً (١) . اما للاخريين فقال . " أعطيتكم ما يحق لكم " .
وعند المحاسبة في آخر النهار استحسن ان يساوي بينهم . فامر وكيله ان يحاسب
الاخريين اولاً ويعطيهم اجرة نهار كامل . فولد هذا الكرم آمالاً فارغة في
الاولين الذين ظنوا انهم يأخذون اجرة اكثر بالنسبة الى ساعات شغلهم .
فلما أعطوا ديناراً واحداً حسب الشرط تذمروا . فوجههم صاحب الكرم
وذكرهم ان لا يحق لهم ان يحكموا عليه كيف يتصرف به . ولا ان يحسد الذي
يأخذ كامل حقوقه من يأخذ اكثر من حقوقه

في هذا المثل مثالة دائمة تبين خطأ الذين يتذمرون بسبب نجاح الآخرين
اكثر منهم . وبسبب عدم المساواة في المعاملة الالهية . وكل عاقل يعلم ان

(١) الدينار يساوي نحو اربعة غروش تركية وهو الاجرة اليومية عندهم

انفس الناس في العالم عنك من الخيرات الزمنية والرحمة الالهية فوق ما يستحق
 تجاه المولى عز وجل. وانه بالنظر الى المعاملة الالهية لا يوجد في كل المسكونة
 مظلوم واحد. وهذه المثالة حاجة وفائدة في كثير من المعاملات البشرية ايضاً
 وفي سيره نحو اورشليم في مقدمة تلاميذه زاد شبح الصليب وضوحاً في
 مخيلته. وزاد شعوره بثقل خطايا العالم التي اتى ليكفر عنها. فتغيرت هيئته
 وحر كانه وخامر رفقاه الخوف من ذلك. فانفرد بهم وانبأهم ثالثة بالامه
 وموته باكثر تفصيلاً من قبل. وبما انهم سيكونون معه متى دأبته تلك
 الحوادث المخيفة فهو لا يريد ان يرافقه الا باختيارهم مع علمهم بما سيكون.
 فوضح لهم انه يسلمهم اولاً لرؤساء الكهنة وللكتبة فيحكمون عليه بالاعدام. ثم
 يسلمونه للام خلافاً لنظامهم المالي. ويكون نصيبه الاستهزاء والجلد والشتيمة
 والبصق عليه. وفي الآخر الموت صلياً ثم يقوم في اليوم الثالث

ومع كل هذا الايضاح اناه البرهان حالاً ان كلامه ذهب ضياعاً اذ لم
 يفهموا ما قيل. لانه تقدم اليه التلميذان الممتازان يعقوب ويوحنا مع والدتهما
 التي سجدت له احتراماً كأنها تريد نطلب شيئاً. ولما سأها ماذا تريد طلبت
 ان يكون لابنيها المقام الاول. متى جلس على عرشه في ملكوته العتيد. فيجلس
 احدهما عن يمينه والاخر عن يساره كوزيرين^(١) وكانت سالومة واثقة بانها تنال
 طلبها من ابن اختها ولا سيما انها تركت بينها وتبعته مع رسله في اسفارهم
 وخدمتهم من مالها. ولانها لاحظت امتياز ابنيها في بيت يابرس وعلى جبل
 النجلي

ان الانسان لا ينال الاكرام بمجرد الطلب بل بالاهلية له. فالتضحية وانكار
 الذات هي باب الاكرام الالهي لا الطمع والطموح. لذلك قال يسوع لرسولي
 "لستما تعلمان ما تطلبان". فهل انتما مستعدان نظيري لشرب كأس الآلام

(١) في هذا الطلب دليل كاف ان يسوع لم ينج بطرس في كلامه القوي وقت النجلي
 اورياسة مقاماً ممتازاً والا فلا يتصور ان سالومة تجاسر ان تصرف النظر عن ذلك

والاصطباغ بالموت الممين؟ فلما اجابا دون ترو "نستطيع" أكد لهم ذلك .
اما الامتياز في ملكوته فمحفوظ فقط للذين اعدّه الآب لهم وليس له كابن
الانسان ان يهبه

وكانت نتيجة هذا الحادث اضطرابه لتوزيع سائر الرسل على الغيظ الذي
تحرك في قلوبهم بسبب طلب الاخوين ووالدتهما . ومع انه سيدهم لم يأت
"لخدم بل لخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين". فالروح الذي في المعلم
يجب ان يكون ايضا في التلميذ. قال "من اراد ان يصير فيكم اولاً فليكن للجميع
عبداً". فتمي اتخذ كل رئيس صفة الخادم وعمله امثالاً للسيد المسيح نرى
سريعاً نعيم الخير الروحي والصلاح في العالم

ولما بلغ يسوع ورفقاؤه مدينة اريحا^(١) كان قد زاد الجمهور بسبب
الحجاج القادمين من انحاء مختلفة . وعند خروجهم من المدينة سأل اعميان
جالسان يستعظمان على الطريق ما عسى ان يكون هذا الجمهور . ولما علما ان
يسوع الناصري مجاز تحركت فيهما آمال جديدة لا تتعلق بالاحسان المعتاد
بل بالشفاء^(٢) . فصرخا "يا يسوع ابن داود ارحمنا". ولم يكن انتهار الجمهور
اباهما ليسكتا الا ليزيد احدهما ابن تياوس حماسة في استنجاده . يا ابن داود كما
يزيد صد المياه الجارية اندفاعها . لان هذا الضرب صرخ اكثر كثيراً
"يا سيد يا ابن داود ارحمني"

فامر يسوع ان يقدم الصارخ اليه . وبلغه ذلك اناس من اصحاب المروءة
والاشفاق . فمن شدة فرحه طرح رداءه عنه تسهلاً لسرعة سيره نحو يسوع .
ولم يهبه مصير رداء المتروك بين هذا الجمهور . وان ضاع فلا يزال عن هذه
الحسارة الطفيفة بالنسبة الى ما يراه بعين الايمان مما سيرجوه من هذا المحسن
القدير . فتمن يسوع ولمس اعين الاثنين فابصرا وتبعاه في الطريق بمجدان

(١) انظر ف ٢٢ (٢) خص مرقس ولوفا احدهما تاركين ذكر الآخر وسماء

مرقس بارتياوس اي ابن تياوس . اما متى فذكر الاثنين وليس بين الخبرين مناقضة

الله ويحركان في الجمهور ايضا تقيداً لله وتمسكاً بيسوع . فبرنيموس هذا يصلح ان يكون معلماً لكل من يسمع نداء الانجيل ليتعلم الازدراء بكل ثمين يعيقه عن الاسراع الى المخلص لأجل البصر الروحي والخلص

وفي يوم آخر دخل اريحا . كان قد دخلها يسوع^(١) قبل هذا الوقت بنحو ١٥٠٠ سنة مع جيشه المنتصر . وخلص بيت راحاب الخاطئة التي قدمت التوبة والايان . ويسوع الناصري يدخلها الآن ويعطي الخلاص لبيت عشار خاطئ يقدم مثلها التوبة والايان وهو زكا الغني ورئيس العشارين الذي لا بد ان يكون قد علم بما اشتهر عن فتح يسوع للعشارين باب التوبة والخلص^(٢) . لكن القرائن تتفق مع قول البشير ان قصده كان بسيطاً لا دينياً . اذ "طلب ان يرى يسوع من هو"

فلما تعذر عليه التفرج على هذا الشخص الشهير بسبب قصر قامته والجم الغفير حوله فطن بجميزة تمتد اغصانها فوق الطريق العامة . فركض وصعد اليها ليرى يسوع . ينتظر ان جمهور المدينة عندما يرى هذا العشار الغني بين اغصان الجميزة فوق الطريق العام يستهزئ به كثيراً . فعدم مبالاة بذلك دل على مزيد اجتهاده الذي كافاه عليه يسوع عندما وصل الى تحت الجميزة . لانه اوقف الجمهور هناك وناداه باسمه وامره ان ينزل بسرعة ويستقبله في بيته . قصد يسوع بذلك ان يفعل فعلاً روحياً مهماً في هذا الشخص . لان مهنته ورياسته وغناه وصفاته وتصرفاته الماضية تجعله من ابعد الناس عن ملكوت الله . ولذلك بدلاً من ان يبقى الباب مفتوحاً ليُدعى من احد الادباء الصالحين او رؤساء الدين ليملكث عنده اخنارييت هذا العشار . ولم يكثر لتذمر الجمهور الذي معه بسبب ما فعل أو لم يتلى كاس سروره لما وقف زكا امامه وامام الحاضرين في بيته

(١) يشوع بن نون خادم موسى وخليفته (٢) انظر الشرح في العشارين واحوالهم في ا ف ٧ و ٢٧

وأعلن توبته وثمرها؟ قال "ها انا يا رب اعطني نصف اموالي للمساكين. وان كنت قد وشيت بأحد اردُّ اربعة اضعاف". فالذي ابى ابن يفعلته الرئيس الغني الفريسي^(١) الذي ادَّعى بالامس انه حفظ الوصايا كلها فعله الآن الرئيس الغني العشار المرفوض عند ذلك الفريسي. لان التقدير غير قلبه فاستطاع المستحيل وأمات حب المال من قلبه فمرَّ الجمل في ثقب الابرة بدخول غني الى ملكوت السموات

فحقَّ يسوع التصريح الآن بأن هذا الرجل صار من اهل الخلاص. وكرَّر بأن "ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك". مع ان ذكر شخص زكا قد انطفأ بعد هذه الضيافة لا يزال حيًّا الى آخر الزمان^(٢) وهو مثال الذين لا يدعون مانعاً يصدُّهم عن الاتيان الى المخلص. والذين يتجددون فجأة ويقدمون حال تجديدهم برهاناً قاطعاً بصحة تجديدهم لان ايمانهم يثمر في اعمالهم. فكان تيمائوس وزكا باكورة الكنيسة في اريحا. ويرجَّح انها انضمَّا الى الموكب الذي برح اريحا صاعداً مع يسوع الى اورشليم لاجل العيد. لما لاحظ يسوع وهم سائرون انتظار الجمهور ملكوتاً زمينياً يعلن سريعاً. قدَّم لهم مثل الأمناء ليصلح هذا الوهم. وبواسطته علم ان الانسان يُدان على الخير الذي يهمله كما على الشر الذي يفعله. وانه لا يُستظر مجيئه الثاني سريعاً. وان اكثر البشر لا يقبلون سيادته عليهم

كان ختام هذه السياحة يوم الجمعة في ٢٠ اذار السنة ٢٠م في قرية بيت عنيا حيث نزل ضيفاً على ما برحَّ في بيت حبيب له امازر الذي اقامته من الاموات من عهد قريب. ودُعي الى وليمة صنعوها له في بيت سمعان الابرص^(٣). ذُكر لعازر بين "المتكئين" معه في الوليمة. وذُكرت اخنوخ مرثا بين المشتغلين

(١) بمثل ان حادث ذلك الرئيس وقع في صباح ذات اليوم

(٢) يذكر القديس الكمنضوس تقليداً ما له ان بطرس رسمه فيها بعد اسقفا في مدينة

قيصرية (٣) يقول تقليداً انه كان زوج مرثا قبل ترميها

بتدبيرها . وذكّرت مريم ايضاً لانها انت بقارورة طيب ناردن كثير الثمن ^(١) وكسرتها لتسكب الطيب على راسه ثم على قدميه . وبعد دهنها مسحها بشعر راسها علامة لشكرها واعنيارها لخلص نفسها . فامتلاً البيت من رائحة الطيب كما تنفوح في كل مكان الرائحة الذكية حتى لاصغر الاعمال التي يصنعها الانسان حباً بالخلص ولو لم يكن اكثر من كاس ماء بارد مقدّمة لاحتر تلاميذه ^(٢)

لكن لا ينتظر فاعل الخير ان يسلم من الانتقاد . فانسكب في هذا الوقت على رأس يسوع مع الطيب العطر انتقاد مرّ بحجة الانتصار للفقراء . والارجح ان الاسخريوطي فتح هذا الباب وهاج الآخرين لكونه "امين الصندوق" ^(٣) . وكان يوزع منه احساناً على الفقراء . فيحسب ذاته الأولى بالمدافعة عنهم . وبما انه كان يسرق من هذا المال كانت مدافعتة رياءية . واشترك ايضاً عن بساطة بعض محبي يسوع لبساطتهم في هذا الانتقاد محبذين رأي الاسخريوطي ان عمل مريم كان اسرافاً في غير محله . وان توزيع ثمن الطيب على الفقراء كان افضل

لم يترك يسوع هذه الصالحة الغيرة تحت نيران الانتقاد . بل وخبّ المتقدين وحكم بحسن عملها . فكانها بروح النبوة دهنت جسده بالطيب استعداداً لتكفينه بعد ايام قليلة . وفند حجة المتقدين بقوله انه يذهب عنهم قريباً فيستحيل عليهم اكرام جسده بعد ذلك . اما الفقراء فلا ينتظرون عنهم ابداً . فيستطيعون الى آخر الزمان ان يحسنوا اليهم . وعوّض على مريم لقاء انتقاد عملها بقوله "الحق اقول لكم حينما يُكرز بهذا الانجيل في كل العالم يُخبر ايضاً بما فعلته هذه تذكّاراً لها"

معلوم ان شهرة هذا النبي الصانع المعجزات قد ملأت البلاد حتى اضحي

(١) مقداره منا اي ١٠٠ درهم (٢) مت ٢٣: ١٠ ومر ١١: ٩

(٣) ما ابعد اسم مهنته عن حقيقة صفاته

موضوع الاحاديث والتعجب بين كل طبقات الجماهير المتقاطرة الى اورشليم بعدد يكاد لا يحصى^(١). واكثرهم الى الآن لم يرووه ولم يشهدوا معجزاته ولم يسمعوا وعظته. فكان شوقهم الى ذلك عظيماً جداً. والذين سبق لهم هذا الحظ من مردييه لا يمكنهم ان يكتفوا بما مضى. فكان تشوق الجمهور جميعه كوقيد يزيد لهيب بغض خصومه وتصميمهم على الانتقام منه. ولكون محل وجوده مجهول عندهم اصدروا امراً عمومياً للشعب ماله انه يتوجب على كل من اهتدى اليه ان يعلمهم بذلك لكي يسكوه^(٢).

سبق القول انه وصل الى بيت عنيا مساء الجمعة. فتطأير حالاً الخبير الى المدينة بقربها. وفي اليوم التالي ابتداء تيار الزائرين يتوارد الى القرية لقصد مزدوج. طلبوا ان يروا الرجل الذي سمعوا انه منذ اسابيع قليلة قام من قبره في اليوم الرابع بعد دفنه. وطلبوا اكثر ان يروا القدير الذي اقامه. ففجم عن ذلك ايمان كثيرين بيسوع. فازداد غيظ الرؤساء حتى اصدروا قراراً جديداً بقتل لعازر ايضاً^(٣). لكي يطنشوا تأثير يسوع قبل العيد مخافة ان ينتشر التعليم الجديد الذي يكرهونه بين الزائرين وبواسطتهم في البلدان التي اتوا منها فيزيد عدد المؤمنين بيسوع كثيراً.



(١) يقول يوسفوس ان الامبراطور نيرون اجري احصاء ليعلم عدد اليهود الذين يجتمعون للعيد في اورشليم فوجده نحو مليونين وسبعمئة الف (٢) سبق التنبيه الى كون الرؤساء صدوقيين. والى اسباب كدرهم من قيامة لعازر (٣) ربما يعزى عدم ذكر لعازر في حوادث اسبوع الآلام الى اضطراره بالابتعاد والاختفاء تخلصاً من هذه المكيدة

الفصل الرابعون

(مت ٢١: ١-٢٢ مر ١١: ١-٢٦ لو ١٩: ٢٩-٤٨ يو ١٢: ١٢-١٩)

(المرصع) ف ٣٨ (الزمان) يوم الاحد والاثنين في ٢ و ٣
نيسان السنة ٣٠ م (المكان) اورشليم - بيت عنيا

دخول اورشليم زاكيا . احتفاء الجمع به . بكاءه على اورشليم . تبيسه التينة غير
المثمرة . تطهير الهيكل ثانية . كلامه في قوة الايمان

كما انفرد ابن الانسان عن سائر البشر في ولادته من عذراء انفرد ايضا
في موته . فيموت البشر وتبيت اجسادهم في قبورها ثم تعود الى التراب (١) .
اما الذي تنبأ عنه داود قائلاً " لن تدع ثقيك يرى فساداً " (٢) . فنرى ان
جسده لبث قليلاً في قبره ولم يعد الى التراب . بل حسب قول الرسول
" اقامه الله نافضاً أوجاع الموت اذ لم يكن ممكناً ان يمك منه " (٣) . لانه جاء
من السماء ليموت موتاً تعقبه قيامة مجيدة . ولأن الايمان به يتوقف على موته
وقيامته . فلو بات جسده في قبره كغيره من البشر لكان يفسد جوهراً
تعاليم ومعنى حياته ويسقط اليقين المسيحي

وتثبيتاً لاهية موته وما يتعلق به قول انه يخصص في البشائر الرابع
سدس اخبار ١٢٤٠٠ يوم ليوم موته الواحد (٢٤ ساعة) . واخبار هذا اليوم

(١) لا يستثنى الذين قاموا بعد موتهم نظير لعازر . لانهم عادوا الى الموت ثانية .
وبليت اجسامهم كسائر الناس . ولا الذين انتقلوا كاخنوخ وايليا دون ان يروا موتاً

(٢) مز ١٠: ١٦ (٣) اع ٢٤: ٢

والسبعة قبلة وبعد المساء اسبوع الآلام تشغل اكثر من ربع اخبار السنين الاربع والثلاثين التي تتضمنها السيرة المقدسة موضوع هذا الكتاب^(١)

كان خروج الفصح الذي هو الرامز الى يسوع يفرز في اليوم العاشر من شهر نيسان القمري ويعد للذبح ليؤكل بعد خمسة ايام^(٢). فليس عيباً ان نرى يسوع (حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم^(٣)) يفرز علانية في اليوم ذاته مع الاغنام الكثيرة الرامزة اليه. ثم يذبح على الصليب وقت ذبحها في الهيكل^(٤) بعد خمسة ايام

وكان لافرازه هذا احتفاء باهر. لان خبر دخوله "مدينة الملك العظيم"^(٥) صباح الاحد بعد وصوله الى بيت عنيا قد انتشر في اورشليم وجوارها. فخرج الجمهور لملاقاته. ولا ريب في ان كثيرين منهم ترقبوا هذه الفرصة للمناداة به ملكاً حاسمين ان الزمان والاحوال توافق هذه الحركة. وان اكثر تلاميذه او كلهم كانوا في مقدمة اصحاب هذا الرأي

اما يسوع الذي كان قبلاً يمنع كل مظاهرة كهنة^(٦) يقبلها الآن ويقويها. لانه مستعد ان يعلن ملكيته الحقيقية وان يحكم عليه بالقتل لهذا السبب. حكم اليهود عليه لعله التجديف. لكن شكواهم لبيلاطس واساس حكمه كانا بحجة ادعائه انه ملك اليهود. وكان تبشيره باقتراب هذا الملكوت وتعليمه بمواد نظامه. وسعى المؤمنين به ابناء الملكوت واعلن ذاته ملك هذا الملكوت وكل هذا بدون شيء من ظواهر الملكية. وكما لازم في الماضي وظيفته النبوية وسيظهر غداً عند صليبه في وظيفته الكهنوتية يقصد الآن ان يقدم لمحة من وظيفته الملكية^(٧)

(١) مع المقدمات لولادته اي نحو ٨٠ صفحة من اصل ٢٧٨ صفحة في مرصع البشائر
(٢) خر ٢٠: ١٢ و ٦ (٣) يوا ٢٩: ١ (٤) عب ٩: ١٠ و ١٠ (٥) مز ٢٠: ٢٨
(٦) انظر ٢٦ (٧) لذلك نرى البشيرين الاربعة يجمعون في خبر هذا الحادث
لاهميته بينما لم يجمعوا على غيره من كل ما سبق حدوثه سوى خبر انصرافه من اليهودية
ليقتد الجليل محل خدمته ثم خبر اشباعه الخمسة آلاف بمعجزة

كان الشعب كله من كبيرهم الى صغيرهم يطلبون ظهور ملك من بيت داود . فاعطاهم هذه الفرصة الاخيرة ليقبلوه ملكهم الحقيقي ويسهل عليهم ذلك بسماحه بالمظاهرات الفخرية . ويريمهم شيئاً من عظمتهم واقتداره على اكتساب تكريم الجماهير اياه . وعدم مبالاة بقوة خصومه وعداوتهم واوامرهم . وانه قادر ان يخلص ذاته من مكايدهم ان شاء ذلك . فيكون استسلامه لتعذيبهم وصلبهم اياه باختياره ليمتص قصده في نزوله من السماء . لانه " اذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب " (١) . فان قبلوه تسلم امتهم ومدنيتهم وهيكلهم من الدمار ويدومون شعب الله المختار

واما هيئة ظهوره كملك فلها مقدمة نبوية لا بد ان تتم . قال النبي زكريا " ابتهجي جداً يا ابنة صهيون . اهتفي يا بنت اورشليم . هوذا ملكك ياتي اليك . هو عادل ومنصور . وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان " (٢) . وهذا النبي هو من جملة الذين قادهم روح المسيح في النبوة (٣) . فاعلن يسوع سلطته العجيبة في جملة الجمهور يشترك معه الآن في اتمام هذه النبوة حرفياً على رغم مكائد الرؤساء واوامرهم . ففي بدء الاستعداد لهذا العيد العظيم دخل اورشليم بموكب عظيم راكباً على جحش بعد ان كان في كل سفراته السابقة يمشي على الاقدام (٤) وهذه كيفية دخوله . خرج صباح الاحد مع رسله والجمهور التابع له من

(١) في ٨:٢ مع عب ٨:٥ (٢) زك ٩:٩ (٣) ابط ١٠:١ و ١١ مع اش ١١:٦٢

(٤) كان بعد ركوب الحمير سلباً . وهو رئيس السلام . بينما كان ركوب الخيل حربياً . فتغير اليهود بسبب الاختلاف بين النبوة بان المسيح ياتي راكباً على جحش والتي تقول انه ياتي راكباً على السحاب . لانهم جهلوا ان له مجيئان الاول بالهوان والثاني بالجد . ففسروا ذلك انه اذا تبعت امته شريعته ياتي على السحاب والا فعلى جحش . لم تذكر الافراس في الانجيل الا في سفر الرؤيا . ولربما اشير اليها في مركبة الوزير الحبشي (اع ٨: ٢٧-٢٩) وفي الوصايا ينهى عن اشتهاء نور القريب وحماره بدون اشارة الى فرسه . لانه لم يكن عندهم افراس عند تسليم الشريعة . غير ان ملوكهم تشبهوا فيما بعد بملوك الامم واستعملوا الخيول (ار ٦: ٨ وزك ١٠: ٢ وهو ٧: ١٤)

مبته (١) قاصداً الهيكل . وسار جمهور المستبشرين من المدينة للملاقاة . ثم ارسل امامه تلميذين (٢) الى القرية الواقعة في طريقهم (٣) وافهمهما انها يجدان فيها حشاً لم يروّض بعد مربوطاً بجانب امه امام احد البيوت . فعليهما ان يجلاهما ويأتيا بها اليه . وعند معارضة صاحبها على هذا الفعل المستهجن من شخصين غريبين يجيبانه " الرب محتاج اليها " . فحالاً يسمح بهما (٤) . فتمت نبوة يسوع لها حرفياً . في هذا الحادث تثبت عظمة يسوع بعلمه الغيب والمستقبل . واذا كان صاحب البيتمين ليس من تلاميذه ولا من محبيه تزيد عظمته لسطوته على افكار هذا الرجل وارادته

فركب يسوع الحش بعد ان وضع بعض الغيورين من تابعيه ثيابهم عليه بدل عدة الركوب (٥) . ولما التقى جمهور الخارجين من المدينة بجمهور الداخلين اليها اشتدت الحماسة وتسابقوا الى اكرام هذا النبي . وصاروا ينشدون بمجزيته التي صنعها بلعازر في بيت عنيا . وفعلوا كما في ايام عيد المظال عندما يطوفون حول المذبح حاملين سعوف النخل شارحات النصر صارخين " اوصنا " (٦) . لانهم قطعوا اغصاناً من الشجر وفرشوها في الطريق بعد ان كانوا فرشوا فيه ثيابهم

جعلوا لهذا الاحفاء صبغة دينية فصاروا " يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم لاجل جميع القوّات " التي نظروها فيها مضى . وفي ابتهاجهم اشترك الجمهور مع تلاميذه موقتاً في قبوله مسيحيهم فكانوا يصرخون " اوصنا لابن داود

(١) على الغالب في بيت عنيا (٢) يرجح انها بطرس ويوحنا

(٣) لعلها بيت فاجي (٤) اما قول البشير انه جلس عليهما فلا داعي للانتقاد عليه اذ المقصود انه استخدم الاثنين لان الام ضرورية لهدو الحش الذي لم يروّض بعد ولا تعود على مفارقة امه (٥) نسب اليهود اهمية عظيمة للحش الذي سوف يركب عليه مسيحيهم . قالوا انه ذات الحش الذي خلق اولاً في اليوم السادس من الخلق وهو الذي اخذه ابراهيم لما ذهب الى الجبل ليذبح ابنه اسحق والذي ركب عليه موسى في نزوله من مديان الى مصر (٦) اي نرجوك ان تخلص

مبارك الآتي باسم الرب ملك اسرائيل . مباركة مملكة ايننا داود الآتية باسم الرب . سلام في السماء . ومجد في الاعالي . اوصنا في الاعالي (١)
ان هذا الملك لا يدخل عاصمته الآن في مركبة فخمة كملوك اسرائيل في القديم . ولا على اذرع الملائكة كما حُل لعازر المسكين الى حضن ابراهيم . ولا في مركبة نارية كدخول ايليا الى دار النعيم . ولا راكباً على السحاب كما لما صعد بعدئذ الى السماء من جبل الزيتون . بل دخل على صورة تحفظ هيئة الاتضاع الموافقة لوظيفته القدائية مع مزيج من الامجاد الخارجية المشيرة الى مقامه الحقيقي

هذا الذي يهتف له شعبه الآن كملك اسرائيل سيرى سريعاً عكس هذا الاحتراف . سيتوجونه في هذا الاسبوع لكن باكليل من شوك استهزاء . ويلبسونه حلة ملوكة لكن سخرًا ثم يتزعونها عنه . ويضعون في يمينه صولجاناً لكن من قصب ثم يخطفونه من يده ويضربونه به . سيمجدون امامه ويحبونه كملك لكن مكرًا ووقاحة واهانة . سيجلسونه مرفوعاً على عرش لكنه الصليب . سيقبله الذين اخنلسوا ملكه ويدلون الصراخ " اوصنا لابن داود ملك اسرائيل " بالصراخ " اصلبه اصلبه ليس لنا ملك الا قيصر "

لا يمكن ان يتغاضى الفريسيون عن تجهيز كهذا . فانضموا الى الجمهور ليروا ماذا يحدث . وقالوا بعضهم لبعض " انظروا انكم لاتنفعون شيئاً . هوذا العالم قد ذهب وراءه " . فابن اوامرهم المشددة ؟ وابن قراراتهم الرسمية الموقرة ؟ وابن سطوتهم النافذة ؟ فاجتمع فيهم مع البغض القديم الحسد الجديد . والخوف لثلاث يظن الوالي الروماني ان هذه المناداة بملك جديد لاسرائيل هي باتفاق الشعب وروسائهم . فيحسبها مكينة سياسية . ويعاقب لاجلها الرؤساء اولاً . لانه قد

(١) كانوا يسمون "اوصنا الاعلى" هتافهم في اليوم الثامن من عيد المظال حين يطوفون حول المدبح سبع مرات . وكانوا يقولون " السلام في السماء " بينا قالت الملائكة الذين بشروا بولادته " وعلى الارض السلام "

حضر من قصبة قيصرية لمراقبة ما قد يحدث إبان العيد من الفتن السياسية ضد حكومته لكي يحمدها ويعاقب المسؤولين. لذلك تقدّم بعض الفريسيين وقالوا ليسوع "يا معلم انتهر تلاميذك"

لكن المقاصد الالهية التي لا يعلمها الا هو تقضي بهذا الاحتفاء في هذا الوقت. حتى انه لو تأخر البشر عن اتمامها لاضطرت الحجارة الصماء ان تقوم بذلك. فيكون من باب اولي ان يجعل الحجارة البكاء تنطق بحمدك من ان يمثل الامرهم ويجعل الهاتفين ان يبكوا (١)

لما وصل هذا الموكب الى اول محل يكشف على المدينة المقدسة ووقع نظر يسوع عليها وهي في كل مجدها الخارجي الباهر ابرق في بصيرته النبوية صورة عكس هذه الصورة الساحرة للابصار. صورة سوف يراها بعض هؤلاء المحتفلين به. فطار عنه كل ما ولده هذا الاحتفال الحبي البهيج من الفرح. ورفع صوته بالرثاء والبكاء المسروع. بكى على قبر لعازر يهدوء. اما الآن فبكى بشدة (٢)

فما كان اشدّ دهشة هذا الجمهور عندما سمعوا بكاءه ولا موجب يتصورونه لذلك. لابل بينما هم يفعلون كل ما في طاقتهم ليهجوه. فما هذا المزيج الغريب مزيج الاحتفاء به مع فرط الحزن والبكاء. ان كل آلامه الفاتكة الوصف حتى تعليقه على الصليب لم تنزل له دمعة ولا آتة (٣). لكن حبة هذه المدينة وشعبها العاصي ابكاه. خطاياهم والويلات التي ترصدتهم وتهمهم عليهم بعد حين اذابت قلبه الحنون فبكى عليهم. وما يعلمه جيداً عما سيفعلونه به قبل مضي خمسة ايام لم يكن الا ليزيد اشفاقه عليهم ويقوّي نحيبه العجيب لانه اجناز بعلمه النبوي فاصل اربعين سنة ورأى محاصرة الجيش الروماني

(١) جاءهم في نبواتهم ان الحجر بصرخ من الحائط حب ١١: ١٢ (٢) انظر الحاشية في ف ٢٨ (٣) صراخه وهو على الصليب "الهي الهى لما تركتني" م يكن عن ألم جسدي وسيأتي تفسير ذلك في محله

اورشليم . والعذابات الهائلة ثم الخراب التام للمدينة وهيكل الله العظيم . فان اسوارها تهدم وتطرح الى الحضيض وتحرق بالنار . رأى لوعة المجاعة التي جعلت الامهات يبعن اولادهن للذبح وياكل بعضهن اولادهن في جنون الجوع . رأى الامة تشتت تشتتاً دهرياً وتزول فرائضها المقدسة . وان يكون عذابهم وهلاكهم من يد القيصر الذي فضله عليه . وتباهوا بأنه ليس لهم ملك الا^(١) . بعد اربعين سنة سينصب الرومان متاريهم في ذات المحل الذي بكى فيه يسوع الآن ليتذفوا منه على اسوار المدينة الاتهم المدمرة . وهناك يحفرون خنادق الحصار

كان في مخيلة يسوع آنذ صورة واضحة لهذه الامور المستقبلية فنوردها نحن من التاريخ الصادق لكي نعرف ما الذي ابكاه هكذا . تمسك اليهود بمجيء مسيح زمني والثورات المتوالية التي نتجت عن ذلك وعن ادعاء مسحاء دجالين افرغت صبر الامبراطور الروماني فسباسيانوس . فارسل حملة قوية مؤلفة من ثلاثين الف محارب يقودها ابنه تيطس لاجل تأديبهم . فلما طلب تيطس من رؤساء اليهود التسليم رفضوا . فبدأ بالهجوم عليها . ولما ضايقته حصون المدينة واسوارها المتينة لجأ الى حصارها . فاحاطها بسور جديد طوله خمسة اميال (سفر نحو ساعين على المشاة) لكي يبيت السكان جوعاً اذا لم يسلموا

لم يدري تيطس انه كان آلة بيد سلطان الكون لئتم النبوة القديمة التي نقول عن اورشليم " احيط بك كالدائرة واضيق عليك بحصن واقم عليك متارس فتتضعين وتكلمين من الارض *** ويشقشق قولك من التراب ويصير جمهور اعدائك كالغبار الدقيق *** ويكون ذلك في لحظة بغتة *** ويدفنون في توفة حتى لا يكون موضع . وتصير جثث هذا الشعب اكلاً لطيور السماء ولوحوش الارض *** لان الارض تصير خراباً " (٢)

كان تيطس يحترم هذه المدينة الشهيرة وهيكلها المقدس كثيراً ويأبى دمارها كلياً. فاصدر اوامر مشددة لقواده وجيشه ان يحثبوا اذيتها. لكن الاوامر الالهية لا تخضع لاوامر اعظم ملوك الارض. فشدة دفاع اليهود في هذا الحصار اهاج غيظ القوة المهاجمة. فلم تعد تراعى اوامر قائدها الامير. والامير ذاته بعد ان اوقفه هذا الدفاع خارج المدينة ثلاث سنين بدون نجاح لم يعد يحترم الا الهيكل. وعزم انه عند استيلائه على المدينة يحافظ على الهيكل كماثر ثمين بناءً على فخامة بنائه وشهرة تاريخه. لكن احد افراد جيشه الذي حفظ لنا التاريخ اسمه^(١) عصي امر مولاه واضرم فيه النار. فلما رآه تيطس خراباً امر باكمال تخريبه بنقض ججارتيه بعضها عن بعض وفلاحة ساحته لحوادثه. وكثيرون من اليهود لما رأوا ذلك انتحروا لشدة تأثرهم

فتم بذلك القول النبوي القديم "ان صهيون تفتح كحقل وتصير اورشليم خراباً وجبل البيت سواخ وعراً"^(٢). في هذا الحصار ذاق اليهود تلك الاهوال التي جعلت علماء الكتبة يصرحون انها اشد من كل ما ورد في تاريخ العالم. قبل ان تيطس ذاته لما دخل المدينة ورأى الجثث مكدسة في الازقة رفع يديه نحو السماء واستشهد آلهته انه ليس هو المسؤول عن هذا الخراب بل الذين اضطروه اليه^(٣)

(١) ترتيوس روفس (٢) ار ١٨:٢٦ (٣) انظر التاريخ القديم لبورنر والتاريخ العام لماير والادلة السنية. من عجائب التاريخ ان خبر تفصيل هذه الحوادث التي كانت اعظم شاهد لايمد نبوات يسوع كتبه عدو لدود للمسيحية وهو يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير الذي شهد بعينه هذه الحوادث. وكان احد قواده شعبه في هذا الدفاع الشديد وأسره القائد المنتصر ووضعه بجانيه لأخذ المعلومات منه. ثم أخذه الى رومية. وفيها ألف كتبه التاريخية الشهيرة وقدمها لابن الامبراطور. قال احد الكتبة المسيحيين: "لم تكن حادثة عظيمة في تاريخ العالم بالاعناء الكلي بالامور الدقيقة المتعلقة بها كما كتب هذا المؤلف اليهودي تفصيل خراب اورشليم (الادلة السنية وجه ٢٢٩ - ٢٤٤)

فما ان هذا الخراب الهائل وهذه المحوادث المؤلمة كلها مكشوفة لدى بصيرة يسوع في هذه الساعة تحركت في صدره الرحيب الصفوح عواطف حب الوطن والانسانية وشعور الاشفاق والسماح لقاصدي قتله . فتحول فكره من احتفاء القوم به وسرور تلاميذه واذرف الدموع السخية . ورثى هذه المدينة وناج عليها وعلى شعبها المحبوب المتمرد . قال " انك لو علمت انت ايضا حتى في يومك هذا ما هو لسلامتك . ولكن الان قد اخفي عن عينيك . فانه ستأتي ايام ويحيط بك اعداؤك بمرسة ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لانك لم تعرفي زمان افتقارك "

منذ نحو الف سنة سار جدّه داود في هذه الطريق باكباً . لكنه كان خارجاً من المدينة لا قادماً اليها . وكان ماشياً لراكباً . وحافياً مغطى الرأس برافته باكون نظيره . وهو مطرود من عرشه . وليس مظلاً بسعوف النخل ولا محاطاً بجمهور مستبج ولا داخلاً كملك الى المدينة . فرّ داود متذلاً بعد نبوئه عرشه المجيد زهاء اربعين سنة . اما يسوع فرّ منصوراً مجدداً بعد ثلاثين سنة قضاها في الفقر والاحتقار والاضطهاد . بكى داود على نفسه وويلاته الشخصية . اما يسوع فبكى على ويلات العازمين على قتله

ان البكاء ليس حطة في شأن العظماء . بل هو فضيلة متى كانت اسبابه كافية وشريفة . نعلم ان كثيرين من العظماء بكوا . اما اشرف البكاء ابعث عن الانانية واقربته الى محبة الآخرين ^(١) . فعلى دموع يسوع المنهملة رسمت اشعة حبه قوس قزح رجاء الخلاص لهذه المدينة المتمردة . لكن والسفاه ان عمام الروحي منع عنهم الاستفادة من هذه النعمة . فرفضوا الوسطة الوحيدة لسلامتهم . فهل في اعمال يسوع العجيبة كلها اعجب من هذا البكاء ؟ لكن في

كنيسة المسيح قد غلب حب الذات على حب الغير. وحب الزينة على حب خلاص النفوس. فترى شعب المسيح يحجي سنوياً في "أحد الشعانين" ذكرى الاحتفال الذي حصل له وينسى هذا الرثاء المؤثر الذي عقبه

دخل هذا الموكب اورشليم من الباب الشرقي العظيم بجانب الهيكل. فعرفت المدينة كلها من الهتاف المتواصل ونقل سعوف النخل ان حادثاً خطيراً وقع في وسطهم. فصار المارثون وسكان البيوت والتجار في حوانينهم يسألون من هذا؟ وبأخذون الجواب "هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل"

لم يدخل هذا الجمع الهيكل حتى كان قد مال النهار. فاكتفى يسوع بان نظر حوله الى ما هو جارٍ في الهيكل مما يستدعي عملاً هاماً وخطيراً يُطلب منه. وهذا لا يفعله إلا في الغد. لان ابواب الهيكل تُغلق في المساء قبل ان يمكنه اتمامه. ولا يريد ان يبيت في المدينة لئلا يعرض نفسه ليلاً لمكائد الروساء فيقبضون عليه قبل ان تأتي ساعته. لذلك عاد مع رسله الى بيت عنيا

وفي صباح الاثنين ترك بيت عنيا وعاد الى اورشليم ويظهر انه لم يتناول طعاماً ففيل انه "جاع" (١) وكان جوعه مهماً لانه من البراهين القاطعة على ناسوته وأدّى الى تعليم رمزي مهم جداً اذ انه بسبب جوعه ضرب على الرءاء ضربة من شأنها ان ترسخ في اذهان رسله وذاكرتهم بشهادة العين وليس بشهادة الاذن فقط. هو لم يقاص احدًا من المرائين الذين وبخهم لانه "لم يأت ليدن العالم. بل ليخلص به العالم" لكنه سيفعل الآن معجزة من باب الغضب. وهي الوحيدة في بابها. الا انها ليست ببشر بل فقط بشجرة تمثل المرائين المتظاهرين بصلاح ليس في قلوبهم. وقد آيدت هذه المعجزة قول المجدان في زمانه ان "الفاس قد وضعت على اصل الشجر. فالشجرة التي لا تثمر ثمرًا جيداً تُقطع وتلقى في النار" (٢)

(١) ذكراته جاع في تجربته في البرية وفي هذه المرة فقط (٢) مت ١٠: ٢

فيشخص يسوع هذه الدينونة امام عيون رسله عبرة وذكرى . رأى من بعيد شجرة تين عليها علامات الاثمار (وان لم يكن وقت التين)^(١) ويرجع انها في بيت فاجي (اي بيت التين) وقد انفردت في هذه الظواهر السارة . لذلك استلتمت انظاره حتى قصدها من بعيد لعله يجد فيها ثمرًا . لانه لم يجد سوى الورق صارت مثال الخطيئة الايجابية اي الرياء والخطيئة السلبية اي عدم الاثمار . فلعنها بقوله "لا ياكل أحد منك ثمرًا بعد الى الابد" . قال ذلك بغاية سامية لاجل تعليم رسله ليس عن حق او طيش لان ذلك لا ينطبق على مزاياء وتاريخه الى الآن

وبعد هنيهة وصل ورسله الى الهيكل لياشر العمل الاصلاحى الذي رأى الحاجة ماسة اليه لما دخل امسًا مع الموكب . لان تأثير تطهير الهيكل منذ ثلاث سنين قد اضمحل وعادت العادات الذميمة الى مجراها القديم^(٢) . ومن جملتها انهم استخدموا دار الامم للمرور العادي في الاشغال من جهة الى جهة بين شوارع المدينة ونصبوا فيها حوانيت التجارة

هذا الهيكل رمز الى شخصه كوسيط بين الله والناس اي به يتقدم الجميع الى الله . قال "انا هو الطريق والحق والحياة . ليس احد يأتى الى الآب الا بي"^(٣) . فيقتضى ان يطهره ثانية . ولانه سيسلم ذاته بارادته في هذا الاسبوع لسلطان اعدائه يحدد برهان سطوته التي سيتنازل عنها لاتمام عمل الفداء^(٤) وفي تطهيره هذا الثانى "لم يدع احداً يجناز الهيكل بمناخ" . فاستعمل كلاماً اقوى من الاول كثيراً . في المرة الاولى قال "لا تجعلوا بيت ابي بيت تجارة" اما في هذه فقال "بيتي بيت صلاة يدعى . وانتم جعلتموه مغارة لصوف"^(٥) . وذلك بالنظر الى نفاق التجار في فسحاته . ثم بالنظر لسلب حقوقه تعالى من

(٣) في آخر اذار لا يكون التين مكسواً بالورق في موقع اورشليم المجلى

(٢) انظر ف ١١ (٣) يو ١٤: ٦ (٤) تلك السطوة التي برهنها في تبيس

التينة مساء امس (٥) انظر ار ١١: ٧

قبل الامة اجمالاً حتى رؤسائها (١)

وصفته النبوة كما رأينا عادلاً ومنصوراً . ففي طرده الباعة ظهر عادلاً . وفي عجز الرؤساء عن منعه ظهر منصوراً . بعد تطهيره الاول طلب منه اليهود آية . اما في الثاني فسألوه باي سلطان يفعل هذا . وطلبوا ان يهلكوه . لكنه بقي في المدينة وجوارها ثلاثة ايام

طهر الهيكل وهو ربه لكي يستعمل بيته في خدمته المزدوجة . ابتداءً حسب عادته بآيات الشفاء واردفها بآيات التعليم . فعلم العالم ان اعمال الرحمة تعد من خدمة الله وتليق بيته كما بيوميه ايضاً . فباتصاره على الرؤساء ثم على الامراض ثم على الجاهل زاد تعلق الشعب به . وعدد المؤمنين ايضاً . ف قيل ان " الشعب كله كان متعلقاً به يسمع منه "

أضيف سبب جديد لغيظ الرؤساء لما تجتمع الاولاد في الهيكل ورفعوا صدى صوت تماثيل الحمهور قبل يوم وهم يصرخون " اوصنا لابن داود " . اعتبر الرؤساء ضحج الاولاد مغلاً في توقيف هذا المقدس . فغضبوا وقالوا له " أنسمع ما يقول هؤلاء ؟ فقال " نعم " . وبدلاً من ان يسكت الاولاد أسكت المعارضين بتذكيره اياهم بقول اشهر كتبهم صاحب المزامير " أما قرأتم قط من افواه الاطفال والرضع هيات تسبيحاً " (٢) بارك الله بالاولاد الصغار الذين ملثمهم ملكوت السموات " (٣) . حلاوة اصواتهم تعوض على يسوع عن مرارة عداوة الرؤساء . ان اجمل شيء في الكنيسة المسيحية ترانيم صغارها

ولما صار المساء خرج يسوع الى خارج المدينة كه دته . ثم عاد صباح الثلاثاء ليودع الهيكل الذي قد تحوّل من بيت الله الى مغارة لصوص . لان تطهيره الثاني لم يكن الا مؤقتاً كالاول . وهو لا يرجع اليه مطلقاً بعد هذا اليوم . فلما وصلوا في طريقهم الى قبالة التينة التي لعنها بالامس نبه بطرس سيده انها يبست من الاصول . لانه مع رفقاءه تعجب من هذا الامر . فرأى

(١) ملا ٨: ٩ و١٠

(٢) مز ٨: ٢

(٣) مت ١٩: ١٤

بسوع احتياهم الى مثالة جديدة في الايمان. وفي النتائج العظيمة العجيبة التي تتبع
كل صلاة تقدم بايمان تام^(١). فاعاد لهم الشرط الجازم لقبول كل صلاة اي
ان يغفر المصلي من كل قلبه لمن اساء اليه



الفصل الحادي والاربعون

(مت ٢٣: ٢١ - ٢٩: ٢٢ مر ١١: ٢٧ - ١٢: ٤٤ لو ١٠: ٣٠ - ١٤: ٢١)

(المرصع) ف ٢٩ و ٤٠ (الزمان) ٤ نيسان السنة ٢٠ م

(المكان) اورشليم

السؤال عن السلطان . مثل الابنين . مثل الكرامين . مثل عرس ابن الملك .
السؤال عن الجزية . السؤال عن القيامة . الوصية الاولى والعظمى . المسيح ابن داود
وربه . التحذير والويلات على الكتبة والفريسيين . فلسا الارملة

غريب حوادث يوم الاثنين اجتمع الرؤساء ليقرروا الخطة التي يتخذونها
لتنفيذ غايتهم في يسوع ولم يروا وسيلة لاسقاطه الا فصل قلوب الشعب
عنه اولاً بواسطة سوالات يجعلونها اشراكاً لاصطياده فيؤمّلون انه يجيب عنها
بما ينكر الشعب منه . حتى متى حاولوا القبض عليه لا يعارضهم الشعب
فبينما كان يتمشى في الهيكل سألوه عن مصدر سلطانه الذي استعمله في
تطهير الهيكل . لانهم هم وكلاؤه ورؤساؤه . سلطانهم على الهيكل اتصل اليهم
قانونياً من اسلافهم بالمسح والرسامة مع تصديق الحكومة . اما هو فمن ابن
سلطانه ؟ قد نسوا السلطة النبوية في تاريخهم . لانه منذ مئات السنين لم يظهر
نبي الا المهدان الذي لم يؤمن به الرؤساء . ويسوع يعلم ان السلطة النبوية
في كل الازمان تأتي رأساً من القدير الذي يقيم الانبياء دون استشارة او
استئذان . ودون تقيّد بالتسلسل

فذكر محاوريه بسلطان سلفه الممدان آخر الانبياء واعظمهم وبشهادته
 له انه ابن الله . فهو اصيل في سلطانه ومصدر كل سلطان بشري لذلك
 طلب منهم ان يقرروا اولاً مصدر سلطان الممدان . فان اعترفوا انه اخذه
 من مصدر ساوي يدينون ذواتهم لعدم انقيادهم اليه . وان انكروا يحشون
 ان برجمهم الشعب لحسانه الممدان نبياً حقيقياً . فلجأوا في حيرتهم الى الكذب
 وقالوا "لا نعلم" فجوابهم الكاذب انزل على رؤوسهم احتقار المعلم والشعب .
 فاجاب يسوع ولا هو ايضاً يقول لهم باي سلطان يتصرف . اي انهم لا يستحقون
 جواباً منه

سكتوا لكن يسوع لم يسكت . بل اتبع انكسارهم امامه بهجوم ادبي لاجل
 تقديم تعاليم تناسب المقام . فمثل لهم ابنين امرها ابوها ليعملوا في كرمه . الاول
 رفض امر ابيه ثم ندم واطاع . اما الثاني فرفض لكنه عصى في الفعل . الاول
 اخطأ في قوله واصاب في فعله . اما الثاني فبالعكس فخطيئة التقصير بالفعل
 اعظم كثيراً من التقصير بالقول . عني بذلك ان الرؤساء المعترضين عليه يعلمون
 الشريعة . فاقوالهم حسنة . لكنهم يخالفونها في اعمالهم . فلا يعملون مشيئة الله .
 بينما غيرهم لا يتظاهرون بالتدين كثيراً لكنهم يحفظون الشريعة الالهية اكثر
 من الرؤساء . ثم لما سألهم اي الابنين عمل ارادة ابيه اجابوه الاول . فوضح لهم
 ان قصة الممدان قد برهنت ان العشارين والزواني يشبهون الابن الاول
 المزكى حسب شهادتهم في هذا الجواب . لانهم تابوا عن شرورهم بواسطة وعظ
 الممدان واعتمدوا منه . بينما هم يشبهون الابن الثاني المذموم . لانهم يدعون
 التقوى باقوالهم ويخالفونها بافعالهم . فجوابهم يثبت افضلية العشارين والزواني
 عليهم

ثم قدم لهم مثلاً يسمى مثل الكرامين الاشار كشف فيه عن اثم رؤساء
 الشعب في ما ينوونه عليه وما سيتمونه في هذا الاسبوع . هؤلاء الكرامون بعد
 ما امانوا وفتلوا الذين ارسلهم المالك لطلب حقه من الاثمار قتلوا اخيراً ابنة

الوحيد لكي يثبتوا استبدالهم في الكرم . ولما سألم يسوع "ماذا يفعل صاحب الكرم بهؤلاء الأشرار؟" اجابته البسطاء منهم "اولئك الارباء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الاثمار في اوقاتها". اما الذين ادركوا حقيقة المثل اجابوا "حاشا". فصدق يسوع جوابهم بقوله "ان ملكوت الله يُتزع منكم ويعطى لامةٍ تعمل اثماره". وذكرهم بقول نبيهم داود ان "الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية". فالذين يقاومونه يترضضون . اما الذين يقاومهم هو فيسحقون ^(١) فحفظ بطرس هذا القول واعاده لما اضطهد هؤلاء الرؤساء بعد صعود يسوع ^(٢)

اغاض هذا المثل الجراح الرؤساء للاحظنهم ان يسوع قاله لدينوتهم . فجددوا السعي لالغاء القبض عليه . ولكن خوفهم من الشعب غلّ ايديهم . فتركوه ومضوا . لكن يسوع لم يمض . لانه لم يكمل بعد تعليمه الوداعي في هيكل شعبه . فزاد مثلاً ثالثاً يسمى مثل عرس ابن الملك ^(٣) . يشبه هذا المثل مثل الكرامين الذي سبقه ومثل الوليمة ^(٤) غير انه يتضمن تشبيهاً جديداً . لما دخل الملك لينظر المتكئين الذين امتلأ العرس منهم رأى انساناً لم يكن لابساً لباس العرس . بل اكتفى بثوبه الذي اتى به وكان يحملوه اكثر من الثوب المقدم من الملك لجميع المدعوين . فلافتخاره به ابني ان يماثل الآخرين . وان يكون تحت فضل الملك في امر سكوته . ولما سأله الملك عن سبب مخالفته نظام العرس سكّت طبعاً . لان ضميره اشعره بخطائه . وكان سكوته بياناً كافياً لذنبه فنال جزاءه . لان نظام الملوك اعلام كل من يخالف اوامرهم "فقال الملك للخدام اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الاسنان"

يلاحظ ان ليس شراً فعله بل خيراً اهمله رماه في هذه التهلكة المخيفة .

(١) انظر ايضا اش ١٤:٨ و ١٥ (٢) اع ٨:٤ و ١١ (٣) سبق الكلام في

تشبيه يسوع بالعريس وعروسه كنيسة (٤) انظر ف ٢٦

فهما كان الانسان صالحاً في عيني نفسه واعين الآخرين يجازى على اكتفائه ببره وإهماله الارتداء بثوب البر المقدم له من الله (اي بر الخلق) بذات الجزاء المرعب الذي يُدان به مرتكبو المنكرات. في هذه الامثال الثلاثة المتواليه صرح يسوع بان رفض الرؤساء اياه يقابله قبول العشارين اياه. وان رفض الامة اياه يقابله قبول الامم الاخرى اياه في ما بعد. اما قول يسوع في آخر المثل كثيرين يدعون وقليلين يتقنون فلانرى انه يشمل الازمنة كافة بل انه يشير خصوصاً الى زمانه ولا سيما الى الامة اليهودية

كما يطلب المحارب المغلوب حلفاء جدداً لعله يتصرف اخيراً طلب الآن الرؤساء محالفة خصومهم حزب الهيرودسيين انصار الملك هيرودس^(١). وبعد ان تشاوروا اتفقت القوة السياسية مع الدينية على هجوم جديد بقيادة هؤلاء يرافقهم ليس الرؤساء الذين انهزموا امام يسوع بل جواسيس من تلاميذهم

كانت الخيلة ان الهيرودسيين يتظاهرون بالتدين لكي يصطادوه ويمسكوه بكلمة حتى يسلموه الى حكم الوالي وسلطانهِ. فتقدموا اليه وملتقوه واستشاروه في امر ايفاء الجزية للحكومة الرومانية^(٢) املاً انه يمسك في شبكتهم كيفما اجاب. فان قال بايفاء الجزية ينفر الشعب منه. لانهم ضيروا من هذه الضريبة التي هي علامة استعبادهم للرومان. ويتظرون مجيء المسيح ليحررهم منها. لانهم يحسبون الله ملكهم الحقيقي الوحيد ويستخرمون الخضوع لملك اممي. ويقولون في ذواتهم. كيف يمكن ان يكون يسوع ملك اسرائيل والمسيح ابن داود الملك كما هتف له الشعب بالامس في الهيكل ويعلم او يحكم ان تعطى جزية لقيصر وان اجاب بعدم ايفائها كما يرغبون ويرجحون

(١) يوسفوس ١٥-١٤-٩ (٢) اذا كانت شهادة العدو بالغ شهادة ماذا يقال في شهادة هؤلاء الاعداء ليسوع "يا معلم نعلم انك صادق وتعلم طريق الله بالحق وانك بالاستقامة تكلم ولا تبالي باحد لانك لا تنظر الى وجوه الناس"

فيحصلون على حجة كافية ليسلموه الحكومة كمفتن ضد القيصر الذي وضع
هذه الضريبة (١)

لكن يسوع علم رياهم وخبثهم. وإن الجواب الذي يروق للفرسيين
لا يروق للهيروودسيين. ومع ذلك انفق الفريقان على هذا الامتحان.
فاجاب "لماذا تجربوني يا مراؤون. أروني معاملة الجزية". ولما أتوه بدينار
وصوره الامبراطور مرسومة عليه واعترفوا بها قال. "اعطوا ما لقيصر لقيصر
وما لله لله". اي اعطوا كل ذي حق حقه. بهذا الجواب قطع الشك
المنسوب له ونطق بهذا القول المأثور قاعدة الحقوق والواجبات في الدين
والآداب

فالواجبات السياسية ايضاً مقدسة وهي ضمن الواجب الديني (٢). ليس
السؤال هل يخضع لقيصر ام لله. لان الخضوع للآخرين واجب والخضوع لقيصر
في ما لا يخالف الخضوع لله هو من اصل الخضوع لله. لان الله هو الذي سمح
لقيصر ان يتسلط عليهم بسبب تركهم اياه تعالى. فيقتضي ان يخضعوا لهذا
التأديب. وكما تذكرهم صورة القيصر على الدينار بما عليهم له يجب ان
تذكرهم صورة الله التي خلق فيها الانسان بما عليهم لله. فلم يقدروا ان يمسكوه
بكلمة قدام الشعب وتعجبوا من جوابه وسكتوا وتركوه ومضوا

ولكي يتم اتفاق جميع الاحزاب الكبرى الدينية والسياسية على مهاجمة
يسوع في هذا اليوم الاخير في الهيكل انضم الى الفرسيين الصدوقيون
والكتبة وروساء الكهنة وشيوخ الشعب ونصبوا له شركاً آخر علقوه على
فلسفهم الطبيعية. كان الصدوقيون يستخفون بالدين اجمالاً. فكان ينتظر منهم

(١) يتذكرون ان يسوع في ايفاء ضريبة الهيكل اظهر انه غير مكلف لكونه ابن الله.
فلعله يجب الآن ان شعب الله غير مكلف لايفاء ضريبة الحكومة الوثنية. (ف ٢١)

(٢) ١ تي ١: ٢ و ٢

ان يسألوا سؤالاً هزلياً لاجدياً قصد اثاره الاستهزاء يسوع. ولا ريب ان هذا النوع هو الذي كانوا يفتنون به الفريسيين في احتجاجاتهم الدينية. فانوهُ بحجة مسندة الى مبادئهم وآرائهم كما تبين. ولائهم لم يكونوا مستفدين ان يفهموا الروحانيات علّقوا المعاني المادية على الحقائق الروحية فتناهوا عن الصواب

وبما ان افكار الصدوقيين الماديين جسدية محضاً لفقوا مشكلاً في القول بعالم روحي تسكنه الارواح بعد الموت الجسدي. وبنوا على النظام الموسوي المتبول عندهم سؤالاً يتعلق بالزواج. اوجب ذلك النظام على اخوة كل رجل متزوج يموت دون ابن ان يتزوج احدهم بارملة المتوفى ليقم له نسلاً^(١). ولاجل غايتهم الهزلية فرضوا امرأة تزوجت بسبعة اخوة الواحد بعد الآخر. وسألوه لمن من هؤلاء السبعة تكون زوجة في القيامة. الفريسيون كانوا حلفاء يسوع في اليقين بالقيامة وبالعالم الارواح. فانكساره امام الصدوقيين يكون انكساراً لهم ايضاً في موضوع هو اساس اختلافهم الدائم العظيم. ولا يستبعد ان الصدوقيين كانوا قد اتهموا الفريسيين سابقاً بذات السؤال. فتجاج يسوع في هذا البراز يوافق الفريسيين من هذا الوجه. ويكون مصيبة عليهم من الوجه الآخر اكثر من انكساره. لانه يسبب رفع مقامه وانقياد الشعب اليه اكثر من قبل

بلاحظ في جواب الصدوقيين انه تفرق بهم اكثر مما بالفريسيين. وتلطّف في توبيخهم. لانه كان يحسب رياء الفريسيين شراً من كفر الصدوقيين. فلم ينطق عليهم بالويل او يناديهم "يا مراؤون". بل اجاب "أليس لهذا تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله؟" خطيئتهم اخف من خطيئة الذين يعرفون ولا يعملون بما يعرفونه. واعطاهم برهاناً من اسفارهم الموسوية ان الله ليس اله اموات بل اله احياء اذاً توجد قيامة حقيقية. هو سبحانه روح اذاً

يوجد عالم روحي اوسع واعظم جداً من العالم المادي . فلو كانوا يعرفون الكتب لما كانوا ينكرون القيامة . ولو كانوا يعرفون قوة الله لما كانوا يحدّثونها ويحصرونها في عالم الماديات الصغير . وافهمهم ان العالم الروحي لا يقاس تمامًا على العالم المادي . فالزيجة الجسدية لا وجود لها هناك . اذ يكون كل من له نصيب في قيامة الابرار كملائكة الله في السموات . فبهت المجموع من تعليمه وبعض الكتب سرًا لنشل الصدوقيين اكثر مما تنكروا لانتصار يسوع . فقالوا له "يا معلم حسنًا قلت" . وتوقف قليلاً تيار الاعتراض على هذا المعلم الناصري اذ "لم يجاسروا ايضًا ان يسألوه عن شيء" . الا ان الفرّيسيين عقدوا اجتماعاً جديداً للمخابرة في الامر

ثم سأله كاتب (اي ناموسي) يريد ان يمتحن معرفته بالناموس "يا معلم اية وصية هي العظيمة في الناموس واول الكل ؟" . اجاب يسوع ما لخصه سابقاً ناموسي آخر^(١) اي ان اول كل الوصايا هي "اسمع يا اسرائيل الرب الهك رب واحد ونحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هي الوصية الاولى والعظيمة . والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك . ليس وصية اخرى اعظم من هاتين . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء" . اعترف يسوع لهذا السائل انه "ليس بعيداً عن ملكوت الله" . فهل علم هذا العالم في الناموس ان حالة الذي ليس بعيداً عنه ولا بدخله اصعب من الذي هو بعيد ؟ امر هلاك يدرك الذين لا يدخلون ملكوت السموات هلاك الواقفين عند بابه

ترقّب يسوع وهو يعلم في الهيكل فرصة اجتماع الفرّيسيين ليمتحنهم كما امتحنوه . فطلب تفسير هذه الآية في مزامير داود "قال الرب لربي اجلس عن يميني"^(٢) . هنا تكلم العزة الالهية شخصاً بسميه داود ربّه . وهذا الشخص

حسب تفسير اليهود جميعاً هو المسيح . وفي الوقت ذاته المسيح ابن داود . فكيف يكون بشراً محضاً ويكون رب داود وابن داود في الوقت الواحد؟! لا يحلّ هذه المعضلة إلا القول بطبيعة يسوع المزدوجة التي تجعله ربّ داود في لاهوته وابن داود في ناسوته . فيما انهم ينكرون لاهوته لم يستطع احد ان يجيبه بكلمة . "أسكت جميع معانديه وسرّ الجمع الكثير بكلامه" . ويناسب هنا ان نذكر الشهادة التي قدّمها سابقاً رسل خصومه الفريسيين بقولهم "لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان" . والعدد الذي لا يحصى من الذين سرّوا بكلامه من ذلك الوقت الى الآن يؤيد حكمة ذلك الجمع الكثير

استخدم يسوع ميل الشعب للاستماع لكي يحرّره ويحرّر تلاميذه من سطوة الفريسيين المهلكة . ونجّل الرؤساء بسبب انكسارهم امامه في الاحتجاج ليؤدّبهم بسيف فيه واعتمد وسائل التعنيف لعلمهم يشعرون بريائهم ويتوبون . وليكشف لسامعيه باجلى بيان مقدار شرّ هؤلاء الرؤساء ليتخذروا من الانقياد اليهم في البطل

ذكرنا سابقاً ان فاتحة اوّل مزامير داود وفاتحة وعظ ابن داود كلمة "طوبى" . وخاتمة ذلك المزمور كخاتمة وعظ يسوع في هيكل اليهود كلمات الويل والتصرّح بالهلاك . وظهر روح وعظ يسوع الأوّل في قوله "تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم" . اما روح وعظه الاخير فظهر في الدينونة والوعيد والنطق بالويل الخفيف . هذا ما اوجبه المقام . لان كل الوسائل اللطيفة الجذابة التي استعمالها أولاً لم توفّظ الضمائر المائتة في الامة وررّسائها . فلم يبقَ لخلص محبّ يريد الاتيان بهم الى التوبة سوى الوسائل القاسية لعلمها تفعل ما لم يفعل الله . وحبّة العجيب اساس توبيخه الخفيف كما كان اساس تشويقه اللطيف . وفي كلامه المرعب تحذير للذين لم يرفضوه بعد لعلمهم يسلموا من هذا الرفض وويلاته

قد اتت ساعته ليختم وعظه امام العموم فتوجب عليه قبل السكوت ان

يعلن لهم منتهى الولايات التي نتهدد رافضي خلاصه ومضلي خرافه. ولم يتوقف الآن عن اغاظة الرؤساء لخطر قبضهم عليه قبل الوقت المناسب. ومع تحذيره سامعيه من الانقياد الى قدوة معلمي الدين في اعمالهم السيئة يبين وجوب الطاعة لهم في ما يعلمونه من ناموس موسى. لانهم جالسون على كرسي موسى. وفساد اعمالهم لا يفسد صحة تعليمهم. وفي هذا اعلان الخطاء والجهالة في الدين برفضون تعليمًا صحيحًا بسبب ذنوب بعض تابعيه او معلميه. والذين يفتنون او يحننون كنيسة صالحة لوجود خونة بين اعضائها او قوادها. وفي نظر المميزين لا يمس لوم المعتمد الدولي كالسفير مثلاً شرف الدولة التي يمثلها

ثم كرر في هذا الوقت دينونته الرؤساء لانهم يقولون ولا يفعلون. ويظلمون الشعب بفرائضهم الثقيلة. ويتعظمون ويتباهون بفخمة باطلة تحت ستار الدين. وعلم تلاميذه ان يجنبوا اتخاذ لقب معلم واب وسيد للتعظم. لان هذه الالقب تطلق على الناس بمعنى مستعار لا اصلي. وهو وحده سيدهم ومعلمهم الحقيقي والله وحده ابوهم الحقيقي^(١) وكرر الوصية الرئيسية التي توجب التواضع وتعظم خدمة الانسان لغيره. ثم نطق بثانية ويلات تقابل تطوياته الثانية^(٢) صوبها الى الكتبة والفريسيين المرائين اظهرا الكون شرشورهم واساس وبلاتهم الرياء فيمد خطابه هذا ملحقاً لخطابه الشهير المسي "الوعظ على الجبل". سى هؤلاء "قادة عيمان وجهال وحيات واولاد الافاعي". لانه لا يمثل الله في اعين البشر ما لم يمثل غضبه تعالى ايضاً مع حبه

اساس الويل الاول انهم لا يدخلون من باب الملكوت. ومع ذلك يغلقونه في وجه غيرهم بسيرتهم وبيعض تعاليمهم وبرفضهم مسيهم. والثاني انهم يظلمون الفقراء ويخلصون مال الارامل الذي تحت وكالتهم ويتظاهرون

(١) ان هذا النبي لا يؤخذ حرفياً وهو ظاهر في آيات شتى في كتابات الرسل

(٢) انظر ف ٢٠

كذباً بتقوى ممتازة. والثالث انهم في محاولتهم ضم اشخاص من الامم الى مذهبهم لا يسألون عن الاسباب الدينية لذلك . بل يفسدونهم ويصنعونهم ابناءً لجهنم اكثر منهم مضاعفاً . والرابع انهم ينافقون في تفسير الوصية بعدم الحلف

والخامس انهم يعكسون اهمية الواجبات الدينية فيعظمون طيفها ويهملون عظيمها . وقصدهم في تفسير الحلف وفي تعظيم الطيف ظاهر . لان تعظيم المذبح المقدس لا يكسبهم شيئاً بخلاف تعظيم القربان المقدم عليه . لان هذا حصنهم بعد احراق قسم منه . وتعظيم الحق والرحمة والايمان وسائر الامور المهمة في الدين لا يكسبهم بل ينسره بيننا تعظيم التعشير حتى في الجزئيات كالقول يكسبهم مالا . ففي علمهم هذا يشبهون انساناً امامه بعوضة وجل . ولحم الاثنين ليس من اللحوم الطاهرة المباحة لليهودي للطعام . فهذا الانسان يصفي عن البعوضة لتحريم اكلها بينما يلج الجمل خلافاً لذلك التحريم . يجرمون الفطرة ويحللون النهر . والسادس اهتمامهم بالغسلات الخارجية بدلاً من الطهارة الداخلية . والسابع تظاهروا امام الناس بالتقوى الريائية وهم "من داخل مشحونون رياءً وانما" والثامن تظاهروا بالكاذب في تكريم ضرائح الانبياء الذين قتلهم ابائهم في القديم بينما سلوكم يبرهن انه لو عاشوا في زمن اجدادهم لفعلوا ذات فعلهم بالانبياء^(١) . نبههم الى انه سيرسل اليهم قريباً انبياء وحكماء وكتبة . وقال "منهم تقتلون وتصلبون . ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة"^(٢)

في شرحه التطويبات على الجبل في الجليل اوضح صفات الذين يدخلون ملكوت السموات . والآن في شرح الولايات في الهيكل يوضح صفات المرفوضين . والنظام الالهي الذي يقضي بتسلسل البركات والولايات مع التسلسل

(١) سيظهر عن قريب صدق يسوع في هذه الدينونة
الرسول يان كاف لصدق يسوع في هذا القول

(٢) في سفر اعمال

النسبي الدموي من جيل الى آخر موضع في الوصية الثانية . بناء على هذه القاعدة يصرّح يسوع الآن ان نتائج خطايا الاقدمين في اضطهاد الانبياء وقتلهم سوف تحل على رؤوس ابناء ابنائهم في الجيل الذي رفضه وسيقتله (١)

لكن هذا المخلص الحنون اللطيف لا يرضى ان يختم هذا الخطاب المخيف دون بيان جلي للحب الذي هو اساس دينوته كما انه اساس رحمته . فبعد البروق والرعود في كلامه المعلن غضبه هطلت امطار حنوه وذاب جليد دينوته في عين شمس رحمته الفائقة . اذ رأى بنظره النبوي خراب اورشليم المخيف المتبل الذي ستره اعين بعض سامعيه ومن جملتهم رسوله يوحنا . ثم وراء هذا الخراب وبلا اعظم منه وهو الهلاك الابدّي لنفوس الذين رفضوه ولهذا ختم كلامه بنداء الحنان العجيب نحو الذين تزايد بغضهم واضطهادهم . والذين سيصلبونه بعد يومين بمزيد الاهانة والتعذيب

فنادى قائلاً "يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجة المرسلين اليها . كم مرّة اردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً . لاني اقول لكم انكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب " . لم تنقصهم الوسائط للايمان . بل الارادة فقط . مسؤولية هلاكهم عليهم لا عليه . وهلاك الهالكين يكون لانهم لم يريدوا ان

(١) ذكر زكريا ابن برخيا يرجع على ما يظن الى حادث في العهد القديم (٢٤: ٢٠-٢٢) اما الفرق في اسم الأب فلا يعتد به . وكثيراً ما كان يسمى المجد ابا . في عز ١٠: ٥ يقال زكريا ابن عدو . في زك ١: ١ و٧ يقال زكريا ابن برخيا ابن عدو . والاصطلاح في اعطاء اسمين للشخص الواحد الذي نراه في رسل يسوع وغيرهم اصطلاح قديم . لان بين الرسل الاثني عشر كان نصفهم من هذا النوع اي سمعان (٢) ويعقوب (٣) ويهوذا (٣) . اما ذكر زكريا كانه آخر الانبياء فنأخذ عن وضع اليهود السفر الذي فيه خير زكريا اي سفر الايام الثاني في خاتمة التوراة

يؤمنوا وان ارادوا فليس بعزم وحزم . على رغم تسك اليهود بالهيكل الذي سماه الآن "بينكم لا" يمت ابي "وعلى رغم ظنهم الخرافي انه لا يمكن ان يصيب هيكلهم اذى او ان اصابه يعود فيبنى على صورة افخر من الاولى سوف يسي دماراً لرفضهم ربه ورفضهم . هو يترك لهم الهيكل ويذهب حسب ما يرغبون . لكنهم لا يتنهأون فيه . لانه يترك لهم خراباً لا يقوم بعد عمار . اما قوله انهم سوف يقولون له بعد ان يخفي عنهم الى حين "مبارك الآتي باسم الرب" فنود ان نرى فيه اشارة الى الزمن المقبل حين يؤمن به الشعب الاسرائيلي المحفوظ في العالم حفظاً عجيباً . فيترحب به عند مجيئه الثاني المجيد

ثم انتقل يسوع من قسم الهيكل الداخلي الى الدار الخارجية المعاة دار النساء لكونه يباح لمن الدخول اليها . وهناك تُشاهد الابواق الثلاثة عشر المصنوعة لوضع التقدّمات النقدية لخدمة الهيكل واعمال الرحمة . كان على كل من يأتي الى الهيكل ان يقدم تقدمة^(١) . والحجاج الاغنياء الذين بعد غياب طويل يعودون في ايام العيد العظيم كانوا يتقدون هذا المعبد الفريد بمبالغ وافرة . فجلس يسوع تجاه الابواق في محل "الخزانة" براقب توارد الجمع وعطاياهم التي يوول اعلانها الى زيادة المقدار لفائدة الرؤساء المسلمين على ابرادات الهيكل . فلما وضعت ارملة اقل قيمة يجوز تقديمها اي فلسين^(٢) دعا تلاميذه لينظروا وقال "ان هذه الارملة الفقيرة قد اقلت اكثر من جميع الذين القوا في الخزانة . لان الآخرين القوا من فضلهم . واما هي فالقت كل معيشتها"^(٣) . المعطاء اهمية كلية في الدين فعلم يسوع ان مقياس السخاء ليس مقدار التقدمة بل مقدار ما يبقى للمعطي بعد عطائه . ويخطئ الذين يقدمون في الاحسان

(١) خر ١٥:٢٢ وث ١٦:١٦ و ٢ مل ٩:١٢ (٢) تساوي اربع بارات عثمانية

(٣) انظر ٢ كو ٨:٢ و ٢ و ١٢

قليلًا ويسمونه فلسي الارملة . لانه لا يُطلق هذا الاسم على العطاء القليل الا
 متى كان كل معيشة المعطي اي كل ما عنده . ولا يقال ان قدوة هذه الارملة
 قاعدة مسيحية عمومية . يقال انها لم ترض ان تحرم العبادة في الهيكل لفقرها
 ولم يوجد لديها غير هذا الطيف . فقد منته متكلة على العناية الالهية وكدها
 لايجاد ما يكفي لقوتها الضروري فيما بعد



الفصل الثاني والاربعون

(مت ١: ٢٤ - ٥: ٢٦ و ١٤: ٢٦ - ١٦ مر ١: ١٢ - ١: ١٤ و ٢ و ١٠ و ١١)
(لو ٥: ٢١ - ٥: ٢٨ و ١: ٢٢ - ٦ يو ١٢: ١٢ - ٢٠ - ٥٠)

(المرصع) ف ٤١ و ٤٢ (الزمان) الثلاثاء في ٤ نيسان
السنة ٢٠ م . (المكان) الهيكل

طلب اليونانيين . خطاب يسوع في الهيكل . الذين آمنوا والذين لم يؤمنوا . انباؤه
يخرب الهيكل . علامات مجيئه . وجوب السهر . العبد الامين والعبد الردي . مثل العشر
عذارى . مثل الوزنات . الفصل بين الاختيار والاشرار يوم الدين . مؤامرة الروساء على
قتل يسوع . معاهدة الاسخريوطي معهم على بيع سيده

من المشرق البعيد اتى قوم هم المجوس العلماء ليروا يسوع في طفولته . والآن
اتى قوم آخرون من المغرب البعيد بلاد العلماء (اليونان) ليروا يسوع في خاتمة
خدمته . نراهم في الدار الخارجية المخصصة لعبادة الله من غير اهل الخنثان .
اتى هؤلاء اليونانيون المتنورون ليعبدوا الاله الواحد اله اسرائيل . واطهروا
للمرسول فيلبس شوقهم الى رؤية يسوع . ولكن لا يجوز لهم الدخول الى محل
وجوده . فالظاهر ان فيلبس عاد الى دار النساء وخابر رفيقة الخصوصي
اندرائوس . وانفقا ان يعلما سيدهما بالامر

رأى يسوع فيهم مقدمة للجمهور الذي لا يحصى من الامم المزمعين ان
يطلبوه بالايمان في الوف الاعوام التابعة . فقال فوراً " قد انت الساعة لتبجد

ابن الانسان سيمجد على رغم رفض امته اياه. فلا يكون هذا فشلاً له ولا لعمله. قال الرسول ان "زلتهم غنى للعالم وقصائهم غنى للأمم *** ورفضهم هو مصالحة العالم" (١). ومع ان خروج يسوع لمقابلتهم لم يذكر صريحاً لتحقيق ذلك مما نعلمه من صفاته ومعاملاته. ونسمع صوته الوقور المؤثر يقول في مسمعهم اقوالاً جوهرية كهذا القول "الحق الحق اقول لكم ان لم تقع حبة الخنطة في الارض وتُمت فهي تبقى وحدها. ولكن ان ماتت تأتي بشهر كثير. من يجب نفسه يهلكها. ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها الى حياة ابدية". يكلّمهم عن موت هو مقدمة الحياة. هذا موته الفدائي لكي يحيي نفوساً بلا عدد. وهذا موت المؤمن عن الخطيئة لكي يحيا للبر

في هذا الوقت وفي هذا المقام اعترف ان نفسه اضطربت لعظم هول تلك الساعة التي تقتحمه. لكن بما انه قد اتى من السماء لاجلها هل يمكن ان يطلب التخلص منها؟ كلا ثم كلا. لان طلبه الوحيد هو ان يتجدد اسم الآب. فصلّى اوجز صلواته وآخرها في الهيكل قائلاً "ايها الآب مجد اسمك". فاکرم الآب هذا التسليم التام وانكار الذات. وجاء صوت من السماء "مجدت وامجد ايضاً"

اكتفى الآب عند غلبة يسوع على ابليس في البرية بان ارسل له ملائكة جاءت وصارت تخدمه. لكن هذه الغلبة الجديدة على تجربة الاستغناء من الصليب وما يتعلق به اشهر من تلك. وهذه الساعة اعظم من تلك. فاسمع الآب صوته للمرة الثالثة في حياة يسوع. اما اعلّوه فسمعوا صوتاً دون كلام. فقالوا "قد حدث رعد". واما يريدوه فسمعوا كلاماً لكن غير مفهوم. فقالوا "كلمة ملاك". لكن يسوع الذي وحده فهم كلام الصوت أكد للجميع السامعين انه لم يكن لاجله بل لاجلهم وان لم يكن مفهوماً عندهم. جاءهم تأييداً للشخص يسوع وتعليقه. فبواسطة هذه الغلبة الجديدة اثبت مرة

اخرى صلاحية كخلاص العالم . وصلاحية تكفل نجاحه . لانه بارتفاعه على الصليب "يجذب اليه الجميع". وهذا الجاذب الفعال لا يزال يشتغل بنجاح مفرط في العالم فوق ما كان يتصوره بشر . يجذب الافراد ويجذب الشعوب . ولا ينفك عن عمله الخلاصي الى ان تحدث الاصوات العظيمة في السماء التي سمعها الرائي قائلة "قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك الى ابد الابد" (١)

لما سأل الجميع كيف يتكلم عن موته وهو المسيح حال كون داود النبي يقول ان المسيح يبقى الى الابد لم يكن سؤا لهم للاستفادة . لذلك نصح لهم يسوع ان يسلكوا في النور ما دام لهم النور فيصيروا ابناء النور . ولا فيدركهم الظلام الممهلك . وحقق للجميع ان الايمان به يكون ايمانا بالآب الذي ارسله . وان الذي يراه يرى الآب الذي ارسله . (هذا كلام تجديد لو صدر من مجرد بشر) . وصرح انه آتى لاليدين بل ليخلص العالم . لكن مع ذلك فان كلامه سيدينهم في اليوم الاخير . ولا سيما لانه يتكلم بامانة الكلام الذي اعطاه الآب كانت نتيجة خطابه في هذا الوقت ان كثيرين آمنوا به وبينهم بعض الرؤساء . الا انهم كنتم ايمانهم خوفاً من الحرم العظيم الذي أعلن على كل من يتبع يسوع او ينتصر له . اما السواد الاعظم فلم يؤمنوا به "مع انه كان قد صنع امامهم آيات هذا عددها" . وسبب عدم ايمان الاكثرين وكتمان ايمان الذين آمنوا "انهم احبوا مجد الناس اكثر من مجد الله" . فصح بذلك قول النبي اشعيا قديماً "يا رب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب" ثم "مضى واخفى عنهم" . وانتهت خدمته الجهارية في الوعظ والتعليم . لان ما بقي منها كان محفوظاً لاختصاصه المؤمنين تلاميذه الامناء بناء على مجموع العوامل التي مر ذكرها كان ينتظر ان يقبض اليهود على يسوع

(١) رؤ ١٥: ١١ فيكون اعتراف كل مهتدي
بجاذب الحب آتى فيا لحب فائق وردني الى الهدي بفضل عهد صادق

في هذا الوقت وهذا المحل . أو على الأقل ان يودع الهيكل مطروداً . لان
الرؤساء اصدروا قراراً نصف رسمي بقتله . لكن في الوقت ذاته يتقضي ان
يُظهر سطوته الادبية وعدم مبالاته بسلطة الرؤساء ليعرف جيداً عند الجميع
ان أخذهم اياه بعد يومين للقتل يكون باختياره ليس الا . لذلك خرج مع
تلاميذه سالماً من كل ضغط او اهانة كأنه ملك بين الصولجان

لا تزال كلمة يسوع ان الهيكل يُترك لهم خراباً مستعصية جداً عند الرسل
الذين هم من اشد المتمسكين باحترام هذا المعبد . فخطر على بالهم وهم خارجون
ان يستلتموا نظره الى ضخامة الحجارة ومثانة البناء وجماله . كأنهم يعترضون
تلميحات على قوله مجرايه . ويقولون اية قوة في العالم تقدر ان تلاشي هذه الاسوار
العريضة والابراج الشامخة والجدران المبنية بحجارته الكبيرة باحكام واتقان
متناهين؟ ^(١) ومن يصدق ان اله اسرائيل القدير يسمح بان هيكله الفاخر
الذي بُني بالهامه الخصوصي وتأيد كثيراً بمجرات فائقة يسي دماراً ؟ لذلك
قال احد تلاميذه " يا معلم انظر ما هذه الحجارة وهذه الابنية " . فكان جوابه
" أما تنظرون جميع هذه الابنية العظيمة ؟ الحق اقول لكم هذه التي ترونها
ستاتي ايام لا يُترك فيها ههنا حجر على حجر لا يُنتَص "

ثم لما عبروا وادي قدرون شرقي المدينة وجلسوا في سفح جبل الزيتون
تجاه هذا البناء الفخم . سأله الرسل الاربعة المتنازون الذين سبقوا الجميع في
الانضمام اليه على انفراد عن ثلاثة امور مستقبلية تكلم عنها في مسامعهم مراراً .
وهي خراب اورشليم ومجيئه الثاني وانقضاء الدهر اي نهاية العالم . فالتقى عليهم
ذلك الخطاب البليغ الذي يشغل اصحابين طويلين من بشاره متى ما عدا
الاضافات في بشارتي مرقس ولوقا ^(٢) . ومع ان اكثر ما ورد في هذا الجواب
سبق ذكره في كلامه يكون لضمها في خطاب واحد تأثير اوفى
يلاحظ انه تكلم عن القضايا الثلاث التي سأله عنها دون ابضاح كل

(١) انظر ف ٤٠ (٢) مت ٢٤ وه ٢ وم ١٣ ولو ٢١

منها على حدة . فيُطْلَق بعض كلامه على خراب اورشليم القريب . وبعضه على مجيئه الثاني البعيد . وبعضه على انتضاء الدهر بعدها . ثم على قضيتين منها ثم على الثلاثة معاً . ولا يستطيع احد الجزم في فصلها عن بعضها . الا ان التمعن فيها يبين ان اكثر الكلام في الجزء الاول يشير الى خراب اورشليم . وفي الآخر الى مجيئه الثاني ونهاية العالم . والمطالع الفهم لا يعثر بسبب هذا الابهام . لان مقدار النور المستعار من حوادث المستقبل هو المقدار الضروري للارشاد في العمل . وكمال النور محفوظ الى ما بعد الحدوث تأييداً لايمان المؤمنين ودينونة غير المؤمنين . وهذا الحكم العمومي في قضية النبوات يسري طبعاً على نبوات يسوع في هذا الخطاب . وتفسيرها التام بالتدقيق ينتظر اتمامها اولاً . والغموض في النبوات ولا سيما في امر الزمان مزية لازمة فيها

لم يقصد يسوع فوائد تاريخية ليعتني بتصريح تاريخي في هذا الخطاب . بل قصد فوائد دينية . لانه انبأ بظهور مضلين يدعي كل منهم انه المسيح . وهذا موجب عظيم للحذر . بين الاهوال التي تصيب غير المؤمنين . ولا سيما الأمة اليهودية اجمالاً . فانبا بوقوع مخاوف متنوعة كالجاعات والحروب والأوبئة والزلازل وعلامات مرعبة كضجيج الامواج واطلام الشمس واطفاء القمر وتساقط النجوم . وشبه هذه الاهوال بالطوفان في زمان نوح . قائلاً ان "القوات التي في السموات تنزعزع والناس يَغْشَى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة" . والذي يزيد الاحوال هولاً الفساد البشري الذي يجلب على تابعيه خصوصاً سيول الاضطهاد

فتنقسم العيال "وسيسلم الاخ اخاه الى الموت . والاب ولده . ويقوم الاولاد على والديهم ويقتلونهم . ويلقون ايديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم الى مجالس وسجون وتجلدون في مجامع وتساقون وتوقفون امام ولاية وملوك لاجل اسمي شهادة لهم" . ولخص الاحوال بقوله "يكون ضيق عظيم على الارض

وسخط على هذا الشعب لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التي خلقها الله الى الآن ولن يكون“

لكنه أكثر لهم ايضاً من كلام قوي جداً للتشجيع . قال ”انظروا لا تترنعا ولا تجزعوا . ومتى ابتدأت هذه ان تكون فانهصبوا وارفعوا رؤوسكم . لان نجاتكم تقرب . ومتى ساقوكم ليسلموكم لاثمتهموا . لاني انا اعطيكم قوا وحكمة لا يقدر جميع معانديكم ان يقاوموها او يناقضوها^(١) ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك^(٢) . والذي يصبر الى المنتهى فهذا يخلص . بصبركم اقتنوا انفسكم . وينبغي ان يكرز اولاً ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة للجميع الامم ثم يأتي المنتهى“

وفي الوقت ذاته اجتهد لا قناعهم بضرورة السهر الدائم والصلاة دون ملل . لانهم لا يعلمون متى يكون الوقت . وأبد هذه المثالة بمقابلة بين عبدین احدهما ساهر على واجباته والآخر غافل عنها . ولا يمكن الجزم تماماً بما قصده في قوله ”لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله“ لكن اليقین بانه يعني خراب اورشليم معقول

اما بخصوص مجيئه الثاني فهذا بعض ما قاله . ”تظهر علامة ابن الانسان في السماء . وبيصرونه آتياً على سحب السماء بقوة ومجد كثير . فيرسل حينئذ ملائكته يوقون عظيم الصوت ويجمع مختاريه من الاربع الرياح من اقاصى الارض الى اقاصى السماء“ . واعلم انه بسبب مختاريه تعم رافته سائر البشر . لانه لاجل المختارين قصر ايام الويلات المشار اليها ولما سألوه عن وقت حدوث الامور التي تنبأ عنها كرر ايضاحه وتاكيد بانه لا يُسمح لبشر ان يعرفوا ذلك سلفاً . الا انه حقق لهم المنتهى انه لا يكون

(١) لانه يتكلم عما يحدث بعد تركه اياهم يلاحظ قوله انا اعطيكم وليس الله يعطيكم
(٢) ينبي التاريخ بان تصديق المسيحيين كلام هذا الخطاب حذرهم فتركوا اورشليم عند اول وقوع المخاطر قبل الحصار . فسلموا من الاهوال التي ادركت الآخرين

سريعاً . وقال " كما ان البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغرب هكذا يكون ايضاً مجيء ابن الانسان . انظروا اسهروا وصلُّوا لانكم لا تعلمون متى يكون الوقت . لانكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي رب البيت أم مساءً أم نصف الليل أم صباحاً أم صبحاً . لئلا يأتي بفتنة فيجدكم نياماً . لانه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الانسان . واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما احد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن (اي هو في طبيعته البشرية) الا الآب وحده " .
بكلام كهذا علم محبيه ان لا يفكروا بتعيين الوقت بناءً على تفاسيرهم لبعض التفاصيل في اقواله (١)

ثم اتاهم بمثلين اولهما مثل العشر عذارى المكرر فيه تشبيهه بعريس لم يأت عرسه بعد . والمؤمنون الاشتراك في عرسه حينئذ قسمان . قسم مستعد وقسم غير مستعد . وهذا القسم افترق ان يستعين عند مجيء العريس بالمستعدين والآخر فيستعدون بعد مجيئه . لكن لما حضر العريس وابتدأ العرس عرفوا خطاهم في الزعمين . واجيبوا عند طلبهم الرحمة بالكلام الخفيف المحزن ان العريس لا يعرفهم ولهذا لا يفتح لهم . مرى هذا المثل ضرورة الاستعداد لمجيء المسيح ويوم الحساب . وبطلان زعم الذين يتصورون ان صلاح القديسين يرفع فيعين غيرهم على نيل الغفران والدخول الى السماء . وقطع رجاء الذين يتصورون ان الرحمة الالهية نحو الخطاة تمتد الى ما وراء القبر .

اما المثل الثاني فيسمى مثل الوزنات . وهو يوضح ان مواهب الله للناس متفاوتة . لكن متى تساوى اصحابها في اجتهادهم وامانتهم في استعمالها يكون جزاؤهم متساوياً ايضاً . فالذي اكسب سيكاً وزنتين مدحه سيكاً بذات الكلام الذي مدح به الذي اكسبه خمس وزنات . اما من يهمل ما وهب له فيكون كأن ليس له شيء . وبدون ان يخلص او يفعل شراً غير الاهمال يكون

(١) غفل الرسل وبعض المسيحيين في تلك الازمنة وما بعدها عن هذا التحذير . وعينوا مبعاداً لمجيء المسيح الثاني ولا تقضاء الدهر فكان نصيبهم الفشل

نصيبه قول الديان "والعبد البطل اطرحوه الى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الاسنان". لا ريب ان اعظم ما يهيبه الله للانسان هو الخلاص الابدي . فالدينونة العظمى واشد البكاء وصرير الاسنان تكون لمن يهمل هذه الهبة الفاتكة التي اشتراها يسوع بموته على الصليب

كانت خاتمة هذا الخطاب للتلاميذ على جبل الزيتون مؤثرة ومفيدة للغاية . اذ صور فيها اجتماع البشر في يوم الدين عندما يتخذ المخلص الرؤوف صفته كالديان في هيئته كابن الانسان . يجي في مجده وجميع الملائكة القدسين معه . ويجلس على كرسي مجده^(١) . "حينئذ يجتمع امامه جميع الشعوب". وكالراعي الصالح الذي يعرف خاصته بفرز الخراف فيضعها عن يمينه في مقام الاكرام الصائب . والجدا (الذين ليسوا خرافة) عن يساره^(٢) . في مقام الرفض والاحتقار المتوجب . وهؤلاء عند رؤيتهم هذا الذي يرثي لضعفات البشرية تجرب مثلهم والذي في حبه المتناهي مات عنهم فدية يشعرون بان لا عذر لهم لعدم التجاؤم اليه للخلاص

ثم يعلن هذا الديان نصيب الخراف الصالح وهو "الميراث المعد لهم منذ تأسيس العالم". لانهم مباركو ابيه الذي اعدّه لهم . ويعلن نصيب الجدا الغير المعد لهم الذي هو النار الابدية المعدّة لابليس وملائكته . على رغم ارادة الله والوسائط التي اعدّها لهم لاجل الخلاص اختاروا الانقياد الى ابليس وملائكته . فلا حق لهم باللوم ان أرسلوا الى محل الرئيس الذي تبعوه في حياتهم الارضية وفضلوا طاعته على طاعة المخلص الجالس على كرسي الدينونة السبب الاصيل للدينونة عدم ايمانهم به . وبما انهم لم يؤمنوا لم يعملوا ما يطلبه من تابعيه . والعمل المخصوصي الذي يذكرهم به هو معاملة البؤساء ولا سيما اتباعه منهم الذين دعاهم "اخوتي هؤلاء الاصاغر". ففي هذا المثل

(١) في قوله كرسي مجده عبرة مهمة (٢) بياض الخراف وسواد الجدا عبارة

عن الصفات في الترفيقين

يوضح ان اطعام الجائعين واكساء العريانين واقتناء المسجونين واضافة الغرباء
وعيادة المرضى وامثال ذلك من الاحسان الذي يجربه الانسان حباً للمسيح
يكون كأنه لذات شخص المسيح . فيثاب الفاعل ليس على ما فعل فقط بل
بالاخرى على قصده في فعله . واما الذي لعدم حبه للمسيح لا يفعل هذا الاحسان
فكأنه منعه ليس عن المساكين بل عن السيد ذاته . وفيه ايضاً بيان اهتمامه
ان يعرف الجميع ان الخير الذي يهمله الانسان وليس فقط الشر الذي يعمله
يوقعه في الهلاك . وهذه من أصعب المثائل وقليلون جداً الذين يحفظونها
اما يهوذا الاسخريوطي فاستسلم الآن تماماً لقيادة ابليس الذي لا يفلته
ولو قليلاً الى ان يوصله الى النار الموبقة المعدة لابليس وجنوده^(١) . في بيت
عنيا قبل هذا الوقت بثلاثة ايام ظهر جلياً انفصاله القلي عن يسوع لما
اعترض على دهن مريم قدميه بالطيب . لكن رفقائه الرسل لسلامة قلوبهم
لم ينتبهوا . فلام ستار رباؤه يغشي على عيونهم . ويرجح انه بينما كان يكلمهم يسوع
على جبل الزيتون دبر حجة معقولة عندهم لتركهم والعود الى المدينة ليسعى بما
وسوس اليه رئيسه الشرير . نتصور ان ضميره حاربه شديداً وهو يفكر كيف
يستخدم مقاصد اليهود ضد يسوع وسيلة ليربح اولاً مالاً وثانياً صداقتهم
الحصول على معيشتهم متى انقطع رجاء اعاليه من ابراد يسوع والصندوق
الذي كان يخلص منه . ألم ينتبه الى تصريحات يسوع بان ملكوته ليس زمينياً؟
وبان نصيب تابعيه الخسائر والمقاومات والاهانات والاضطهادات الميمية؟
أو لم ينتبه ايضاً الى تكرار يسوع عبارات تدل على معرفته اسراره؟ فما دام
لا ميل له للتوبة والتقوى لا بد ان هذه العوامل تزيد انفصاله عن يسوع
وعن رفقائه الرسل الأمناء . كان سابقاً من اتباع اولئك الرؤساء ومن تلاميذهم
وهو نظيرهم من اهل اليهودية فيسهل عليه العود اليهم وترك المعلم الجليلي
ومرافقة الرسل الجليليين

(١) او حسب قول الانجيل عنه "الى مكانة" اي المكان المناسب لصفاته

وقد صرّح يسوع تكررًا أنه لا بد أن يسلم لليهود ليُصلب. فإن لم يسلمه هو يسلمه غيره. فلماذا لا يجني الفائد المادية من هذا الامر المقرر ما دام يسوع قادرًا أن يتخلص من بين ايدي اليهود بعد تسليمه ان شاء ولا يتضرر بسبب تسليمه. فضلًا عن أنه يخدم بهذا التسليم مقاصد يسوع السامية. احتجاجات كهنة في افواه فاعلي الشر ما لوفة عندنا اليوم. فلا نخطئ اذا قدرنا استخدام يهوذا مثلها لتبرير نفسه في ما يفكر الآن ان يفعل. قال البشير "حينئذ دخل الشيطان في يهوذا الذي يدعي الاسخريوطي"

والذي دخل في يهوذا ترأس غير منظور اجتماعًا في ذلك اليوم عينه في دار قيافا رئيس الكهنة حضره رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب ليقرروا بعد البحث كيفية مسك يسوع وقتله. لأنه لم يعد يمكنهم ان يحتملوا منه أكثر. ويريدون ان يقضوا عليه قبل العيد ان امكن. لان الخوف على كيان نظامهم شديد جدًا بالنظر الى ميل الشعب اليه وخطر انتشار تعاليمه واخبار احساناته ومعجزاته بين اليهود المشتتين في كل الجهات والممالك بواسطة الذين اجتمعوا في هذا العيد. لكن العقلاء بينهم ادركوا ان الشعب اقوى منهم ولا يجارهم في قصدهم. فاقنعوا الآخرين ان يصبروا الى ان يمضي العيد وتنصرف الجماهير ولاسيا مواطنيه الجليليين. هذا ما قرره مجلس الامة الموقر. واما مجلس السماء فقرر منذ الازل ان يذبح حمل الله في عيد الفصح الذي رسم اشارة هذه الضحية. فيكون قرار مجلس الامة المخالف باطلاً

وكانت الآلة لابطاله حليفهم وخادمهم الجديد الاسخريوطي الذي ساقه الشيطان ليفعل بارادته الحرة مشورة الله المحنومة. هذا قصد رؤساء الكهنة طمعًا بالرشوة منهم. فوجدهم يجددون المخابرة مع قواد جند الهيكل. فوعد ان يسهل عليهم القبض على يسوع سرًا خلوا من جمع قبل العيد لقاء مبلغ معين. ولا ريب ان الرؤساء تحفظوا منه أولاً. لأنه مستبعد عندهم ان

يسلمه احد رسله . وانهم طلبوا منه براهين كافية تحقق لهم الاركان اليه . انما دهم
ذكاؤهم على انه لو قصد خداعهم لما طلب منهم اجرة . بل كان يقدم جملة مجانا .
فاركبوا اليه ووعدوه بالقيمة المصطلح عليها ان تدفع كدية عبده ان نظمه
تور وقتله اي ثلاثين من الفضة^(١) . ولربما استبشروا عجيبي يهوذا انهم قريبا
ينجحون في ان رفقائه يخذون حذوه ويتركون يسوع . ولا سيما بعد ان يروه
اسيرا ثم قتيلا . وفرحوا جدا بوعده يهوذا انه يمكثهم من القبض عليه سرا .
لانهم يسرعون اذ ذاك في تسليمه للحكومة الرومانية ولا خوف بعدئذ من
انتصار الشعب له . لاغروا ان كانت الاجرة المتفق عليها زهيدة لان الرؤساء
يعتبرون انهم لا يحتاجون مساعدته لنيل غايتهم بعد العيد . فيكون رجحهم من
يهوذا الاسراع فقط . وعملة زهيدة اي ان يراقب وقتا يكون فيه يسوع منفردا
لكي يسكوه بسهولة . اما يهوذا فيقبل بهذا المبلغ الطفيف لظنه ان لاثاثير لعمله .
لكن فاعل الشر كفاعل الخير لا يمكنه ان يقدر عواقب عمله معها كان صغيرا
وبسيطا . كان خطأ يهوذا بليغا في زعمه ان عمله ليس ذا شأن . وقد استفاق
على غلطه استفاقة مربعة كما سنرى

عاد يسوع الى بيت عنيا في المساء مرافقا برسليه ويهوذا معهم . ولكونه
قضى يومي الاربعاء والخميس هناك لم يتيسر للخائن ان يقوم بوعده للرؤساء سريعا
ولعلمهم تصورا انه خابهم امتحانا وانه لا ينوي ان يبر بوعده . اما هو فامسى
مستسلما اكثر للطمع والرياء وتربص في وظيفته الجديدة كجاسوس على سيد
وولي نعمته مترقبا فرصة مناسبة ليسلمه . وهكذا انقضى يوم الثلاثاء . اما يوم
الاربعاء فلم يذكر الكتاب من ماجرياته شيئا . لكن يرجح ان يسوع ورسله
قضوه بسكينة في بيت عنيا

(١) خرا ٢٢:٢١ تساوي تقريبا ثلاث ليرات انكليزية في عا ٦٠٢ اشارة الى بيع البار

بفضة وفي عا ٦٠٨ الى مشتري الفقراء بفضة

ولما اشرقت عليهم شمس صباح الخميس كان يسوع قد نام نومه الاخير.
 لانه بقي له ليل واحد قبل صليبه يمنعه عن النوم فيه اشتغاله في العشاء الفصحى ثم
 الرباني والصلاة في البستان وتسليم يهوذا اياه والمحكمة الغير القانونية في دار
 رئيس الكهنة. ثم يعقبة ليلان وجسد الكرم في القبر وبعد ذلك جسد القيامة
 المجد الذي لا يحتاج الى نوم



دهم

جانا.

نظم

ربيا

روه

را.

من

وساء

من

نفردا

عمله.

غيرا

تفاق

لكونه

ربعا

امسى

سين

يوم

رسلة

البار

الفصل الثالث والاربعون

مت ١٧: ٢٦-١٩ و ٢١-٢٥ مر ١٤: ١٢-٢٥ و ٢٧-٢١ لو ٢١: ٢٧ و ٢٨
و ٢٢: ٢-٢٨ يو ١٣: ١-٢٨ واكو ١١: ٢٤ و ٢٥

(المرصع) ف ٤٢ (الزمان) الخميس ٦ نيسان السنة ٢٠ م
(المكان) هيكل اورشليم

الاستعداد للفصح . المشاجرة . غسل الارجل . عشاء الفصح . عواطف يسوع .
الحائن وخروجه . العشاء الرباني . الاستحالة . اهمية سفك الدم .
الوصية الجديدة . الانبياء بانكار بطرس وتشتت التلاميذ وشكهم

لم يظهر يسوع صباح هذا الخميس استعداداً للذهاب الى المدينة. وربما
استنتج رسله انه عاقد النية على اكل الفصح في بيت عنيا . لانها داخله في
خارج اورشليم فيموز ممارسة عشاء الفصح فيها بعد ذبح الخروف في الهيكل .
وهذا الخميس الواقع في اليوم الرابع عشر من الشهر القمري صار حسب
اصطلاح اليهود اليوم الاول من عيد الفطير^(١) . فاصبح عيدهم ثمانية ايام
لاسبعة . ولان ابتداء كل يوم يحسب من الغروب قبله تُعدُّ عشية يوم الخميس
من اليوم الخامس عشر الذي يفتضي ان يؤكل فيه الفصح
وفيه كان يحضر كل ما يلزم لعشاء الفصح في مسائه . لكن كانت تهيئة الخروف

(١) الاتفاق وجه ٥٢٧

والاعشاب المرة والخمر وآنية الاغسال وسائر تفاصيل العشاء تستغرق وقتاً ليس بقليل لذلك لم يصبر الرسل ليظهر ارادته . بل تقدموا وسألوه اين يعدون العشاء^(١) . قال جواب يسوع كما آل سكونته للآن الى توقيف الاسخريوطي عن اخبار الرؤساء اين يجذونه في ذلك المساء فيقبضون عليه قبل الاوان^(٢) . لان جوابه كان ارسال رسوليّه بطرس ويوحنا بتعليمات غامضة لا تُعين الاسخريوطي في قصده . فلم يُفتح له باب لترك يسوع والرسل الذين معه . تنبأ يسوع للرسولين انها يصادفان في المدينة ما قد يكون منظراً غير اعتيادي اي رجلاً حاملاً جرّة ماء في الطريق . وافهمها ان يقولوا لصاحب البيت الذي يدخله هذا الرجل . ”يقول لك المعلم ان وقتي قريب . عندك اصنع الفصح مع تلاميذي“^(٣) . فمضيا ووجداً وفعلاً كما قال لهما . فاخذاً هذا الرجل الكريم الى عليّة كبيرة مفروشة معدّة . لان يهود المدينة كانوا يعدّون كل ما يمكنهم في منازلهم للمسافرين الغرباء ليلة العشاء الفصحى . فهناك اعدّا كل شيء حسب القانون

ولما صار المساء نزل يسوع والرسل العشرة الى المحلّ المُعدّ وانضموا الى الرسولين . وكان عليهم قبل ان يتكلموا حول المائدة ان يغسلوا ارجلهم من غبار السفر . لان النعال التي كانوا يلبسونها لا تغطّي الاً اخمص القدم . يُظن ان في سفراتهم كان الخدام في بعض المنازل التي يتزلون فيها يؤدّون هذه الخدمة . وحيث لا يوجد خدام كان التلاميذ يغسلون بعضهم ارجل بعضهم . لكن بما ان هذا العشاء رسيّ كما انه عظيم اخذ كل واحد منهم يستصعب

(١) زعم البعض انه مارسته قبل ميغاده بلبلة (الاتفاق وجه ٥٢٩) انظر خر ٢٠:١٢ -

٢٧ ولا ٤:٢٢-٨ وث ١٠:١٦-٨ (٢) قال بعضهم ان هذا الرجل يوسف الراعي

وأخرون انه نيقوديموس وآخرون انه يوحنا مرقس نسب بطرس والكاثب بشاره مرقس وان العليّة هي عليّة صهيون الشهيرة التي كان حاصرها التلاميذ وفيها حلّ عليهم الروح

القدس في يوم الخمسين

القيام بهذه الخدمة لرفقائه كانهم ارفع منه مقاماً . لذلك تشاجروا في من هو اعظم بينهم ^(١) ليُعرف من الذي يخدم
يرجح ان البادئ والمحرك الاعظم في هذه المشاجرة الاسخريوطي الطالب
لنفسه الرفعة كونه من اليهودية وبيك امانة الصندوق . والبشير يصرح ان
هذه المشاجرة صارت "حين التي الشيطان في قلب يهوذا الاسخريوطي ان
يسلمه". يوسف جداً على تكرار مشاجرتهم في هذا الموضوع ^(٢) . ولا سيما
بعد ما وُجَّح يسوع الفريسيين مؤخرًا على طلبهم العظيمة والمجالس الاولى في
الولائم . كرر تحذيره رسالة من هذا الروح

وبما انها جاءت في هذه الساعة الوقورة جرحت فؤاد السيد جرحاً بليغاً .
فاخذ يكشف بكلامه خطأ الرأي السائد في عصرهم ان المتسلط هو المحسن ^(٣) .
وقال "انا بينكم كالذي يخدم . فالمتقدم فيكم ليكن كالخادم" . ثم وعدهم ان
يجعل لهم معه نصيباً في ملكوته العتيق وحينئذ ياكلون ويشربون على
مائدته ^(٤) . ويجلسون على كراسي يدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر ^(٥) .
وايد كلامه بمثالة جديدة عملية غريبة في بابها ومؤثرة لدرجة تكفل انهم لن
ينسوها ابداً . لانه تنازل وخدمهم خدمة العبيد لاسيادهم على صورة
مدهشة جداً

اعتنى البشير ان يذكر قبل ايراد هذا الخبر ان يسوع كان في تلك الساعة
عالمًا انه قريباً يرتقي من هذا العالم الى الآب . وان الآب قد دفع كل شيء
الى يده . وانه من عند الله خرج والى الله يمضي . فهذه المعرفة الحقيقية بمقامه

(١) ينبغي في هذا الشجار ان لبطرس امتيازاً خاصاً (٢) انظر مت ١٨:١
٢٨:٥٠-٥١ و٢٩:٢٧ ولوقا ١٢:١٠ (٣) افخذ بعض مارك ذلك الزمن لقب محسن
كلقب فخري ونقشوه على نقودهم (٤) لا يكون هذا الكلام حرفياً لان الرسول
يقول ان ملكوت الله ليس اكلاً وشرباً (رو ١٤: ١٧) وان لحماً ودمًا لا يرثان ملكوت الله
(١كو ١٥: ٥٠) (٥) ابط ٢٩: ٢٠ ورو ٦: ٢١ حيث بشار الى رتبة المؤمنين الملكية

العظيم من شأنها ان تزيد قيمة مثال التواضع الذي يقدمه . ويُحتمل ان الاثني عشر اهلوا في هذا الوقت غسل الأرجل بسبب هذه المشاحنة . لان يسوع نهض من مكانه بعد ان اتكأوا حول مائدة العشاء وخلع الرداء المخصص به كعالم . واتزر بمنشفة كالعبيد . واتى بالمغسل والماء . واخذ يغسل أرجل التلاميذ الذين ابوا ان يغسل الواحد للآخر . لكن لئلا يؤخذ فعله في هذه الساعة كانه عن حدة وغضب ذكر البشير بان يسوع كان قد احب خاصة الذين في العالم حتى المنتهى . اي ان عاطف الحب العظيم الثابت وليس انفعال الغضب حرّكه لغسل أرجلهم تعليماً لهم . وان هذا الحب كان الى منتهى وجوده معهم في الجسد . وإلى منتهى الضغط على محبته الحاصل بسبب ما اظهره من التقصير والسقوط . وإثباتاً لهذه الحقائق غسل أيضاً رجلي الخائن المتربص ليسأله للقتل . أفلم يكن هذا العمل من افعل الوسائل التي استعملها هذا المخلص العظيم مع هذا الشرير اللئيم لتليين قلبه القاسي وردّه عن غيّه الشيطاني وتوليد المحبة المسيحية فيه وجذبه الى التوبة والصلاح ؟ ولا سيما ان صحّ قول القديس يوحنا فم الذهب ان يسوع ابتداءً به في غسل الأرجل لانه الاقرب اليه في المتكأ عن شماله . يرجّح ان بطرس كان قدام يوحنا وعن يمينه . فيكون يسوع قد غسل أرجل الجميع ما عدا يوحنا قبل وصوله الى بطرس . فلما جاء الدور الى بطرس اعترض بصورة المستنهم المستغرب . ولم يقنع لما اجابه يسوع بانه سيفهم فيما بعد ما لا يفهمه الآن . بل جدّد اعتراضه بصورة الجزم والحكم على يسوع قائلاً " لن تغسل رجلي ابداً " . ففي الوقت الواحد يخطئ سيده ويقتج عمل رفقاءه الذين قد سلّموا له في هذا العمل كأنهم قصرّوا عنه في الادراك واللباقة . فنال جزاءه كلام يسوع القوي " ان كنت لا اغسلك فليس لك معي نصيب "

عند ذلك كما تمهّور في الممانعة زاد فتمهّور في عكسها اي المطالبة باكثر ما قصد يسوع ان يفعله . لانه اجاب " ليس رجلي فقط بل ايضاً يدي ورأسي " .

فلا يبرئته حسن نواياه من خطيئة جديد في تطهيره ان يهدي يسوع الى احسن
 مما هو شارع بفعله . سلم لكن ليس بتسليم التواضع او ان تواضعه كان من
 باب ما يعرف بكبرياء التواضع . لان التواضع الحقيقي يطلب اهل الذات
 والافتكار بالآخرين . فخطاه يسوع مبيناً ان لا حاجة لغسل يديه ورأسه .
 لان المذنب يغتسل قبل ذهابه الى وليمة . وهذه السفرة القصيرة لا تغبر الا
 الرجلين فقط

في هذا الجواب تعلم في التطهير من الخطيئة . اي ان من يحصل مرة على الغفران
 عند تقديم التوبة والايان لا يحتاج الى اعادته فيما بعد . لانه من الذين كتبت
 اسمائهم في سفر الحياة . وقد تبناهم الروح الالهي فيحسبون من اولاد الله . لكن بما
 انهم لا يسلمون تماماً من السقوط في بعض الزلات عجزاً او سهواً يحتاجون الى
 غفران يختلف عن الاول كما يختلف غفران خطيئة الابن عن غفران خطيئة
 العدو . ويشبه بغسل الاقدام فقط بالنسبة الى غسل الجسد كله . فلان
 الرسل كلهم متجددون الا الاسخريوطي تنوع خطاياهم عن خطايه . هذا
 مفاد قول يسوع " انتم طاهرون ولكن ليس كلكم " . وقول البشير " لانه
 عرف مسلمه " والذي يتوب مرة توبة حقيقية لا يتظر منه مطلقاً العود الى
 حالته القديمة . بل انه يبقى مصراً على التخلص من الخطيئة فغفرانه ثابت
 وخلاصه مقرر . لانها لا يتوقفان على اعماله وطاعته بل على مواعيد الله
 ورحمته المجانية . فان عاد الى القديم يعرف من ذلك انه لم يتب حقاً

لما اكل يسوع غسل ارجل الجميع نزع المنشقة عن حقويه ولبس رداً
 وانكأ في محله على رأس المائدة . قال ما مفاده ان العظمة الحقيقية التي يسعى
 لاجلها العاقل التي ليست المسببة عن الاموال او المقام او الذكاء او المعارف
 بل عن الخدمة والنفع للآخرين . وقياس هذه العظمة مقدار هذا النفع .
 ثم جدد اشارة محزنة الى خيانة احدثهم مع بيانها انها تثبت صحة كلام

الوحي^(١). وتتفق مع المشورة الالهية لئلا يُظنّ ان عمل يهوذا يعارض او يفسد القضاء الالهي. وقد سبق الكلام في هذا المشكل الدهري المتعلق بالقضاء الالهي والحرية البشرية الذي يعجز الناس عن حله. لاشك ان الاسخريوطي كان قد نعد بمعمودية يوحنا كغيره من الرسل. والان نال من يد يسوع ذاته غسل الارجل الرامز الى التطهير من الخطيئة. فصار شاهداً ناطقاً على ان افضل الوسائل الخارجية الدينية حتى اسرار الكنيسة ذاتها ولو مارسها اعظم رؤساء الكنيسة واقدسهم لا تفيد خلاص الذين ينالونها ما لم يرافقها شعور داخلي يناسبها

قد رأينا يسوع يتسلط على الهيكل الاسرائيلي فيطهره وعلى السبت اليهودي فيحرره وعلى الكتاب الالهي فيفسره. والان نراه يتسلط على الفصح العبراني اقدس طقوس الشعب المختار ويغيره. قضت الفريضة في التوراة ان يمارس عشاء الفصح عائلياً. فالغدير الذي ادخله يسوع من هذا الوجه بناه على تفضيله للعلاقات الروحية على النسبية حتى جعل انسابه الروحيين لا الجسديين عائلته. فالعائلة الجسدية تعتبر مقدّمة ومدرسة للعائلة الروحية. وبما انه اتي ليتم كل الرموز الدينية ثم يلغي ما اتمه فعل ذلك بالفصح اليهودي وابدل مجمل انسابه بمجتمع رسله وفقاً لقوله السابق "من هي ابي ومن هم اخوتي"^(٢). نعلم ان امه كانت في المدينة وكذلك اخوته^(٣). فيكونون قد مارسوا الفصح في محل آخر منفصلين عن نسيبهم الاعظم. في ذلك بيان المقام الممتاز الذي وهبه للرسل وليس لغيرهم حتى ولا لوالدته المكرّمة. ونحقق ايضاً ان في الكنيسة المسيحية ليس لوالدته المباركة الكلية الطوبى وظيفه تفوق او تماثل الوظيفة الرسولية

(١) كرّر كلام داود عند ظهور خيانة مشيره اخيتوفل. "رجل سلامتي الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليّ عقبة" (٢ صم ٢١: ١٥ و ٢٢: ١٦ مع مز ٤١: ٩)

(٢) مت ٢٨: ٥٠ (٣) اع ١٤: ١

نرى في هذا العشاء العظيم امتزاج الابتهاج والكآبة في قواد رأس هذه العائلة. فيظهر ابتهاجه من قوله "شهوة اشتبهت ان آكل هذا الفصح معكم". وفي اشتراكهم معهم في عيدهم الشهير المقدس الغني بالمعاني والمشير في رسمه وتفاصيله وممارسته الى عمله الخلاصي الذي سينته سريعا. ولان ساعته التي اتى لاجلها قد دنت - ساعة نعمة انتصاره على قوات الحميم ورئيسها - ساعة سحقه رأس الحية التي يسمح لها ان تحقق عقبه اولاً^(١). يتجه لقرب رجوعه الى حضن ابيه - الامر الذي حسبه داعيا ايضا لسرور تلاميذه حبا له^(٢). ولثبات زمرة تابعيه في ما مضى. ولما نراه عينه النبوية من اعماله الخطيرة ونجاحهم الباهر في المستقبل القريب. ولهذا قال لهم "انتم الذين ثبتوا معي في تجاري وانا اجعل لكم ملكوتا"

ومع كل ابتهاجه نراه يكتب لان سعيه كل هذه المدة لاصلاح رسوله الخائن ذهب ادراج الرياح. فمراة هذه الخيانة اصعب من مراة مقاومة الرؤساء. يكتب لانه عالم ان رسلة جميعا يشكون فيه في تلك الليلة "كما هو مكتوب اني اضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية". وان عميدهم الصخرة سمعان بطرس سيفوق الجميع في الارتداد الوقتي عنه كما فاق في الامتيازات التي اكرم بها. يكتب لان هذه الساعة هي ساعة فراق مؤلم. ولا سيما لتلاميذه الاحباء الضعفاء القاصرين والمتكئين على قيادته الشخصية. فضلا عن ان من موجبات اكتنايه كابن الانسان ما رآه نصب عينيه من العذابات الجسدية والادبية الاصعب منها

حسب عادة اليهود كان على يسوع كرأس هذه العائلة ان يقدم لافراد عائلته السؤالات القانونية ويطلب منهم الاجوبة القانونية^(٣). وان يبارك كأس الخمر قبل ان يناوله ويقول "مبارك انت يا ربنا واهلنا ملك العالم الذي

(١) تك ١٥:٣ (٢) يو ١٤:٢٨ (٣) انظر خر ٢٦:١٢ و ٢٧

خلقت نتاج الكرمة". ثم يشكر ويناوهم الكأس الأولى من الكؤوس الثلاثة المعينة في هذا العشاء. ويقول "خذوا هذه واقتسموها بينكم"

وبعد تأكيد لهم انها المرة الأخيرة لشربه معهم "حتى يأتي ملكوت الله" تجددت كآبته. فاضطرب بالروح وكرر نبأه بان احدهم يسلمه. ولعله قصد بذلك ايجاد سبب لاسراع يهوذا في الخروج من بينهم ليتمكن من الكلام الروحي دون تحفظ. ويفتح اعماق قلبه امام قوم من الحيين الحقيقيين وليس بينهم خائن. ولتتمكن من وضع سرّ العشاء الرباني المقدس الذي لا يسوغ الاشتراك فيه الا للامناء بحبه. وقوله "ان واحداً منكم سيسلمني الاكل معي" ليس كاقواله الماضية المهمة "ان ابن الانسان سيسلم". فلم يمكنهم السكوت بعد وعدم الاكتراث كما في الماضي. بل حزنوا جداً وصاروا يتساءلون حائرين في الامر. وكلّ منهم (ما عدا يهوذا) يعلم استقامة نواياه وابتعاده عن فعل كهذا. ويشق برفقائه فلا يتصور احدهم رديئاً هذه الدرجة. فليس بينهم من يبرّر ذاته ويظن سؤاً في اخيه. لذلك سأل الاحد عشر الواحد بعد الآخر "هل انا هو يا رب". وعدم سؤال احدهم حتى ولا بطرس "هل هو فلان يا رب" يؤخذ برهاناً لصلاحهم جميعاً

يظهر ان يسوع قابل هذه السؤالات بالسكوت. فظلوا جاهلين الى من يشير. اما بطرس فع كونه لم يسأل هل هو فلان يا رب لا يحتمل ان لا يعلم. ولا يقبل تكلم سيده. وفي الوقت ذاته لا يحسر ان يسأل علناً. وبُعْدُ عن يسوع منعه عن الاستعلام منه سرّاً. فاستعان برفيقه الخاص يوحنا^(١) المتكئ بينه وبين يسوع على عادة تلك الايام التي جعلت البشير يقول انه كان

(١) يوحنا الذي وحده يروي هذا الخبر ويسمي ذاته التلميذ الذي كان يسوع يحبه. فمن عدم ذكر اسمه نعلم انه لم يستعمل هذه العبارة عن كبرياء او ادعاء والا فكان يصريح باسم التلميذ الذي كان يسوع يحبه (انظر يوحنا ١٩: ٢٦ و ٢٠: ٢٣ و ٢١: ٢٠ و ٢٢: ٢٣)

مكتئباً في حضن يسوع^(١). فاوماً اليه ان يسأل يسوع مَنْ هو الذي يسأله. فانكأ بوحنا على صدر يسوع وقال له "يا سيد مَنْ هو؟". اما جواب يسوع على هذا السؤال السري فلم يكن سرياً بل صرّح امام الجميع ان مسأله هو الذي يغرس بك معه في الصخرة. والذي يغرس هو اللقمة ويعطيه اياها

سبقت الاشارة الى ان يهوذا اتخذ لنفسه محل الكرامة بجانب يسوع عن يساره وكان يغمرسان اللقمة في الصحن الواحد. وتصوّرائه تظاهر في اوّل العشاء ربائياً بشدة الحب ليسوع. ولهذا اصرّ على ان يجلس بجانبه^(٢). وانه اخذ هذا الموضع سماح منه ليتمكن يسوع من اتمام عمله معه لتليين قلبه وتحويله عن قصّة الشنيع. وتصوّر ان تظاهرة وسماح يسوع له ابعدا عن افكار رفقاءه كل ظن بان يكون هو المسلم

وبما ان يسوع كشف الآن الحجاب عن شخص مسأله اشار الى العقاب الهائل الذي يجلبه هذا الفاعل على رأسه. لانه يتصرّف بحريته التامة وان يكن ما يصيب ابن الانسان بواسطته محنوم ومكتوب عنه. فهذا الحتم الالهي لا يخفف مقدار ذرة من اثم مسأله ومسؤوليته ودينوته الخينة. لذلك قال يسوع "كان خيراً له لو لم يولد". تكفي هذه العبارة التي تقشع لها الابدان لتحرمه حتى اقل بارقة امل في رحمة او فرج او راحة فيما بعد الى ابد الابد. ولا يجوز ان يقال عن انسان سوف يدخل السماء اخيراً "كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد". فلا يصح مع هذا الحكم من فم الديان ذاته زعم الذين يقولون بمخلص عمومي اخيراً للبشر كافة

بعد هذا لم يسع يهوذا المرأى الا ان يتمثل برفقائه في السؤال "هل انا هو

(١) كان يتكى الانسان على مرفقه اليسار فيكون رأس المتكى عن يمينه في صدره

(٢) كان الوضع الالهي ان ياكلوا الفصح واقفين لكنهم بعد حين غيروا هذا النظام بحجة ان الامر بالوقوف كان يوم عبوديتهم للمصريين في ارض الغربة واما الآن كاحرار في وطنهم تحرروا من هذه الوصية

يا سيدي؟“ فلم يسكت يسوع عند سؤاله كما سكت لغيره بل صدّقه بقوله
 ”انت قلت“. ثم بنمسه اللقمة في المزيج المكّي عنه بالاعشاب المرة^(١). لا تُعتبر
 مناولة هذه اللقمة للدلالة على الخائن. لان ذلك تمّ بالغس في الصحن الواحد.
 بل تعدّ وسيلة حبيّة مؤثّرة للاتيان به للتوبة والخلّاص^(٢). فلا يصح القول ان
 يسوع لا يسعى لخلّاص نفس هذا الشرير لعلّه انه لا يرجع عن غيه ولا لانه
 عازم ان يقدم على الصلب ويهوذا آلة لذلك. يسوع ينظر الى اقتداء الناس
 به. فيفعل ما يطلب من كل صالح في الظروف الماثلة. في صفته كابن الانسان
 لا يسأل ما هو القضاء الالهي بل ما هو الواجب الانساني. فيستعمل كل
 الوسائل المناسبة لخلّاص الناس تاركاً في زمن تأنسه امور القضاء الالهي
 للآب الذي ارسله. ويهوذا ذاته عند ندامته لم يتستّر وراء القضاء الالهي كأنه
 عذرة

ثم انتهى عشاء الفصح اليهودي ولما كان يهوذا قد رفض الانقياد الى المحبة التي
 قدّمها له يسوع مع اللقمة المغموسة ”دخله الشيطان“ اي قوى سلطته فيه. فقال
 له يسوع ”ما انت تعمل فاعمله باكثر سرعة“. اما رفاقه فبعد كل ما قيل في
 مسامعهم وحدث امام عيونهم لم يفهموا هذا القول ولا تصوّروا ان يسوع
 يشير الى خيانتهم بل الى اعمال اقتصادية او خيرية تتوقف على استلامه
 الصندوق. لان امامهم سبعة ايام العيد يقدّمون فيها ذبائح ويوزعون فيها
 احساناً على الفقراء الى غير ذلك من النفقات. فظنوا ان يسوع اشار الى شيء
 من هذه. اما ذاك^(٣) فلما اخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً. وايّ ليل
 هذا الذي ليس بعد الأليال اظلم منه بما لا يقاس في الدينونة الابدية! وعن
 ايّ مقام عالٍ شريف بين رسل المسيح المنتخبين قد هوى الآن بنفسه الى

(١) المركب من مواد مختلفة كالطين اليابس واللوز والجوز (٢) المعروف في
 البلاد الشرقية ان تخصّص انسان في وليمة بمناولة صاحب الوليمة اياه لقمة من يده اكرام
 وامتيّاز وعلامة حبيّة (٣) لم يرقّ للبشير ان يسيبه

اعماق الدناءة والخبث والفساوة والكفر والرياء والقباحة والعار ثم اليأس والعذاب والعقاب في النار الموبقة!

لم يسقط من ذاك النعيم الى هذا الحجم الا تدريجاً كبيره. سقط لانه لم يسهر ويصل ليسلم من جرائم الآثام. بل استسلم للطمع والرياء وضروب الانانية. فوصل الى ما وصل اليه. وزادت قساوة قلبه لرفعة مقامه السابق وعظم الوسائط الحسنة التي نبذها. سار مع امياله الفاسدة لما كان لم يزل سهلاً عليه ان يقهرها ويميتها. فتم ثم قويت عليه واهلكته. لا يعلم الا الله وحده الى اية نتائج وخيمة تؤدي الاميال الشريرة التي يستسلم لها الانسان بدلاً من ان يقاومها

لما خرج الاستخريوطي من بينهم ليفتش عن شركائه الجدد ويخبرهم ان يسوع في المدينة ويمكنهم ان يلقوا القبض عليه بسهولة ارتفع عن قلب يسوع ثقل. "فقال الآن نجد ابن الانسان ونجد الله فيه. وان الله سيجيء في ذاته سريعاً"

قد حقق الرسل ان سيدهم يسلم الى مبغضيه ويقتلونه صلياً. لكنهم لم يدركوا معنى ذلك. فوضح لهم بواسطة فريضة جديدة حسية رسمها بحضورهم واورثها لكنيستوه الى ان يجي ثانية بالحد. هي العشاء الرباني الجديد الذي ربطته بعشاء الفصح القديم ليسهل عليهم قبوله وفهم تعليمه. وهذه كيفية ذلك. امامهم فضلات الخبز والخمر بعد عشاء الفصح^(١). فاخذ يسوع قطعة من هذا الخبز الفطير^(٢) وشكر وكسر وبارك واعطى التلاميذ. وقال "خذوا كلوا. هذا هو جسدي المكسور لاجلكم الذي يُبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري"

في الشكر ذكر رسالة انه عند تناول خيرات الارض يُشكر رب السماء

(٢) المشير الى

(١) كان ممنوعاً ان يتركوا فضلات من الذبيحة خر ١٠:١٢

المخلو من الخمر العتيق والفساد

مصدر كل عطية صالحة وكل موهبة تامة ^(١). وفي التكسير انه كما ان الخبز لا يحيي اجساداً الا ويكسر اولاً. كذلك لا يحيي هو موتى الذنوب والخطايا الا ويتألم ويصلب اولاً. وفي المباركة ذكرهم انه صاحب السلطان المعطى له من الآب. هو الذي بركته "تغني ولا يزيد معها تعباً" ^(٢). وفي اعطاء الخبز من يدك لديهم انه هو الطريق والحق والحياة وليس احد يأتي الى الآب الا به ^(٣). وفي قوله خذوا كلوا ذكرهم ان كل ما يعمل لاجل خلاصهم وحياتهم الروحية يذهب سدى ما لم يأخذونه روحياً وبخصوص شخصية وعمله لذواتهم فرداً فرداً بالايان بفعل روحي يقابل الاكل الجسدي

في قوله "هذا هو جسدي المكسور لاجلكم" اوضح لم انه قد عين الخبز المكسور في هذا العشاء الجديد رمزاً لجسد المكسور لاجل حياة العالم. سبق له من مدة سنة كلام قوي جداً لليهود في مجمع كفرناحوم في موضوع اكل جسد وشرب دمه. في حينه اعثر كلامه ليس فقط اليهود بل السواد الاعظم من تابعيه. فليس تعليمه ان جسد خبز الحياة فيؤكل روحياً تعليمًا جديدًا محصوراً في ممارسة العشاء الرباني. ويكفي ذلك الكلام القديم تفسيراً لهذا الكلام الجديد. ونفياً للتفسير الحرفي الذي حذرهم منه وقتئذ ^(٤)

بناء على ما اتاه البعض من التطرف والمبالغة والخطأ في تفسير قول السيد له المجد "هذا هو جسدي" لا بأس من التوسع قليلاً في شرح هذا القول الشهير. فما ينفي التفسير الحرفي لذلك القول كلام يسوع في الحادث المشار اليه آنفاً. "الروح هو الذي يحيي. اما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي اكلكم به هو روح وحياة" ^(٥) وينفيه ايضاً كون جسد لم يكن مكسوراً عند ما قال "هذا هو جسدي المكسور". بل كان سالمًا وكان الخبز موضوعاً على حدة. فلا يكونان شيئاً واحداً. ولم يتكلم في صيغة الاستقبال ليؤخذ كلامه عن

(١) يع ١: ١٧ (٢) ام ١٠: ٢٢ (٣) يو ١٤: ٦ (٤) ف ٢٧

(٥) يو ٦: ٦٣

امر سيحدث بعد ما تكلم. وينفيه كلام الرسول بولس الذي يقول "كلما اكلم هذا الخبز" بعد قوله "هذا هو جسدي" (١)

وتنفيه شهادة الحواس التي هي وضع الهي والوسيلة الوحيدة لتحقيق المعجزات. لانه لا توجد معجزة واحدة بين كل ما ذكر في الكتاب الا ظهر برهانها للحواس. فمعجزة تحويل الخبز الى جسد على رأي اهل عقيدة الاستحالة لا تصدقها حاسة واحدة. بل تخالف تماماً شهادة الحواس الاربع اي البصر واللمس والشم والذوق. فالتفسير الحرفي الذي يتشبثون به يستدعي معجزة اعظم جداً من كل المعجزات الاخرى. ومحنة اكثر كثيراً الى موافقة شهادة الحواس. لانها تحدث في اماكن لا تعد في وقت واحد. وفي اوقات لا تُحصى على توالي السنين والاجيال. فهل يُعقل انها تكون خارجة عن قانون المعجزات في مخالفتها لشهادة الحواس الامر الذي يذهب تماماً بفائدتها؟

التحويل المحكي عنه ضمن دائرة المادة. والمادة خاضعة لضرورة لحكم الحواس. يسلم بان الامور الروحية خارجة عن شهادة الحواس وفوقها. لكن استحالة الخبز الى جسد امر مادي لا روحي. فان لم يشأ سبحانه ان يحول تحويلاً تدركه الحواس يتوجب على كل عاقل ان ينكر هذا التحويل طالما انه تفسير آخر معقول للقول "هذا هو جسدي". وهذا التفسير المجازي مألوف وسالم من المخطور كما في قوله انه راع ونور وباب وطريق الى آخر التشبيهات والرموز التي اتخذها لنفسه مراعاةً للمدارك سامعية. مثل هذا نفعله كل يوم لما نقول عن صورة او تمثال "هذا فلان". بمعنى هذا تمثال فلان او صورته. والمؤمن يتخذ كلام يسوع بمعنى هذا هو رمز او تمثال لجسدي

ثم ناول يسوع رسله كأس الخمر بعد ان شكر. وقال "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا". فكل ما

قبل في الموانع للتفسير اُحرفي القائل باستحالة الخبز الى جسد يقال ايضاً في استحالة الخبز الى دم في النسم الثاني من هذا العشاء

كان للدم اهمية اولى في كل التعليم الالهي لشعب الله في القديم منذ ايام هابيل الذي قبلت تقدمته الدموية مع رفض تقدمه اخيه غير الدموية . ومحور النظام الموسوي كله كان سفك الدم . لكن دم التيوس والعجول والحملان لا معنى ولا فائدة له في الدين الا كرمز لدم حمل الله الذي يسفك لاجل رفع خطيئة العالم . لانه كما سلم الدم على القوائم والاعناب في بيوت العبرانيين في مصر ابكارهم من الملاك المهلك يسلم رش دم حمل الله روحياً على قلب الخاطئ صاحبه من الهلاك الابدي . اشار الرسول الى ذلك بقوله "لانه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (١) . لذلك ليست هذه الكأس كالتى شربوها بحضور الاسخريوطي والمباحة لجميع افراد نسل ابراهيم بقطع النظر عن صفاتهم . بل هي مثال الدم الذي بعد بضع ساعات سيهرق على الصليب وتُخصّص فائدته للمؤمنين الحقيقيين . فالرسل الاحد عشر الامناء شربوا جميعاً من هذه الكأس . بعد هذا لانه سيفارقهم عن قريب على كيفية تورثهم اليأس وتلقي ايمانهم في اشد الخطر نشطهم بوعده انه سوف يشرب الكأس معهم جديداً في ملكوت ابيه

العناية بنفي الاوهام التي التصقت بهذا الموضوع الجلل تمهيد فقط للاهتمام بالاسرار الغامضة والمعاني السامية والفوائد الوافية المرتبطة به . من هذه الاسرار حلول يسوع الروحي في قلب المؤمن حلولاً حقيقياً وفعالاً . ومن هذه المعاني الوحدة التي يوّدها بينه وبين محبيه وبين بعضهم بعضاً . ومن هذه الفوائد غير ما ذكر تبشير الهالكين في الخطيئة بالخلاص بموته بواسطة علامات محسوسة تستوقف نظر الشاردين عن حبه وتلين قلوبهم فيأتون اليه بالتوبة والايمان ظهرت اهمية العشاء الرباني من شهادة بولس ان يسوع ظهر له بعد

صعوده وسأله هذا الرسم حتى لا يشك فيه أو يظهر أنه ترتيب بشري (١).
 فيسوع بقوله اصنعوا هذا لذكري أوجب على كل فرد من تابعيه الأمناء من
 ذلك الحين إلى أن يجيء ثانية بالمجد أن يطيع أمره ويمارس هذا السر المقدس.
 وبذلك يجيء في فكره وفي أفكار من حوله ذكر موته الكفاري لاجل البشر.
 وذكر عشاء عرس الخروف المعد لجميع المؤمنين. وهو عشاء نطف فيه كأس
 ابتهاجهم إذ يتمتعون بالفداسة التامة والسعادة الكاملة إلى أبد الآبدين

وهذا العشاء الرباني دليل الاشتراك المحي الاخوي بين المؤمنين وعربونه
 ايضاً. لذلك لاق ان يقول في وليمه المحب هذه. "يا اولادي *** وصية
 جديدة انا اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً كما احببتكم انا تحبون انتم ايضاً بعضكم
 بعضاً. بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي ان كان لكم حب بعضاً لبعض". هذا هو
 الحب الاخوي المتبادل بين المؤمنين الحقيقيين الذي يجعل الاخ بالايمان
 اقرب من الاخ الطبيعي الخارج عن الايمان

لما قال يسوع انه سوف يفارقهم عن قريب الى حيث لا يستطيعون ان
 يأتوا تحمس بطرس واعترض كعادته. وكان كلامه جميلاً ناتجاً عن نية
 صادقة وحب قلبي لكنه لا يعرف ضعفه لما ترك وحده. فاضطر يسوع ان
 يفهمه انه قبل ان يصبح الديك في الصبح القادم ينكر سيد ثلاث مرات. ولئلا
 يفخر او يشمت رفقاؤه عند هذا القول عن بطرس قال ايضاً. "كلكم
 تشكون في (اي تركوني) في هذه الليلة". فتصح النبوة "اني اضرب الراعي
 فتبتدد خراف الرعية" (٢). الوصية الجديدة ان يحبوا بعضهم بعضاً كما احبهم هو
 نقضي على كل منهم ان يدافع عن اخوته وينفي عنهم احتمال الارتداد عن سيدهم قبل
 ان ينفي ذلك عن نفسه. فخالف بطرس حالاً روح هذه الوصية في مدافعتيه
 عن نفسه وعدم مدافعتيه عن اخوته. لابل سلم ضمناً بإمكانية سقوط اخوته واستحالة

سقوطه هو. فلم يتعظ بتحذير سليمان الحكيم في قوله "قبل الكسر الكبرياء
وقبل السقوط تشاوخ الروح" (١)

ان بطرس سيسقط سقوطاً سريعاً ومخيفاً فتشيطاً له لكي ينهض بعد السقوط
وتحذيراً له لئلا يفخر بعد نهوضه قال له يسوع "سمعان سمعان هوذا الشيطان
طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة. ولكن قد طلبت من اجلك لكي لا يفنى ايمانك.
وانت متى رجعت فثبت اخوتك". في قول يسوع "الشيطان طلبكم" وعدم
قوله "قد رفض طلبه" (٢) ان الشيطان يطلب من الله اموراً كمن. وان الله
يسمح بها احياناً لمقاصد خيرية مجتة. ميز يسوع بطرس في شفاعته لان بطرس
سيميز ذاته في سقوط شراً جداً من سقوط رفقاءه. وذلك على رغم افتخاره
عليهم. لم يطلب لاجله ان لا يتزعزع ايمانه. لانه يحتاج الى مثالة رهيبه
تعلمه التواضع والتوكل - مثالة يتعلمها من تززع ايمانه او نتيجة ذلك في انكاره
النفطع. بل طلب ان لا يفنى ايمانه. وهذا الطلب استجيب

علمه ايضاً ما عليه من الالهتام باخوته المعرضين للسقوط. لانه يقدر ان
يجعل اخباره في السقوط ثم في النهوض نافعا لهم ايضاً. لكن بطرس في عناده
الحبي وغيرته الوقادة اصر على ثقته بنفسه انه لا يسقط. فكرر تأكيد انه يمضي
مع سيده الى السجن وحتى الى الموت. فاضطر يسوع ان يؤكد له بعبارة
قوى من الاولى انه سيسقط. لكنه مع كل ذلك كرر ثالثة مناقضته لقول
يسوع غير منته الى ان ذلك مما يجعل يسوع كاذباً (٣). فيها ارتقى المؤمن
في النجاح الديني لا يعزى ذلك الى قوته بل يقول مع الرسول بولس "بنعمة
الله انا ما انا" (٤). ويحفظ في فكره تحذير هذا الرسول الحكيم "اذاً من

(١) ام ١٨: ١٦ (٢) ومن خبر مثله في قصة ايوب ابي ٩: ١-١٢ و ٤٢: ٦-٧

(٣) وشاركه سائر الرسل في التأكيدات ليسوع انهم لا يتركونه. فظهر سريعاً خطأ هذه
"الصخرة" لما ادعى لنفسه بعض العظمة. قرب الله اليوم الذي فيه ينجلي لجميع خطا الذين

(٤) اكو ١٠: ١٥

يسعون خلفاءه ويدعون بالعصمة ايضاً
"لا على قوائنا بل عليه نتكل نرجي حاجتنا من عطاء المتصل"

يظن انه قائم فلينظر ان لا يسقط“ (١)

ذكرهم يسوع اخيراً بقوته التي ظهرت لما جالوا يبشرون بامره ولم
يفتقروا الى شيء مع كونهم فارغين تماماً من وسائل المعيشة والحاجة . فاعترفوا
له بصدق هذا القول . اذا تكفيه قوته ليحيي نفسه من أعدائه الآن لو شاء . واعلن
لهم ان وصيته في ذلك الوقت ان لا يهتموا مطلقاً بزمانياتهم كانت خصوصية
وقفية لا عمومية دائمة . وتنبأ لهم بامر لا يخطر لهم على البال كلياً . وهو ان في
موته سيوضع مع شريرين شهيرين لاجل التحقير اتماماً للكتابة القديمة عنه انه
”أحصى مع أثمة“ (٢) . فلما اظهروا استعدادهم ان يدافعوا عنه عند الاقتضاء
وقالوا ”يا رب هوذا سيفان“ قال لهم ”يكفي“



الفصل الرابع والاربعون

(مت ٢٦: ٢٦-٥٦ مر ١٤: ٢٦ و ٢٢-٥٢ لو ٢٢: ٢٢-٥٢)

(يو ١٤: ١-١٢)

(المرصع) ف ٤٣-٤٥ (الزمان) الخميس في ٦ نيسان
السنة ٣٠ م. (المكان) اورشليم وجبل الزيتون

خطاب يسوع الوداعي . مقامه . وعده بالروح القدس . سلامه . هو الكرمه .
الثبات فيه . المحبة الاخوية . عداوة العالم . فعل الروح القدس . اعتراف الرسل .
صلاته الشفاعية . الخروج ليلاً . الصلاة والآلام في جنسناي . ماهية الكاس .
تسليم يهوذا اياه . القبض عليه . قطع اذن ملخس . هرب التلاميذ

قد امتاز هذا العشاء المسيحي الجديد بين حوادث حياة يسوع . لان
ظروف وضعه ضاعفت صفته الرسمية . فنراه يقدم بهذه المناسبة خطاباً رسمياً
وافياً يوافق هذا الموقف الموقر . لا يقدر انسان ان يتصور اسباباً للاضطراب
تعادل التي تحيط بالسيد الآن . ولكن بدلاً من ان يكون مضطرباً ينصرف
اهتمامه بيزيد انكار الذات الى تسكين اضطراب رسله حول المائة . يعمل
الآن كما علمهم في امر انكار الذات ولا يبالي ببلاياه بل بتهدئة روع رسله .
فخطابه الوداعي النفيس طافح بالمعاني السامية الروحية والتعزيات الفعالة
الالهية . وملؤه الحب والحنان بقصد الهداية والبنيان

يبتدئ بقوله "لا تضرب قلوبكم . انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي . في
بيت ابي منازل كثيرة . والا فاني كنت قد قلت لكم . انا امضي لاعدكم مكاناً .

وان مضيت واعدت لكم مكاناً آتي ايضاً واخذكم اليّ حتى حيث اكون اما تكونون انتم ايضاً". أليس هذا كلام مدهش جداً من انسان يعلم جيداً انه قبل غروب الغد سيكون رسله الذين يكلمهم هكذا مشتبين ومخبتين امام اعدائهم واعدائهم؟ ويكون هو جثة هامدة على صليب بين لصين؟ فبأي حق يتكلم كعالم وليس كمغلوب؟ وماذا نقول عن كلام كهذا؟ "انا هو الطريق والحق والحياة". ليس احد يأتي الى الآب الا بي. الذي رأي فقد رأى الآب. الحق الحق اقول لكم من يؤمن بي فالاعمال التي انا اعملها يعملها هو ايضاً ويعمل اعظم منها لاني ماض الى ابي. ومهما سألتكم باسمي فذلك افعله ليتجد الآب بالابن" ثم يأتهم باعظم مواعيد. لان عليه يتوقف حسن مستقبلهم وكيان كنيسته ونجاح افرادها في كل الازمان. قال "وانا اطلب من الآب فيعطىكم معزياً آخر ليملك معكم الى الابد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه. واما انتم فتعرفونه لانه ماكن معكم ويكون فيكم. واما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم". ويكرر كلاماً في ارتباط المحبة له مع حفظ وصاياه. ويبين النتيجة الجميلة للحفاظ وصاياه في قوله "ان احبني احد يحفظ كلامي ويحبني ابي واليه نأتي وعندك نصنع منزلاً"

هورئيس السلام^(١) الذي كان موضوع بشارة الملائكة عند ولادته^(٢). فيقول "سلاماً اترك لكم سلامي اعطيكم. ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا". ليس "عليه السلام" كالانبياء بل "منه السلام" كما صرح بذلك الرسل في الرسائل^(٣). ولكي لا يستسلموا للحزن يقول "لو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون لاني قلت امضي الى ابي. لان ابي اعظم مني"

ثم تنتقل افكاره من رفقاءه الى ما هو جارٍ في المدينة بقرهم سيفي نصف الليل. لانه يرى ما لا يرونه من التجمهر في دار رئيس الكهنة استعداداً لاعظم

(١) اش ٦: ٦ و ٢ (٢) لوقا ١٤: ٢٣ (٣) غل ٣: ١ وآيات اخرى عديدة

جرمة في تاريخ الدهور . ويرى ليس فقط الرؤساء واعوانهم وحركات
الاشوريوطي الخائن بينهم . بل ترى ايضاً بصيرته عميد الشر والظلام رئيس
الشياطين الذي يقود هؤلاء في مكائدهم الاثيمة دون ان يشعروا بحضوره
الروحي بينهم . ورويته هذه اوقفت في كلامه عند قوله . " لا أنكلم معكم ايضاً
كثيراً . لان رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء . قوموا ننطلق من ههنا " .
في كل من الانبياء " كان لرئيس هذا العالم " شيء " . لكن في ابن الانسان
الرجل الكامل السالم من كل خطيئة وخطأ ليس له شيء

الا انهم لم ينطلقوا حالاً . لانه استأنف الكلام لاستيفاء خطابه . ولكي
يوضح العلاقة المتينة الدقيقة الكائنة بينه وبين المؤمنين به يشبه ذاته بالكرمة
ويشبههم بالاغصان . ويعلمهم ان المهم فيه وفيهم هو الاثمار . لان بهذا يتجدد
الله . وانه يظهر اثماره بواسطتهم كما تظهر الكرمة اثمارها بواسطة اغصانها . وان
الذين لا يثمرون يقطعون ويحرقون . وان الوسيلة الوحيدة والكافية للاثمار
هي الثبات فيه اي الالتصاق التام به . فاقبل انفصال بين الكرمة والغصن يمنع
الاثمار ويحذف الغصن ويميته . والثبوت فيه يحقق ثبوت فرحه فيهم . وهذا
ما يرغب ويقصد ان يتمتعوا به

فما اعجب تفكره وتكلمه بالفرح في هذه الساعة الهائلة . ويصرح بركن متين
لايمانهم هو اختياره اياهم قبل اختيارهم اياه . ويجعل قياس حنظهم لوصيته
الجديك بالمحبة الاخوية حبه لهم الذي لاحد له . ويذكرهم انه لم يتصرف معهم
حسب حقوقه كسيد مع عبيد بل كحبيب بين احباء . ويقول برهاناً لذلك
" لاني اعلمتكم بكل ما سمعته من ابي " . وينشطهم لاجل سني الاضطهاد التي
ترصدهم قائلاً ان العالم قد ابغضه اولاً . وانه تأتي ساعة فيها يظن كل من
يقولهم انه يقدم خدمة لله . وان سبب عدم ايصاله ذلك من البداية كان
لانه معهم جسدياً . لكن متى تم ذلك يتسلحون بهذا العلم السابق المتقدم منه .
فليس العبد اعظم من سيده او التلميذ من معلمه لينتظروا معاملة افضل من

التي عومل بها . وسبب بغض العالم هو اشرف سبب لهم اي كونهم ليسوا من العالم ليحبهم . ولان العالم لا يعرف الآب ليحب اولاده حتى ولا يحبون الابن الوحيد الذي نزل من حضنه في السماء

لا عجب ان اخذ الغم منهم الآن كل مأخذ . لانه فوق حزنهم على تاكيد بانه ستركهم عليهم ان يتوقعوا هذا الاضطهاد المميت فينبههم الى فوائد المصيبة الاولى والعظمى اي تركه اياهم . وهذا كلامه . "لاني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم . اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لانه ان لم انطلق لا بأنتم المعزّي . لكن ان ذهبت ارسله اليكم . متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق . لانه لا يتكلم من نفسه . بل كل ما يسمعه يتكلم به ويخبركم بامور آتية . كل ما هو للآب فهو لي"

يؤخذ هذا القول بالاتفاق مع قوله الآخر في هذا الخطاب "لان ابي اعظم مني" ويؤيده قوله السابق "انا والآب واحد" . ومع تكراره اشارته السابقة الى انهم ستركونه عن قريب وحده ليس في كلامه أقل غيظ او مرارة . بل بالعكس . لانه يقول "كلتمكم بهذا ليكون لكم في سلام . في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا انا قد غلبت العالم"

لم ينته هذا المعلم الماهر من تعليمه الا ورفع عينيه نحو السماء في الصلاة وقدم تلك الصلاة المؤثرة الشفاعية التي هي اعظم كل ما كتب من صلواته . وتستحق ان يدرسها المطالع بدقة في الانجيل . وان يلاحظ اتفاقها الجميل مع الخطاب الذي تقدمها . وفيها ردّد نعمة المجد ونعمة الوحدة . وفي الاستهلال ليست الاصوات فيها ما كان يُستظر . لانها خالية من الآنين والحزن على رغم الظروف الخارجية الداعية الى ذلك . وملأى باصوات المجد والابتهاج والوحدة وهذا بعضها

"ايها الآب قد انت الساعة . مجد ابنك ليمجدك ابنك ايضاً إذ اعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة ابدية لكل من اعطيته . وهذه هي الحياة

الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته (١) انا مجدتك على الارض. والآن مجدني انت ايها الآب عند ذاك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم (٢). احفظهم في اسمك الذين اعطيني ليكونوا واحداً كما نحن. لست اسأل من أجل هؤلاء فقط بل ايضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم (٣). ليكون الجميع واحداً كما انك انت ايها الآب فيّ وانا فيك ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا. وانا اعطيهم المجد الذي اعطيني ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحد

من أجل فوائد هذه الصلاة انها تشف عن محبة عجيبة متناهية في قلب يسوع نحو تلاميذه محبة تتجاوز منهم الى كل من يؤمن بواسطة كلامهم ونحن منهم. وهي اساس الرجاء بالخلاص. لانه ما دام المخلص المقتدر يجب هكذا ويتعهد للآب انه يحفظ جميع الذين اعطاه الآب اياهم حتى لا يهلك منهم احد الا ابن الهلاك يحق لكل مؤمن حقيقي ان يثق بان هذا المخلص سيحفظه وبصلته ويقدمه اخيراً امام عرش الآب مكملًا. الامر ظاهر ان نفس هذه الصلاة الاجمالي بعيد عن نفس صلاة اعظم الانبياء واقدسهم. واكثر عباراتها ما لا يجوز لمجرد بشر استعماله في الصلاة

بعد الصلاة والمخاطب سبحانه خرج ومضى كالعادة مع تلاميذه الى عبر وادي قدرون الى جبل الزيتون. اما تسبّحهم فكانت على ما يرجح تلك التي رنموا قانونياً وقت الانصراف بعد عشاء الفصح (٤). فكم كان تأثر هؤلاء الرسل وهم يرنمون "اكتشفتني حبال الموت. اصابني شدائد الهاوية. كابدت ضيقاً وحزناً. الرب لي فلا اخاف ماذا يصنع بي انسان. الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في

(١) لا يمكن المبالغة في اهمية هذا التعريف للحياة الابدية (٢) كيف يجوز او

يمكن ان يصلي مجرد بشر هكذا (٣) هل يصلي مجرد بشر ويقول لله "الذين يؤمنون

بي" ولا يقول "يؤمنون بك" (٤) هي المزامير ١١٥-١١٨

اعيننا . مبارك الآتي باسم الرب . باركناكم من بيت الرب . الرب هو الله وقد
انار لنا . اوثقوا الذبيحة بربط الى قرون المذبح . احمدا الرب لانه صالح .
لان الى الابد رحمته

كل قادم وراءه نور يسبقه ظله . فالصليب قادم ووراءه نور الخلاص .
لذلك يظهر الآن ظله كثيفاً بعد ظهوراته السابقة خفيفاً . لانه قبل غروب
آخر يظهر الصليب ذاته . لم يخرج الاسخريوطي من عليه العشاء الا وكان
ليلاً . وتلاخروجه رسم العشاء الرباني وكلام يسوع بمناسبته ثم عظته الوافية
وصلاته الشفاعية . فلا بد من ان الليل كان قد انتصف عندما كملت الصلاة .
لكن يسوع لا يستغني في هذا الوقت الرهيب عن اخلاء خصوصي مع الآب
استعداداً لما امامه . والاستعدادات العداية في المدينة تتكامل . فلا يجوز
الابطاء

لذلك نرى هؤلاء الاثني عشر يخرجون بقيادة سيدهم من العلية ويمرون
بالازقة المستقوفة تحت ستار السكينة والظلام ويمنازون في نور البدر^(١)
وايدي قدرون متوجهين شرقاً الى بستان في سفح جبل الزيتون قد يكون
لاحد محبوه لانه كان يتردد اليه سابقاً . محل هذا البستان ضيقة يقال لها
جثسياني اي معصرة . فلذلك ترجح ان شجر هذا البستان في "معصرة" جبل
الزيتون كان من نوع الزيتون . وان يسوع اخمار ظل هذه الاشجار الكثيف
مخدعاً للصلاة

عند دخولهم البستان اجلس ثمانية من الرسل هناك موصياً اياهم ان
يصلوا لئلا يدخلوا في تجربة . اي لئلا تتغلب عليهم التجربة التي تأنيهم . وقدم
اكثر الى الداخل مرافقاً بالثلاثة الذين اخمارهم رفقاء في جبل التجلي^(٢) .
هؤلاء شاهدوا منه حالاً دهشاً وحزناً واكتئاباً . كما شاهدوا منه على الجبل
بهجة ومجداً وجلالاً . وكانت هذه المشاهدة الجديدة على جبل الزيتون ضرورية

(١) لان الفصح يقع في الخامس عشر من الشهر القمري (٢) ف ٢٠

لاعلان بشرية الحقيقة كما أعلنت التي على جبل التجلي بنوينة الحقيقة لله. اراهم هناك شمس عظميه في افقها الارضي فيريهم الآن بداءة كسوفها في الآلام اتضاعه كسوفاً لا يقل عجباً عن مجدها . فالحادثان مرتبطان برباط لا ينضم

لكنه لا يرضى إلا الانفراد التام في مصارعنه الاخيرة مع ابليس ومقابلته العظمى مع ابيه وتسليمه التام لمشيئته . فما هذا العجب ان الذي قبل هذا الوقت بساعة قدّم عظمة ثم صلاة ملؤها الابتهاج والمجد في نفسه والتعزية والتطمين والتشيط لرسله يقول الآن على مسامعهم "نفسى حزينة جداً حتى الموت"؟ السبب انه قد انت الساعة التي اشار اليها سابقاً في قوله "لي صبغة اصطبعها وكيف انحصر حتى تكمل" (١) وهي الساعة التي لاجلها جاء من السماء (٢) . ثم اوصى رفقاءه الثلاثة قائلاً "امكنوا ههنا واسهروا معي" . "وقدّم قليلاً وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وخرّ على وجهه على الارض وكان يصلي" . ما أ لطف واجمل واكرم طلبه منهم "اسهروا معي"

لانتدر ان ندخل في هذا البحث الأ مضطرين . لاننا على حدود أعمق الاسرار اللاهوتية واصعبها ادراكاً . فيليق بنا ان نتذكر الامر الالهي لموسى امام العليقة المتقدة في جبل حوريب "اخلع حذاءك من رجليك لان الموضع الذي انت واقف عليه ارض مقدسة" (٣) . قد اورد التاريخ اخبار كثيرين من رجال ونساء قابلوا بكل بسالة ودون تردّد او تدمر آلاماً لا توصف ثم اصعب الميمات . ويسوع ذاته عالم جيداً من الاول ما هو امامه من الآلام المتنوعة الفائقة والموت الخيف . ولم يتردد او يتدمر بل سار اليها بثبات وعزم بل ايضاً بشوق . وكل صفاته الادبية واعماله السابقة تنفي بتأنا القول ان اتراجعه في هذه الساعة في جنسباني نتج عن خوفه من الآلام الجسدية والادبية

(١) لو ٥٠: ١٢ انظر مت ٢٢: ٢٠ (٢) يو ٢٧: ٢ (٣) خر ٥: ٣

والموت الطبيعي^(١). فلا يدعم احد خوفه هو من الازجاء والموت بالقول ان يسوع خافها قبله

بطل البشر كافة لا يخفي رأسه ولا يئن ويتنهد لآلام طبيعية مهما اشتدت وتفاقت. لكن لانه بطل السماء الطاهرة ايضاً ووحيد الآب وواحد معه ومجبة حباً متناهياً فهو لا يطيق ما يراه امامه من ساعة فيها يخفي هذا الآب وجهه عنه. وسبب ذلك انه يسي في موته الفدائي تحت لعنة الناموس كحامل خطايا البشر. لا يطيق ذلك ان كان لدى الآب وسيلة لتخليص البشر دون هذا العذاب الفائق الذي يتأتى لزوماً عن كرهه للآثم وشدة تمسكه بالطهارة. وعن إباءه ان يحمل غضب ابيه ولو لحقيقة. هذه اسباب اكتنايه الآن وصراخه في صلاته لكي تعبر عنه الساعة ان امكن. وطلبه من الآب ثلاث مرات ان يميز عنه هذه الكاس. حتى "كان في جهاد يصلي باشد الحاجة. وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض". لم نر مناصاً من الاشارة سلفاً الى هذه الامور لكي نفهم بعض الفهم ما هي اسباب آلام يسوع في هذا الليل وفي هذا البستان

علم يسوع ان ابليس لا يهاجمه وحده لثنيته عن عزيمته ان يتم الفداء بموته على الصليب. بل يهاجم ايضاً رفقاءه الرسل. فحذّرهم منه واوصاهم ان يسهروا معه ويصلوا لاجله ولجل ذواتهم. كنا نظن ان النوم يستحيل عليهم في ساعة كهذه بدون هذه الوصية. فكم بالحري بعدها. لكن الواقع انهم استسلموا حالاً للنوم كما استسلموا على جبل التجلي

نقدّر في هذا الوقت محاولة ابليس مرة أخرى ان يفصل يسوع عن الآب ويجعله يستقل ويصرّ على التخلص من الاهوال التي المعنا اليها. فظهر فشل المجرّب التام في صلاة يسوع. لانه لم يطلب ان تعبر عنه هذه الكاس ان امكن حتى قال ايضاً وحالاً "لكن ليس كما اريد انا بل كما تريد انت.

(١) قال اللاهوتي (ادي) في تفسيره "يستحيل ان ابن الله البار يخاف من تسليم روحه عند الموت الى يدي ابيه" (وجه ٢٨٦)

لتكن لا ارادتي بل ارادتك". هذه هي الساعة المشار اليها في قول الرسول عن "الذي في ايام جسده اذ قدّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للفادر ان يخلصه من الموت. وسمع له من اجل تقواه. مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما نألم به. واذ كُيِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص ابدى" (١). ضغطت هذه الآلام الروحية على جسده الخفيف وقواه المنهكة حتى صار يُخشى ان يموت قبل وصوله الى الصليب. فسمع له في انه لا يموت تحت تلك الآلام التي جعلت عرقه كقطرات دم نازلة على الارض (٢). وبرهان هذا الخطر صلاته ان يسلم من الموت آنذا وارسال ملاك من السماء يقويه لكي لا يموت

لما عاد اليهم وابتغهم وجه تويجته اللطيف الى بطرس المدعي اولاً. ثم الى الجميع في قوله. "لماذا اتم نيام؟ أهكذا ما قدرتم ان تسهروا معي ساعة واحدة؟" وادف تويجته بعبارة الحنو "اما الروح فنشيط واما الجسد فضعيف". ثم عاد الى صلاته ثانية وكانت مؤثرة اكثر من الاولى وفيها لهجة اليأس (٣). وبعدها وجد الثلاثة مثقلين ايضاً بالنوم. ولما ابتغهم "لم يعلموا بماذا يجيبونه". ثم مضى وصلى ثالثة الصلاة السابقة قائلاً ذلك الكلام بعينه. من عدم استجابة الآب ليسوع في كل ما طلبه وعلى الصورة التي طلبها في بشرته عرفنا اهمية شربه هذه الكأس. لان محبة الله الغير المحدودة لابنه الوحيد لا يمكن ان تتركه تحت عذاباته كهذه دون اضطرار كلي. لكن لعظمة اشفاقه تعالى على البشر الساقطين والذين جعلوا انفسهم اعداءه "لم يشفق على ابنه (الوحيد) بل بذله لاجلنا اجمعين" (٤)

(١) عب ٦:٥-٩ (٢) شاهد بعض الاطباء حوادث نظير هذه من العرق الدموي الناتج عن التأثير المتناهي (٣) قال ادي في تفسير انجيل متى "لو عبرت الكأس عن المسيح لشربها الخطاة كلهم الى الابد لانه لا بد ان يشربها اما هو واما الذين ناب عنهم". صفحة ٢٨٦ يشار الى كأس الغضب الالهي في مز ٨:٧٥ ورو ١٤:١٠

(٤) رو ٨:٢٢

لما ابتظ بطرس ويعقوب ويوحنا ثالث مرة أكد لهم فوات فرصة السهر والصلاة . فنومهم ويقظتهم سيان . قال "ناموا الآن واستريحوا . يكفي . قد انت الساعة . هوذا ابن الانسان يسلم الى ايدي الخطاة" . ثم لعلمه ان الاستخريوطي ومن معه صاروا على باب البستان لا يسمع لهم ان يفتحوا في غيابه الرسل الثمانية الباقين هناك . فقال "قوموا ننطلق" . محبوبه نيام لكن الخائن يقظان . الاستخريوطي لا يحتاج الى وصية ان يسهر . أليست هذه شهادة التاريخ على اجياله ان "ابناء هذا الدهر أحكم من ابناء النور في جيلهم" (١) . أليست قوات الشر في العالم ساهرة بينما قوات الخير ساهية ؟ في انفراده في هذه المعصرة حتى عن الاقرب اليه والاعز لديه نتذكر القول النبوي "قد دست المعصرة وحدي" (٢)

واظهر مرة أخرى اهتمامه بالذي قد باع نفسه كما باع سيد بثلاثين من الفضة . رسولة الخنثار المحبوب عند مجب الاشفاق . والذي لاجله جاهد ليريه في الصلاح ويقوده الى الخلاص . فقال "هوذا الذي يسلمني قد اقترب" . سلم يسوع نفسه لايه في هذا البستان قبل ان يسلم عند باب جسد لاعدائه . وبذلك التسليم تم الفداء جوهرياً . وصار فعل الصلب ومتعلقاته تكملة فقط لعمله الجوهري في جثسماني

نعود بالفكر الى الاستخريوطي الذي قضى مع شركائه هذه الساعات في نصف الليل في التدابير لاجل تحقيق النجاح في مشروعهم . بينما كان غيرهم من اهل المدينة مثقلين بالنوم بعد وليمة عشاء الفصح . ويسوع ورسلة في البستان . فارقهم الاستخريوطي في علبة العشاء ولم يعلم بخروجهم . ويعلم ان لاسلح معهم الا السيوف فلا يخاف منهم . ولا من انصارهم بين الشعب في ساعات النوم . ويهوذا بطمئن شركاءه الرؤساء ان يسوع لا يستخدم قوته

المعجزة للتخلص منهم. لانه عجله في عمله. واعلن مراراً نيته ان يسلم ذاته للصلب. فلا صعوبة تذكر في القبض عليه في العلنية وتسليمه باكرًا للحكومة الرومانية ما دام الجمهور نائمًا

لكن لما لم يجدوه هناك ورأى الاسخريوطي أنهم يضطرون ان ينتشروا عنه في بستان جنسيمانى حيث يرجح وجوده زادوا القوة التي معهم تأمينا. وهبوا ما يحتاجون اليه لاجل علمهم خارج المدينة. نعلم ان الذين بلغوا البستان هم يهوذا "والجند" (١) وخدام من عند رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين وشيوخ الشعب. حتى اصبحوا "جمعا كثيرا بمساعل ومصايح وسلاح بسيوف وعصي". ولثلاث بقع غلط في الليل وبقبض الجند على احد الرسل بدلا من يسوع فيتسنى له الهرب من بينهم تحت جناح الليل تم الاتفاق ان الاسخريوطي لمعرفته الدقيقة بشخص يسوع يعطيهم علامة نقيم من الغلط. وقال لهم "الذي اقبله هو هو"

ينفي كلام يهوذا زعم البعض انه اسلم سيده مؤكدا في قلبه ان يسوع لا يسمح لهم ان يسكوه بل يخلص ذاته من بين ايديهم كما فعل مرات في السنين الماضية. لانه قال للقوم معه "امسكوه وامضوا به بحرص" كأنه يحذرهم لئلا يفشلوا. هل من رداة شيطانية تفوق هذه؟ وهل من وقاحة اذل من اختياره قبلة علامة التسليم؟ وهل من قسوة كفرية شرا من اجراء هذه الخيانة في مخدع الصلاة المقدس؟

دخل هذا الجمهور البستان ووقف منتظرا فتقدم الاسخريوطي الى يسوع وقال "السلام يا سيدي" وقبلة لاقبلة واحدة بسيطة بل قبلات عديدة كأنه اوفر الناس حبا له. لولا قسوة قلبه الفاتكة الناتجة عن رباؤه المتواصل لكان سلامة لذع لسانه ولكوت قبلاته شفتيه. اما يسوع فلا يزال يسعى في

(١) اي الجند الروماني المقيم في لصق الهيكل والموضوع تحت أمرة رؤساء اليهود

تخليصه من فساد قلبه ان امكن . هو ابن الاله الذي يشرق شمسُه على الاشرار
كما على الصالحين وقد أتى ليموت عن الفجار . لذلك يستعمل الوسيلة الاخيرة
ليذيب جليد هذا القلب القاسي بشمس حبه . فقال له " يا صاحب لماذا
جئت ؟ يا يهوذا اقبلني تسلم ابن الانسان " ؟ لبطرس الامين عند خطائه قال
" اذهب عني يا شيطان انت معثرة لي " . ولهذا الخائن يقول " يا صاحب " .
هل يستنصى حلم كهذا ؟

حق ليسوع ان يذكره بكلام المزمور " ليس عدو يعيرني فاحتمل .
ليس مبغض تعظم علي فاحببني منه " . بل انت انسان عديلي ايني وصديقي
الذي معه كانت تحملو لنا العشرة . الى بيت الله كنا نذهب في الجمهور " (١) .
عمل يسوع مع الاسخريوطي مثال مفيد يقدم لأعظم الخطاة رجاء بان المخلص
لا يتغاضى عنه لكثرة شروره . ولصيادي النفوس مثالة جديدة مؤثرة تجعلهم
يتمسكون الى النهاية بمشروع تخليص النفوس الهالكة ولو مها توغلت في
الاثام

اما يسوع فقد وصل الى الحد الفاصل بين الحرية والتقييد . حتى هذه
الساعة يمكنه ان ينصرف ويتخلص من قبض اليهود عليه . لكن ان سلم نفسه
الآن يرتبط بقيود متينة جداً لا يحلها الا معجزة فائقة . اليهود في جهلهم تصوروا
طبعاً ان يسوع لا يسلم ذاته طوعاً . ولذلك اتوا بقوة كافية ليأخذوه كرهاً .
فاقتضى ان يعطيهم ادلة كافية انه يقصد التسليم لا التخلص . وان قوته وحده
كافية بدون سلاح لتسليمه من جمهورهم المسلح

يظهر ان يهوذا وبعض القواد دخلوا البستان . وان الجمع مكث خارجاً
منتظراً اوامر القواد . فيسوع بعد كلمته ليهوذا خرج ببساتنه الطبيعية ليقابل
الجمهور المندھش . هم الاول حماية رسله من الضرر . فيلتي اولاً هيئته

ورعبته على طالبيه لاجل هذه الغاية . فسأل أولاً الجمهور "من تطلبون ؟"
 أجابوه "يسوع الناصري" . سواء علموا او جهلوا شخصه يعلمون جميعاً اسمه .
 فقال لهم "انا هو" كان الاسخريوطي قد خرج معه ووقف في مقدمة طالبيه .
 فمع كلمة "انا هو" اربعينهم هيبته جداً حتى رجعوا الى الوراء هم والخائفين وسقطوا
 على الارض . بذلك تاكد لهم انهم لا يأخذونه بدون ارادته

لما نهضوا اعاد السؤال عليهم ثانية . فلما اجابوا كالاول دون ان
 يتقدموا قال لهم "قد قلت لكم اني انا هو فان كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء
 (اي رسله) يذهبون" . وقف امامهم كأم فاطاعوا . ليست هذه المرة الاولى
 التي اربع يسوع جمهوراً معادياً فاحبط مقاصدهم ضد . لكنها اعظم تلك
 الحوادث واغربها . سهره وصلاته وانتصاره وتسليمه للآب في مصارعته في
 هذا البستان قبل محي طالبيه اكسبته قوة وهيبه جديدة . ومعرفته طالبيه بان
 مشروعهم شرير للغاية جعلت ضمايرهم نخسهم عندما شاهدوا هيبته فظهر
 جنبهم

اما الرسل فلم ينصرفوا عند قول يسوع لاعدائهم "دعوا هؤلاء يذهبون"
 تذكروا وعدهم انهم يذهبون معه للسجن والموت . وان سيدهم قال لهم في هذا
 المساء "من ليس له سيف فليبع ثوبه ويشترى سيفاً" . ولما قالوا له "هنا
 سيفان" قال لهم "يكفي" . اذا هو يريد انهم يدافعون عنه بالقوة . إلا انهم
 يستأذنون منه أولاً . فلما رأوا ان الذين امسكوا يسوع لم يكتفوا بمسكه بل
 أوثقوه (اي ربطوا يديه وراء ظهره كعادتهم عند مسك اصحاب الجرائم
 الكبيرة) (١) تحمسوا فسألوا سيدهم بعبارة التعظيم امام خصومه "يا رب
 انضرب بالسيف ؟"

يظهر ان بطرس لاحظ ان المهاجم الاعظم على سيده كان كما ينتظر عبد
 رئيس الكهنة الذي اراد ان يجاهر امام رؤساء الكهنة الحاضرين بالغيرة في

(١) وكان ذلك ظلياً ناطقاً

خدمة مقاصد مولاه^(١). فلم يصبر بطرس على جواب من يسوع بل استل^٢ السيف الذي معه وضرب به هذا العبد المسمى ملخس على رأسه بقصد قتله . لكنه لم يصب الا اذنه اليمنى فقطعها . اهتم حالاً يسوع لاجل ملافاة الخطر الجديد المسبب عن فعل بطرس . اهتم ايضاً ان يظهر حبه حتى لاعدائه واستعداده ان يفعل معجزة لخيرهم . في الوقت ذاته يوضح قوته ومقاومة الحقيقى ليظهر مرة اخرى بعد لاعدائه انهم لم يتسلطوا عليه الا برضاه^٣ فظهر اولاً استيائه من فعل رسوله . وامره ان يرد سيفه الى غمده . وذكره بالحكمة القديمة القائلة ان "الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون" . اي ان الانتقام حبل متواصل . لان كل انتقام يولد مثله . ثم سأله ان كان لا يعلم ان سيده لا يحتاج الى نصراء بشر يخلصونه . فهو لا ينتظر من رسوله ان يعينه بالقوة . لو شاء التخلص ما عليه الا طلبه واحدة من ابيه فيرسل ويقدم له اكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة^(٤) . أو لا يعلم حتى الآن رسوله الغيور ان هذا القبض على سيده ينبغي ان يكون لكي تكمل الكتب ؟ وان هذه الكاس التي آتى الآب ان يجيزها عنه يآبى هو اجتنابها . لانه يحسب ان الآب المحب هو الذي اعطاه اياها

ثم بقوله "دعوا الي هذا" طلب من القابضين عليه ان يحلوا قليلاً ربطة ليصلح بفعل الرحمة الاذى الذي اوقعه رسوله بغير رضاه . فلما حلوه مدّ يده وشفى تماماً اذن ملخس وفقاً لوصيته "احسنوا الى مبغضكم" . هذه خاتمة معجزاته قبل صليبه

(١) ربما كان هذا الرجل المسمى ملخس ناقل الثلاثين من الفضة اجرة الاستغريوطي . وانه قد ناوله هذه الاجرة على حدة لما تمّ التسليم . وان بطرس لاحظ هذه الحركة

(٢) الجيش في النظام العسكري كان يولّف غالباً من ستة آلاف . يعرفون من كتابهم كيف ضرب ملاك واحد في ليل واحد ١٨٥٠٠ رجل من جيش الاشوريين . فاذا يكون فعل سبعين الف ملاك ؟ وهل يحتاج مع ذلك الى حماية احد عشر رسولاً ضعيفاً ؟

لما عرف الرسل جيداً من كلامه انه لا يطلب مساعدتهم وان بقاءهم
تحت الخطر لا يفيد سيدهم شيئاً تركوه كلهم وهربوا . فتمت نبوءة لهم وهم في
العلية مع انهم ناقضوه حينئذ جميعاً (١)



(١) يذكر البشير مرقس ان شاباً كان قد تبع يسوع في تلك الليلة لابساً ازاراً على
عريته . وان هذا استلقت نظر الشبان في هذا الجهور . فلم يسلم منهم الا ترك الازار الذي
تمسكوا به بين ايديهم وهرب منهم عرياناً . يظن ان هذا الشاب كان مرقس ذاته المخبر
بالحادثة وانه كان من اهل البيت الذي صنع فيه عشاء الفصح وانه لما آتى الاسخريوطي
والجهور الى البيت ولم يجدوا يسوع هناك تبعهم الى البستان . او انه كان من عائلة صاحب
البستان ونائماً في كوخ عند مدخله . فنهض وخرج عند قدوم الجهور

الفصل الخامس والاربعون

مت ٢٦: ٥٧-٢٧: ٣-١٠ مر ١٤: ٥٣-١٥: ١-١٠: ٢٢: ٥٤-٧١

يو ١٨: ١٤-٢٧

(المرصع) ف ٤٦ (الزمان) الجمعة ٧ نيسان السنة ٢٠ م
(المكان) اورشليم

اخذه الى حنّان وقيافا واستجوابها إياه . قوانين المحاكمة . محاكمته امام المجمع . المحكم
باعدامه . الاستهزاء . انكار بطرس وتوبته . احضاره ثانية امام المجمع . ندم يهوذا وانتحاره .
المقابلة بينه وبين بطرس

قد امسى يسوع "النبي الذي من ناصرة الجليل" اسيراً مكتوفاً في قبضة
خصومه الذين قرروا سابقاً لكن ليس رسمياً ان يُقتل . لكن اوامر الحكومة
الرومانية الصادرة حديثاً امسكت عنهم حق الحكم النهائي بالاعدام وتنفيذ .
فصار همهم الاول ايجاد جرم مشهود عند الحاكم الروماني يُبنى عليه طلبهم قتله .
وكثرة انصاره بين الشعب في هذا العيد تضطّرهم ايضاً لاحالة هذه المسؤولية
على الوالي الروماني

اعنادت الحكومة الرومانية ان تنفذ احكام الرؤساء بسهولة . لان من
حكمتها الادارية المشهورة اطلاق الحرية الدينية لكل العناصر تحت حكمها
الواسع . ولانها خصت اليهود بنصيب اوفر من غيرهم من هذه الحرية بناء على
تفوقهم في التمسك بامور دينهم . ففي ايجاد الاساس المشار اليه لايهم الرؤساء
ان كان ذلك ظالماً وفاسداً ما دام نافذاً .

لذلك نرى هذا الجمهور المختلط يسير في هذا الليل باسبرهم من البستان الى قصر كبير قومهم حنّان . حال كون هذا الرجل الشيخ في سن السبعين صاحب الحق في رئاسة الكهنة العظيمة نراه متقاعدًا . لان الوالي الروماني عزله من عهد عشرين سنة بعد تولّيه هذا المنصب مدة سبع سنين . ومع ذلك فانه يُعتبر المدير الاعظم للمكائد ضد يسوع . وكان اعتباره ونفوذه بين قوموا اكثر كثيرًا من صهره قيافا الذي اقامه الوالي رئيس كهنة مكان حميه بعد ان كان عين من ابناء حنّان اربعة او خمسة الواحد بعد الآخر . كان حنّان طامعًا وقاسيًا بخيلًا غنيًا ومكروهاً لكن مهوبًا^(١)

قرأنا سابقًا "حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا" . لكن يوحنا الحبيب رجع وانضم الى الجمهور الماشي من البستان الى دار رئيس الكهنة . ولانه كان معروفًا ومقبولًا فيها دخل مع الداخلين . ورجع سمعان بطرس ايضا وتبعهم لكن من بعيد . فلما وصل بعد الآخرين اوقفته الجارية البوابة . فطلب منها ان تستدعي له من داخل صديقه ورفيقه يوحنا . فلما خرج هذا وتكلم مع الجارية ادخل بطرس معه الى الدار . لكن ليس الى غرفة الرئيس حيث دخل هو

يظهر ان الرئيس قيافا ارسل حالًا فجمع ليلًا الذين ارادهم من الفرق الثلاث اي رؤساء الكهنة والكتبة والشيخوك لكي يحجروا محاكمة غير رسمية يستبدون فيها . وعلى ما يقررونه يبنون عند الصباح حكمًا رسميًا معجل التنفيذ ليتمكنوا من تسليم يسوع باكرًا مع صورة الحكم للوالي لكي ينفذه بالاعلام قبل يوم ذبيحة الفصح . لان فيه وفي ايام العيد بعد لا يجري عمل كهذا مطلقًا يلاحظ ان الفرّيسيين الذي كانوا قبلاً المتقدمين في مقاومة يسوع كما

(١) ورد في التلمود "ويل لبيت حنّان . ويل لاصواتهم التي هي كمنج الحيات . هم رؤساء الكهنة . ابناؤهم حفظة الخزائنة . اصهرتهم ولاية الهيكل . وخدامهم يضربون الشعب بالعصي" . كان هذا الرجل صدوقيًا اتى به هيرودس الكبير الشرير من الاسكندرية ليقلده وظيفة رئاسة الكهنة .

وفي دينوته الخيفة يهملون الآن وتنقل المسؤولية وأكثر العمل الى الكهنة الصدوقيين. ولا عجب لان هؤلاء القسم الاوفر من الارباح المحرمة التي يتهددها نفوذ هذا الناصري

يلاحظ ايضاً ان حوادث هذا الليل المشؤوم لا يرد خبرها في البشائر على نسق تاريخي حتى يمكن الجزم في كيفية سياقها. لان لقب رئيس الكهنة كان يطلق على كلا حنّان وقيافا. ولانها سكنا على ما يرجح في قسمين من دار واحدة. لكن الامر ظاهر ان لاهمية لمعرفة الاقوال التي صدرت هل هي من حنّان او قيافا. ولاي الحوادث وقعت في دار حنّان وايها في دار قيافا. ثم في حادث انكار بطرس لاهمية لمعرفة عدد الذين اعترضوه او من هم تماماً او ماذا سأل كل منهم. لان الاختلاف في الروايات لا يتجاوز الى المناقضة. بل الاتفاق بين الاخبار المختلفة واضح في كل ما هو جوهرى ومهم وثبت صدق البشيرين جميعاً

فيا لغرابة الصورة التي امامنا الآن. ها رئيس الكهنة الاصلي الحقيقي المقام من الله يقف مكتوفاً مخفوقاً ليجأكم امام مخلص الاسم والوظيفة المقام من والـ شريروثي

الظاهر ان رئيس الكهنة قصد اتهام يسوع انه قائد زمرة من المتأمرين لاثارة فتنة ضد الحكومة بدليل مرافقة الجماهير له في جولانه. فسأله عن تلاميذه وتعليمه وكان جواب يسوع مناسباً واصولياً. قال "في الخفاء لم اتكلم بشيء. لماذا تسألني انا؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم. هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت انا". لو لبي طلب الرئيس لا يعول على جوابه في المحاكمة القانونية ولا يقنع سائله. بخلاف افادة الذين اشار اليهم في كلامه. ولا يرضى ان يجاري الرئيس ويحيب على سؤال خبيث بشرح تعاليمه الروحية.

لكن كلاماً حرّاً جريئاً كهذا لا يقبل في محضر رئيس الكهنة. هنا محل كلام التذلل والتلق والتدليس. لذلك تحفز احد الخدام الواقفين في الغرفة مدافعاً

عن مقام سيد امام الهيئة ولطم يسوع وفرعه على جوابه للرئيس . مفهوم ان امر يسوع في وعظه على الجبل بان المصروب على احد خديه يحول للضارب خده الآخر لم يقصد منه المعنى الحرفي . ولا ان يُطلق على كل الظروف . فبدلاً من خضوعه لهذه اللطمة بسكوت نسمة يوجب هذا اللثيم بكل رزانه وحق قائلاً "ان كنت تكلمت ردياً فاشهد على الردي . وان حسناً فلماذا تضربني ؟" (١) اما اللطمت الاخرى التي اثنه بعد حين فلم يعترض عليها بشيء . لانها من جملة المعاملات الرسمية التي قصد ان يتحملها

اهتم الرؤساء كثيراً بتدبير شهود زور لكي يركبوا على شهادتهم حكماً يكون ظاهره قانونياً . وارشاؤهم بهذا ليسلّمه يميز الحكم انهم اشترى ايضاً الكثيرين الذين شهدوا عليه زوراً . "لكن لم تنفق شهادتهم" . اخيراً تنسموا نجاحاً من شاهدتين يشهدان بانه قال انه يخرب الهيكل ثم يقيمه في ثلاثة ايام . هذا تحريف كلام قائلة منذ ثلاث سنين في الهيكل لما طهره اول مرة . لكن صورة تحريفها اختلفت فستطعت شهادتهما . فلجأ الرئيس الى الحدة وقام ووقف في الوسط وسأل يسوع لماذا لا يدافع عن نفسه جواباً على الشهود . "فلم يجبه بكلمة" . وصحّت نبوة اشعيا القائلة "ظلم اما هو فتدلل" . ولم يفتح فاه" (٢)

عند ذلك قال الرئيس "استخلفك بالله الحي ان نقول لنا انت المسيح ابن الله" ؟ لا يقدر يسوع ان يسكت عند هذا السؤال لئلا يؤخذ سكوتة دليلاً على رجوعه عن تصريحاته السابقة بهذا المعنى او على خوفه من مضطهديه . لذلك اجاب حالاً بالاجاب . وزاد قوله انهم سوف يبصرونه كابن الانسان جالساً عن يمين القوة وانياً على سحاب السماء . كانه يتنبأ للرئيس والهيئة يوم

(١) جرى مثل ذلك لبولس فلم يحتمل بل شتم الذي امر بلطمة

(٢) اش ٥٣: ٨

بأني حين تبدل هذه الهيئة . فيكون هو الديان وليس الرئيس وقومه
وهؤلاء يذانون منه

فما هذا الكلام الغريب العظيم من مكتوف يحاكم يوجهه الى محاكميه الذين
ييدهم حياته ! وهل مجرد بشر ان يفوه بكلام كهذا ؟ وليس قوله مؤيداً من
الانبياء (١) جواب كهذا يسر رئيس الكهنة جداً باطناً . لان فيه المسك الذي
يتوخاه . لكنه يتظاهر رياءياً بأنه لا يحتمل ان يسمع كلاماً يعارض العظمة الالهية
نظير اتخاذ يسوع لنفسه شيئاً من العظمة . فمزق ثيابه وقال " قد جدف ما
حاجتنا بعد الى شهود ؟ ها قد سمعتم تجديفة . ما رأيكم " (٢) .

لا يحق لرئيس مجلس ان يصرح برأيه في قضية مطروحة لحكم المجلس .
لان ذلك يؤثر تأثيراً مهماً في الاصوات بعد . بناء عليه قضى القانون العبراني
العادل بان تؤخذ في المجالس اصوات الاصاغر فيه قبل الاكابر . فقيافا فقد
صلاحيته كحاكم في هذا الوقت بتصرجه السابق بوجوب قتل يسوع . والآن
يضيف الى اسباب عدم الصلاحية ما ابداه من الحركات والكلام . ولا عجب
في اخذه الجواب من جميع زملائه في المجلس ان يسوع مستحق الموت

على المفكر ان يدبر جواباً معقولاً لسؤال لا بد منه . لما صدر هذا الحكم
النصف الرسمي على يسوع انه جدف لانه قال انه ابن الله لما ذالم يدفعه حبه
للمصدق ومحافظته على شرف الاله لينفي هذه التهمة ويصرح بأنه بريء من
التجديف ؟ لا بل كيف يسرع في تصديق هذه التهمة مع سكوتة عن الرد على
غيرها مما اهتموه به . ان لم يكن حقاً ابن الله بالمعنى المنفرد الذي جعلهم يقولون
انه عادل نفسه بالله كيف يسلم بان يصلب مجتة انه ادعى ذلك

(١) مز ١١٠: ١ ودا ١٣: ٧ و١٤ (٢) حسب الشريعة الموسوية المكتوبة
لا يجوز لرئيس الكهنة ان يعطي كغيره علامة الحزن والاشمئزاز بتزيق ثيابه لانها مقدسة
ومكرسة لله (لا ١٠: ٢١) لكن كتبة اليهود يقولون ان حوادث التجديف كانت مستثناة
من هذا القانون . لان تزيق الالبسة المقدسة يليق عند اهانة العزة الالهية

لما رأى الخدام والحرس العسكري ان الرؤساء بصوت واحد حكموا عليه باعظم جريمة دينية ممكنة وانهم مستأثرون منه غاية الاستياء اطلقوا العنان لامياهم الوحشية عالمين انهم بذلك يسرون الرؤساء . ومع ان المحاكمة الرسمية لم يُبتدأ بها صاروا يصفقون في وجهه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون "تنبا لنا يا المسيح من هو الذي ضربك" . ثم جلدوه واجروا عليه انواع الاستهزاء المهيمن وفقاً للنبوة القديمة التي اوضحت ايضاً قبوله ذلك اختيارياً . هي النبوة القائلة " بذلت ظهري للضاريين وخدي للناتفين . وجهي لم استر عن العار والبصق " (١)

بالنظر الى ما فعله بطرس بمخس عبد رئيس الكهنة في البستان تعجب كيف تجرأ ان يتبع الجمهور كما سبق القول ويدخل دار الرئيس . الا انه بدخوله بين اعداء سيك برهن حبه الشديد له وروح الرجولية ايضاً . لكن لما دار بين هؤلاء القوم الاستهزاء بسيك كان عليه ان يتذكر فاتحة سفر المزامير "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الاشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزين لم يجلس" (١) . ولما رأى ذاته في محيط كهذا كان عليه الخروج حالاً من بينهم او اظهار انتصاره يسوع دون خوف او تردد . لكن لانه لم يفعل لاسلامة له . من يخالط الاشرار لا يسلم من الاطغاء الا ويعرفهم جلياً مبادئهم ومخالفتهم لشروطهم

كانت محاكمة يسوع في غرفة مفتوحة تشرف على الدار الخارجية حيثما تجمع الخدام والعبيد في موقع اورشليم الجبلي وفي اوائل نيسان يشتد البرد قبيل الفجر . فلكي يستدفتوا اضرموا جمرأ في وسط الدار وانضم بطرس اليهم . بظهرانه لم يعترض على شيء من الكلام المهيمن الذي دار بينهم في حق سيك فلم يتفقد احد . لكن بعد حين تقدمت "البوابة" التي فتحت له وتفرست

فيه وقالت له "وانت كنت مع يسوع الناصري الجليلي . ألسنت انت ايضا من تلاميذ هذا الانسان"؟ في القول "ايضا" اشارة الى يوحنا الموجود داخلا والمعروف عندهم من تلاميذ يسوع . فلما لم يحسب نفسه بامان هنا نظير هذا الرفيق ؟ لكن لعدم انتصاره لسيدك اولاً بين هؤلاء القوم قد خدعهم . فحق لهم ان يحسبوه ليس موالياً له . والان كيف يعترف هذه الجارية انه من اتباعه . يجوز ان ما دفعه للانكار اولاً ليس لمجرد الخوف بل ايضاً الرغبة في البقاء بقرب يسوع ليرى ماذا يكون من امره

آه يا سمعان ! ستعرف الآن خسارتك المجسمة لعدم امثالك في جثسياني لامر سيدك ان تسهر وتصلي لكي لا تقع في تجربة . انت متكل على قوتك فلم تستمد القوة الالهية . فسرى كيف ان قوتك هي ضعف . لا تزال تجهل الفلسفة الروحية الحقيقية التي اعلنها بعدك الرسول بولس في قوله "حينما انا ضعيف فحينئذ انا قوي" (١) . "اذاً من يظن انه قائم فليتنظر ان لا يستط" (٢) الشيطان الذي طلبك لكي يغربلك كالخطئة براك غير يقظان . فيهاجمك بواسطة امتحانات بسيطة من اشخاص خبيرين عالماء انه بذلك يصطادك بسهولة . لذلك نقرأ عنك "فانكر قدام الجميع قائلاً لست انا (اي لست من تلاميذ هذا الانسان) لست ادري ولا افهم ما تقولين ولست اعرفه يا امرأة"

لكن انكاره اوقد حريقاً في قلبه . فتركهم وخرج خارجاً الى الدهليز . وبينما هو هناك سمع صوت صياح الديك . واعترضته جارية اخرى واكدت للحاضرين ان هذا منهم . فانكر بقسم تثبيتاً لانكاره السابق لكي لا يكشف كذبه . اخيراً بعد ساعة زاد عليه الاعتراض من الذين حققوا انه احد تلاميذ يسوع . ولا سيما لان الهجة الجليلية تدل على ذلك الى ان ظهر بينهم نسيب الذي قطع اذنه

في البستان^(١) وقال انه رآه مع يسوع هناك
لما حميت القضية الى هذه الدرجة ورأى بطرس شدة الخطر الذي
يتهدده عرف ان الانكار البسيط كالسابق لا يكفي. فسلم لقيادة الطاغى
العظيم. ولحقق للمعتضين ان مشربته مخالف كلياً لمشرب يسوع وتلاميذه
نطوح في الحلف واللعن مؤكداً انه لا يعرف يسوع، يشعر كل ذوق سليم من
انكار كهذا بعد كل ما كان بطرس مديوناً به ليسوع. وبعد كل مظاهرته
بالامانة والثبات. هذا الفلم الذي سبق الجميع في الاعتراف بيسوع انه المسيح
ابن الله وكرر ذلك على صور مختلفة وفي ظروف مختلفة يستي الان ابن الله
”هذا الرجل الذي لا اعرفه“. فكيف نسي سريعاً كلام سيده ”من ينكرني قدام
الناس انكره انا ايضاً قدام ابي الذي في السموات“^(٢)

او وضعنا في كفة ميزان خطيئة يهوذا في تسليم سيده ومقابلها خطيئة
بطرس في انكاره لربما رجحت هذه على تلك. فاذا يرجى بعد من شخص ساقط
هذا السقوط؟ واي قوة تعيد الى الامانة نحو يسوع؟

لم يفرغ بطرس من كفره الفظيع الا صاح الديك ثانية. ويسوع
متنظر هذا الصياح لينفذ رسوله من الهوة التي تورط فيها. فحوّل اهتمامه عن
عنايه في تلك المحاكمة وما يتبعها ليسأل عن نفس هذا البطل الساقط. وادار
وجهه عن رئيس الكهنة والرؤساء لينظر الى بطرس في الدار اسفل. فالتفت
عينا يسوع بعيني تلميذه بالاتفاق مع صياح الديك. فبلفتة الحب المقترن
بالحزن خطته من قبضة ابليس

وفي تلك الدقيقة ابتدأت دموعه تسيل نهراً. وتغلبت فيه العواطف
الشريفة على الدينئة. وحلّت التوبة التلية الصافية محل الكفر والانكار. فعلم
ان خطيئته قد غُفرت وان صلاة يسوع لاجله لكي لا يفنى ايمانه قد أُسجيت.
لم يعد يسأل بطرس ماذا يقول الناس ولا ماذا يتهدده من الخطر. سأل

فقط عن رضى سيد حبيب نفسه. "فخرج الى خارج وبكى بكاءً مرّاً" ونال
الغفران التام

"هلمّ نحتاج يقول الرب. ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. وان كانت
حمرء كالوددي نصير كالصوف" (١). "اني محوت كالغيم اثمك. انا انا هو
الماحي ذنوبك لاجل نفسي وخطاياك لا اذكرها" (٢). "طوبى للذي غفرانته
وسُتِرت خطيئته" (٣) وهذا الذي خلّص بطرس بلفتيه ينفي في كل حين من
اعماق الائم ودركاته كل من تلتقي عينه بعينه اي كل من ينظر اليه نظرة الايمان
ان استلم هذا المجلس معاقبة يسوع بجازوته بالرجم حسب ناموسهم (٤).

وهذا القصاص يوافق هيجانهم الحالي وثقاليدهم المقدسة. هذا ما فعله المجلس
بعد حين بالشهيد المسيحي الاول استفانوس لما اعتبروه مجدفاً (٥). لكن لو
فعلوا ذلك لفسدت نبوة يسوع انه سيقتل صليبا. فالرؤساء على غير علم او
قصد منهم يحيلون الامر على الوالي الروماني الذي نظامه في الاعدام الصلب
لاالرجم

شق فجر يوم الجمعة في ٧ نيسان سنة ٣٠م بعد ليل لم يرف فيه يسوع
ومضطهدوه نوماً. بقي على هؤلاء اجتماع رسمي نهائياً ليقروا صورة ما اتفقوا
عليه فعلياً في ساعات الليل. قال البشير "تساور الجميع كله على يسوع حتى
يقتلوه". لا حتى ينفوا على الحقيقة ويعطوا قراراً عادلاً. بل حتى يقتلوه ولو
خلاقاً للعدالة والنظام. لما عقدوا هذه الجلسة الرسمية طلبوا منه ان يقول هل
هو المسيح. اجابهم "ان قلت لكم لا تصدقون وان سألتكم لا تجيبونني". ثم
كرر عبارته السابقة بخصوص جلوسه عن يمين القوة الالهية. فسألوه "أفأنت

(١) اش ١٨:١ (٢) اش ٢٥:٤٣ (٣) مز ١:٢٣ من الملاحظات التي

تؤيد صدق اخبار البشيرين ان مرقس نسب بطرس الذي يُظن انه كتب بشارته بايعاز
وبتعليمه هو الذي يوضح أكثر من غيره عظم سقوط هذا الرسول الشهير

(٤) لا ١٠:٣٤-١٦ وث ٢٠:١٨ (٥) اع ٥٦:٧ و ٥٧

ابن الله ؟ لما اجابهم بالاجاب قالوا . " ما حاجتنا بعد الى شهود لاننا نحن سمعنا من فيه "

فحكم هذا المجلس الملي المعظم على يسوع بالاعلام لارتكابه جريمة التجديف .
فاذا يفعل الآن هذا بعد حكمه ؟ هو مجلس اشراف الملة وعلمائها
المجلس السبعيني (او السندريم) الذي كل صوامح الشعب المهمة في قبضة يده .
فيسلمونه للام للصلب كما سلمه اليهم يهوذا للمحاكمة . ولا نقل تلك الفضاعة
عن هذه

روح النظام العبراني كان شديد المحافظة على حقوق المتهم والميل الى
التبرئة اكثر منه الى التذنب . هو الروح الذي دام في نظام البلدان المسيحية
والذي يفرض على الحكام بان يحسبوا كل مُتهم بريئاً الى ما بعد اثبات
جريمته . فلدى مراجعة بعض ما ذكره كتبه اليهود من مواد نظامهم المتعلقة
بالجرائم الموجبة للاعلام نرى مقدار الجور والحقف والاستبداد في محاكمة
يسوع

فن هذه المواد (١) تكون المحاكمة جهازية وامام مجلس مستوفي العدد حذراً
من ان يحرم المتهم فائقة شهود التزكية ومدافعة الراي العام عنه ان كان مظلوماً .
(٢) تكون المحاكمة في ساعات النهار القانونية ولا تجوز مطلقاً ليلاً خيفة اخفاء
البيئات (٣) تكون فقط في محل المحاكمة الرسمي تسهيلاً لايراد البيئات ودفعاً
للاغراض الذاتية (٤) لا يحاكم احد الا بعد اتهامه رسمياً بموجب شهادتين
متفقتين (٥) لا يكون اعتراف المتهم اساساً للحكم دون شهود . والا فيجشى
تعذيبه او تخويفه ليؤدّي اعترافاً غير صادق . يمنع هذا القانون الاصطلاح
البربري في تعذيب المتهم لكي يعترف . وقد نتج عن هذا الاصطلاح فظائع
لا تقدر

(٦) لا يجوز الحكم بدون شاهدين على الاقل تتفق شهادتهما بعد حلها
اليمن (٧) شاهد الزور يعاقب بذات العقاب الذي كان يلزم المتهم

البريء لو ثبتت هذه الشهادة. (٨) ان ثبت الجرم يُطلب من الشهود ان يتدنوا بتنفيذ العقاب على المجرم . وهذا ما يصعب تأدية شهادة زورية . لانه يزيد كثيراً مسؤولية الشاهد (٩) يطلب من الشاهد ان تكون شهادته مدققة للغاية ولا تقبل شهادة اجمالية غامضة (١٠) الدور الاول في الكلام يُعطى لشهود التبرئة ويسهل على المتهم تدبير شهود لتبرئته . ويُطلب من شهود التذنب مزيد الرزانة والوقار

(١١) يسمع كلما يقوله المتهم بكل هدوء واصغاء ويعامل بالرفق والانسانية (١٢) مجرد الاكثرية في اصوات اعضاء المحكمة لا يكفي للتذنب . مثلاً لو وُجد من الاصوات الثلاثة والعشرين احد عشر صوتاً للتبرئة يبرأ ولا يُحكم عليه الا باتفاق ثلاثة عشر صوتاً على الاقل (١٣) ان تقرر التبرئة يطلق المتهم حالاً . اما ان تقرر عكسها فلا يصرح بالتذنب الا في اليوم الثالث بعد . وفي اثناء ذلك يجوز لعضو صوت بعدم التبرئة ان يسترجع صوته . لكنه لا يجوز ذلك لعضو صوت بالتبرئة . (١٤) في اليوم الثالث ان بقي الحكم بالتذنب ثابتاً باصوات لا تقل عن الثلاثة عشر يؤخذ المحكوم عليه بوقار ومراعاة من المحكمة بينما الاعضاء يلزمون محلاتهم فيها (١٥) عند الباب خارجاً يقف مأمور بيك راية . ويرافق المحكوم عليه فارس الى محل تنفيذ الحكم . لكنه دائماً يلتفت الى الورا ليرى ان كان حامل الراية الواقف على باب المحكمة يلوح بها علامة لظهور بيته جديدة تفيد المحكوم عليه . واذ ذاك يعاد المحكوم عليه لاجل مراجعة المحاكمة (١٦) كما وانه ان فطن هذا وهو في طريقه الى المعاقبة ببينات كان قد نسبها في استنطاقه يعاد الى المحاكمة الى خمس مرات (١٧) وفي المحكوم عليه يقاد متمهلاً الى محل العقاب ينادى في الشوارع باعلان اسمه الكامل وذكر الجريمة التي حُكم بها عليه مع اسماء الشهود الذين حلفوا ضدّه . ويقال ان كان لاحد بيته توافق المحكوم فليتقدم ويرزها حالاً

في قانون الايمان المسيحي الشهير المسي النيقوي يُذكر اسمان فقط لبشر اسم مريم العذراء التي ولدت يسوع واسم بيلاطس البنطي الذي صلبه^(١). لا يكثر التاريخ ببيلاطس الا لعلاقته بيسوع^(٢). اضطر اليهود لان يحيلوا الحكم النهائي على يسوع الى الحكومة الرومانية بناء على اوامر هذه الحكومة مؤخراً افاد المسيحية فائدة عظيمة. لان بذلك حصلت شهادة النوالي الروماني صريحاً وتكراراً ببراءة يسوع عقيم حكم رؤساء اليهود انه يستحق الموت

بسبب وقوع سبت الفصح العظيم في اليوم الثاني مع سبعة ايام العيد الاخرى بعد اضطر الرؤساء ان يسرعوا في اخذ يسوع الى النوالي بعد حكمهم المتجمل عليه. لانه ان لم ينفذ حكم الاعدام في ذلك النهار عينه يقتضي التأجيل مدة اسبوع على الاقل. فيخشون شغباً في الشعب لاجل تخليص متى درى الشعب بالواقع. لذلك في الصباح باكراً ارجعوا وثق يسوع التي كانوا

(١) يقول ان "يسوع تجسد من الروح القدس من مريم العذراء وتأنس. واصلب على عهد بيلاطس البنطي" (٢) كان بيلاطس خامساً بين الولاة الذين خلفوا ارخلاوس في الحكم في اليهودية. وكان تعيينه الذي وقع قبل صلب يسوع بغواربع سنين متفقاً مع تعيين قيافا لمنصب رئاسة الكهنة كما اتفق ايضاً تاريخ عزلها. كان نظير الوزير الروماني سيجانوس الذي ساء لهذا المنصب يكره اليهود. لذلك كانت سياسته موجبة للقلق. لان الكره يولد الكره. يرونه عنه فصول عديدة آهان واهاج فيها الشعب اليهودي حتى انهم شكوه رسمياً للامبراطور. فجاءه تكدير من مولاه. "كان قاسياً جداً غير دائب الا لمنافعه الشخصية". اخيراً تعدى عسكره في ذات يوم على جمهور السامريين في معبد المقدس "جبل جرزيم". فصارت مذبحه أدت الى عزله واخذ الى رومية لاجل المحاكمة. اصح التقاليد نقول انه نُفي وانتحر في المنفى كما فعل الاسخريوطي شريكه في صلب يسوع. لكن بعض التقاليد تجعله نائباً في آخر حياته ومؤمناً بالمسيح وانه قُتل شهيداً. فلذلك يحسب عند الاقباط والمحبيين احد الشهداء المسيحيين. التواريخ المدنية في غير الانجيل تعلن بان بيلاطس صلب يسوع وانه قدّم لمولاه طيباريوس قيصر تقريراً في هذا الشأن

قد حلوها في المحاكمة. "وقام كل جمهورهم وجاءوا يسوع الى دار الولاية ودفعوه الى بيلاطس البنطي الوالي"

ما هذه الصورة المحزنة والمكدرة؟ ها رؤساء الشعب معلمو الشريعة الالهية الطاهرة يسرون في مقدمة جمع في شوارع المدينة المقدسة ليسألوا مسيحيهم ورجاءهم الوحيد ورجاء العالم اجمع الى وال قاس ظالم وثني ليصلبه رأينا الاسخريوطي يجرّض الذين قبضوا على سيده قائلاً "امسكوه وامضوا به مجرّص". ونظن ان غايته في ذلك ان يؤمن على دفع اجرة التسليم لسيد. لكننا نظن ايضاً انه بعد ما استولى على النقود كان يريد ويرجح ان يسوع يفلت من بين ايدي اعدائه كما فعل تكراراً في ما مضى. نعلم ان الرسل لم يكثرثوا لانباء يسوع تكراراً بتعذيبه وقتله مصلوباً. فبالنتيجة يكون يهوذا ايضاً غير مصدق. فيرج الثلاثين من الفضة بدون ان يُسبب قتل سيده. ولانه الذي سلمه يرجح انه مضى مع الذين صار شريكهم المكرم فحضر المحاكمة. وانه كان شديد المراقبة لكل كلمة صدرت من الفريقين

فهاج عليه ضميره لما سمع حكم المجلس الاعلى الذي لا تراجع احكامه بان يسوع يعدم قصاصاً على التجديف. وندم ايّ ندامة. لكن بعد ان طير هذا السهم هل لندامته من تأثير على النتيجة؟ لا يجهل اللعنة المكتوبة في ناموسه على كل من يرثي لسفك الدم البري^(١). فكادت الشواقل الفضية الثلاثون لا تنتقل من ايدي الرؤساء الاثمة ليده الاوفر ائماً الا ومدّ هذه اليد الثانية ليردها. افتركان يتقياً السم الذي تجاسر على اجتراحه برده مال الحرام وتقديده شهادة صادقة بصفات الذي خائنه وسلمه. فتصدى لرؤساء الكهنة والشيوخ في خروجهم من قاعة الحكم وذهابهم الى الهيكل لتأدية فروض صلاة الصبح. وطلب منهم ان يستعيدوا الفضة قائلاً قد اخطأت اذ سلمت دماً بريئاً "هذه الشهادة القوية من الذي سلم يسوع لاعدائه وبعد ان سلمه

لهم من اهم الشهادات. لانه فيها حكم على نفسه مع تبرئته يسوع. ولان اخباره
المالي الدقيق في شخص يسوع^(١) قوى كثيراً شهادته

لكن الرؤساء قد نالوا اربهم بواسطته فلا يهم امره الآن. هم لا يقصدون
الوقوف على الحقيقة حتى يكون لاعتراف الخائن ثمر عندهم. ان كان لما تأمروا
معه وشاركهم في مقاصدهم كانوا يحقرونه في قلوبهم. فالآن وهو نادى على
مجارائهم ومخالف لهم في غرضهم يحقرونه اكثر. فاجابوه في قسوة قلوبهم
تخيراً "ماذا علينا انت ابصر". لما لم يقبلوا الدراهم منه تبع بعضهم الى دار
الكهنة الخصوصية الى القدس^(٢). وحالما دخلوا حيث لا يجوز له الدخول
طرح الدراهم وراءهم على بلاط المقدس لترد الى الخزانة من حيث اخذها
الرؤساء ليدفعوها له

اما الرؤساء فلم يمسكهم الظاهري بالدين استنكفوا من اعادة هذه الشواغل
المطروحة على بلاط دار الكهنة الى الخزانة المقدسة. وبذلك اثبتوا حكم يسوع
عليهم انهم يصفون عن البعوضة تدقيقاً ويلعنون الجمل تساهلاً. لانهم بينما
يصفون الآن عن بعوضة ارجاع هذه الدراهم الى محلها الاصلي قد بلعوا لاجلاً
بل جبالاً بتعليمهم اليهود ان يشهدوا زوراً وارشائهم اذ ذلك. وبخلافهم
الاصول الجوهريّة في المحاكمة وبحكمهم بقتل يسوع استناداً على الكذب
اخيراً فكوا المشكل بشراء قطعة ارض عديمة النفع تسمى حقل الفخاري
مقبرة للغرباء. فتحوّل اسم الحقل من حقل الفخاري الى حقل دم. تذكر
التلاميذ فيما بعد مشابهة هذا الحادث للذي ورد خبره في نبؤاتهم فحسبوا ذلك
الاول رمزاً لهذا الثاني^(٣)

(١) لربما في القضاء الالهي حسب ان هذه الشهادة الغريبة من المسوغات لوجود
يهوذا في عدد الرسل واحتمال يسوع اياه هذه السنين (٢) الكلمة في هذه القصة
المتروكة هيكل تفيد القدس في الهيكل (٣) زك ١١: ١٢ و ١٣ اما
قول البشير متى ان النبي الذي كتب هو ارميا فله تفاسير شتى. افضلها ان اسم نبوة ارميا

لم تنص ساعة بعد على سقوط بطرس الممول في دار رئيس الكهنة ثم على توبته الصحيحة . فهل يماثلهُ الاسخريوطي النادم ويقدم التوبة الحقيقية ؟ قد يحسب سقوط بطرس معيياً أكثر من سقوط يهوذا بمقدار ما كان مقامه بين الرسل ارفع من مقام يهوذا واهتمام يسوع بتعليمه وتهذيبه اوفر من اهتمامه بيهوذا . لكن هذا يسعى ليصلح امره مع الناس فقط . اعترف للبشر أولاً فلفي النشل الذي يصيب كل من يقدم أولاً للبشر اعترافه بخطاياهُ . توبهُ انه يمكنه اصلاح ما فعل وهذا مستحيل . كان عليه ان يستغفر من الله أولاً ويطلب منه تعالى ان يصلح ما عطَّله هو

آه يا يهوذا ليس في ندامتك حبّ ليسوع فليس فيها لك رجاء . لو كنت تحب لاستغفرت منه لا من اعدائهِ . انت اخ لعيسو لا لبطرس . وخطيئة عيسو لا تستحق الذكر بجانب خطيئتك ان كان في قباحتها او في نتائجها . دموع بطرس السخية لم تنشف بعد الا وانت ايضاً تقول " اخطأت " . لكن بداعي نتيجة وخيبة يعود وبألمها عليك . ولذلك فليس لدائك دواء . اما بطرس فلانه احزن من هو حبيبه الذي يحبه فوق نفسه ويريد ان يبذل حياته عنه هوى قلبه ساعة سقوطه الى الغفار الذي اخطأ هو اليه . فنال حالاً الغفران والنعمة . وكانت دموعهُ شافية لا محرقة . دموع عيسو النادم لم تُجبر نفعاً . لان ندامته كانت على اساس فاسد اي اسفه على خسارته لا على دناءته . ولم يوجه توبته لله في الاستغفار . لذلك لم يجد للتوبة مكاناً مع انه طلبها بدموع^(١)

نفذ الاسخريوطي من يد مال الاثم . لكنه لم ينفذ من نفسه فعل الاثم . فلم يعد يستطيع ان يحمل هذه النفس الاثيمة . ليس بأسه بالاكثير نتيجة هذه السقطه بل نتيجة حياته الماضية التي فيها فتح قلبه للطمع والخداع لالحب يسوع .

عند اليهود أطلق على مجموع النبوات الذي أول أسفارهِ كان نبوة ارميا فشمل اسم ارميا كدابات الانبياء الموضوعة بعد كتابهِ ومنهم زكريا (١) عب ١٢: ١٧

فلذلك لا يميل للاتجاء اليه في هذه الساعة القاضية . تولدت جهنم في قلبه
ولذلك عمد الى طرح نفسه الى جهنم الابدية

الاعذار التي يكتفي بها رؤساء اليهود لا يتذرع بها يهوذا . لان نوره
اضاعاف نورهم . بلية النور الديني هي عذاب مضاعف على الذي يرفضه .
والشيطان لا يكتفي بهلاك الذين يقاومونه فقط بل يقصد ايضاً هلاك
الذين يخدمونه

هكذا فعل بالاسخريوطي . فساقه الى آخر حيل الخاطئ الجبان اي
الانتحار . لا بد انه غش يهوذا كما لا يزال يغش كثيرين فيتصورون ان في
الانتحار شيئاً من شرف النفس وراحة الضمير وتخفيف الويلات . يخبرنا البشير
لوقا ليس في بشارته بل في كتابه الثاني ان يهوذا لما "مضى وخنق نفسه سقط
على وجهه وانشق من الوسط فانسكبت احشاؤه كلها . وصار ذلك معلوماً
عند جميع سكان اورشليم" (١) . فاي نتيجة مرعبة هذه التي تجانس خيانة
فضيحة ؟ حتماً هذه لمحة من عذاب جهنم ابرقت منها على العالم عبرة ومثلاً . فمن
لا يتعظ بها ؟



الفصل السادس والاربعون

(مت ٢٧: ٢٦ و ١١-٢٦ مر ١٥: ١-١٥ لو ٢٢: ١-٢٥ يو ١٨: ٢٨-٤٠)

(المرصع) ف ٤٧ و ٤٨ (الزمان) الجمعة في ٧ نيسان السنة ٢٠م
(المكان) اورشليم

اخذه الى بيلاطس الوالي . فحص بيلاطس وتبرئته الاولى . تبرئته الثانية . ارساله الى
هيرودس وارجاعه الى بيلاطس . تبرئته الثالثة . باراباس اللص . حلم امرأة بيلاطس .
تبرئته الرابعة . تحويل بيلاطس المسؤولية عن نفسه . تسليمه للعسكر . تكرار الاستهزاء به .
تبرئته الخامسة . الحاج الجبوع باطلاق باراباس وصلب يسوع . تسليمه لليهود ليصلب .
تجديد الاستهزاء به واخذه للصلب

باكرًا صباح الجمعة بلغ الوالي في مخدعه قدوم رئيس الكهنة مع مجلسه
الموقر وعظماء الامة وجمهور من التبعة . وانهم احضروا معهم النبي الناصري
الشهير صانع المعجزات الفائقة مكتوفًا ومخفورًا على صورة تدل انه ارتكب
جريمة عظيمة . وكان رؤساء اليهود يتشبهون بعضهم حتى في علاقاتهم مع
الولاة الرومان . وهؤلاء كانوا يعترفون لهم بسلطة واسعة ونفوذ عظيم . فكانوا
غالبًا يتفقدون لهم احكامهم الدينية دون مراجعة

في حادث يسوع بهم الرؤساء جدًا ان يفعل لهم بيلاطس حسب عادته .
وان لا يراجع ولا يفحص القضية . لان الوقت قد دهمهم . ويخشون اذا فحص
بيلاطس ان يلقي حكمهم الظالم . ولانهم يتنجسون من الدخول الى دار المحكمة

الوثنية . والوقت لا يسعهم ليتطهروا من هذا التنجس قبل العيد العظيم نساھل
الوالي معهم وخرج اليهم . وادخل يسوع مع العسكر الى الدار . ثم سأل الرؤساء
في غياب يسوع " اية شكايه تقدمون على هذا الانسان " ؟ في محاولتهم ان
لا يفحص بيلاطس القضية اجابوه بشيء من الوقاحة قائلين " لو لم يكن فاعل
شر لما كنا سألناه اليك " . لكن الوالي تمسك بحقوقه النظامية . فاضطروا ان
يقدموا دعواهم في قالب نظامي ما يوجب معاقبة يسوع بالاعدام

يدركون ان الوالي لا يكثر للجمع التي بنى مجدهم حكمة عليها (١) .
فاستنبطوا جواباً كاذباً خارجاً عن اسباب حكمهم يتضمن ثلاث جرائم . الاولى
" يفسد الأمة " . اي يثير فتنة سياسية ضد الحكومة . لكن لو صدق هذا القول
لكان بلغ بيلاطس بواسطة جواسيسه دون تدخل الرؤساء الذين لا تسيئهم
الفتنة ضد الحكومة . فكذبهم لا يخدع بيلاطس . والجريمة الثانية " يمنع ان
تُعطى جزية لقيصر " . وهذا ما حاولوا ان يقودوا يسوع الى فعله فرفض
تجربتهم قائلاً " اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله " . فهذا ايضاً كذب ناطق
لا يفتن بيلاطس . واما الشكاية الثالثة فهي " يقول انه هو المسيح ملك " . وهذا
ايضاً كذب . لانه لم يقل عن نفسه " ملك " بل الجماهير التي استقبلته عند دخوله
المدينة راكباً . فليس في هذه التهمة ايضاً ما يؤثر على الوالي . لانه يعلم جيداً ان
هؤلاء اليهود يفخرون بكل من يقاوم الحكم الروماني . فلا يمكن ان يسلموا
يهودياً للقتل بهذا الداعي صدقاً

فاجابهم بنفور وتحقير وتهمك " خذوه انتم واحكموا عليه حسب ناموسكم " .
حال كون لا علاقة بين الجرائم التي ذكروها وبين ناموسهم . فيؤخذ جوابه
بعبارة اخرى على هذه الصورة . حتموني واجباتي ان احاكم واحكم اولاً
بناتي ثم انفذ الحكم . وعلى هذه الكيفية فقط اعاملكم . والمعنى الخفي لا نستطيعون
ان نفعلوا ما تشاؤون بدوني وانا لا اخضع لمطالبيكم بدون فحص . في هذا

(١) انظر الحوادث المشابه لهذا الذي ورد خبره في اع ١٨: ١٤ و ١٥

التشبت الغير المتظر من ييلاطس يرى كل مفكر يدا الهية تهبي اعظم اثبات
لبراءة يسوع . وهذا التشبت اضطر الروساء الى التذلل لاجل نيل مرامهم .
فقالوا " لا يجوز لنا ان نقتل احداً " (١)

حصل كل هذا في العراء امام دار الولاية . وبعد ذلك دخل الوالي ودعا
يسوع لكي يفحص في امره . دهاؤ كحاكم يجعله ان يرى في يسوع شخصاً عجباً
لم ير مثله قط . وعلى الفرض المعقول انه سمع بصيته الخيري وبمعجزاته الشهيرة
يتفق ما يراه الآن مع ما سمعه قبلاً . وكان سؤاله الاول لهذا الشخص الموقر
مغفولاً ومناسباً . لان اتهام اليهود اياه بأنه قال انه المسيح ملك لم يكن بحضوره
فيظن الوالي ان يسوع يجهل قول اليهود له . فسأله " أنت ملك اليهود ؟ " ^(٢)
لا يستطيع يسوع ان يجيب نعم فقط . لئلا يأخذ الوالي هذا الجواب على
معنى سياسي بخلاف الواقع . ولا يستطيع ان يقول كلاً . لانه بالحقيقة ملك
اليهود بل ملك كل العالم بالمعنى الروحي . " هو لن يقدر ان ينكر نفسه " (٣)
فدل على علمه بقول اليهود للوالي في جوابه " أمن فأتك تقول هذا أم
آخرون قالوا لك عني ؟ " اي هل تطلب ان تعرف حقيقة امري او فقط ان
تعرف صدق الذين سلموني اليك ؟ فتنى ييلاطس انه يطلب معرفة الحقيقة
بقوله " أأعني انا يهودي ؟ " يعني لماذا أهتم ان اعرف مسيح اليهود " أمتك
ورساء الكهنة أسلموك الي ماذا فعلت ؟ " (٤)

حينئذ كمل يسوع بيلاطس بكلام سام بين فيه ماهية ملكوته الروحي .
وان برهان روحيته عدم مدافعة اتباعه عنه بالسلاح كما كانوا يفعلون لو ادعى
بملكوت بالمعنى السياسي . لكن الوالي لم يكتف بهذا التصريح الروحي المهم
عنده . فطلب جواباً واضحاً على سؤاله . ولان يسوع فسر معناه اجاب

(١) يُظن ان في افكارهم ما حدث لرعيهم حنان الذي كان سبب عزله تنفيذه في
غياب الوالي مرةً حكماً لمجلسه بالاعدام (٢) ٢٢ تي ٢: ١٣ (٣) النظام الروماني
بخلاف العبراني كان يميز الطلب من المتهم ان يذنب نفسه بالاعتراف

بالإيجاب حسب الاصطلاح الاحترامي. "انت تقول اني ملك . لهذا قد وُلدت انا . ولهذا قد اتيت الى العالم لاشهد للحق (اي الحق الديني) وكل من هو من الحق يسمع صوتي "

فاجاب بيلاطس بمزيج من الاستخفاف والاحترام وهو خارج ليقابل اليهود في الفسحة الخارجية " ما هو الحق " ؟ اي من يقدر ان يعرف الحق بين الآراء الدينية الكثيرة المتضاربة ؟ هل هو بجانب فلاسفة اليونان المتعبدين للجمال وآلهته - ام بجانب الرومان المتعبدين للقوة وآلهتها - ام بجانب اليهود المتعبدين لاله واحد هو روح لا صورة ظاهرة له - ام بجانبك انت المرفوض من امتك اليهودية التي تخالفها وتقول انك اتيت من السماء لتشهد للحق ؟ سأل " ما هو الحق " ؟ لكنه لم ينتظر الجواب . وما اكثر امثاله في كل عصر وقطر الذين يسألون سؤاله ان بالاستخفاف وان بالاحترام لكن بدون ان ينتظروا ليحصلوا على الجواب من الحق سبحانه . ولذلك لا يهتدون اليه . قال يسوع سابقاً " ان ثبتتم في كلامي * * تعرفون الحق والحق يحرركم " (١)

كلام الوالي عند خروجه آخذاً يسوع معه الى امام الجمهور كان قوياً جداً ودالاً على حديث واف لم يكتب دار بين هذا الحاكم الشرير وهذا المحكوم البار . وعلى تدقيق كاف في فحصه يسوع . لانه قال لهم " انا لست اجد فيه علة واحدة " . ان صحَّ زعم البعض ان امرأته كانت مؤمنة بالله تكون قد زرعت فيه ميلاً الى يسوع . والامر ظاهر انه كان يهاب يسوع ويحترمه عند هذا التصريح من الوالي جدّد اليهود شكايات متنوعة لم يرض يسوع ان يجيب عليها . ولما سأله الوالي لماذا لا يدافع عن نفسه لم يجبه بكلمة . لانه يعلم ان كلامه يكون عبثاً . تعجب الوالي من هذا السكوت . لكنه اظهر احترامه باعادة شهادته امام الرؤساء والجمهور ببراءة غريمهم . فشاط هؤلاء وجدّدوا الشكاية بان يسوع كان يحرك الشعب للفتنة ليس فقط في ولاية

بيلاطس بل أكثر ايضاً في وطنه في ولاية هيرودس انتيباس في مقاطعة الجليل حيث قضى يسوع معظم سنيه
فصدوا بذكر الجليل تهيج الوالي على يسوع لاجل قتله . لانه يعلم ان
أكثر الفتن السياسية كان يثيرها الجليليون . لكنهم ندموا على فعل ادى الى
بطء جديد في مشروعاتهم . لانهم جعلوا الوالي يفكر بوسيلة جديدة للتخلص من
هذه الدعوى المزعجة باحالتها الى حاكم الجليل اليهودي . نجهل اسباب
الخلاف الشديد الكائن بين هذين الجارين في الحكم . لربما نتج عن معاملة
احدهم السيئة اشخاصاً من رعايا الآخر^(١) . لكننا نعلم ان هذا الوالي ارسل يسوع
مصحوباً بالرؤساء المدعين الى ذلك الملك المقيم في القصر الملكي للعائلة
الحشمونية (او المكابية) الذي يسكنه عند حضوره الى العيد (نظير بيلاطس)
من قاعدته الى المدينة المقدسة

حسب بيلاطس ان هذه الاحالة تريحه من المسؤولية تجاه اليهود وتجاه
ضهيره ايضاً . ويكون فيه شيء من الاسترضاء حلاً للتنازع بينه وبين
هيرودس . فنجح في الغاية الثانية . لان البشير يقول صريحاً "صار بيلاطس
وهيرودس صديقين مع بعضهما في ذلك اليوم"^(٢) . لكن في غايته الاولى
ولا هم لم ينجح

لما وصل يسوع مع شاكيه الى قصر الملك فرح هذا جداً . ليس فقط
لافتخاره بتنازل الوالي له بل بالاحرى لانه منذ زمان كان يشتهي كثيراً رؤية
يسوع . (لكن بروح ومقاصد تختلف كلياً عن التي ساقط اليونان ليطلبوا
روايته قبل الآن بثلاثة ايام) . فرح بروية يسوع لانه اشهر كل افراد
رعيتيه في الجليل . ومع ذلك لم يتمكن الى الآن من مشاهدته . وفرح ليقينه
الفارغ بانه يفعل امامه عند امره من المعجزات العظيمة التي قد سمع بها كثيراً .

(١) ذكر ليسوع مرة حدث من هذا النوع لو ١٢: ١٠ (٢) اشار بطرس في
صلواته الشهيرة تحت الاضطهاد الى هذا الحادث اع ٢٥: ٤-٢٧

اما افكار يسوع بخصوص وليه السياسي المعين ملكاً فظهرت من مئة وجيزة لما قال له اليهود ان هيرودس يطلب قتله . لانه اجابهم " امضوا وقولوا لهذا الثعلب " كذا وكذا

في غير هذا الوقت لو حضر يسوع امام هيرودس لكان يفعل فعل المهدان بل اكثر كثيراً في توبيخه شديداً على شروره . ولا سيما للسبب الجديد في قتله ذلك النبي العظيم . لكنه الآن في موقف الشاة المسوقة للذبح التي لا تفتح فاهها . فيقابل هيرودس بسكوت . ألا تكون رؤية يسوع مكتوفاً امامه تذكيراً مؤلماً لهيرودس بذلك النسب لبسوع؟ وبذلك الصورة المرعبة لما ادخلوا امامه راس هذا الغيور الصالح على طبق^(١) ؟ لما سمع سابقاً بيسوع قال انه يوحنا المهدان الذي قام من القبر فماذا يظن الآن ؟

فحص هيرودس يسوع بكلام كثير لم يحفظ لنا منه شيء . لان يسوع لم يكثر له ولم يجبه بشيء . اسكت سابقاً هذا الشرير صوت الله بفم المهدان . فالآن لا يكلمه ابن الله بشيء . فاستسلم لكيد وانتقم منه اذ سمح لجنوده ان يعذبوه . قيل " فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به والبسه لباساً لامعاً وردّه (دون حكم) الى بيلاطس

لما عاد الجميع بيسوع الى بيلاطس مع جواب معتمدين ان هيرودس لم يتف له على ذنب حقيقي يستوجب قتله دعا بيلاطس الشعب مع رؤساء الكهنة والعظماء لعله يحصل من الشعب على مساعدة ضد مكائد الرؤساء . " وقال لهم قدّمتم اليّ هذا الانسان كمن يفسد الشعب . وها انا قد فحصت قدّامكم ولم اجد في هذا الانسان علّة ما تشتكون به عليه . ولا هيرودس ايضاً لاني ارسلتكم اليه . وها لا شيء يستحق الموت صنع منه "

نعماً ايها الوالي المتشبه الآن بالعدالة والمثل حكومة فاقت غيرها قديماً في هذه المزية . لكن واسفاه ان ماضيك ملطّخ باعمال مغايرة يجب سترها

لاجل وقايتك . وليس ادري بهفواتك السابقة من هؤلاء الطالبين منك اعدام شريف بري . يدك مغلولتان بسبب زلاتك الماضية وانحرافاتك في الاحكام لاغراض نفسانية . وكل هذا ما يضطرك حسب زعمك الى مجازاة هؤلاء القوم بالبطل

بيلاطس ممرن في قساوة القلب ومعود ان يأمر بالجلد المؤلم لاسباب طفيفة . فان امر بجلد يسوع لا يكون امراً ذا بال . فاقترح على اليهود ان يكتفوا بجلدك ان فعل ذلك يبري ارضاء لهم . حاول اقناعهم بذلك زاعماً انه يخدم الشفقة بتخليصه يسوع من تعذيب اليهود اياه . ويخدم العدالة بتخليص بري من الاعدام^(١) . وفي الوقت ذاته يجنب استياء اليهود منه الذي يحصل لانهالة ان اطلق يسوع دون تعذيبه . فقال لهم " انا اودبه واطلقه " . بيلاطس يودب يسوع . وذلك بعد ان برأه تماماً والامر ان ضدان . هذا بداية خطاه . فادى الى اعظم

عند ذلك تحولت افكار الجموع الى امر آخر تعودوه في مثل هذا الوقت في كل عام . وهو ان الوالي يرخص للعموم بتسمية احد المسجونين تحت الحكم بالاعدام ليطلقه لهم كهدية عيدية . فلما طالبوا بيلاطس بهذه المنحة رأى في ذلك باب فرج ليسوع . لانه يحسن لهم ان يحسبوا بان حكم الاعدام قد صدر كما يرغبون . وان يتجنبوا يسوع لاجل اطلاقه . وبهذا القصد خيرهم مراعاة لحريرتهم) بين يسوع وبين محكوم عليه بالاعدام اسمه باراباس قائد زمرة لصوص ارتكبوا فتنة وقتلاً . لا يتصور بيلاطس ان الجمهور يطلب منه اطلاق هذا وقتل المعلم الديني الماهر التقي والمفضل الصالح الذي شفى من مرضاهم عدداً لا يحصى . ويعتبر ان الجمهور ليس مدفوعاً كالرؤساء بعوامل الحسد لمفضلاً مفتناً حقيقياً على صالح شهير انهم زوراً بانه مفتن . وظن انهم يفرحون بوعده انه ان يطلق لهم المسقى ملكهم ومسيحهم . فسأل الجمهور " من

(١) اللاهوتي الشهير اوغستينوس من اصحاب هذا الراي

تريدون ان أطلق لكم باراباس ام يسوع الذي يدعى المسيح ملك اليهود ؟
والظاهر انه دخل بعد سؤاله وجلس على كرسي الولاية ليعطي فرصة للجمهور
ليختاروا ويقرروا من يختارون

اتفق عند ذلك محيي رسول من امرأته تحذره من ان يحكم على يسوع
الذي سمته "ذلك البار". لانها تأملت كثيراً في ذلك اليوم في حلم من أجله (١)
لا بد من ان يؤثر في زوجها هذا الحلم لانه كان كجميع الوثنيين تحت سلطة
الخرافات . فيزيد خوفه من ان يأخذ على نفسه مسؤولية اعدام يسوع . لكن
بينما كانت اسباب تبرئة يسوع تزيد في غرفة الوالي كان يزيد في الخارج
عكسها . لان الرؤساء بذلوا قصارى جهدهم في اقناع الجمهور ان يصروا على
قتل يسوع بداعي انه جَدَفَ باتخاذِه لنفسه صفة الاله . فجرمته اعظم من جريمة
باراباس ولا سيما لانه قاصد ان ينقض هيكلهم المعظم . فلما طلب بيلاطس جوابهم
"صرخوا جميعاً قائلين خذ هذا واطلق لنا باراباس". ولما راجعهم لعل اختيارهم
كان عن اسراع او سوء فهمية وكأنه يظهر لهم مرة اخرى ميل واليهم
لاطلاق يسوع فينتظران يؤثر ذلك فيهم ليغيروا قرارهم اصرؤا على قرارهم
الاول قائلين "أطلق لنا باراباس" (٢)

لم يكتفِ الوالي بهذا الجواب فسألهم "ماذا تريدون ان افعل بيسوع ؟"
الحاكم العسكري الروماني القاسي تحنن . لكن رؤساء الدين تقسوا . هم قواد
الشعب المدعين بانهم نواب الله . لكنهم لا يعرفون الرحمة والحق . أفلا يقوم
بيلاطس في يوم الدين ويدينهم ؟ وليس فقط انهم امسكوا الرحمة والحق عن

(١) في كتابات اوريجينس تسمى هذه الامراة كلوديا . ويروى انها اعتنقت المذهب
اليهودي سرّاً ان لم يكن علناً . والكنيسة الارثوذكسية تبني على احد التقاليد وضع اسمها في
قائمة القديسين (٢) ذكرهم بطرس فيما بعد في وعظه بتفضيلهم باراباس على يسوع
(اع ١٢: ١٥)

يسوع بل انهم منعوا الوالي عن الجري بموجب ضميره وانسانيته . وكرروا صراخهم " اصلبة اصلبة "

لكن الوالي راجعهم ثالثة املأ بتخليص يسوع برضى الجمهور . فقال " واي شر عمل هذا ؟ اني لم اجد فيه علة للموت . فانا اؤدبه واطلقه " . غير انه برضاه ان يؤدب رجلاً كرر هو تصرُّحه ببراءته قد سلم بعض الحكم والسلطة للجمهور . فتهيج طمعهم وعنادهم وتشبُّههم بان يفعل الوالي ارادتهم لا ارادته . قيل " فكانوا يلجئون باصوات عظيمة ويزدادون جداً صراخاً قائلين اصلبة " . فقويت اصواتهم واصوات رؤساء الكهنة الذين صيخوا خوفاً من سكوت الشعب ان سكتوا هم . صاروا هم والجمهور معهم كالوحوش الكاسرة لا يرتدون عن غيهم وامسى بيلاطس آله بين ايديهم

يقال " رأى انه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغب " . فسلم المحاكم حارس القانون لجنون الجمهور الطائش الذي لا قانون له . ولما اطلق باراباس بطلب الجمهور فقد حُجَّه في مساعدة يسوع . وخضع مبدئياً لطلبهم ان يُصلب . الا انه لم يسلم دون تحفظ . بل حاول التخلص تماماً من مسؤولية هذا القدر ووضعها على الرؤساء والشعب . وعلامة لذلك اخذ ماءً وغسل يديه امام الجميع قائلاً " اني بري من دم هذا البار " (١) . ماثل آدم الذي اراد احواله مسؤولية مخالفته على امرائه التي افتركت في دورها ان تحمِلها على الحية . لكن لم يتخفف قصاص احدها بهذه المحاولة

ولا فرج لهذا الوالي في كونه فعل تحت ضغط الجمهور المتهيج . ضغط الآخرين يفسر كثيراً من الزلاّت . لكنه لا يبرئ صاحبها ما لم يكن اغتصاباً بدنياً . وحيلة بيلاطس هذه لم تنفعه بشيء . لاننا نقرأ " فاجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى اولادنا " . ان كانت غباوة بيلاطس عظيمة في ظنه انه يرفع المسؤولية عنه فغباوة الشعب اعظم في ظنه انه يتحمل فوق ذنبه ذنب

(١) انظر اصطلاحاً كهذا في تث ١: ٢١ وار ٩: ٥ ومز ٦: ٢٦

الوالي ايضاً . ويرفع عنه المسؤولية . أفلا يُحكم ايضاً بالغباوة على الذين في هذا العصر يعتقدون بوجود سلطان ديني عند بعض الرؤساء يمكنهم من رفع المسؤولية او نقلها عند مخالفة التواميس الالهية ؟

الذين قالوا " دمه علينا وعلى اولادنا " اغناظوا بعد حين على بعض رسل يسوع فغيروهم بقولهم " قد ملأتم اورشليم بتعليمكم وتريدون ان تجلبوا علينا دم هذا الانسان " (١) . هل تذكروا كلام الاستخفاف هذا يوم رأوا نتيجة جنايتهم في الصليبان الكثيرة التي نصبها لهم الرومان في اورشليم عند خرابها ؟ يطلب المفكر تفسيراً معقولاً للانقلاب الذي دلّ عليه ما حدث امام يلاطس في هذا الوقت . لان الانعكاس عظيم جداً وسريع . يوم الاحد صرخت الجموع امام يسوع " اوصنا لملك اسرائيل " ويوم الجمعة يصرخون " اصلبه اصلبه " . الرؤساء باقون كما كانوا . لكن كيف هذا التغيير في الشعب ؟ يسهل التفسير على فرض جمهور المحنّفين به يوم الاحد مؤلف من الغرباء الزائرين وجمهور طالبي صليبه مؤلف من سكان اورشليم

اما اذا اعتبرنا ان التغيير حصل في ذات الاشخاص فنجد تفسيراً في ان جمهور المحنّفين ظنوا ان يسوع دخل المدينة راكباً ليقم ملكاً زمنياً يحررهم من نير الرومان . فلما انطفأت هذه الآمال بمسكه والحكم عليه بالاعدام صار رد فعل عظيم من مزيد الاعتبار الى مزيد الاحتقار . وتهيج كيدهم انتقاماً على فشل الآمال . ثم ان اندفاع الرؤساء ونجاحهم بفعلاّن لتحويل الولاء ليسوع الى نفور منه . فضلاً عن تهيج شعائهم الدينية بواسطة خبر رؤسائهم ان يسوع ارتكب افضح الذنوب ابي التجديف (٢)

في هذا الحادث نرى الديان العظيم يدان من شرّ الخطاة . والذي

(١) اع ٢٨:٥ (٢) يقول مورخهم (يوسيفوس) انه لكثرة عدد الذين صلبوا لم يبق خشب لصنع الصليبان ولا حمل لنصبها لوصّعت (٣) نرى تغييراً كهذا في وقت اقصر من هذا الوقت في تاريخ بولس الرسول في لسرة (اع ١١: ١٢-١٩)

ارسله الله لينادي بالمأسورين بالاطلاق نراه موثقاً بين ايدي اسافل
 القوم . ومعطي الحياة للعالم نراه مسوقاً للموت على الصليب
 كان لا بد لمن يُحكّم عليه بالصلب ان يُجلد أولاً جلداً قانونياً .
 في قانون اليهود كان يوقف المجلد عند تسع وثلاثين جلدة على الأكثر . لكن
 العدالة الرومانية المشهورة كانت ايضاً عديمة الاشفاق . فكان جلد المجرمين
 بلا قانون . وحياناً يتجاوز في القساوة كل الحدود المعقولة . كانوا يجلدون
 بأسواط من جلد مربوط في اطرافها قطع حديد اورصاص او عظام . فيعروون
 المجرم ويضربونه بهذه الأسواط بدون شفقة . فتتولد جروح عميقة تنحول الى
 قروح لعدم معالجتها . فكثيراً ما كان يُغشى على المضروب . والبعض يموتون
 في اثناء المجلد . هذه المعاملة هي المشار اليها بالقول البسيط "أسلمه بعد ما
 جلده ليُصلب"

يظهر ان بيلاطس لم يقطع الامل بان اليهود يكتفون بهذا القصاص
 الصارم . فيعدلون عن طلب الصلب . ولكن كأس عذاب يسوع لم يمتلئ بعد .
 لان الجنود الوثنيين الذين استلموه ليجلدوه رأوا بين ايديهم شخصاً عظيماً .
 فتحسوا اكثر لاهائته لما أعطوا السلطة عليه . سرى فيهم الروح الذي رأوه
 في الشعب اليهودي نحو يسوع . فحسبوا ان لم حقاً في أكثر من قساوة اخوته
 في المذهب . لذلك لم يرثوا لحالته بعد جلده . ولم يروا داعياً للرافة طالما
 سيُعدم حالاً بالصلب

فجعلوه العوبة بين ايديهم لاجل البسط الهزلي . سمعوا انه تلقب ملك
 اليهود فقصدوا ان يسخروا به كملك . فأخذوه الى داخل دار الولاية وجمعوا
 عليه كل الكتيبة التي قانونها خمسمئة عسكري . وعرووه والبسوه رداءً قرمزياً
 (ثوب ارجوان) وضفروا اكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه . وقصبة (اشارة
 الى قضيب الملك والصولجان) في يمينه . وكانوا يبخثون امامه استهزاءً قائلين
 "السلام يا ملك اليهود" . وهم قاصدون الاستهزاء ليس فقط يسوع بل

بشعبه اليهودي ايضا . وكانوا يخطفون من يد القصة ويلطمونه ويضربونه بها على رأسه ويصقون عليه ثم يعيدون السجود له

ما أغرب هذا المنظر . هذا الشخص الذي تسلط عليه اسافل القوم ليفعلوا به كلما شاءت قساوتهم الوحشية واخلاقم البربرية هو ذات الذي كان من لمس هذب ثوبه فقط يشفى من اصعب الامراض . وكانت كلمته تشفي السقام عن بعد في اطراف البلاد . فكيف يسمح لهم بكل ما فعلوا ؟ بطرس الرسول اشار في ما بعد الى هذه الساعة خصوصا فكتب عنه " اذ شتم لم يشتم عوضا . واذ نال لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل " (١) . وزاد بولس تفسيراً في قوله " فانكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح انه افتقر وهو غني لكي تستغنوا انتم بفقره " (٢) . اما نحن فنعلم ان لكل ما فعلوه به معنى عميق عكس ما قصدوه . فالرداء والتاج والصولجان والنداء والسجود كانت اشارة الى ملكيته الحقيقية وهم لا يدرون

اخيراً اخذه بيلاطس من بين ايديهم وخرج به متوجاً باكليل الشوك ومسرلاً بالثوب الارجواني وقدمه الى الجمع المنتظر مكرراً مرة اخرى تبرئة قائلاً " اخرجهُ اليكم لتعلموا اني لم أجده علة واحدة . هوذا الانسان . واما العالم الراقي فيقول الآن " هوذا الانسان " نفخياً واحتراماً وسجوداً . قدم بيلاطس هذا الانسان (الذي اخبر لنفسه لقب ابن الانسان) ليس لذلك الجمهور فقط بل للبشر كافة في كل الدهور وكل الاقطار . " هوذا الانسان " الذي يطلب من كل من يرى هيئته الكئيبة وصورة آلامه الفاتكة ان يقرر ما هو يقينه بخصوصه . " هوذا الانسان " . لا تكفي اكل الاوصاف البشرية لتحيط بكامله ولا تفسره ادق الفلسفة العالمية . هوذا الانسان الذي لاشي من فرط آلامه يلزمه او يناسبه او كان لاجله بل الكل لاجل البشر الخطاة .

بالعقوب الذي لا يستقصي الذي قاده الى احتمال هذا المقدار من الالهانة والعذاب^(١)

قال يلاطس هوذا الانسان وهو يوصي الى شخص قد افراط جنوده بالاستهزاء به وهو لا يزال لابساً ادلة هذا الاستهزاء . فازدادت جرأة اليهود الوثنيين لرؤيتهم الوالي مسلماً بتعذيب يسوع وتخفيفه . فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام (طرفا القوم) صرخوا مجدداً اصلبه اصلبه . فكرر يلاطس حكمه مرة اخرى ببراءته قائلاً " خذوه انتم واصلبوه لاني لست اجد فيه علة "

هذا الاختلاف بين اقوال الوالي وافعاله برهن ضعفه وجبنه . ففجر القوم من تردده وعمدوا الى الحيلة الدينية التي كتموها الى الآن . وقالوا " لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب ان يموت لانه جعل نفسه ابن الله " ^(٢) . لكن ما قصدوه للتعجيل آل للتأجيل . يلاطس قد تحقق امتياز يسوع في الصلاح والحكمة . فقلوبه عن نفسه انه ابن الله موجب عظيم للانتباه والفحص والحذر . فازداد خوفاً ورد يسوع الى داخل الدار وسأله " من اين انت ؟ "

خرافات الرومان الدينية لم تستصعب كلمة ابن الالهة . لانهم اعتقدوا ان بعض آلهتهم يظهرون ويخالطون البشر . فخشي ان يكون يسوع من هؤلاء لم يهتم لاخذ الجواب على كل ما سبق كما على هذا السؤال . يظهر ان يسوع بعد تعذيبه والاستهزاء به وهو لا يزال حاملاً شارات الاستهزاء به اراد ان يتمسك بمقامه ولا يتذلل كأن عذابه كسر ارادته واذله . فقابل سؤال الوالي المجدي الجديد بالسكوت . ما دام لا يكون في جوابه فائدة الا استرضاء الوالي فهو لا يجيب

(١) قال احد المرغنين ما اعظم الحب السني من خالق لم ينسني صار الشريف كالذي مفتقراً وهو الغني

(٢) فهم اليهود في قول يسوع انه ابن الله انه جعل نفسه معادلاً لله (يو ١٨: ٥) على هذا المعنى لبنوته لله حكموا عليه بالتجديف . وبانه يستحق الموت . فلا يمكن ان يعطي يسوع بسكوته علامة القبول . بينما هو يعني ببنيوته لله علاقة اخرى بسيطة تجوز لغيره من البشر

لكن الوالي لم يتعود على امساك الجواب عند سؤاله ولا يحتمل ذلك .
فقال له "أما تكلمني؟ أأنت تعلم ان لي سلطاناً ان اصليك وسلطاناً ان اطلقك؟"
وهم بيبلاطس ان يسوع يريد ان يطلقه وهم طبيعي . فكأنه يقول له ألم تلاحظ
كل مساعي لاجل تبرئتك؟ فلماذا تقضي عليّ بسكوتك ان لا اطلقك؟
قدم الاجوبة السديقة على هذه الشكايات لكي اكون مسنوداً في اطلاقك .
لكن يسوع لا يقبل الاطلاق ولو عرض عليه

ومن هذا الذي يدعي بالسلطان؟ هل له سلطان على القانون لئلا يخالفه او
على العدالة ليدوسها؟ هل له سلطان على نفسه ليضحك على الخوف ويقع
ضميته؟ هل له سلطان على افكار الذين هم تحت حكمه حتى اسفل القوم منهم؟
هل له سلطان على شهامة هذا الجريح الواقف امامه والمنهوك القوى الجسدية
فيزحزحه بمقدار شعرة واحدة عن استقامته وقصده؟ كان اشرف لك يا بيبلاطس
ان لا تلتفت بكلمة سلطان في ساعة الخضوع لرعاياك في البطل

يسوع رأى ان هذا الادعاء يستوجب الجواب ويطلب منه اظهار عظيمته
وسلطانه الحقيقيين . فقال له "لم يكن لك سلطان عليّ البتة لو لم تكن قد
أعطيت من فوق . لذلك الذي اسلمني اليك له خطيئة اعظم" . الذي اسلمه
الى بيبلاطس رئيس الكهنة لا يهوذا . فنفهم بكل سهولة كيف يعظم يسوع
خطيئة ذاك الرئيس اليهودي على خطيئة بيبلاطس الوثني . بيبلاطس مدفوع
من الرئيس . لكن هذا من عواطف الشريرة . كلام يسوع جعل بيبلاطس
ينهض نهوض المنازع ويقصد ان يتبع ضميره ويجدد السعي لاجل تخليصه .
فقال البشير "كان بيبلاطس يطلب ان يطلقه" . في كلام يسوع عن تحديد
سلطان بيبلاطس اشارة الى السلطة الالهية على قوات الشر . فانها لا تفعل الا
بما يحري منه تعالى

اخيراً فرغت كل حيل الرؤساء فلبأوا الى التهديد . لو كان بيبلاطس
مستقيماً لكان التهديد يزيد عزمه على اجراء العدالة والحق . لان لا شيء

ثبت الرجل الكبير المستقيم في عزمه الصالح كالتهديد بقصد اجباره على الانحراف. لكن هنا ايضا قام ماضي بيلاطس عليه وقيدة. الشكايات الصادقة التي تقدمت عليه سابقاً جعلت القيصر ان يكون مستاءً منه ومستعداً لعزله لأقل سبب. هذا معلوم عند الرؤساء ففوضوا عليه وعلى كل فكر له بالعدالة والرحمة اذ صرخوا "ان اطلقت هذا فلست محباً للقيصر. كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر". يعني ان اطلقت هذا نشكوك الى مولك الامبراطور بانك انتصرت لانسان قائم لينازع القيصر على ملكه. وانت تعلم ماذا تكون نتيجة ذلك عليك

أناخت هذه الضربة الشيطانية بيلاطس تماماً امامهم. وان كان يتظاهر بحفظ صورة السلطة المحاكمية. ويتخذ بعد المحاكمة السابقة النصف رسمية صورة قانونية في القاعة المخصصة للمحاكمات. فخرج وجلس على كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط وبالعبرائية جباناً وقال "هوذا ملككم" لكن تهماً باليهود أكثر من يسوع. ما كان أبعد يسوع في هذه الساعة عن كل ظواهر الملكية. لكن ملكوت الذين حاكموه انقرض تماماً بينما ملكوته الروحي الذي ليس من هذا العالم ينمو ويزداد ويفوز على مقاوميه

قام مجدداً صياح اليهود. "خذهُ خذهُ. اصلبه" فقال لهم بيلاطس "أأصلب ملككم؟ رؤساؤهم معودون على التدليس السياسي فصرخوا "ليس لنا ملك إلا قيصر". وعدوا ذلك حكمة سياسية تمكن نفوذهم. في قولهم هذا ختموا على النبوة بزوال قضيب الملك من يسى (اي من نسل داود شعب اليهود) متى جاء المسيح "شيلون" الذي "يكون له خضوع شعوب" (١)

لم يبق لبيلاطس من حيلة. فحينئذ أسلمه اليهم ليصلب. لما استلموه كرروا الاستهزاء به. ثم نزعوا الرداء الارجواني والبسوه ثيابه وخرجوا ومضوا به

للصلب^(١). وصف التاريخ بيلاطس بالعناد الزائد. ظهر هذا العناد في
مذابحه المكسرة في وجه رؤساء اليهود. فبعناده أثبت فوق كل ريب
براءة يسوع وظلم طالبي قتله لكنه بالرجوع عن عناده وتسليمه يسوع للصلب
اثبت قول يسوع انه يموت صليبا ويسفك دمه لاجل حياة العالم. حقا في هذه
الغربة اي غلبة اليهود على ارادة حاكم صارم روماني مثال شهير لصدق مقال
الوحي بان "غضب الانسان يجهلك. بقية الغضب تنطق بها"^(٢)



(١) قال يوحنا ان هذا كان نحو الساعة السادسة بخلاف زملائه الذين قالوا الثالثة .
يجوز ان يوحنا قصد بكلامه ان الوقت قارب الساعة السادسة اي في الضحى . لا يحسب
هذا الاختلاف مشكلا الا عند انصار الوحي الحرفي (٢) مز ١٠٧

الفصل السابع والأربعون

(مت ٢٧: ٢٧ - ٤٤ مر ١٥: ٢٠ - ٢٢ لو ٢٢: ٢٦ - ٤٢ يو ١٩: ١٦ - ٢٤)

(المرصع) ف ٤٨ و ٤٩ (الزمان) يوم الجمعة في ٧ نيسان
السنة ٣٠ م (المكان) اورشليم

اصطلاحات الصليب . تسخير سمعان لجعل الصليب . حنان النساء عليه . موقع
الصليب . تقديم الخل . كلمته الاولى على الصليب . صلبه بين لصين . عنوانه على الصليب .
اقتسام ثيابه . الاستهزاء به . اللص التائب . كلمته الثانية على الصليب

”اسلمه ييلاطس للصليب“ . هذا القول فاتحة فصل جديد في حياة
يسوع الازمية . فصل مخصص لحمله خطايا البشر ليكفر عنها . فالامة في هذا
الفصل تفوق كثيراً جداً ما سبقها من الآلام التهديدية . كان عليه سابقاً ان
يعلن احياناً سلطانه برهاناً لتفديده ذاته للصليب باختياره . اما من الآن
فصاعداً فلا حاجة ولا محل لذلك . لان المحاكمات والمعاملات الرسمية قد
انتهت . واتى وقت خضوعه التام بناءً على حلوله محل البشر المخطاة تحت
”لعنة الناموس“^(١) وقصاصه

بالنظر الى اهمية هذا الفصل نروم ان نصور ما يمكن ويجوز من مناظر
سوق يسوع الى محل الصليب . لانه بين كل مواكب الحزن المؤثرة التي ذكرها
التاريخ لا مثيل لهذا الموكب . ولا عومل بشر بعكس ما يستحقه لدرجة المعاملة

(١) غل ١٣: ٣

التي حصلت لهذا المفضل في تلك الساعات القليلة يوم صليبه
فوز الرؤساء بعد عنائهم العظيم. واهتمامهم الشديد بالتخلص من يسوع.
وشهرته المنتشرة. واحتشاد الجماهير بسبب العيد اسباباً كافية لسير الرؤساء
شخصياً مع هذا الموكب. لكن العيون لم تشخص كالعادة اليهم بل الى فريستهم.
يتفرس الجميع في هذا الجملي المهبوب الخفيف الجسم المنهوك القوى الدائم
الجراح والحامل على كتفيه المشططين بالجلد الشنيع صليبه الثقيل. ها حمل الله
المتقدم ليدبح عن البشر مجناز أزقة مدينته حاملاً المذبح الذي سيرفع عليه كما
حمل قديماً جده اسحق الى الجبل المقدس المحطوب المهيباً لحرقه ذبيحة هناك

لا يغفل المطالع النبيه عن سلسلة الاسباب التي ذهبت بقوى يسوع
الجسدية في هذا النهار حتى سقط تحت هذا الحمل فاضطر اصحاب الامر ان
يحملوا صليبه لغيره. ولا يجهل ما للآلام الروحية من التأثير على قوى
الانسان الجسدية. ويدرك ان هذه الآلام الروحية كانت اعظم بما لا يقاس
من الجسدية. ففي الساعات الثلاث الاولى من يوم الجمعة هذا مع الليل الذي
تقدمها قد حرم النوم كلياً وسبق مكتوفاً من البستان في جبل الزيتون الى
قصر رئيس الكهنة ثم دار المحكمة ثم قصر بيلاطس ثم قصر هيرودس ثم قصر
بيلاطس ثانية. والوقوف في الاستنطاقات الطويلة. والطم المكرروما تعلق
به. والجلد الذي لا تعلم متداره مع فقد الدم بسببه

ومن الآلام الروحية الساحة لنفس ذات رقة وشهامة وحب وشعور
كنفس يسوع تذكر خيبة آماله في رسله بالنظر الى مشاجرتهم في امر العظمة
وخيانة يهوذا. وسقوط بطرس. وانهمزام جميع الرسل. ثم المصارعة العجيبة في
البستان. وبعدها معاملات العنف والتحقير والتجويل والاستهزاء الوحشي.
ففي مجموع ما نعلمه من آلامه مع الذي لا يمكننا ان نتصوره سبب كاف
لرزوحه تحت الصليب. وفي آلامه كما في تجربته كان ضرورياً ان لا يسند
لاهوته ناسوته بل يحتمل كل ذلك في طبيعته البشرية المنفردة

كان المسوق الى الصليب يرافق باربعة حراس من العسكر . فلما رأوا
عجزه سُخِّرُوا رجلاً راجعاً من الحقل اصله من القيروان في شمالي افريقيا واسمه
سمعان . لم يوجد من يتبرع بهذه المساعدة في كل ذلك الجمهور . لان اعظم
ثقل الصليب في عاره المشين . فلا يتحملة احد طوعاً . لكن ما كان في حينه
عاراً قد تحوّل فخراً . واصبح سمعان القيرواني في مقدمة جيش شريف لا يحصى
من حاملي صليب يسوع ورائه^(١)

بعد هذا التبديل استأنف الجمهور سيره . وكان ما عدا يسوع وحراسه
الاربعة مجرمان مسوقان للصليب مع حراسهم الثمانية . والحراس يحملون الواحد
ثلاثة مرفوعة فوق الرؤوس يعلن كل منها اسم احد المحكومين ووطنه وجرمه
الذي يعاقب عليه^(٢) . اما اللوح الذي عليه اسم يسوع فكان ممتازاً . لان
اعلانه كُتِبَ في ثلاث لغات . العبرانية لغة الدين لانه المسيح الموعود به
ابن داود وابن الله . واليونانية لغة العلم لانه نور العالم والحق الازلي .
واللاتينية لغة السياسة لانه ملك اسرائيل وملك القديسين وملك الملوك
ورب الارباب . وصورته ” هذا هو يسوع الناصري ملك اليهود “ . اسمه
يسوع . ووطنه الناصرة . وجريته ظهوره كأنه ملك اليهود اذا ثائراً ضد
القيصر

بيلاطس تمسك الى النهاية ببراءة يسوع . لكن لما اسلمه للصليب صار
مضطراً ان يبين امام العموم جريمة تستوجب الصليب . فلم يجد ذلك الا
بالتزوير . وفي هذا التزوير انتقم من اليهود بسبب ضغطهم عليه ليفعل ظلماً .
وكتب ” ملك اليهود “ . فصار العار على اليهود الذين ملكهم يُصَلَّب .

(١) اشتهار ابني هذا الرجل (الكسندرس وروفس) في الكنيسة المسيحية بعد حين
مدعم زعم الذين يحسبونه من تلاميذ يسوع اما قبل هذا العمل او بسببه
(٢) هذا اصطلاح اعلن العدالة الرومانية وحذرها من الفدر واجتماعها في تقديم

وصارت شكواهم على يسوع اساس هذا الاعلام . فزادت مرارة هذا الانتقام .
لذلك اعترض رؤساء الكهنة طالبين ان يغير الوالي هذا العنوان حتى يكون
المصلوب ليس ملكهم بل شخص "قال انا ملك اليهود" . لكن بيلاطس اصر
على ما فعل حتى ما كتبه كذباً منه ورداءةً حُظ كعين الحقيقة . والوالي الذي
سأل استخفافاً "ما هو الحق" ؟ خدم الحق وهو لا يدري

موكب كهذا يسبب حتماً في ازقة المدينة وخارجها تجمعاً عظيماً . فبعض
النساء الكثيرات الواقفات اخذهن الحنان لما رأين هيئة يسوع المحزنة
وانحطاط قواه . فاخذن بالنوح باصوات عالية وباللطم على صدورهن .
لا يخشين اظهار المؤاساة لهذا المغضوب عليه من رؤسائهن لان اطمئنان الرؤساء
تام بانتصارهم التام فلم يباليوا بعمل النساء . فمن نساء وليس من رجال ظهر
الحنان الوحيد نحو هذا المتألم العظيم . سبتهن يسوع يوم الاحد باكياً على
بنات اورشليم وهو داخل اليها مجد . فالآن وهو خارج منها ماشياً مهاناً
ورازحاً تحت صليبه يوم الجمعة تبكي بنات اورشليم عليه ولا يقبل

لأننا نسمعه يعترض على هذه الحركة الوحيدة الحاوية اللطف والمواصلة
حال كونه لم يعترض على الكثير الذي انصب على رأسه من المعاملات المؤلمة
العدائية . هذا الامر العجيب نتيجة حبه الصفوح العجيب . لأنه ينسى في هذه
الساعة كل آلام الظلمة التي تكبدها والتي يراها قادمة عليه برضاه . ويهتم
لمصائب اعدائه التي قريباً تمهاجم اجبارياً على كيفية لم تخطر لهم على بال في
زمن اطمئنانهم الفارغ . لا يطلب بل ولا يقبل الآن تلطيف آلامه . فلما يمكن
عليه والبكاء على انفسهن أولى ؟ ألا يرى جليلاً ما لا يرينه مما سيأتي عليهن ؟
ويجعل الناس يطوبون الذين لا نسل لهم ؟ ويتمنون ان تسحقهم الجبال الشامخة
تخلصاً من عذابات تجعل الموت رحمة لانقمة بسبب شدتها ومرارتها ؟ فالتفت
اليهن وقال "يا بنات اورشليم لا تبكين علي . بل ابكين على انفسكن وعلى
اولادكن" . وسألن هذا السؤال . ما دام ظهر سماج العناية الالهية للحكم

الروماني بان يفعل كل هذا بانسان هو كالعود الرطب لان حياة الصلاح فيه
فاذا ينتظر ان يفعل هؤلاء العتاة بعد حين بصاليبه الظالمين الذين لا حياة
صالحة فيهم بل يشبهون بالعود اليابس ؟ ترى بصيرته سلفاً الصليبان الكثيرة
العدد التي سيرها بعض سامعيه وقت خراب اورشليم . والمعلقون عليها
صالبوه وعباهم

اصاب يسوع في نهيه النساء عن البكاء لاجله^(١) . لانه لا يُسكى على من
يفوز بنيل ما يريد وما يقصده . في اعين جميع المشاهدين دون استثناء كان
موقف يسوع آنئذ موقف الانكسار . هو وحده علم ما يعلمه العالم اليوم
من ان ذلك كان موقف الانتصار . فلا عجب انه اعترض على البكاء من
اجله

ربما استوقف الانظار وحير الافكار تكرار الاشارة الى ان يسوع لم
يجبر في ما فعله به اعداؤه . فمن اسباب هذا التكرار وهم انتشر كثيراً حتى
بين المسيحيين بان موت يسوع كان موت شهيد ورئيس الشهداء . لكن الشهداء
حتى اعظمهم وافضلهم كانوا يقتلون على رغم ارادتهم . ولو استسلموا للموت دون
اكرام لكان ذلك انحرافاً . وهذا حرام . لكنهم كانوا يريدون ان يعيشوا . نعم
كانوا يريدون اكثر ان يرضوا الله . فلما اضطرهم مضطهدوهم للاختيار بين
ترك الحياة وترك رضى الله كانوا يفضلون الاستشهاد على مخالفة ما يطلبه منهم
الله . ولا سلطة لهم للتخلص من بين ايدي اعدائهم الا هذه المخالفة
اما امر يسوع فغير هذا كلياً . لانه اهتم كثيراً ليوضح ويثبت سلطانه

(١) تشخص الحنان النسائي نحو هذا المتألم العظيم في قصة فيرونيكا التي هي من اشهر
القصص التي نحسبها خرافة التي تولدت في الاجيال المسماة المظلمة في تاريخ الكنيسة واضيفت
الى الاخبار الراهنة الواردة في الانجيل . قالوا ان هذه المرأة الساكنة على مر هذا الموكب
رثت ليسوع لما رأت حالته المكربة وحياهه المظنح بالعرق والدم فانه بمنديل يمسح به وجهه
وانه لما اعاده اليها وجدت صورته مطبوعة عليه . واثباتاً لهذه القصة يبرزون في احد
المتاحف الكنسية الشهيرة في اوربا منديلاً على هذا الشكل

لتخليص نفسه من ايدي اعدائه دون ارضائهم ويزيد الشرف . فعدم تغلبه على طالبي قتله لينجو من ذلك يكون بمثابة الانتحار الحرام الأعلى فرض صحة تعليم الكتاب في ان موته كان لاجل التكفير عن خطايا البشر . وبما ان خلاص البشر يتوقف على استسلامه للصلب يكون تخليصه نفسه اعظم بلية على الجنس البشري الخاطئ كافة . فالعقل ايضا يؤيد الوحي في هذا الامر . لذلك لا يكفي مطلقاً ان ينظر المطالع الى صلب يسوع كحادث تاريخي مؤثر فقط . بل كحادث تتوقف عليه حياته الروحية وسعادته الابدية . بهذا النظر كتب الرسول " مع المسيح صُلبت فاحيا لا انا بل المسيح يحيا في " (١) . وايضاً " عالمين هذا ان انساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطيئة كي لا نعود نستعبد ايضاً للخطيئة " (٢)

العالم كله يسأل ابن صُلب يسوع ؟ لان محل الصلب يُعدُّ بحق " اقدس نقطة على وجه هذه البسيطة . لكن العناية الالهية لم ترضَ بحفظه المؤكَّد (٣) . لان المحل الممهور ضمن المدينة ليس هو . لانه لا يفي بالشروط المطلوبة . منها ان يكون خارجاً عن اسوار المدينة لكن قريباً من ابوابها تسهيلاً للتجمع وارهاباً للعموم (٤) . فالبشير يقول " لان المكان الذي صُلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة " (اذا ليس ضمن المدينة) . وفي اخذه للصلب يقول البشير " وفيما هم خارجون وجدوا رجلاً " . وان يصح فيه اسم جمجمة (وفي العبرانية جلجثة بالمعنى ذاته) (٥) . وان يكون بجوار مدافن وبساتين (٦) . فان صلب المجرمين ضمن المدينة غير معقول . ولنا دليل في قول الرسول . " لذلك

(١) غل ٢: ٢٠ (٢) روم ٦: ٦ (٣) الصلب والدفن وقعا في موقع واحد . فالخطأ الذي ارتكبه التقليد القديم في تعيين المحل قد صعب الاهتداء الى المحل الحقيقي
(٤) عد ١٥: ٢٥ مت ٢٩: ٢٧ و ٣١ و ٢٢ و ٥٥ و ١١: ٢٨ و ١٥: ٢٩ و ٤٠ و ٢٦: ٢٣ و ٤٩ و عب ١٢: ١٣ و ١٩: ٢٠ (٥) مت ٢٢: ٢٧ و ١٥: ٢٢ و ٢٣: ٢٢ و ١٩: ١٧
(٦) يو ١٩: ٢٨-٤٢

يسوع ايضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب . فلنخرج اذاً اليه خارج المحلة حاملين عاره^(١) . اما اسم الجمجمة فالارجح انه مأخوذ عن هيئة المحل لكونه نافرأ كبروز الرأس عن البدن^(٢)

لما بلغ هذا الموكب محل الصليب قدّموا ليسوع استعداداً لصلبه مزيجاً مخدراً . بالنظر الى تبيج اليهود عادة العقاب بالصليب ألف نساؤهم لجأناً لاجل تخفيف آلام من يصلب من قومهم . واستشهدوا بنصيحة سليمان الحكيم^(٣) . فكانوا يمزجون مع الخمر بعض الاعشاب المخدرة ويقدمون هذا الشراب للمهينين للصليب قبل ان يبدأ بتعذيبهم . لكن يسوع يتعمد شرب كأس الآلام على مرارتها حتى ثملتها . ولا يقبل مخدرات . يرفض حتى أخف تخفيض في صفاء افكاره وامتلاك عواطفه . لان عليه في هذا الوقت ان يوجه من على الصليب كلاماً جوهرياً لسامعيه وصلوات مهمة لاييه . وهذا يقتضي حفظ القوى العقلية والروحية سالمة تماماً من الانحطاط . فلما ذاق الشراب المقدّم له وعرف ما هو أي ان يشرب

الاعدام بالصليب عادة فينيقية الاصل ادخلها اسكندر الكبير الى بلاد اليهود . لكنهم لم يمارسوها الا نادراً . حتى انه يروى ان هيرودس الكبير مع كل اجراءاته الوحشية ابي استعمالها^(٤) . اما الرومان فعاقبوا بها المخمّرين فقط كالاجانب والعبيد . ولذلك لم تراعى حشمة المصلوبين . فكانوا يعرفونهم تقريباً واحياناً تماماً . والشعوب المسيحية كافة تبعّت قسطنطين الكبير الذي ألغى هذا النوع من العقوبات

(١) عب ١٣: ١٣ (٢) قد اجمع اكثر المدققين على نقطة شمالي المدينة وعلى حدودها بقرب محل قبور الملوك وقبر ارميا النبي حيث توجد نقطة تحبل الشبية بجمجمة يتمسك البعض باعتبار اسم جمجمة مشيراً الى جماجم الذين كانوا يصلبون هناك حيناً بعد حين (٣) ام ٦: ٣١ (٤) يقول يوسيفوس ان احد الملوك المكابيين صلب مرة في اورشليم لا اقل من ثمانمئة شخص

رفيقا يسوع تحت حكم الصلب لصان . فوضع العسكر صليب يسوع بين صليبيهما . يُظن بانهما رفيقا باراباس في اللصوصية والقتل . وان صليب يسوع ومحلّه كانا معدّين لرئيسهما فحلّ يسوع محلّه . يؤخذ من بعض الكتابات القديمة ان اسم هذا الرجل الأوّل يشوع اي مخلص ومعنى باراباس ابن الآب . وان اسمه جعله يتوهم انه يتمكن من تخليص شعبه من النير الروماني . وان هذا كان اساس الجرائم التي سببت الحكم عليه بالاعدام صلباً مع رفيقيه . وان هذا ايضاً سبب انتصار الشعب له بطلب اطلاقه وصلب يسوع مكانه

يطلب من الحرس العسكري بعد الحضور الى مكان الصلب ان يربطوا المسلم لحراسهم على الصليب مسطحاً على الارض . ويمكن بواسطة مسامير كبيرة في يديه وقدميه . ثم يرفعون الصليب ويغرزونه في الارض . ولا تكون اقدام المصلوبين مرتفعة كثيراً عن الارض . ثم يجلسون بحرسونه نهراً ولبلاً الى ان يموت . لئلا يأتي احد مرديه وينزله عن الصليب . وكان المصلوب يعيش غالباً بعد صلبه يومين او اقله يوماً كاملاً . واذ كان لابد من موته كان الحراس في توحشهم يستبججون التسليّة بتعذيبه . وحذراً من تنزيله وتهريبه او تعجيلاً لموته كانوا يكسرون ساقيه بعضاً من حديد . وكان الرومان يتركون الجثة معلقة على الصليب فريسة لوحوش البرية والطيور الكاسرة . لكن اليهود كانوا يطلبون تنزيلها قبل غروب الشمس^(١) . اما ثياب المصلوب فكانت قانونياً نصيب حارسيه الاربعة

لما ابتداء العسكر بصلب يسوع كان قد مضى ثلاث ساعات من النهار في محاكمته امام المجمع اليهودي ثم الوالي الروماني ثم الملك هيرودس الادومي . ثم في السير الى محل الصلب . والعسكر المولج بهذا العمل معوّذ في اجرائه على صراخ الغضب والشتائم والالفاظ الكفرية ممن يعذبونهم بالتسمير . والمرجح ان اللصين ماثلاً غيرها في ذلك . اما يسوع فسمعوه يصلي لاجلهم

صلاة حية. لا مسوغ لنا للحكم بمن هم الذين شملهم بصلاته الا ان صورة الصلاة تطلق على الذين يجهلون ما يعملون

وهذه صلاته هي كلمة الاولى على الصليب. "يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (١). لم يطلب لهم المَعذرة او التبرئة بحجة جهلهم ما يفعلون. لانهم يطالبون بهذا الجهل الذي فتح الباب لما فعلوا. ولذلك بالفعل ايضاً. طلب لهم الغفران بحجة ان خطيئهم اخف مما كانت لو دروا تماماً من هو الذي يصلبونه. نذكر قول بولس "لو عرفوا لما صلبوا رب المجد" (٢) في صلاة يسوع "يا ابتاه اغفر لهم" لجهة جديدة لم نسمعها منه سابقاً. كان عادياً يلفظ بالغفران كمن له الحق ان يمنح ذلك. لكنه الآن يتكلم كمن يسأخهم بحقوقه عليهم كما يطلب من البشر ان يفعلوا. ويهتم بان ينصرف عنهم الغضب الالهي على ما فعلوه به. ثم لانه في هذا الوقت يعرف ذاته تحت القصاص من اجل خطايا البشر وتحت حكم الحجاب لاهوته فلا يحق او يليق ان يستعمل السلطان للغفران

لا يعلم العسكر الروماني ماذا يفعلون لانهم في ظلام العبادة الوثنية. ولا يعلم رؤساء اليهود ماذا يفعلون لانهم اغمضوا عيونهم للنور عمداً. فاتاهم العمى الطبيعي الذي يأتي كل من يحبس البصر طويلاً. ولا يعلمون ما يفعلون لانهم يفعلون ما يتيم النبوات الصريحة بخصوص مسيحيهم فيثبتون بفعلهم كون يسوع مسيحيهم بينما ينكرون ذلك بقولهم. ويعقدون انكارهم بصلبه. مثال هذا الايمان اشتراكهم بتسمير جسد على الصليب لتمام النبوة القائلة. "جماعة من الاشرار اكتنفتني. ثقبوا يدي ورجلي" (٣). وتعليقه بين لصين لتمام النبوة القائلة "جعل مع الاشرار قبره" * * * واحصي مع ائمة" (٤). الى غير ذلك مما سيأتي

ميانه

(١) قد أخفي عنا ما كنا نود ان نعرفه من نتيجة صلاة يسوع في الذين شملهم في

هذه الطلبة (٢) انظر اكو ٨: ٢٣ (٣) مز ١٦: ٢٢ (٤) لش ٩: ٥٢ و ١٢

هذا المصلوب مكلل بتاج من شوك . لان فوق رأسه عنوان " ملك اليهود " . فكل ذي بصيرة يرى نيجاناً أخرى مجيدة تزين جمال محيائه وتكمل جبينه . وفي التاج الشوكي يرى رمزها . يراه متوجاً بالحكمة السديرة الرائقة والقدرة الخيرية الشائقة والقداسة السماوية الفائقة . وكأن هذه النيجان تخطط لتولف تاجه الاعظم تاج حبه الفدائي السائد في كل كلامه وحركاته . فالعسكر الروماني في اثناء اتمامه مرام رؤساء اليهود كرروا اثبات كون هذا المصلوب هو مسيح اليهود الحقيقي المنتبأ به . لانه لما اقتسموا ثيابه لياخذ كل جندي حقه منها اُتُموا عرضاً النبوة القائلة " يقتسمون ثيابي بينهم " . ثم لما وصلوا الى القيص المنسوج بغير خياطة فبدلاً من قسمته بالشق اقترعوا عليه فاتموا كماله النبوة القائلة " على لباسي يقترعون " . وبتزع ثيابه عنه اُتُموا الكلام الاول في تلك النبوة وهو " احصي كل عظامي وهم ينظرون ويتفرسون في " (١)

تعود العالم ان يحفظ بكل دقة واحترام ما امكن من آثار عظمائه تذكراً او تبرُّكاً . وما يعاينه السائح بكثرة في المتاحف الشهيرة يشهد بذلك . لكن لاعظم عظمائه لم تسمح العناية الالهية ان يبقى أثر واحد حتى ولا خيط او شعرة مما استعمله او ما تعلق بشخصه من المواد . والسبب لذلك ليس بعيداً . لانه لو حفظ لاتخذ كثيرون من الشعب المنتهي اليه موضوعاً للعبادة لا محالة (٢) . فدرى حتى ثيابه التي صنعها له تلاميذه هدايا حبيبة نزعته عنه . واستعملها ودنسها اسافل العسكر الوثني . أليس في ذلك عبرة عظيمة يتعظ بها كل فهم ليدرك ان الماديات بزدرى بها بالنسبة الى الروحانيات . وان التطرف في توقيرها خطأ وضلال ؟

يطاطئ كل شئيم رأسه خجلاً مما كان يقينه الديني او عدم يقينه عندما يفتكر بما حدث بعد ما تعلق يسوع على الصليب . لانه بدأ دور استنزاء

(١) مز ١٧: ٢٢ و ٢٨ (٢) وما استنبطوه جيلاً بعد جيل في زمان السداجة والجهل من هذا النوع وتعبدوا له برهان كافٍ لهذا المقل

جديد لم يكن يُتَظَرُّ مثله على الإطلاق . كان يُظَنُّ دون ريب ان عذاباته
 هذا الصالح الشهير مع كل ما هو معروف عند الجميع من وفرة احسانه وسمو
 صفاته وجمال تعاليمه تجعل الجموع تقابل مشهد صليبه بالسكوت والوقار على
 الاقل . فيا لغرابة الخبر بان المجازين كانوا يحدِّفون عليه ويهزون رؤوسهم
 ويعبرونه في ساعات احضاره . وان اعلى طبقة بينهم وهم رؤساء الكهنة واساتذة
 الدين اي الكتبة وحكام القوم اي الشيوخ اشتركوا في هذه الفسادة السافلة
 بنود التعبير كانت اولاً كلامه الذي حرّفوه بخصوص نقض الهيكل
 وبنائه في ثلاثة ايام . وثانياً قوله انه ابن الله . وثالثاً انه جعل ذاته مخلص البشر
 ورابعاً انه ادّعى بانه المسيح مختار الله . وخامساً انه يدّعي بانه يتكلّ تماماً
 على الله . وسادساً لانه لما سأله بيلاطس "أأنت ملك اليهود" ؟ اجاب
 بالايجاب . حسب افكارهم السطحية كان تعليقه على الصليب دحضاً تاماً
 وتكذيباً كافياً لكل هذه البنود الستة . احتجوا بتهمك انه متى خلّص ذاته من
 الصليب يؤمنون به مخلصاً للآخرين

يعلم الآن العالم ما كان من المكر في هذا الوعد ان يؤمنوا به . ويعلم ايضاً
 السبب الشريف الضروري لعدم نزول يسوع عن الصليب حسب طلبهم .
 لان نزوله كان يلاشي كل حق له بان يؤمن الناس به . صدقوا لكن بغير
 المعنى الذي قصدوه لما عبروه انه خلّص آخرين واما نفسه فما يقدر ان يخلصها .
 لان تخليصه نفسه من الصليب وهو قادر على ذلك يوقع البشر كافة في يأس
 الهلاك الابدي . وحقاً هذا ما لا يقدر ان يفعله . لانه جاء من السماء لعكسه

لكن هذا الاستهزاء المستغرب كان من جملة اتمام النبوات التي هذه منها
 "كل الذين يرونني يستهزئون بي بفغرون الشفاء وينغضون الرأس قائلين
 انكل على الرب فلينجيه لينقذ لانه سرّ به" ^(١) . لان ليس فقط الذين ذكرناهم
 بل العسكر الروماني ايضاً واللصان انضموا الى صفوف المستهزئين . والاولون

قدّموا له خلّاً للشرب بدلاً من الخمر الذي تقدّم للملوك قائلين "ان كنت انت ملك اليهود فخلص نفسك". اما استهزاء اللصين فيعذر أكثر من غيره لان تعذيبها هي الشرف في قلبها. ولانها يفكر ان يحتمس هذا المقتدر ليخلص ذاته ان امكن فيخلصها معه. تعبير اللصين^(١) جعل كأس الالهانة ان يطفح ويؤيد صدق نبوة اخرى هي "تعبيرات معيّريك وقعت علي"^(٢). أكثر من جروح الجلد والتسمير والتاج الشوكي ألمته هذه الالهانات من الوجهة الادبية من اشخاص مشمولين بحبّة الى الموت ومن الذين لاجلهم احتمل هذا الصليب^(٣)

قال يسوع مرّة "وانا ان ارتفعت اجذب اليّ الجميع". الذين يجذبهم اليه بواسطة صليبه هم كنجوم في فلك آلامه المظلم. وحالاً ظهر الكوكب الاول احد هذين اللصين الذي اصطلح المفسرون على اعتباره معلقاً عن يمين يسوع. يُستنتج ان هيئة يسوع وحركاته وسكونه وصبره وصلاته لاجل صاليه ولا سيما احتماله بلطف تعبيرات رفيقه بجانبه فعلت فعلها الطبيعي العجيب في هذا الشرير. فامن بهذا المصلوب. وتاب عن فعله. وبدأ بخدمة هذا المخلص بما في استطاعته. لانه قاوم حالاً رفيقه ووبخه في وجه القوم المتجمعين مع رؤسائهم. وصار مدافعاً وحيداً عن يسوع بحجة عجيبة. وبذلك قام مقام رسله الخائبين. ومغزى كلامه لرفيقه هو. ان كان هذا الجمهور الذي ليس تحت الحكم بالعذاب والموت يعبر رفيقنا المصلوب أيجوز لنا نحن المحكومين المصلوبين ان نفعل فعلهم؟ قال "أولاً انت تخاف الله اذ انت تحت هذا الحكم بعينه؟ اما نحن

(١) او احدها لانه بينا يوحنا فم الذهب يتخذ كلام البشيرين متي ومرقس بحروفه ويعتبر ان الاثنين غيراه أولاً اوغستينوس يفسر الكلام بمعنى اجمالي معتبراً ان اللص عن اليمين لم يشترك مع زميله في الاستهزاء قطعياً (٢) مر ٩:٦٩ (٣) ذكر التقليد هذين اللصين باسميهما. وانها كانا في زمن طفولية يسوع على طريق مصر فلما مرّ يوسف مع مريم والطفل في هربهم الى مصر قصد اللص الواحد ان يسلمهم ما معهم ولكن رفيقه منعه

فبعدل لاننا ننال استحقاق ما فعلنا^(١). وإما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله
 ما اغرب هذا الصوت في آذان السامعين - في آذان امه الباكية والنساء
 الامينات المؤمنات برفقتها - وفي آذان التلميذ المسمى "الذي كان يسوع
 محبوبه" يوحنا ابن زبدي الرقيق الشعور . ولا سيما في آذان المستهزين . لص
 يقول للص "أولاً تخاف الله"؟ ويعترف بأنه يستحق الصلب لاجل آثامه .
 ويسمي المصلوب بجانبه رباً سوف يجيء منتصراً كملك . فدموع اسفه على ماضيه
 صارت كالعدسيات في المرقب تمكث من رؤية ما كان بعيداً عن ابصار
 الآخرين حوله اي الملكوت العتيد الذي ملكه هذا المصلوب
 نحار باي الامر ينبتج أكثر هل بانتصاره ليسوع بجرأة او بمعرفته
 صفاته حتى أدى هذه الشهادة الممتازة . حقاً يعدّ ايمانه في هذه الظروف معجزة
 روحية من الطبقة الاولى . لانه بينما لم يدرك رسل يسوع حتى في ايام شهرته
 وبعد اختبار ودرس طويلين ان له ملكوتاً روحياً ادرك ذلك هذا اللص في
 يوم انكسار يسوع وذلك المتناهي ودون ان يكون قد رأى من معجزاته ما قد
 قاد غيره الى الايمان . ففوق تأثير استنجاده العجيب في السامعين في حينه
 يضاف تأثير مثاله في التسعة عشر قرناً بعد . فكم من الالوف استفادوا
 وتشجعوا وخلصوا بواسطة ذلك المثال . وكم خاطئ قضى حياته بعيداً عن الله
 ثم قدّم اخيراً توبة حقيقية عرفها مقبولة عند الله بسبب قبول يسوع توبة هذا
 اللص . قبل حقاً ان في الكتاب حادثاً واحداً شهيراً يشجع الذي لم يتب في
 حياته السابقة ان يقدم التوبة عند مماته . لكنه حادث وحيد لئلا يطمع الخاطئ
 بسببه ويؤجل توبته الى ساعة مماته

نجاه كلام الاسنهاء سكت يسوع لكن تجاه كلام التوبة اجاب حالاً
 وسريعاً وعجيباً . قال للص "الحق اقول لك انك اليوم تكون معي في
 الفردوس". لا يعلم احد ما هو الفردوس الذي اشار اليه يسوع ولا بهم ان

نعلم . ولأفكان موضحاً لنا . انما لما كان اسم الفردوس عند اليهود عبارة عن السعادة بعد الموت نعلم ان يسوع وعد اللص بسعادة بعد موته حالاً يكون هو رفيقه فيها وفي هذا الوعد ظهر مرة أخرى سلطانه الالهي . تمت في هذه الساعة نبوة أخرى للنبي الانجيلي قال فيها عن المسيح " من تعب نفسه يرى ويشبع . وعبيدي البار بمعرفته يبرر كثيرين . وأثمهم هو يحملها " (١)

مثل اللسان الجنس البشري بأسره . فكان عن يسار المخلص المصلوب ممثل القسم الهالك من البشر لانهم يموتون في خطيتهم . وعن يمينه ممثل القسم الآخر الذي يخلص بخلص ابدى لانه يتوب ويؤمن بالخلص الوحيد . فبينما كان الكهنة يقدمون في تلك الساعة لله في هيكله الحزمة التي هي باكورة حصاد الشعير حسب الوصية (٢) قدم رئيس كهنتنا للآب في السماء باكورة حصاد الذين دعاهم موته الى الايمان والخلص . نعلم من كلام يسوع في الفرح الذي يكون في السماء بخاطي واحد يتوب ان فرحه بهذا التائب انساه عذابه . وانه عده مكافأة كافية عن كل ما تكبى في اتيانه من السماء بالنظر الى قيمة النفس الواحدة . فكلمته هذه الثانية على الصليب هي كالاولى حباً لا بنفسه بل بالآخرين وليس بالتقربين منه . بل بالبعيد عن عنه في الروح والافكار والصفات



الفصل الثامن والأربعون

(مت ٢٧: ٤٥ - ٦٦ مر ١٥: ٢٢ - ١٦: ١ لو ٢٢: ٤٤ - ٥٦)
(يو ١٩: ٢٥ - ٤٢)

(المرصع) ف ٤٩ (الزمان) يوم الجمعة في ٧ نيسان
السنة ٣٠ م. (المكان) اورشليم

كلمة يسوع الثالثة على الصليب . الظلمة . كلمته الرابعة . ماهية الكاس . كلمته الخامسة .
كلمته السادسة . ماذا أكمل . كلمته السابعة . المعجزات عند صليبه . النساء . تسليم
الروح . شهادة قائد المئة . طعن جنبيه . الانزال عن الصليب . يوسف الرامي ونيقوديموس .
الدفن . ضبط القبر . يأس التلاميذ

صوب يسوع كلمته الاولى على الصليب الى ابيه لاجل صاليه . والثانية
الى تلميذه المجديد اللص التائب . وكلمته الثالثة هي الاخيرة التي تخص بغيره
من البشر فيصوبها الى التي يجوز في نفسها السيف الذي انبأها به سمعان الشيخ
منذ ثلاث وثلاثين سنة لما اخذ على ذراعيه طفلها يسوع^(١) . لان البشير
يذكر هذه الوالدة المباركة مع الواقفين تجاه الصليب^(٢)

(١) لو ٢٥: ٢٣ (٢) عدم ذكرها على الاطلاق في اخبار اشهر بسوع الاخيرة
حتى ولا في هذا الاسبوع الاخير وحوادثه الخطيرة لا يتخلو من عبرة . ومثل ذلك عدم
ذكرها بعد هذا الذكر البسيط في ما بقي من اخبار يسوع الى نهايتها . والمذكورون معها في
هذا الوقت اخت امه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية " والتلميذ الذي كان بسوع يحبه"
(وهو راوي هذا الخبر)

منظر هذه الارملة الحزينة التي بلغ عمرها لا اقل من خمسين سنة وهي غارقة بالدموع السخينة هو منظر مؤثر جداً . وحقاً لا يمكن ان يعرف الاّ العليم سبحانه مقدار حزنها المفرط في هذه الساعة الهائلة . فانصباب يسوع على مقاصد الروحانية الفائقة وتحمل كل آلام الروحانية والجسدية لم يلهيه عن الاهتمام الحي بحاجات هذه الوالدة المقدسة حتى الجسدية منها

فنظر اليها بالحنان النبوي واوماً برأسه الى يوحنا^(١) الواقف بجانبها وقال " يا امرأة^(٢) هوذا ابنك " . ثم قال ليوحنا " هوذا امك " لعله ان هذا الرسول الامين المحب الغيور يقوم بالخدمة النبوية نحوها في كل ما يجب ويوافق على صورة افضل من اخوته واخواته . فاخاره وخصه بهذا الشرف العظيم . وفي هذا العمل نفي وهم الذين كانوا والذين لا يزالون يحسبون ان الذي يتخصص لخدمة الدين يجوز له الاستغناء من الاهتمام بحاجات انسابه الجسدية . فمن قول هذا الرسول ذاته انه من تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصته . ومن عدم ذكرها مع النساء اللواتي حضرن انزاله عن الصليب ودفنه نستدل ان يسوع قصد في هذا الكلام ان يأخذها رسوله حالاً من ذلك الموقف المكرب ليحييها من مشاهدة حوادث تسليمه الروح وانزاله عن الصليب ثم وضعه في القبر

لما انتصف النهار دخل يسوع في دور جديد فاق كل ما سبق اهمية . يوجد في النبوات عن المسيح وفي صداها في الرسائل كلام لا ينطبق على شيء مما حدث في سيرته الى الوقت الذي نحن في صدد . من هذه ما كتب في اشعياء " حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلواً . وهو مسحوق لاجل اثامنا

(١) سبق الكلام في ترجيح كونه ابن اختها (٢) هذا هو الاسم الوحيد الذي ناداه به منذ دخل على خدمته الجهارية وحتى الآن في ساعة حنوه الفائق نحوها بالنظر الى حالتها الحزنة حين كان ينتظر ان يسميها النداء " يا امي " يناديها يا امرأة كانه مضطراً ان يوضع الى النهاية انه ليس ابنها على الصورة البشرية العادية

والرب وضع عليه اثم جميعنا . وضرب من اجل اثم شعبي . اما الرب فسرَّ بان
يسحقه بالحزن وهو حمل خطيئة كثيرين^(١) . وصداهُ في الرسالة " صار لعنة من
اجلنا " ^(٢) . فادام انه سُحق لاجل آثامنا ووُضع عليه اثم جميعنا يُعقل ان كل ما
اتاهُ به بشر من التعذيب وكل ما عاناهُ من الآلام الجسدية يقصر عن التكفير
الذي تقتضيه خطيئة العالم التي اتى كحل الله لكي يرفعها . وانه لا بد من تأديبات
مؤلة الهية ايضاً وعذابات روحية

فلما ابتداءً هذا الدور الجديد السري والفائق خطورةً اظلمت الشمس
في رابعة النهار . هن التي " تبعج مثل العروس الخارج من حجته ولا شيء
يخفي من حرها " ^(٣) . نكست راسها في ساعة معظم انتصارها على عدوها
الظلام . حتى دامت سلطنته التامة ثلاث ساعات من الظهر فصاعداً
على الارض كلها^(٤) . فكان انحجاب نور الشمس الطبيعية رسولاً الهياً يعلن
انحجاب نور شمس الرضى الالهي عن الابن الوحيد الذي تبرع ان يتحمل هذا
القصاص لكي يوجد غفراناً الهياً للبشر الخطاة الذين مثلهم في ساعة موته على
الصليب . فكان الطبيعة اشتركت في حزنه العميق وليست الحداد . وكان
ملكة الانوار اخشبات خجلاً على اعظم جريمة سَطرت في تاريخ الدهور ارتكبتها
المشركون في صلب هذا البار

عند دخوله الى العالم ظهر كوكبٌ ليعلن مجيئه . وعند " خروجه " ^(٥)
انحجبت الشمس لتعلن قرب تسليمه روحه الى الموت الطبيعي . وبدلاً من النور
الباهر الذي اضاء ليلاً على سهول بيت لحم عند ولادته هبط على النهار ظلام
عم الارض كلها عند موته . والسر المكتوم الطبيعي في كيفية اظلام الشمس
يقابله السر الاعمق في كيفية حلول الغضب الالهي على الانسان الكامل الذي

(١) اش ٥٣: ٤-٦ و ١٢: ٣ غل ٣: ١٢ انظر ايضاً ٢ كو ٥: ٢١

(٢) مز ١٩: ٥٠ (٣) لانه وقت البدر يستحيل ان يكون كسوفاً طبيعياً

(٤) انظر لوقا ٢١: ٩

كان ايضاً ابن الله المحبيب المولود الوحيد
والامر الذي يزيل كل ريب في هذا التفسير لذلك الظلام هو كلمة
يسوع الرابعة التي فاه بها في آخر الساعات الثلاث . في لغته الارامية صرخ
من وسط الظلام بصوت عظيم "الهي الهي لماذا تركتني" ؟ ليس لنا ان نتجاسر
بالسؤال ولو فكراً عما جرى بينه وبين الآب في تلك الساعات التي افرزته
عن البشر جميعاً وفصلت بينه وبين الجماهير المزدحمة . لكن اهمية هذا الصوت
الكثيب ظاهرة في ان البشير مرقس مع اهاله كل اصوات يسوع الاخرى
على الصليب قد ذكر هذا الصوت

صراخه بصوت عظيم كان ليسمع عدد كافر من الناس ليعلموا جيداً
ويشهدوا انه ترك من الآب في تلك الساعة . فيعلم العالم ان ذلك كان لاجل
التكفير عن خطايا البشر . ولا سيما لان صلاته اختلفت تماماً عن كل صلاة
اخرى قدّمها ذكرت له . لم يصل كعادته "ايها الآب" او "يا اباؤه" بل
"الهي الهي" . اي انه يشعر بفواصل جديد وقتي بينه وبين الآب يمنع عنه حق
مخاطبته كاييه . وذلك افضل برهان لتغيير العلاقة في تلك الساعة بينه وبين
الآب

هذه ساعة اتمام الغاية التي ارسله الآب لاجلها . وساعة اعظم تضحية قدّمها .
وساعة اشدّ احتياجه الى رضى الآب . فلو كان موته كما يزعم البعض موت
شهيد للدين والفضيلة لكان متمتعاً دون ادني ريب بمعظم ذلك الرضى .
فلما تركه الآب في تلك الساعة ؟ وبالنظر الى مقام يسوع في الفهم والاستقامة
لا يصدق انه ينسب الى الآب تركه ويقول ذلك له في صلاته ان كان الآب
لم يتركه فعلاً . وهذا الصوت وهذا الكلام من وسط هذا الظلام هو التفسير
الوحيد المعقول للآلام في بستان جنسيمانى لما طلب ان تعبر عنه هذه الكأس
"وصار عرقه كتطرات دم نازلة على الارض" التي كان منطرحاً عليها في
نصف الليل

بسبب المشابهة بين لفظة الهي واسم النبي ايليا في اللغة الارامية استتبع بعض الواقفين هناك انه يستجد بالمذكور كعادة الناس ان يستجدوا في الضيق بالانبياء . ويظهر ان هذا الصراخ فك اغلال الظلام الفلكي . فبزوال الألم الروحي عند انقشاع نور الشمس عاد الألم الجسدي بشدة . فقال (وليس صرخ) " انا عطشان " (١) هوذا معطي ماء الحياة الذي قال للسامرية من يشرب من الماء الذي اعطيه انا فلن يعطش ابداً (٢) يقول " انا عطشان " . لان عطشه جسدي والماء الذي يعطيه هو للروح

عند هذا ركض احد الحراس وملاً اسفنجة خلاً ووضعها على قصبة وسفاه فاعترضه بعض قساة القلوب قائلين " اترك لنرى هل يأتي ايليا ليتزله ويخلصه " . اما يسوع فرضي ان يمتص هذا الشراب المتعش المسبب الذي منعه عن الشراب المخدر قبلاً . لانه قصد ان يسلم روحه بكل ما يمكن من النشاط . فعند كلمته هذه الخامسة تمت نبوة اخرى في السلسلة التي اقتطفنا منها سابقاً وهي القائلة " في عطشي يسقوني خلاً " (٣)

شرب وقال قولاً خطيراً وهو كلمة السادسة " قد اكمل " . اي اكمل أهم حوادث التاريخ البشري في كل عصوره . هو عمل الفداء الذي به تمت المصالحة بين الاله القدوس والبشر الخطاة . " لانه فيه سر ان يحل كل الملء وان يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه " ... " وانتم الذين كنتم قبلاً اجنبيين واعلاء في الفكر وفي الاعمال الشريرة قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت ليحضركم قد يسين وبلا لوم ولا شكوى امامه " (٤) . قد اكمل النظام الموسوي مع رموزه من كبيرها الى صغيرها وانتهى العهد القديم في العهد الجديد . " الاشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً " (٥) قد اكمل سير الاله المتأنس بين الناس . ومن الآن فصاعداً لم يعد يخاطب

(١) من الامور المشهورة في حوادث الصلب اشتداد ألم العطش (٢) يوحنا ٤: ١٤

(٣) مز ٦٩: ٢١ (٤) كور ١٩: ١-٢٢ (٥) ٢ كور ٥: ١٧

البشر كما كان يفعل . بل يظهر ظهورات متقطعة فقط في جسد مجيد الجديد
امام تلاميذ الاولين . ثم بعد قليل يتوارى تماماً عن ابصار العالم الى يوم مجيئه
الثاني المجيد

رأينا ان كلمة الرابعة "ايلى ايلى لما شبقني" أعلنت بصوت عظيم الانفصال
الوقتي الرهيب بين الآب . فبصراخ صوت آخر عظيم مثله يعلن الآن
للمجاهدين زوال ذلك الانفصال تماماً ورضاه التام بان يموت على الصليب .
لانه يصرخ مصلياً "يا ابتاه في يدك استودع روحي". فأتى بهذه اللفاظ
نبوة أخرى^(١) وظهر عود علاقته مع الآب بكلمته يا ابتاه . فهذه الكلمة السابعة
والاخيرة وهذه العبارة المؤثرة التي كررها عددٌ غفير من تابعيه بعدُ في
ساعات الاحتضار) ودّع ابن مريم وابن الانسان خدمته الارضية اليومية
الاعنيادية بين الناس لينزل الى هاوية الموت هنيئاً

فعندها "نكّي راسه واسلم الروح". ففي موته آية عظيمة اشار اليها قبلاً
في قوله "انا اضع نفسي عن الخراف لأخذها ايضاً . ليس احد يأخذها مني .
بل اضعها انا من ذاتي . لي سلطان ان اضعها . ولي سلطان ان آخذها ايضاً .
هذه الوصية قبلتها من ابي"^(٢) . اي انه بفعل ارادته فصل نفسه عن جسده
فقيل "اسلم الروح". لانه قد اتم عمله المطلوب . وهذا يتفق مع موته
السريع في مدة ست ساعات بعد صليبه . لانه علّق على الصليب ساعة تقديم
ذبيحة الصباح في الهيكل وأسلم روحه في ساعة تقديم ذبيحة المساء . والاختبار
علم اهل ذلك الجبل كالذين قبلهم ان مجرد الصلب لا يميت في يومه

في ساعة تسليمه نفسه ارتجفت الطبيعة لموت رب الحياة . قيل ان "الارض
تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت". وكان لتفتح القبور نتيجة عجيبة اذ
"قام كثير من اجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته
ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين". فهذه والمعجزات الأخرى التي

حدثت عند خروجه من العالم تشبه التي حدثت عند دخوله الى العالم في انه لم تشارك فيها يدٌ او يد بشرية على الاطلاق . وهذا ما يزيد كثيراً قوة شهادة هذه المعجزات لشخصه الفريد

ومن جملة مفاعيل هذه الزلزلة وما تبعها ان حجاب الهيكل انشق من وسطه الى اثنين من فوق الى اسفل ^(١) . كان هذا الحجاب في وضعه الاصلي علامة بان الرضى الالهي محبوب عن البشر حتى الكهنة منهم بسبب خطاياهم . وان السبيل اليه تعالى مغلق في وجه الجميع . الا ان رئيس الكهنة استثنى لتمثيله الرئيس الاصلي الابن الحبيب . وكان ايضاً رمزاً لطبيعة يسوع البشرية التي كانت تجب وتعلن طبيعته الالهية في الوقت الواحد . فبتمزيق جسد يسوع على الصليب انفتح للبشر باب السماء . ولذلك لاق ان يتمزق ايضاً الستار في الهيكل الذي كان يشير الى ذلك الجسد ^(٢) . وكان لشق الحجاب معنى كبير يشمل ايضاً زوال النظام الموسوي وطفوس الهيكل والكهنوت البشري والذبايح الحيوانية والرموز القديمة بناءً على اتمام الرموز اليه ^(٣) كان مع الحراس الاثني عشر ضابط برتبة قائد مئة يدير حركة صلب

(١) هذا الحجاب الذي انشق كان ستاراً عظيماً ثميلاً مطرزاً علوه عشرة اذرع يفصل قدس الاقداس الداخلي عن القدس . وكان يحجب عن ابصار البشر كافة المحل الذي فيه كان يجلس المجد الالهي المسمى عندهم الشكيناء . وفيه تابوت العهد الذي لقداسته لا تمس . وما يسهل على المطالع المخلص تصديق خبر شق حجاب الهيكل ككتابات اليهود التي تخبر بحدوث معجزة في الهيكل في نحو ٤٠ سنة قبل خرابه . اي فتح الباب الكبير فيه بدون يد بشرية وهو مقفول . ثم ان العتبة الكبيرة ايضاً انكسرت . هذه نتائج طبيعية للزلزلة التي يخبر الانجيل بمحدثاتها . ويوسفوس يقول انه انطفأ بمعجزة السراج الاوسط والاهم من السراج السبعة في المنارة الذهبية وتشيتوس المؤرخ الروماني الوثني يشير الى حادث مرعب حدث في الهيكل في اورشليم في نحو هذا الوقت . واليهود يقولون ان هذه الآيات حسبت عندهم دليلاً نبوياً على خراب اورشليم والهيكل قريباً . وقد ورد وصف الحجاب في خرابه ٢١:٢٦ لا ٢٠:١٦ و ٢٠:٢ اي ١٤:٢ وعب ٢٠:٩ (٢) عب ٢٠:١٠ (٣) اش ٧:٢٥

الثلاثة^(١). لكن لا ريب انه مع جنوده قد اطّلع على الظلم في معاينة يسوع . لذلك كان للمعجزات التي حدثت بسببه كالظلام والزلزلة تأثير عظيم بخيئه كما يخيف كل من كان مشتركاً في هذه الجريمة . ألا يخشون قصاصات الهية تسقط على رؤوسهم بسبب هذا الظلم ؟ فقال البشير صريحاً انهم خافوا جداً . لكن مع خوفهم شعروا بان يداً الهية كانت مع يسوع تبرهن انه ليس كالناس فمجدوا الله وشهدوا لصلاح يسوع . وفاق رئيسهم في شهادته لانه فاقهم في ادراكه . وقال "حقاً كان هذا الانسان ابن الله" . فصار من الكثيرين الذين قال عنهم يسوع نكراراً في وعظه انهم "سيأتون من المشرق والمغرب ويتكثرون في ملكوت السموات وابناء الملكوت يطرحون خارجاً"^(٢) والتأثير في الجمهور جعلهم ينصرفون الى محلاتهم وهم يقرعون على صدورهم عجباً وتخشعاً . فبينما رؤساء شعب الله المختار يصلبون ابنه الوحيد يؤمن به القائد الروماني الوثني

يسوع قد أسلم الروح وبعد ساعتين يبتدئ العيد العظيم . فيتيسر للرؤساء عذر لتجديد تعذيب يسوع يؤول ايضاً لراحة افكارهم . لان المراقبة الكافية في سبت العيد مستصعبة . فنراهم يطلبون من الوالي الجري حسب الاصطلاح الذي يقصد به تعجيل موت المصلوبين او منعهم عن الهرب ان أنزلوا احياء . وهو كسر سيقانهم على الصليب . ونرى الوالي يلبي طلبهم ويأمر بذلك . لانه كالرؤساء لا يتصور ان يموت احد في هذا النهار^(٣) . والرؤساء يستأنسون بان غريمهم العظيم يعامل بعد موته معاملة المجرمين السياسيين بعد صليهم . اي ان جسده يتزل ويطرح في الرجم لتفترسها الوحوش . او بالاكثَر تردم بزيد الاحنقار

(١) يسمى في التقاليد لختينوس (٢) مت ١١: ٨ (٣) روى احد السياج في السودان حيث عادة الصلب موجودة الى الآن ان المصلوبين يعيشون غالباً الى اليوم الثالث

لكن قانون خروف الفصح يمنع كلياً كسر عظم منه^(٢). واحدى النبوات عن المسيح نقول ان عظماً منه لا ينكسر^(٣). فكيف يصح هذا الرمز وكيف نتم هذه النبوة بعد امر الوالي الذي ذكر؟ الجواب في ما جرى بعد ما نفذ العسكر امر الوالي في اللصين واتوا الى يسوع فوجدوه قد مات. فاوقفتم يداً الهية عن كسر عظامه

لكن لو تركوه هكذا لنقصت براهين موته الحقيقي وهذا امر مهم. لانه بعد حين قامت شيعة انكرت عليه القيامة "الحقيقية" مدعية بانه دُفن في سبات طبيعي واستفاق في قبره. فالعناية الالهية استدركت شكوكاً كهذه وأوجدت ما ينافيها تماماً. فان نفراً من هذا العسكر دفع بفكر نجهلة طعن جنب يسوع بحرية. وفتحت هذه الطعنة جرحاً نعرفه عميقاً من قول يسوع بعد قيامته لتوما "هات يدك وضعها في جنبى" ومن هذا الجرح "خرج دم وماء"^(٤) ولاجل تحقيق هذا الامر المستغرب اضاف البشير المخبر قوله "الذي عاين شهد وشهادته حق. وهو يعلم انه يقول الحق لتؤمنوا انتم". ثم يستشهد بالنبوة القديمة "سينظرون الى الذين طعنوه"^(٥)

هذه خاتمة حوادث الصلب. ان الذي كان مجرد لمسه بحول الاجسام المصابة بالامراض الكريهة والميئة الى اجسام صحيحة قد حوّل ايضاً بلمسه صليباً كريهاً مؤلماً معيباً شعار اللعنة والتوحش الى موضوع الاكرام والاحلال - الى شعار التمدن واللفظ والحب والاشفاق والشرف والخلاص الابدى. لما كتب بولس الرسول: "واما من جهتي فحاشا لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صُلب العالم لي وانا للعالم"^(٦) كاد ان يكون منفرداً في العالم في هذا الافتخار. اما اليوم فيزداد كثيراً جيلاً بعد جيل عدد شركائه فيه

(١) خر ١٢: ٤٦ وعد ١٢: ٩ (٢) مز ٢٤: ٢٠ (٣) وضع البعض تعليلاً طيباً لهذا الحادث لا يسعنا الخوض فيه (٤) زك ١٠: ١٢ (٥) غل ١٤: ٦

قال الرسول ان "يسوع قصد ان يذوق بنعمة الله الموت لاجل كل واحد^(١). اجترع هو كأس الموت ليمتص السم الذي فيها ويسلمها سليمة للمؤمنين ليصح قوله ان الذي يؤمن به لن يموت الى الابد^(٢). فالموت الذي كان اجرة الخطيئة^(٣) تحول الى باب النعيم واخذ اسماء جديدة جميلة. وصار يسى ارتفاعاً ورقاداً ونوماً وانتقالاً وخروجاً ونجيداً. وصار كل مؤمن يهتف مع الرسول : ابن شوكتك يا موت^(٤). يسوع وحده بالنظر الى موته وكما لانه يستطيع ان يفعل هذا التحويل بالموت عدو البشر. وقد جعل لسان حال المؤمن "لي اشتهاء ان انطلق واصكون مع المسيح ذاك افضل جداً"^(٥) دبرت العناية ايضاً ان يكون لمشير (اي عضو في المجلس الاعلى اسمه يوسف) بستان بقرب الجنة وقد نحت في احد صخوره قبراً جديداً استعداداً لدفنه. هذا الرجل كان من بلد تسمى الرامة. فاما انه كان مستوطناً في اورشليم. اولئك تمسكه نظير غيره من اليهود ان يدفن في المدينة المقدسة اقتنى هذا البستان ونحت هذا القبر. فهنا الغني "الشريف الصالح البار" كان من امثال سمعان الشيخ وحنة النبية في انه "كان ينتظر ملكوت الله" فتعرف على يسوع وتبعه لكن سراً. لانه لم يكن جريئاً فخشي المحرم الكبير المعلمن على كل من يتبع يسوع او ينتصر له. واستصعب العزل من وظيفته واحتمال العار والاضطهاد. الا انه لم يرتد بالرياء. ولا وافق زملاءه في المجلس في حكمهم على يسوع. فاما انه لم يلب الدعوة الى ذلك الاجتماع الشرير في صباح هذا اليوم المشؤوم. او انه حضر وعارض القرار الذي اتفقوا عليه دون ان يظهر ايمانه بيسوع. بالنظر الى مقامه وغناه كان معروفاً ومكرماً عند الوالي. فلما عرف بموت يسوع ورأى تشتت تلاميذه وخشي اهانة جسده تحمس "وتجاسر ودخل وتقدم الى بيلاطس وطلب ان يأخذ جسد يسوع"

(١) عب ٩:٢ (٢) يو ١١:٢٦ (٣) رو ٦:٢٢ (٤) ١ كو ١٥:٥٦

(٥) في ٢٢:١

مع انه لم يتبع يسوع ظاهراً ايام انتصاره فعل ذلك يوم انكساره . فاثبت شرفه الحقيقي وصدق ايمانه . هان على بيلاطس ان يلي هذا الطلب لكون مقدمه عضواً في المجلس الذي حكم على يسوع . ومع انه كان يرثي في احكامه "وهب" الجسد ليوسف^(١) . لكن هذا الوالي المدقق تحقق اولاً موت يسوع خشية هياج الرؤساء والشعب عليه ان تعطل قصدهم ان يمتوه . ويدقق اكثر لظنه ان الوقت غير كاف ليكون يسوع قد مات . فاستدعى قائد المئة الذي توج امر الصليب . ولما تأكد منه موت يسوع اصدر الامر للحرس العسكري بالسماح ليوسف ان يأخذ الجسد

يظهر ان يوحنا لازم الصليب ليعرف ماذا يصير فحضوره هناك جاء يوسف بما اشتراه من الكتان النقي الثمين لاجل التكفين . وجاء معه محب آخر يماثله في انه مشير غني شريف وتلميذ خفي ليسوع . هذا نيقوديموس الذي اتاه ليلاً في اورشليم قبل هذا الوقت بثلاث سنين وكلمة يسوع عن الولادة الثانية من فوق^(٢) . اتي الآن حاملاً مزيج من عود للتخطيط نحو مئة من اي ما يقارب خمسة عشر رطلاً من الاطياب الثمينة . وهو ما يكفي لتخطيط جثة ملك . لا يكون محي شخصين كهذين دون خدم او مساعدين في العمل الشاق الذي يقصدانه . ولا شك ان يوحنا انضم اليهما في العمل

مات يسوع كجرم حسب النبوة لكنه دُفن باكرام كملك بواسطة غيره هذين الشهيدين . فصحت النبوة الاخرى انه "جعل مع غني عند موته"^(٣) . بالنظر الى غني يوسف لا بد ان يكون قبره "مغارة كبيرة" في جانبها الناورس المعد لوضع الجسد . فيكونون قد اخذوا الجسد عن الصليب واثموا الرسوم

(١) ينصرف الفكر الى انساب يسوع وتلاميذه وذعرهم بسبب ما يتوقعونه من اهانة الجسد الكريم بعد موته كما سبقت الإشارة . ثم الى الانفراج العظيم الذي اتاهم بسبب تداخل يوسف الراعي في الامر (٢) يو: ٢: ٢٠ (٣) اش ٥٣: ٩ ذكر الاطياب يرجع بالفكر الى القول في مز ٨: ٢٥

الثلاثة من غسل وتحنيط وتكفين داخل المغارة . والنساء الامينات لبثن واقفات في جوار المحل ينظرن الى بعض ما حدث ولربما بدون ان يرين عمل التحنيط^(١)

وقت الاحفاء به في اول الاسبوع دخل اورشليم على جحش لم بركبة احد قط . وعند دفنه في آخر الاسبوع نام في قبر جديد لم يدفن فيه احد قط . وجذب اليه جديداً هذا المرفوع على الصليب في هذا اليوم الواحد اللص القائب وقائد المئة ويوسف ونيقوديموس رئيس اليهود . ففي كل آن من ينظر بعين الايمان الى المسيح المصلوب يماثلهم في طرح الخوف والاستحياء جانباً ولا انتصار والخدمة علناً لمخلص نفوسهم . لم يخطر على بال يوسف ورفقائه كم كانت اهمية الحجر الكبير الذي دحرجوه وسدوا به باب المغارة قبل ان يبرحوا المحل احتراماً للسبت الذي كان يزعمهم^(٢)

ولم يكونوا هم وحدهم الشهود لحقيقة دفن يسوع وموضعه . لان النساء اقتربن وتحققن الدفن ومحنة وكيفيته . خصّ منهنّ بالذكر مريم المجدلية ومريم امرأة كلوبا . وهنّ اماً جهلن الاطياب التي وضعها نيقوديموس بمزيد السخاء على الجسد المحبوب او انهنّ لم يكتفين بذلك اذ لاحصة هنّ فيها . لذلك بعدما استرحن يوم السبت حسب الوصية اعددن خنوطاً واطياباً لتجديد اكرام الجسد وتكميل التحنيط الذي صار بعجلة عند دفنه

لابأس من تحويل النظر قليلاً من المحبين الى المبغضين . نرى ان الفروض المطلوبة من هؤلاء الرؤساء في ذلك السبت كثيرة ومدققة . ولا يستطيعون ان يهملوا منها حرفاً واحداً . ونحسب ان الذين يرونهم في

(١) يرجح ان هؤلاء الرجال الثلاثة المحبين تحملوا نتيجة لمس الجثة اي النجاسة الطقسية فحرموا بعض فوائد الفصح الداخل عليهم (٢) من جملة ادلة صدق اخبار البشيرين سكوتهم التام عن ذكر يوسف الراعي ونيقوديموس بعد هذا الحادث . فلو كانت رواياتهم ملفقة كان لابد من كلام آخر عن هذين الشخصين الميّنين بعد عملها الجليل

الهيكل في صباح هذا السبت في الاحتفالات المبهجة متحلين بملابسهم الرسمية الفاخرة يلاحظون ان حركتهم في خدمة الهيكل جدية واصواتهم رنانة فوق العادة. وهيئتهم هيئة المنتصر المنتهج. فيتبادلون التهاني على نجاحهم في رفع هذه العثرة الكبيرة التي كانت تتصدى لهم في سبيل استعباد الشعب ونيلهم العظمة العالمية. عمام الروحي^(١) منعهم عن فهم قصد الله في شق حجاب الهيكل امام عيونهم. والّا كانوا ادركوا بطلان كل ذبايحهم وطقوسهم في ذلك النهار. لان الذبيحة الحقيقية الاصلية الدائمة التي تقدمت في اليوم السابق على الصليب قد ألغت كل ذبيحة سواها

يحسبون انهم افلحوا تماماً في المهمة التي شغلهم كثيراً في هذه السنين الاخيرة واستراحوا نهائياً من يسوع. لكن هل استراحوا حقاً كما يزعمون؟ وهل تسكت ضائرتهم عن تعذيبهم لسفكهم دمًا بريئاً مخالفين اقوال الله لاسلافهم^(٢)؟ كان ما شاهدوه وسمعوه من قرائن الصليب قد شوش افكارهم لئلا يكون لكلام يسوع انه يقوم في اليوم الثالث صحة. فقصدوا ان لا يتركوا واسطة تمنع قيامته. لذلك لما انتهت الاحتفالات الفصحية دار الخبر بينهم ان رئيس الكهنة قد دعا الذين ارادهم من المتنفذين ليرافقوه الى دار الولاية لتصوّر هذه الهيئة المولفة من عظماء اليهود ودخولهم دار الوالي لاجل مقابلة رسمية. وتصوّر ارتياب الوالي في ما هو الغرض فوق المعتاد الذي ساقهم اليه في سبتهم العظيم. ثم تصوّر ايضاً جلوسهم امامه وابتداء زعيمهم بالقول "يا سيد قد تذكرنا ان ذلك المصلّ قال وهو حيّ اني بعد ثلاثة ايام اقوم. فمر بضبط القبر الى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذك ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب انه قام من الاموات. فتكون الضلالة الاخيرة اشر من الاولى" لا يجناح بيلاطس ان يسألهم من الذي يسمونه "ذلك المصلّ". لانه تأثر من اصرارهم في النهار السابق على صلب يسوع. وقد لاحظ ان الدافع الى

ذلك كان الحسد . وبما أنه لا يهتم لمسائل اليهود الداخلية وقد تكدر منهم لاجل ما سبق ذكره اجابهم باستخفاف "عندكم حراس . اذهبوا واضبطوه كما تعلمون" (١) . "فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر" . ويرجح انهم افهموا الحراس بان علمهم الخصوصي الذي وضعوه هناك لاجله هو ان يقتلوا يسوع حالاً فيما اذا قام كما قال . وان حجتهم للوالي بخصوص سرقة الجسد لم تكن الأحيلة لاجل اقناعه . لكن النتيجة كانت ان هذا العمل العدائي آل الى خير عظيم بعد فشل فاعليه التام في ما قصدوه

في يوم الجمعة الذي سبق من اوله في الليل الى آخره عند الغروب يذكر الانجيل بالاسم قليلين فقط من تابعي يسوع . فمن رسله بطرس والاسخريوطي ويوحنا . ومن المؤمنين به سراً يوسف ونيقوديموس وربما سمعان الفيرواني . ومن النساء امه واختها ومريم المجدلية وسالومة . الا أنه يقول ايضاً "كان جميع معارفه واقفين من بعيد ينظرون ذلك (اي صليبه) ونساء كثيرات كن قد تبعنه من الجليل"

ظاهر الخبر ان هؤلاء بوجه الاجمال ما عدا يوحنا ومريم المجدلية ومريم الاخرى انصرفوا عند ما حتموا ان سيدهم قد اسلم الروح . لكن لما دخل السبت وكان دفن الجسد العزيز قد تم انصرف هؤلاء الثلاثة ايضاً . فينبادر الى الذهن تشخيص احوال تابعي يسوع عموماً في ذلك السبت المظلم . نعرف لهم بالامانة في حفظ وصية السبت العظيمة مع ما في ذلك من حرمانهم تقديم الخدمة الحية والاكرام لرفات رئيسهم وسيدهم . وفي الوقت ذاته نقدر لهم مقدار اليأس الذي غرقوا فيه بعد دفن آمالهم وامانيهم في القبر المقدس . قد رأوا فوز اعدائهم بسندهم الوحيد . فكيف يتقنون هم بدون سند شر هؤلاء الفائزين ؟ وهل يسلمون مع ضعفهم من الذين لم يسلم منهم ذاك الذي عرفوه رباً وابن الله المقتدر ؟ اذا خطف الذئب الراعي ذاته فاي رجاء يبقى للقطيع ؟

(١) مت ٢٤: ٢٧ كان تحت امر الرؤساء فرقة من العساكر الرومانية

قد أدركهم اليوم الأسود الذي أشار إليه لما حاوره اليهود في اهل تلاميذ الصوم اذ قال "سيؤخذ العريس عنهم فحينئذ يصومون" (١). ولما أنبأهم في خطابه الأخير بأنهم سيكون وينوحون والعالم يفرح (٢). ولربما كان هذا اليأس وهذا الخوف عاملان مع حفظ السبت في تأخيرهم عن زيارة القبر في بستان يوسف الراي. ولا بد من ان أضيف الى هذه العوامل يأس آخر وأده سقوطهم المعيب في الجبن والهرب والانكار والاختباء على رغم تحذير سيدهم من ذلك مراراً. فقامت عليهم ضائرتهم تزيد بأسهم. وبسبب اليأس والخوف فقدوا البصر الروحي. ولا فائهم كانوا تذكروا ان معلمهم لم ينبئهم بموته القادم مرة إلا أنبأهم بأنه يقوم أيضاً في اليوم الثالث. فلما تم على صورة عجيبة ما قاله لهم عن كيفية موته مفصلاً لما ذالم يستبشروا ويتوقعوا تلك القيامة أيضاً (٣).

ثم انه ليس في سبيلهم نور بالنظر الى المستقبل وافتكارهم بمصيرهم ومصير التعليم الذي تلقوه من يسوع وقبلوه بدلاً من القديم الذي كانوا عليه. لان ليس في ذلك التعليم ما يرغب الناس في الانضمام اليهم والاضغاء الى كلامهم. في زمان معظم شهرة يسوع ومعجزاته الخيرية نفر العموم من تعاليمه. فهل يمكن ان يقبلوها من تابعيه الضعفاء القاصرين بعد كل ما جرى لسيدهم عند صليبه كعجزهم؟ وكيف يمكنهم ان يحبوا ديناً جديداً لا يعد تابعيه في الحياة الحاضرة إلا بالخسارة والاضطهاد. ولا يقبل منهم إلا حمل الصليب وانكار الذات - ديناً يقاوم كل الملذات البشرية التي يمكن الاعتراض عليها من الوجه الادبي

(١) مت ١٥:٩ (٢) يو ١٦:٢٠ (٣) روي ان يهوديين من اهل العلم والتفوى تمسوا بين انقاض المدينة المقدسة بعد خرابها. فندب احدها هذا الخراب الخزن بينما كان رفيقه يضحك. فلما ونج الاول الثاني على ذلك اجابه "اني اضحك لافتكاري بالمستقبل الجيد الموعود به في ذات النبوءات التي اعلنت هذا الخراب. لانني من روئي اقام النبوءات بالخراب اتقن بان النبوة بالمجد الذي سيعتب هذا الخراب لا بد ان تتم ايضاً"

— ديناً ضيقاً صارماً يصادر اقوى الاميال الطبيعية في الانسان . لا بد من ان هبوط آمالهم في الحاضر كان على قياس سمو ارتفاعها في الماضي . ولا يستبعد لو وجد بينهم من ندموا على اغاظة رؤسائهم ومخالفة مشورة اهلهم وترك اوطانهم واشغالهم ليتبعوا الناصري . ومن صدق بعض التصديق رأي الذين سموه " ذلك المصل "

يقف المفكر المخلص اليوم تجاه ذلك القبر المخبون ويعلم انه يطلب منه ان يرجح بين قيامة هذا الدفين او بقاءه في القبر ليرى فساداً نظير جميع الذين ماتوا قبله وبعده . وهذا المفكر يدري ان ليس من نبي حينئذٍ تستخدمه القوة الالهية لاجل قيامته كما جرى في سائر القيامات التي ورد خبرها في الكتاب . فان قام عليه ان يقوم دون واسطة بشرية . قال عند قبر لعازر " انا هو القيامة والحياة " (١) واكد لليهود ان له سلطان ان يضع نفسه وان يأخذها ايضاً (٢) . وان لبث في قبره يكون قد صدق الذين صلبوه لما عيروا بانه لا يصلح مخلصاً للعالم ما دام عاجزاً عن تخلص نفسه بتزوله عن الصليب . اخنوخ وايليا انتقلا من الدنيا دون ان يريا فساداً . لكن ليس بعد الخضوع لسلطان الموت كيسوع . وكل من مات ثم قام عاد يوماً الى الموت والفساد كالثلاثة المذكورين في العهد القديم والثلاثة في زمان يسوع . فكيف ينتهي امر يسوع ؟



الفصل التاسع والاربعون

(مت ٢٨: ١-١٨ مر ١٦: ٨-١٢ لو ٢٤: ١-١٢ يو ٢٠: ١-١٠)

(المرصع) ف ٤٩ (الزمان) الاحد في ٩ نيسان السنة ٢٠ م
(المكان) اورشليم

تفرّد يسوع العجيب . المفاصلة بين معجزة ولادته ومعجزة قيامته . مقاصد كتبة الانجيل .
قوانين التفسير . موته الحقيقي . استعداد النساء . قيامته والمعجزات المرافقة لها . ابلاغ
المجدلية بطرس ويوحنا قيامة المسيح . ظهور الملائكة للنساء

قبل البحث في حوادث قيامة يسوع في اليوم الثالث حسب وعده
نحتاج الى النظر في مقام قضية القيامة لكي نغير هذا البحث الاهتمام الذي يستحقه
بعد الاخبار عن تفرّد يسوع العجيب عن غيره من البشر في ولادته
انت الاخبار عن تفرّده ايضاً في سيرته . ثم تلتمها في الفصل السابق الاخبار
عن تفرّده في ماته . لانه أقدم عمداً على موت الصليب . واقترب بموته
غرائب في الطبيعة نظير الحداد الذي لبسه الكون لما اظلمت الشمس ثلاث
ساعات في رائعة النهار . وتزريق الطبيعة اثوابها حزناً عند زعزعة المسكونة في
الزلزلة التي شنت حجاب الهيكل المقدس وشققت اكباد الصخور الصماء .
واشتراك الهاوية السفلى في المناحة والبكاء اذ ذرفت بدلاً من الدموع اجسام
موتاهما لما تفتحت القبور

ولكن لا ينبغي ثمر هذا التفرد العجيب ما لم يُرى بعد مائة أيضاً . لأنه لو انطفأت حياته الأرضية بموته مثل غيره من البشر يُحرم حتى من مقام الصالحين من انبياء ومصلحين ومعلمين . لأنه كرّر الإنبياء بأنه يقوم من قبره في اليوم الثالث . فان لم يصدق في هذا يمتسي كثير من كلامه ضلالاً وتضليلاً . لان الكتاب لا يبيّن على معجزة ولادته من عذراء صحة التعليم المسيحي او تحقيق المغفرة والخلاص . لانها في طبيعتها صعبة الاثبات بل اصعب المعجزات في براهينها . لكن على معجزة قيامته يتوقف الخلاص تماماً . ولذلك فاثباتها اسهل وبراهينها اكثر من كل معجزة سواها

الذين ينكرون حقيقة قيامته والذين يشكّون فيها يتشبهون بالاختلافات الظاهرة بين البشيرين في رواياتهم عن حوادث القيامة . وهذه الاعتراضات ابتدأت في القرن الثاني بعد المسيح^(١) . غير ان المعارضين يختلفون في انتقادهم على اختلاف البشيرين . وقد أنب يسوع معترضي عصره على مخالفتهم الواحد الآخر . وقد سبق الكلام في اول هذا الكتاب عن الاختلاف الذي ينفي التواطؤ والاتفاق الذي ينفي الاختلاف

وبما ان اخبار يسوع ليست مرتبة على نسق تاريخي تماماً عني البشيرون في تحقيق صحة التعليم المسيحي والتمسوا الاختصار في رواياتهم فاورد كل منهم ما رآه ضرورياً وكافياً لاثبات التعليم الجوهري وأهل ما بقي من الخبر الصادق . واكتفى ببعض ما اورده غيره دون تكراره . وكرّر ما حسبته يستلزم التكرار للاثبات . وقيامه يسوع من ذلك القليل الذي اعثنى الاربعة البشراء بتدوينه من بين كل حوادث حياة يسوع الأرضية

وامعان النظر يبيّن ان الاختلافات في الروايات الاربعة سطحية فقط . لان

(١) قال احد المفسرين ان في تاريخ قيامة يسوع اختلافاً حسب الظاهر اكثر مما في اي جزء آخر من تاريخه . وهذا ينتظر حدوثه اذا اعتبرنا غرابة هذه الواقعة على حين غفلة (الاتفاق ٦١٨)

المعلوم أن " ما لا يذكر كله لا يهمل جأه ". فلما هذا القول في الاختلافات .
 اذا حضر ملاكان او اكثر وتكلم احدثهم فذكر بشير حضور الجميع وبشير
 آخر حضور المتكلم فقط . او اذا ظهرت الملائكة ضمن القبر وظهرت ايضاً
 خارج القبر فذكر بشير الظهور الاول فقط وبشير آخر الظهور الثاني فقط .
 او اذا ظهرت الملائكة واقفة ثم ظهرت جالسة واخبر بشير عن الظهور الاول
 وبشير آخر عن الظهور الثاني . او اذا قال ملاك قولين وذكر بشير قولاً
 واحداً وبشير آخر القول الآخر . او اذا ظهر يسوع لامرأة واحدة وحدها
 ثم ظهر ايضاً لعدد من النساء ومرة أخرى لاثنتين منهن . او اذا ظهر تكراراً
 لاحداهن مرة مع رفيقاتها ومرة أخرى وحدها . وذكر كل بشير حادثة
 من هذه دون الاخرى فقد يحصل اختلاف في الرواية . ولكن هذا الاختلاف
 لا يعد تناقضاً يحط في صحة تلك الاخبار المخلفة

وزد على ذلك ان انتقال الملائكة من حال الى حال ومن مكان الى
 آخر لا يقتضي له وقت كما مع البشر ولا يكون غالباً تحت مراقبة الناس . وان
 الاختلاف المشار اليه يخف كثيراً ان اتبعنا اللغة الاصلية اليونانية واللغات
 الغربية المترجمة عنها في عدم وجود المثني واستعمال الجمع بدلاً منه . فالترجمة
 العربية نقول ركضنا بينما يقال في اليونانية ركض اذ يجوز ان يكون اكثر
 من اثنين (١)

(١) لنا في التاريخ شاهد شهير للاختلاف الذي ينشأ عن عظم تأثير المخبرين
 الصادقين في ايراد الخبر الواحد . ولا يخفى انه ليس من واقعة حرية ذكرت في التاريخ
 اشهر من حرب وترو التي فيها كسر الانكليز وحلفاؤهم شوكة نابليون وبونايرت الفرنسيين
 الذي كاد يومئذ ان يستولي على العالم بأسره . فلما أسر نابليون واحضره القائد المنتصر
 ولنتون امام ملكه هنري الرابع (الذي انسحب من ساحة القتال جريحاً) سأل الملك
 عن ساعة اشتباك القتال بين الجيشين ليعلم مدة دوام المعركة . فقال نابليون " عند الظهر "
 وقال ولنتون " قبل الظهر بساعتين " وقال رفيقه الجنرال الفا " قبل الظهر بساعة " .
 فمثل خطر قط على بال امر المنتقدين ان ينكر وقوع المعركة بسبب هذا الاختلاف في

ثم ان من الامور الجوهرية في المذهب المسيحي حضور يسوع الشخصي الدائم مع تابعيه . فهو طبعاً لا يكون حاضراً كما وعد العالم ما لم يكن قد خرج حياً من قبره وما لم يكن اعظم من بشر او ملاك . قال الرسول الفيلسوف بولس " ان لم يكن المسيح قد قام فباطل ايمانكم " (١) . فعلى قيامة يسوع اذاً بموقف جوهر الديانة المسيحية

ان موتة الحقيقي قبل دفنه ثبت اكيذاً لدى خصومه الذين ختموا قبره . وثبت لدى انصاره الذين كان موتة اصعب امر عليهم . وكانوا يتمنون لو امكنهم ان ينكروا ذلك قائلين ان سيدهم لم يمت - ثبت موتة عندهم لدرجة جعلتهم لا يصدقون قيامته حتى بعد شهادات مكررة . لا بل حتى بعد ما وقف هو في وسطهم فظنوه خيالاً . واخبار البشيرين المتعلقة بالقيامة خالية من التخيلات التي تحاول الاخبار عما جرى لروحه مدة بقاء جسده في القبر او تخصص بكيفية التغير الذي حصل للجسد بين موتة وقيامته او بكيفية عود جسده الى الحياة وخروجه من القبر . فلو كان خبر القيامة ملفقاً او وهمياً لما اقتصر على الامور الواقعة تحت امتحان قوة الحواس الصادقة . لان البشيرين لم يذكروا شيئاً الاً ما عاينوه او سمعوه شهود صادقون . فمن الملاحظات المهمة ان يسوع لم يخبر شيئاً عن موتة وقيامته وكيفيةها بعد حدوثها . وان كل ما قيل فيها هو خبر الآخرين

كان غروب شمس السبت بداية اليوم الثالث بعد موتة فعند الليل كلة من اليوم الثالث حسب الاصطلاح القديم (٢) . اما القيامة فكانت قبيل نهاية هذا الليل وبدون رؤية احد من البشر . لانه لا يوجد من يستحق ان يعاين التغير المجيد الذي حصل لجسد يسوع المقدس

الرواية ؟ فكيف يحاول البعض افساد حقيقة قيامة يسوع لوجود اختلافات كهذه في اخبار البشيرين (١) اكو ١٥: ١٧ (٢) اصم ٣٠: ١٢ و ١٢ واي ١٠: ٤١ و ١٢ ومث ١٢: ٤٠ و ٢٧: ٦٤ و يو ٢: ١٩

وخرج جسده من اكفائه دون رفعها فبقيت ملتفة في مكانها كما كانت وهي محيطة بجسده. حتى انه ذكر صريحاً ان المنديل الذي كان على رأسه وُجد ملفوفاً (لم يقل مطوياً). وتحرّر جسده من القيود الطبيعية فصار يظهر بغتة دون ان يرى له قدوم او ان تعيقه الحواجز الطبيعية. لذلك حقّ لنا القول انه خرج من القبر دون فتحه

وكسر كيفية قيامته سر وجود روحه وعلمها مدة اقامة جسده في القبر. يظن البعض ان هذا السر فُسر في قول بطرس في رسالته عن كرازة يسوع "للارواح التي في السجن" (١). لكن هذه الآية غامضة لا يعول عليها في تأييد هذا التفسير

اتفق النساء الامينات ان يأتين بالحنوط الذي اعددته مساء الجمعة ويحتمن باكراً صباح الاحد عند القبر لتجديد التحنيط باتقان (٢). وكان هذا لظنهن ان يسوع باق في قبره. فاهتم بهن مجلس السماء بناءً على امانتهن وغيرتهن في اصعب الاحوال. فلم يكذبتهن هذا الاجتماع عند شق فجر اليوم الاول اي الاحد الاسبقتهم الى القبر الخادمة الملاكية

كن قد شاهدن في ساعة الدفن الحجر الكبير الذي أغلق به القبر فتحيّرن بكيفية دحرجته ليمكّن من الوصول الى الجسد. "لانه كان عظيمًا جدًا". لكنهن جهلن صعوبة أعظم جداً وهي فعل الرؤساء بعد مبارحتهن القبر. ولا ريب انه لو اقدرن اليه بوجود الحراس لاعتبروهن آليات لسرقة الجسد وعاملوهن بحسب النظام أقسى معاملة. ولو سُحّ هنّ بالاقتراب ماذا يصنعن بنجم الحكومة على الحجر؟ لكن بما ان الصعوبة التي يعلن بها لم تنهين عن الواجب الحبي ازال الله من امامهنّ ليس تلك فقط بل ايضاً ما هو اعظم منها كثيراً مما يجهلنه. وهذه اخفيت عنهنّ رحمة بهنّ لئلا تمنعن عن

(١) ابط ١٩:٢ (٢) ذكر يوحنا مريم المجدالية فقط. وذكر متى معها مريم ام

يعقوب (الصغير) وذكر مرقس معها سالومة وزاد لوقا يونا والباقيات

تأدية خدمتهن الشريفة . أو ليس أكثر ما تخفيه عنا العناية الالهية (اذا لم نقل كله) قد أخفي رافة بنا ؟

فأرسل ملاك ليفعل ما لا تستطيع النساء حتى ولو اجتمع معهن كل تلاميذ يسوع . ونزل ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه . وحدث عند نزوله زلزلة عظيمة . فمن مع دحرجة الحجر وهيئة الملاك الذي كان منظره كالبرق ولباسه ابيض كالثلج أرعبت الحراس فارتعدوا وهربوا مذعورين . كأن الارض التي ارتجفت خوفاً عند مفارقة روح يسوع جسده مساء الجمعة اهتزت طرباً صائح الاحد عند رجوع الروح الى مسكنها المجد . وكانت هيئة الملاك البراقة ابتهاجاً بالقيامة المجدية عكس اظلام الشمس في ساعات الصليب

قد سبق البيان ان يسوع لم يفتقر الى ازاحة حجر القبر لكي يخرج من بابه ولا يفتقر بعد قيامته الى خدمة ملائكة . فبقي الملاك كان لاجل النساء المفتقرات ليس فقط الى طرد الحراس وفك ختم الحكومة ودحرجة الحجر بل الى شهادة ملاكية ايضاً لحقيقة القيامة . وبما ان الملاك يقصد ايضاً ايناسين^(١) ظهر لمن^(٢) كشاب جالس عن اليمين لابساً حلة بيضاء^(٣) . ودل القول ان الحميرة اخذتهن على ان المنظر كان بشرياً اكثر منه ملائكة وان بياض اثوابه لم يكن برافاً كما عند ما رآه الحراس " وصاروا كاموات "

كان الحرس الاول على قبر يسوع مؤلفاً من النساء المواليات اللواتي ارغمن دخول السبب المقدس على ترك القبر وحراسته . وكان الحرس الثاني مؤلفاً من جنود الحاكم الارضي المبغضين الذين اقيموا من قبل رؤساء الكهنة ليمنعوا فتح القبر لئلا يخرج يسوع منه خلصة . ثم انهزموا امام الحرس

(١) ان اتخاذ الملائكة صورة بشرية عند ظهورهم هي خير وسيلة للايناس وبيان محبة الله للجنس البشري وتكرمه اياه واتخاذهم هيئة لامعة وبيضاء فوق المعتاد ضروري ليعرفوا انهم رسل القدير آتون من السماء

الثالث الذي ارسله الحاكم السماوي من جنوده^(١) لانه صاحب الامر وبهم تم كل الاهتمام بهذا القبر . فاسلمهم ليطردوا الحرس الوثني لئلا يدنسوا القبر بعد فتحه بدخولهم اليه ويعترضوا الزائرين المحبين . ولكي يفتحوا القبر ليحقق هؤلاء انه قد قام حقا كما قال

فني تدبير الرؤساء الذين قابلوا ضعف تلاميذ يسوع المحقرين بالقوة النظامية المسلحة وأكّدوا النجاس . ثم في فشلهم التام في هذا التدبير صح^(٢) مرة أخرى (كلام المزمور " تأمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه *** الساكن في السموات يضحك . الرب يستهزئ بهم^(٣) . قصد اليهود بوضع الحراس ان يؤذوا يسوع وتابعيه ويعطلوا مشروعه . لكن الاله الذي يحصل لاسمه حمداً حتى من غضب الناس^(٤) جعل هؤلاء الحراس الوثنيين ان يصيروا شهوداً لا يعترض على شهادتهم بقيامة يسوع الحقيقية

على باب جنة عدن اوقف الله كروبيم دفعاً لدخول الخطاة الى الجنة . اما على باب قبر يسوع الآن فوقف ملاكان تسهيلاً لدخول المؤمنين جنة الفردوس السماوي بواسطة تثبيتهما ايمان المؤمنين بذلك الدفين بعد عود المسيح الى عالم الاجسام البشرية من الهاوية في عالم الارواح التي مضى اليها^(٥) بمثابة محيي ثانٍ . فرافقت الملائكة هذا المحيي كالاول الذي حدث ايضاً في هذه الناحية ذاتها . الا انهم ظهروا ليس لاجل بل لاجل الناس . ذكرت خدمة الملائكة ليسوع مرتين فقط في حياته . الاولى في برية التجربة بعد صومه الطويل وفوزه التام . والثانية في ساعة اشد آلامه في بستان جثسيماني بعد فوزه الثاني التام . لكنهم خدموا الآخرين مراراً عند ولادته وقيامته وصعوده . ولا يستبعد ان جوقاً غير منظور حام حول قبره كما حام

(١) سمي الملاك في نبوة دانيال ساهراً اي حارساً دا ١٤: ١٣ (٢) مز ٢٢: ٤٢

(٣) مز ٧٦: ٤ (٤) عب ١: ٦

حول سريره في بيت لحم^(١)

نهضت النساء للبحث الى القبر والظلام باق وسرن الى ان بلغن المكان عند طلوع الشمس وعيونهن شاخصات الى القبر من بعيد^(٢). ولم تكن ام يسوع معهن لانها كانت في بيت يوحنا الحبيب تستقبل تعزيات من بنجران من المحبين على زيارتها بمناسبة وفاة ابنها الشهير

اما مريم المجدلية فكانت المتقدمة في زمرة النساء المتعبدات ليسوع. لان عظمة دينها لخلصها ولد فيها غير متميزة. ولم تجد من الخدمة والاكرام ما يكفي ليعبر عن شكرها القلبي للذي فك أسرها القديم من نير سبعة شياطين. (فلو قدر الفاترون في الدين دينهم له كما قدرته المجدلية لأبدل فتورهم وكسلمهم في خدمة الدين بحرارة الشكر ومزيد الاجتهاد)

لما وقع نظر مريم على القبر ورأت الحجر مدحرجاً عن الباب تبادر الى ذهنها سريعاً ان الجسد الكريم قد أخذ إما من محب او من مبغض (والارمنية تُعطى للمبغضين). فكيف تطيق ان يهين المبغضون هذا الجسد حسب هواهم الوحشي؟ بناء عليه رجعت راضية الى المدينة لتخبر العميد بطرس ويوحنا ومعها على الأرجح مريم ام يسوع في البيت. ولا عجب ان المجدلية خصصت هذا البيت اولاً لاجل استنجاها وتبليغها الواقع

يلاحظ الفرق بين يهوذا وبطرس. فالأول بعد سقوطه الهائل لم يعد الى رفقاءه الرسل مع كونه ندم كل الندم على ما فعل. اما الثاني مع ان سقوطه بضارع الأول عاد عن ندمه الى رفقة محبي السيد الذي انكره. فنراه

(١) تظهر الملائكة وتختفي فجأة اتباعاً للتعليمات الالهية لهم. وقد يوجدون فعلاً حيث

لا يرون وقد يظهرون في المحل والوقت الواحد لبعض الحاضرين دون غيرهم

(٢) ان توفيق الخبرين المتعلقين بوقت مجيئهن ليس بعيداً ايضاً اذا حسبنا ان النساء

اثنين فرقتين الواحدة "والظلام باق" والاخرى عندما "طلعت الشمس" او اذا حسبنا ان الظلام كان باقياً لما نهضن للبحث فلم يبلغن المكان الا عند طلوع الشمس

الآن ملتصقاً يوحنا رفيقه الخصوصي بين الرسل
 حالما بلغت الجدلية الرسولين خبرها المزج بهذا الكلام: "اخذوا السيد
 من القبر ولنسأ نعلم ابن وضعوه" (١) ركض الرسولان الى القبر
 مدفوعين بمزيد المحبة والغيرة والاهتمام مع مزيد الكدر ايضاً (٢). وسبق يوحنا
 بطرس لكونه اصغر منه سنًا وانشط جسمًا. وعند وصوله انحنى ليرى داخل
 القبر دون ان يدخل. وتبعه بطرس المحاذ الطبع العجول في القول والعمل.
 ولم يكف بنظرة من بعيد بل دخل القبر ليخلص بالتدقيق لعله يجد شيئاً
 يفسر فقدان الجسد.

فأثرت قدوته في رفيقه يوحنا. فدخل وراءه وفحصاً معاً المكان ورأيا
 هيئة الاكفان الغريبة وبرهان اليد الالهية الظاهر في بقاء مندبل الرأس
 منفصلاً عن الاكفان كما هي العادة في التكفين. وبعد المشاهدة "مضى
 بطرس متعجباً في نفسه مما كان". "اما يوحنا فرأى وآمن". وصار بكر
 المؤمنين بالقيامة. لان بطرس لم يؤمن بعد. يوحنا آمن لكن بعد ان رأى
 الادلة الواضحة على كون غياب الجسد لم يكن مسبباً عن عمل بشري بل عن
 قيامة يسوع. وكان متوجهاً عليهما ان يؤمنا بدون ان يريا. لان النبوات في
 الكتاب عندها وانباء يسوع المكرر بموته وقيامته يكفيان سنداً للامان.
 فالذي آمن أولاً اعترف عن نفسه وعن رفقاءه انهم لم يكونوا بعد "يعرفون
 الكتاب". لذلك لم يهتدوا حالاً الى حقيقة القيامة

لاحظ يوحنا وبطرس ان هيئة الاكفان المرتبة جيداً ومجرد بقاءها في
 القبر بينة كافية على ان عدم وجود الجسد لا يعزى الى يد اثيمة او معادية.
 ويعلمان جيداً ان ليس بين المحيين من أخذ الجسد من القبر. فاثمت الاكفان

(١) اشارت بضمير الجمع الى رفيقاتها اللواتي تركهن عند القبر المفتوح

(٢) لوقا البشير يذكر ذهاب بطرس الى القبر دون ذكر رفيقه يوحنا

(٣) لعله اني ان يتعرض بدخوله للتجسس الطقسي

الغاية من ذكرها اي اقناع الرسولين بان يسوع قد قام حقاً وقيناً
ان القبر الفارغ امر محسوس لا يقبل الريب . فالمبغضون بهتهمون
ليفسدوا القول انه قام . فان اخذوا الجسد لا ينالون غايتهم الا باظهاره
والافتخار بان خصمهم يسوع كان حقاً مضلاً . لان جسده الميت بين ايديهم .
والحبون لا يجدون سبيلاً الى اخذه . لان ضعفهم وبأسهم وختم الحكومة والحراس
وسطوة خصومهم موانع كافية تحول دون ذلك . ولو فرضنا انهم تمكنوا من
سرقة الجسد حسب تهمة اليهود لكي يدّعوا انه قام لكان اعترافهم (انهم لم
يصدّقوا قيامته) مستحيلاً . فهل يُعقل انهم يفعلون فعلاً لاثبات القيامة ثم
ينكرونها بعد وقوعها وشيوع خبرها كما فعلوا في اول الامر ؟

ثم رجع التلميذان الى محلهما . اما النساء فمكثن عند القبر ثم دخلته . وفيما
هن محنرات في امر فقدان الجسد ظهر لهن الملاك فاندھشن . فلما رأى
الملاك دهشنهن طأهن واطهر انه يعرف غايتهن وان يسوع اتم وعده وقام .
ثم دعاهن لينظرن الموضع الذي كان نائماً فيه ملك المجد . وسمّاه يسوع
المصلوب وفي الوقت ذاته سمّاه الرب . وبينما هن خائفات ومنكسات وجوههن
الى الارض ظهر لهن ملاكان بثياب براقه . ووبخاهن لانهن يطلبن الحي
بين الاموات ^(١) . وبدعوتها اياهن ان ينظرن الموضع الذي كان الجسد
مضطجعاً فيه اعتبرنا حاسة البصر كشاهد مهم لتحقيق المعجزة الرائقة . ثم امرهن
بالاسراع الى التلاميذ (مخصصين منهم الرسول الساقط الحزين بطرس)
ليبشرنهم بقيامة سيدهم ويخبرنهم بانه يسبقهم الى الجليل وهناك يرونه حسب
وعده لهن ^(٢)

فخرجن سريعاً من القبر وهربن من المكان مخوف من الجهة الواحدة

(١) يصح ان يوضح ذلك التوبيخ عينه كل الذين يندبون موتاهم المؤمنين كأن
ارواحهم مع اجسادهم في القبر مع انها تحيا عند الله (ادي في لوقا ٢٢٧)

(٢) مت ٢٨: ٦٦ ومر ٢٨: ١٤

بسبب هذه الظهورات الغريبة التي لا سوابق لها . وبفرح عظيم من الجهة الأخرى لأن سيدهن حقا قام . وساقهن هذا الخوف مع هذا الفرح حتى ذهبن راكضات لا بلاغ الخبر للتلاميذ سرعاً . يلاحظ أن كل من سار في هذا الصباح كان يركض سواء كان من النساء المتقدمات في السن والمال والمقام أو من الرسل الموقرين . لأن هيجان الأفكار والقلوب كان عظيماً جداً

لما خرج لعازر من قبره بقوة يسوع خرج بجسد الموت الذي مات فيه فلم يترك أكفانه في قبره . لكن جسد يسوع الجديد المجد لم ترافقه الأكفان من قبره ولا ذكر بعدئذ من أمرها شيء^(١) . فأكفان يسوع تشبه صفحات تاريخه . نام فيها حيناً لكن الذين فتشوا عنه فيها لم يجدوه . لأنه كان حاضراً بينهم حياً غير منظور . والذين يفتشون عن يسوع في التاريخ كما عن سير المشاهير القدماء لا يجدونه لأنه حاضر بينهم حياً غير منظور والتاريخ لا يريه كما هو بل تريه عين الايمان فقط . ولا يعرف أحد المسيح إلا باخبار حضوره المبارك معه شخصياً . وتجديد الاخبار ضروري لأن الماضي منه لا يفي بالمطلوب . نرى ذلك في تلاميذ يسوع . لأن اخبارهم بيسوع قبل موته لم يف بالمطلوب بعد قيامته واخبارهم الماضي صورته لهم في قبره . فافتضى لهم اخبار جديد برتهم اياه في جسد مجيد^(٢)

(١) الاخبار التقليدية تؤيد القول بأنه لو كان الخبر ملفقاً لكان ولا بد ورد ذكر آخر لهذه الأكفان الثمينة من الكتان النقي مقدمة يوسف الراي ونيقوديموس العظميين

(٢) يعترف المجد الشهير الكاتب الألماني ستروس بعجزه عن إيجاد سبب معقول للنهضة المسيحية العظيمة التي عقيبت صلب يسوع بوقت قريب . ومع أنه درس هذا الموضوع بكل تدقيق وألف كتاباً شهيراً علمياً في حياة يسوع جرّده من كل تصديق المعجزات كما جرّده من كل لحة عن تفوق طبيعة يسوع على البشرية عجز عن تقديم سبب معقول للنهضة المسيحية كما مر . ولكن ما دام الانجيل يقدم لنا سبباً كافياً ومعقولاً بشرط تصديق القيامة . وبجزم المنتقدون عن إيجاد تفسير آخر للمحدث التاريخي الشهير الذي هو نشوء الكنيسة المسيحية وانتشارها العجيب في كل العالم وفي أيام الرسل أفلا يجدر بكل مخلص أن يصدق خبر القيامة بدون ريب

الفصل الخمسون

(مت ٢٨: ٩-١٥ مر ١٦: ٩-١١ يو ٢٠: ١١-١٨)

(المرصع) ف ٥٠ (الزمان) الاحد في ٩ نيسان السنة ٢٠م
(المكان) اورشليم

ظهور يسوع للمجدلية أولاً . ظهوره الثاني للمريمين . اخبار النساء التلاميذ بقيامته
رشوا الحراس ليقدموا تقريراً كاذباً . تحقيق القيامة بعد الموت الحقيقي
شك التلاميذ بقيامته . الاعتماد على شهادة الحواس

كانت مريم المجدلية قد عادت الى القبر المقدس بعد اخبارها التلميذين .
فاخذها البكاء الشديد عند باب القبر . وصحَّ معنى اسمها ^(١) . وانحنى لتنظر
لاول مرة داخل القبر . فما كان اعظم عجبها لرؤيتها الملاكين جالسين وجهاً
لوجه عند طرفي القبر نظير الكرويين اللذين كانا على غطاء تابوت العهد
الرمز المهم في الهيكل القديم الى شخص المسيح ^(٢) . لم يذكر انها دهشت كغيرها
او جزعت عند رؤية الملاكين لان تأثير الحزن الشديد في قواها لم يترك
للخوف مجالاً

اما سبب عدم ظهور الملاكين لبطرس ويوحنا لما دخلا القبر فلعلَّه كان

(١) اي مرارة (٢) كان على طرفي غطاء ذلك التابوت كروبان من ذهب
واقفان وجهاً لوجه وجناحاً كلٍ منهما ممتدان نحو الآخر كأنهما يحرسان الاقداس المخبوءة
في التابوت

يُطلب منها الايمان دون هذه الرؤية بالنظر الى الوسائط الممتازة للمعرفة والايمان التي حصل عليها بمعية هذا المعلم . فلما سأل الملاكان مريم عن سبب بكائها اعادت كلامها للرسولين . نراها في شدة حزنها مثال الذين لقصر نظرهم سيكون وينوحون في ظروف موجبة حقاً للسرور . لانها بكت لفراغ القبر . وكان هذا الامر اعظم داعٍ للسرور والابتهاج لو عرفت الحقيقة . فكم مرة في حياتنا ندبنا اموراً حسبناها مصائب وهي بالحقيقة بركات

الظاهر ان رفيقاتها كنَّ قد ابتعدن عنها وانها لم تعلم بظهور الملاكين هنَّ . اما يسوع فكافأها على امانتها وشكرها الحي بان اعطاها فوق طلبها كثيراً جداً كعادته مع محبيه . طلبت الجسد الميت لتكرمه . فنالت ظهوره حياً قبل ظهوره لاحدٍ غيرها . لانها لم تكذب توجب الملاك حتى سمعت ما جعلها تلتفت الى الورا . فنظرت رجلاً بهيئة بسيطة حسبته حارس البستان سألها (كأنه لا يعرفها) ” يا امرأة لماذا تبكين ؟ من تطلبن ؟ ” وقد سبق الانتباه الى خطة يسوع في مخاطباته الشخصية . اي ان يستنطق قبل ان يعلم

في هذا السؤال المزدوج بعض التبيكيت لكون كلامه المكرر عن قيامته لم يرسخ في ذهنها . فلظننها ان صاحب البستان لم يشأ ابقاء الجسد في القبر الذي نحتة لنفسه . وانه امر بستانية بنقله اجابت على سؤاله انها مستعدة ان تستلم الجسد وتجد له قبراً آخر مناسباً . وربما حوَّلت نظرها عنه منتظرة جوابه . لان هيئته لم تكن كهيئة يسوع تماماً مع انه يسوع . فقال لها ” يا مريم ” ربما بذات الصوت الذي ألفتة مدة اتباعها اياه . هو الراعي الصالح الذي يدعو خرافه الخاصة باسمائها . وخاصة تعرفه . فلما دعاها باسمها عرفته والتفت وكل عواطفها متيقظة . وقصدت ان تقبل قدميه . ونادته ” ربوني ” اي ” يا معلمي ” اما يسوع فواقفها عن هذه الحركة لكي يشعرها حالاً بالتغير الكلي الناتج عن قيامته . وان وجوده مع تلاميذه لا يكون اعنيادياً كما في الماضي حتى

يجوز ان يتمسكوا به جسدياً واطهر لها سبباً بقوله "لاني لم اصعد بعد الى ابي" (١)
 اراد ان يفهمها ويفهم العالم بواسطتها ان التمسك به الواجب والمهم هو التمسك
 الروحي لا الجسدي. فعلى شعبه المسيحي ان يتعلم ذلك. وان لا يصّر على
 التمسك بحضوره جسدياً في العشاء الرباني. "لان الله روح والذين يسجدون
 له في الروح والحق ينبغي ان يسجدوا" (٢). وان لا يطلبوا تمثيلاً خارجياً او
 حضوراً محسوساً. وامرهم ان تذهب حالاً وتبشّر تلاميذ بانها نظرت قد قام
 وانه يصعد قريباً الى الله ابيه (في طبيعته الالهية) واله (في طبيعته البشرية)
 في امره بالتبشير عند ظهوره الاول دليل على اهمية هذا الفرع من
 الواجب. اي ان ما نراه او نسمعه ونقبله من الخير من عند الله علينا ان نعلمه
 للآخرين. امر بالتبشير ليس بقيامته فقط بل ايضاً بصعوده العتيد. وشرف
 تلاميذ بلقب جديد دل على لطفه وتواضعه. دعاهم قبلاً تلاميذ واصدقاءه
 واحباءه. اما الآن لأول مرة يدعوهم "اخوتي"

اخوة يوسف خانوه وباعوه الى مصر. فلما زاروه في مجيء كثناني الملك
 وصاروا في قبضة يد كلهم بصرامة ثم عرفوا انه يوسف ذابت قلوبهم خوفاً
 لظنهم انه يجازيهم على اساءتهم اليه. لكنه طمأنهم حالاً بقوله لهم "انا يوسف
 اخوكم. لا تنأسفوا ولا تقناظوا" (اي على انفسكم لما فعلتم). ويسوع يعلم ان
 الذين تركوه جميعاً وهربوا والذي انكره يكونون في خطر اليأس والخوف

(١) اخذنا قول البشير مرقس ان يسوع ظهر أولاً لمريم المجدلية كما يفسره يوحنا فم
 الذهب والقديس كيرلس وغيرها حسب معنى هذه العبارة الظاهر. اي ان ليس احد رأى
 يسوع بعد قيامته قبل مريم في هذا الحادث. ويرتقي هؤلاء ان المريم لم تكونا وحدها في
 الزيارة الاولى للقبر وان المجدلية رجعت لتخبر بطرس ويوحنا قبل ظهور الملائكة لرفيقاتها. اما
 المفسرون الذين يقدمون ظهوره للنساء غير مريم على ظهوره لها فيأخذون قول مرقس
 بمعنى ان ظهوره لمريم كان اول الظهورات الثلاث التي اقتصر مرقس على ذكرها

الشديد متى عرفوا انه قام من الموت وربما يعاملهم كما يستحقون . لذلك اراد ان يطمئنهم حالاً بهذا القلب الجديد . "اخوتي"

والامر الاعجب ان هذا القلب لا يصح الا بمعنى روحي . فاعظم الحب الذي جعله يحننهم كاخوة بالمعنى الروحي بعد كل ما صدر منهم مما ينافي هذه الاخوية الروحية له . وما اعظم التواضع الذي فعل ذلك بعد ما حصل له من التمجيد الجديد والترفع عنهم بالنسبة الى الماضي . الا انه لم يمكنه ان يشملهم معه بصيغة الجمع ليقول اصعد الى ابينا واهلنا . بل حافظ على التفرد بقوله "ابي واياكم واهلي واهلكم" (١) . لان الله ابيه بالولادة روحياً كما قال في المزمور "انت ابني انا اليوم ولدتك" (٢) لكنه ابوهم بالتبني الروحي

ظهر يسوع ظهوره الثاني كالأول ليس لرسله ولا لرجال من تابعيه بل للنساء وهن ذاهبات راكضات ليتمن وصية الملائكة ويشرن التلاميذ بالقيامة (٣) . وبعد المثالة التي علمها لمريم وانضمام رفيقاتها اليها لم ير يسوع مانعاً من لمس قدميه بقبلة الاحترام مع سجودهن له . لكنه لم يسمح لهن باطالة السجود لان اتمام اوامره السابقة بالتبشير التي كررها الآن أهم من السجود (٤) .

فتمن ذلك بإخبار الرسل الاحد عشر ومن معهم إما وهم مجتمعون او على انفراد . ولأن بطرس ويوحنا قد اخذا البراهين الحسية بذاتهما يجوز

(١) اشار الرسول الى ذلك بقوله "لان المقدس والمقدسين جميعهم من واحد فلماذا السبب لا يستحي ان يدعوهم اخوة قائلاً أخبر باسمك اخوتي وفي وسط الكنيسة اسبحك" عب ١١: ٢ و ١٢ (٢) مز ٢٧: ١٠ (٣) يحمل من قول متى ان مريم المجدالية كانت معهن . لكن هذا غير واضح اذا اضفنا اخبار البشيرين الآخرين ايضاً . لانه عندما نقرأ في العربية ان يسوع لاقاها وقال سلام لكما صار القول اضطراراً عن اثنتين فقط . لكن في اليونانية لعدم وجود صيغة المثني نقرأ لاقاهن وقال سلام لكن ما يجوز اطلاقه على اثنتين او أكثر (٤) اراد يسوع ان يرجع التلاميذ الى اوطانهم ويشهدوا هناك بقيامته قبل ان يكتفوا في اورشليم لاجل حلول الروح القدس عليهم

استثناءها من قول البشير انهم "لم يصدقوهن" ولا سيما قولهن انهن قد رأين يسوع بل نسبوا اليهن "الهديان"

يلاحظ كيف حولت العناية الالهية عدم تصديق الرسل الى اعظم بركة. لان ذلك اصبح من أهم البراهين الدامغة على صدق القيامة كما سبق القول. قال احد المفسرين ان شكوك الرسل لم تزل الا شيئاً فشيئاً عند توالي البراهين الفاطعة. فشكهم الأول يقوي ثقتنا بشهادتهم بعد تيقنهم. شكوا وقتاً قصيراً لكي لا نشك ابداً^(١). فالذين اصرؤا طويلاً على عدم التصديق لم يؤمنوا اخيراً (بهذا الايمان الحار) ويجاهدوا ويخاطروا في نشر هذه الحقيقة الا كانوا قد أخذوا براهين قاضية لا قناعهم ولمن يأتي بعدهم

طار صباحاً خبر قيامة يسوع على سلكين. سلك بشارة النساء المنعشة لمحبيه وسلك رواية الحراس المزعجة لمبغضيه. يظهر ان الحراس لما هربوا خوفاً لم يرجعوا الى المدينة لئلا يعرف امرهم فيجازون على فتح القبر^(٢). فلم يبلغوا رؤساء الجند والوالي. بل ذهبوا الى البر وارسلوا بعضاً منهم ليبلغوا بمزيد التحفظ رؤساء اليهود. فاضطرب هؤلاء لخبر قيامة يسوع المرفوقة بالآيات كما اضطربوا سابقاً مع كل سكان المدينة لخبر ولادته الذي اتاهم به الجوس. فهل خافوا ان ينتقم منهم بقوته الجديدة؟ ام هل توقعوا هبوطاً عظيماً في سطوتهم وكرامتهم وارباحهم. لانهم يظنون طبعاً ان يسوع يعود الى أكثر من اعماله السابقة بين الشعب. فان كان انخياز الشعب اليه سابقاً جعل الرؤساء يقولون "هوذا العالم قد ذهب وراءه انظروا انكم لا تنفعون شيئاً" فاذا يكون من امره الآن؟

فبناء على انه لم يظهر الا لتلاميذ بعد قيامته ولم يجدوا له اثرًا بين عموم الناس يمكنهم التنبؤ به على الشعب بانكار قيامته. ولكن بما انه لا يمكنهم الانكار في

(١) ادي في مرقس ٥٦١ (٢) نعلم ان الحرس الروماني اذا أخل بواجبات

حراسته كان يجازى بالاعلام اع ١٩:١٢

قلوبهم كم يكون غيظهم شديداً لشلم بعد كل ما فعلوا ليمتوه ويتخلصوا من تأثيره . وبالأحرى لانهم لا يجدون سبيلاً لتجديد القبض عليه . لذلك طلب رؤساء الكهنة الشيوخ وعقدوا مجمعاً للتبصر في خبر الحراس وما يتأتى عنه .

وقرروا ارشائهم ليشهدوا على تلاميذ يسوع ثم على انفسهم شهادة زور
فترى هؤلاء من ارباب الدين ينكثون بيمينهم المقدس بان يحافظوا
على الوصايا والناموس . ولا يتجلبون ان يعلموا العسكر الروماني بل ان يرشوهم
بمال كثير ليؤدوا شهادة الزور هذه المزوجة مخالفين الوصية التاسعة من
وصايا الله العشر . وعند اعتراض الحراس بان اقرارهم بعدم الامانة لكونهم
ناموس بوقعهم في اشد الخطر من معاقبة الوالي اياهم بالاعدام طأنوهم بان
نفوذهم مع الوالي يكفل سلامتهم فيما لو بلغه هذا الخبر . قد يعنون بذلك
انهم لعلمهم انه يرشون ليعض الطرف عن زلتهم هذه

حنا متى علم رؤساء الدين الالهي شعبيهم ارتكاب المنكرات يتوغل الشعب
في المعاصي ويجلبون على رؤوسهم دينونة مخينة . اظهر الرؤساء استعلاذهم
ليرشوا المحكام وهذه المرة الرابعة لانهم رشوا يهوذا يوم الثلاثاء ثم الشهود يوم
الجمعة ثم الحراس يوم الاحد . فلو كان اقدام الناس على السخاء في الاعمال
الخيرية يضارع ما يفعلونه في ارشاء المحكام لكان يجري الخير في البلاد انهاراً
لا قطرات

وكم كانت غباوة الرؤساء وبساطة الحراس في تعليمهم اياهم ان يدعوا
بمعرفة ما حدث للجسد بينما هم نيام . وزادت خطيئتهم لان قيامة يسوع كانت
بقوة الروح القدس ونسبوها الى السرقة^(١) . فصارعهم من نوع التجديف على
الروح القدس نظير ما فعلوه لما نسبوا قوة يسوع في المعجزات الى رئيس
الشياطين . وماذا يقال عن هؤلاء الذين كرروا قولهم ليسوع انهم يؤمنون

(١) قال احد المفسرين ان مجمع اليهود قتل يسوع والآن حاولوا (بارشاء الحراس)
قتل حقيقة قيامته وهذا القتل افطع من ذاك

به ان اعطاهم آية من السماء . فاية آية من السماء يمكننا ان نتصورها اعظم من آية قيامته وما رافقها من الآيات الفائقة ، واي هو اعظم ان ينزل عن الصليب وهو حي كما طلبوا منه او ان يقوم من القبر في اليوم الثالث بعد موته ؟

لو كان الايمان متوقفاً على البينات لآمنوا لا محالة . لان البينات كانت متواصلة ومتزايدة مدة الثلاث سنين حتى انتهت في اعظما اي قيامته . ألم يقل يسوع في مثل الغني ولعازر ان الذين لا يؤمنون بواسطة موسى والانبياء لا يؤمنون ولو قام واحد من الاموات ^(١) ؟ فليس الايمان ثمر البينات وحدها لان الشياطين " يؤمنون (الايمان العقلي المتوقف على البراهين) ويشعرون " ^(٢) . الايمان الذي به الخلاص يتوقف على حالة القلب اكثر من حالة الرأس . والمنطق وحده مهمل كان دقيقاً وصادقاً لا يوصل الى السماء . ليس في الاحتجاج الديني العقلي اكثر من التمهيد لفعل الايمان الحقيقي الحي . فلا يقوم صاحب الحجج الراهنة والبراهين الدامغة ان يربح النفوس بمجرد الجدل مهما كانت معارفه سامية ولسانه طلقاً في البيان

الحراس ايضاً اخذوا بينات كافية للايمان . لكنهم ليس فقط لم يؤمنوا بل تواطأوا مع الرؤساء ليمنعوا العالم عن الايمان . اعطى يسوع اليهود البراهين السابقة الكثيرة ولا سيما المتعلقة بصلبه كقائمة لما في قيامته من البرهان الباهر على طبيعته الالهية ووظيفته الخلاصية تحقياً لكونه مسيحهم . والذي ضاعف قوة البرهان في قيامته انباؤه اياهم بذلك قبلاً وتكراراً مستشهداً بآية يونان النبي . فبرفضهم اياه رفضوا الرجاء الوحيد الباقي لهم لكي ينالوا نصيباً في المواعيد للآباء والانبياء . وبقتلهم اياه لم يقتلوا قتلاً عادياً بل قتلوا مسيحهم وقتلوا معه كل الخير الذي كان لهم فيه كامة . اما اثبت البراهين لحقيقة قيامة يسوع فجاء في الحوادث التابعة صعوده

(١) لوقا ٢١: ١٦ (٢) يع ١٩: ٢

ولم تذكر في البشائر الا تلميحا . اي انه بعد صلبه بسبعة اسابيع فقط نرى رسله يجاهدون امام الجموع المتجبهة في اورشليم ذاتها بحقيقة قيامته . ويكتون الرؤساء صراحة في مركز سطوتهم على قتل يسوع الذي اقامه الله من الاموات . ونرى الالوف يؤمنون حالا بتأثير هذه المجاهرة وتأثير الايات التي فعلها رسله ونسبوها الى قوة سيدهم الذي قام من قبره مجدداً (١) . فلو كان تكذيب خبر القيامة ممكنا لما استطاع الرسل تلك المجاهرة . ولو لم يقيم يسوع حقاً لما تجرأوا ان يظهروا

ثم بعد وقت قصير ظهر يسوع على صورة عجيبة لآلذ خصومه اي لشاب من علماء الفريسيين خصص ذاته لتعقب شردمة المسيحيين وملاشاتها وهي شاول الطرسوسي الذي ظهر له يسوع بعد قيامته بزمان قصير . فامن به ايمانا ثابتا . حتى انه بعد تغيره الفجائي فاق الرسل الاصليين في الغيرة والنشاط والنجاح بالتبشير بيسوع وقيامته . فعينه الروح الالهي رسولا صار يعرف باسم "بولس الرسول العظيم"

احتج الفيلسوف اليوناني سلسوس في نحو السنة ١٧٠م ضد حقيقة القيامة مدعياً ان يسوع لم يميت موتاً حقيقياً . ولولا الرد على ضلاله الذي كتبه القديس اوريجينس أحد معاصريه المسيحيين لكان العالم نسي هذا العالم وكتابات . وقد عدل العلماء المعارضون عن هذه الحقبة السخيفة في انكارهم القيامة . لانه يطلب من القائلين انه لم يميت بل وقع في سبات بيان معقول على كيفية خروجه من قبر مسدود بحجر كبير جداً ومخنوم بختم الحكومة ومحروس مجنودها . ويطلب منهم تفسير اخفائه عن العموم تماماً وعن تلاميذه تدريجاً وهو الذي ملأت شهرته كل البلاد . فكيف تمكن تلاميذه من الادعاء بانهم عاينوه متغيراً تماماً واخيراً صاعداً الى السماء . ويطلب منهم ان يبينوا اتفاق صفات

(١) تستحق هذه الاخبار نظراً خصوصياً مدققاً انظر ا١٥:١ و٢٢ و١٢:٦ و١٢ و١٤

يسوع الادبية الممتازة مع حيلة كهنه لنشر خبر كاذب بموته وقيامته . فلا يقبل
منصف القول بان القيامة ليست حقيقة بحجة ان الموت لم يكن حقيقياً
ولا يُعقل ان الرؤساء المبغضين الذين قاسوا عناء شديداً لاجل قتل
يسوع يسكتون عن تلاميذ سرقوا الجسد ومكشوا في العاصمة اسبوعاً على
الاقل بعد تلفيق الرؤساء هذه التهمة . ولا ان يسكتوا عن حراس اقاموهم
ليمنعوا التلاميذ عن عمل كهذا الذي قالوا فيه انه " يكون ضلالة اشتر من
الاولى "

ولو تجاسر تلاميذك فوق المعقول وتوقفوا فوق المأمول ماذا يربحون
من سرقة الجسد ؟ لان من يصدق قولهم بقيامة سيدهم لمجرد فروغ القبر من
جسد ؟ وبأي عين يجعلون قيامته اساس وعظم امام قائليه وليس لديهم
برهان الوجود القبر فارغاً ؟ هذا ولم يظهر منهم بعدئذ ضعف عقل او
ركاكة نسوع اتهمهم بجهالة كهنه اي سرقة الجسد لكي يقولوا انه قام
ثم ان الحيين الذين يسرقون الجسد بوجود الحراس (على فرض نوم
هؤلاء كما قال اليهود) لا يجراؤن ان يبقوا في القبر فوق الدقائق الضرورية
لاخذ الجسد . فلا يمكن ان يعتنوا برفع الاكفان عن الجسد ثم يضعوها ملفوفة
بترتيب . واي عاقل يسلم بانهم يسرقون الجسد ويتركون لاعدائهم واعدائهم
الاكفان الثمينة ؟ وكيف يرفعون حجراً كهذا بدون ايقاظ الحراس ؟ وكيف
يسرقون الجسد ثم يأبى قوادهم من الرسل تصديق قيامته وينسبون الهذيان
الى النساء القائلات بها ؟ وسيأتي خبر عدم تصديقهم بعد البيانات المكررة
وكيف يسرق التلاميذ جسد ليلاً ويتوجه صباحاً النساء اللواتي كن في
مقدمة تابعيه وبعضهن واللات لبعض الرسل اخذات الخنوط الى القبر ؟
ثم ان الصفات والمبادئ السامية القوية التي اشتهر بها تلاميذك سريعاً
بعد موته واستشهادهم دون تردد انتصاراً لقيامته امور لا تنفق مطلقاً مع
اتهامهم بحيلة كاذبة عظيمة لهذه الدرجة . فان من الاسباب الموجبة لهذه

الايضاحات إصرار اليهود من ذلك الزمن الى الآن على القول بان جسد يسوع سُرق من قبره . فتصديقهم هذه الخرافة الغير المعقولة يكون من باب العمى الروحي الذي ونجهم يسوع لاجله
 اما الظن ان الاعداء أخذوا الجسد من القبر حتى وجد فارغاً فهو خطأ معقول في حينه . لان سلطتهم على الحراس وعلى ختم الحكومة ورجالها كافية لتمكنهم من هذا العمل . ومراهم يسوقهم اليه . فالتلاميذ انقادوا في بادئ الامر الى هذا الخطأ . لكنه تفند سريعاً . لان غرض الاعداء لا يتم في سرقة الجسد ما لم يبرزوه للعموم حالاً ليبرهنوا ان يسوع كان حياً مضافاً اذ انه لم يبق كما قال

اما الفرض الآخر بان يسوع بات كغيره في قبره . وان خبر قيامته وهم تصوّره مريدوه فغير معقول ايضاً بدليل تأكيد مريديه انهم لم يصدقوا قيامته الا بصعوبة كلية وبعد براهين متعدّدة . ولو صحّ الزعم الآخر ان التلاميذ اخترعوا خبر القيامة لكي يشبهوا بعض الاشارات النبوية في التوراة لما ورد في خبر القيامة انهم لم يفهموا الكتب . ولا سيما تلك الاشارات الا بعد ان رأوه حياً

ولو كانت القصة اخلاقاً لصوّر الرواة لاحالة ظهور يسوع لغير تلاميذه ليزيد برهان ما يدّعونّه . ولما خطر لهم على بال ان يحصروا ظهوره بهؤلاء . لان المخلق الذكي لا يترك هذا الباب مفتوحاً . ونعلم من التاريخ ان هذا الاتقاد حصل باكراً من اصداد المسيحية . اما الذين يقولون باستحالة المعجزات تماماً فيضطرونّ طبعاً لانكار القيامة التي هي اعظمها

لكننا نعتقد ان الخبر الديني الوهي وان كان قد يسود كثيراً ويدوم طويلاً قبل اضمحلاله لا يمكن ان يفعل الافعال الخطيرة التي فعلها جيلاً بعد جيل خبر قيامة يسوع . ولو كان ممكناً ان يفلح الوهم فلاح حقيقة القيامة لضعفت كثيراً اهمية الفصل بين الحقيقة والوهم

والذين يفسرون ان المخبرين بالقيامة لم يخلقوا الخبر . لانهم رجال
صالحون صادقون لكنهم رأوا روى ظنوها حقيقة . يعرضون تفسيرهم لقولنا
السابق في مفعول الامور الوهمية حتى الرويا منها . اما ان كانت الرويا
صادقة فرأوا روحه بعد موته فلا يقل ذلك عجبا عن رؤية جسده

لكن لا يغفل عن ان تحقيق قيامة يسوع لم يتبدئ بمشاهدة شخص ليصح القول
انه روى . بل ابتداء بالبرهان الحسي في فراغ قبره . ومعلوم ان الرويا الوهمية
تأتي الانسان طبقا لصوراته في اليقظة . اما التصور بقيامة يسوع فكان
بعيدا عن كل استعداداتهم السابقة . ونعود الى القول بان البشيرين لم يوردوا
خبرا من الاخبار التخيلية بل اقتصروا على ما هو تحت حكم حاسات البصر
والسمع واللمس . وبذلك ختموا على اهمية شهادة الحواس في الدين . نعلم ان
الرسل ذواتهم فرضوا فرض الرويا لما ظهر يسوع فالزمهم ان يلصقوه
ويطعموه لكي يعرفوا ان ظنهم بانه خيال هو الوهم

كان الرسل في وعظهم يعودون الى حقيقة القيامة دون معجزة أخرى
كشهادة بان يسوع ابن الله وعلى تصديق القيامة يتوقف تصديق المعجزات
كافة . التي تهون كلها في معية القيامة . وقوة قيامة يسوع التي اشتهى بولس
ان يعرفها حق المعرفة (١) قائمة بحضوره الشخصي

الفصل الحادي والخمسون

(مت ١٦:٢٨ ومر ١٢:١٦-١٤ ولو ١٢:٢٤-٤٩)

ويو ١٩:٢٠-٢٤ ٢١ واكو ١٧:٥)

(الموضع) ف ٥١ و ٥٢ (الزمان) الاحد في ٩ نيسان و ١٦
ايار السنة ٣٠ م (المكان) اورشليم طريق عمواس - بحر طبرية

الظهور الثالث . الظهور الرابع . الظهور الخامس . شك توما الرسول . الظهور
السادس . السبت المسمي . الذهاب الى الجليل . الظهور السابع .
الصيد العجيب . امتحان بطرس

كان ظهور يسوع الثالث لتلميذين ليسا من رسله المختارين . ويرجح ان
في عدم ظهوره لرسله اولاً وفي عدم ذكر ظهوره لوالديه مطلقاً قصد
خصوصي هو تخفيف خطر المبالغة في اكرام الذين لهم المقام الاول في الكنيسة .
وفي هذا الظهور الثالث ايضاح اجلي للتغير الذي حصل لجسد موته ثم قيامته
فكلمة "ظهر" و "الهيئة الاخرى" تعبران عن هذا التغير . وعندنا قول الرسول
بولس "يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني" (١)
فنقرأ انه "ظهر بهيئة اخرى لاثنتين" من الذين كانوا معه وهما "منطلقان

في ذلك اليوم الى قرية بعيدة عن اورشليم ستين غلوة اسمها عمواس^(١). يستخرج انه ظهر بغتة ومشى وراءها مسافة قصيرة. ثم ادركها وكلهما فظناه احد المسافرين. اذ لاشي في هيئته الظاهرة يذكرها بسيدهما. لم يدركا انه كان معهما قبل ان رأياه وفقاً لقوله "حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم"^(٢). وانه تراءى لهما لما شاء. كان حديثهما عنه فصاراً من الذين قال النبي فيهم "حينئذٍ كلم متقو الرب كل واحد قريته. والرب اصغى وسمع وكتب امامه سفر تذكرو للذين اتقوا الرب ولمفكرين في اسمه ويكونون لي قال رب الجنود في اليوم الذي انا صانع خاصة"^(٣).

سألها وهو يمشي معها "ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وانتما ماشيان عابسين"؟ يحتمل ان بعض عبوستهما نتج عن تعرض رجل لها فظناه غريباً. بينما حديثهما في مصابهما الجسيم بسبب صلب يسوع وهذا كاف للعبوسة. سمعها برتودان عبارات اليأس ثم الرجاء وبراهين الشك ثم اليقين حائرين كيف يحكمان

نعترف لهما بصدق ايمانها ومحبتها ليسوع وجرأتها ايضاً في اظهار علاقتها معه لهذا الغريب في هذه الاحوال الحرجة. فعلى سؤاله اجاب احدها كليوباس^(٤) مستغرباً كيف ان انساناً قادماً من المدينة (حسب الظاهر) يجهل الموضوع الشاغل افكار الجميع وحديثهم. او يظن ان احداً منهم الآن بغير هذا الامر. فلما تجاهل رفيقها (الجديد) في ما يشير ان اليه اجابا انه "الامور المختصة بيسوع الناصري الذي كان انساناً نبياً مقتدرًا في الفعل

(١) الستون غلوة نحو سبعة اميال اي سفر ساعتين ونصف على المشاة. موقع عمواس مجهول تماماً الا ان يوسيفوس يذكر قرية اسمها وبعدها عن اورشليم يوافقان ما قد ورد في الانجيل. ويرجح انها كانت في موقع قرية الخماسية او القبية (٢) مت ٢٠:١٨ (٣) مل ١٦:٣ و ١٧ (٤) اخطأ البعض في ظنهم انه كلوبا زوج مريم ام يعقوب ويوسي المذكور في يو ٢٥:١٩ فالفرق في الاسمين ظاهر في الاصل اليوناني

والقول امام الله وجميع الشعب". فمن لا يفتناظ ويأسف على عمل رؤساء الكهنة الذين اسلموه لحكم الموت وصلبوه؟

لما وجد كليوباس من هذا الغريب اصغاءً ودياً كشف له سرهما في قوله "نحن كنا نرجو انه هو المزمع ان يفدي اسرائيل". كانا كغيرهما ينتظران من المسيح متى جاء خلاصاً سياسياً. لان التاريخ اليهودي كان معظيةً وعجيبةً حوادث الخلاص السياسي الذي ناله هذا الشعب بواسطة عظمائه كموسى ويشوع وداود وحزقيا وامثالهم. ثم اعترف كليوباس بان مرور ثلاثة ايام على صلب يسوع قد آيد بأسهم^(١). هل كان في كلامه تلميح الى ما قاله يسوع تكررًا عن انه سيقوم في اليوم الثالث؟ او الى كونهم انتظروا في اورشليم الى ختام اليوم الثالث ولما لم يروه؟ قام يسوع وتوجهوا الى محلهم في الخارج؟ اعترف كليوباس قائلاً "بعض النساء منا حيرتنا اذ كنَّ باكراً عند القبر. ولما لم يجدن جسد انين فائلات انهن رأينَ منظر ملائكة قالوا انه حي". ومضى قوم من الذين معنا الى القبر فوجدوا هكذا كما قالت ايضا النساء. واما هو فلم يروه". فهل استخفنا باخبار النساء لانهن نساء؟ ام استبعدنا ان الملائكة تظهر وتبشر بان يسوع حي للنساء وليس لرسله المنتخبين؟ اولوالدته المكرمة المكتوبة؟

اقتضى ان يلقي يسوع عليهما تعاليمه قبل ان يستعلن لهما لئلا يهيج استعلانهم عواطفهم عجباً وفرحاً فلا يعود يمكنها الصبر على كلامه او التمعن به^(٢). فابتدأ

(١) ظهر في كلامه كيف كان اصطلاح اليهود في حساب الايام. لان البعض يعترضون على الكلام النبوي القائل بان يسوع يكون في القبر كما كان يونان في جوف الحوت ثلاثة ايام حال كونه دفن في آخر يوم الجمعة وقام في اول يوم الاحد. فهنا شخصان يقولان صريحاً يوم الاحد ان ثلاثة ايام قد مرت على صلب يسوع مما يدل على ان اليهود كانوا يحسبون في حساب الايام اي جزء كان من اليوم كيوم واحد. توجد اشارة نبوية الى القيامة في اليوم الثالث في هو ٦: ٦ (٢) يذكرنا هذا الحادث ييوسف بن يعقوب وهو واحد

بالتوبيخ قائلاً "أيها الغبيان والبطيلان القلوب في الايمان" أهل الشكوك والإنكار يصفون أهل الايمان بالغباوة لتصديقهم ما ورد في الكتاب . لكن يسوع يصف بالغباوة المنكرين والشاكين لعدم تصديقهم ما ورد في الكتاب . فاي الفريقين اولى بالحكم واي الحكمين اولى بالثقة ؟ دعاها يسوع غيبين لانها لم يفهما الكتب النبوية التي أعلنت لزوم آلام المسيح قبل دخوله الى مجده . فلو فها الكتاب لعلمنا ما رأياه يتألم انه لا بد من ان يتمجد ايضاً . افكرنا ان ما قاساه يسوع أفسد القول بانه المسيح . والحق ان ما قاساه هو شرط لازم لكونه المسيح . فلم يوجبها لعدم تصديقها النساء والملائكة والقبر الفارغ بل لعدم فهمها وايقانها بما في الكتاب الالهي اساس اليقين الثابت . ولائها نسيا ان الانبياء صرّحوا بان طريق المجد تمرّ على الرفض والآلام والقبر^(١)

لم يبدِ يسوع تعلماً عند ظهوره الاول والثاني . لكنه الآن يلقي تعلماً وافياً على هذين المجهولين في التاريخ الخارجين عن صف الرسل . ابتداءً من موسى وجميع الانبياء يفسر^(٢) لها الامور المختصة به في جميع الكتب . فلو سئلنا ما هي اعظم خسارة من اقواله التي لم تحتفظ نجيب انما الشرح الذي فسّر فيه النبوات والاشارات والرموز المختصة به في كل اسفار التوراة . ولا سيما المشيرة الى آلامه وموته وكفارته . فاكان اعظم اندهاش هذين في اثناء هذا الشرح مدة ساعتين مضتا كأنهما دقيقتان بسبب تلذذ كليوباس ورفيقه واستفادتهما . لان كتابهم التوراة صار دفعة واحدة كأنه كتاب جديد . وهذا المتكلم فتح ذهنهما للفهم واشعل قلبيهما للشعور . وهذا الفعل المزدوج فعل روحه على الدوام في كل من يصغي اليه باخلاص اذ يترجم لفهمه اقوال الكتاب ثم يطبعها على قلبه . وصف كليوباس ورفيقه شعورهما بهذا الكلام "ألم يكن

الاشخاص الذين حسبوا رمزا للمسيح فانه اخي ذاته عن اخوته في بادى الامر لاجل

افادتهم ثم استعلن لهم تك ١: ٤٥-٤٦

(١) قابل اشعيا ٥٢ ودانيال ٩ (٢) في اليونانية "يترجم"

قلبتنا ملتهباً فينا اذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب ؟
 اخيراً اقتربوا من قرية عمواس فودعها كأنه قاصد ان يتقدم الى مكان
 ابعد ان سمحاً له . فاقفاه بقولها " امكث معنا لانه نحو المساء وقد مال
 النهار " . فقبل دعوتها ودخل ليملك معها . مكث معها جسدياً هنيئاً ليحقق
 لها انه يملك معها روحياً على الدوام . لكن لما جلسوا على مائدة العشاء اتخذ
 مقام صاحب البيت لا مقام الضيف . لانه اخذ الخبز وبارك وكسر وناولها .
 فاتبها . عند الجلوس اعنيادياً على مائدة الطعام يجب ان نذكر رباسة يسوع
 على موائدنا وانه هو الذي يعطي الجميع طعامهم في حينه ^(١) . فالشكر له قبل
 تناول الطعام واجب مقدس

لما انتقلت هذه الحركات مع شرحه العجيب في الطريق ومع هيبته الشخصية
 انفتحت اعينها فرأيا مسيحيها المفقود . فكان رد الفعل عظيماً فيهما من اليأس
 الى الابتهاج . لكن حالما عرفاه اختفى عنهما . وفي تلك الساعة من المساء قاما
 وعادا الى اورشليم لبشرا محبي يسوع اليائسين . ولو كان كل من يظهر له
 يسوع روحياً يسرع نظيرهما لبلغ الآخرين الشهادة بنضله ورحمته الخلاصية
 ما كان اعظم البركة الحاصلة له ولمن يسمع شهادته

بينما كان كليوباس ورفيقه راجعين الى اورشليم في نور البدر ظهر يسوع
 ظهوره الرابع . لم يذكر من البشيرين غير لوقا هذا الظهور وهو يذكره في
 هذا اللفظ الوجيز . " الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان " ^(٢) . لذلك نجعل
 تماماً مكانه وساعته وكينيته وما دار فيه من الكلام بين المخلص وزعيم رسله
 لكننا نرجح ان المقصود منه ان يتحقق بطرس على انفراد بفناء حب يسوع له
 وثقته به وقبوله توبته على اثر سقطته الهائلة ليسلم من خطر اليأس الشخصي
 بسبب هذا السقوط

(١) مز ١٤٥: ١٥ (٢) يذكر بولس ايضاً هذا الظهور في قوله " بعد ذلك ظهر

لصفا " اكو ١٥: ٥

وفي مساء هذا اليوم المجيد اجتمع الرسل وآخرون معهم سرًا خوفًا من ان يعنفهم الرؤساء ليهلكوهم كما اهلكوا سيدهم . ولا سيما لان المخبر بان يسوع قام قد هيج الرؤساء كثيرًا . فغلقوا الابواب تحفظًا ^(١) . وكان توما الرسول غائبًا عن الاجتماع لاسباب مجهولة ^(٢)

في هذا الاجتماع قصَّ بطرس عليهم خبر ظهور يسوع له . وفي اثناء ذلك قُرع الباب . ولما عرفوا ان كليوباس ورفيقه على الباب قبلوها . فوجد هذان ان المجتمعين يتجادثون في ان يسوع قام بالحقيقة وانه قد ظهر لبطرس . فاخبراهم " بما حدث في الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز " . فيظهر ان بعض المحاضرين كانوا لا يزالون يشكّون في حقيقة قيامته ويفسرون ظهوره للمجدلية ثم للنساء ثم لبطرس انه وهي . فقيل " انهم لم يصدقوا ولا هذين "

ففي هذا الاجتماع مساء يوم قيامته ظهر يسوع فجأة ودون فتح باب لدخوله ووقف في الوسط وقال لهم " سلام لكم " . لم يقل " سلام عليكم " كأنه سلام خارجي زمني بل " سلام لكم " . لانه سلام داخلي روحي يهبه هو لهم في وسط اسباب الجزع والاضطراب . وقد جاء ذكر هذا الركن من اركان ملكوت الله في خاتمة ترنيمة زكريا النبوية . وفي البشارة الملائكية عند ولادة يسوع . وفي التحية التي أمر تلاميذه ان يلتقوها على كل بيت يدخلونه في تبشيرهم . وهو الارث الذي خلفه لهم في خطابه الوداعي لما قال " سلامًا اترك لكم سلامي اعطيكم . ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا " ^(٣) . ثبت لهم هذا الارث بموته ثم قام ليملكهم اياه بنفسه . فالسلام لنظرة الاول في اجتماعه الاول بهم كهيئة . والآن يسكن رئيس السلام ^(٤) اضطراب قلوبهم بقوله " السلام لكم "

(١) يرجح ان محل اجتماعهم كان العلية التي اكلوا فيها الفصح (٢) لا يستغرب قول لوقا "الاحد عشر" حال كون توما غائبًا ويهوذا قد مات . لان لقب الاثني عشر والاحد عشر كان يطلق على الهيئة الرسولية بقطع النظر عن كمال العدد (٣) يو ١٤: ٢٧

(٤) اش ٦: ٩

كما سكن سابقاً بكلمة اضطراب البحيرة . به وحده يحصل المؤمن على سلام مع الله^(١) ومع ضميره الذي يدينه^(٢) ومع البشر في المعاشرة اليومية وفقاً للوصية الرسولية "حسب طاقتكم سالموا جميع الناس"^(٣)

لكن الرسل لضعف ايمانهم لم يكونوا مستعدين لهذا السلام المقدم لهم . بل جزعوا وخافوا وظنوا أنهم رأوا روحاً . فنعذرهم لان هيئته غير معروفة عندهم . كان ظهوره كل مرة بعد قيامته بهيئة غير القدية ضرورياً لاجل تحقيق التغير العظيم الذي حصل لجسد في قيامته . فلا عجب ان الشخص الذي كان يظهر ويختفي فجأة ويظهر كل مرة بهيئة جديدة حير التلاميذ جداً وبما ان يسوع كان يكلمهم كثيراً بامثال والغاز يظهر انهم حسبوا كلامه عن موته وقيامته من هذا الباب . فلم يكثر ثوابه كثيراً . ولا اكثر ثواب الشهادة النساء . لانهم اكثر عرضة للاوهام . فاسباب كهذه كان شكهم اقرب الى المعقول . وكان توبيخ يسوع اياهم لطيفاً . قال "ما بالكم مضطربين" ونفى كونه خيلاً كما توهموا بسبب كيفية دخوله وتلفظ بدعوتهم ليلمسوه قائلاً "انظروا يدي ورجلي"^(٤) اني انا هو . جسدي وانظروا . فان الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي . واراها جنته ايضاً"^(٥)

هذه مرة أخرى اكرم يسوع شهادة الحواس اثباتاً للحقيقة . وأيدها في أهم القضايا اي قيامته . حواس الانسان موهبة الهية لاجل قيادته . فاشهد به حواسه صريحاً في حالة الصحة ليس له ان يكذبه . وهذا لا ينفي الحقيقة الاخرى اي وجود عالم روجي فوق ادراك الحواس . فاليقين يتناول هذه ايضاً لما رأى يسوع ان مزيد فرحهم حرهم التصديق التام اضاف على ما سبق انه طلب طعاماً . ولما ناولوه من العسل والسمك المشوي الجاهز لديهم

(١) رو ١: ٥ (٢) في ٤: ٧ وكو ٣: ١٥ (٣) رو ١٢: ١٨ (٤) المتقوبة

على الصليب (٥) الذي طعنه العسكري بحربة

أخذوا كل قدامهم^(١) . ثم فعل مع هؤلاء المجنبيين فعله مع التلمذين في طريق
عمواس . لانه فتح ذهنهم ليفهموا الكتب وذكرهم بالنبوءات القديمة وبانبياءه
المكررة . فجاز الآن بعد تسكينه خوفهم ان يوجههم على عدم ايمانهم وقساوة
قلوبهم لعدم تصديقهم قول الذين كانوا قد نظروا بعد ما قام . ولا سيما لان
شهادة هؤلاء كانت طبق اقوال الكتاب

وأكد لهم اهمية الكرازة باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الامم مبتدئا
من اورشليم وانهم يكونون شهودا في كرازتهم لما عاينوه وسمعوه وتيقنوه .
واعاد لهم وعده بارسال الروح القدس الموعد به ايضا من الآب^(٢) .
واوصاهم ان لا يبرحوا من اورشليم بعد صعوده قبل ان يلبسهم هذا الروح
قوة من الاعالي . ومع تكرار السلام سلمهم وظيفته في قوله " كما ارسلني الآب
ارسلكم انا "

ثم نفخ وقال لهم " اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تغفر له ومن
امسكتم خطاياهم امسكت^(٣) . هذا هو الكلمة الذي كل شيء به كان وبغيره لم
يكن شيء مما كان^(٤) . والذي به ايضا عمل الله العالمين^(٥) . فكما نفخ في الانسان
الاول نسمة الحياة الطبيعية نفخ الآن في هؤلاء اليبائسين نسمة الحياة الروحية
المجدية

كرّس يسوع هذا اليوم الاول في الاسبوع بقيامته ثم بظهوراته الخمسة
التي ذكرت . فلا عجب انه تأسس عند تابعيه اعتبار فائق لهذا اليوم . لان
فيه وضع نظاما جديدا واساسا لكنيسة جديدة ولعالم جديد بمعنى روحي .
وكرّسه عمدا ليكون على الدوام يوما خصوصيا لتابعيه . كرسه عوضا عن
السبت اليهودي الذي كان تذكارا تمام الخلق الطبيعي في فجر التاريخ البشري

(١) اثار بطرس فيما بعد في وعظه الى الاكل والشرب مع يسوع بعد قيامته اع ١٠: ٤١

(٢) انظر ٤٤ (٣) انظر ٢١ (٤) يوا ٢٠ (٥) عب ٢٠ انظر

٩٠١ وكوا ١٦

وجعل هذا اليوم الاول تذكاراً لاتمام الخليقة الجديدة في عمل الفداء. وما يؤيد هذا اليقين غيابة تماماً عن تابعيه اسبوعاً كاملاً قبلما ظهر ظهوره السادس في الاحد الذي بعده. ثم أثبت هذا الاستبدال بسكبه الروح القدس لميلاد الكنيسة المسيحية يوم الاحد في عيد الخمسين. وقد اهتمّ البشرون كلهم بان يوردوا خبر هذا الظهور الخامس امام الرسل العشرة خلافاً للظهورات الاخرى

لما ظهر في الاحد الثاني ظهوره السادس كان التلاميذ داخلين كما كانوا في المرة السابقة ونوما معهم. فجاء يسوع (كما في الاول) والابواب مغلقة ووقف في الوسط وحياتهم بذات الفاظ تحيته الاولى. اما وجود التلاميذ في اورشليم بعد القيامة بثمانية ايام حال كون يسوع اوصاهم ان يسبقوه الى الجليل فلانما واجبتهم في اسبوع العيد. وبما ان ذلك يقربهم الى السبت الثاني أجّلوا السفر البعيد الى بعد السبت. ثم الى بعد الاحد وراءه الذي اتخذوه تذكاراً لقيامة يسوع^(١)

الظاهر ان يسوع جاء بالاكثير في هذه المرة لاجل توما. لانه حالاً دعاه ليفعل حسب قوله لكي لا يكون غير مؤمن بل مؤمناً. ونعلم جيداً كيف عاند توما واصرّ على عدم الايمان على رغم البراهين الكثيرة القوية التي اقنعت رفقائه وكيف اشرط لاجل ايمانه ان يبصر أثر المسامير في يدي سيكه ويضع اصبعه فيها. وان يضع يده في جنبه المروح بطعنه حربة الجندي الروماني. علم يسوع هذا كله سواء اخبره به الرسل او عرفه بعلمه العجيب دون خبر. ومع هذا عامله بكل رقة وتساهل. لان العلة في راسه لاني قلبه

لا نعلم هل نجل توما من كلام يسوع ونحى عن وضع اصبعه ويده ام لا. انما نعلم انه حالاً طرح شكوكه في الهواء وصرّح بايمانه التام. وفاق كل الذين سبقوه في الايمان قائلاً "ربي والهي". انتقل دفعة واحدة من مزيد

(١) يرى البعض ان توما آخرهم بسبب عدم ايمانه فقصدوا ان يعطوه فرصة للتحقيق

الشك الى مزيد اليقين . لكن قبل ان تركه يسوع ونجته بيان افضلية
 الايمان الذي لا يتطلب العيان . لانه بعد العيان لا يعود الايمان ايماناً . الايمان
 حسب تعريف الرسول هو "الثقة بما يرجي والايقان بامور لا ترى" (١) .
 فالطوبى حسب حكم يسوع هي للذين آمنوا ولم يروا . وهذه مذخورة لجميع
 المؤمنين في كل الازمان . فلا يحسدن احد اولئك الذين بنوا ايمانهم على
 رؤيته . "اذ سبق الله فنظر لنا شيئاً افضل" (٢) . اي تطويلاً لم يعط للذين
 شهدت لهم حواسهم بمخائلي الدين الجوهريّة

ندح توما على طلبه البراهين الكافية قبل التسليم الكامل في قضية دينية
 جوهريّة . لانه لا يجوز تعليق اليقين الديني على خيوط العنكبوت . ولا يكفي
 الفهم بانه تناول اليقين الديني من اسلافه لئلا يكون قد تناول الضلال . لان
 الضلال يتسلسل كما يتسلسل الحق . ولا يكفي ان يتناول يقينه من علماء جيله
 بدون ان يقف على البراهين التي يستندون عليها . يجوز القول ان الشك
 في الدين هو باب اليقين . لان الشك يودي الى الفحص . والفحص الى اليقين
 في ما يستحق اليقين . ولا يقين حقيقي الا بعد الفحص

فعلى مَ يوجب توما ؟ يوجب تجاوز الحد المعقول في اصراره على براهين
 اكثر من الكافية . يوجب لظاهره عدم الميل الى اليقين كأنه يطلب عذراً
 يتذرّع به لاجل الانكار . اخطأ توما في تشبهه بالبراهين الحسية كأنه يزدرى
 بالمعنوية والروحية . فاذا كان لا يذم على اشتهاؤه ان يرى كما رأى غيره يذم
 على عدم قبوله شهادتهم . ولو فعل الفضاة في احكامهم فعل توما لاستعمال
 الحكم في اي قضية كانت . لانه لم يسمع في الزمان ان قاضياً أصر على ان يرى
 بعينه ما رآه الشهود في دعوى تقدمت له . ولو اقتدى الناس بتوما في ما فعل
 لبطل التبشير تماماً وانطفأ انجيل المسيح واخسئت الكنيسة المسيحية في مهدها
 وكما ان الشك هو باب اليقين هو ايضاً باب الانكار . لان الشك

لا يبقى طويلاً حتى يتحوّل اما يقيناً او انكاراً . فالنهي المستقيم يبذل الجهد في فحص موضوع شكّه ليصل الى اليقين او الى الانكار . لكن القدير الذي يحوّل الشرّ خيراً متى شاء حوّل شكوك توما الى اقوى البراهين على حقيقة القيامة . لانها سببت ظهوراً سادساً ليسوع . وباقتناع هذا المصّر على الانكار ما لم يحصل على براهين حسية لم يبق ريب في صحة ما اقتنع وجاهر به فيما بعد نرى حكمة يسوع في امره تلاميذه ان يسبقوه الى الجليل حيث معظم القوم المؤمنين به . فيجئ هؤلاء ان يسمعو من مواطنيهم الرسل وخلافهم من رجال ونساء خبر آلام يسوع وموته وقيامته . ألبست هذه الحوادث أهمّ عاقبة واثبات لكل التعاليم التي سمعوها من يسوع ايام تبشيره في الجليل ؟ فيوافق ان تعطى أولاً للجليليين وسائط الايمان التام به . لانه مزع ان يعين اورشليم محل خدمة رسله بعد صعوده . وفيها لا في الجليل سيكون نجاحهم الممتاز . ثم انه يريد ان يظهر دفعة واحدة لجمهور المؤمنين به . وهذا لا يتيسر له الا في الجليل . ويريد ان يحضر رسله ومن معهم الآن في اورشليم هذا الاجتماع . اما حكمته في هذا التعيين فظاهرة لاسباب كافية . منها كون اثبات قيامته في اورشليم سهل وفي الجليل صعب لبعدها عن محل حدوثها . وبهذا التعيين يقدم للأمة اليهودية ورؤسائها فرصة جديدة بعد الكثيرة السابقة لقبولهم كمسيحهم الحقيقي

فبعد ما اطاعوا امره المكرر ووصلوا الى الجليل ظهر لثبته منهم ظهوره السابع بعد قيامته . اما قول يوحنا ان هذه مرّة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الاموات فيعني انها المرّة الثالثة التي ظهر فيها لمجتمع من التلاميذ بنقطع النظر عن ظهوراته الاخرى الافرادية . وقد سبق القول ان في اللفظة "أظهر نفسه" اشارة الى حالته الجسدية الجديدة التي جعلته ان لا يرى الا من الذين يتصد هو ان يروه

اختار مركز هذا الظهور شاطئ بحر الجليل الذي قدسته قدماء

الطاهرتان اذ يتردد كثيراً الى هناك . وهو أجل موقع في الارض المقدسة . واختار وقتاً حين وجد في سفينة واحدة سبعة من افضل تابعيه الذين هم رجاء الكنيسة المسيحية الطفلة واعتماد العالم الى آخر الزمان . وهم سمعان بطرس بن يونا الملقب بطرس . ورفيقه الخوصي يوحنا بن زبدي الملقب الحبيب . ويعقوب اخو يوحنا . وتوما الذي شفي من مرض الشكوك . والخامس كان ذلك النبيل الذي قال عنه يسوع أول ما دعاه انه "اسرائيلي حقاً لا غش فيه" اي ثنائيل او برثلماوس . اما السادس والسابع فلم يذكر بالاسم . والارجح انها اندراوس وفيلبس

لما دعا يسوع الرسل في البداءة دعاهم ليكونوا صيادي الناس عوضاً عن صيادي السمك . وعلمهم بالقول والاختبار انه لا يعوزهم شيء من الحاجيات الزمنية متى تفرغوا للتبشير باسمه^(١) . وفي خطابه الاخير اوضح لهم ان كل من بحبة يحفظ وصاياه . فها كل المعدات اللازمة لمارسهم هذه المهنة الجديدة جاهزة لديهم . عندهم تعاليمه بتمامها وسيرته الفريدة والامة وصلبه وقيامته وظهوراته لم مراراً بعد قيامته . ومع ذلك نراهم الآن يعودون الى مهنتهم القديمة لعلة المعاش . كأنهم نسوا فجأة كل ما تعلموه منه^(٢)

قادهم بطرس بقوله "أنا أذهب لأنصيد" . فاجابوا "نذهب نحن ايضاً معك" . وذهبوا . غير انهم "في تلك الليلة لم يسكوا شيئاً" . لم يعلموا ان العناية الالهية هي التي أمسكت عنهم الفلاح حباً لم لكي يضعف ميلهم الى عملهم القديم فيسهل تمسكهم بالجديد الذي سلمهم اياه . ولاظهار قوته العجيبة وتهيب الطريق لان يتعلموا ان نجاحهم في الصيد الروحي كما في المساعي الزمنية ايضاً يتوقف على بركة السيد لا على سعيهم

لما مضى الليل ولم يأخذوا شيئاً سحبوا الشباك الى السفينة وتوجهوا نحو

(١) لو ٢٢: ٣٦ و ٣٧ (٢) حجبنا في هذا التفسير نجدها في ما يلي وعلى الاخص في

البر عند بزوغ الفجر . فبينما هم على بعد نحو مئتي ذراع عن البر جاءهم صوت من شخص غريب واقف على الشاطئ يناديهم "يا غلمان أَلعلَّ عندكم إداماً؟" لما أجابوه "لا" قال لهم ان يلقوا الشبكة الى جانب السفينة الايمن فيجدوا . ففعلوا بالباقة حسب اشارة هذا الغريب الذي تجاسر ان يعلمهم في حرفتهم لكن دون أمل بالنجاح . فكوفئوا بانهم لم يعودوا يقدررون ان يجذبوا الشبكة "من كثرة السمك"

يوحنا الحبيب لذكائه وحنانه وتذكره المعجزة التي كانت على شكل هذه منذ ثلاث سنين في هذه البحيرة دائمة^(١) سبق الى ادراك الحقيقة ومعرفة سين المتخفي كما سبق في ركضه الى القبر^(٢) . فقال لرفيقه بطرس "هو الرب" . ظهر في التلاميذ مفعول قيامة يسوع في انه بعد ان كان اسمه عندهم "المعلم" صار اسمه "الرب" . صدق بطرس حالاً قول يوحنا . فأنزr بثوبه والتي بنفسه في البحر لبأني الى يسوع . اخطأ في تركه السفينة ورفقاءه والشبكة الملائة سمكاً . لان يسوع هداهم الى السمك ليجمعوه لا لينركوه . وخطأ في تركه العمل على رفقاءه واسراعه الى يسوع كأنه اوفر غيره وحباً له منهم . فرفقاءه الستة الذين بامانتهم في العمل اظهروا احتراماً حقيقياً للذي افضل عليهم يُدحون اكثر من بطرس . وبعد ما جرّوا الشبكة مسافة المئتي ذراع . وداست اقدامهم الشاطئ تركوا الشبكة الملائة في البحر ليقدموا واجباتهم لسيدهم

فنظروا عند ذلك "جرّاً موضوعاً وسمكاً موضوعاً عليه وخبزاً" . لكن هيئة يسوع لا تزال مستغربة عندهم وموجبة للشك . فابتدأ بامرهم لم ان يقدموا من السمك الذي في الشبكة . فانتبه بطرس لغلطه واسرع كعادته للعمل . وجذب الشبكة الى الارض . ولما أحصى السمك وجد عدده مئة

وثلاثاً وخمسين سمكاً كبيراً فاندھشوا^(١). علموا بشهادة ام العين ان هذا الغريب لم يسألهم أولاً "ألعل عندكم إداماً"؟ حاجة له. وعلموا من نجاحهم اهتمامه بصالحهم الزمني. ورأوا في هذا النجاح معجزة حقيقية. فخاروا جداً في امرهم. اشتهروا ان يسمعو من فم تلميذ ان الرب كما استدلوا. امكن نجلوا وخافوا من تبكيته ان سالوه. وكانت عندهم سلامة الشبكة من التمزيق معجزة ثانية. ولا بد من انهم اخذوا في هذه الحادثة ذخيرة تفيدهم كثيراً فيما بعد في عملهم الدائم اي صيد النفوس.

يسوع عالم ان التعب كل الليل ثم الجوع قد اعياهم. فبجكته اهتم أولاً بمحاجتهم الزمنية. فقال لهم "هللو تغدوا". وأخذ الخبز واعطاهم وكذلك السمك. وبعد ما تغدوا أعار بطرس التفاتاً خصوصياً ليعلم هو ويعلم رفقاءه ان توبته بعد سقوطه العظيم قد قبلت وان مركزه الرسولي محفوظ عند سيده. وكان هذا الالتفات مقروناً بتوبيخ معنوي لطيف للجميع ولا سيما له لتركهم صيد النفوس ليتبعوا صيد السمك.

ثم عاد بهم بالفكر الى العلية في اورشليم وقت عشاء الفصح حين قال للجميع انهم لا يتركونه وقال بطرس منتخراً "اني مستعد ان امضي معك حتى الى السجن وإلى الموت". "وان شكك (اي عثر) الجميع فانا لا اشك. ولو اضطرت ان اموت معك لا انكرك". فهل صدق في افتخاره المحي؟ وهل فاق رفقاءه في ساعة الامتحان الشديد الآ في سقوطه؟

كطبيب روي يجرحه يسوع الآن ليشفيه. فسأله "أتجبن أكثر من هؤلاء؟" اي أكثر مما يجنبني رفقاؤك الرسل الذين مع انهم تركوني خوفاً لكنهم لم ينكروني^(٢)؟ فاجابه على النصف الاول من سؤاله "نعم يا رب انت

(١) وتأثير ذلك ظاهر في ان يوحنا يذكر العدد تماماً بعد ستين سنة

(٢) لو كان في سؤاله معنى هل تجنبني. أكثر مما تجنب رفقاؤك او ما تجنب الاسماك اي الخبثات الزمنية لكان بطرس مضطراً ان يوكد ليسوع انه يجنب أكثر من هؤلاء. فمن

تعلم اني احبك". لم يقل "اكثر من هؤلاء". ولم يستعمل لنفسه الكلمة في المحبة التي استعمالها يسوع بل كلمة اضعف اخثارها تواضعاً ولياقة^(١)

يسوع يسأل عن الاساس قبل البناء وعن الاصل قبل الفرع. لذلك لا نسمعه يسأل بطرس عن اعماله. ولا عن معارفه. ولا عن مقاصده. بل عن اصل كل هذه واساسها اي حالة القلب. سألته عن شعوره الداخلي. لو سألته عن اعماله لما نال بطرس غير الدينونة والخجل ولصمت عن الجواب. لان ظواهره كانت معيبة. الانسان الذي ظواهره الحسنة تخالف بواطنه السيئة بعد مرائياً. اما بطرس فكانت ظواهره الشريرة تخالف بواطنه الصالحة.

لذلك سيتبع الصلاح الخارجي ايضاً شره الوقي عن قريب

لكن لما كانت حالة القلب تستلزم اعمالاً تناسبها وتبرهنها لم يكتف يسوع بان يحبه بطرس. بل طلب منه العمل ايضاً. فقال له "ارع خرافي". معيداً له بهذا الكلام الوظيفة الرسولية التي سقطت عنه بسقوطه. ومبدلاً صورة صياد النفوس بصورة راعي النفوس. لان هذا الرسول قد اخطأ ليس فقط في تركه صيد النفوس لاجل صيد السمك. بل ايضاً في تركه رعاية غيره لاجل رعاية ذاته. في هذه الوصية بالخراف^(٢) نرى مثالة لجميع الرعاة الروحانيين ان يتدثروا في خدمتهم بالصغار كصغار السن وصغار النفوس كالفقراء والضعفاء والبيائسين

ولاجل زيادة التأثير اعاد يسوع سؤاله تاركاً كلمة خرافي وقائلاً "ارع غني". فاخذ ذات الجواب الاول. نعلم ان بطرس في العلية كرر ثلاث مرات تكذيبه قول يسوع انه سينكره. ثم كرر انكاره ثلاث مرات. فالان يسوع يكرر ثلاث مرات سؤال الامتحان. والمرّة الثالثة جرحت بطرس اكثر. فحزن واجاب بانفعال طافح بالحب. "يا رب انت تعلم كل شيء انت

تركه كلمة اكثر من هؤلاء في جوابه ننضح صحة تفسيرنا (١) هذا التمييز ظاهر في

اليونانية وضائع في العربية (٢) الكلمة اليونانية المترجمة "خراف" تعني الحملان الصغيرة

تعرف اني احبك“ واخذ مرةً ثالثة الوصية السابقة. فأخّر سؤال نعلم ان يسوع قدّمه لبشر كان ”أَتَحْبِنِي“؟ لان المحبة أعظم اركان الدين واعظم ما في العالم^(١). هي تكميل الناموس^(٢) ورباط الكمال^(٣). لان الحب لا يمكن الا ان يطيع الهًا بحبة. ولا يمكن ان يفعل الا الخير لقريبه المحبوب. ثم شجع يسوع بطرس بتأكيد له انه سيعوّض في آخر حياته عن سقوطه باستشهاده في سبيل الايمان^(٤). ولما قال له اتبعني مشى يوحنا وراءهما. فلما رآه بطرس تظنل حسب عادته وسأل يسوع ماذا يريد ان يفعل يوحنا. فاسكنه قائلاً ”ان كنت اشاء انه يبقى حتى آجيء فماذا لك؟ اتبعني انت“. في قول يسوع ”ان كنت اشاء انه يبقى“ يظهر سلطانه على الحياة. وهذا ليس لانسان بشر محض. اما التلاميذ فاخذوا قول يسوع بمعنى ان يوحنا لا يموت. واخطأوا في ذلك. والارجح ان يسوع يشير الى مجيئه لاجل دينونة الامة اليهودية في خراب اورشليم. ويوحنا هو الوحيد بين رسل يسوع الذي نعلم انه عاش الى ما بعد ذلك الحادث الخيف. يختم البشير يوحنا كلامه في براهين قيامته الحقيقية بقوله عن نفسه ”هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا. ونعلم ان شهادته حق“

(١) ١ كو ١٣: ١٣ (٢) غل ١٤: ٥ (٣) كو ١٤: ٣ (٤) ثم ما انبأه يو

يسوع ان صدقت اخبار القديس اوريجانوس وغيره ان بطرس مات صليبا كسيده. لكن يطلب منه تواضعا صلب منكسما. نقرأ صدى وصية يسوع له في ما كتبه وهو شيخ للشيوخ نظيره في الكنائس. قال ”ارعوا رعية الله التي بينكم نظارا. لاعتن اضطرار بل بالاخيار. ولا لالرج قبيح بل بنشاط. ولا كمن يسود على الانصبه. بل صائرين امثلة للرعية. ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون اكليل المجد الذي لا يبلى (١ بط ٢: ٢٥ و٢٦)

الفصل الثاني والخمسون

(مت ١٧: ٢٨ - ٢٠ مر ١٥: ١٦ - ٢٠ لو ٢٤: ٥٠ - ٥٣)
اع ١: ٤ - ١٢ اكو ١٥: ٦ و ٧)

(المرصع) ف ٥٢ (الزمان) نيسان وإيار السنة ٣٠ م
(المكان) اورشليم جبل الزيتون

الظهور الثامن . اقوال يسوع العظيمة وإثباتها قيامته . اهمية التبشير . الظهور التاسع .
ظهوراته حُصرت في المؤمنين . قوّة القيامة . الظهور العاشر . كلام الوداع . صعوده الى
السما . موجبات فرح رسله . مجيئه الثاني . لائحة تعاليمه . هباته المجيدة . بينات عظمته

ان اهم ما ورد بخصوص ظهورات يسوع بعد قيامته قول البشير لوقا
في كتابه الثاني انه " اراهم ايضا نفسه حياً يبراهين كثيرة بعد ما تألم . وهو
يظهر لهم اربعين يوماً . ويتكلم عن الامور المختصة بملكوت الله " (١) . قضى يسوع
في اول خدمته اربعين يوماً في مصارعة ابليس في البرية . والآن يقضي
اربعين يوماً يتردد ويظهر لنلاميذ بيانا لا انتصاره الاخير على ابليس .
وليسهل لهم ولجميع المؤمنين فهم حضوره معهم روحياً على الدوام
ومن اهمّ ظهوراته الظهور الثامن . وهو ايضا الثاني والاخير في وطنه
الجليل . لم يرد خبره الا في رسالة الرسول بولس الى كنيسة كورنثوس في بلاد
اليونان . قال " بعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة اخ اكثرهم

باقٍ الى الآن . ولكن بعضهم قد رقدوا^(١) . وقول متى "ولما رأوه
سجدوا له . لكن بعضهم شكوا"^(٢) يلام هذا الظهور أكثر من غيره . فمع أنه
يستنتج من عبارته ان هذا الشك يُعزى الى الرسل نقول ان ذلك غير
معقول بعد ذهابهم الخصوصي الى الجليل لملاقاة يسوع . وبعد كل ما اخذوه
في اورشليم من البراهين القوية قبل ذلك . فبأنه يجوز اتخاذ قول متى
مشيراً الى هذا الاجتماع الكبير بفضل التفسير الذي يعزى الشكوك المحكي عنها
الى افراد من الخمسمئة اخ الذين اشار اليهم بولس الذين لم يشاهدوا له
ظهوراً آخر . وشك هؤلاء معقول بالظن الى التغيير الكلي في هيئة يسوع
الخارجية البشرية مما صعب التصديق بأنه هو^(٣)

اجتماع خمسمئة اخ في وقت واحد دليل على نجاح ليس بقليل . والبقاء
هؤلاء في احد جبال الجليل حسب تعيين سابق كان ضرورياً ليمكن عدد
كثيلاً من مشاهدته دفعة واحدة . وفي خبر هذا الاجتماع اوضح دليل على
حقيقة قيامة يسوع . لأنه يحتمل على كلام فاه به لتلاميذه يستحيل اختراعه
على فرض عدم قيامته . وانما لم ننس بعد افكار التلاميذ الصيانية في ما مضى .
وخور عزيمتهم بعد صلب سيدهم . مع دوام آمالهم بملكوته زماني يسعدهم . فلا
يحتمل ان هؤلاء يستنبطون اقوالاً سامية كالتى وردت في هذا الخبر ينسبونها
كذباً او وهماً الى يسوع ؟ وعلى فرض ان هذا الكلام صدر عن تصوراتهم فاية
غاية لهم ان يضعوه في قم يسوع بدلاً عن بيان الصدق والإقرار بالترقية
الفكرية والروحية التي تجددت فيهم ؟ وهل يمكن ان ننسب اليهم غباوة عظيمة
لهذه الدرجة انهم يصورون كلاماً مبهماً كهذا الكلام ويعزونه الى متكلمي لا يزال
جنة هامة في قبره ؟

(١) اكو ٦: ١٥ (٢) مت ١٧: ٢٨ (٣) ساقنهم تلك الشكوك الى التحقيق .
فلم يتركوا لنا شكاً في صحة قيامة يسوع كما لموسى وبدون فحص بكل شيء يريدون صحة
(أدي في مت ٤٢٦)

فلننتبه الى بعض هذه الاقوال القوية . "دفع اليّ كل سلطان في السماء وعلى الارض". فاي جنون يُنسب الى كاتب يقول ان شخصاً صُلب باهانة فائقة امام جماهير من كل انحاء العالم يفوه بكلام كهذا ؟ ثم "فاذهبوا الى العالم اجمع وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس". معلوم ما هو تعليم اليهود ومشرهم منذ القديم في انهم يتشبثون بالانفراد عن غيرهم من الأمم . ويحصرّون الدين وفوائده في جماعتهم ويحتقرون كل الشعوب الاخرين دينياً

فكيف يُنسب بحق الى هؤلاء الصيادين اليهود هذا القول في الذهاب الى العالم اجمع وتلمذة جميع الامم ؟ وهل يتصور احد ان رجلاً بسطاء وفقراء ومضطهدين وهم من تبعة اصغر شعوب العالم واحقرها آتخذ يحملون ان يُخضعوا جميع الشعوب لسطوة سيدهم والايمان به ؟ وهل يُعقل ايضاً ان اشخاصاً كهؤلاء يستنبطون تعليماً مبنياً على معرفة طبيعة الاله الواحد في ثلاثة اقانيم بينما هذا لم يُذكر في تعاليمهم اليهودية ؟ وعلى فرض ان اعتبارهم يسوع جعلهم يقرنون اسمه في التعميد مع اسم الآب فمن اين اتوا باسم الروح القدس ايضاً ؟

لكن اعظم ما فاه به من الكلام واقواه دعامة للقيامة قوله "ها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر . من آمن واعتمد خلص . ومن لم يؤمن يدن". فاذا كان لم يَقمْ لا يمكن ان يكون معهم . وان كان معهم حقاً فلا يبقى ريب في قيامته . فيما ان حضوره معهم لا يكون الا روحياً اراد ان يحققه لهم بواسطة علامات ظاهرة للحواس في السنين الاولى بعد اخمفائه اي بواسطة معجزات يعطيهم ان يفعلوها . ومتى دونوا خبرها في تاريخ صادق يكفي ذلك شهادة للعالم فيما بعد . ولا يعود يلزم تجديدها جيلاً بعد جيل

لذلك وعدمهم ان "هذه الآيات تتبع المؤمنين . يخرجون الشياطين باسمه . ويتمكثون بالسنة جديدة . ويحملون حيات . وان شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم . ويضعون ايديهم على المرضى فيبرأون". لذلك كانت الآيات التي صنعها

الرسول فيما بعد باسمه اثباتاً كافياً لكل ما ورد في هذا الخطاب الذي تأيّدته
فحواه على صورة عجيبة ظاهرة في التاريخ القديم ودالة على نجاح غير متظر
مطلقاً وبكاد لا يصدق . لان هذه الزمرة الضعيفة نشرت التعليم المسيحي في
اكثر البلدان الراقية بوقت قصير جداً . وانضمّ ملايين من الامم الى الكنيسة
المجدبة . فإخبار هذا النجاح الصادقة تعضد كثيراً القول بالقيامة الحقيقية
وبنسبة هذه الاقوال القوية الى يسوع ذاته

الكلام في هذا الخطاب الوداعي لتلاميذه في الجليل مرتبط بعضه ببعض
ارتباطاً فلسفياً متيناً . لان قوله انه صاحب السلطان في السماء وعلى الارض
يحتاج الى برهان . فيعده ان يعطي البرهان في الآيات التي يجريها بواسطة
المؤمنين به . وفي الوقت ذاته تفتقر هذه الآيات الى مسبب قادر ان يجريها .
وهذا يستدعي حضوره معهم كل الايام . فمن القضايا الثلاث تستلزم كل منها
الآخرى وثبتت الواحدة الاخرى باتفاقها . ويسوع لا يقدر ان يمكن رسالة
من فعل الآيات بحضوره معهم وان يكون صاحب سلطان كهذا ما لم يصعد
الى السماء بعد قيامته ويجلس عن يمين العرش في الامجاد السماوية

يتبين من ظهورات يسوع بعد قيامته انه لا يريد الصعود من اعماق
الهاوية التي نزل اليها في عمله الخلاصي الى سمو مجده الاله في السماء دون ان
يمرّ على الارض في جسد قيامته المجد لمؤكد لتلاميذه انتقاله هذا ودوام عنايته
بهم وحبهم لهم . ولكي يسلمهم عمله لتمامه . فهل وجد بين هؤلاء شخص يضاهيه
في الحكمة والقوة الروحية ليستنبط كلام هذا الخطاب ؟

أمر يسوع لتلاميذه ان يبشروا العالم بانجيله أمر عمومي ودائم يطلق على
كل فرد من تابعيه . على انما هم هذه الوصية يتوقف وعده لهم بانه يكون معهم
كل الايام . لا يوجد عمل بشري اشرف وأسمى واجزل جزءاً من هذا العمل
التبشيري . لكن النجاح الذي وعد تلاميذه به في تبشيرهم يتوقف على فعل
الاقنوم الثالث في الاله الواحد . هو الروح القدس الذي عليه الاعتماد في

الاعمال الروحية ولا سيما بعد اخفاء الاقنوم الثاني المتأس عن ابصار البشر لذلك اوصى يسوع رسله في هذا الاجتماع "ان لا يبرحوا من اورشليم بل ينتظروا موعد الآب". قال "اما انتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الايام بكثير. ليس لكم ان تعرفوا الازمنة والاوقات التي جعلها الآب في سلطانه. لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم. وتكونون لي شهوداً في اورشليم وفي كل اليهودية والسامرة والى اقصى الارض" (١). ختم البشير متى كتابه بهذا الخطاب الذي جاء تأييداً للاسم يسوع الذي ذكره في اول بشارته - اسم عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا. ويختم مرقس بعد كتابه بكلام في الآيات التي رافقت الرسل بعد صعود سيدهم واثبتت جلوسه عن يمين الله واثبتت ايضاً كلام كرازتهم

اما الظهور التاسع فكان ليعقوب الرسول وحده. وبولس فقط يثبتنا به (٢). فالمطالع النبيه يلاحظ ان ظهوراته كافة (بعد قيامته) حصرت في تابعيه المؤمنين. وهذا الحصر في محله. لانه يعلم ان ظهوره لخصومه لا يأتيهم الى الايمان. قال مرة "ان لم يصدقوا موسى والانبياء ولا ان قام واحد من الاموات يصدقون" (٣). البرهان الحسي لا يكفي لمس القلب وتوليد الايمان بالامور الروحية. مثال ذلك ان الرؤساء علموا يقيناً بواسطة الحراس الذين استخدموهم بان يسوع حياً قام. لكنهم لم يؤمنوا. فيسوع لا يعمل عملاً عتيماً. لا يظهر للذين لا يرجي منهم الايمان والشهادة لقيامته فيما بعد. تكلم بطرس واضحاً في الحصر الذي نحن في صده لما وعظ في بيت النائد الروماني في قيصريه. قال "هذا اقامة الله في اليوم الثالث واعطى ان يصبر ظاهراً ليس لجميع الشعب. بل لشهود سبق الله فانتخبهم. لما نحن الذين

(١) مع اننا نرجح ان هذا الكلام بكليته كان في الاجتماع الجليلي لا يمكن المجزم بذلك.

لانه يجوز ان بعضه قبل على جبل الزيتون قبل صعوده (٢) ١ كو ١٥: ٧ يرجع انه

يعقوب بن حلفى السمي الاصغر او الصغير (٣) لو ١٦: ٢١

أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات . وأوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بان هذا هو المعين من الله دياناً للأحياء والأموات^(١)

ولا يستثنى من هذا الحصر في ظهوراته ظهوره الأعظم والأهم الذي حدث بعد صعوده لما ظهر للشخص الذي ذكرناه سابقاً المتفرغ لمقاومته . (نعني شاول الطرسوسي) . لأنه قاد هذا المبعوض حالاً وفجأة إلى الإيمان به^(٢) . ولهذا الظهور الأخير فائدة جلّ هي نفي الاعتراض أن الذين تصوّروا هذه الظهورات ورووا أخبارها هم محبوه سابقاً وتصوّروها بسبب شدة حبهم له وتمسكهم به . وأن شهادتهم شهادة مغرضين له^(٣) فليست ثابتة . فالقيمة العظمى لظهوراته قوتها لأجل اثبات حقيقة قيامته الأمر الذي لا يمكن المبالغة في أهميته بين كل قضايا اليقين المسيحي

ومن الأمور الحرة بالذكر سكوت الانجيل تماماً عن والدته يسوع بعد ساعات صلبه إلى ما بعد صعوده . لأنه بين الأسماء الكثيرة التي ذكرت من الذين شاهدوا في أثناء الأسابيع الستة بين قيامته وصعوده لم يرد ذكرها مطلقاً

موت يسوع والحوادث المتعلقة به اطفأت في التلاميذ آمالهم السابقة بالملكوت الزماني . لكن قيامته أحييت وجددت هذه الآمال . فلنا في سؤلهم في هذا الوقت برهان آخر لحقيقة قيامته . إذ سأله "يارب هل في هذا الوقت تردّ الملك لإسرائيل" فكان جوابه لم يمان خطيئهم في السؤل مع بيان ماهية الآمال التي يجوز لهم بل يجب عليهم أحيائها . هي الآمال بالثقة الروحية التي تكفل لهم النجاح في عملهم الجديد كشهود ليسوع المخلص . علمهم أيضاً أن

(١) أع ١٠: ٤٠-٤٣ (٢) لم يذكر هذا الظهور في البشائر . بل في سفر الأعمال

للبشير لوقا . ثم في رسالته للذي ظهر يسوع له أع ٩: ٢-٧ كو ١٥: ٨ و٩

(٣) يلاحظ أن المنتقدين في العصر الرسولي ثم في العصور بعده لم يقدموا هذه الحجّة

عند أنكرهم القيامة كما يفعل المنتقدون المتأخرون

يبتدئوا بالقرب في تبشيرهم . ولكن لا يفتول عند هذا الحد بل يمتدوا فيه الى اقصى الارض

ليس عبثاً ان صباح القيامة نسي عند المسيحيين "صباح النور". لان اعظم نور رآه العالم ابرق عند ما قام من قبره ذاك الذي قال "انا هو نور العالم" (١). والحق ان قبر المسيح المفتوح منبع عظيم للنور الروحاني. وضياء محله الحقيقي بدلاً من ان يضعف هذا النور الحقيقي بقوة (٢)

فالشعاع الاول من هذا النور ما سبق شرحه اي تثبيت محي يسوع من السماء واكمال عمله الخلاصي وتحقيق صلاحيته كابن الله وابن الانسان لان يكون المخلص الكافي والوحيد لبني البشر

والشعاع الثاني انارة القبر المظلم سابقاً حتى يزول رعبه من قلوب المؤمنين . نزل يسوع الى القبر امامنا لنستأنس نحن عند نزولنا ورائه. قال مرة "ليس العبد افضل من سيده" (٣). فاذا قد سيدنا قبلنا لانرتجف من ذوقه . لذلك نادى رسوله "ابن غلبتك يا هاوية ؟ قد ابتلع الموت الى غلبة" (٤). وقد سبق الكلام في امتصاص يسوع سم الموت ليسلمنا اياه سليماً . وفي الاسماء الجميلة التي تستعمل كناية عن الموت . ولنا في كلام الرسول بيان مهم لعمل يسوع في هذا الباب لانه قال عنه انه اشترك مع البشر "في اللحم والدم لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت اي ابليس ويعتق اولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (٥)

والشعاع الثالث تحقيق قيامة المؤمنين بالمجد . لان قيامة يسوع مثال وعربون لذلك . وبهذا المعنى يسمى "البكر من الاموات" (٦). لانه اول من مات وقام لكي لا يعود الى الموت

(١) يو ٨: ١٢ (٢) تعتقد بعض الفرق المسيحية خطأً بفيضان نور ظاهر للعيان سنوياً في الحقل المزروع قبراً للمسيح (٣) مت ١٠: ٢٤ (٤) كو ١٥: ٥٤ و ٥٥ (٥) عب ٢: ١٤ و ١٥ (٦) كو ١: ١٨ و ١٥ و ٢٠

والشعاع الرابع كون قيامته مقدّمة لصعوده في جسده المجدّ ليجلس الى الابد كابن الانسان وابن الله عن يمين العرش الالهي في السماء يمارس عمله الشفاعي وينير بمجده الباهي الديار السماوية^(١). فلا عجب اذا كتب الرسول العظيم العالم والمبشر الغيور بولس الى الكنيسة في قصبة فيلي انه يحسب "كل شيء خسارة ونفابة لكي يعرف قوة قيامة يسوع المسيح"^(٢)

والشعاع الخامس تعزية الحزاني الذين يموت اعزّاءهم ممن لهم الحق بالطوبى القائلة "طوبى للاموات الذين يموتون في الرب منذ الآن . نعم يقول الروح لكي يستريحوا من اتعابهم . واعمالهم تتبعهم"^(٣). لان هؤلاء الحزاني لهم ايضاً الطوبى الاخرى "طوبى للحزاني لانهم يتعزّون"^(٤). كان المسيحيون في زمان الرسل والآباء يلبسون الابيض عند موت ذويهم اشارة الى مجد قيامتهم العتيدة وبحسبون يوم موت المؤمن يوم ميلاده ومن جملة اعمال المسيح المجيدة التي وعد ان يجريها مع المؤمنين مسح كل دمعة من عيونهم. فبالنظر الى قيامة المؤمن المؤسسة على قيامة يسوع يقول مع الرسول "لان لي الموت هو ربح"^(٥)

بعد ان كفت ووقت ظهوراته الغايات المقصودة وكل العمل الذي كان يستدعي وجوده جسدياً وظاهراً بين الناس هياً رسلة للفراق الجسدي النهائي^(٦). فبعد عودهم الى اورشليم اطاعة لامره ظهر لهم واخرجهم الى بيت عنيا اي الى محلّ في جبل الزيتون في خراج هذه القرية^(٧). وهناك رفع يديه وباركهم . ثم انفرد عنهم وارتفع وصعد الى السماء وهم ينظرون واخذته سحابة عن اعينهم

صعد من على الجبل والرسل يشخصون الى السماء . فبينما هو منطلق وقف امامهم ملاكان بهيئة رجلين بلباس ابيض وقالاهم . "ايها الرجال

(١) رؤ ٢١: ٢٢ (٢) في ٨: ١-١٠ (٣) رؤ ١٤: ١٣ (٤) مت ٤: ٥

(٥) في ١: ٢١ (٦) يو ١٦: ٢٠ (٧) اع ١٢: ١

الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء ؟ ان يسوع هذا الذي ارتفع
عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً الى السماء . حينئذ سجدوا له
لانه زاد يقينهم بوحدته مع الله فجاز بل وجب عليهم السجود له
ثم رجعوا من الجبل الى المدينة بفرح عظيم . وكانوا كل حين في الهيكل
يسبحون ويباركون الله . رجعوا بفرح عظيم على رغم خسارتهم الجسيمة
في فقدهم حضور يسوع جسدياً معهم . فرحوا لان عمل سيدهم الخطير قد
كمل . وفرحوا لانه سلمهم عملاً يتبع عمله ويؤيد . وارسلهم كما ارسله الاب .
وفرحوا لتأكيد لهم انه يكون معهم كل الايام . وفرحوا لانه وعدهم بقوة كافية
ليكونوا شهوده الى اقصى الارض

وكان من اعظم الاسباب الموجبة للفرح حينئذ بشارة الملاكين برجع
سيدهم ثانية الى العالم . تكلم يسوع بهذا المعنى ملياً وتكراراً . لكن الأرجح ان
تأثير هذا الكلام في رسله كان ضعيفاً نظير تأثير كلامه عن موته وقيامته . فجاء
قول الملاكين بغاية الضرورة والمناسبة في ساعة افتراقهم عنهم . ومن أهم
المواضيع لكنيسة المسيح الآن موضوع مجيئه الثاني بالمجد . هذا رجاء الكنيسة
العظيم . قد أخفي عنا الوقت الذي يجيء فيه . ولا يجوز الجزم بتفاصيل مجيئه
متى جاء . لان الكلام الحرفي لا يفصل عن الكلام المجازي في النبوات المختصة
بمجيئه . ومع ذلك فان صلاة المؤمنين الامناء المنتهين الى وصايا سيدهم
هي التي وردت في آية خاتمة الانجيل . "يقول الشاهد بهذا نعم انا آتي سريعاً .
آمين تعال ايها الرب يسوع" (١)

وبعدُ خرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويشبث الكلام
بالآيات التابعة . لان سيدهم بسط فوقهم من عرشه السماوي بساط حمايته
ولم يسمح لاعدائهم واعلائهم ان يفعلوا بهم في تلك الايام كما فعلوا به . ومع اننا
لا نعلم ماذا حفظوا وماذا نبذوا من اصطلاحات العبادة اليهودية في ترددهم

الى الهيكل نعلم انهم قدّموا أهمّ التقدّمات والذبائح المرضية لله اي تقدّمات الروح المنكسرة وذبائح الحمد والشكر^(١)

والكي لا يُظنّ ان هذه الاخبار هي كل ما بهم في تاريخ يسوع . قيل في خاتمة البشارة الرابعة " واشياء أُخر كثيرة صنعها يسوع ان كُتبت واحدة واحدة فلست اظن ان العالم نفسه يسع انكتب المكتوبة " . هذه نهاية اخبار هذا الشخص الفريد الالهي مدّة وجوده ظاهراً على الارض كان لقبه المعروف بين الناس " المعلم " . في سنيه الثلاثة ونصف وهو يمارس وظيفته كان عمله الاكثر والاعظم ليس المعجزات بل التعليم علم ان الاله الواحد الذي هو روح يتخذ نحو البشر نسبة ابوية تجعله يحبهم على رغم شرورهم . وان الاصل في الدين ليس ما يعمل الانسان اطاعة وارضاء لله بل ما يعمل الاله للانسان وما يهبه له حباً . علم ان ليس لاعمال بشرية مهما حسنت ان تخوّل فاعلها خلاص النفس . لان الخلاص يعطى فقط بالايمان بالذبيحة التي قدّمها يسوع لما قدّم نفسه . وان قيمة الدنيا وكل ما فيها زهيدة جداً بالنسبة الى الصلاح الحقيقي والرضى الالهي . وان الدين لا يقوم بالطقوس والفرائض الخارجية ولان هذه كلها كانت حسنة وضرورية ليست سوى الثوب الخارجي اللائق للدين . لان جوهر الدين داخلي وروحي محض^(٢) ومركّز الحقيقي في القلوب لاني الابدان حتى ولا في العقول . وان الرباء في الدين اي الظاهر بما ليس في القلب من متعلقات الدين هو اكره جميع انواع الشر لديه تعالى . وان العشارين والخطاة اقرب الى ملكوت السموات من رؤساء الدين ومعتبريه متى كانوا مرائين . وان خدمة الانسان لبني جنسه هي علّة عظيمة الحقيقية وحجة اكتسابه الرضى الالهي في الدنيا والآخرة . وان الاكرام ليس للمتشاخ بل للمتواضع . وان الاصل في كتاب الوحي هو

روح كلامه لا حرفة وان التقاليد البشرية لا تجوز اضافتها الى التعاليم الالهية
كتانون يربط الضمير

انجيل يسوع المسيح هو لكل العالم والى كل الايام حتى انقضاء الدهر .
ليس هو مجرد خبر عن امور ماضية وشخص غائب كغيره من اخبار العظماء
بل هو اعلان بمخلص حاضر وبامور حالية تهم كل انسان كما تهمه حياته .
ف فوق ضجيج اعظم انواء الحياة يسمع المؤمن صوت هذا العظيم قائلاً " لا تخف
انا هو الاول والاخر الكائن والذي كان والذي يأتي وما انا حي الى ابد
الابدن " (١) "ثق يا بني انا قد غلبت العالم " (٢) "بحسب ايمانك ليكن لك " (٣)
ويشعر بلمس يديه القادرتين ويعلم ان لمسهما يمنحه الشفاء والحياة لانه يعرف
من معرفته الحياة الابدية (٤) . ومن اهم نتائج درس سيرة يسوع المسيح
المعرفة التي تتولد في المطالع بان كثيراً من القياسات البشرية لا تصح فيه .
فيشعر بان هذا الخروج عن تلك القياسات بنجم لزوماً عن طبيعته الاخرى
الالهية الحقيقية

ينال المؤمن من رفيقه " عمانوئيل " السلوى في زمان الوحشة والفرج
في زمان الضيق . والتشجيع في ساعة الخوف . والتخدير في ساعة التجربة .
والتوبيخ في ساعة السقوط . والتنشيط في ساعة العمل . والهدى والتدريب
في ساعة الحيرة والشك والقصور . والمغفرة في ساعة التوبة . والمدح في ساعة
الانتصار

بعد سماعنا شهادة بشائر الملائكة حول سريرته ورويتنا شهادة نجم
المجوس لعظمته وفتح السموات لاجل ظهور الحمامة السموية عند الاردن ومحبي
الصوت من السماء المعلن مقامه عند الله والخدمة الملائكية عند التجربة في
البرية . وهيئة الالامعة المجردة وزيارة النبيين الشهيرين من السماء وصوت
الآب ثانية لابنه الحبيب على جبل التجلي . والصوت الثالث الالهي في دار

(١) رؤ ٨: ١ و ١٨ (٢) يو ١٦: ٣٣ (٣) مت ٢٩: ٦ (٤) يو ١٧: ٢٠

الميكال في اسبوع الآلام والخدمة الملائكية في بسنان جشماني . وظلام الشمس وتزلزل الارض وشق الصخور وفتح القبور في الجلاشة . والزلزلة الثانية التي افزعت الحراس . والملاك الذي دحرج الحجر عن باب القبر وظهورات الملائكة المكررة حول القبر . وظهوراته العشرة بعد قيامته . ثم سهولة صنع معجزاته طول ايامه ووفرة عددها وبهجة اسلوبها وكما لانه الادبية والروحانية ثم صعوده المجيد الى السماء في مركبته السحابية وجلوسه عن يمين الله . بعد مشاهدتنا هذه كلها نفهم فاتحة يوحنا البشير لما كتب " في البدء كان الكلمة وكان الكلمة الله *** والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده كما لو حيد من الاب مملوا نعمة وحقا "

في تعاليم يسوع الازلية الاساس والابدية الفرار وتأثيرها الفائق الوصف . في حبه الصبور المتفاني ولطفه المحنون المتسامح كما في غضبه الحاد الصالح وتوبيخه المر الصادق . في احتماله العجيب المتناهي من محبيه ومبغضيه حتى الترك الوقفي من ابيه . ثم في انتصاره التام على كل المكائد العدوانية وكل القوى الجهنمية وكل ذلك لخلاص المجيلة البشرية نرى الاساس الكافي لخاتمة البشارة ذاتها لما كتب يوحنا " واما هذه فقد كتبت لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه "

فهرس المواضيع

تمهيد

الزعامة المسيحية . فحص يلاطس يسوع وتبرئة اياه . صلاح يسوع
يثبت ما بقوله . الصلاح البشري يستدعي الاعتراف بالقصور . كمال يسوع .
المقاومات للمذهب المسيحي . تمحيص الكتاب المقدس . النصد من هذا الكتاب .
ملخص وصف شخصية يسوع . المحبة اساس الدعوة المسيحية . درجات المحبة .
مقام المحبة في الدين صفحة ٧ - ١٢

الفصل الاول

مقدمات البشائر الاربع . شخصية مرقس وبشارته . شخصية لوقا وبشارته .
شخصية يوحنا وبشارته . تناقم الضلال في انكار لاهوت يسوع المسيح . مقدمة
بشارة يوحنا الممتازة . شخصية متى وبشارته . نسب يسوع المسيح البشري .
١٢ - ٢١

الفصل الثاني

الظهورات الملائكية . زمان البشارة لتركيا وظروفها . زكريا والىصابات .
هيروودس الكبير وشروعه . ظهور جبرائيل لتركيا . شك زكريا وقصاصة .

حبل اليصابات العجيب . الكهنوتان اليهودي والمسيحي . اتمام النبوءات في المسيح .
اندثار النظام الموسوي عقيب ظهور المسيح ٢٢ - ٢٣

الفصل الثالث

بشارة الملاك لمريم . مقام العذراء السامي . شعورها عند البشارة . حيرة
يوسف . بشارة الملاك له . اخذه مريم الى بيته . زيارة مريم لاليصابات .
سلام اليصابات . تسبيحة مريم البهيمة . احوالها الخارجية الوضيعة . ولادة
يوحنا . تسبيحة زكريا ٢٤ - ٤٦

الفصل الرابع

وصف اورشليم والهيكل . ولادة يسوع . ظهور الملائكة للرعاة . حوادث
سهول بيت لحم . زيارة الرعاة . تقدس درجة الطفولية . ختان يسوع .
تقديمه في الهيكل وتطهير مريم . مباركة سمعان الطفل . احنفاء النبية حنة به .
ادلة عظيمة لشخصه ٤٧ - ٥٨

الفصل الخامس

اهتمام قوّات الشر بولادة يسوع . قدوم المجوس من المشرق الى اورشليم
وتأثير ذلك . النجم الذي ظهر لهم وما يتعلق به . زيارة المجوس الطفل في بيت
لحم . رجوعهم على غير طريق اورشليم . الهرب الى مصر وتشبيهاه . غيظ
هيرودس وقتله اطفال بيت لحم . العود من مصر والاستيطان في الناصرة .
الغرائب التي حقّت بطفولته . المحنّون بولادته . ملء الزمان ٥٩ - ٧١

الفصل السادس

السكوت الغريب عن حوادث سني يسوع الاولى . النظر في طبيعته

الالهية والبشرية . زيارته اورشليم وهو ابن اثني عشرة سنة . بقاؤه في المدينة
دون علم ذويه . مريم ويوسف يفتشان عنه ويجدانه . تفسير جوابه . السكوت
عن اخباره مدة ٢٩ سنة . مناسبة الناصرة لاجل نشوئه فيها ٧٢ - ٨٤

الفصل السابع

ظهور المعمدان المتنبأ عنه . عمله في الوعظ والتعميد . انباؤه بالمسيح الذي
يعبد بالروح القدس . مجيء يسوع ليعتمد منه . رضوخ المعمدان بعد التمتع .
المعنى في اعتماده . حلول الروح القدس بهيئة ظاهرة وصوت من السماء .
اشتراك الثالوث الاقدس . اقنومية الروح القدس ٨٥ - ٩٩

الفصل الثامن

شخصية ابليس . الداعي لتجربة يسوع . خطة التجرب . المقابلة بين تجربة
آدم ويسوع . صوم يسوع . التجربة الاولى . تجربته كابن الانسان . معاني
هذه التجربة . التجربة الثانية ومعانيها . التجربة الثالثة ومعانيها . نتائج انتصاره
على ابليس ١٠٠ - ١١٤

الفصل التاسع

عود يسوع من البرية الى مقر المعمدان . النسك . وفد الفريسيين
وشهادة المعمدان . انحطاط الكهنوت وتقدم الكتبة والفريسيين . شهادة
المعمدان الثانية . تلميذا يسوع الاولان . حمل الله . جماله الشخصي . تجديد
تلاميذ آخرين . شهادة نشايل العظمى . شهادة يسوع الاولى لنفسه
١١٥ - ١٢٧

الفصل العاشر

شرح في المعجزات اجمالاً . العرس في قانا الجليل . مشرب يسوع في

الافراح . مداخلة مريم أمه . معجزته الاولى تحويل الماء خمرًا . ادلة صدق
هذه المعجزة . النظر في استعمال الخمر . تكريمة الزواج . مقام مريم أمه . اخوته
في الجسد ١٢٨ - ١٤٠

الفصل الحادي عشر

الخلل الديني في زمن يسوع . ابتداء عمله كمصلح في كبار القوم . طرده
الباعة من الهيكل . خدمته الاولى في اورشليم . اعتراضات الرؤساء . الغضب
الذي يكون فضيلة . نتيجة الاستغناء الديني . نتيجة حب المال . عملة مخفيات
الناس ١٤١ - ١٥١

الفصل الثاني عشر

زيارة الرئيس نيقوديموس يسوع . خطاب يسوع الاول وموضوعه
الولادة الثانية . ملكوت الله حياة داخلية . القضايا الجوهرية في هذا الخطاب .
المعمودية . انصرافه من اورشليم والتعميد بواسطة تلاميذه . الجدل في التطهير .
تلاميذ المعمدان . يسوع عريس الكنيسة . شهادة المعمدان الرابعة . سجن
هيرودس المعمدان . انصراف يسوع من اليهودية ١٥٢ - ١٦٤

الفصل الثالث عشر

اليهود والسامريون . مرور يسوع في السامرة وجلوسه على بئر يعقوب .
مجيء المرأة السامرية لتستقي . توقيف النساء . محاورته مع هذه السامرية عن
ماء الحياة الذي يعطيه هو . روحانية الله والعبادة الحقيقية . ايمان المرأة به
وبكلامه وغيرها على مواطنيها . كلامه مع تلاميذه في الطعام الخفي . الحصاد
الروحي في سوخار . حوادث الآبار في الكتاب ١٦٥ - ١٧٦

الفصل الرابع عشر

جولان يسوع الاول في الجليل وكلامه الاول في التبشير . شفاؤه ابن خادم الملك في كفرناحوم . ايمان خادم الملك وبيته به . عودته الى الناصرة حيث قدم عظمة الاولى امام جمهور . تعجب اهل وطنه ثم غيظهم ومحاولتهم قتله . انتقاله من الناصرة وسكنه في كفرناحوم ١٧٧ - ١٨٧

الفصل الخامس عشر

دعوة يسوع اندراوس وبطرس ويوحنا . حكم الدين على العلاقات العائلية . اخراجه روحاً نجساً وهو يعظ في كفرناحوم . السكن الشيطاني في زمن يسوع . شفاء حمات بطرس . حوادث الازدحام والشفاء . شهادة الشياطين له . العلاقة بين الخطايا والامراض . مفعول الايمان في شفاء الامراض . اختلاء يسوع للصلاة وجولانه للتبشير والشفاء ١٨٨ - ١٩٩

الفصل السادس عشر

البرص وتطهير مصاب به . امانة يسوع لمذهبه اليهودي . معاملة الابرص عند اليهود . عجيبة صيد السمك . ترك التلاميذ الاربعة صيد السمك واتباعهم يسوع . شفاء مفلوج . غفران الخطايا . اتهام الرؤساء اياه بالتجديف وجوابه على ذلك ٢٠٠ - ٢١٢

الفصل السابع عشر

دعوة متى . العشارون واعناء يسوع بهم . قصد يسوع في التفتيش عن الضالين . بحثه في الصوم . الاصول في الصوم الحقيقي . تشبيه يسوع بالعريس . العتيق والجديد . التطرف في الطقوس ٢١٤ - ٢٢٦

الفصل الثامن عشر

تعليم يسوع في امر السبت . ثقل نير اليهود المتعلق بالسبت . شفاء
المقعّد عند بركة بيت حسدا . القضاء الالهي وحرية الانسان . اعتراض
اليهود وجوابه على ذلك . وحدة الآب والابن . الحياة بالا بن ٢٢٧-٢٤١

الفصل التاسع عشر

قطف السنابل في السبت . وضع السبت واصول حفظه . شفاء ذي
اليّد اليابسة . الهيرودسيون . تمسك الشعب بيسوع وتكثيرة الشفاء . شهادة
الشياطين له . اختياره اثني عشر رسولا ٢٤٢-٢٥٥

الفصل العشرون

الوعظ على الجبل . صفات ابناء الملكوت . تأثيرهم كالمح والنور . تثبيت
نظام الملكوت . ايضاح روح الناموس . الصدقة . الصلاة مع الصلاة الربانية .
الصوم . الكثر الباقي . عناية الله . النهي عن دينونة الآخرين . فاعلية الصلاة .
القاعدة الذهبية . من ثمارهم تعرفونهم . العاقل والجاهل ٢٥٦-٢٧٢

الفصل الحادي والعشرون

ابراؤه غلام قائد المئة . اصول الشفاعة . يأتون من المشارق والمغرب .
اقامة ابن ارملة نايين . اصطلاحات اليهود في المآثم . ارسالية المعمدان الاخيرة .
الشكوك في الدين . جواب يسوع بالافعال لا بالاقوال . تعظيم يسوع
المعمدان . توبخه المدن الثلاث . دعوة المتعبين ٢٧٣-٢٨٧

الفصل الثاني والعشرون

دعوة سمعان الفريسي يسوع . دهن المرأة التائبة قدميه بالطيب .

مثل المديونين . المحبة ثمر المغفرة . خدمة النساء وفضيلة العطاء . اتيان
اهله ليمسكوه كخنزل . شفاؤه اعمى اخرس مجنون . اتهام الفريسيين اياه
بالاشتراك مع الشيطان . دينونة الفريسيين لاجل التجديف على الروح
القدس وتعريف هذا التجديف . الاصلاح يتبدى في القلب قبل العمل .
طلب الفريسيين آية . اعطاؤه آياه آية يونان النبي . اقرباء يسوع الحقيقيون

٢٨٨ - ٢٠٠

الفصل الثالث والعشرون

مثل الزارع واقسام سامعي الكلمة . مثل زوان الحقل . مثل نمو الزرع
الخفي . مثل حبة الخردل وازدياد الملكوت . مثل الخميرة ومفعول اهل
الملكوت . تفسير مثل الزوان . مثل الكثر الخفي . مثل اللؤلؤة الحسنة . مثل
الشبكة . الاصول الصحيحة في تفسير الامثال ٢٠١ - ٢١٠

الفصل الرابع والعشرون

سلطان يسوع على الطبيعة والمصائب . المقابلة بين يسوع ويونان في
النوء . تسكينه النوء في بحر الجليل . سلطانه على الشياطين والتجارب الداخلية .
اخراج الشياطين من مجنونين في جدره . اهلاك قطع الخنازير . غلط اهل
جدره الجسيم . انواع الطلب وانواع الاستجابة ٢١١ - ٢٢٢

الفصل الخامس والعشرون

اقامة ابنة يابرس من الموت . شفاء نازفة الدم . فتح اعين اعميين . شفاء
اخرس مجنون . الرفض الثاني في الناصرة . الجولان الثالث في الجليل .
ارسال الاثني عشر للتبشير ٢٢٤ - ٢٢٧

الفصل السادس والعشرون

هيرودس انتيباس . هيروديا وانتقامها من المجدان . وليمة هيرودس
وقطع رأس المجدان . مضي يسوع مع تلاميذه الى عبر البحر . اشباع الخمسة
الآلاف في بيت صيدا يولياس . المقابلة بين وليمة هيرودس ووليمة يسوع .
قصد الجموع اقامته ملكاً ٢٢٨ - ٢٥١

الفصل السابع والعشرون

المشي على الماء . ارتعاب الرسل ومشي بطرس على الماء . خطاب يسوع
للجموع في خبز الحياة . ارتداد كثيرين عنه . الاكل بأيدي غير مغسولة . تمسك
اليهود الفارغ بالتقاليد وتوبيخه اياهم على شر الرياء . ماهية الطهارة والنجاسة
٢٥٢ - ٢٦٥

الفصل الثامن والعشرون

ذهاب يسوع ورسلة الى البلاد الفينيقية . شفاؤه ابنة مجنونة هناك .
شفاعة الرسل والقديسين . ايمان والدتها العجيب بعد امتحان يسوع اباها
شديداً . رجوعه الى العشر مدن . شفاؤه أصم اعقد هناك ٢٦٦ - ٢٧٥

الفصل التاسع والعشرون

اشباع الاربعة الآلاف . التحذير من خمير الفريسيين . شفاؤه اعشى بيت
صيدا . اعتراف بطرس الشهير في من هو يسوع . مفاتيح ملكوت السموات .
الكلام في مقام بطرس الحقيقي . ماهية السلطان الرسولي . انباء يسوع الاول
بموته وقيامته . اعتراض بطرس على ذلك وتوبيخ يسوع اياه . كيفية اتباع
المسيح ٢٧٦ - ٢٨٩

الفصل الثلاثون

التجلى على الجبل . ظهور موسى وإيليا وحديث يسوع معهما بخصوص موته العتيد . الصوت من السماء . الفوائد الناجمة عن التجلى . فشل الرسل التسعة في محاولتهم اخراج الروح النجس . نزول يسوع والرسل الثلاثة من الجبل واخراج الروح الشرير ٢٩٠-٤٠٢

الفصل الحادي والثلاثون

المعجزة لايفاء الجزية . مثالة في التواضع . العثرات وتجنبها والويل لمسيبها . يسوع جاء ليرد الضالين . تحذيره من احتقار الصغار . قانون المسامحة الاخوية . نصريجة بحضوره الدائم مع تلاميذه . مثل العبد الظالم والنهي عن الحقد ٤٠٢-٤١٤

الفصل الثاني والثلاثون

عيد المظال وصعود يسوع اليه . عدم ايمان اخوته به . تعليمه في الهيكل . طلب اليهود قتله . ايمان كثيرين به . مناداته بالماء الحي . ارسال الفريسيين خداماً ليمسكوه ومدافعة نيقوديموس . الايمان اليه بامرأة أمسكت - في زنى . فتحها باب التوبة والرجاء . خطابه في الشهادات التي له . دينونة الذين يبغضونه . الحرية الروحية ٤١٥-٤٢٥

الفصل الثالث والثلاثون

ترك الجليل نهائياً . رفض السامريين آياه وطلب يعقوب ويوحنا الانتقام منهم . الذين قصدوا اتباع يسوع عبثاً . ارسال السبعين للتبشير وتدريبهم . توبيخ المدن الثلاث ثانية . رجوع السبعين وتهلل يسوع . الناموسي الذي قام ليخرجه . مثل السامري الصالح . من هو قريبي ٤٢٦-٤٤١

الفصل الرابع والثلاثون

يسوع في بيت عنيا . فتحة عيني آكه . اوهام بخصوص المصائب . المحاوره
مع اليهود بخصوص هذه المعجزة . مقابلة يسوع الاكه وثبيت ايمانه . طرد
اليهود هذا الرجل من المجمع ٤٤٢-٤٥٤

الفصل الخامس والثلاثون

الرعاة الامناء والرعاة الغير الامناء . يسوع الراعي الصالح . عيد التجديد .
الحديث في الصلاة . اخراج شيطان من اخرس . اتهام يسوع بالاشترك مع
الشياطين . الويلات على مائة الفريسي . جوابه للناموسي ٤٥٥-٤٦٧

الفصل السادس والثلاثون

التحذير من روح الفريسيين . شر الرياء . مثل الغني الغني . عناية الله
تنفي الهم . الاستعداد والسهل . الامانة والخيانة في الوكيل . ذبح الجليليين في
الهيكل . شفاء المنحنية في السبت . الباب الضيق والتحذير من هيرودس .
ابراؤ المستسقي . الاتضاع والارتفاع . الاحسان . العشاء العظيم والاعذار .
تقدير الصعوبات ٤٦٨-٤٨١

الفصل السابع والثلاثون

معاملة يسوع الفريسيين والعشارين . الفرق بين الفرقتين . التفاف
العشارين حوله . تدمير الفريسيين . مثل الخروف الضال . مثل الدرهم
المفقود . مثل الابن الضال وكيفية رجوعه الى بيت ابيه . الغفران وتأثيره .
الابن الاكبر وفعل الحسد فيه . الفريسيون والعشارون ايضا ٤٨٢-٤٩٦

الفصل الثامن والثلاثون

مثل وكيل الظلم . مثل الغني ولعازر . المسامحة . لا فضل في اتمام
الواجب . مرض صديق لعازر . الرأي المسيحي في الموت . مجيء يسوع الى بيت
عنيا . يسوع هو القيامة والحياة . بكاءه عند القبر . اقامته لعازر . ايمان
كثيرين به وغيظ الرؤساء من ذلك . موامرتهم على قتله . مشورة قيافا
ونبوة ٤٩٧ - ٥٠٩

الفصل التاسع والثلاثون

نظير العشرة البرص . اتيان الملكوت . الفريسي والعشائر . سنة
الطلاق . مباركة الاطفال . الرئيس الشاب الغني . مثل فعلة الكرم - انباؤه
الثالث بموته وقيامته . طموح امرأة زبدي وابنيها . اعميا اريحا . زكا العشائر
وضيافته وتغييره . الوصول الى بيت عنيا والعشاء والذهن بالطيب . المؤامرة
على لعازر ٥١٠ - ٥٢١

الفصل الاربعون

دخوله اورشليم راكباً . احشائه الجموع به . بكاءه على اورشليم . تبليسه
التينة الغير مثمرة . تطهير الهيكل ثانية . كلامه في قوة الايمان ٥٢٢ - ٥٢٤

الفصل الحادي والاربعون

السؤال عن السلطان . مثل الابن . مثل الكرامين . مثل عرس ابن
الملك . السؤال عن الجزية . السؤال عن القيامة . الوصية الاولى والعظمى .
المسيح ابن داود ورثته . الولايات على الكنيسة والفريسيين والتخدير منهم . فلسا
الارملة ٥٢٥ - ٥٤٧

الفصل الثاني والأربعون

طلب اليونانيهن . خطاب يسوع في الهيكل . الذين آمنوا والذين لم يؤمنوا . انباؤه بخراب الهيكل . علامات مجيئه - وجوب السهر . العبد الأمين والعبد الرديء . مثل العشر عذاري . مثل الوزنات . الفصل بين الاشرار والاختيار يوم الدين . مؤامرة الرؤساء على قتل يسوع . معاهدة الاسخريوطي . معهم على بيع سيد ٥٤٨ - ٥٥٩

الفصل الثالث والأربعون

الاستعداد للفصح . المشاجرة . غسل الارجل . عشاء الفصح . عواطف يسوع . الخائن وخروجه . العشاء الرباني . الاستحالة . اهمية سفك الدم . الوصية الجديدة . الانبياء بانكار بطرس وتشتت التلاميذ وشكهم ٥٦٠ - ٥٧٦

الفصل الرابع والأربعون

خطاب يسوع الوداعي . مقامه . وعده بالروح القدس . سلامه . هو الكرمة . الثبات فيه . المحبة الاخوية . علاقة العالم . فعل الروح القدس . حزن الرسل . صلاته الشفاعية . الخروج ليلاً . الصلاة واللام في جشيماني . ماهية الكاس . تسليم يهوذا آياه والقبض عليه . قطع اذن ملخس . هرب التلاميذ ٥٧٧ - ٥٩١

الفصل الخامس والأربعون

اخذه الى حنان وقيافا واستجوابها آياه . قوانين المحاكمة . محاكمة امام المجمع . الحكم باعلامه . الاستهزاء . انكار بطرس وتوبته . احضاره ثانية امام المجمع . ندم يهوذا وانتحاره والمقابلة بهته وبين بطرس ٥٩٢ - ٦٠٧

الفصل السادس والاربعون

اخذه الى بيلاطس الوالي . فحص بيلاطس وتبرئته الاولى . تبرئة الثانية . ارساله الى هيرودس وارجاعه الى بيلاطس . تبرئة الثالثة . باراباس اللص . حلم امرأة بيلاطس . تبرئة الرابعة . تحويل بيلاطس المسؤولية عن نفسه . تسليمه للعسكر . تكرار الاستهزاء به . تبرئة الخامسة . الحاج الجموع باطلاق باراباس وصلب يسوع . تسليمه لليهود ليُصلب . تجديد الاستهزاء به واخذه للصلب ٦٠٨ - ٦٢٢

الفصل السابع والاربعون

اصطلاحات الصلب . تسخير سمعان ليحمل الصليب . حنان النساء عليه . موقع الصلب . تقديم الخل . كلمته الاولى على الصليب . صلته بين لصين . عنوانه على الصليب . اقسام ثيابه . الاستهزاء به . اللص التائب . كلمته الثانية على الصليب ٦٢٤ - ٦٢٧

الفصل الثامن والاربعون

كلمة يسوع الثالثة من على الصليب . الظلمة . كلمته الرابعة . ماهية الكاس . كلمته الخامسة . كلمته السادسة . ماذا قد اكمل . كلمته السابعة . المعجزات عند صلبه . النساء . تسليم الروح . شهادة قائد المئة . طعن جنبه . الانزال عن الصليب . يوسف الراعي ونيقوديموس . الدفن . ضبط القبر . ياس التلاميذ ٦٢٨ - ٦٥٢

الفصل التاسع والاربعون

انفراد يسوع العجيب . المقابلة بين معجزة ولادته ومعجزة قيامته . مقاصد

كتبة الانجيل . قوانين التفسير . موته الحقيقي . استعداد النساء . قيامته
والمعجزات المرافقة . ابلاغ المجدلية بطرس ويوحنا . ظهور الملائكة للنساء
٦٥٤ - ٦٦٤

الفصل الخمسون

ظهور يسوع للمجدلية أولاً . ظهوره الثاني وكان للريمن . اخبار النساء
التلاميذ بقيامته . رشوا الحراس ليقدّموا تقريراً كاذباً . تحقيق القيامة بعد موت
حقيقي . تشكيك التلاميذ بقيامته . الاعتماد على شهادة الحواس ٦٦٥ - ٦٧٥

الفصل الحادي والخمسون

الظهور الثالث . الظهور الرابع . الظهور الخامس . شك توما الرسول .
الظهور السادس . السبع المسيحي . الذهاب الى الجليل . الظهور السابع .
الصيد العجيب . امتحانه بطرس ٦٧٦ - ٦٩١

الفصل الثاني والخمسون

الظهور الثامن . اقوال يسوع العظيمة واثباتها بقيامته . اهمية التبشير .
الظهور التاسع . ظهوراته حُصرت في المؤمنين . قوة القيامة . الظهور العاشر .
كلام الوداع . صعوده الى السماء . موجبات فرح رسله . مجيئه الثاني . لائحة
تعاليمه . هباته المجيدة . بينات عظيمة ٦٩٢ - ٧٠٢



خبرس الآيات

صفحة	يوحنا	لوقا	مرفس	متي	فصل
١٢	١٨-١٦-١٤-٩-٥-١-١	٢٨-٢٢-٢١-١-١	١١-١	١٧-١-١	١
٢٣		٢٥-٥-١			٢
٢٤		٨٠-٢٦-١		٢٥-١٨-١	٢
٤٧		٢٨-١-٢			٤
٥٩		٤٠-٢٩-٢		٢٣-١-٢	٥
٧٢		٥٢-٤١-٢			٦
٨٥	١٥٨-٦-١	٢٢-٢١-١٨-١-٢	١١-٢-١	١٧-١-٢	٧
١٠٠		١٢-١-٤	١٢-٤-١	١١-١-٤	٨
١١٥	١٥-١-٩-١				٩
١٢٨	١٢-١-٢				١٠
١٤١	٢٥-١٢-٢				١١
١٥٢	٤:٤-١-٢	١٤:٤	١٤:١	١٢:٤	١٢
١٦٥	٤٢-٥-٤				١٣
١٧٧	٥٤-٤٣-٤	٢١-١٤:٤	١٥-١٤:١	١٧-١٢:٤	١٤

فهرس الآيات

صفحة	يوحنا	لوقا	مرفس	متى	فصل
١٨٨		٤٤-١٢:٤	٢٩-١٦:١	١٧-١٤:٨	١٥
٢٠٠		٢٦-١:٥	١١:٢-٤٠:١	٨-١:٩	١٦
٢١٤		٢٩-٢٧:١	٢٢-١٢:٢	١٧-٩:٩	١٧
٢٢٧	٤٧-١:٥				١٨
٢٤٢		١٩-١:٦	١٩:٢-٢٢:٢	٢١-١:١١	١٩
٢٥٦		٤٩-٢٠:٦		٢٠-٢:١١	٢٠
٢٧٢		٤٥-:٧		٢٠-٢:١١	٢١
٢٨٨		٢١-١٩:٨-٢٦:٧	٢٥-١٩:٢	٥٠-٢:١١	٢٢
٢٠١		١٨-٤:٨	٢٤-١:٤	٥٢-١:١٢	٢٣
٢١١		٢٩-٢١:٨	٢٠:٥-٢٥:٤	٢٤-٢٢:١٨:٨	٢٤
٢٢٤		٦:٩-٤٠:٨	١٢-١:٦	٥٨-٥٤:١٢:١١	٢٥
٢٢٨			٤٦-١٤:٦	٢٣-١:١٤	٢٦
٢٥٦	١٥-١:٦	١٧-٧:٩	٢٢:٧-٤٧:٦	٢٠:١٥-٢٤:١٤	٢٧
٢٦٦	٧١-١٦:٦		٢٧-٢٤:٧	٢١-٢:١:٥	٢٨

فهرس الآيات

صفحة	يوحنا	لوقا	مرفس	متى	فصل
٢٧١		٢٧-١٨:٩	١:٩-١:٨	٢٨:١٦-٢٢:١٥	٢٩
٢٩٠		٤٥-٢٨:٩	٢٢-٢:٩	٢٣-١:١٧	٢٠
٤٠٢		٥٠-٤٦:٩	٥٠-٢٣:٩	٢٥:١٨-٢٤:١٧	٢١
٤١٥	٥٩:٨-١:٧				٢٢
٤٢٦		٢٧:١٠-٥:٩	١:١٠	٢٩:١٩-٢٢:١٨	٢٣
٤٤٢	٤١-١:٩	٤٢-٢٨:١٠			٢٤
٤٥٥	٤٢-٢٢:١٠	٥٤-١:١١			٢٥
٤٦٨		٢٥:١٤-١:١٢			٢٦
٤٨٢		٢٢-١:١٥			٢٧
٤٩٧	٥٤-١:١١	١٠:١٧-١:١٦			٢٨
٥١٠	١١:١٢-٥٥:١١	٢٨:١٩-١:١٧	٩-٢:١٤ و ٥٢-٢:١٠	١٢-٦:٢٦ و ٢٤:٢٠-٢:١٩	٢٩
٥٢٢	١٩-١٢:١٢	٤٨-٢٩:١٩	٢٦-١:١١	٢٢-١:٢١	٣٠
٥٢٥		٤:٢١-١:٢٠	٤٤:٢٢-٢٧:١١	٢٩:٢٢-٢٢:٢١	٣١
٥٤٨	٥٠-٢:١٢	٦-١:٢٢ و ٢٨-٥:٢١	١٢-١:٢٢ و ١٤-١:١٢	١٦-١٤:٢٦ و ٢٥:٢٦-١:٢٤	٣٢

فهرس الآيات

صفحة	يوحنا	لوقا	مرقس	متى	فصل
٥٦٠	٢٥:٢٤ و ٢٨:١١	٢٨:٢٢ و ٢٨:٢٧	٢١:١٤ و ٢٧:٢٥	٢٥:٢١ و ١٧:٢٦	٤٣
٥٧٧	١٢:١٤ و ١٨:١٢	٥٢:٢٩ و ٢٣	٥٢:١٤ و ٢٦:١٤	٥٦:٢٦ و ٣٦	٤٤
٥٩٣	٢٧:١٨ و ١٣:١٨	٧١:٥٤ و ٢٣	١:١٤ و ٥٣:١٤	١٠:٢٧ و ٥٧:٢٦	٤٥
٦٠١	٢٨:٢٧ و ٢٠:٤	٢٥:١٢ و ٢٢	١٥:١٥ و ١:١٥	٢٦:١١ و ٢٧	٤٦
٦٢٤	٢٤:١٦ و ٢٦:١٩	٤٢:٢٦ و ٢٣	٢٣:١٥ و ٢٠:١٥	٤٤:٢٧ و ٢٧	٤٧
٦٣٤	٤٢:٥١ و ٢٩	٥٦:٢٢ و ٢٥	١:١٦ و ٢٢:١٥	٢٦:٤٥ و ٢٧	٤٨
٦٥٤	١٠:١٠ و ١٠:١	١٢:١١ و ٢٤	٨:١٠ و ١:١٠	١٨:١٠ و ٢٨	٤٩
٦٦٥	١٨:١١ و ٢٠		١١:١١ و ٩:١١	١٥:٩ و ٢٨	٥٠
٦٧٦	٢٠:١٩ و ٢٣:٢٠	٤٩:١٢ و ٢٤	١٢:١٢ و ٤:١٢	٢٦:٢٨ و ١١	٥١
٦٩٢	١٣:١٤ و ١٢:١٣	٥٢:٥ و ٢٤	٢٠:١٥ و ١:١٦	٢٠:١٧ و ٢٨	٥٢

فهرس المواضيع

مرتبة على الحروف الهجائية

تنبية : قد اصطلمنا على الاكتفاء بالضمير بدلاً من اسم يسوع لانه هو الموضوع الرئيسي والشامل في هذا التأليف
وقد وضعنا جدولاً للامثال تحت حرف الميم و جدولاً آخر للمعجزات تحت حرف العين

صفحة	١	صفحة	١
١٨	التأنس	١٠٠ و ١٠١	ابليس . شخصيته
٢١	الاصابات - حبسها العجيب	٥٩ و ٦٠	" اعماله
٤١	" زيارة مريم لها	٥٩	" نقضها
٤٢	" تسبحتها	٢١٥	" يده في الحن
٤٨٠ و ٤٨١	الاهل . تفضيلهم عليهم	١٤	ابن الله
٥٢٧ و ٥٣٠	اورشليم - بكاءه عليها	٦٣٢	آثاره المادية - اخفاؤها
١٤٦	" خدمته الاولى فيها	٢٤٥	الاحد - ابدال السبت به
٥٢٢ و ٥٢٤	" دخوله اليها راكباً	١٢٩ و ١٤٠ و ٤١٨	اخوته
٨٤-٧٦	" زيارته الاولى اياها	١٠٤ و ١٠٥	آدم - مقابلته مع يسوع
٥٤٥ و ٤٧٧	" شفقتة عليها	٥٩	آدم وحواء
٤٩ و ٤٨	" وصفها	٨٨-٨٦	التاريخ
٥٢٧-٥٣٠	" انباؤه بخرايها	٤٠٧	اسمه - كرامته
٦٨٥	الايان والعيان	٥٨٣-٥٨٥	آلامه - برهان مسيحيته
٤٤٧	" والاعمال	٦٣٥	آلامه الروحية
٦٧١	" في القلب أكثر من الراس	١٨٢	الامم . اهقام الله بهم
٥٠٨	الايان الكبيرين به		

صفحة	ب	صفحة	ب
٤٦٤	بنوية المؤمنين لله	٤٨٠	الباب الضيق والواسع
٥٦٦	ابتهاجه	٦١٤	باراباس اللص
٦٧٢	بولس - ظهور يسوع له	٦١٥	" تفضيله على يسوع
٤٤٤-٤٤٢	بيت عنيا - مجيئه اليها	٦٢١	" قصته
٥٠٢	" " " " ثانية	٥١٧	بارتياوس
٥١٩	" " العشاء فيها	٤٧٢	برج سلوام
٥٥٢	بيت لحم	٢٠٥ و ٢٠٠	البرص - وصته وشريعته
١٦٦	بر يعقوب	٥١١	" تطهير العشرة
١٧٦	الآبار في العهد القديم	٢٠٥ - ٢٠١	الابرس وتطهيره
٦٢٢	بيلاطس يسلمه للصلب	٢٠ - ١٢	البشائر - فوائدها
٦٠٩ و ٦٠٨ و ٦٠٧	" بجاكه	٦٥٥	البشرون - كيفية كتاباتهم
٦١٠ و ٦٠٩	" بضرع ببراءته	٧٥ و ٧٤	بشريته (انظر الازدواج في طبيعته)
٦١١	يكبر الحكم ببراءته	٢٣٢	التبشير - ارسال الرسل
٦١٤	تصريحه الثالث ببراءته	٦٩٥	" اهيته
٦١٦	" الرابع	٢٨٢ و ٢٨١	بطرس - اعترافه الشهير به
٦٢٠	" الخامس	١٢١	" تنلهذه له
٦١٧	مجيل المسؤولية على الرؤساء	٥٩٩	" توبته
٦٢١	اجتهاده ليطلقه	٦٩٠	" الحديث معه بعد القيامة
٦١٥	حلم امرأته	٤٧٥ و ٤٧٤	" الانبياء بانكاره سيده
	ت	٢٨٧	" انتمار يسوع اياه
٢٨٧	المتعينين - دعوة ايام	٥٩٨	" انكاره سيده
٢٨٨	التنلهذ وشروطه	٢٨٥	" رئاسته
١٢٠ - ١٢٦	التلاميذ الاولون	٢٨٢	" تطويب يسوع اياه
	التلاميذ (انظر الرسل)	٢٤٤	" مشيه على الماء
٢٥٨	رجوعهم عنه	٦٠٦	" المقابلة بينه وبين يهوذا
١٨٩ و ١٩٠	الاربعة - دعوتهم	٥٠٥	بكاهه عند قبر لعازر
٥٧٦	الانبياء بنسبتهم		" على اورشليم (انظر اورشليم)
٥٩١	مريم عند مسكه		ابلايا ومعناها (انظر الرزايا)
٦٥٢ و ٦٥٠	ياسهم بعد الصلب		

صفحة	ج	صفحة	ت
١٩٨ و ١٩٩	الجيل الجولان الثاني فيها	٢٥٩	التقليد ووصايا الله
٢٢٤	" " الثالث "	٦٨٤ و ٦٨٥	توما - شكه
٤٢٦	" تركه اياها نهائياً	٥٣١	التينة الغير مثمرة . تبيسها
٤٧٢ و ٤٧٣	الجيليون - ذبحهم	٥٢٨ و ٥٢٩	تطس محاصر اورشليم
٢٩٠-٢٩٦	التجلي		ث
١٢٢-١٢٤	جمال الشخص	٩٨	الثالوث
	مجمع اليهود (انظر محاكمة)	٥٧٩	الثبات فيه
٢٥٠	المجوع تقصد المناداة به ملكاً	٢٧١	التمر المجيد والردي
٦٢٢	" تلخ بان بصلب	٦٢٣	ثيابه - اقتسامها
٦٤٦	المجندي - طعنه اياه بحربة		ج
٢٧٨ و ٢٧٩	المجازة عند اليهود	٤٧٠ و ٥٥٢ و ٥٥٤	مجيئه الثاني
	ح	٢٨-٢٠	جبرائيل الملاك
٤٦٩ و ١٥٠	حب المال	٢٥٦-٢٧٢	الجيل - الوعظ عليه
١١ و ١٢	الحبة - مقامها في الدين	٥٨٢	جنسيمي - صلاته فيها
٣٧٦ و ٣٧٧	" لله	٥٨٤	" اكتابته فيها
٢٩٠ و ٢٩١	" ثمر الغفران	٢٢١	الجديرون - يرفضونه
٢٢١ و ٢٢٢	" الاخوية	١٥٩	التجديد
٤٤١	" للقريب	٤٦٣	التجديف - اتهامه به
٦٥٨ و ٦٥٩	الحجر على قبره	٤٠٧ و ٤٢٠ و ٤٤٠	الحجرة في الدين
٦٥٠	الحراس عند القبر	١٠٦-١١٤	تجربة
٦٧٠	" رشوم	١٠٦-١٠٩	تجربة الاولى
٤٥١	الحرم اليهودي	١١٠-١١٢	" الثانية
٢٢٢	الحرية والقضاء	١١٢-١١٣	" الثالثة
٤٢٥	" الروحانية	٥٢٨ و ٥٢٩	الحزبية - السوال الاحتمالي عنها
٦٨٢	الحواس - شهادتها	٢٥٧	جسده ماكل حق
١٧٥	الحصاد الروحي - اقترابه	٦٦٣	" دحض القول بسرقة
٤٨ و ٥٠	احصاء النفوس	١٩٧	الجسد - اهتمامه بخبره
٤١٢ و ٦٥٧	حضوره الدائم	١٧٧	الجيل - بداعة خدمته فيها
٤١٤	الحقد - النبي عنه	١٧٧ و ١٧٨	" الجولان الاول فيها

صفحة	ح	صفحة	خ
٥٦٤	الحكم على يسوع - احواله الى يلاطس ٦٠٣	٦٠٣	الخطيئة - التطهير منها
	" الثاني اليهودي عليه ٦٠٠		" علاقتها مع الامراض (انظر البلايا)
	المحاكمة عند اليهود - اصولها ٦٠١ و ٦٠٢		" التي لا تغفر (انظر الروح القدس)
١٤ و ١٤٤	" " رئيس الكهنة ٥٩٣-٥٩٤		مخلص
٦٣٠	" امام المجمع ٦٠٠-٦٠٣		المخل يقدم له على الصليب اولاً
٦٤٢	" " يلاطس (انظر يلاطس)		" " " ثانية
	" " هيرودس (انظر هيرودس)		المخلل الديني (انظر الدين)
١٣٦-١٣٤	الاستحالة ١٣٦ و ٥٧١ و ٥٧٢		الخمر - تحويل الماء اليها
١٣٧-١٣٦	حمل الله ١٢٠		" البحث في استعمالها
٣٤٤-٣٤٧	حماة بطرس - شفاؤها ١٩٥		الخمسة الآلاف - اشباعهم
٢٧٨	حنة النبية ٥٨		خمير الفريسيين - التحذير منه
٢٢٠	الحياة بالابن ٢٤٠		الخنازير - دخول الشياطين فيها
٤٦٩			الخوف - النبي عنه
	خ		د
٧٠٣	خاتمة الانجيل	٥٤٢	داود - المسيح ابنه وربّه
١٨٠ و ١٧٩	خادم الملك - شفاء ابنه	١٠٥	داود وجليات
١٨٠	" " ايمانه مع بيته	٢٧٩ و ٢٧٨	الدفن - اصطلاحات اليهود فيه
١٦٠	خاصته لم تقبله	٦٤٩	دفن جسده
٢٥٦-٢٥٨	خبر الحياة - خطابه فيه	٥٧٣	الدم - اهميته في الدين
٥٥ و ٥٦	خنانه	٢٥٧	دمه مشرب حق
	خراب الهيكل (انظر الهيكل)	٢١٩	دهن قدميه بالطيب
	" اورشليم (انظر اورشليم)	١٥٩	الدين - اركانه
٢٢٣	الآخرس المجنون	١٤١	" المخلل فيه
٥٧٧ و ٥٧٨	خطابه الوداعي	٢٧٠	دينونة الآخرين - النبي عنها
٢٥٦	" في خبز الحياة		ذ
	" في مجمع الناصرة (انظر الناصرة)		المذهب السعبي ومقاوموه
١٧٠	الخطاة - اهتمامهم بهم		ر
	الخطيئة - غفرانها (انظر غفران)		الراعي الصالح
٢٢٥	" جنون	٤٥٧-٤٦١	

صفحة	ر	صفحة	ر
٦٠٣	رئيس الكهنة - اخذ يسوع الى داره	٢٥٨	رجوع كثيرين عنه
٥١٢ و ٥١٤	الرئيس الغني	٤٤٤ و ٤٧٢	الرزايا
٢٦٢ و ٢٦٣ و ٤٦٩	الرياء		الرسل (انظر التلاميذ)
	ز	٢٥٢-٢٥٤	" اسأؤهم
٥١٦	زبدي - طلب امرأته وابنيها	٢٥٥ و ١١٩ و ٢٥٠-٢٥٥	" اختيارهم
٧	الزعامة المسيحية	٢٣٤	" ارسالهم للتبشير
٥١٨ و ٥١٩	زكا وضيافته ليسوع	٢٤٢	" رجوعهم من التبشير
٢٤-٢٠	زكريا - بشارة الملاك له	٢٨٢-٢٨٤	" سلطانهم
٤٥	" تسجنه	٤٠٢ و ٥٦٢	" مشاجرتهم
١٤٢ و ١٤٣	زمن يسوع - الخلل الديني فيه	٢٦٩	" شفاعتهم
٧٠ و ٧١	الزمان - ملوؤه	٢٧٧	" فشلهم في قيصرية فيلبس
١٢٧	الزواج - نكروته	٢٣٥	" توصياته ايام
٢٣-٢٥	الازدواج في طبيعته	٦٧٠	رشو الحراس
	س	٥٢-٥٤	الرعاة - البشارة لهم
١٦٧	سالومة اخت هيرودس	٥٤	" زيارتهم الطفل
٦٦	السامرة - مروره فيها	٥٤ و ٥٥	" مهنتهم
٤٢٩ و ٤٤٠	السامري الصالح	٤٥٥ و ٤٥٦	الرعاة الامناء وغير الامناء
١٦٧-١٧١	السامرية - المحاورة معها	٢٩٢	رفقاء يسوع في جولائه
١٧٥	السامريون يؤمنون به	١٧٢	روحانية الله
٤٢٦-٤٢٨	" يرفضونه	٩٩	الروح القدس - اقنوميته
١٦٥ و ١٦٨	" واليهود	٢٩٥ و ٩٦	" التجديف عليه
٢٢٨-٢٤٥	السبت - البحث في امره	٩٧ و ٩٨	" حلوله على يسوع
٢٤١	" الشفاء فيه	٥٨٠	" عمله متى جاء
٢٤٥ و ٢٨٢	" استبداله بالاحد	٥٧٨ و ٥٨٠	" الوعد به
٤٢١-٤٢٢	السبعون ارسالهم وتدريبهم ورجوعهم	١٩١ و ١٩٢	الروح النجس - اخراجه
	الستخاء (انظر العطاء)	٤٨	رومية - اتساع ملكتها
١٩٢-١٩٤	السكن الشيطاني	٥٠٩ و ٥٥٧	الروساء مؤامرتهم عليه
٦٤٢	تسليمه الروح	٢١١	" يتههونه بالتجديف
٥٧٨	سلامة	٢٨٥	" دينونتهم
		٦٧٠	" يكررون الرشوة

صفحة	ش	صفحة	س
٦٨٥	الشكوك في الدين - البحث فيها	٦٨٢ و ٦٨١	السلام المسيحي
٢٤٨	الشكر على الطعام	٥٣٦ و ٥٣٥	سلطانه - السؤال عنه
٢٤٠ و ٢٣٩	الشهادات له	٢١٨ - ٢١٦	سلطانه على الطبيعة
٦٤٥	شهادة قائد المئة	٢١٨ - ٢١٦	" على المصائب والتجارب
١٢٧ و ١٢٦	شهادة يسوع لنفسه	٢٨٤ - ٢٨٣	السلطان الكنسي
٥٩٥	شهود الزور		سلام (انظر برج)
	الشياطين (انظر السكن الشيطاني)	٤١٢	المسامحة
٤٦٤ و ٢٩٣	" اتهام اليهود اياه بها	٥١٩	سمعان الابرس
	" (انظر المعجزات)	٥٨ و ٥٧	" الشيخ
٢٤٩ و ١٩٤ و ١٩٢	الشیطان - شهادته ليسوع		" (انظر بطرس)
٢٩٨	" مطرود يعود	٢٨٨	" الفرسي
	ص	٦٢٦	" القيرواني
٢١٦ و ١٨٠	المصائب خيرها	٢٤٢	السنابل - قطعها في السبت
٤٤٥	" علاقتها مع الخطايا	٩٣ و ٧٢ و ٧٣	سنوه الاولى - السكوت عنها
٢٦٧	الصدقة - الكلام فيها	٨٤ - ٨٢	" احواله فيها
٢٧٧ و ٩١	الصدوقيون	٥٥٢ و ٤٧١ و ٤٧٠	السهر الروحي
٥٤٠	" سؤالهم عن القيامة	١٦٦ و ١٦٥	سوخار - ايمان اهلها
٤٨١	الصعوبات - حساباتها	٥٣٩	السياسة - علاقتها مع الدين
٦٩٩	الصعود		ش
٤١٠	الصغار - الاعناء لهم	٢٤٨ - ٢٤٤	اشباع الخمسة الآلاف
٥٣٣	" تسبيحهم	٢٧٧ و ٢٧٦	" الاربعة الآلاف
	" (انظر الاولاد)	٥٢٣	المشاجرة بين الرسل
٤٦٣ و ٢٦٨	الصلاة	١١ و ١٠	شخصيته في الدين
٢٢٢	" استجاباتها المتنوعة	٢٥٧ و ٢٦٥ و ٢٦٦	الشريعة القديمة والجديدة
١٩٨	صلاته	٢٤٩	الشعب - تمسكه به
٥٨١ و ٥٨٠	" الشفاعية	٢٤٩	الشفاء - كثرته
	" في جنسباني (انظر جنسباني)	٢٧٥ و ٢٦٩	الشفاعة
٨ و ٩	صلاحه	٤٥٠ و ٤٥٩	الانشقاق بسببه
١٤٢	مصلح	٢٢٢	الشكوك في الدين

صفحة	ط	صفحة	ص
٤٣٠ و ٤٣٩	طالبو اتباعه	٦٣٢	صلبة - تسليم بيلاطس اياه
	الطبع (انظر حب المال)	٦٣٢	" طلب المجمع ذلك
	الطهارة والنجاسة (انظر نجاسة)	٦٣٥	" المضي به اليه
	تطهيره الميكل (انظر الميكل)	٦٣٦ و ٦٣١	" اصطلاحاته
٢٥٩-٢٦٤	التطويات	٦٣٠	" اصلها
٢٧٨ و ٢٨٠ و ٥٢٠	الطيب - دهن قديمه	٦٣٩	" موقعه
	ظ	٦٣٦	المصليب - سمعان يجهله
٦٤٠ و ٦٤١	الظلمة ساعة الصلب	٦٣٦	" العنوان فوقه
٦٦٦	ظهوره الاول بعد قيامته للمجدلية	٦٥٠	" اسباب رزوحه تحته
٦٦٨	" الثاني للنساء	٦٤٧	" الانزال عنه
٦٨٠	" الثالث لبطرس	٢٧٤ و ٧٥	الاصم الاعقد
٦٧٧	" الرابع للتلاميذ	٩٨	الصوت الاول من السماء
٦٨١	" الخامس للعشرة	٢٩٥	" الثاني "
٦٨٤	" السادس للاحد عشر	٥٤٩	" الثالث "
٦٨٧	" السابع للسبعة	٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٦٧	الصوم
٦٩٣	" الثامن للخمسة مئة	١٠٥ و ١٠٦	صوم يسوع
٦٩٦	" التاسع ليعقوب	٢٠٧	صيد السمك العجيب
٦٩٩	" العاشر (لرسل اجمعين)		ض
٦٩٧	" الحادي عشر لبولس	٦٥٠ و ٦٥١	ضبط قبره
٦٩٧	ظهوراته - حصرها في المؤمنين	٢١٦	الضالون - سرقة عنهم
	ع		ط
١٢٩ و ١٩٠	العائلة والعلاقات الدينية	٢٢٠	طبيب روحاني
٥٧٩	العالم - عداوته له ولتلاميذه		طبيعته البشرية (انظر بشريته)
١٧٣	العبادة الحقيقية		" الالهية (انظر لاهوته)
٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١١	العثرات تجنيها	٢٧١	الطريق الضيقة والواسعة
١٢٨ و ١٢٩	المعجزات اجمالاً	١٧٤	الطعام الروحي
٢٩٤	" الرحمة فيها	٤٧	طفولته
٢٠١-٢٠٤	الابرص - تطهيره	٥٥	الطفولية - تقديسها
٥١١	البرص العشرة - تطهيرهم	٥١٢	الطلاق - سنته

صفحة	ع	صفحة	ع
٤٥٤-٤٤٦	المعجزات - اعطاء البصر للاكه	٢٢٤-٢٢٠	المعجزات - شفاء المقعد
٢٧١-٢٦٨	المرأة الفينيقية - شفاء ابنتها	٢٨٠-٢٧٨	ابن الارملة في نايين
٢٢٧ و ٢١٦	" النازفة الدم	٥٣١	التينة - تبيسها
٢٥٣ و ٢٥٢	المشي على الماء	٤٠٣ و ٤٠٤	المجزية - ايفاؤها
٥٩٠	ملحس - شفاء اذنه	١٩٤ و ١٩٥	حماة بطرس - شفاؤها
٢٤٧ و ٢٤٦	اليده اليابسة - شفاؤها	٤٧٤ و ٤٧٥	" المرأة المتخينة
٤٧٩ و ٤٨٠	الاعذار	١٢٤-١٢٦	تحويل الماء خمرًا
	العدراء (انظر مريم)	١٧٩	خادم الملك - شفاء ابته
٢٨٩	الاعتراف به	٢٢١-٢١٩	اخراج الشياطين من الجمون
٩ و ٨	" داب الصالحين	١٩١	الروح النجس في كفرناحوم
١٢٦-١٢٠	العرس في قانا	٤٧٨	المستسقي - شفاؤه
٢٢٥ و ١٦٢	العريس - تشبيه يسوع به	٢١٤-٢١٢	تسكين النوء
٦١٨	العسكر - تسليم يسوع له	٢٤٧-٢٤٤	اشباع الخمسة الآلاف
٥٦٥	عشاء الفصح	٢٧٧ و ٢٧٦	" الاربعة الآلاف
٥٧١	العشاء الرباني - روحه	٢٩٧ و ٤٠٠	الشيطان الاخرس الاصم
٤٨٥-٤٨٢ و ٢١٦ و ٢١٥	العشارون	٢٢٢	" الاخرس المتخنون
١٦١	التعليم - ايمته	٢٧٢	" الاعمي والاخرس
٤٧٩ و ٤٧٠	العتاء	٤٦٤	" الاخرس
٤٠٦	العظمة الحقيقية	٢٧٤ و ٢٧٥	الاصم الاعقد - شفاؤه
٦٤٦ و ٦٤٥	عظامه - سلامتها من الكسر	٢٠٧	صيد السمك العجيب
١٥١ و ١٥٠	علمه بالتحفيات	٦٨٨	" " " بعد القيامة
٩٧-٩٤	عماده	٦٤٢ و ٤٤٠	المعجزات عند موته
١٦١	المعبودية	٢٢١ و ٢٢٢	اعميا كفرناحوم
٤٧٠ و ٢٦٩	عناية الله	٢٧٨	اعمي بيت صيدا
٢٦٦	العنوان فوق الصليب	٥١٧	اعميا اريحا
٦٣٤	تغييره على الصليب	٢١١-٢٠٨	المفلوج - شفاؤه
٤٦٠-٤٥٩	عيد التجديد - حضوره فيه	٢٢١-٢٢٤	اقامة ابنة يائرس من الموت
٤١٧ و ٤١٦	" المظال		" لعازر (انظر لعازر)
٥٦٠ و ٥٦١	" الفصح - الاستعداد له	٢٧٤-٢٧٧	قائد المئة - شفاء غلامه

صفحة	ف	صفحة	غ
١٧	فيلو الاسكندري	٥٦٣	غسلة ارجل التلاميذ
٢٦٧-٧١	فينيقية - زيارة يسوع اياها	٢٦٣	الغسلات اليهودية
	ق	١٤٩	الغضب الذي يكون فضيلة
٢٧٠ و ٢٧١	القاعدة الذهبية	٢٩٠ و ٢١٣ و ٢٠٩	الغفران
٥٧٧	مقامة	٢٩٠ و ٢٨٩	يولد الخبئة
١٢٦-١٢٩	قانا الجليل	٥١٤ و ٥١٣	الغني - صعوبة دخوله الملكوت
٦٤٥	قائد المئة عند الصليب	٥٠٨ و ٥٢٦	غبط الروساء
٢٧٢-٧٧	" " شفاء غلامه		ف
٦٥٠	قبره - ضبطه		الفرح - مشرب يسوع في امره ١٣١ و ١٣٢
٥٠٦	" رفع الحجر عنه	٦٣٧	الفردوس
٥٨٩	القبض عليه	٦٩ و ٦٥٤ و ٦٥٥	تفرده
٥٧ و ٥٦	تقديمه في الهيكل	٢٧٧ و ٢٩٧	الغريبيون يطلبون آية
٢٦٤	القربان	٤٣٠ و ٤٣١	" يرسلون خداما ليسكنوه
٦٣٣	الفرعة على ثيابه	٤٨٣ و ٤٨٢	" احقارهم العشارين
٤٤٠ و ٤٤١	القريب - معاملته	٩١ و ٢١١	" تجديفهم
٢٣٢	القضاء الالهي	٤٦٧ و ٤٦٨	" التحذير منهم
٢٣٠-٢٢٤	المقعد عند بركة بيت حسدا	٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٤٢ و ٥٤٤	" توبيخه لم
٢٥٩ و ٢٦٠	التقاليد تعظيم اليهود اياها	٥١٣	" سؤلهم عن الطلاق
٥٠٩	قيافا مشورته على قتل المسيح	١١٦	" وفدهم للمعدن
٥٩٦	" عدم صلاحيته للحكم	٢٦٧	فرائض الدين
٢٨٦	قيامته - انبأه الاول بها	٥٦٥	افصح الاخير - عشاؤه
٤٠١	" الثاني "	٥٦١	" - الاستعداد له
٥١٦	" الثالث "		" (انظر عيد)
٦٥٥	" انكارها	٤٢٩	فقره
٥٤٠	القيامة - محاوره الصدوقيين بها	٢٠٨-٢١٠	المفلوج - شفاؤه
٥٠٤	" هو القيامة والحياة	٥٤٦	فلسا الارملة
٦٥٦	قيامته - الاختلاف في الروايات	٦٢٨	فيرونیکا - قصتها
٦٧١ و ٦٧٢	" بيناتها		
	" مثبتة بشهادة الخواسب		

ق	صفحة	ك	صفحة
قيامته - قوتها	٦٩٨	كهنوته	١١٨ و ١١٩ و ١٦٠
و بصرية فيلبس	٢٧٩	الكهنوت اليهودي	٢٢ و ٢٣ و ١١٧ و ١١٨
		" " والسجى	٢٢ و ٢٣ و ١١٩
ك		ل	
الكاتب وسوالة	٢٤١	الص النائب	٦٣٥ و ٦٣٦
كاتبه	٥٦٦	اللسان على جانبيه	٦٣١
الكاس - ماهيتها	٥٨٥ و ٦٤١	لعازر - مرضه	٥٠١
الكتاب المقدس - تقيصه	٩	" المؤامرة عليه	٥٢١
الكتبه - نشوم	١١٨	" اقامته من الموت	٥٠٧
" توبيخه ايام	٤٦٦ و ٥٤٣ و ٥٤٤	لوقا - شخصيته و بشارته	١٥
الكرمة الخفيفة	٥٧٩	م	
كفرناحوم - مجعها	٢٧٤	ماه الحياة	١٧١ و ٤٢٠
" - استيطانه فيها	١٨٧-١٨	الماء - تحويلها خمرًا	١٣٤-١٣٦
اكفانه	٦٥٨ و ٦٦٢ و ٦٦٤	المال - حبه (انظر حب)	
كلامه الاول في التبشير	١٧٨	مق - دعوته	٢١٤ و ٢١٥
الكلمة الازلي	١٧	" شخصه و بشارته	١٨
" ثانسه (انظر التانس)		" ضيافته لیسوع	٢١٩
كله الله - ثبوتها	٤٧ و ٤٨	" صلاحه	٢١٨
الكلمه - اقسام سامعها	٢٠٢	الامثال عموما	٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٩
كلمته الاولى على الصليب	٦٢٢	قواعد تفسيرها	٢٠٩
" الثانية	٦٢٦	مثل الابن الشاطر	٤٨٨-٤٩٦
" الثالثة	٦٢٩	" الابنين	٥٢٦
" الرابعة	٦٤١	" البناءين الحكيم والجاهل	٢٧٢
" الخامسة	٦٤٢	" التينة الغير مثمرة	٤٧٤
" السادسة	٦٤٢	" حبه المخردل	٢٠٥
" السابعة	٦٤٢	" الخراف والجداء	٥٥٥ و ٥٥٦
كالة	٩	" الخروف الضال	٤١٠ و ٤١٥ و ٤١٦
الاكبه - ثقافه	٤٤٦-٤٥٤	" الخميرة	٢٠٦
الكنز الباقي	٢٦٩	" الدرهم المفقود	٤٨٧
الكنيسة - السلطان فيها	٢٨٤		

صفحة	م	صفحة	م
٢٨٦	المدن الثلاث - توبخها	٢٩٠	مثل المديونين
٢٧٢	العشر - زيارته اياها	٢٠٢	الزراع وتفسيره
٤٦	المرأة في الدين	٢٠٥	الزرع النامي في الخفاء
١٩٧ و ١٩٦	الامراض وشفائها	٢٠٤	الزوان وتفسيره
٤٢٢ و ٤٢٣	المرأة الزانية	٤٤١-٤٢٦	السامري الصالح
٤٧٤ و ٤٧٥	المنخنة	٢٠٨	الشبكة
٤٤٢	مرثا - يسوع في بيتها	٤٦٤	الصديق في الليل
١٣ و ٩٤	مرقس - شخصيته وبيارته	٤٧١	العبد الامين والعبد الردي
٣٤-٣٧	مريم امه - البشارة لها	٤١٣	العبد الظالم
٦٩٣	لم يذكر ظهوره لها بعد قيامته	٥٣٧	عرس ابن الملك
١٤٢-١٢٢	البحث في امرها	٤٧٩ و ٤٨٠	العشاء والمعتذرين
٢٥-٢٨ و ١٢٨	مقامها	٥٥٤	العشر عذارى
٤١	زيارتها لاليصابات	٤٧٠	الفني الغبي
٤٢ و ٤٣	تسببها	٤٩٩	الفني ولعازر
٤٢	احوالها الوضيعة	٥١٢	الفريسي والعشار
٥٧	تطهيرها	٥١٥	الفعلة في الكرم
١٣٣ و ١٣٤	يرفض مداخلتها	٥١١	القاضي الظالم
١٢٨	نفي شفاعتها	٥٣٧	الكرامين الاشرار
١٣٩ و ١٤٠	بتوليبتها	٢٠٨	الكثر الخفي
٦٣٩ و ٦٣٨	اهتمامه بها وهو على الصليب	٢٠٨	اللؤلؤة الكثيرة الثمن
٢٥٠	مريم اخت لعازر تدهن قدميه	٤٩٧	الامناء
٦٦٦	المجدلية - ظهوره لها	٥٥٤	الوزنات
٦٦١	زيارتها للقبر	٤٧١	الوكيل الامين والخائن
٢٤٩	تمسك الشعب به	٤٩٧ و ٤٩٨	الوكيل الخنال
٥٤٢	المسيح ابن داود ورثته	٥٩٩-٥٩٢	مجمع اليهود بمحاكمته ويحكم عليه
١٤	معنى الاسم	٦٠٢-٦٠٠	ثانية " " " "
٦٥ و ٦٤	مصر - الهرب اليها	٦٤-٦٠	المجوس زيارتهم
٦٨	الرجوع منها		محاكمته (انظر اليهود وبيلاطس وهيرودس)
١٨	منفعة بشارته متى		

صفحة	م	صفحة	م
٦٤٧	الموت - رأي المسيحي فيه	١٤	مقدمة بشارة مرقس
	ن	١٥	" " لوقا
٨٤ و ٨٣ و ٦٩ و ٦٨	الناصره - الاستيطان فيها	١٧	" " يوحنا
٤٧	" وطن يوسف ومريم	٥٩٠	ملخص قطع اذنيه
٨٢-١٨٠	" خطابه في مجيئها	٢٤	الملائكة - ظهورهم لتركيا
	" رفضه الاول فيها وتركه اياها ١٨٤ و ١٨٥	٥٢ و ٥٣	" " للرعاة
٢٢٣	" رفضه الثاني فيها	٢٢	" " عموما
٨٤ و ١٨٣	" محاولة اهلها قتله	٢٧-٢٤	" " لمريم العذراء
٤٣٦ و ٢٦٧ و ٢٦٥	الناموس ابصاح روحه وحفظه ٢٦٥ و ٢٦٧ و ٤٣٦	٢٩	" " ليوسف
٢٥٧	" تثنيه		" " لتركيا (انظر تركيا)
٥٤١	الناموسي - جواب يسوع له	١٠٢	" " - تخدمه
٤٦٦	ناموسي يعارض عليه	٦٦٠	" " - تخدمه في زمنه
٢٢	النبوات به	٦٦٨	الملاكين يظهران للنساء
١٥٩	بنوته	١٥٨ و ١٥٩	ملكوته - روجي داخلي
١٢٦ و ١٢٥	ثنائيل	٢٥٠	" " قصد اقامته ملكا
٥٦٤ و ٢٦٥-٢٦١	التجاسة والطهارة	٥١١	" " اتيانه
٦٢	نجم الجوس	٢٦٣-٢٠٩	" " صفات ابناءه
٢٩٢	انسباؤه - اغلاطهم	٥١١	" " كيفية مجيئهم
٢٩٩	" التحقيقون	٢٨٤ و ٢٨٢	ملكوت السموات - مفاتيحه
٢٩٢ و ٢٩٣	" محبونه مختلا	٤٨	الملوك في يد الرب
٦٦٩	النساء مخبرن التلاميذ بقيامته	٧١ و ٧٠	مل الزمان
١٦٩ و ١٦٨	" توقيهن	١٦٠	ملكوته
٢٩٢	" الغيورات	٢٨٦	موته - الانباء الاول به
٦٦١	" يذهبن الى القبر	٤٠١	" " الثاني
٦٢٧	" حنانن عند صليبه	٥١٦	" " الثالث
٦٥٨	" استعدادهن للتحنيط	٦٢٨	" " ليس كشهد
١٨	نسيه في متى	٦٢٩	" " كغادي
٢١-١٩	" " لوقا	٦٧٢ و ٦٥٧	" " حقيقي
١١٦	النسك - البحث فيه	٥٠٢	الموت - رايه فيه

صفحة	ن	صفحة	هـ
٢٣	النظام الموسوي - انحلاله	٢٣	الهيكلي - تطهيره الثاني
٢٨٩	النفس - قيمتها	٢٨٩	" - شق حجابيه
١٥٥-١٥٣	نيقوديموس - زيارته ليلاً	٤٩	" - وصفه
٤٢١	" - مدافعة في الجمع	١٤٧-١٤٩	" - قوله في نقضه
٦٤٨	" - يشترك في دفنه		
			و
		٥٠١	الواجب - لا فضل في اتمامه
٦٥ و ٦٤	الحرب الى مصر	٢٢٨ و ٢٢٩	وحدة الآب والابن
٦١٨	الاستهزاء به عند ييلاطس	٥٧٧ و ٥٧٨	وداع يسوع
٦١٣	" عند هيرودس	٢٥٩ و ٢٦٠	وصايا الله والتقليد
٥٩٧	" " اليهود	٥٤١ و ٥٤٢	الوصية الاولى والعظمى
٦٢٢	" تجديدده	٥٧٤	" الجديدة
٦٣٤	" على الصليب	٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٧٨	التواضع - مثالة فيه
٦٦٩	الهم ممنوع	٢٥٦-٢٧٢	الوعظ على الجبل
٦٢-٦٠	هيرودس الكبير والمجوس	٨٩	" - تأثيره
٢٣٩	" عائلته	٤٠٦ (انظر الاطفال والصغار)	الاولاد
٦٦ و ٦٥ و ٦٦	" شروره	١٥٦-٥٨	الولادة الثانية
٦٥	" قتله الاطفال	٥٠ و ٥٩ و ٦٩ و ٧٠	ولادته والاحفاد بها
٦٧ و ٦٦	" آخرته	٢٤٩	وليمة هيرودس ومقابلتها
	هيرودس انتيباس	٤٧٨	" الفريسي
٢٤٢-٢٣٨	" قتله المعبدان	٥٤٣-٥٤٤	الويلات على الفريسيين والكتبة
٤٧٦	" يطلب قتل يسوع		
٦١٢ و ٦١٣	" يحاكمه		
٢٤٨	المبرودسيون		
٥٣٨	" - السؤال الاحثيالي		
٢٤١ و ٢٤٠	هيرودياً		
٥٥١	الهيكلي - انباؤه بخرايه		
٥٢٩ و ٤٧٣	" - خرايه		
٤٨-١٤٥	" - تطهيره الاول	٢٢٤-٢٣١	بارس
٥٧ و ٥٦	" - تقديمه فيه كطفل	٦٦٣	يوحنا بن زبدي - اتيانه الى القبر
			ي

صفحة	صفحة
يوحنا - تلمذه ١٢٢	يهوذا الانطريوطي - بيعته سيده ٥٥٦ و ٥٥٨
يوحنا المعمدان - ارساليته الاخيرة ٢٨١-٨٢	" دخول الشيطان فيه ٥٦٩
" عظمت ٢٨٤ و ٢٤٢	" تسليمه سيده ٥٨٦-٥٨٩
" انباؤه بجي المسيح ٩٢ و ٩٣	" الانبياءات بانه سيده ٥٦٧ و ٥٦٨
" سجنه ١٦٣	" المقابلة بينه وبين بطرس ٦٠٦
" ظهوره ٨٥	" ندمه وانتحاره ٦٠٤-٦٠٧
" تاريخ ظهوره ٨٦-٨٨	" انتخابه ٢٥٤ و ٢٥٥
" شهادته امام الوفد ١١٦ و ١٢٠	يوحنا ابن زبدي شخصه وبشارته ١٥-١٧
" " الجديدة ١٦٣	" زيارته القبر مع بطرس ٦٦٢ و ٦٦٣
" شهادته يسوع له ١٦٣ و ٢٨٤	يوسف رجل مريم ٢٦-٤٠
" تعميده وكرازته ٨٨-٩١	يوسف - رجوعه الى الناصرة ٦٩
" المقابلة بينه وبين يسوع ٩٠ و ١٢٢	" ظهور الملاك له ٢٩
" قتله ٢٤١	" ليس ابا يسوع ١٩ و ٢٠
" كرازته ١٦١	" سفره الى بيت لحم ٤٨
" نسب يسوع ٩٣	يوسف الراي ياخذ جسده ٦٤٧
" ولادته ٤٤	اليوم الاخير ٥٥٢-٥٥٤
اليهود - يطلبون قتله ٤١٩ و ٤٦٣ و ٥٠٩	" الثالث الاصطلاح فيه ٦٧٨
" مستقبلهم كشعب ٢٣	اليونانيون يطلبون ان يروا يسوع ٥٤٨ و ٥٤٩
اليهودية - انصرافه منها ١٦٣ و ١٦٤	يونان - آيته ٣٩٧
يهودي - يسوع يهودي امين ٢٠١	" مقابلته مع يسوع ٣١٥



۱۰۸	مجموعه کتب خطی	۱۰۸
۱۰۹	مجموعه کتب خطی	۱۰۹
۱۱۰	مجموعه کتب خطی	۱۱۰
۱۱۱	مجموعه کتب خطی	۱۱۱
۱۱۲	مجموعه کتب خطی	۱۱۲
۱۱۳	مجموعه کتب خطی	۱۱۳
۱۱۴	مجموعه کتب خطی	۱۱۴
۱۱۵	مجموعه کتب خطی	۱۱۵
۱۱۶	مجموعه کتب خطی	۱۱۶
۱۱۷	مجموعه کتب خطی	۱۱۷
۱۱۸	مجموعه کتب خطی	۱۱۸
۱۱۹	مجموعه کتب خطی	۱۱۹
۱۲۰	مجموعه کتب خطی	۱۲۰
۱۲۱	مجموعه کتب خطی	۱۲۱
۱۲۲	مجموعه کتب خطی	۱۲۲
۱۲۳	مجموعه کتب خطی	۱۲۳
۱۲۴	مجموعه کتب خطی	۱۲۴
۱۲۵	مجموعه کتب خطی	۱۲۵
۱۲۶	مجموعه کتب خطی	۱۲۶
۱۲۷	مجموعه کتب خطی	۱۲۷
۱۲۸	مجموعه کتب خطی	۱۲۸
۱۲۹	مجموعه کتب خطی	۱۲۹
۱۳۰	مجموعه کتب خطی	۱۳۰
۱۳۱	مجموعه کتب خطی	۱۳۱
۱۳۲	مجموعه کتب خطی	۱۳۲
۱۳۳	مجموعه کتب خطی	۱۳۳
۱۳۴	مجموعه کتب خطی	۱۳۴
۱۳۵	مجموعه کتب خطی	۱۳۵
۱۳۶	مجموعه کتب خطی	۱۳۶
۱۳۷	مجموعه کتب خطی	۱۳۷
۱۳۸	مجموعه کتب خطی	۱۳۸
۱۳۹	مجموعه کتب خطی	۱۳۹
۱۴۰	مجموعه کتب خطی	۱۴۰
۱۴۱	مجموعه کتب خطی	۱۴۱
۱۴۲	مجموعه کتب خطی	۱۴۲
۱۴۳	مجموعه کتب خطی	۱۴۳
۱۴۴	مجموعه کتب خطی	۱۴۴
۱۴۵	مجموعه کتب خطی	۱۴۵
۱۴۶	مجموعه کتب خطی	۱۴۶
۱۴۷	مجموعه کتب خطی	۱۴۷
۱۴۸	مجموعه کتب خطی	۱۴۸
۱۴۹	مجموعه کتب خطی	۱۴۹
۱۵۰	مجموعه کتب خطی	۱۵۰

جدول اصلاح غلط

وقع بعض الاغلاط في الطبع لم نر بدأ من الاشارة اليها

وجه	سطر	غلط	صواب
٨	٢٢	(٢)	(٣)
١٣	١١	المأخوذ عن	المتفق مع
١٦	١٢	افسد	افسد في
"	٢٢	بدء	بدء
١٩	٢٢	اثنتين	اثنتين
٢٠	١٠	كله	كله
٢٥	١٨	(١)	(٢)
٢٤	٨	فالى	فالى اي
٤٨	٢	به	به
٥٩	٢	على طريق	على غير طريق
٦٥	٥	لنعد	لنعد
٦٩	٩	قرائنها	قرائنها
٧٠	١٨	اليونانية	اليونانية
٨١	٢	كراما	اكراما
٩٨	١٢		وكان صوت من السماء قائلاً "انت
			ابني الحبيب الذي بو سررت" ثم تحقيقاً لايمان
			المعدان "هذا هو ابني الحبيب الذي بو سررت"
١١٢	٢١	خدمة	خدعة

وجه	سطر	غلط	صواب
١١٥	٢	الاولى	العظيمة
١١٩	١٤	نظرة	نظر
١١٩	١٨	كلامه	كلامه
١٢١	٥	المختصة	المختصرة
١٢١	٢٠	معناه	معناها
١٤٥	٢	السرور	الشروع
١٤٦	١٧	الشاب الذي	شاب
١٤٧	٤	المعجزات	المعجزة
١٥٧	٧	يصير	يصيران
١٦٧	١٩	امل ١٧: ٢٤: ٤١	امل ١٧: ٢٤: ٤١
١٧١	١٦	وان كانت	لان
١٧١	٢٢	حزو ١: ٤٧	حز ١: ٤٧
١٨٨	١	ويوحنا	ويعقوب ويوحنا
١٩٧	٢	اعظيها	من اعظيها
٢٠١	٤	المرض الوحيد الوراثي الذي	المرض وراثي ينتقل
٢٠٦	١٢	صعد	اصعد
٢١٨	١٨	قائمة	قائمة
٢١٩	٢٢	افكارهم	انتقادهم
٢٢٢	٢٥	اف ٢٢: ٥ - ٢٢	اف ٢٢: ٥ - ٢٢
٢٤٥	٢١	اي	هي
٢٤٧	٨	بغضب	بغضب حزينا
٢٥٩	١	ظهورها	ظهوره

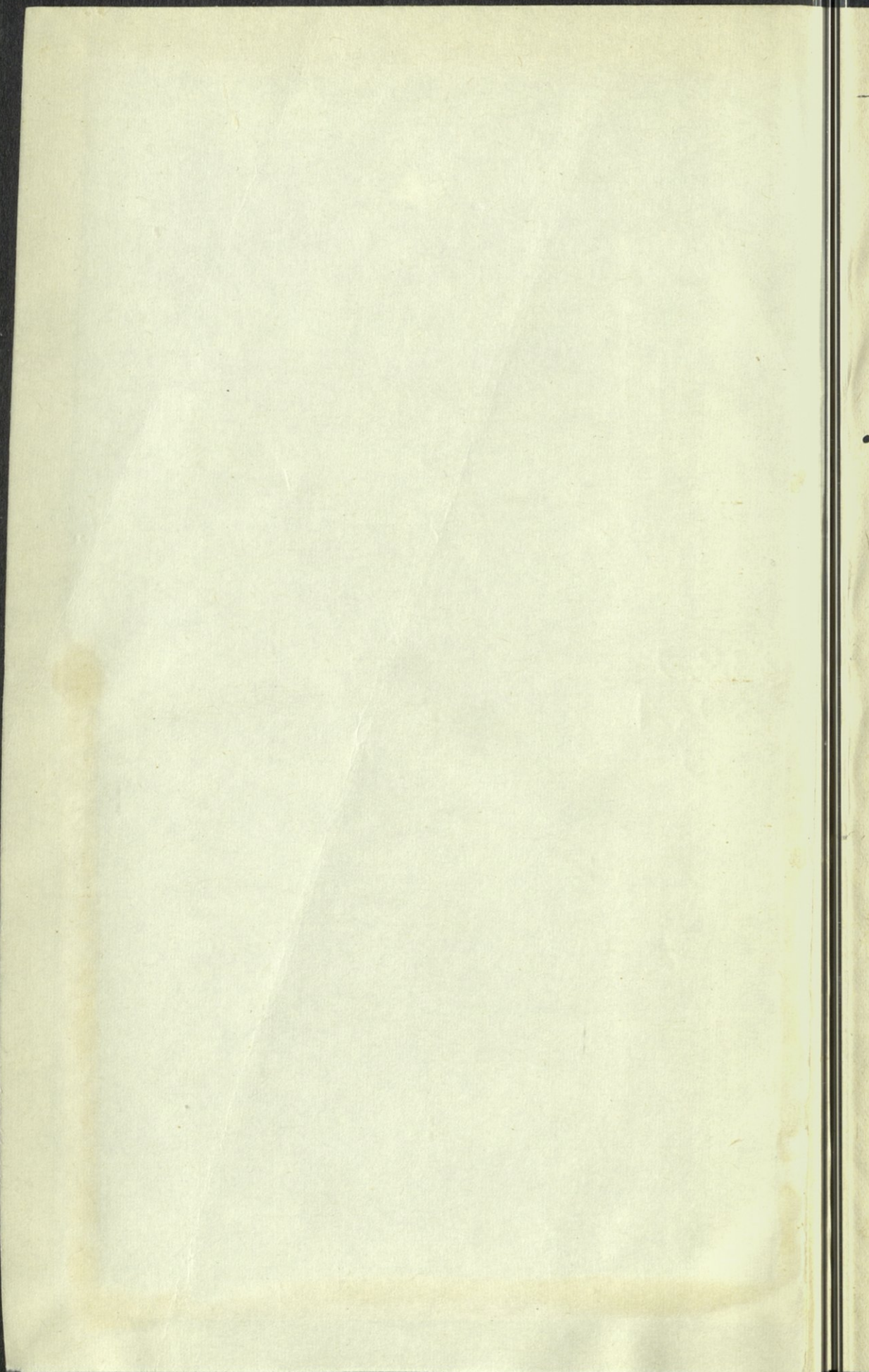
وجه	سطر	غلط	صواب
٢٦٨	١٥	الله	الله
٢٧٢	٨	ويكوك	يكون
٢٧٣	١	لو ٨:١	لو ٧:١
٢٧٦	١١	نغني	نفي
٢٨١	١٦	لا عجب	لا عجب ان
٢٨٧	١	يسوع	يسوع
٢٨٨	١٠	في	في قبول
٢٠٢	١٨	لاكن	لان
"	١٨	فلا	لكنهم
٢٠٦	٦	هنا ذلك النمو	ذلك النمو
"	٢٠	نظير	انظر
٢١٦	٨	البحار	البحار
٢٢١	٦	الاهي	الاهي هو ان
٢٢٢	٥	فاذا	فاذ
٢٢٧	١	معه	منه
٢٥٢	١	٢٥٢	٢٥٢
٢٦٠	١٢	محاكمهم	محاكمهم
٢٦٣	١١	ونبهم	ونهم
٢٧٢	١٢	سكيوبولس	سكيثوبولس
٢٨٤	٥	كتابكم	كتابكم
٢٩	٥	المثل	مثلي
١٠	١٠	القديسين	القديسون

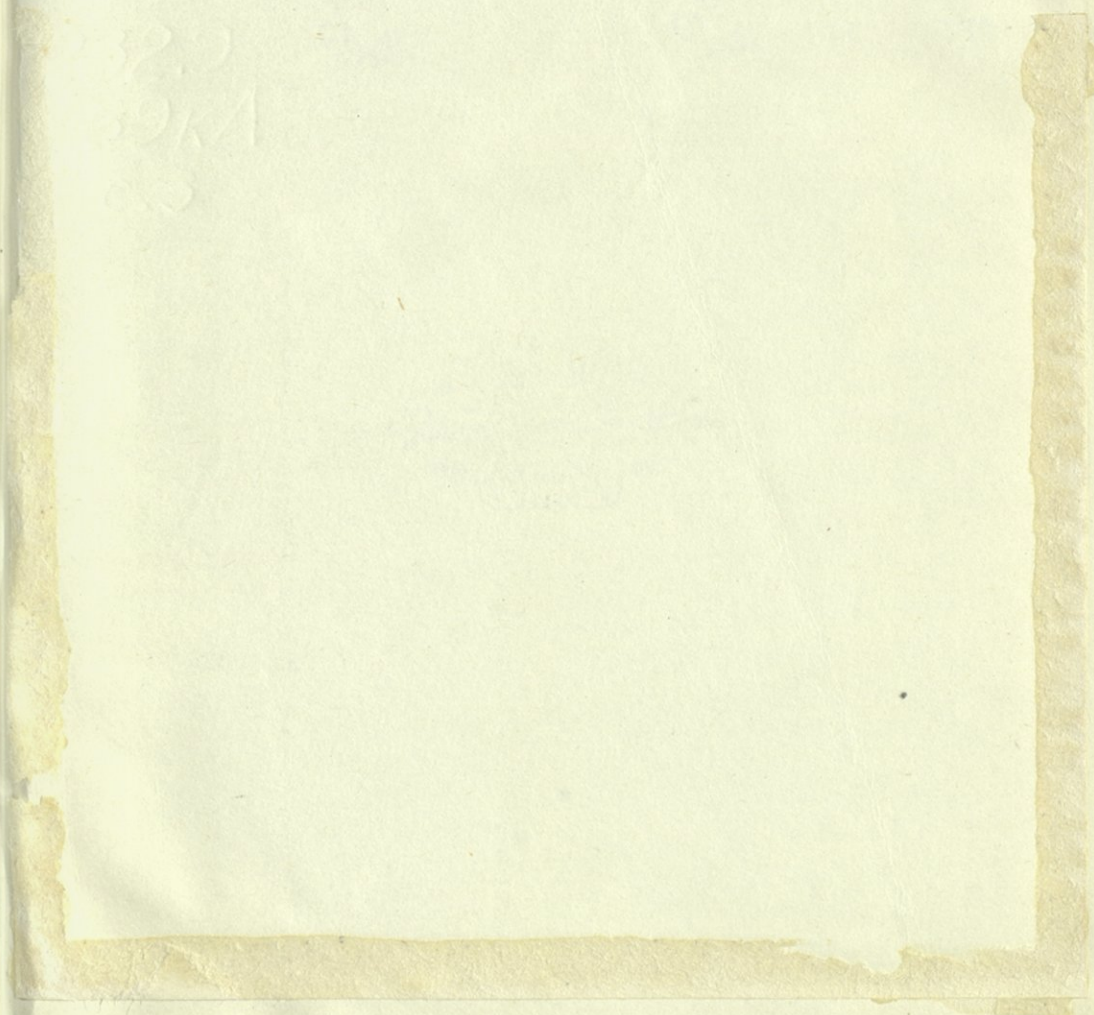
صواب	غلط	سطر	وجه
تعقید	لا تعقید	۷	۴۱۱
برهان صدقہ	برہانا صدقہ	۶	۴۱۹
لو ۱۰:۲۷	لو ۱۰:۲۴-۲۷		۴۲۶
برہنہ	برہنا	۶	۴۲۰
۴۲۵	۲۲۵	وجہ	۴۲۳
(۴)	(۱)	۱۷	۴۵۱
الذین صدقوا	عند صعودہم	۱۸	۴۵۶
طبیعتہ	طبیعتہ	۱۹	۴۶۲
النبویۃ	النبویۃ	۱	۴۶۴
ونہم	ونہم	۱	۴۶۷
استفہام	اجتراع	۳	۴۷۸
فیہا	فیہ	۲۴	۴۷۹
شرہم	اکثرہم شراً	۱۶	۴۸۳
خلفہم	وخالفہم	۱۶	۴۸۴
والکنیسیۃ	والکنسیۃ	۱۵	۴۸۷
لم	لا	۱۸	۴۹۱
محوت	محیت	۲۳	۴۹۳
والفریسیین	والفریسیون	۱۹	۴۹۵
و	او	۱۹	"
فیطلب	وطلب	۹	۴۹۷
تعوض عن	تعوض	۶	۵۰۰
لہا	لہا	۱۰	۵۰۲

وجه	سطر	غلط	صواب
٥٠٦	١٢	ينظر	ينتظر
٥٠٨	٢٢	سبينوزا	سبينوزا
٥٠٩	١٧	(٢)	(١)
٥١٠	٤	العشاء	العشاء
٥١٥	١١	اولون	اولين
٥١٦	٢٤	او رياسته	رياسته او
٥٢٢	٢٠	(١)	(٧)
٥٤٠	٢	مستند بن	مستعد بن
٥٤٢	٢٢	وهو ظاهر	ظاهر
٥٦١	٤	(١)	
٥٧١	٧	ياخذونه	ياخذوه
"	٧	ويخصصون	ويخصصوا
٥٧٤	١٥	لما	ان
٥٩٠	١٦	إلي	الى
٥٩٧	٧	أستر	أستُر
"	١٤	(١)	(٢)
"	٢٢	وحز	آومز
٥٩٨	٦	لمجرد	مجرد
٥٩٩	٥	كل	كل ذي
"	٢٢	(٢)	(١)
٦٠٢	٢	اضطر	اضطرار
٦١٨	٧	خرايها	خرايها (٢)

صواب	غلط	سطر	وجه
وشهرتہ	وشرتہ	۲	۶۳۵
الامر	الایمان	۱۸	۶۳۲
تجد	تخناط	۴	۶۳۳
نگس	نگی	۱۲	۶۴۳
فینیسر	فینیسر	۱۲	۶۴۵
(۱)	(۲)	۱	۶۴۶
(۲)	(۴)	۲	"
الذي	الذين	۱۴	"
(۳) يدخل	يدخل	۷	۶۶۳
(۱) اخوتي	اخوتي	۲	۶۶۸
(۲) القبر	القبر (۱)	۱۲	۶۶۹







32.2
39K4
83

فورد، جورج
القول الصريح في سيرة يسوع المسيح

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01000518

